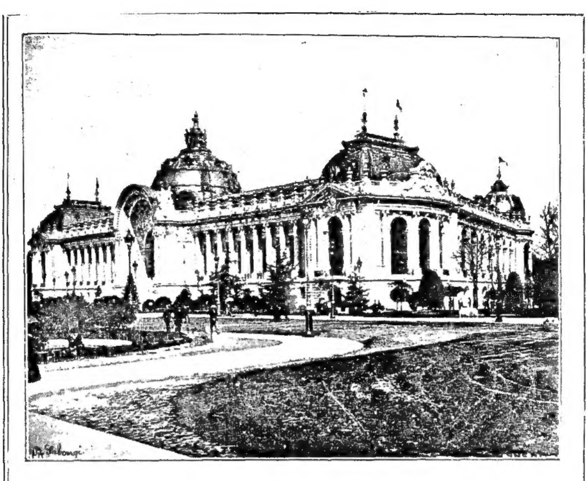
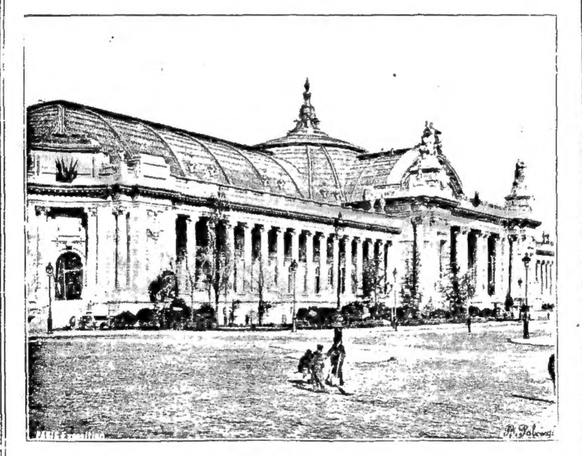
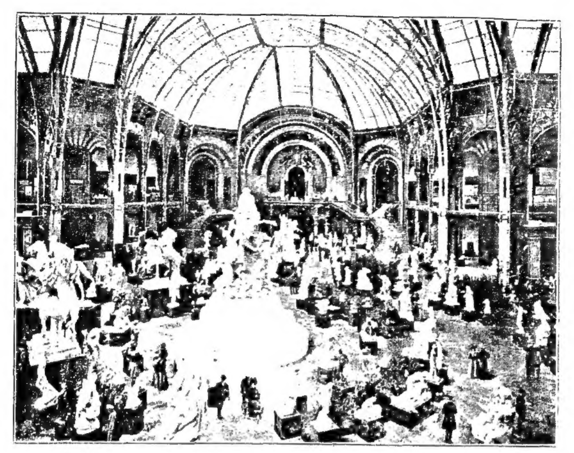




قصر الفنون الصغير



قصر الفنون كبير

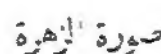


دار قصر الفنون الكبير

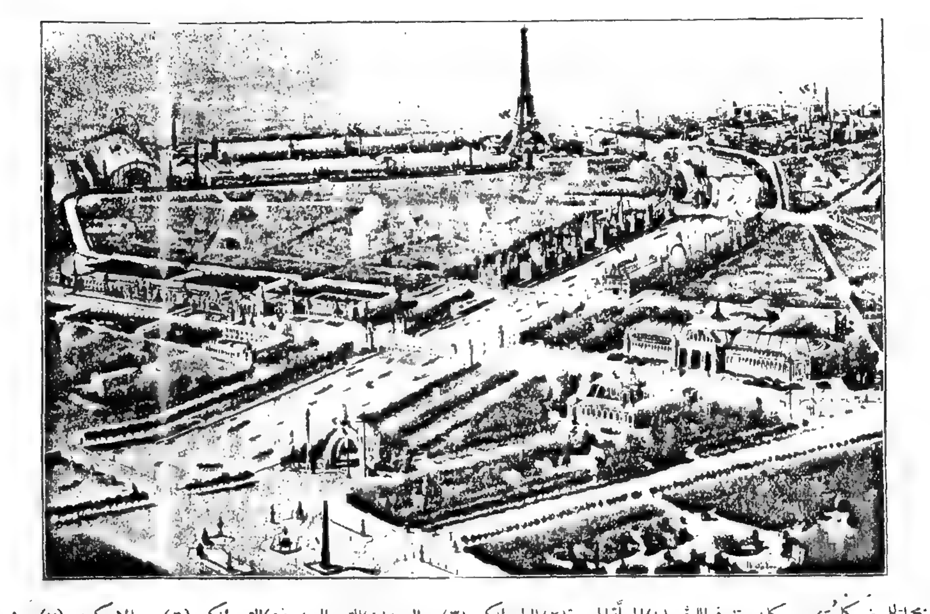


صورة الريشة





صورة الزهرة



صورة مجملة للمعرض كما يُرى من مكان مرتفع في اللوفر. (١) المسلّة المصرية (٢) الباب الكبير (٣) نهر السين (٤) القصر الصغير (٥) القصر الكبير (٦) جسر الاسكندر (٧) معرض الانفاليد (٨) قصر مدينة باريس (٩) المعرض الزراعي (١٠) نادي المؤتمرات (١١) قصور الدول (١٢) التروكاديرو (١٣) برج ايفل (١٤) معرض شان دو مارس (١٥) دار الآلات (١٦) الدولاب الكبير



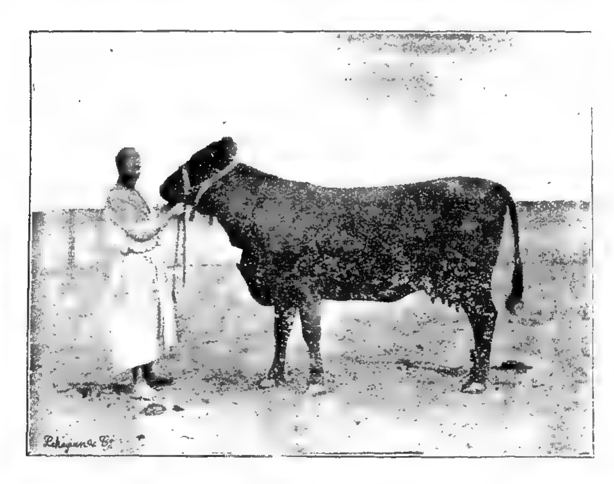
(١) ثور سويسري للخاصّة الخديوية نال الجائزة الاولى



(٢) بقرة انكليزية من صنف قصير القرون للخاصّة الخديوية نالت الجائزة الاولى



(٣) ثور مجنّس سويسري وطني لدائرة القصر العالي نال الجائزة الاولى



(٤) بقرة مجنَّسة (انجُس وطني) لمدرسة الزراعة نالت الجائزة الاولى



مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

يعقوب صرّوف دكتور في الفلسفة

وفارس نمر دكتور في الفلسفة

المجلد الخامس والعشرون

من يوليو الى دسمبر سنة ١٩٠٠

قيمة الاشتراك في السنة ليرة انكليزية تدفع سلفاً

AL-MUKTATAF,

AN ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

BY

Y. SARRUF, Ph. D. AND F. NIMR, Ph. D.

VOL. XXV.

July—December, 1900.

Al-Muktataf Printing Office,
Cairo, Egypt.

فهرس المجلد الخامس والعشرين

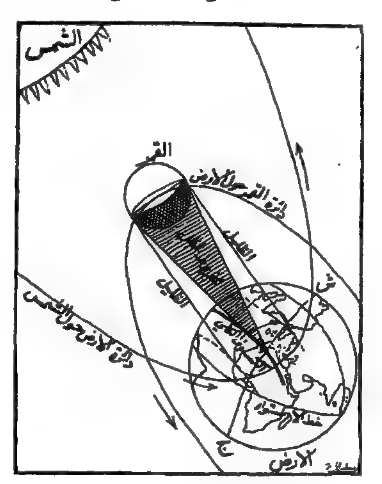
النجمة * تدل على وجود الصور في المقالة التي هي فيها وحرف م لارقام تكررت خطأً

المقتطف

الجزء الاول من المجلد الخامس والعشرين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٠ — الموافق ٤ ربيع الاول سنة ١٣١٨

كسوف الشمس



الكسوف الكلي في ٢٨ مايو ١٩٠٠

لو رأينا الشمس تكسف كل يوم كما نراها تغيب لكان الكسوف من الحوادث العادية التي لا يُعبأ بها ولا يُلتفت اليها اما وكسوفها نادر يحدث مرة في السنة وقد تمضي سنوات كثيرة ولا

نرى لهُ اثرًا فلا عجب اذا نظر اليهِ العامَّة نظر الاستغراب وبحث عقلاؤهم عن سببهِ الحقيقي وتمَحّل لهُ بسطاؤهم اسباباً غير معقولة . وآراءُ البسطاء في ذلك كثيرة مصدرها الرعب من حادث اصاب الشمس او القمر حتى يتطرّف بعضهم ويقول ان تنيناً يبتلعهما ثم يُذعر بالصياح فيتقيأها. لكن العقلاء ادركوا سبب الكسوف والخسوف من قديم الزمان من عهد طاليس وافلاطون اي منذ نحو الفين وخمس مئة سنة فقالوا ان الشمس تكسف اذا حال القمر بيننا وبينها فوقع ظلهُ علينا وحجبها عنا والقمر يخسف اذا وقعت الارض بينهُ وبين الشمس فوقع ظلها عليهِ وحجبت نور الشمس عنهُ. ثم لما انتقل علم اليونان الى العرب انتقل معهُ علم الهيئة وما يعرف عن الكسوف والخسوف. قال البتاني[1] في كتابهِ المعروف بالزيج الصابيء "وما الشمس فان علة كسوفها القمر وذلك انهُ اذا وافق في اوقات الاجتماعات ان يُرى مركزهُ على نطاق البروج حال بين ابصار الناظرين الى الشمس وبين الشمس لوقوعهِ في الخط الذي يخرج من البصر الى الشمس اذ كان هو اقرب منها الى الارض . وكذلك الشيء الصغير لا يزال يرى دائمًا ابدًا ويستر الشيء الكبير اذا كان اقرب الى الابصار منهُ. وعلى قدر ما يتفق عرض[2] القمر في الرؤية تكون اقدار الكسوف الى ان ينتهي الى الغاية التي لا يمكن ان تستر دائرتهُ شيئًا من دائرة الشمس ولذلك صار كسوف الشمس يختلف الاقدار في المواضع المختلفة العرض وكسوف القمر في المواضع يرى مقدارًا واحدًا"

وذكر القزويني الكسوف في كتاب عجائب المخلوقات فقال ان "سببهُ كون القمر حائلاً بين الشمس وبين ابصارنا لان جرم القمر كمد فيحجب ما وراءهُ عن الابصار فاذا قارن الشمس

(١) قال ابن خلكان "هو ابو عبد الله محمد بن سنان بن جابر الحراني اخذ بالرصد سنة ٢٦٤ واثبت الكواكب الثابتة في زيجهِ لسنة ٢٩٩ وتوفي سنة ٣١٧ ولهُ من التصانيف الزيج المشار اليهِ وكتاب معرفة مطالع البروج في ما بين ارباع الفلك ورسالة في مقدار الاتصالات وكتاب شرح اربعة ارباع الفلك ورسالة في تحقيق اقدار الاتصالات وشرح ربع مقالات بطليموس" انتهى. وقد طبع زيجهُ في مدينة رومية في العام الماضي اعتنى بطبعهِ وتصحيحهِ الدكتور كرلو نالينو. والبتاني اول من ابدل اوتار الاقواس بالجيوب في حساب المثلثات وادخل في حسابها الماسات وسهم الجيوب ودقق في حساب السنة الاستوائية اكثر من بطليموس وسنتهُ تقصر من السنة الحقيقية دقيقتين و٢٤ ثانية لانهُ جعل السنة ٣٦٥ يوماً و٥ ساعات و٤٦ دقيقة و٢٤ ثانية وهي تحسب الآن ٣٦٥ يوماً و٥ ساعات و٤٨ دقيقة و٤٨ ثانية . وحسب ميل دائرة البروج ٢٣ درجة و٣٥ دقيقة و٤٠ ثانية وهو حساب في غاية الدقة واختلاف الميل عن ذلك الآن ناتج عن انهُ يقل نحو ٥٠ ثانية كل مئة سنة فقل من زمان البتاني الى الآن نحو ثمان دقائق. واكتشف بعد الشمس الابعد عن الارض فلقبهُ علماء الافرنج بطليموس العرب

(٢) يراد بالعرض هنا بعد الكوكب عن دائرة البروج شمالاً او جنوباً

وكان في احدى نقطتي الراس او الذنب او قريباً منهما فانهُ يمرُّ تحت الشمس فيصير حائلاً بينها وبين الابصار ". ثم فصَّل كيفية الكسوف الكلي والجزئي فاخطأ في التفاصيل لكنهُ عرف ما عرفهُ البتاني وعرفهُ علماء اليونان قبلهما وهو ان الكسوف يحدث من حيلولة القمر بيننا وبين الشمس وان قدرهُ يختلف باختلاف الاماكن

والكسوف الذي حدث في اواخر شهر مايو الماضي كان لهُ شأن كبير عند علماء الفلك في اوربا واميركا لا سيا وانهُ كان يرى كلياً في اماكن كثيرة يسهل عليهم الذهاب اليها ورصدهُ منها. وهذه الاماكن مرسومة في الشكل السابق فقد رسمنا جزءاً صغيراً من الشمس في اعلى الصورة ثم القمر وظلهُ واقع على الارض في شكل مخروط ورسمنا تحتهُ نصف الكرة الارضية وهو يحوي افريقية واوربا وجانباً من اسيا واميركا الشمالية والخط الاسود الذي عليهِ يدل على الاماكن التي رُئي منها هذا الكسوف كلياً

وحتى الآن لم تظهر تقارير علماء الفلك والطبيعيات عما استفادوهُ من رصد هذا الكسوف ولكن وصف اكثرهم ظواهرهُ وصفاً نلخصهُ عنهم في ما يلي

قال الذين رصدوهُ في بلاد الجزائر انهُ كان جلياً من اولهِ الى آخرهِ وكان الاكليل المحيط بقرص الشمس كبيراً مشرقاً يبلغ عرض هالتهِ قطر الشمس وينتأ منهُ لسانان كبيران واحد الى الاعلى وواحد الى الاسفل الشرقي منهما محدَّد من طرفهِ والغربي مشقوق . ولما تمَّ الكسوف برد الهواء واظلم وجه والارض وشعر الناس كأن زوبعة عظيمة دنت منهم فاضطربوا هم والحيوانات وتطبقت الازهار . ثم لما اخذ الكسوف ينجلي والنور يعود الى اشراقهِ زال ما خامر النفوس من الانقباض . وبقي الاكليل منظوراً تسعين ثانية بعد تمام الكسوف وظهر عطارد والزهرة جليًّا وظهر معهما نجمان آخران وبانت النتوات على دائر الشمس

وكُتب من اتلنتا باميركا ان الكسوف شوهد جلياً في اميركا الشمالية وقال الاستاذ برنارد مدير مرصد يركس ان مدة الاختفاء التام كانت اقصر قليلاً مما حُسبت . ورصد كثيرون السماء بين الشمس وعطارد لعلهم يرون فيها سيَّارات اخرى ولا تعلم نتيجة رصدهم حتى الآن . وكُتب من اوفار في البرتغال ان عطارد بان وقت تمام الكسوف وهبط الترمومتر اربع درجات. ومن الجزائر ان لون البحر زال عند تمام الكسوف كان ازرق فصار رمادياً وتغير لون الاشجار من الاخضر الى القرمزي وكان الاكليل شديد الاشراق وامتدَّ الى عطارد . واشرق عطارد بنور ابيض ساطع وكان على درجتين من الشمس

وكتب الوفد الانكليزي الذي اتى طرابلس الغرب ان الاكليل كان مثل الاكليل الذي

شوهد في كسوف سنة ١٨٨٩ تماماً تأييداً لما يقال عن النور الذي يتكرر كل احدى عشرة سنة

وكتب السر نورمن لكير من ستابولا على ساحل اسبانيا الجنوبي الشرقي ان الترمومتر هبط وقت الكسوف من ٤ درجات الى ٦ ولم يكن الكسوف مظلماً ولا بانت نجوم كبيرة وبان الاكليل جيداً . وكتب من بلاسنسيا في اسبانيا ايضاً انهُ ثبت وجود الكربون في الاكليل من شعاعهِ الاخضر وهذه اول مرة قيس فيها هذا الشعاع

وخلاصة ما يقال عن هذا الكسوف التام انهُ شوهد في منطقة ضيقة من الارض طولها نحو خمسة آلاف ميل تبتدىء من نيو اورليانس في الولايات المتحدة وتمتد الى فرجينيا وتقطع الاتلنتيكي واسبانيا وبحر الروم الى بلاد الجزائر وتنتهي في الصحراء غربي مصر. وقد شوهد ايضاً في بقعة اوسع من هذه كثيراً كان فيها ناقصاً كما شوهد في القطر المصري . ولما كانت الاماكن التي شوهد فيها كلياً واقعة في اميركا حيث يكثر علماء الفلك والمشتغلون بهِ وفي اسبانيا والبرتغال وبلاد الجزائر حيث يسهل على علماء اوربا رصده وكان زمنهُ اوائل الصيف حيث يغلب صفاء الجو في البلدان التي ظهر فيها اهتم كثيرون من العلماء برصدهِ فحققوا كل ما كانوا يظنونهُ

الشفعة

رأت الحكومة المصرية ان النصوص الواردة في القوانين المدنية عن الشفعة غير وافية بالمراد منها وان القضاة يرجعون الى احكام الشريعة الغراء في كثير من احكامهم لعدم وجود نص صريح عليها في القانون ويحكمون احكاماً مختلفة فيحكم بعضهم على مذهب الامام ابي حنيفة وبعضهم على المذاهب الاخرى فتلافت الامر ووضعت لائحة جديدة في احكام الشفعة لترجع المحاكم اليها في احكامها وعرضتها على مجلس شورى القوانين فوافق عليها ولكنهُ اقترح على الحكومة ان تجعلها عامة للوطنيين والاجانب معاً فتكون احكام الشفعة في المحاكم الاهلية والمحاكم المختلطة واحدة فلا يميز فريق من السكان على فريق آخر في بلد واحد . فاحلّت الحكومة طلب مجلس الشورى محلهُ من الاعتبار واوقفت العمل بلائحة الشفعة في المحاكم الاهلية وترقبت الفرص الموافقة لمصادقة الدول عليها الى ان تم ذلك الآن وصدر الامر العالي بها فلم يبقَ ما يمنع من انفاذها في المحاكم الاهلية بعد ان تنفذت في المحاكم المختلطة .

ولما كانت الشرائع الاوربية لا تجيز الشفعة الاَّ في احوال قليلة معينة لقيت الحكومة

المصرية بعض المعارضة والممانعة من وكلاء الدول في موافقتها على جميع احكام الشفعة التي عرضتها . ولكن اللائحة الجديدة جاءت مع ذلك وافية بالمرام من اوجه كثيرة واظهر السواد الاعظم من الذين يهمهم امر الشفعة في هذا القطر رضاهم بها واعترفوا بفوائدها

ولما كانت هذه اللائحة جامعة لكل ما يهم من الاحكام في هذا الباب وكانت مسألة الشفعة من المسائل التي تهم الجمهور كثيرًا في هذا القطر رأينا ان نثبت خلاصتها في المقتطف تعميماً للفائدة

المادة الاولى . يثبت حق الشفعة للشريك الذي لهُ حصة شائعة في العقار المبيع وللجار المالك اذا كان العقار المشفوع من المباني او من الاراضي المعدة للبناء سواء كانت في المدن او في القرى واذا كان للاراضي المشفوعة حق ارتفاق على ارض الجار او كان حق الارتفاق لارض الجار على الارض المشفوعة واذا كانت ارض الجار ملاصقة للارض المشفوعة من جهتين وتساوي نصف ثمن الارض المشفوعة على الاقل

المادة الثانية . يعد شريكاً في العقار المشفوع من كان لهُ حق الانتفاع فيهِ كلهِ او بعضهِ ولهُ طلب الشفعة اذا لم يطلبها مالك الرقبة نفسهُ

المادة الثالثة . لا شفعة في العقار الذي بيع بالمزايدة لعدم امكان القسمة عينًا بين الشركاء لنزع الملكية قهرًا امام جهات الادارة او القضاء وكذلك لا شفعة فيما بيع من الاصول لفروعهم وبالعكس ولا فيما بيع من احد الزوجين للآخر او من المالك لاحد اقاربهِ لغاية الدرجة الثالثة

المادة الرابعة . لا شفعة للوقف

المادة الخامسة . لا يصح الاخذ بالشفعة من الموهوب لهُ ولا ممن تملك بغير المبايعة

المادة السادسة . لا شفعة في ما بيع ليجعل محل عبادة او ليلحق بهِ

المادة السابعة . اذا تعدد الشفعاء يكون الحق في الشفعة اولاً لمالك الرقبة ثانياً للشريك الذي حصتهُ مشاعة ثالثًا لصاحب حق الانتفاع رابعًا للجار المالك

فاذا تعدد مالكو الرقبة او الشركاء او اصحاب حق الانتفاع فاستحقاق كل منهم للشفعة يكون على قدر نصيبهِ واذا تعدد الجيران يقدم منهم من تعود على ملكهِ منفعة من الشفعة اكثر من غيرهِ

المادة الثامنة . يثبت حق الشفعة وتراعى الاحكام المقررة في المادة السابقة في ما يتعلق بالاولوية ولو كان المشتري حائزًا لما يجعلهُ شفيعاً باعتبار ما ذكر في المادة الاولى

المادة التاسعة . العين الجائز اخذها بالشفعة اذا باعها مشتريها قبل تقديم طلب ما بالشفعة

وتسجيلهِ كما هو مذكور في المادة الرابعة عشرة الآتية لا تقام دعوى اخذها بالشفعة الاَّ على المشتري الثاني بالشروط التي اشترى بها

المادة العاشرة . اذا بنى المشتري في العقار المشفوع او غرس فيهِ اشجاراً قبل طلب الاخذ بالشفعة يكون الشفيع ملزماً بناء على رغبة المشتري إما ان يدفع لهُ ما صرفهُ او ما زاد في قيمة العقار بسبب البناء او الغراس

اما اذا حصل البناء او الغراس بعد طلب الاخذ بالشفعة فللشفيع الخيار ان شاء طلب ازالتها وان شاء طلب بقاءها وفي هذه الحالة لا يلزم الاَّ بدفع قيمة الادوات واجرة العمل او مصاريف الغراس اما ما صرف في حفظ العقار وصيانتهِ فيلزم ان يدفع في كل الاحوال للمشتري المشفوع منهُ

المادة الحادية عشرة . اذا بيع العقار لعدة اشخاص مشاعاً بينهم فلا تجوز الشفعة الاَّ فيهِ بتمامهِ اما اذا عينت في العقد حصة كل منهم مفروزة كان للشفيع الحق في اخذهِ بتمامهِ او اخذ حصة واحدة او اكثر مع مراعاة القواعد المقرَّرة لطلب الاخذ بالشفعة

المادة الثانية عشرة . كل رهن من المشتري وكل حق اختصاص حصل عليهِ دائنهُ وكل بيع وكل حق عيني قبلهُ المشتري او اكسبهُ الغير ضدهُ بعد التاريخ الذي سجل فيهِ طلب الشفعة طبقاً للمادة الرابعة عشرة الآتية لا يسري على الشفيع ويبقى مع ذلك لاصحاب الديون الممتازة وللدائنين المرتهنين ما كان لهم من حقوق الاولوية فيما آل للمشفوع منهُ من ثمن ذلك العقار

المادة الثالثة عشرة. يحل الشفيع بالنسبة للبائع محل المشفوع منهُ في كافة ما كان لهُ وعليهِ من الحقوق على ان المشتري اذا احصل على تأجيل الثمن لا ينتفع الشفيع من هذا التأجيل الاَّ برضا البائع

واذا ظهر بعد الاخذ بالشفعة ان العقار المشفوع مستحق للغير فليس للشفيع الرجوع الاَّ على البائع الاصلي

المادة الرابعة عشرة. يجب على من يرغب في الاخذ بالشفعة ان يعلن طلبهُ للبائع والمشتري كتابة على يد محضر ويكون هذا الاعلان مشتملاً على عرض الثمن وتوابعهِ الواجب دفعها قانوناً

ولكي يكون هذا الاعلان حجة على الغير يجب تسجيلهُ في قلم رهونات المحكمة المختلطة التي العقار بدائرتها

واذا كانت الشفعة بين وطنيين يكتفى باجراء هذا التسجيل في قلم كتاب المحكمة الابتدائية الاهلية التي يكون العقار المطلوب اخذهُ بالشفعة في دائرتها وعلى هذه المحكمة ان تبعث بصورة

منهُ الى قلم رهونات المحكمة المختلطة التي يتبعها العقار لكي تسجله من تلقاء نفسها ولا يكون هذا الاعلان حجة على الغير من تبعة الدول الاجنبية الا من تاريخ هذا التسجيل

ونصوص هذه المادة المختصة بتسجيل الطلب وما يترتب عليهِ تسري على تسجيل حكم الشفعة المنصوص عنهُ في المادة الثامنة عشرة الآتي ذكرها

المادة الخامسة عشرة . ترفع دعوى الشفعة على البائع والمشتري امام المحكمة التي يكون العقار في دائرتها في ميعاد ثلاثين يوماً من تاريخ الاعلان المنصوص عنهُ في المادة الرابعة عشرة والا سقط الحق فيها

المادة السادسة عشرة . يحكم في هذه الدعوى دائماً على وجه السرعة

المادة السابعة عشرة . لا تقبل المعارضة في الاحكام الغيابية الصادرة في الشفعة وميعاد استئنافها خمسة عشر يوماً من يوم اعلانها

المادة الثامنة عشرة . الحكم الذي يصدر نهائياً بثبوت الشفعة يعتبر سنداً لملكية الشفيع وعلى المحكمة تسجيله من تلقاء نفسها

المادة التاسعة عشرة . يسقط حق الشفعة في الاحوال الآتية

اولاً . اذا حصل التنازل عنهُ صراحة او ضمناً ويستدل على التنازل الضمني بكل عمل او عقد يؤخذ منهُ ان الشفيع عرف المشتري بصفة مالك للعقار نهائياً

ثانياً . اذا لم يبدِ الشفيع رغبة في الاخذ بالشفعة في مدة خمسة عشر يوماً من وقت علمهِ بالبيع او من وقت تكليفهِ رسمياً بابداء رغبتهِ سواء كان بناء على طلب البائع او بناء على طلب المشتري ويزاد على هذه المدة عند الاقتضاء ميعاد المسافة

المادة العشرون . يجوز اثبات التنازل الضمني عن حق الشفعة والعلم بالبيع بكافة طرق الاثبات المقررة في القانون بما فيها الاثبات بالبينة

المادة الحادية والعشرون . يجب ان يعلن التكليف الرسمي المنصوص عنهُ في الفقرة الثانية من المادة التاسعة عشرة على يد محضر وان يشتمل على البيانات الآتية والا يعد لاغياً

وهذه البيانات هي اولاً بيان العقار المراد اخذهُ بالشفعة بياناً دقيقاً مع تعيين موقعهِ وحدودهِ ومقاسهِ . وثانياً بيان الثمن وشروط البيع واسم البائع والمشتري ولقبهما وصنعتهما ومحل سكنهما

المادة الثانية والعشرون يسقط الحق في الشفعة في سائر الاحوال بعد مضي ستة اشهر من يوم تسجيل عقد البيع وذلك بالنسبة لكافة الشفعاء ولو كان الشفيع غير اهل للتصرف او غائبا

غرائب جديدة للكهربائية

كتب الاستاذ نيقولا تسلا مقالة مسهبة في مجلة القرن الاميركية اتى فيها على وصف ما اكتشفهُ واستنبطهُ بقريحتهِ الوقادة وبحثهِ الطويل مما تزيد بهِ قوة الانسان ويقبض على زمام القوة المتدفقة من الشمس على الارض

ومما وجده هذا العالم المحقق ان المجاري الكهربائية السريعة تجعل نيتروجين الهواء يتحد باكسجينهِ وتكبر بها الشرارة الكهربائية فيصير طولها ستين او سبعين قدماً فتزفر زفير النار المضطرمة وتحرق نيتروجين الهواء في اكسجينهِ . ويصير الهواء موصلاً للكهربائية بعد ان كان غير موصل لها . وهذه الكهربائية على شدتها وعظم فعلها تمر في جسم الانسان من غير ان ينالهُ منها اقل ضرر و يظهر النور الكهربائي في مصابيحهِ من غير اسلاك ولو كانت داخل البيوت والآلة المولدة للكهربائية خارجها

ومما اثبتهُ انهُ يمكن الاكتفاء بسلك واحد عن سلكين او الاكتفاء بالارض والهواء من غير اسلاك معدنية واذا كان المكان الذي فيهِ الآلات الكهربائية عالياً جدًّا عن سطح البحر امكن نقل قوة الوف من الخيل مسافة مئات بل أُلوفٍ من الاميال من غير اسلاك معدنية

وبعد ان بيَّن ان كل القوى الارضية مصدرها قوة الشمس وعدَّد الاساليب التي تستخرج بها قوة الشمس من الوقود والرياح والمياه المنحدرة قال ان اعظم مصدر لهذه القوة الحرارة التي تفيض على الارض كل يوم فانهُ يصل الى الميل المربع من الارض من حرارة الشمس ما يساوي قوة اربعة ملايين حصان فاذا وُجد سبيل لاستخدام اشعة الشمس كان منها قوة من اعظم القوى التي يمكن استخدامها ولكن لا سبيل الى ذلك وكل الطرق التي استعملها الاستاذ تسلا لم تفِ بالغرض

وقد اكتشف حقيقتين مهمتين الاولى ان الكهربائية تتولد من نفسها في سلك ممتد من الارض الى طبقات الجو العليا اما بدوران الارض على محورها او بانتقالها في فلكها حول الشمس. ولا تظهر فيهِ هذه الكهربائية الاَّ اذا رشحت منهُ الى الهواء بوصلهِ من اعلاهُ بسطح واسع فيهِ نتوات كثيرة حادَّة . والثانية ان طبقات الجو العليا مشحونة دائماً بكهربائية مخالفة لكهربائية الارض ولذلك فالارض والجو المحيط بها آلة كهربائية كبيرة فاذا امكن الوصل بينهما على اسلوب تستخدم كهربائيتهما بهِ كان من ذلك قوة لا اعظم منها بين القوى الطبيعية

يوم ماراثون

لحضرة المؤرخ المحقق جرجي افندي يني الطرابلسي

لقد مرّ على الشرق حين من الدهر وهو ممتع بالصولة والسيادة تعتزّ بهِ الدولة اثر الدولة فتنهض بالعزة الشماء والهمة القعساء حتى تدين لها اخواتها وحتى تخفق على ارجاء اسيا الفسيحة اعلامها وتنفذ في ساكنها احكامها. وحسبك ما كان من شأن الدولة الكلدانية والاشورية والبابلية والفارسية فانهن جُمع لهن في مرتع الوجود ادواراً وكان لكلّ منهنّ في زمانها ومكانها منتهى القوّة وغاية المنعة والسيادة حتى كانت تُجبى لهنّ الاموال من اقطار اسيا الشاسعة. فلما انتهى الدور في القرن السادس قبل المسيح الى الدولة الفارسية الثانية التي يسميها العرب الكيانية وقد ورثت عن سابقاتها الفخامة والمجد بدأت ترقى في معارج الفلاح والازدهاء حتى اتسع نطاقها وايّ اتساع واربت سعة فتوحاتها نيفاً وخمسين مرة على منبت اصلتها اريد بها بلاد فارس الاصلية . وكأني بملوك هذه الدولة قد نظروا الى العالم المعروف يومئذٍ فرأوا رايتهم تخفق فوق كثيرٍ من اقطارهِ في اسيا وافريقية فذكروا ان بين الخاضعين لهم اقواماً دانت لهيبتهم الممالك القديمة ورجالاً اشتهرت بسالتهم وعُرف بين الناس مقام شجاعتهم فدبّت خمرة هذا الفوز العظيم برؤوس ملوك الفرس وايقنوا ان ليس لهم كفوءٌ بين ام الارض

وكان على ساحل الاناضول الغربي مدائن عامرة بجاليةٍ من اليونان اقاموا ثمة مستقلين في شؤونهم. الاّ ان ازدهاء مملكة ليديا وتفوق ملكها كروسوس لم يبقِ لها من شأن عظيم فانصاعت بعضها لطاعتهِ والبعض لمالأتهِ حتى اذا نهض قورش رأس الدولة الفارسية واقتحم مملكة مادي وقع من فعلتهِ بما ساء كروسوس لما بينهما من المحالفة والمصاهرة فعزم قورش على خضد شوكة الليديين واراد ان يستعين عليهم بالمدن اليونانية الخاضعة لهم ولو خضوعاً اسمياً لعلمهِ ان كروسوس لا يقعد عن الزحف لتدويخهم فيقع منهُ ومنهم بين نارين. الاّ ان اولئك اليونان لم يحفلوا بدسائس قورش اما لارتغائهم من الليديين او خشية ان يكونوا كالمستجير من الرمضاء بالنار . فكانت فعلتهم قذًى في عيون قورش الظافر بكروسوس وقومهِ حتى اذا قضى من الفتح وطره عنت له كل بلاد ليديا وتوابعها وفي جملتها هاتيك المدن اليونانية. ومع ذلك فانهُ لم يكتفِ بما كان من طاعتها الظاهرة بل اضمر لها الشر ولكنهُ قفل عن سرديس المفتوحة ليثير الحرب في مواطن اخرى بعد اذ عهد بما غنم من الاموال الطائلة الى رجل من الليديين اسمهُ باكتياس ليوصلها الى عاصمتهِ. فما عتم الليديّ هذا ان استأجر بالمال عسكراً من اليونان وعاد بهِ وبمن

التف حوله من الوطنيين الى سرديس ودس لاهليها فنهضوا بالعامل الفارسي طابالوس وغلبوه عليها فحصر قلعتها وطيَّر الخبر الى مولاه فلم يحفل بالثورة كثيرًا بل عقد اللواء لمادي من بطانتهِ يقال لهُ مازارس وبعثهُ ليكح جماح العصاة ومن ناصرهم من اليونان فلما علم باكتياس بالامر خاف المغبَّة ففرَّ هاربًا قبل ان بلغت اليهِ فيالق الفرس فخمدت جذوة الثورة ولكن مازارس اقتصَّ من اهل سرديس ونكل بهم وزحف على المدن اليونانية وهاجمها ففتح بريانة وباع اهليها عبيدًا واراد الحملة منها على اخواتها فعاجلتهُ المنية وعقد لواء جيشهِ لمادي آخر اسمهُ هرباغوس فضرب المدن اليونانية وفتحها الواحدة بعد الاخرى لكنهُ لم يجحف على اهليها بل عاملهم بالرفق اكثر من سلفهِ اذ ارتضى من بعضهم بمغادرة الثغور والإبحار الى الجزائر القريبة ومن غيرهم بالطاعة والجزية والخدمة العسكرية فسرَّ اليونان بشروطهِ وارتضوا لكن قورش لم يرتضِ من المدن اليونانية الاَّ ملتيوس (ملاطية) فانهُ عاملها بلين الرأفة كأنهُ قصد ان يختصها بالنعمة لتبقى على الاخلاص لعرشهِ فتفترق بذلك عن اخواتها اللواتي اثرنَ على استقلالهنَّ الداخلي لا يرغبنَ في الاتحاد ولا يخضعن لسيادة واحدة منهن يجتمعن على امرها في تدبير المصلحة العامة كما اشار بذلك حكيمهم طاليس المشهور الذي رأى بفراستهِ ان الفرس يريدون بمواطنيهِ شرًّا فاراد ان يجمعهم فما انصاعوا لمشورتهِ

وكان قد تخلف عن طاعة الفرس منذ بدء انتصاراتهم في اسيا الصغرى بضعة قبائل ساكنة في الجنوب الغربي وبينهم كثيرون من جالية اليونان فزحف هرباغوس عليهم واجتاح بلادهم فاذعنوا من غير ممانعة تذكر الاَّ القونيون والليقيون فانهم اتحدوا وحاربوا حربًا ترتعد الفرائص لهولها حتى اذا غُلبوا اعتصموا في معاقلهم لكنها لم تغنهم عن بأس الفرس فتيلاً فاضرموا النار في مدينتهم فاحترقت بمن فيها من نسائهم واولادهم وما يملكون ثم اخترطوا السيوف وحملوا على الفرس يريدون ان تُهَب ارواحهم على شفارهم فكان لهم ما ارادوا وتخلد اسمهم بالبسالة النادرة المثال

هذه جذوة الحرب الفارسية اليونانية القاها تماسُّ مصالح الامتين بينهما الاَّ ان الجالية اليونانية في ثغور اسيا وبعض مواضع من داخليتها ليست كل الامة اليونانية ولا هي بيضة ملكها ولكن مواطن شراذم من تلك الامة العظيمة نزلوا بعيدًا عنها ابتغاء التوسع في الرزق والتماسًا للانتشار كما نرى لهذا العهد كثيرين من ابناء الامم المتمدنة يجوبون الامصار لاختيار اطايبها واتخاذها لهم منازل يستدرون منها خيرًا لم يجدوهُ في امكانهم الاولى . ولم يكن عدد اليونان كبيرًا ولا نهضت فيهم لذلك العهد دولة واحدة تجمع شتاتهم بل ظلوا للآماد الطوال

يرحون في استقلالهم الداخلي منقسمين بلداناً وحلفات شأنهم التباعد والتخاصم بل التفاني في ميادين القتال وانما كانت فيهم الفضائل الباهرة من حكمة تضرب بها الامثال وشجاعة قلّ لها المثيل وآداب عزيزة المثال في تلك الايام ووطنية لا يعادلها شيء وذكاء عجيب الى غير ذلك مما دلت عليه آثارهم

ولقد روى ابو التاريخ هيرودوتس بعضاً من الحوادث التي وقعت بين الفرس واليونان في بدء تملك داريوس بن هستاسبس او قبله مما حسبها بعضهم ذريعة للعدوان ولكنها على الارجح اذا صحت ليست مما يدفع الى الحروب اللهمّ الاّ اذا كانت الصدور قد ضاقت بالشحناء والتمست لها منفذاً . اعتبر ذلك بما كان من احتيال اوراوتس عامل الفرس على بوليكراتس اليوناني صاحب جزيرة ساموس وقتله واستعباد رجاله وبينهم الطبيب ذيموسيدس الذي شفى داريوس من صدع رجله فارسله في جملة الجواسيس الى بلاد اليونان وهنالك انقذه اهل كروتونا الى غير ذلك مما لا نظنهُ يستثير الامم الى خوض غمرات القتال

الاّ ان السبب الاقوى هو ان داريوس علم بغنى اليونانية ومجدها فطمحت عينهُ الى خضد شوكتها لان عزتها لم تقع منهُ موقعاً جليلاً لما في مجاورة دولتهِ لها من خفض غلوائهِ لاسيا وان بعض خاضعين لسدتهِ من جالية اليونان في اسيا كانوا يعتزون بابناء ارومتهم ويحسبونهم ملجأً لهم متى اشتدت بهم الازمة ناهيك ما روي من استنجادهم باسبرطة احدى مدنهم المشهورة باستقلالها وبسالتها ايام اراد قورش بهم شرًّا وان اسبرطة اجابتهم واوفدت على الظافر رسلها يحملون بلاغاً لم يرضهِ ولا غروَ فقد كان اليونان على جانب عظيم من العجب والخيلاء حتى انهم يحسبون انفسهم اعلى الناس قدرًا ويسمُّون من سواهم برابرة وكذا كان الفرس يشمخون بانفهم اعتلاء على الناس لاسيا لما انتهت اليهم السيادة واستفحل امرهم في السواد الاعظم من سكان اسيا

ومع ان الفرس لم يخفوا بتداخلة اسبرطة ازدراء بها فان فعلتها القت بذار الشر في نفوس ملوكهم وانها لبداية شؤمى توالت الحوادث على صغار امورها فصارت جساماً. ولقد كانوا ينظرون الى اليونانية بعيون الحسد والضغن يريدونها من جملة التوابع ويقابلهم اليونان بالحرص على بقاء حريتهم والامتعاض ممن يريد بها سوءا. واخلاق الامتين في خلال ذلك تزيد في طين الحوادث بلةً الى ان بعث داريوس وفوداً من قومهِ الى اليونان في اسيا واوربا يطلبون اليهم ان يقدموا له الماء والتراب لانهما علامة الخضوع والطاعة فلقي الوفود قبولاً في كل المستعمرات اليونانية وفي بعض المواطن من امّ البلاد الاّ اثينا واسبرطة فانهما اجابتا الوفد جواباً قبيحاً واهانتاهم

فحنق داريوس لازدراء القوم بهِ مع انهُ يحسبهم احط من ان يخطروا على بالهِ

وكان جيشهُ كثير العدد وقد جمعت فيهِ الرجال من كل انحاء اسيا الخاضعة للصولجان الفارسي فسار تسبقهُ الابهة والمهابة والجلال التي كسبها في الحروب والمغازي السابقة حين دوَّخ الاقطار وما زال يغذ السير حتى نزل في صيف سنة اربعمائة وتسعين قبل المسيح في سهلٍ فسيح قرب البحر في بلاد كليكية يقال لهُ سهل اليا حيثما كانت قد اجتمعت السفن التي هيأها تباع الفرس من الفينيقيين وجالية اليونان في الثغور والجزر وقد اناف عددها على الستمائة عدا عن عددٍ من النقالات التي امر داريوس بطلبها من جالية اليونان وسواهم لنقل خيولهِ ومعداتهِ حتى اذا تمت الاهبة ركب الجيش البحر مزوَّداً باوامر المولى ان يدوخ اليونانية وعلى الاخص جمهورية اثينا وبلدة اريتريا وان يبعث باهاليهما اسارى الى فارس. فمخرت السفن العباب على محاذاة سواحل الاناضول حتى اقتربت من جزيرة ساموس فتجاوزتها وسارت مغربة في بحر ايجه تدوخ الجزائر التي تمرّ بها وكان الناكسيون قد ناوأوا الفرس منذ عشر سنوات فلما حصرهم الاسطول يومئذٍ لم يقوَ عليهم لكنهم لما اقبلت هذه الحملة خافوا واعتصموا بجبالهم فانزل الفرس رجالاً الى مدينتهم فاحرقوها وعاثوا في جوارها ولم ينفكوا عن القوم حتى اذعنوا لنصرتهم بالرجال والسفن. ثم اقلع الاسطول حذاء اوابيا حتى اتى بلدةً صغيرة اسمها كاريستوس فمانعت بعض الشيء ولكن هي الكثرة قد تغلب البسالة . فلما ظفر الفرس بكاريستوس اتجهوا صوب اريتريا فبعث اهلها يستغيثون بحلفائهم الاثينيين فلبام هؤلاء اذ ارسلوا اليهم اربعة آلاف من رجالهم الابطال فبلغوا المدينة وتأهبوا لمحاربة العدو الاَّ ان دار الندوة الاريترية لم يكن سليماً من الخيانة المعيبة لان بعضاً من رجالهِ كانوا حراصاً على ذواتهم وما تملك ايمانهم يحسبون المغنم البارد في تمكين العدو من بلادهم وقومهم ليسلّم لهم شأنهم. الاَّ ان سائر مواطنيهم كانوا ابطالاً يفضلون الموت في ساحة الوغى على التسليم للعدو اللدود ولذلك عزموا على الحرب وعزم الخونة الانذال على الغدر بهم وتمليك وطنهم للفرس واتصل ذلك برجل من عظماء البلدة يقال لهُ اسشنيس فكبر الامر عليهِ ولم يرضَ ان يؤخذ الاثينيون على غرةٍ فاوعز اليهم ان ينجوا من مخالب الخيانة ليقتدروا على الدفاع في وطنهم. فلما سمع الاثينيون ذلك برحوا البلدة تاركين دفاعها لرجالها وجاء العدو فوقف الاريتريون في وجوههم ستة ايام وفي اليوم السابع سلم الخونة المدينة فاسرف الفرس فيها قتلاً ونهباً وحرقاً واخذوا رجالها اسارى واقاموهم في جزيرة تجاور اريتريا اسمها إجيليا حتى يقرنوهم لمن وطدوا العزم على اسرهم من الاثينيين فيؤخذ الاسرى بعد ذلك الى حضرة المولى الفارسي ليفعل فيهم ما يشاء

ولما قضي الفرس لبانتهم من ارتريا اقاموا ثمة بضعة ايام ريثما استراحوا من وعثاء السفر والحرب وساروا نحو بلاد اتيكا وعاصمتها اثينا يحسبون انهم لا يلبثون ان يظفروا بها كما ظفروا بسواها. وكان بينهم هيبياس بن بستراتوس حاكم اثينا المطرود فدلهم على سهل ماراثون وهو على اثنين وعشرين ميلاً عن اثينا وموقعهُ قرب خليج باسمهِ وذلك في الساحل الشمالي الشرقي من اتيكا . اما شكلهُ فهلالي ويبلغ طولهُ ستة اميال وعرضهُ في وسطهِ نحو ميلين ولكنهُ يضيق في الطرفين تدريجاً حتى تقترب الجبال من البحر . وفي وسط السهل وادٍ عميق يجري فيهِ سيل ماء وعلى جانبيهِ اشجار غيباء ونجوم نبات زكي الرائحة يعطر تلك الارجاء وكان الى جانبي السهل ارض سبخة تغمرها المياه في الخريف والشتاء وتجف عنها في الربيع والصيف — هنالك بين السبختين خيم الفارسي بخيلهِ ورجلهِ وامامهُ في البحر رست السفن والنقالات تمدهُ بالذخائر والمؤن

وكانت عدة الجيش الفارسي مئتي الف وقيل مئة الف من الفرسان والرجالة واما عدد الاثينيين فقليل لا يكاد يبلغ العشرة آلاف من المقاتلة الا ان عدة هؤلاء ان يصطحب الجندي خادماً او نصيراً من عبدانهِ او من الوطنيين الفقراء الذين لم يكونوا على سعةٍ من العيش تمكنهم من تعلم فنون الحرب او من ابتياع العدة اللازمة للقتال

اما سلاح الفرس فكان حساماً قصيرًا مستقيماً اشبه شيء بمدى يضعونهُ في الغمد و يعلقونهُ بالمنطقة الى الامام ثم يعتقلون رمحاً قصيرًا ايضاً لا يتجاوز طولهُ ست اقدام ولكنهُ حديد السنان وكانت قسيهم كبيرة الحجم متينة تعلق على الكتف الايسر واطرافها عكفاء اما سهامها فمن القصب الا ان نصالها من الصفر او من الحديد يضعونها في جعاب تعلق في الكتف الايسر ايضاً وتدلى الى الوراء . ومن سلاحهم ايضاً الفأس والمقلاع والمدى والحربة على قلةٍ وكانوا لا يدّرعون بل يتقون الضربات بمجانٍ من القصب. اما اليونان فقد كان سلاحهم السيف القصير ولكن رمحهم كان طويلاً يبلغ عشر اقدام او اثنتي عشرة قدماً وكانوا يتقون الضربات بالمجان ويلبسون الخوذ والدروع

ولما علم الاثينيون بنزول الفرس في ماراثون اسرعوا الكرة من مدينتهم اليها ونزلوا في الجبال المحيطة بالسهل في موضع كانوا يعتبرونهُ مقدساً لهرقل البطل المتأله وكانوا قد بعثوا يستنجدون باسبرطة و يطلبون اليها ان تدعم يد المعونة للذود عن الوطن ودفع العدو الخارجي الذي جاءهم يريد بهم سوءا. فاجابتهم الى ذلك الا انها اعتذرت اليهم عن المسارعة في نصرتهم على العدو لان الاستغاثة بهم وصلتهم في اليوم التاسع من الشهر القمري وان من

سننهم المتبعة وعقيدتهم التي لا يحولون عنها ان لا يسيروا في زحف الاَّ بعد ان يصير القمر بدراً ولذلك باشروا الاهبة ليسيروا الى القتال متى حان الوقت. فتلقى الاثينيون هذا الوعد بلء الارتفاء ولئن وجدوا من انفسهم انفراداً في الذود عن الوطن تلقاء جيوش جرارة تسير مهابتها في طليعتها

وكانت عشائر الاثينيين عشراً ومن عادتهم ان يزحفوا للحرب وعلى كل عشيرة قائد يختارونهُ كل سنة ومتى قصدوا حرباً يجتمعون للمذاكرة فيهِ مشاركين زعيماً من كبراء حكومتهم منصبهُ كوزارة الحرب لهذا العهد. فلما نزلت العشرة الآلاف من الاثينيين على جبال ماراثون رأوا السهل يموج بالجيوش من فرسان ورجالة وابصروا الاهبة الفارسية بأكمل مظاهرها وعلموا ان قد دنت الساعة التي بها يدافعون جيشاً اعتاد خوض الحروب وخرج من جميعها ظافراً غانماً حتى اصبح الاسم الفارسي رهباً ورعباً لليونان

وكان في اليونانية بلدة غير ذات جسامة اسمها بلاتيا واقعة في قطر بلاتيا على مقربة من ثابس المشهورة بحولها وطولها فناوأتها هذه الجارة القادرة بحيث كادت بلاتيا تعجز عنها فاستغاثت باثينا فاغاثتها وانقذت لها استقلالها من مخالب الاسد. فحفظ البلاتيون لاثينا هذه الصنيعة حتى دُهمت ببلاء الفرس فحشدوا الفاً من الابطال المدربين على القتال وارسلوهم الى ساحة الوغى فبلغوا ماراثون لنجدة مصطنعيهم من غير ان يستنجدوهم فوقع ذلك من الاثينيين موقعاً جليلاً لاسيما لانهم جاؤوا لنصرتهم من دون سائر اليونان مع ان الفرس كانوا يتوعدون استقلالهم جميع وشعروا ان لهم نصراء يستميتون مثلهم في التماس الحرية والذود عن الذمار

ولسنا على بينة من اسماء القادة العشرة الذين كان معقوداً لهم على الاثينيين في تلك الحرب وانما نعرف ملتيادس المشهور وارستيذس وثيموستكلس اللذين ذاع صيتهما بالبسالة وكان لهما القدح المعلّى في شؤون وطنهما بعد تلك الاونة وكذلك القائد ستاسيلاوس ابن تراسيلاس

ولما عقد القادة مجلسهم دارت المذاكرة بينهم في اضرام جذوة الحرب فرأى بعضهم ان لا قبَل لهم بمقاتلة ابطال الفرس الذين اعتادوا خوض الغمرات وقد خرجوا من جميعها ظافرين حتى حسبوا اقوى من ان يغلبوا. ورأى الآخرون ان يقابلوا العدو من غير مهل وكان ملتيادس من جملة القادة الخمسة الذين ارتأوا الاسراع في الحملة على العدو غير متهيب عددهم وعددهم لما كان يعلم من تفوّق اليونان في البسالة والدربة وان باب الظفر مفتوح لقومهِ اذا لم يعوزهم حسن القيادة. وكان واثقاً بنفسهِ ورجالهِ وبحسن موقع جيشهِ ويخشى ان يصبر للاسبرطيين فيعمل

الخونة في اثينا ما عمل امثالهم في اريتريا. فلما انقسمت آراء القادة العشرة ولم يبقَ الا رأي وزير الحرب خاطبهُ ملتيادس قائلاً : اي كليماكوس لقد وقع الامر اليك فاما انك تستعبد اثينا او اذا شئت ان توثق عرى حريتها تخلد لك شهرةً دائمة لم ينل مثلها هرموذيوس واريستوجيتون لانهُ لم يأتِ على الاثينيين منذ صاروا شعباً حينٌ من الدهر وقعوا فيهِ بمثل هذا الخطر فاذا احنوا ركبهم لهؤلاء الفرس يتم بهم على هيبياس وانك لتعلم ماذا يحلُّ بهم عندئذ ولكن اذا انتصرت اثينا في هذه الحرب فانها ستصبح الاولى بين المدائن اليونانية فرأيك اذن قاطعٌ لاعدال الامر بين ان نحارب او لا لاننا اذا لم نباشر القتال سريعاً فربَّ جماعة من الانذال يدسون للاثينيين سم الشقاق وتسلم المدينة للعدو ولكننا اذا شمرنا للحرب قبل ان تظهر خفايا الخبائث في اثينا فاني واثق بالظفر ما لم تكن الالهة متحيزةً علينا. انتهى بتصرف . فلما سمع كليماكوس هذا الكلام مال الى رأي ملتيادس فوافقهُ المجلس على ذلك وسر القادة بحماسة الشجاع وارادوا ان يسلموهُ حظهم من الامارة العامة ذلك لانهُ كان من سنتهم ان يتناوب القادةُ العشرة الامارةَ العامة يوماً فيوماً فابى ملتيادس ان يتولاها في غير يومهِ لئلا يستثير حسد رفاقهِ وصبر حتى جاءت نوبتهُ. على ان الغريب تقاعد الفرس عن النزال فكأنهم انصاعوا لمشورة هيبياس الخائن الذي اتخذ عدو وطنهِ ذريعةً لنيل عرشهِ المسلوب وسعى في اغراء قومهِ على الخيانة ليسلموا المدينة من غير قتال

ولما جاءت نوبة ملتيادس في الامارة العامة كان ذلك في يوم من شهر سبتمبر (ايلول) سنة ٤٩٠ ق.م فنظم الجيش على ان يكون كليماكوس قائداً للميمنة ولا خفاء ان لوزير الحرب في كل المواقع الاثينية ان يتولى قيادة الميمنة وبقي ثيموستوكلس واريستيدس في القلب وسائر القادة في المواقف الاخرى. اما الحلفاء البلاتيون ففي الميسرة القصوى وكان كل هذا الجيش من ذوي الاسلحة الثقيلة لان الاثينيين لم يكونوا حتى يومئذٍ يستخدمون ذوي الاسلحة الخفيفة في المواقع الدامية الاّ عبدانهم فانهم لم يكونوا يحسبون من المقاتلة وقد يبعثون مع مماثليهم من المسلحين قليلاً للمناوشات ومطاردة العدو اذا ادبر

ولما اكتمل الانتظام بعد ظهر ذلك النهار شرع القادة يخاطبون عسكرهم بما يزيدهم حماسة ويستثير كوامن شجاعتهم وهم في خلال ذلك يذكرونهم بمواضع جمة من مواقفهم فيها الذكرى لايام مضت كبسالة بطلهم المتأله هرقل المخصص موضعهم لذكرهِ ناهيك بالينبوع الذي في جوارهِ فانهُ ينسب الى احدى النساء الباسلات المسماة مكاريا التي يحكون انها بموتها فدت حرية قومها واشاروا الى السهل الذي عزموا على الاقتتال فيهِ انهُ كان الساحة التي استبسل فيها

بطلهم الوطني ثاسيوس وفيهِ اتحد اجدادهم والمراكليدة فغلبوا اوريساثيوس الذي اجتاح بلادهم. وبمثل هذه الذكرى تعلو النفوس ويغلو مرجل الحماسة حتى يستحب الموت فدى الوطن. واذ كان الاثينيون يعتقدون بصحة هاتيك الوقائع وان ابطالهم المذكورين عملوا في ذلك الموضع تلك الاعمال المجيدة ثم اذ اصبحوا على ما كانوا يزعمون بين القوات العلوية فانهم ينظرون الى اوطانهم بملء المسرة والارتياح فيسعون لدى الارباب العظام وينالون للمخلصين في خدمة الوطن نصرًا عزيزًا وظفرًا اكيدًا

وكان من عادة الاثينيين انهم اذا برزوا للقتال ألفوا مربعاً كثيف الجوانب تصونهُ المجان اذا تدانت واشتبكت يقال لهُ عندهم فالانكس ثم ساروا الى اللقاء بقدم راسخ متمهل الاَّ ان ملتيادس رأى ان يغير الخطة المألوفة تغييرًا كليًّا فجعل مصاف عسكرهِ طويلاً على مدى كل الموقف الذي يحسن النزال فيهِ خشية ان يؤخذ جيشهُ من على جانبيهِ بحركات فرسان العدو الاَّ ان قلة عسكرهِ وامتداد مصافهِ جعل الخط ضعيفاً على مداهُ فقوى الجناحين بشرادم من القلب لان موضع القلب يمكنهُ من الاستنصار اذا ضعف باحد الجناحين فتكون العمدة عليهما وتلك خطة لم يألفها القوم من قبل ولكن ايپنتنداس اخذها عن ملتيادس بعد نحو مئة سنة من زمنهِ

ولما قرع الطبل وتغنى المنشدون بانشودة الحرب اندفع الاثينيون خفافاً سراعاً ينحدرون من على الجبال كأنهم السيل اذا انحدر على غير عادتهم ثم شرعوا يركضون ركضاً ولا خوف عليهم ان يصلوا الى موضع المصاف وهم منهوكون اعياءً وتعباً لانهم مدربون على السير ركضاً وانما امرهم ملتيادس بذلك لئلاَّ يراهم الفرس فيستعد فوارسهم للقائهم قبل ان يجاوزوا الحضيض البعيد نحوًا من ميلٍ عن موقف العدو ولكي اذا دنوا منهم لا يستحكم رماة الفرس بضرب السهام عليهم ريثما تتألب فيالقهم وتصافهم

فلما ان موقف الاثينيين كان قنة الجبل فهم لذلك لم يكونوا على مرأًى من الفرس بحيث خفيت عن هؤلاء حركاتهم بخلاف حركات الفرس فانها كانت ظاهرة لاعدائهم فلما برز اليونان من مواقفهم وشرعوا ينزلون من الجبل ركضاً هزأ الفرس بهم لقلة عديدهم وخلو جندهم من الفرسان والرماة ولانهم يركضون كالمجانين واستهانوا بهم وحسبوا انهم آخذوهم على شفار الصفاح واسنة الرماح وبدأوا يرتبون صفهم جهد الطاقة على ما فسح لهم المكان والزمان فترتبت المشاة وفيهم من الفرس كل بطل مغوار اعتاد خوض المنايا والخروج منها غانماً ظافرًا اما الفرسان فاعوزهم الوقت لتمام الاهبة

ووقف المشاة يتوقعون حملة اليونان فما عتموا ان جاؤوهم بقلوب لا تهاب الموت وقد شرعوا الاسنة وحملوا حملة الاسود الكاسرة فالتقاهم الفرس بثبات وعزيمة تقلقلان الجبال الاَّ ان مجانهم لم تكن متينة لتقيهم من طعنات اعدائهم ولا كانت رماحهم طويلة لتبلغ من اليونان ما بلغت رماح اليونان منهم فقتل من الفرس كثيرون بل ربما ذهب الصف الاول منذ الصدمة الاولى ولكنَّ ذلك لم يبلبل الفرس بالاً ولا شغل خاطراً لان بعضاً منهم اظهروا منتهى البسالة والاقدام ناهيك ان كثرتهم كانت كافية لسد العوز حتى كلما مات منهم محارب برز الى الساحة محاربون وكان في قلب جيشهم الكثيف رجال الفرس الوطنيين وناهيك ببسالة من يقاتل عن امته وسيادتها فان هؤلاء ابلوا في ذلك اليوم البلاء الحسن يخدمهم فيه جيش الساكة ولم يكن امامهم من اليونان عدد كافٍ يشد به الازر فغلبت هنالك الشراذم التي كان على امرتها اريستيدس وثيموستكلس وارتدت على الاعقاب امام الفرس فلحق هؤلاء بهم في عرض السهل والى اعالي الوادي وما وراءه من داخلية البلاد حيث حزون التي اغتنم اليونان فرصة سنحت لهم من تلكؤ الفرس عن سرعة مطاردتهم فيها فتأبوا وعادوا ثمة تجديد القتال وكان الجناحان اليونانيان قد كسرا الفرس من صوبهما وارجعاهم القهقرى فلم يرَ ملتيادس ومن تحت امرته من قادة الاثينيين والبلاتيين ان يطاردوا المنهزمين بل ضموا جيوشهم معاً وسار ملتيادس بهم لمقاتلة قلب الجيش الفارسي وهو يقاتل اليونان المرتدين من امامه فلما رأى الفرس حملة ملتيادس عليهم اسقطوا في ايديهم لانهم لم يتنظروا منهم مثل ذلك ونكفئوا عن قتال ثيموستكلس وارستيديس مقبلة لا تبين عليهم فتشدد هذان القائدان وعادت حمية عسكرهما فاطبق كل اليونان على فيلقي الفرس والساكة فجاهد هؤلاء جهاد الابطال ولكنهم لم يقووا على الثبات طويلاً ولاسيما لان الليل كان وشيكاً وان صف اليونان كان محكماً مستتراً بالمجان والرماح شرَّع نحو صدور الاعداء فهم لا يستطيعون ان يدنوا من حملتها ليخترقوا صفوفهم قبل ان تخترق تلك الرماح صدورهم وتخطف ارواحهم ناهيك انهم لوقت ما برح قبل الغروب قد وقفوا بين مصافهم واليونان فاستهدفوا لسهام الرماة الذين ارادوا العدو فاصابوا الفرس. كل هذا والحرب لم تزل محتدمة مع ان اليونان تعبوا كثيراً ولكنهم رأوا فتكهم بالفرس ذريعاً وان نصرهم صار وشيكاً فزادوا حماسة واقداماً كلما زاد عدوهم وهناً وتمنى الفرس لو يدنون من مربع الاعداء ويعملون فيهم الخناجر والمدى اذن لاذاقوهم نكالاً

وفي آخر الامر شعر الفرس بضعفهم وانهم اذا دهمهم الليل زادهم بلاء فداروا ظهورهم للاعداء وولوا هاربين لا يلوون على شيء ولحق اليونان بهم على الاثر يضربون في اقفيتهم حتى

عمت الهزيمة وكبرت رزيئة الفرس ولم ينجهم من الموت الاَّ الفرار نحو البحر فبلغوهُ وركبوا سفنهم وولوا الإدبار الاَّ ان اليونان كانوا قد سكروا من خمرة الظفر فاندفعوا الى السفن الراسية قرب الشاطئ وقبضوا على بعض منها ودوت الارجاء باصوات القائلين منهم هلمَّ بالنار هلمَّ بالنار فدافع ثمة الفرس دفاع المستميتين ورأوا النجاة في صبرهم على المكاره حتى قتلوا من اليونان معظم من قُتل في ذلك اليوم وفيهم القائد الباسل كاليماكوس وزير الحرب وكذلك ستاسيلاوس وفاز الفرس بالنجاة من مخالب الاسد اليوناني بعد ان اسر سبعة من سفنهم

ولما اقلعت السفن من مياه ماراثون خطر لدارتس امير الفرس ان يجري على محاذاة ساحل اتيكا الغربي حتى يصل اثينا فيجدها خالية من حاميتها فينال اربهُ منها بسعي الذين فيها من انصار هيبياس الاَّ ان ملتيادس رأى ذلك فاعمل على احباط سعيهِ ولو كلف عسكرهُ ما لا يُطاق من التعب فعهد لاريستيذس ان يقوم بفرقتهِ على حراسة ساحة ماراثون وما فيها من القتلى والجرحى والسلَب وزحف في ذلك الليل بسائر الجيش الظافر زحفاً سريعاً حتى بلغ اثينا اما سفن الفرس فانها دارت حول رأس سونيوم ومخرت صوب الميناء في صباح اليوم التالي فرفع اميرها نظرهُ ورأى الظافرين بهِ في مساء الامس صفاً كالبنيان المرصوص فعلم ان امالهُ قد خابت ومساعيهُ حبطت لان المستعدين للقائهِ ذوداً عن بلدتهم هم الذين اذاقوا عسكرهُ كؤوس نوبال وقد تركوا خوفهم مؤثراً في قلوب ابطالهِ ناهيك انهم لظافرون والظافر يزداد بسالةً واقداماً كما ازداد تذكاراً لنصرهِ رأى وعلم فاضرب امر مولاهُ داريوس ظهرياً وقال في نفسهِ (الهرب ثلثا المراجلة) فامر بسفنهِ فاقلعت راجعةً الى اسيا تاركةً اوربا وشأنها

قلنا ان الاسبرطيين وعدوا الاثينيين بالنجدة بعد تمام القمر فلما بدر وقضوا لبانة سنتهم الدينية زحف منهم الفان من الرماحة الابطال الى ماراثون وهي تبعد عنهم مئة وخمسين ميلاً اجتازوها في ثلاثة ايام فوصلوا الموقف وقد وضعت الحرب اوزارها وسار معظم الاثينيين للذود عن بلدتهم ووجد الاسبرطيون ساحة الوغى ملآى باشلاء الفرس وتبّعهم فاعظموا الامر واكبروهُ ثم اثنوا الثناء المستطاب على بسالة الاثينيين وابلائهم بالعدو البلاء الحسن وعادوا الى قومهم يحدثونهم بما كان من الظفر وغرائب البسالة الاثينية

وكانت عدة قتلى الفرس وتباعهم ستة الاف واربعمائة اما الاثينيون فلم يُقتل منهم الاَّ مئة واثنان وتسعون رجلاً ولم يذكر عدد من قتل من البلاتيين الاَّ ان بعضاً من المحققين لا يحسبون خسارتهم فادحةً لان موقفهم كان منيعاً بحيث قلَّ ان تطالهُ رماح العدو

ولا خفاء انهُ كان من عادة الاثينيين ان يحملوا اشلاء قتلى حروبهم الى اثينا ويدفنوهم

بالتعظيم في مدفن ابطالهم الواقع في ضاحية اثينا في موضع يقال له سيراميكوس الا انهم ارادوا في هذه المرة ان يميزوا قتلى ماراثون عن سائر من سبقهم من الابطال ليفهموا الابناء وطنهم تفوّق هؤلاء المدافعين عن ذمارهم فاحتفروا لهم في ساحة ماراثون ضريحاً كبيراً دفنوهم فيه وجعلوا فوقهم رجمة من الحجارة واقاموا حولها عشرة من الاعمدة لكل من عشائر اثينا وحده كتبوا عليه اسماء قتلى تلك العشيرة في ذلك اليوم المجيد . ومما يؤخذ عن بوزنياس الذي سافر بعد ستمئة سنة من هذه المعركة ان تلك الاعمدة ظلت قائمة في مواضعها حتى زمنه. وجعلوا لقتلى البلاتيين ضريحاً اخر واقاموا عليه رجمة اخرى وكذلك احتفروا ضريحاً مخصوصاً لعبيد الاثينيين الذين كانت شكتهم خفيفة وقتلوا في ساحة الحرب

هذا ما روى المؤرخون عن يوم ماراثون محسوب منتهى مجد الاثينيين وغاية فخارهم على ان الباحث العصري مطالب بكشف النقاب عن الاسباب التي كانت هام الاثيني بعد الانتصار واذاقت الفارسي صاب الهزيمة وليس ذلك بعسير على من يمعن نظره في التاريخ اذ يرى اولاً ان الدولة الفارسية كانت طامحة الى الفتوح راغبة في مزيد قدرتها بخضد شوكة من تستطيع اليه وصولاً من الامم فكان جندها يحرزون النصر اينما ساروا لتفوقهم على من يحاربون عدداً وعدداً ولكنهم لما لاقوا اليونان قاتلوهم فوجدوهم اسوداً في اللقاء لا يشابهون احداً من محاربيهم السابقين . ثانياً لم يكن كل جيش الفارسي على كثرته من اهل عصبية الدولة بل ان معظم تلك الالوف المؤلفة كان من اتباع الذين حاربوا مأمورين لا تدفعهم الحمية ولا تنهضهم الواجبات الا فئة الفرس الذين كانوا في القلب وهؤلاء في بدء الامر بعض الشيء وشتان بينهم وبين الاثينيين الذين حاربوا لينقذوا انفسهم وعيالهم من الاسر والهوان ولكي يذودوا عن اوطانهم وما ملكت ايمانهم غائلة السلب والنهب والحريق مما كان مباحاً للظافر في تلك الايام . ثالثاً كان الجيش الفارسي اذا ارتد يرى وراءه السفن لتعود به الى اوطانه يرى فيها عياله آمنين ويتمتع منها بخيره مخلصاً من مشاق حرب انكشف بها نكبته بخلاف الاثيني فانه كان عارفاً ان انكساره بليته لا يطاق من الاسر والنكال وهو لا يسلم من عذاب الهون الا ليبتلى بالجلاء عن وطنه على ما يحسب له مخبوءاً في فكرة القدر . رابعاً كان الاثيني مولعاً بالحرية متمتعاً من جرائها بنعيم الحضارة يرى كل شيء في وطنه نفيسة غالياً يفتدى بالارواح بخلاف اتباع الفرس فانهم كانوا مكرهين على الطاعة وليس لهم شيء من حرية الارادة وشتان بين الفريقين . خامساً كانت رماح الفرس قصيرة لا تصل الى اليونان وان وصلت تلقاها هؤلاء بالدروع والمجان المتينة التي ترد الطعنات خائبة بخلاف رماح اليونان

فانها كانت تصل الى مقاتل الفرس ولا تردها عنها مجانهم لانها مخيفة تخترقها الطعنات النجلاء . سادساً ان تدريب اليوناني على القتال منذ اشتداد ساعدهِ امر لم يألفهُ كثيرون من تباع الفرس . سابعاً كان الفرس في موقف لا يستطيعون منهُ ان يستطلعوا حال اليونان بخلاف هؤلاء فانهم كانوا على علم بحركات اعدائهم وسكناتهم . ثامناً ان كثافة جيش الفرس كانت احدى البلايا بخلاف قلة اليونان وسرعة حركاتهم فانها مكنت قادتهم من ترتيبهم على ما احبوا

ولقد أدهش الناس لاضراب المؤرخين الاول عن ذكر خيل الفرس في هذه الموقعة مع انها ذكرت قبل التلاحم. اعتبر ذلك بما ورد من ان هيبيا س الخائن اختار سهل ماراثون واشار بهِ لان مسرح الفوارس فيهِ فسيح ولكن ملتيادس رد كيدهم في نحورهم اذ جعل رجالتهُ صفاً من الجهة الواحدة الى الاخرى فلم يبقَ من مجالٍ للخيل لانها لا تقوى على مهاجمة الرجالة اذا كانوا صفاً لا تبرز عن مساواتهِ الا الاسل وكفى بها مانعاً

ولقد عظَّم الكتبة شأن هذه الواقعة الهائلة ليس لانها قطعت عدال الحرب بين الفرس واليونان بل لانها اوقفت تيار الفرس عن اقتحام اليونانية ومحق استقلالها ومعالم مجدها ومحو تمدنها المحسوب جرثومةً للتمدن الحالي. نعم ان الفرس لم يستسلموا للانكسار ولم يقعدوا عن طلب الثأر ولكنهم علموا والعالم اجمع ان المنعة والعصمة لا تخلدان لقومٍ وان المجد والسؤدد يقومان في غير عصبتهم ايضاً وان ما ارادوه من اخضاع اليونان لهم ليس بالامر اليسير وكفى بالدهر مؤدباً

تمثال هكسلي

العلم مطلوب لذاتهِ ولا يخطر على بال عالم يبحث في نواميس الطبيعة ويصل الليل بالنهار درساً وتنقيباً انهُ يفعل ذلك لكي يُقام لهُ تمثال او يُرفع لهُ نصب. ولكن اذا رأى ابناؤُنا تماثيل العلماء والفضلاء قائمة بازاء تماثيل الملوك والعظماء زادوا رغبةً في العلم وتطلُّباً للفضائل ولذلك ترى البلدان الراقية مراقي الفلاح تكرم علماءها بعد مماتهم كما تكرم وزراءها وتقدر المرء بما تنفع بهِ بلادهُ وابقى فيها من المآثر واما البلدان التي قضي عليها بالانحطاط فلا يشاد فيها تذكار الا لمن عاش عيشة الكسل وعلَّم الناس التوكل والخمول وهذا من جملة الفروق بيننا وبين غيرنا من الاوربيين

يعلم قرَّاء المقتطف مقام هكسلي بين رجال العلم فانهُ العالم الطبيعي الذي نصر مذهب داروين بقلمهِ ولسانهِ ووسَّع علم التشريح والبيولوجيا وبحث وحقَّق في مواضيع كثيرة علمية وادبية

وكان خدمة الدين يكفرونهُ في حياتهِ لكن فضلاءهم كانوا يجلُّون قدرهُ ويعترفون لهُ بالعلم الواسع والبلاغة النادرة والآداب الرائعة وسلامة النية وحسن الطوية . ولما توفي اجمعوا كلهم على مدحهِ. ثم اهتمَّ عظماء الانكليز وعلماؤهم وفضلاؤهم باقامة تمثال لهُ في متحف التاريخ الطبيعي واحتفلوا في الثامن والعشرين من شهر ابريل الماضي بكشف الستار عن هذا التمثال امام ثمانمئة من نخبة الامة الانكليزية. وافتتح الاحتفال الاستاذ راي لنكستر بخطابة وجيزة اتى فيها على ذكر الاعمال التي عُملت لاقامة التمثال والاكتتاب بالمال لنفقاتهِ وقال "ان السر جوزف هوكر صديق هكسلي الحبر الذي بقي وحدهُ من اولئك العلماء الاعلام الذين كان منهم ليل وأوِن وداروِن وبهم استعزَّ العلم الطبيعي في عصر الملكة فكتوريا يتقدم ليسلم التمثال الى امناء المتحف البريطاني وانت ايها الامير (مخاطباً برنس اوف ولس) نائب هؤلاء الامناء قد رضيت ان تستلم هذا التمثال باسمهم وهو دليل على اعجاب الناس في هذه البلاد وفي كل البلدان المتمدنة بالرجل الذي يعدُّ من اعظم رجال العصر كمكتشف ومعلم وكاتب ورجل "

ثم تقدم السر جوزف هوكر وقال

مولاي لقد انتدبني الذين اكتتبوا لانشاء تمثال صديقي المرحوم الاستاذ هكسلي لكي اقدمهُ الى سموكم بالنيابة عن امناء المتحف البريطاني على ان يبقى في هذا البهو مع تماثيل العلماء المشاهير الذين سبقوهُ وهم السر جوزف بنكس والمستر داروِن والسر رتشرد أوِن. وفضول مني ان ابين حقَّ هكسلي في ان يُنصب تمثالهُ بين تماثيل هؤلاء الاعلام ولو كنتُ قادراً على ذلك فكيف وانا غير قادر ثم عدَّد الاعمال التي شارك فيها هكسلي هؤلاء العلماء . وتلاهُ السر ميخائيل فوستر فقال مخاطباً برنس اوف ولس . " اني ارى من الواجب عليَّ ان ازيد بعض كلماتٍ على ما قالهُ شيخ علماء البيولوجيا السر جوزف هوكر الذي ولد قبل هكسلي وحالفهُ على مناصرتهِ فوقف الى جانبهِ يحاربان في سبيل العلم ولذلك لم يشأ ان يذكر كل الاعمال المجيدة التي عملها هكسلي لانهُ كان مشاركاً لهُ فيها . اما نحن اولاد هكسلي في العلم الذين نعلم ان كل ما نستطيع فعلهُ مكتسب منهُ فلا يليق بنا السكوت في هذا الموقف العظيم

فقد ظن بعضنا احياناً ان هكسلي اعطى الجمهور كثيراً مما كان يجب ان يوقفهُ على العلم وحدهُ ولكن اذا كان العلم قد خسر بسبب ذلك فالعالم كلهُ قد كسب بل كسب العلم نفسهُ ايضاً لانهُ عرف من ذلك ان نفعهُ غير خاصٍ بهِ بل عام ومرتبط بمصالح الناس اجمع

وكثيرون يحسبون الرجل الذي اجتمعنا الآن لتذكارهِ مفسّراً لآراء رجل آخر عظيم نرى تمثالهُ قائماً هنا ينظر الينا وسموكم تتذكرون الآن انكم كشفتم الستار عن ذلك التمثال تمثال

داروين منذ خمس عشرة سنة وقد تذكرون ايضاً الكلمات البليغة التي فاه بها حينئذٍ صاحب التمثال الآخر الذي اجتمعنا لرفع الستار عنهُ . ثم ان هكسلي قد حارب لاجل داروين ولكن يحارب دائماً ولكنهُ لم يحارب ليغلّب داروين على غيره بل حارب لاجل العلم حارب لكي تمتحن آراء داروين بنور الحق غير ممزوج بالتعصب ولا بالغرض ولم يكن يحسب تلك الآراء معصومة عن الخطإ ولكنهُ لم يحسبها ايضاً حرية بالرفض والازدراء كأنها ثابتة البطلان

وقد اشتغل هكسلي لغيره على غير الاساليب العلمية ولولا معرفتنا ذلك لكنا غضضنا فتصر على البحث العلمي لكثرة ما اتسع علم البيولوجيا على يده فانهُ ترك آثارهُ في كل مبحث منهُ هدى للذين يأتون بعدهُ . والحقائق التي زاد بها العلم مذكورة في كتبهِ لكن ذلك جزء مما خدم به العلم . فانهُ ما من احد قدمهُ لفائدة وارشاد ومفيد خاب ونحن كلنا من مشرحين وزوولوجيين وجيولوجيين وفزيولوجيين ونباتيين واثنولوجيين كنا نأتي اليهِ ونستقي من موردهِ العذب . وكل بيولوجي هذا العصر في هذه البلاد وفي سائر البلدان تذكر لهذا الرجل العظيم وهم يفتخرون بكشف الستار عن تمثالهِ"

ثم تكلم دوق ديفنشير كرئيس اللجنة التي تمت بهمة هذا التمثال لهكسلي وطلب من البرنس اوف ويلس ان يقبلهُ في المتحف البريطاني فاجاب البرنس قائلاً

" ايها السادة والسيدات اني حسبت فخراً عظيماً ان تنتدبني لجنة هذا التذكار لارفع الستار عنهُ واقبلهُ في المتحف البريطاني بالنيابة عن امنائهِ الذين لي الشرف ان اكون عضواً منهم . ولم انسَ اني قمت بمثل هذا منذ خمس عشرة سنة حينما رفعت الستار عن تمثال تشارلس داروين الشهير . ولقد سمعنا اليوم خطباً في منتهى البلاغة وكلها ثناء عن هذا العالم العظيم والفيلسوف الكبير الاستاذ هكسلي . ويصعب عليَّ بل غرور ان اطنب في مدحهِ في حضرة هذا العدد العديد من رجال العلم الذين يعرفون عن اشغاله اكثر مما اعرف لكنني اصادق على كل كلمة فاه بها هؤلاء العلماء واؤكد لكم انني عاجز عن بيان شعوري من السرور بانتدابكم اياي مرة ثانية لقبول تمثال رجل آخر من عظماء رجال العلم المشهورين"

هذا ومما توقي الطبيب الذكر المرحوم عن بيننا صار علينا ان نكتتب تلامذتهُ ومريدوهُ بمال يقام بهِ تذكار خالد بارائهِ بين اهل هذا العصر فيتذكرون الرجل الذي خدم المعارف سنين كثيرة . فجمع المال المطلوب ولكن اختلفت الآراء في التذكار الذي يقام بهِ واخيراً قرّ القرار على اعطاء ريعهِ جوائز لبعض المشتغلين بالعلم . وهذا من احسن ولكن التذكار المشاهد بالعين اوقع في النفوس واوفى بالغرض المطلوب

تاريخ البطالسة

بطليموس سوتر (المنقذ)

لما فتح الاسكندر الديار المصرية على ما تقدم في الفصول السابقة من تاريخهِ كان في جيشهِ ضابط مكدوني اسمهُ بطليموس بن لاغوس ولا يبعد ان تكون صورة بلاد مصر وثروتها ارتسمتا في ذهنهِ وحببتا اليهِ العودة اليها حتى اذا عظم شأنهُ عند مولاهُ وصار من قوادهِ المعدودين واؤتمن معهم على ادارة مملكتهِ بعد وفاتهِ اسرع الكرة الى مصر ليستأثر بها

وكان الاسكندر قد ولَّى على مصر رجلاً اسمهُ كليومانس فشدَّد النكير على الاغنياء وابتزَّ منهم الاموال لكنهُ كان يبعث اليهِ بالجزية كاملة وافية فلم يرَ سبيلاً الى عزلهِ . وقد اشار ديموستنس الخطيب الى هذا الوالي في احدى خطبهِ وقال انهُ رفع اسعار الحبوب فاضرَّ بالاثينيين. لكن ذلك ليس مما يلام عليهِ كما سيجيء. واشار ارسطوطاليس اليهِ في كتاب سياسة المدينة فقال "انهُ لما وقعت المجاعة في البلاد المجاورة لمصر منع اخراج الحنطة منها ثم لما شكا اليهِ رؤساء الاقسام انهم لم يعودوا قادرين على جمع الاموال الاميرية بسبب ذلك اباح اصدار الحنطة من القطر المصري لكنهُ ضرب عليها مكساً باهظاً فجمع من ذلك مالاً وافراً ومنع شكوى رؤساء الاقسام. وبجرورة في القسم الذي يعبد اهلهُ التمساح فاختطف التمساح واحداً من عبيدهِ فجمع الكهنة وقال لهم انهُ عزم على الانتقام من التماسيح وامرهم ان يصطادوها لهُ فاشفقوا من ذلك وجمعوا لهُ قدراً طائلاً من الذهب فسكنوا غضبهُ . ولما امر الاسكندر ان يبني مدينة المنارة (الاسكندرية) وينقل سوق قنوبس اليها ذهب الى قنوبس واخبر كهنتها واغنياءها انهُ آتٍ لينقلهم الى مكان آخر فجمعوا لهُ الاموال ورشوهُ بها لكي يبقيهم في اماكنهم فمضى عنهم ثم عاد اليهم ثانية لما وضع اساس المدينة وطلب منهم مبلغاً طائلاً من المال حاسباً انهُ الفرق بين اقامة السوق في بلدهم واقامتها في الاسكندرية . ولما قالوا انهم لا يستطيعون دفع هذا المال نقلهم كلهم الى المدينة الجديدة . ولما صار ثمن القمح عشرة دراهم جمع الفلاحين وسألهم عن السعر الذي يبيعونهُ بهِ فقالوا انهم يبيعونهُ بارخص مما يبيعون التجار فقال بل انا اشتريهِ منكم بثمن التجار (فاشتراهُ منهم بعشرة دراهم) وباعهُ باثنين وثلاثين درهماً . ثم جمع الكهنة وقال لهم ان نفقات المشاعر الدينية فاحشة جداً وانهُ لا بدَّ من هدم بعض الهياكل وصرف كهنتها . فترضوهُ بالمال منهم ومن خزائن هياكلهم مخافة ان يلغي فرقهم " انتهى كلام ارسطوطاليس

وغاية ما فيه ان كيومنس كان شديد الوطأة على الكهنة والتجار يبتزُّ الاموال منهم ويملأ بها خزائن الحكومة وذلك من عيوب الولاة في تلك الايام

وكان الاسكندر قد اعطى خاتمهُ لبردكاس قبل وفاته كأنهُ عهد اليهِ في الولاية او في النيابة بعدهُ فاشار بردكاس بانتظار ما يولد من زوجتهِ ركسانة وبأن يدير شؤون السلطنة اربعة من قوادهِ في غضون ذلك كما قلنا في الجزء الماضي فاختصَّ بطليموس نفسهُ بالديار المصرية واتى اليها وتألّف اهاليها بالحلم والتفَّ حولهُ انصارهُ فعبأ الجنود خوفًا من بردكاس لانهُ كان يطمع بالاستيلاء على مملكة كلها وحالف انتيباتر والي مكدونية وقتل كيومانس لانهُ كان من حزب بردكاس

وكان بطليموس حكيماً عادلاً معتدل المطامع كما يجيء وابتدأ الخصام بينهُ وبين بردكاس على جثة الاسكندر فان بردكاس امر ان يؤتى بها الى مصر لتدفن في واحة سيوى حيث هيكل الاله امون ولكن لما بحث الشام خاف من ان دفنها في مصر يفيد بطليموس فائدة ادبية فيستعزّ بها شأنهُ فامر ان ترسل الى ايجي وتدفن في مدفن ملوك مكدونية لكن بطليموس لقيها في بلاد الشام واتى بها الى مصر فوصلت الى منف اولاً ثم نقلت الى الاسكندرية ودفنت فيها وكان ذلك على غير ما يشتهي بردكاس لانهُ علا بهِ شأن بطليموس وحُسب مؤتمنًا على ضريح مولاهُ. والظاهر ان جثة الاسكندر نقلت الى مصر في تابوت من الرصاص لا من الذهب واتي بها الى منف اولاً لان الطريق الى الاسكندرية تعرَّض بها . وقيل بل كان مراد بطليموس ان يدفنها في منف فابى رئيس كهنتها ذلك وقال خذوها وادفنوها في المدينة التي بناها ولكنها لم تنقل الى الاسكندرية في عهد بطليموس هذا بل في عهد خلفهِ

ومضت السنتان الاوليان بعد موت الاسكندر وبردكاس مشغول عن بطليموس بمحاربة خصومهِ في آسيا الصغرى وقبرص لان ملوك قبرص كانوا قد انحازوا الى بطليموس وتجددهُ بالاساطيل فوجد بطليموس فرصة لفتح القيروان وضمها الى مصر ليستعين باهلها على تجديد الاساطيل وهي مستعمرة يونانية مشهورة من ايام بندار وكانت قد خضعت للاسكندر مدة ثم استقلّت بشؤونها وغلب عامتها على خاصتها فلجأ الخاصة الى بطليموس فضمها الى مصر لكنهُ لم يجاهر بالاستقلال ولا نبذ الطاعة لاخي الاسكندر وابنهِ بل كان يقول انهُ عامل على مصر من قبلهما ونقش اسميهما على السكة وعلى ما جدّدهُ من الهياكل ولم يرضَ بردكاس بذلك ولا خفي عليهِ غرض بطليموس فجيّش الجيوش وقصد مصر سنة ٣٢١ قبل المسيح وكان بطليموس قد حصن الثغور واقام حامية في الطينة والجنود التي اتت مع بردكاس اتت معهُ

مكرهة فعمت عليه وقتلته. فخلا الجو لبطليموس في الديار المصرية وسهل عليه احتلال البلاد المجاورة فاحتل قبرس في السنة التالية واضافها الى مملكته فبقيت لذريته من بعده ثم التفت الى سورية فاستولى عليها لكن استيلاءه عليها كان قصير المدة لان انتيغونس (وهو قائد آخر من قواد الاسكندر الاربعة وكان نصيبه اسيا الصغرى) كان حينئذٍ مشتغلاً بالحروب في اسيا فلما فرغ منها بعد خمس سنوات عاد اليه فاضطره ان يغادرها مع انه تغلب على ديمتريوس بن انتيغونس في واقعة غزة سنة ٣١٢ . وعاد الى سورية مراراً وكان يستولي عليها مرة ثم يضطر ان يغادرها مرة اخرى وهو في كل نوبة يجلي اليهود منها ويأتي بهم الى مصر على ما قاله يوسيفوس. وقد اثبتت المكتشفات الحديثة ان اليهود كانوا كثاراً في القطر المصري في عهد بطليموس الثاني فلا يبعد نقلهم اليها في عهد الاسكندر وبطليموس الاول

وتوالت الحروب وكان ان ثبتت الولاية لانتيغونس في اسيا الصغرى وسلوقس في بابل وبطليموس في مصر وكسندر بن انتيباتر في مكدونية. وتعاهد هؤلاء الولاة سنة ٣١١ على الاعتراف بسيادة ابن الاسكندر عليهم ولو بالاسم وعلى استقلال المدن اليونانية . ثم وافقوا كسندر على قتل الاسكندر وامه فنودي ببطليموس ملكاً في الديار المصرية وعبأ اسطولاً كبيراً لانقاذ المدن اليونانية وقد لقبه اهالي رودس بالمنقذ (سوتر) والبوه لانه تقدم سنة ٣٠٦ وباهتمامه صار للقطر المصري شأن في البحر واتسع نطاق تجارته وصناعته وكثر نزول اليونان فيه

وقصده انتيغونس في الديار المصرية بثمانية آلاف فارس وثمانين الف راجل وثلاثة وثمانين فيلاً و١٥٠ سفينة حربية و١٠٠ سفينة للنقل . وكان ديمتريوس بن انتيغونس على الاساطيل فصدمتها الريح الشمالية الغربية واغرقت بعضها وبعد عناء شديد وصل جيش البر الى الطينة فوجدها محصنة ومصب النيل مسدوداً بالقوارب ودخل كثيرون من جنود انتيغونس يغرونهم بتركه والانضمام الى بطليموس وهو يهب الرجل منهم منوين والضابط وزنة . وحاول ديمتريوس النزول في جزيرة منزلة وعند دمياط فلم يستطع ثم حاول ذلك كرة ثالثة من اكبر سفنه فاضطر ان يعود اليه فجمع انتيغونس مجلساً حربياً واستشاره في الامر فقرّ قراره على ترك مصر والعودة عنها لان الحرب فيها صعبة فيما مر اصحاب بيردكس

ثم نشبت الحرب بين انتيغونس وابنه ديمتريوس من جهة وبين سلوقس وبطليموس ولسيماخوس وكسندر من اخرى فقتل انتيغونس وقسمت بلاده بين خصومه فاخذ بطليموس بلاد الشام ولم يحضر معركة وجعل بني سفنه في صيداء من ثغور لبنان ثم اخذ قبرس من ديمتريوس بن انتيغونس وحمى الديار المصرية فصارت مملكته تشمل القطر المصري كله وسواحل البحر

الاحمر الى برنيكي وشط النيل والقيروان وفلسطين وفينيقية ولبنان والبقاع وقبرص . وكانت سلطتهُ معترفاً بها في كثير من مدن اليونان واسيا الصغرى .

ولما توطدت اركان مملكتهِ التفت الى استرضاء كهنة المصريين والتوفيق بينهم وبين اليونانيين وسبيل ذلك معروف وهو الدينار الذي يخضع لسلطتهِ كل عاتٍ فاكثر من الهبات للكهنة ومن الاوقاف للهياكل وانشأ هيكلاً لسرابيس في الاسكندرية لكي يؤلف بين اليونانيين والمصريين وانشأ ايضاً المدرسة والمكتبة الشهيرتين لكي تفوق الاسكندرية اثينا في العلم والعرفان. ويقال انهُ انما قصد من المدرسة والمكتبة مجرَّد الشهرة لا توسيع نطاق العلوم والفنون فكان شأنهُ في جمع الكتب شأن بعض الكبراء الآن الذين يجمعون كتباً كثيرة نادرة المثال للزينة ويقربون العلماء لاجل المباهاة . ثم ان ما فعلهُ من انشاء المدرسة والمكتبة انما كان اساساً لما فعلهُ ابنهُ بعدهُ كما سيجيء

وجارى المصريين في عباداتهم وفي ما كانوا يكتبونهُ عن ملوكهم ومن امثلة ذلك ما نقشهُ بين سنة ٣١١ و٣١٢ قبل المسيح وهذه ترجمتهُ

" في السنة السابعة (اي السابعة من ملك ابن الاسكندر) في بدء الفيضان تحت رعاية هورس الشاب الغني بالقوة رب التاجين محب الالهة الذين اعطوهُ جاه ابيهِ هورس الذهب رب العالم ملك مصر العليا ومصر السفلى سلطان البرين بهجة قلب امون مختار الشمس الاسكندر الحي الى الابد صديق الهة مدينتي بي وتب كان ملكاً في ارض الغرباء في قلب اسيا فصار فوز عظيم في مصر بطليموس اسمهُ " الخ

وكان بطليموس كثير النساء تزوج فتاة فارسية في بابل وقت الاحتفال العظيم بزيجة الاسكندر على ما تقدم وفتاة يونانية اسمها تايس (وهي غير تايس التي حرقت قصر برسبوليس) وولد لهُ منها ولدان. وسنة ٣٢١ ق.م تزوج اوريديكي ابنة انتيباتر والي مكدونية واكبر قواد الاسكندر وولد لهُ منها اولاد كثيرون سمي اكبرهم بطليموس ليخلفهُ على الديار المصرية وهو الملقب بالصاعقة وكان معها امرأة ارملة اسمها برنيكي لها اولاد اسم اكبرهم مغاس فتزوج بها ايضاً وتبنى اولادها وولى ابنها مغاس على القيروان . وكان الضرار شائعاً عند المكدونيين والمصريين ولاسيما عند ملوكهم وعظمائهم ولذلك لم يؤاخذ بطليموس بما فعل . واحبَّ برنيكي وفضلها على سائر نسائهِ وألبسها تاج الملك وولدت لهُ ولداً جعلهُ ولي عهدهِ وهو بطليموس الثاني وتنازل لهُ عن الملك سنة ٢٨٥ ق.م وبقي سنتين في بلاطهِ كانهُ من عامة الناس وتوفي وهو في الرابعة والثمانين من عمرهِ . وسيأتي الكلام عن بطليموس الثاني في الجزء التالي

صفحة من تاريخ فرنسا

لحضرة الكاتب نجيب حسين افندي ثابت

للناظرين في تواريخ الامم ميل الى الوقوف على الخفيّ من اخبار الشعوب ولا الذّ من كشف النقاب عن الاسرار التي طمس عليها الدهر لاسيما ما اختصَّ منها بذوي الشان ومن بيدهم مقاليد الامور . وقد عثرت في احدى المجلات الانكليزية على حكاية سرّ حدث في قصر التويلري بباريس ابّان الثورة الفرنسوية المشهورة نحو آخر القرن الثامن عشر فرأيت ان الخصها لقراء المقتطف ففيها ما يكفل ارتياحهم الى حوادثها

وقف فارس متنكر بزي حوذيّ صبح ٢١ مايو سنة ١٧٩٢ في احد شوارع فرسايل امام حانوت تدلى من على بابهِ مفتاح مذهب ووراء المفتاح لوح عليهِ هذه الكلمات " فرنسوى جامين حداد وصانع اقفال " ولم يلبث الفارس طويلاً حتى نادى صاحب الحانوت فخرج اليهِ فهمس في اذنهِ وقال : جئت اليك بامر مولاي الملك ان تسير عاجلاً الى بلاطهِ في التويلري فعندهُ عمل لا يستطيع القيام بهِ سواك وقد امرني ان ادخلك القصر من باب مطبخهِ خشية ان تقع علينا عين رقيب . فلما ادرك الحداد معنى الرسالة وسمع قول الفارس عبس وقطب وجههُ والتفت الى مخاطبهِ فقال لهُ اذهب يا درسي فلا تحاول اقناعي

وكان لويس السادس عشر اشبه بالسجين في قصر التويلري منهُ بالملك وقد انقضى ملكهُ او كاد ولم يعد الامر والنهي من امتيازاتهِ ومع ان عادات البلاط وتقاليدهُ لم تزل مرعية بين حاشيته كلها باتت ثقيلة على كاهل الكثيرين ولم يبقَ للملك سوى نفرٍ من اتباعهِ اخلصوا لهُ الطاعة والخدمة . وكان الذين أُشربت قلوبهم حبَّ الثورة ينفرون لسماعهم لفظة الامر هذه . ثم استطرد الحداد الكلام فقال اذا ابصروني ذاهباً من فرسايل اتهموني بالمؤامرة وعلاقتي بالملك في ما مضى مشهورة لدى الخاص والعام وذكرها كافٍ لاثارة الظنون بي وتحريك الخواطر فقل لمولاك ان يكفَّ عن دعوتي اليهِ فلست بذاهبٍ الى قصرهِ . فالحَّ عليهِ الفارس ان يجيب طلب الملك فذهب قولهُ ادراج الرياح وعاد بخفي حنين

ومن خبر هذا الحداد ان لويس السادس عشر عشق صناعة الاقفال وهو وليّ عهد الملك ولم يطّرحها بعد توليهِ العرش وقد كان جامين هذا معلمهُ تلقى عنهُ اسرار الصناعة حتى حذقها وبرع فيها . وكان جامين يوالي الذهاب الى البلاط وقت اقامة الاسرة المالكة في فرسايل اطاعة لاوامر سيدهِ لكن الفرنسويين ابوا على مليكهم البقاء في فرسايل بعد محاولتهِ الفرار الى

فارنّ Varennes واخفاقهِ في النجاة فنقلوا بيت الملك الى باريس وبثوا العيون والارصاد حول القصر وكان جامين في جملة من انقطع عن التردد الى البلاط اذ خشي ان يعلق بهِ شيء من التهمة بعد الذي ذاع عنهُ من انهُ معلم الملك. وكان هذا الرجل فظ الطباع غليظاً لا يميل الى الملك رغماً عن خدمتهِ الطويلة لهُ ولم يكن الملك مفطوراً على ما يقربهُ من رعيتهِ من الاخلاق فقد كان ضعيف العزيمة خرق الرأي عنيدًا في الصغائر جافياً فكان فؤادهُ يهلع لذكر الثورة وكانت معاملتهُ لزوجتهِ سيئة وهي ماري انتوانت المشهورة بجمالها وعنفوانها . ومع ان اللؤم لم يكن من طبعهِ لكنهُ لم يكن كريم الاخلاق ومعلوم ان الصناع والمحترفين يرون في من يفوقهم ثروة ومقاماً فريسة لاطماعهم. ولما كان جامين لا يؤجر على خدمتهِ الملك باكثر مما يصيبهُ من تجار مدينتهِ وصناعها الى ان يلحق بهِ ضررٌ او يصيبهُ اذى في حين لاجزاء يطمع بهِ ولا دافع يدفعهُ الى المخاطرة بحياتهِ وفضلاً عن ذلك فقد كان جمهورياً لم يخشَ الجاهرة بآرائهِ ولم يشأ بيع استقلالهِ للملكية فعوّل على رفض الدعوة اذا تكرّرت

فلما عاد درسي الى مولاهُ وبسط لديهِ ما وقع لهُ مع جامين وسرد لهُ جوابهُ حار الملك في امرهِ واخذ يضرب اخماساً لاسداس فتقدم الى تابعهِ ان يعود الى فرسايل لعلهُ يستطيع اقناع الرجل بالمجيء اليهِ بالكلام العذب او يطمعهُ بالمواعيد وكثرة الاجور فامتطى الفارس صهوة جوادهِ ورجع ادراجهُ فلقي ما لقيهُ في المرة الاولى ورفض الحداد مرافقتهُ الى التويلري. على ان تثنية الرسالة شغلت خاطرهُ فادرك ان في الامر سرًّا عميقاً وان الملك في حاجة شديدة الى معونتهِ لكنَّ الرسول لم يبح بشيء من مطالب الملك ولم يلمّ بسبب الدعوة في عرض حديثهِ بل اكتفى بالتوسل على ان التوسل لم يجدهِ نفعاً كما تقدم . وفي الغد عاد درسي يحمل كتاباً الى الحداد بخطّ الملك وتوقيعهِ والكتاب مملوء بعبارات التودّد والمجاملة وفيهِ ثناء على سعة معارف جامين وفضلهِ ومبلغ حاجة الملك اليهِ . وكان لهذه الرسالة من الوقع في نفس المدعوّ ما انتظرهُ لويس السادس عشر حين خطّ عباراتها ومع انهُ لم تلمح قطّ الى الغاية التي استدعى الحداد لاجلها فقد رأى هذا في الكتاب تشريفاً لهُ ولاهل بيتهِ من بعدهِ رغماً عن شدة نزعتهِ الجمهورية وعدم احترامهِ الملكية اذ اكبر تنازل الملك الى هذا الحدّ . فبعد ان فضّ ختام الكتاب وقرأ نصهُ التفت الى الرسول فقال قد قبلت دعوة الملك وساسير واياك اليهِ ولم يقل امر الملك لان لويس اغفل في كتابهِ كلمة الامر هذه لعلمهِ بكراهة الفرنسويين لها في ذلك العهد . ثم دخل الحداد بيتهُ فابدل رداء العمل بثياب لائقة وطلب الى زوجتهِ ان لا تنتظر عودتهُ حتى المساء

وكان الحرس الوطني يطيف بابواب القصر الخارجية ومداخله وهم يرقبون الداخلين اليهِ والخارجين منهُ لعلهم يعثرون على احد جواسيس الالمان والنمسويين وكانت المانيا والنمسا قد اشهرتا الحرب على فرنسا في ذلك الحين وعبرت جنودهما حدود المملكة وبمعيتها كثيرون من امراء فرنسا واشرافها الذين هربوا من بلادهم لما اشتعلت فيها نيران الثورة وكان القصد من هذه الغزوة انقاذ الملك من قبضة رعاياه والغاء الدستور الجديد الذي سنهُ الفرنسويون لحكومتهم .

وكان الملك قد اقسم يميناً مغلظة ان يحافظ على هذا الدستور ويرعاه لكنها كانت يمين الصبر فانهُ ما فتىء يلغي القرارات التي سنت لتقوية العنصر الوطني وعضده فلما آنس منهُ زعماء الثورة ذلك زعموا ان بينهُ وبين الغزاة من الالمان والنمسويين اتفاقاً خفياً وتواطؤاً على قلب الحكومة وزادهم ثقة في معتقدهم كون الملكة ماري انتوانت نمسوية الاصل تزدهي بالخيلاء والعظمة حتى نفرت منها قلوب الرعية ومالت عن حبها .

وقد كان ميل الملك الى صناعة الاقفال مشهوراً في البلاد فلم يكن هنالك باعث لادخال جامين خلسة الى القصر الملكي . وان ملكاً يتلهى بمثل هذه الاعمال النافعة في ساعات الفراغ ليستجلب اعتبار رعيتهِ اذا لم يكتسب ميلهم اليهِ ولاسيما الثورويين منهم الذين نادوا بالحرية والاخاء والمساواة. فادرك جامين ان وراء الاكمة سرًّا رغب في استقصائهِ لكنهُ كتم رغبتهُ وسار يتبع درمي حتى بلغا معمل الملك فغادره درمي وحدهُ .ولما خلا جامين بنفسهِ اخذ يقلب الطرف في انحاء الغرفة لعلهُ يرى فيها ما يفتح عليهِ باب السر المغلق وللحال ابصر على خوان فيها ما استوقف نظره رأى قرصاً مستديراً من الحديد مستوياً فيهِ قفل ولولب ذو تعاريج والى جانب القرص سفط حديد محكم الصنعة مقفل بقفل خفي لم يستطع على حذقهِ تعيين مكانهِ من السفط وبينما هو يتأمل هذين طلع عليهِ الملك باسماً. فوضع يدهُ على كتفهِ وقال بكلام يسيل رقة مرَّ بنا دهرٌ لم نجتمع فيهِ ايها الصديق فما رأيك في مصنوعاتي ومبلغ نجاحي قال ذلك واشار الى السفط والقرص الى ان قال وقد صنعت الاثنين في عشرة ايام فيحق لك الآن ان تفاخر الصناع بتلميذك هذا . وما زال يخاطبهُ برقيق الكلام وعذبهِ على هذا الاسلوب حتى رأى امارات السرور بدت على وجههِ واذ ذاك اخذهُ بيدهِ وقال سر بنا الى مكان العمل فقد حان الوقت واخشى فوات الفرصة فسارا يتقدمهما درمي يحمل مصباحاً حتى اتيا غرفة الملك التي ينام فيها. ولم يأخذ الملك العهود والمواثيق على الحداد لحفظ السر وكتمانهِ فدهش الحداد من ذلك لكنهُ لم ينبس ببنت شفة وكان في احدى زوايا الغرفة مخدع صغير على شكل دهليز ينتهي الى غرفة ولي العهد والدهليز مظلم بطنت جدرانهُ بالخشب المنقوش . فامر الملك درمي

ان يقتلع لوحًا من الخشب ففعل وانكشف وراءهُ خرقٌ في الجدار فوهتهُ مستديرة قطرهُ نحو قدمين كقطر القرص الذي رآهُ جامين في معمل الملك وللحال شرع الملك يشرح مرادهُ للحداد فاخبره كيف انهُ ثقب الجدار بمعاونة درسي خادمهِ وكيف انهما كانا يشتغلان في جنح الظلام ويلقيان التراب وفتات الحجارة في نهر السين الى ان قال وقد تراءى لي ان اكنز في هذا المكان مبلغًا كبيرًا من النقود بحيث لا يدري بذلك احد سوى . نحن الثلثة وانا عجزت ودرسي معهُ هو احكمه وضع الباب الذي رأيتهُ في معملي على هذه الفوهة وربطهُ الى جدار بحيث يصعب انتزاعهُ وهو ما دعوتك لاجلهِ . فاطرق جامين ساعة ثم نزع ردنهُ وتناول القفل فاصلح ما اراد اصلاحهُ فيهِ وغيّر شكل المفتاح بحيث يصعب تقليدهُ ثم عمد الى وضع مفاصل الحديد

وكان على صعوبة العمل ومشقتهِ ملتزمًا جانب الحذر في تطريقهِ الحديد لئلا يبلغ صوتهُ ... كانوا يقيمون ولم يكف الملك عن تحذيرهِ تارة بالتوبيخ والتقريع وطورًا باللين حتى ... ذرعهُ لكنهُ ثابر على عملهِ وربط جأشهُ حذرًا وكان العرق يتصبب من جبينهِ وراسهِ الى قميصهِ وكاد يغشى عليهِ من الحذر والجوع فانهُ بقي يعمل ثماني ساعات متوالية . ولما تمَّ وضع الباب واحكامهُ على الخط الذي طلبهُ الملك وضعوا سفط الحديد وفيهِ مفتاح الباب تحت بلاطة في المعمل وكان السرور باديًا على وجه الملك لابقائهِ بفوزهِ وقضاء لبانتهِ اذ كان وحدهُ يعرف اسلوب فتح السفط المتضمن مفتاح باب الفوهة ولم يكن هناك من يعلم بوجود هذه الفوهة سوى الثلثة الذين تقدم ذكرهم ومبتدع الطريقة وسيأتي الكلام عليهِ

ثم عمل اسرع الثلاثة الى مرقد الملك حيث كاد الحداد يسقط على الارض معيًا فناولهُ الملك كرسيًا جلس عليهِ ثم عمد درسي الى خزانة مسندة الى الجدار فاخرج منها اربعة اكياس مملوءة ذهبًا ووضعها على المائدة فطلب الملك الى جامين ان يعدّهُ في هذا الذهب وكان في الاكياس ما يساوي اربعة ملايين فرنك كلها دنانير فرنسوية مزدوجة ومع ان الذهب كان قد اخذ ماخذهُ من جامين فانهُ صدع باشارة الملك وطفق الاثنان يعدان ما فيها وهو ثمانون الف ذهب على ان العدّ لم يشغل جامين عن مراقبة درسي خلسة اذ اخذ يخرج من الخزانة اوراقًا . وقد قلنا ان الحداد جاء الى القصر وقد تحركت فيهِ شتى من الظنون والريب فلما رأى درسي يخرج الاوراق علم ان عدّ الذهب حيلة يقصد بها صرف نظرهِ عن الغرض المقصود بالخرق وان ما اريد كنزهُ انما هو اوراق تتعلق عليها حياة الملك وعلى بنيهِ او هلاكهم وزاد بهِ الشوق الى استطلاع سر تلك الاوراق وخشي ان يكون فيها دسيسة

بعد الذي شاع من تواطوء الملك مع الاجانب اعداء المملكة لكنهُ استمرَّ في عملهِ والسكون شامل الغرفة واذا بالملك يقول لقد انهكك التعب يا جامين وقد انقضى الليل ولم تأكل شيئًا فهلاَّ تقبل دعوتي للعشاء في القصر. فاعتذر الحداد عن عدم قبولهِ الدعوة لعلمهِ ان عشاءهُ هذا يكون مع الخدم وهو ما كان يستنكف منهُ بعد ان انضوى تحت راية الجمهورية ومال عن الملكية فعرض عليهِ الملك ان يرسلهُ الى فرسايل على احدى مركبات القصر فلم يقبل ذلك ايضًا لئلاَّ يثير الشبهات في قلوب مواطنيهِ اذا هم رأوا مركبة الملك تقلهُ ليلاً الى بيتهِ. وكان يحنُّ الى مغادرة القصر باسرع ما يستطيع والتملص من الدسيسة التي اشترك فيها على غير رضاهُ . ولما انتهوا من عد الدراهم اعادوا الذهب الى اكياسهِ على نية ان توضع في مخابئها ووقف جامين يريد الانصراف وكان الملك قد سبق فاخبرهُ ان السر لا يتجاوز ثلاثتهم وفيما هم كذلك اذا بالباب عند اسفل سرير الملك قد فتح وطلعت عليهم الملكة ماري انتوانت وفي يدها طبق فذعر جامين لرؤيتها وخال دخولها عليهم من باب الاتفاق فالتفت الى الملك لعلهُ يرى بهِ تغيرًا فاذا بهِ ساكن الجاش فتقدمت الملكة الى الحداد وقالت باسمة لقد تعبت يا صاح وانت جائع ايضًا وقد اتيتك بكاس شراب وقطعة حلواء فاشرب وكل. ففكر جامين في نفسهِ وقال هذه الملكة العاتية المتكبرة رأتني قبل اليوم في القصر مئات المرات فلم تكترث لي ولم تعبأ بي فما بالها نكبت عن خطتها . وحاول شكرها فتلعثم لسانهُ ثم عمد الى الكاس فشربها ووضع قطعة الحلواء في جيب ردائهِ ليأخذها الى اولادهِ فيطعمهم اياها ثم حيَّا الملك والملكة وانصرف والملك يكرر عبارات الشكر والثناء عليهِ وتعدت السكينة الى التويلري

خرج جامين من القصر فالفى نفسهُ وحيدًا في وسط باريس يكتنفهُ الظلام ويتعدهُ التعب والجوع لكنهُ آثر الاسراع الى بيتهِ على تناول الطعام لئلاَّ تقلق زوجتهُ لطول غيابهِ وكانت مصابيح المدينة مطفأة والطريق مملوءة بالاخشاب والحجارة فسار في الشان اليزه يتعثر بها ولما صار على مقربة من نهر السين حسَّ بحرّ من النار في جوفهِ وبداء مبرح وكأنَّ اعضاءهُ تخدرت فصاح من الالم وسقط على الارض ملتفًا على نفسهِ كالافعوان يستغيث ويبكي. ومن حسن طالعهِ انهُ مرَّت بهِ مركبة فسمع من فيها بكاءهُ واستغاثتهُ فاضطر الركب من المركبة وامر احدهم السائق بالوقوف ثم ترجل يتبعهُ السائق باحد المصباحين وكان هذا الرجل طبيبًا انكليزيًا رأى جامين مرة في مصنع الملك في فرسايل يوم جاء الى البلاط زائرًا متفرجًا فللحال تعارف الاثنان ولدى سؤال الحداد عما بهِ ووقوفهِ على الاعراض التفت اليهِ وقال لقد سموك يا صاح . فكأن صاعقة انقضت على المسكين وتذكر كاس الخمر فرفعهُ الطبيب الى مركبتهِ وسار بهِ عجلاً

الى اقرب صيدلية حيث جرعهُ مقيئًا وشيئًا يعالجهُ حتى بدأت اعراض السم تزول ومن الغد نقلهُ على مركبتهِ الى فرسايل حيث كان اهل بيتهِ بانتظارهِ على حرّ من الجمر فدعوا طبيبين من فرسايل لمعالجتهِ فوافق هذان على رأي الطبيب الانكليزي فاخذ يسألانهِ عمن فعل بهِ ذلك الفعل المنكر اما هو فابى الجواب وكتم الامر عنهما وعن زوجتهِ وادرك انهُ شريك في معرفة سرّ مملكةٍ وان من كان هذا شأنهُ فهو عرضة للهلاك . وظلَّ الطبيبان يعتنيان بهِ ثلاثة ايام حتى نجا من مخالب الموت لكنَّ اثر السم لم يفارقهُ فبقي يتقلب على فراش الآلام والاوجاع زمنًا طويلًا مصرًّا على كتم حديثهِ واصابهُ شلل جزئي لم يغادره كل حياتهِ ومنعهُ عن القيام باعمالهِ . ونسيت الآلام جامين قطعة الحلواء . وان خادمة لهُ كانت تتعهد ثيابهُ لاصلاحها عثرت على الحلواء فقطعت منها شيئًا فانكرت طعمها والقت بها الى كلب فتنقفها الكلب فلم تكد تستقر في جوفهِ حتى سقط ميتًا فاسرعت الجارية واخبرت من في البيت فشق احد الطبيبين احشاء الكلب واذا فيها كمية وافرة من السليماني فلو اكل المصاب الحلواء بعد شرب الكاس لقضي عليهِ لا محالة

وبينا جامين يتقلب على مثل القتاد وقد عبثت بهِ الاوجاع اخذ يفكر في ما صار اليهِ بعد ليلتهِ في التويلري ويفصل الحادثة لنفسهِ فثبت لهُ من مراجعة وقائعها ان الملك محمّد بمعة اخفاء السر ان يذاع وان الاوراق التي اخرجها درسي من الخزانة فيها ما يوقع حياة الملك ومملكتهُ في الخطر وعلم انهُ عاجز عن معاقبة الملك لجنايتهِ عليهِ بعد اخلاصهِ في خدمتهِ فاقل اشارة تبدو منهُ يدري بها فيخرج الاوراق من مكانها ويبدلها بالذهب وحينئذ فتنطلي الحيلة على القوم ويبيت جامين هدفًا لمطاعنهم وعرضة لسخريتهم فرأى في الصبر حين مجيئهِ وقال لعلَّ الايام توافيني بحل المشكل وتساعدني لاثأر نفسي لجابت الحوادث الآتية موافقة لغرضهِ وطبق مرامهِ

اشتدَّ الخطب في باريس وتفاقم الخلاف بين الامة ومليكها ففي مدة ثلاثة اسابيع من الواقعة هذه اتى قرار المجلس الوطني القاضي بتجنيد عشرين الف متطوع للدفاع عن باريس في وجه العدو واعقب ذلك بعزل الوزارة وكانت قد اكتسبت ثقة القوم وارتياحهم الى اعمالها فساء الباريسيين فعلهُ وتجمعوا بعد اسبوع على التويلري ودخلوه يطلبون اعادة الوزارة فلم يفلحوا ولم يستطيعوا والمجلس اكراه الملك على موافقتهم وارضائهم لان الدستور الذي سنوه اطلق يد الملك في هذه الامور وامثالها فلم يتعدَّ بحسب الظاهر حقوقهُ التي يخولهُ اياها الدستور فازداد الهرج في البلاد وبات العارفون يتحدثون بقرب انقضاء الازمة . وفي ٢٥ يونيو رسل قائد جيشي المانيا والنمسا بلاغهُ الاخير الى الباريسيين وفيهِ يحذرهم عاقبة البغي وسوء العقبى

ويتهددهم بمعاقبتهم مدينتهم اذا سقطت شعرة من راس الملك وفي ١٠ اغسطس اجابهُ الباريسيون على بلاغهِ فنهم هجموا على التويلري ودخلوهُ عنوةً واخرجوا بيت الملك واستاقوهم اسرى الى التمبل (Temple) حيث سجنوهم. وفي ٢٠ سبتمبر فاز الفرنسيون على الغزاة وكان ذلك الفوز فاتحة المواقع والحروب التي انجلت عن رفع الراية الفرنسوية على عواصم اوروبا من بطرسبرج الى مدريد . ومن الغد نودي بالجمهورية في فرنسا وبدأ القوم يتحدثون بمحاكمة الملك فعلم جامين ان زمان الاخذ بالثار دنا وفي ٦ نوفمبر اقرَّ المجلس الوطني على صوابية محاكمة الملك فصادف هذا القرار رضى ذلاة الثوروبين لكن الباقين قاوموهُ وبعد اسبوعين نهض جامين من سريرهِ وسار الى باريس فطلب الاجتماع بوزير الداخلية رولان (زوج مدام رولان الشهيرة) فدخل الحاجب على الوزير وقال بالباب حداد من فرسايل يرغب في مكالمتك ولديهِ سرٌ اتى ليطلعك عليهِ فاذن في ادخالهِ عليهِ فدخل وحدثهُ بعظائم الامور التي جرت ليل ٢٢ مايو فدهش الوزير وعزم على تحقيق الامر بنفسهِ فسار وجامين الى التويلري حتى بلغا غرفة الملك فانذهليز واتي بمن قلع لوح الخشب فظهر وراءهُ باب الحديد فعالجوهُ فانفتح وكان كما قال الحداد فنهم لم يروا اثرًا للذهب وانما وجدوا اوراقًا ورسائل تبين منها ان لويس السادس عشر وامكة ماري انتونت دعيا الالمانيين والنمسويين لغزو فرنسا وان الغاء الملك قرار المجلس الوطني بتجنيد المتطوعين للدفاع عن باريس كان باتفاق مبرم مع الاجانب

وبعد شهر حوكم الملك وحُكم عليهِ بالقتال كمجرم فأعدم ولحقت بهِ زوجتهُ بعد سنة وهكذا ثأر جامين نفسهُ على ان فعل السم لم يبارحهُ فرفع امرهُ الى الحكومة الثوروية فعينت لهُ مرتبًا سنويًا الف فرنك بقي يقبضها الى يوم وفاتهِ سنة ١٨٠٠

هذه هي الواقعة لا تزدها السنون وضوحًا وجلاء وفي اكتشاف الاوراق وسم الرجل شاهدان على صحتها على رغم تكذيب الكثيرين لها فقد عاش جامين ثماني سنوات بعد حوادث هذه القصة كان يتيسر فيها لمن شاء الاجتماع بهِ على ان الذي حمل المؤرخين والكتبة على انكار نخبرهِ ما لحق بالناس من الحزن لمقتل لويس السادس عشر وزوجتهِ ولأن فظائع رجال الثورة من مثل روبسبيير وغيرهِ اخفت نقائص الملكين وعيوبهما واظهرت فضائلهما فعدًا شهيدين . هذا ومعلوم ان اكثر من كتب في ترجمتيهما انما كان من اتباعهما واخصائهما رجالاً ونساء فلا بدع اذا نسبوا اليهما جميع الفضائل حتى ان من يقرأ ما كتبتهُ هذه الفئة يخال في فرنسا لذلك العهد جوقًا من الملائكة حلَّ في التويلري مؤلفًا من الملك والملكة واخصائهما ومن تبقى من سكان المملكة ابالسة وسفاكو دماء . وقد الم كارليل المؤرخ

الانكليزي بطرف من القصة لكنهُ عقّب عليها بالهزء والسخرية ولا مشاحة ان في وقائعها شيئاً من الغرابة وانما لا يستطاع الجزم بكذبها الاَّ اذا عُدَّ فرانسوى جامين من اعظم قصاصي الدهر ومن ابرع كتاب الروايات . اه .

(المقتطف) فنقل المؤرخ اليسون الذي كتب تاريخهُ سنة ١٨٣٣ هذه الحادثة نقلاً عن منيه ولا كراتل وتيرس الذين كتبوا بعَيْد الثورة فقال ان الملك رضي بمحاربة النمسا والمانيا مكرهاً وعلم ان شعبهُ سيطالبهُ بذلك بعد انقضاء الحرب ولاسيما اذا عادت عليهم بالخسران فكتب آراءهُ ضد الحرب وجعل وزراءهُ كلهم يمضونها ووضعها في هذه الخزانة ووضع معها كل الاوراق الرسمية التي يحسب انها تبرئهُ من كل تهمة اذا سيق الى المحاكمة كما كان يتوقع فافشى هذا الحدَّاد سرَّهُ وفتحت الخزانة فلم يوجد فيها شيءٌ يثبت عليهِ الخيانة لبلادهِ بل بالضد من ذلك وجدت فيها اوراق تدل على اتفاق وزرائهِ معهُ في كل اعمالهِ . وقد اذاع وزيرهُ رولان سرَّ هذا الاوراق حاسباً ان الملك يتبرأُ باذاعتها فكانت سبباً لهلاكهِ (انظر المجلد الاول من تاريخ اليسون صفحة ١١٩ و١٤٧)

رواية تنكرد

للوزير الشهير اللورد بيكنسفيلد

الفصل الثاني

قام بنو رشاد من مواطنهم وقطعوا بادية الشام ونزلوا فجوةً من الارض في جبال الشراة كانت فيها مدينة قديمة من مدن الادوميين اخنى عليها الدهر بكلكلهِ فلم يبقِ منها الاَّ آثاراً دوارس . وضرب شيخهم خيمتهُ في باحة مشهد قديم مقاعدهُ منقورة في الصخر وادار بابها الى الشرق ليشاهد منها مطلع الشمس. وكانت جوانب الجبل مملوءة بالهياكل والمنازل والمدافن وكلها منقور في الصخر ويخرج من شق منها نبع ماء زلال يجري في الفجوة متعرّجاً لا يُستدلُّ عليهِ الاَّ من اشجار الصفصاف والدفلى النابتة على مجراهُ . وعلى ضفتهِ خيام كثيرة ارتبط اصحابها السوابق امام ابوابها واناخوا الجمال . وكانت الشمس قد توارت في الحجاب والبست الجو ثوب الارجوان وظهر البدر من فوق الجبال كصفيحة اللجين

جلس هذا الشيخ على بساط امام خيمتهِ وسُبحةٌ في يدهِ ولا دليل على شيخوختهِ الاَّ بياض لحيتهِ . وهو طويل القامة اسمر الوجه مجدول العضل واسع الجبين على رأْسهِ كوفية قرمزية

مزركشة بخيوط الذهب . لا اعظم منهُ بين مشايخ العرب يركب لركوبهِ عشرة آلاف فارس . واذا هو بفارس ينهب الارض نهباً خرج من المضيق فرآه كثيرون وسألوهُ عما وراءهُ فلم يجب حتى وصل الى خيمة الشيخ فسلَّم وترجل وقال للشيخ قضي الامر واسرنا اخا الملكة

فقال الشيخ لاثكلتك امك واين القوم الآن

قال هم جادُّون في اثري

قال الشيخ وهل هو في حفظ الشيخ سالم

قال يفداك سالم فان اخا الملكة بطل صنديد لا يصلى لهُ بنار ولم نقبض عليهِ الاَّ بعد ان قتل سالماً وكبا بهِ الجواد

فقال الشيخ لا اله الاَّ الله فقد فقدت عوني في الشدة وهل قُتل احد غيرهُ

قال نعم ابرهيم بن حسن ومفربي توبة وتوبة بن امين وجرح كثيرون

فقال الشيخ أهذا فعل بني الجلاَّح اني وتربة اجدادي لاصلينَّهم ناراً لم يذوقوا مثل سعيرها

فقال الرسول الصدق أملك عليك ام لك فان شيخ الجلاحة لا ناقة لهُ فيها ولا جمل وقد نها الامير الانكليزي عن القتال فلم ينتهِ . ولا مثل هؤلاء الافرنج فانهم بالسة في ثياب الناس

ومضت ساعة من الزمان والنيران توقد ونور القمر يزيد اشراقاً ثم اقبلت الفرسان تسير الهوينا حتى بلغت خيمة الشيخ مالك ومعها الشيخ حسن ورجالهُ وقد نُزعت اسلحتهم منهم ووراءهم باروني راكب بين بدويين ثم جثة الشيخ سالم والذين قتلوا معهُ محملة على الجمال ثم تنكرد راكب على جمل وقد ربط يدهُ وعلقها في عنقهِ وحولهُ كتيبة من الفرسان وكلهم ينظر اليهِ نظر الهيبة والوقار لما ابدى من البسالة في ميدان النزال ولما ينتظر من فكاكهِ من المال الكثير وكان الجرح طفيفا لكن انهُ كان شديداً ومع ذلك لم يستطع تنكرد ان يخفي دهشتهُ من رؤية المكان الذي وصل اليهِ فقد قرأ كثيراً عن مدن منازلها منقورة في الصخر ولكنهُ لم يرَ ذلك قبل الآن ولا استطاع ان يتصوَّرهُ كما رآهُ. ولما صاروا امام خيمة الشيخ نزلوا تنكرد عن مطيتهِ واجلسهُ الشيخ الى جانبهِ وفرشوا بساطاً آخر لباروني وللشيخ حسن . والتفت الشيخ (واسمهُ مالك) الى باروني وقال لهُ بلغني انك تتكلم لغتنا فقل للامير اخي الملكة انهُ اخطأ قصدي فقد ارسلت اليهِ رجالي هذا الصباح لادعوهُ الى ضيافتي لا لاحاربهُ . فقال تنكرد لباروني قل لهُ ان لاغرض لي بالضيافة ولا ادري لماذا اخذني رجالهُ اسيراً

فقال الشيخ قل لهُ انهُ ليس أسيراً بل هو ضيف عليَّ. فقال تنكرد قل لهُ اذاً اني ارحل عند الليلة

فقال الشيخ قل لهُ الضيافة ثلاثة ايام ولا استطيع ان ادعهُ يرحل قبلما تمضي . ثم اخرج الشبق من فيهِ وقدَّمهُ اليهِ وهذا منتهى الاكرام عندهم ثم قدّم شبق الى باروني واخر الى الشيخ حسن

والتفت باروني الى تنكرد وقال لهُ لقد صرتَ بأَمن من كل غدر يا مولاي بعد ماشربت هذا التبغ وستنتهي الامور على سلام ولم ترَ عشر ما رأيناهُ من المشاق لما كنت مع الصيدوني

ولما كان باروني يتكلم اتى شابٌ ومرَّ بين الجمع وجلس مع الشيخ مالك على بساطهِ وكان لابساً ثياباً من الحرير مثل الشيخ مالك وعلى رأسهِ كوفية قرمزية مزركشة بالقصب دلالة على علو منزلتهِ فنظر اليهِ تنكرد مدهوشاً من مهابتهِ وجمال طلعتهِ

وكان الشيخ مالك قد امر ان تولم وليمة كبيرة فذبحوا كثيرًا من الخرفان واعدوا الطعام والشيخ يسأل تنكرد مسائل شتّى عن دول اوربا وايها اقوى وامنع واغنى وهل تستطيع دولة اخرى ان تفتح عكاء كما فتحها الانكليز وكم جواد عند ملكة الانكليز وكم عبد عندها وهل الانكليز من النصارى او من المجوس . ثم دعا تنكرد والشيخ حسناً واثنين او ثلاثة غيرهم الى خيمتهِ ليأ كلوا معهُ

فقال تنكرد لباروني قل للشيخ ان يعفيني لان التعب قد اضناني وجرحي يؤلمني ولا اطلب منهُ الأ خيمة انام فيها

فالتفت الشاب اليهِ وقال لهُ بالفرنسوية أَانت مجروح. فقال تنكرد نعم والجرح خفيف ولكنهُ مؤلم وقد يبست يدي منهُ ولا بدَّ لي من الراحة

فقال الشاب لقد اعدَّ لك الشيخ خباء من مضربهِ لتنام فيهِ ولكنك لا تستريح هنا لكثرة الضوضاء ولي خيمة هنا اصغر من خيمة الشيخ كثيرًا ولكنها منفردة واظنها اصلح لك من خيمة الشيخ فهلمَّ اليها وكن في ضيافتي

فشكرهُ تنكرد على كرمهِ وقال لهُ كيف اكون في ضيافتك وانا اسير عند هذا الشيخ ولا امر لي على نفسي

فقال الشاب انا استرضي الشيخ وجعل يكلمهُ همساً . ثم نهضوا كلهم وتقدَّم الشاب الى تنكرد وقال لهُ انت الآن نزيل عليَّ وسترى مني ما يرضيك ثم سار بتنكرد نحو خيمتهِ واراد باروني ان يتبعهما فقال لهُ الشاب ان الشيخ ينتظرك للعشاء فاياك ان ترفض دعوتهُ وانا اعتني بسيدك بدلاً منك فهل تسمح لي بذلك ثم مدَّ يدهُ الى تنكرد وسندهُ وهو يقول لقد ساءني جدًّا امر هذا الجرح

واحبَّ تنكرد هذا الشاب لما رآهُ فيهِ من طلاقة المحيا ولين العريكة ولطف الحديث فسار معهُ الى خيمتهِ عن طيب نفس فرآها رحبة فيها اخبية كثيرة مختلفة الالوان وامام بابها كثير من الجياد والخدم والحشم وداخلها ارائك وبسط واسلحة واعداد كثيرة من جريدة فرنسوية تطابع في ازمير. فنظر اليها وهو يظن انهُ في حلم لانهُ لم يخطر على بالهِ ان يرى جريدة فرنسوية في تلك القفار. واوصلهُ الشاب الى اريكة اجلسهُ عليها وطلب اليهِ ان يستلقي ويستريح ثم كلم احد الخدم بالعربية فخرج وعاد بعد قليل بسراج من الفضة اسرجهُ ووضعهُ على الارض

فقال تنكرد معي خادمان انكليزيان لا يعرفان كلمة من العربية افلا تكمل جميلك وتأمر احداً يعتني بهما . فقال الشاب سآتيك بهما والان لا بدَّ لك من ان تأكل شيئاً قبلما تنام وكان الخدم قد دخلوا بصحاف كثيرة من الطعام فاخذ واحدة منها فيها ثريد من الخبز والتمر واللبن وقدمها اليهِ وقال كُلْ من هذا فانهُ منعش مغذٍ فأكل تنكرد منهُ واستطابهُ ولم يرد ان يأكل شيئاً آخر ثم استلقى على الاريكة وجعل يتكلم مع الشاب فقال لهُ اني لم ارَ بين الغرائب التي مرَّت بي ما هو اغرب من وجودك هنا ولا ما هو اعجب من كرم اخلاقك فان كرمك قد محا سيئات قومك فقال الشاب انا لست من هؤلاء القوم بل انا امير مسيحي من جبل لبنان امير ضلعهُ مع الانكليز وقد ضيم لاجلهم ضيماً شديداً

أانت اسير مثلي اذاً

كلاَّ ولكنني اتيت الى هنا لاستعين بالشيخ مالك على ما يخفف الكرب عن رجالي في لبنان وكان يجب ان اكون اميراً عليهم الآن كما كان اسلافي منذ اكثر من سبع مئة سنة لو لم أُحرَم ذلك بدسائس الاعداء . والشيخ مالك وقبيلتهُ ينزلون احياناً في بادية الشام وقرب دمشق وقد يسهل عليهم تفريج الكرب عن المظلومين

فقال تنكرد اذاً انت امير سوري مسيحي. فقال الامير نعم ولو عرف الانكليز مصلحتهم لساعدتهم على امتلاك سورية

تنكرد — ولماذا يمتلك الانكليز سورية

الامير — لان فرنسا تمتلكها ان لم يمتلكها الانكليز

تنكرد — معاذ الله

الامير — ثم انهُ لا بدَّ من مداواة الحاضر بالحاضر فان اهالي لبنان لا يخضعون لوالي دمشق ولو لم ينزع ابرهيم باشا السلاح منهم لجاهروا اليوم بالعصيان

تنكرد — ولكن انت ميرسوري ففيك تجتمع مزايا ليست في غيرك ولا في دولة اوربية ولا في كل الدول الاوربية جمعاء وقد كانت بلادك عقيمة لما كانت فرنسا وانكلترا حراجاً وآجاماً لا انيس فيها وقد قطع العلم الفرنسوي جبال الالب ونهر الرين وتغلب العلم الانكليزي على العلم الفرنسوي . ولو كنت ميراً سورياً لحررت بلادي ولم اطلب معونة احد

الامير — ذلك سهل عليّ لو استطعت ان استدين المال اللازم

تنكرد — تستدين — هذا سم اوربي سرى في جسم اسيا ايضاً . ما لك وللدين حرية البلدان لا تنال بالدَّين والربا

حينئذٍ اقبل خادما تنكرد فرين وترومن وكانا يخاطبان العرب باللغة الانكليزية كأنهما في بلادهما ولم يكن يخطر ببالهما ان العرب يفهمون كلمة من كلامهما ولكن كبرياءهما حملتهما على ان لا يحولا عن لغتهما وعلى ان يحسبا كلَّ من لا يفهمها جاهلاً . ولما دخلا الخيمة سألهما تنكرد عن حالهما فقال فرين انا كنا مع البرابرة

تنكرد — اخطأت يا فرين فهم ليسوا برابرة

فرين — لا ارام يليسون اكثر من البرابرة وليس عندهم سكاكين وشوكات للاكل

تنكرد — ألا تعلم انه لم يكن شيء من ذلك في بلاد الانكليز منذ مئتي سنة ولم نكن برابرة حينئذٍ . والمخرجانب من قصر منتيكوت بني قبل ذلك الحين . ولكن اريد ان اعرف هل اطعموكما وهل دبّر لكما يروفي مكاناً للنوم

فقالا نعم وشكراه على ذلك وقال ترومن انني لما نزلنا من الجبل ورأيت النيران مشتعلة ظننت ان قصدهم ان يشوونا وان يأكلونا فتبت الى الله وحسبت انني اموت شهيداً . فقال تنكرد لا تخافا فانني لا احسب انهم يوقعون بنا ضرراً والآن ان كان لكما حاجة فاخبراني لعلي اساعدكما على قضائها . فنظر كل منهما الى الآخر واخيراً قال فرين انهم يسقوننا القهوة بغير سكر فاذا كنت تأمر بقليل من السكر زاد فضلك علينا

الفصل الثالث

باروني — لم اخبر سيادتك البارحة بما يشغل البال لانكم كنتم متعبين

تنكرد — انظنني استرحت الآن وصرت قادراً على احتمال ما يشغل البال

باروني — كلاّ ولكن مسألة هامة فقد تكلم الشيخ باللسان العبراني لكي لا افهم كلامهُ وفاتهُ انني افهم هذا اللسان

تنكرد — كيف يتكلم باللسان العبراني وهو خاص باليهود

باروني — يظهر ان هذه القبيلة من يهود العرب وهم يقيمون اسفار موسى واسمهم بنو رشاد

فجعل تنكرد يفكر في نفسه كأنهُ سمع هذا الاسم قبلاً . ثم قال ايمكن ان تكون زيارتي لبيت عنيا اوقعتني في هذا الشرك

باروني — هذه المكيدة كيدت لنا في القدس . وقد عرفت من اول الامر انها ليست مسألة غزو ونهب بل مكيدة دُبرت لنا لان هؤلاء الناس يعرفون كل شيء وهم يعلمون ان بسو يدفع عنك كل ما تطلبهُ فسيرسلون و يطلبون منهُ فكاكك مبلغاً طائلاً من المال والاَّ ذهبوا بنا الى قلب القفار

تنكرد — وبماذا تشير علينا الآن يا باروني

باروني — اشير بالصبر في هذا الامر كما في كل الامور حتى يُفتح لنا باب الفرج فانهُ ما من شدة الاَّ و يعقبها رخاء وهذا ناموس طبيعي لا مفرَّ منهُ . وقد حاولت اقناع الشيخ بانك لست من امراء المملكة وبان اباك على شفا الافلاس وان الحمى القلاعية فشت في قطعانهِ ثلاث سنوات متوالية وانهُ طردك من بيتهِ طرداً . وغرضي من ذلك كلهِ ان تقلل الفكاك على قدر الامكان. وهو الآن لا يصدق شيئاً مما اقولهُ لهُ لانهم اقنعوهُ انك من اغنى الناس . ولكن ما قلتهُ لهُ يؤثر فيهِ حينما يطلب شيئاً فلا يجاب طلبهُ لان الانفعال ناموس طبيعي في المعاملات كما هو في الحوادث الطبيعية

تنكرد — يظهر لي يا باروني انك فيلسوف كبير

باروني — لقد سافرت خمس سنوات مع الصيدوني ووقعنا في ازمات اشد من هذه الازمة وكان يقابلها بالصبر ويتنبأ بنتائجها فقد شاركتهُ في الضراء واستفدت من حكمتهِ واختبارهِ ولذلك تراني اعرف غالباً ما يجب ان يقال وما يجب ان يُفعل

تنكرد — عندك الآن مجال واسع لاستعمال حكمتك واختبارك ولكنني لا ارى لنا منفذاً من هذه المشكلة الاَّ دفع الفكاك . ولو كنتُ وحدي ما كنت افتدي نفسي الاَّ بذراعي متكلاً على الله ولكنني لست وحدي فقد ورَّطتك معي ورَّطتُ هذين الخادمين والشيخ حسناً ورجالهُ ولا يحق لي ان اطلب منكم البقاء معي في الاسر الى ان يمنَّ الله بالفرَج

باروني — اني اخالف سيادتكم في آرائكم فانكم متطرفون فيها والتطرّف خطأ في كل شيء ولا يستطيع المرء ان يحكم حكماً باتاً على المستقبل لانهُ لا يدري ما يأتي بهِ الغدُ . فكن واثقاً ان الاحوال تتغير وما نراهُ الآن ظلاماً كثيفاً قد يظهر غداً ضباباً لطيفاً

تنكرد — ولكنني لا ارى في حالتنا الحاضرة ما يدل على تغير الاحوال . والاحوال تتغير في المدن الكبيرة حيث تختلف افعال الناس باختلاف احوالهم واطوارهم ولكننا نحن الآن في القفر ويستحيل على هذا الشيخ ان يغير رأيهُ كما يستحيل عليهِ ان يغير اسلوب معيشتهِ الذي جرى عليهِ آباؤهُ واجدادهُ مدة مئات من السنين حتى صار ملكة راسخة فيهم فهو مفرد في هذا القفر لا تفعل بهِ تقلبات الاحوال الطارئة على المدن

باروني — ان دوام الحال من المحال ولا بدَّ من طروء شيء يغير ما نحن فيهِ

تنكرد — ما قولك لو استشرنا صاحب هذه الخيمة فانهُ اظهر لي كل تودد وتلطف

باروني — أتعني الامير فخر الدين

تنكرد — أهذا اسمهُ

باروني — كذا بلغني البارحة وهو امير من الشهابيين وهم بيت كبير ولكنهُ آيل الى الخراب

تنكرد — لا تظن اننا نستفيد لو استشرناهُ في امرنا

باروني — اذ كان لا بدَّ من الفكاك فسبيلنا الوحيد ان تقنع الشيخ ليرضى منا بالقليل وهو لا يرضى بالقليل الاَّ اذا محونا من ذهنهِ ما رسخ فيهِ وهو انك من اغنى خلق الله . ولا يستطيع احد ان يمحو من ذهنهِ هذا الوهم الاَّ الذي رسخهُ فيهِ . ومرادي ان اقنعهُ ليرسلني مع رسولهِ الى بسو فنطيل الوقت ومتى طال الوقت هوَّنها الله . هذا ما قالهُ لي الصيدوني لما ربطنا البرابرة واضرموا النار يحرقونا فانتاطاونتاهم فعصفت العواصف واطفأت النار

تنكرد — لا بدَّ من ان تخبرني عن رحلتك معهُ بالتفصيل ولكن ليس الآن

باروني — ومرادي الآن ان اذهب الى القدس واحاول تقليل الفكاك الذي طلبوهُ واطاولهم في دفعهِ جهدي الى ان يفتح الله باباً للفرج

تنكرد — من اين تنفتح ابواب الفرج في هذا القفر

باروني — لا اعلم ولكننا لم نعطَ علم الغيب

لما خرج فخر الدين من خيمة تنكرد كان يفكر في ما رآهُ منهُ من البسالة وعزة النفس والترفع عن الدنايا . فانهُ رأى فيهِ الرجل الذي يريد ان يكونهُ . ورأى انهُ ينظر الى المسائل السياسية نظراً واسعاً مطلقاً غير مقيد بالصغائر . فقال هذا هو الصديق الذي كنت ابحث عنهُ والمشير الذي كنت اطلبهُ . وودَّ ان يؤاخيهُ ويسير معهُ ويغلب العالم . وصارت صداقة تنكرد اهمَّ

لديه من تسليح الموارنة وودَّ لو لم يدخل في هذه الدسيسة ولكن الدسيسة هي التي اوصلتهُ اليهِ فقال هي تصاريف الزمن لا تخضع لخالق والمرء مسيَّرٌ لا مخيَّر. ولما اصبح الصباح ارسل خدمهُ الى تنكرد يعرض عليهِ جواداً يركبهُ ويسير للنزهة ومشاهدة الاطلال القديمة على جاري عادة الانكليز فاعتذر تنكرد عن الركوب بجرحهِ . ثم طلب منهُ ان يسمح لهُ بزيارتهِ فتلقاهُ تنكرد بالترحاب وجلس يستمع حديثهُ ويعجب من طلاقة وجههِ وقوة بداهتهِ وشدَّة دهائهِ في اختراع الحيل وحل المشاكل وحسن اسلوبهِ في التعبير عمَّا في ضميرهِ حتى لقد يريك صورة انسان بكلمتين يصفهُ بهما. وبعد كلام طويل قال لتنكرد ان طالعي نحس لاني بذلت جهدي سنين كثيرة فلم انل غرضي

فقال لهُ تنكرد ارى انك تخطئ في الخطة التي انت سائر فيها لان الامور العظيمة لا تأتي بالسعي والتدبير . وكل هذه الحيل وهذه الدسائس التي اراك ماهراً فيها تنفع في بلاط الملوك او في مجالس النوَّاب ولكن تحرير الامم لا يأتي بالحيل بل لا بدَّ لهُ من وسائط اخرى فعلية ولو كانت بسيطة . وقد كانت هذه الدسائس شائعة في اوربا في القرن الماضي فكانت نتيجتها ان زالت ثقة الناس بالله وتقوَّضت اركان الفضيلة والشرف وعزة النفس ولم يفلح الا الذين اخذوا الامور بالحزم ولو لم يكونوا على نباهة ومهارة مثل غيرهم . وقد تغيرت الاحوال الآن وصار علينا ان نخاطب الامم وجهاً لوجهٍ كما كان لابطال القدماء يخاطبونهم . فان اردت ان تحرر بلادك وجب عليك ان تجرّد حسامك وتقرن الحزم بالعزم لا ان ترسل رسائلك الى لندن وباريس

فخر الدين — لكنك نسيت ان اهالي بلادي مختلفو الاديان فلو كانوا كلهم مسيحيين او مسلمين او يهوداً او مجوساً لهان الامر وجريت على خطتك وفتحت دمشق وحلب في يومين . اما والاديان مختلفة فقد بذلت جهدي في تقوية الرابطة الوطنية ومع ذلك لا ازال ارى اهالي بلادي يكره بعضهم بعضاً بحسب اختلاف طوائفهم فعدت الى الاعتماد على الجاه ورفعة المقام حاسباً ان من كان من بيت مثل بيت شهاب لا يتعذَّر عليهِ ان يستميل الشعب اليهِ وهذا لا يكون الا بحسن التدابير التي تسميها دسائس. ولا يفلح عندنا غيرها ولا يتولى الجبل الا امهرنا فيها

تنكرد — اذا كان غرضك لا يتعدَّى جبل لبنان فهو غير عزيز المنال ولعلك تنالهُ بتعب يسير ولكن ماذا يصير بمطالبك الاخرى التي اعربتَ لي عنها منذ ساعة من الزمان وهي ان تتغلَّب على بلاد الشرق كلها وتحرر الامم الشرقية

فخر الدين — هذه اماني تستحق ان تُجعَل غرض الحياة ولكنها بعيدة المنال

تنكرد — لا يُغلَب العالم بالدسائس بل بالثقة وانت لاثقة لك بنفسك ولا بغيرك . اما انا فليس من رأيي ان يحاول احد غلبة العالم لكي يتسلط عليهِ او لكي يسلط عليهِ دولةً من الدول كلاَّ لان الدولة تنقرض عاجلاً او آجلاً ولكني اباهي بمن يغلب العالم ليسلط عليهِ مذهباً من المذاهب او رأياً من الآراء او فكرًا من الافكار

فخر الدين — لا ادري كيف نستطيع ان نثق باحد فقد وثقنا بمحمد علي واعتمدنا عليهِ فلم يفلح لانهُ لم يحارب العرب ولو حاربهم لنصروهُ وخرجوا من بلادهم كالسيل الجارف ولم يبقوا ولم يذروا. فان قبائل العرب فتيَّة دائماً لا تتولاَّها الشيخوخة. وانا من العرب الكرام وقد كان جدي يحمل بيرق النبي ولولا جاه اسلافي لخارت عزيمتي

تنكرد — وانا عربي مذهباً ولو لم اكن عربياً دماً واعتقد ان الخالق لا يكلّم المخلوق الاَّ في هذه البلاد ولو كنت عربياً في القدم مثلك ما كنت اضيع عمري لاحكم بعض العشائر الجبلية

فرمى فخر الدين الليّ (الشبريش) من يدهِ لانهُ كان يشرب النارجيلة وقال لتنكرد اللقمة امام الفم وعندي رأي يقلب وجه الارض ويرد السيادة الى المشرق فانت من امراء الانكليز وكلمتك مسموعة عند ملكتكم ولو لم تكن اخاها واراك حكيماً حاذقاً لانني لم استفد من احد كما استفدت منك فامض اليها واقنعها ان ملكها في بلادها لا يدوم ورأيي عليكم ان تتركوا جزيرتكم الحقيرة وتأتوا بلاد الهند باموالكم وجواهركم وتنصب ملكتكم عرشها في دهلي فانها تجد هناك ملكاً واسعاً معدًّا لها وجيشاً من الابطال البواسل ومالاً لا يأخذهُ حصر . وانا ادبر الامر مع محمد علي فيأخذ بغداد والعراق ويحمل بفرسان العرب على بلاد فارس وعليَّ الشام وبر الاناضول . والعرب والفرس يكفونكم شرَّ الافغان ونعترف كلنا بسيادة ملكتكم وتكون سواحل الشام لها واذا شاءت اعطيناها الاسكندرية ايضاً فيكون لها اوسع مملكة ملكها انسان وتخلص من مجلس النواب ومجلس الاعيان . واصعب ما في ذلك كلهِ فتح الهند الذي اعجز الاسكندر وقد فتحتموها

الفصل الرابع

لما غرب تنكرد عن اسفهِ لانهُ ليس من العرب لم يكن يتكلم لانهُ مقتنع بذلك بل لان نفسهُ صغرت من الاسر والالم وهذه اول مرة خارت عزيمتهُ فيها وفارقهُ الجلد . ولما غابت الشمس وانبسط نور الشفق على خرائب البتراء تذكر قصر منتكيوت واراجهُ فغلبهُ الحنين الى الوطن والشوق الى ابيهِ وامهِ واخذ يفكر في ما دعاهُ الى هذه السياحة وحسب انهُ مغرور سار على غير هدًى فاغرورقت عيناهُ بالدموع وكاد يتولاهُ القنوط

في ساعة ضعف تمرُّ على المرء فتنزع منهُ الطمع والغرور والاعتداد بالنفس والاعتماد على الامثال والحكم وتغادرهُ مثل اضعف الناس واقلهم جلداً . رأى اباهُ ينظر اليهِ وسمع صوت امهِ يرنُّ في اذنيهِ فقال في نفسهِ من أتى بي الى هذا المكان وعلامَ غادرت بلادي بلاد الراحة والنعيم واتيت الى هذا القفر حيث لا عمل لي ولا نفع يرجى مني . وهنا وقف وقفة الريب وقال في نفسهِ أغريبٌ انا في هذا المكان لا ينتظرني احد ولا يتأهل بي احد فعلامَ اتيت اليهِ أكان ذلك عن جهل وطيش كما يحدث لكثيرين من الامراء ام انا مدعوٌّ الى هذا المكان ولي بهِ علاقة شديدة منذ الصغر من حين كنت اتلو وصايا الله التي نطق بها عن جبل من هذه الجبال هذه الوصايا العربية الاصل التي صارت قانوناً لسياسة الامم . ولقد كان سير تلك القبيلة العربية المعروفة ببني اسرائيل في هذا القفر المخيف الرهيب مرشدة بالارشاد الالهي اول تاريخ اطلع عليهِ في حداثتهِ وعرف منهُ علاقة الله بالانسان ونسبة المخلوق الى الخالق فلا ينكر عليهِ الحنين الى هذه البلاد والمجيء اليها لان فيها هبط الوحي الذي اتخذهُ هو واهل بلادهِ مرشداً وبهذه الشريعة التي نزلت على جبل سينا تحفظ الآن دماء الانكليز واعراضهم واموالهم وبها يستريح العمال يوماً من كل سبعة ايام ولولاها لبقوا في عبودية مثل عبودية مصر حتى اذا جاء يوم الراحة تقاطروا الى المعابد ليسمعوا اناشيد مرنم اسرائيل ويروّحوا النفس بذكر الاماكن المقدسة الواردة في ترانيمهِ

وهذا الشعب الانكليزي مدين لامة اليهود مدين لهذه القبيلة العربية لان منها اخذ شريعتهُ وفي كتابها وجد راحتهُ وسلوتهُ فعلى ما يضطهدها ويشدد عليها النكير

لما فكر تنكرد بهذه الامور قال في نفسهِ من ينكر عليَّ المجيء الى هذه البلاد وانا ما اتيتها لانوح على اطلالها ولا لابحث عن آثارها بل لكي ارى الاماكن التي هبط فيها الوحي واعطيت منها الشريعة واطلب فيها الملائكة الذين زاروا الآباء واعلنوا مجيء القضاة وارشدوا الانبياء وحملوا بشائر الخلاص اين ومن الملائكة الاطهار اين ميخائيل وجبرائيل والساروفيم والشاروبيم

وبينما هو يفكر في ذلك سمع وقع حوافر الخيل فالتفت ورأى الشيخ مالكاً والشيخ حسناً والامير فخر الدين مقبلين لزيارتهِ فلما وصلوا الى امام خيمتهِ ترجلوا وسلموا عليهِ وسألوهُ عن صحتهِ وجلسوا معهُ على بساط امام الخيمة وقُدّمت لهم الشبقات ودار الحديث على الخيل والبنادق ثم التفت الامير فخر الدين الى الشيخ مالك وقال لهُ نحن نعبد الله وانتم تعبدون يهوه فايهما الاله الحقيقي

الشيخ مالك — هما اسمان لذات واحدة كما ان شجرة النخل وشجرة البلح اسمان لشيء واحد

فخر الدين — فلماذا تصلّون الى يهوه ولا تصلّون الى الله

الشيخ مالك — نصلي كما علّمنا آباؤنا في اسفار موسى

فخر الدين — وهل قرأتم فيها ان موسى تزوج ابنة يثرون

الشيخ مالك — هذا شيء نعرفهُ بالتواتر ولو لم نقرأهُ في الكتب كما نعرف ان عندنا غنماً وجمالاً

فخر الدين — ولكن موسى لم يهرب من مصر الى مدين منذ يومين حتى يبقى تاريخهُ محفوظاً في ذاكرتكم

الشيخ مالك — كلاَّ ولكن طول الزمان لا يفرق عندنا كما يفرق عند سكان المدن الذين يكذبون من الشروق الى الغروب فاننا نحن سكان القفار لا نتكلم الاَّ الصدق ولا ننسى خبراً تتناقلهُ ولا تتغير احوالنا الآن عمَّا كانت عليهِ في ايام موسى وهرون. وقد رعينا قطعاننا في هذه البلاد منذ القدم ورأينا فرعون ونبوخذنصر والاسكندر وملوك الروم الذين غلبوا الدنيا ولم يغلبونا واين هم الآن

رُبَّ بهم ريب المنون كأنما على الدهر فيهم ان يفرّقهم نذرُ

واما نحن العرب فباقون في بلادنا ولا ريب عندي ان الله لم يكلم احداً غير العرب

لما سمع تنكرد هذا الكلام غطى وجههُ بيديهِ ثم التفت الى الشيخ مالك وقال لهُ لما اسرني قومك ايها الشيخ الكبير كان قصدي الذهاب الى جبل سينا والآن نحن على يومين منهُ فدعني اذهب اليهِ وارسل معي من شئت لحراستي واني اعدك وعد حرّ باني لا احاول الهرب بل اعود اليك كما ذهبتُ مهما كانت النتيجة من ذهاب باروني الى القدس

فقال الشيخ ايها الامير الكريم ما دمت في ضيافتي فلك الامر وانا المأمور. اذهب حيث شئت وارجع حيثما تريد واولادي في خدمتك لا في حراستك. ثم نهض وودعهُ وعاد الى خيمتهِ

ولما مضى تقدم فخر الدين الى تنكرد وقال لهُ اذا شئت فانت حرٌّ ويمكنك الرجوع من حيث اتيت وعندي هنا ناقتان تسابقان الرياح وانا عارف بهذه القفار كما اعرف بيت ابي

تنكرد — معاذ الله ان اخلف وعدي . ولو مضيت وحدي من غير حارس لعدت الى هنا من نفسي

فخر الدين — ماذا عساك ان تجد في جبل سينا هلمَّ معي الى جبل لبنان فانك تجد هناك مجالاً واسعاً للعمل تساعدني على اصلاح شأن الشعب وبناء المعامل واصلاح الزراعة وتوسيع التجارة وجمع الاموال . نشتري اقة الحرير بستين غرشاً ونبيعها في مرسيليا بمئتي غرش

الفصل الخامس

لما مضت عشرة ايام على بني رشاد بعد ان اسروا تنكرد رأوا اربعة فرسان مقبلين عليهم قبل الضحى من المضيق الذي امام البتراء فركب بعض فرسانهم وخرجوا للقائهم والحال علا صهيل الخيل وفاضت باعناق المطي البطاح وانفرد واحد من الفرسان الاربع واطلق لجواده العنان الى ان بلغ خيمة الشيخ ولم يكن الاّ قليل حتى اقبلت قافلة كبيرة فيها الهوادج والنساء وخرج الشيخ من خيمتهِ وهو يقول ان مهري اسرائيلي لا غشّ فيهِ فلا يأمن على ذهبهِ لغير ولدهِ وتقدمت الجمال ودارت الى الخاصة فقطعتها ثم ناخت في الساحة الكبيرة وتقدّم باروني الى احد الهوادج ورفع السجف عنهُ فاذا فيهِ فتاة بارعة الجمال لابسة ثياب البدو فانزلها من هودجها وتقدم اليها الشيخ وحياها وهو يقول اهلاً وسهلاً ومرحبًا اهلاً بابنتي وبالاعز من ابنتي . فسلمت عليهِ وقبلت يديهِ وسارت معهُ الى خيمتهِ وهو يرحب بها و يسألها عن ابيها. فلما جلست قالت لهُ لا تسأل عني ولا عن مهرك فانهُ لبس المسوح وذرّ على رأسهِ الرماد .

فقال لها ماذا جرى لهُ وماذا حلّ بهِ او ثقل عليهِ الفكاك فيريد ان يحرمني منهُ لا وتربة امك لا انيلهُ مرامهُ

ثم اتوها بالقهوة وجاءوا بعدها بالطعام وجعل الشيخ يسألها بعد الطعام عما رأتهُ في الطريق وسألتهُ هي عن سبب نزوله في ذلك القفر فقال اننا نزلنا لاجل السبب الذي دعا باروني ليذهب الى القدس . فقالت ان باروني اتى القدس ليطلب منا ان نساعد سيدهُ المأسور عندكم . فقال نعم ولكي يتأتيني باربعة آلاف كيس فكاكهُ

جواه — اربعة آلاف كيس لماذا لا تطلب عرش سليمان دفعة واحدة ...

الشيخ — ولو طلبتهُ لاعطيتموني اياه ألم يقل في بيت ابيك ان هذا الامير يقدر ان يبني الهيكل لو اراد

جواه — من قال ذلك

الشيخ — ابوك وهو لا يقول الاّ الصدق

فاضطربت في امرها لانها رأت انهُ يعرف كل شيء فلم تجادلهُ في هذا الموضوع بل قالت لهُ لماذا لم تسألني عن سبب حزن ابي

فقال لعلهُ خسر بعض اموالهِ ولكن ما دام الانسان في صحتهِ فالمال يذهب ويأتي .وهو في صحتهِ حتماً والاّ ما تركتهِ واتيتِ الى هنا

حواء — قد يصير النور ظلاماً في عيني الانسان ويبقى يأكل ويشرب وقد حلَّ بابي من الهموم ما يشيب الاطفال

الشيخ — ومن سبّب له هذه الهموم

حواء — اقرب اقاربهِ واعز اصدقائهِ وهذا الذي ينغّص عيشهُ

الشيخ — ذلك لانهُ لا يخرج من بيتهِ كان يجب ان يأتي هو الى هنا بدلاً منك وان يأتي ومعهُ الفكاك

حواء — لافرق عنده لانهُ هو الذي يدفعهُ سواء اتى بهِ هو او انا لانهُ هو المأسور عندكم لا هذا الافرنجي

الشيخ — فهمت فان اباك يريد ان يحرمني من هذين القرشين

حواء — لو كان ابي يريد ان يحرمك من شيء ما كان سلمك نقل الحجاج من غير مقابل

فسحب الشيخ سحبة طويلة من شبقهِ ثم قال لها لاخلاف بين الاقارب ولا بدَّ من الاتفاق فاخبريني كم تريد ملكة الانكليز ان تدفع عن اخيها

حواء — هذا ليس اخا الملكة

فضحك وقال ليس اخا الملكة ما دام في قبضة يدي ولكن خذيه الى مدينة يصير اخاها

حواء — مهما كان نسبهُ فابي الموكّل بهِ وقد وعد بان يهتم بامرهِ كما يهتم بنفسهِ واول شيء يقال غداً في بلاد الافرنج ان ابي ارسلهُ الى حميهِ في البرية كي يسلبهُ اموالهُ

الشيخ — الحق ليس عليَّ بل على بنتي التي تزوجت رجلاً من سكان المدن

حواء — بل الحق على ذلك الرجل لانهُ اصلح بينك وبين والي مصر ولولا ذلك لحلَّ بك الدمار وسلمك نقل الحجاج الى الحجاز فاعطاك عشرة الاف ناقة تشرب بنتها

الشيخ — انت بنتي وابوك ابني فهات اخبريني كم كيس حضرت معك

حواء — اذا كنت في حاجة الى شيء فابي يساعدك كما ساعدك مراراً ولكن اذا كنت تطلب منهُ فكاكاً لاجل هذا الرجل الموكّل هو بهِ والذي كان يجب عليك ان تركبهُ على اجود جيادك وتردهُ الينا فانا لم آتِ بقرش واحد

الشيخ — هذا من العجائب

حواء — لا شيء من العجائب فانا هنا لا سيف معي ولا رمح فلماذا لا تقبض عليَّ وتأسرني وتطلب من ابي فكاكي . اطلب منهُ عشرة آلاف كيس فيدفعها اليك واذا لم يكن عندهُ هذا المبلغ استقرضهُ من اخوانه في كل المسكونة وقال لهم ان شيخاً من مشايخ البدو اسر بنتي ولا

يطلق سبيلها ما لم ادفع له عشرة آلاف كيس ولم يقل لم ان له الف فضل على هذا الشيخ ولولاه ما رضي عنهُ محمد علي ولا استطاع نقل الحج الذي كسب بهِ عشرة آلاف جمل ولا قال لم ان هذا الرجل حمي ابو زوجتي.

الشيخ — ما هي نسبة هذا الافرنجي اليكم فانهُ جاء الى بلادنا كما يجيء غيره من الافرنج ليفتش عن الكنوز في الخرائب ومعهُ كتاب توصية الى ابيك مثل كل من يأتي من الافرنج الى هنا لان عند ابيك اموالاً كثيرة فيستطيع ان ينفق عليهم واهلهم يدفعون الاموال لاقاربكم في بلاد الافرنج فهو يبيتهم اليوم و يستوفي منهم غداً فلا تطمعوا عليَّ اعطوني الفي كيس فكاكاً بدل الاربعة الآلاف ومئة جمل ديةً لارملة الشيخ سالم وخذوا اخا الملكة

حواء — اما الجمال فتعطى لهذه الارملة واما الفكاك فليس المراد فيهِ كثرة المبلغ وقلتهُ كما تعلم فان كنت في حاجة الى المال فابي يقرضك الفي كيس او يعطيك اياها ولكن انت ترى يا جدي انهُ لا يمكن ان تخلط بين هذا الرجل والمال الذي تحتاج اليهِ فان سلامة هذا الرجل يتوقف عليها اسم ابي وشرفهُ وكان يجب عليك ان تلبسهُ الفر حلة عندك وتركبهُ على اجود جيادك كما قلت لك وتردهُ الى القدس سالمًا اكرامًا لاسمك وشرفك

فتنفس الصعداء ثم قال هل آتي بيني رشاد من مرابعهم الى هذا القفر لكي اردهم فارغين فقولي لي يا بنتي كم تدفعون فكاك هذا الرجل قولي في اليوم لانهُ قد لا يعيش الى الغد

حواء — وماذا جرى لهُ

الشيخ — اظنهُ جن فانهُ طلب مني ان اسمح لهُ بالذهاب الى جبل موسى بعد ما ذهب خادمهُ باروني الى القدس فسمحت لهُ والظاهر ان جرحهُ التهب عليهِ او ضاقت نفسهُ من الامر فرجع الينا مجنونًا مثل قيس وهو الآن في خيمتي ويحسب انهُ لا يزال على جبل سينا وقد مضى عليهِ خمسة ايام محمومًا وقال لي شداد بن عمرو انهُ يموت في اليوم السادس ان لم نسقهِ مرارة السمندل وهذا الطائر لا يوجد في هذه القفار. وانتِ ماهرة في الحكمة فانظري في علاجهِ لانهُ ان مات ضاع عليَّ الفكاك وعلى ابيك الحلوان الذي كنت عازمًا ان اخصهُ بهِ

فاسودَّ الضياء في عيني حواء لما سمعت هذا الكلام. ودخل حينئذٍ فخر الدين فوقف مبهوتًا لما وقع نظرهُ عليها وقال لهُ الشيخ كيف حال الامير الافرنجي الآن. فدنا من حواء وسلم عليها مسرعًا وجعل يتوسل اليها لتذهب معهُ وترى تنكرد. فقالت لهُ اظنك انت ايضًا تخاف لئلاً يموت فتخسر نصيبك من الفكاك. فنظر اليها نظر الآسف وقال كلاَّ يا اختي فان وجودي هنا كان بالاتفاق. فقالت اليك عن هذا الكلام لئلاَّ اشك في صداقتك كما اشك

في صدقك . فقال اواه لو عرفته لصدقتني اذا قلتُ لكِ اني افتديهِ بنفسي . ثم اسرَّ اليها قائلاً اني كنت عازماً على الهرب بهِ ولولا ذهابهُ الى جبل سينا لكنا الآن في القدس. فقالت هل ذهبتَ معهُ الى جبل سينا . قال كلاَّ لانهُ لم يرد ان اذهب معهُ ولكن واحداً من البدو الذين ذهبوا معهُ اخبرني انهُ صعد الى الجبل وحدهُ وبقي هناك يوماً وليلةً ولما نزل تغير كثيراً وصار كلامهُ سريعاً وصارت عيناه تقدحان شرراً وقد اخذتهُ الحمى من ذلك الحين وصار يهذي. وانا معهُ دائماً اصلي لاجلهِ وامسح جبينهُ باللبان فتعالي معي اليهِ يا حواه تعالي يا عزيزتي فاني لا اثق باحد غيركِ ولو رأيتهِ اوسمعت صوتهُ ما كنت احتاج ان اتوسل اليكِ بل كنتِ تبادرين اليهِ من تلقاء نفسكِ وا اسفاه انكِ لم تنظريهِ ولا سمعتِ كلامهُ والاَّ ما كان احد منا في هذا المكان

البقية بعدُ

الصين والبكسر

اذا شاخت الممالك وجدَّ بها الهرم انتابها الضعف وحلت بها المصايب والويلات فهي في ذلك اشبه بالانسان الذي بعد بلوغهِ سنَّ الهرم عرضة لانواع الامراض والعاهات لا يعرف كيف يدرأ عنهُ هجماتها المتوالية ولا يستطيع التخلص من فعلها اوكأنَّ تلك الممالك الاشجار تبسط فروعها زماناً ثم يغزوها السوس وتيبس عروقها فلا تعود صالحة الاَّ لان تقطع . هذه مملكة الصين قديمة العهد بالعمران والتمدن ما قصر اهلها في الزمان الغابر في العلوم والاختراعات وكان لهم الحكومات المنتظمة على ما هو معروف في تلك الدهور على انها ما لبثت ان وخطها الشيب ووقرت ظهرها السنون فرزحت تحت حملها وباتت ينخر عظامها الفساد الاداري ويلازمها الضعف والانحطاط حتى صارت في ما نقلتهُ الينا الرسائل البرقية واخبار البرد من الانشقاق وخروج القوم من المشاغبين على الحكومة والتظاهر بالكره الشديد للاجانب ومبشريهم والمتنصرين من اهل البلاد والاثخان فيهم قتلاً وجرحاً اضف ذلك الى ما في البلاد من الضيق وانحطاط التجارة فيها وتكاثر الرشوة تعلن ان الصين بلغت سنَّ الشيخوخة وكاد عمرها الطويل ينقضي ولعلَّ ابناء القرن العشرين يرون انصرام اجلها واستبدالها بما هو اصلح منها للبقاء

وقد فجأ نبأ البوكسر او الملاكمين العالم المتمدن حين لم يكن من يظن في الصين ما يماثل تلك العصابة وقد اتى الملاكمون اعمالاً جعلتهم وجهة انظار العالم المتمدن بما سفكوهُ من دماء الاوربيين وبما لقيهُ منهم جنود حكومة الامبراطورية. وقد تفاقم الخطب وازداد الجزع بعد

الذي اشتهر من كثرة اعضاء هذه الفئة حتى باتوا يقدّرون بالملايين. وعهد الاجانب بالبُكسر قريب ولذا كثر تحدّث الناس بامرهم اليوم وبات جميع من يطالع الرسائل البرقية والجرائد السياسية يتساءلون عنهم وعن غايتهم ومطالبهم وعددهم ومقامهم من حكومة الصين

وقد تبين بالبحث ان الصين مموّة بالجمعيات السرية وان هذه الجمعيات على غاية الانتظام فيما يختص بكتم اعضائها لاسرارها وقد انشئت جمعية الملاكمين هذه منذ عهد قريب والغاية منها اصلاح بعض ما اختلّ من امور البلاد والاهتمام بالرياضة البدنية لتقوية الجسم. وتفسير اسمها بلسانهم السيف الكبير على ان كثرة المنضمين اليها والمنضوين تحت لوائها ابدلت هذه الغاية باخرى والتوى القصد على مؤسسيها فلم يسفر صبح سنة ١٩٠٠ حتى بلغ عدد الملاكمين نحو اثني عشر مليوناً منهم اللص وسفاك الدماء وقاطع الطريق والثائر على الحكومة وكثيرون من الفلاحين الذين اعماهم الجهل وجاشت في صدورهم نيران التعصب ولهم جميعاً في كرههم الاجانب وعدائهم للدين المسيحي وتباعهم جامعة تربطهم بعضهم الى بعض على ان جهلهم وتعصبهم لم يحولا دون تنظيمهم للقتال واستعدادهم للدفاع عن مبادئهم وبلوغ غايتهم من طرد الاجانب واقرار الاسرة المالكة. وقد شهد لهم البعض بحسن التدريب وجودة الاسلحة واعترف بقدرة قوادهم وضباطهم. ولما رأى الملاكمون الاجانب يزدادون ثروة ونفوذاً في بلادهم والمبشرين يجولون في اصقاعها عمدوا الى لايقاع بهم لرغبتهم في اعادة البلاد الى ما كانت عليه

اما الصينيون فلم يكونوا كالاوربيين يجهلون امر البُكسر (الملاكمين) والظاهر ان حكومة الصين كانت تمالئهم سرًّا وتحركهم بما اشتهر عنها حديثًا من بغضها للاجانب ولم يكن الا القليل حتى نقلت الرسائل خبر مقتل المبشر الانكليزي بروكس وهو يوغل في داخلية البلاد فالقي القبض على القاتل لكنه لم يلبث ان فرّ ويعدّه الملاكمون اليوم بين خيرة قوادهم ويفاخر به اهل ولايته الاقوام وهو سفاك دماء لم يكن قتل المبشر هذا اول عهدهم بذبح البشر ثم الحق به غيره من المسيحيين الوطنيين والاجانب والحكومة تنظر الى اعمال البكسر بعين الرضى يجهزوا على من بقي . وقد قال مكاتب التيمس في بكين ان الامر الامبراطوري الذي صدر في السادس من يونيو برئ البكسر ولا يلقي عليهم تبعة ما يفعلون بل يلقي التبعة كلها على الذين تنصروا من الصينيين ويصف البكسر بانهم شركة اخوية ولا يقول انهم عصاة . ولا يشير اقل اشارة الى قتل المرسلين وينسب تخريب سكة الحديد واملاك المرسلين الى قوم لا اخلاق لهم انضموا الى البكسر وهم ليسوا منهم لكي يستفيدوا من هذا الاضطراب وهو يطلب من رجال الحكومة ان يعاقبوا هؤلاء الناس

لكنَّ دول اوروبا قامت تطالب الصين بحماية الاجانب والمتنصرين وهددتها كما يتهدَّد القوي الضعيف اذا هي لم تصدع بالامر فلما شاءت الصين قمع ثورة البكسر عجزت عنهم فدحروا جنودها في مواقع القتال وهي على ما هي عليهِ من الجبن وسوء التنظيم والظاهر ان سفك الدماء جرَّأ الثائرين وملأ قلوبهم بحبّ الظفر واقتحام المخاطر فلم تستطع الجنود ان تثبت امامهم والذي يؤخذ من الرسائل البرقية وتقارير معتمدي الدول ان الحالة في الصين تنذر بالخطروان الدول اذا لم تنظر في الامر نظر المهتم المسرع كان لها عن قريب في الصين ما يشغل بال ساستها ويفتح عليها ابواباً مغلقة لم تكن في الحسبان . والذي يخشاهُ العارفون ان الجنود الصينية ليست بمأمونة ان تثبت على ولاء حكومتها لا سيما مَن كان منها في عاصمة البلاد ولعلّها تخرج على الحكومة وتنضمُّ الى الثائرين. ذلك ما حدا بالسفراء الى طلب المعونة فارسلت الجنود الاوربية تباعاً الى بكين ولا تزال القصائل تسير اليها لحماية السفارات ورعايا الدول الاجنبية ويرى المهاجرون من الاوربيين ان لا بدَّ من خضد شوكة الثائرين وقمعهم قبل ان يستفحل امرهم ويصبوا نقمتهم على اعدائهم الذين تنقصهم وسائل الدفاع

وقد بعث ضابط الى قومهِ في بلاد الانكليز رسالة يصف بها ما لاقاهُ احد اصحابهِ من عصابة صينية مما يدلُّ على مكر هولاء القوم وقساوتهم البربرية فرأينا ان ندمجها في ما تقدم

قال كنت اتجر بالاخشاب على نهر ايراودي فخرجت ذات يوم الى الصيد والقنص يصحبني دليل من ابناء البلاد وبعض رجالي لكن لم ارَ صيداً كما كنت اتمنى وبعد يومين جاءني الدليل فقال في جوارنا قطيع من الايائل فانشأ فيَّ هذا الخبر ما يعرفهُ المولعون بالصيد فاعددت حوائجي للمسير في الغد فبينما انا اعلل النفس بما ساصادفهُ من النجاح وقد اخذتني الخفّة والطرب طلع عليَّ معاون بوليس الناحية ومعهُ اثنا عشر جندياً فدخل مضربي وجلس يحدثني ويُنبئني بسبب مجيئهِ اليَّ قال

نحن نازلون في اقليم سطا عليهِ لصٌّ من اكبر لصوص هذه البلاد البس سكان الاقليم لباس الخوف والجزع وقد رأى الاهالي من اعمالهِ وشهدوا من توفيقهِ ما حملهم على الايقان بانهُ محروس بالعناية الصمدانية وانَّ الموت لا يجرأُ على الدنوِ منهُ . ومن غريب ما يروى عنهُ ان رجال الشحنة طاردوهُ وجماعتهُ غير مرة فقتلوا من قتلوا منهم واسروا من اسروا وغنموا اسلابهم لكنهم لم يستطيعوا اسر الزعيم حتى اذا ما سكن جاشهم وبدأ الناس يتناسون حديثهُ هبَّ من حيث لا يدرون فصبَّ نقمتهُ على البلاد والعباد . قلنا وما اسم هذا الزعيم قال اسمهُ طن جوين وقد اتخذ مقامهُ في قرية تبعد عن مكاننا هذا وحاول الكثيرون اسرهُ فساروا اليهِ جماعات

كان نصيبها الاخفاق والخيبة فضاق أُولو الامر بهِ ذرعاً حتى انهم اعدُّوا جائزة سنية لمن يأتي بهِ اسيراً او يحمل اليهم رأسهُ ووعدوا بمكافأة من يدلهم على مخبإهِ او يرشد رجال الشحنة اليهِ. وظلَّ المعاون يحدثني بحديث اللص حتى هدأ الليل فقمنا نلتمس الراحة وفي الغد ازمعنا على السفر كلٌّ في وجهتهِ واذا رجل جاء يسعى الى محلنا والتمس ان يرى المعاون فاذن لهُ فانبأهُ ان في طاقتهِ ارشادهُ والجنود الى ملجإ اللص واشترط عليهِ ان يضمن لهُ الجائزة والبراءة عن سوابقهِ اذ كان من عصابة الزعيم وقد شاركهُ في كثير من فظائعهِ. فتقدم اليَّ المعاون أن انصرهُ على اللص لعلنا ندركهُ ونريح البلاد من شرهِ فوعدتهُ خيراً لما آنستهُ في نفسي من الميل لاستطلاع امر الرجل

ورأى المعاون ان يتنكر وثلاثة من رجالهِ فيجدُّوا في طلب اللص وان يبقى سائرنا في المحلة لانهُ خال ملابس الجنود تنم بغرضهم فتطير الاخبار الى اللص فيفرّ الى حيث لا يستطاع لحاقهُ. واسرع المعاون ورجالهُ بتبديل ثيابهم وساروا حثيثاً لعلهم يأخذون غريمهم على غرَّة منهُ وكان المخبر قد سبق فقال ان الزعيم مقيم مع اثنين من عصابتهِ فقط فليس ما يستدعي الاكثار من المهاجمين. واذ مضى يومٌ ولم يعد المعاون تنازعني القلق والخوف فسرت بمن بقي من رجال الشحنة اقتفي آثارهُ ولم نزل نجدُّ في السير حتى اتينا وادياً واذا ثلاثة اشلاء ملقاة على الارض فتأملناها فاذا هي جثث الرجال الذين رافقوا المعاون فاقشعرَّت ابداننا وعلمنا ان غريمنا داهية صعب المراس على اننا لم نلقَ المعاون ولم نعثر على جثتهِ فانتشرنا هناك نبحث عنهُ ولم يكن الاَّ كطرفة عين حتى استوقفنا صراخ احد رجال الشحنة فهرعنا اليهِ نسائلهُ الخبر فأومأ بيدهِ الى حيث رأينا ناقل خبر الزعيم الى المعاون مصلوباً على جذع شجرة وقد سمرت يداهُ ورجلاهُ باوتاد غلاظ واسودَّ بدنهُ فارتعدت فرائصنا من هول هذا المنظر وللحال دفنَّا القتلى وسرنا في طلب القتلة وكاد الظلام يخيم فارتأيت ان نبيت تلك الليلة حيث كنا اذ أَبيتُ السير في الادغال والآجام في الظلام الدامس على جهلنا الطريق. وبينما نحن مشتغلون باعداد الطعام جاءني احد الرجال يسعى وقد اعدمهُ الخوف قوة النطق ولما سكن روعهُ شيئاً قال لي بلهفة مرَّ بنا من هذا المكان فانهُ مسكن الارواح والابالسة قلت وأين الارواح قال سمعت اصواتاً تنبعث من الهيكل المجاور وعندي ان الشيطان نازل هناك فاذا بتنا مكاننا لم نأمن على حياتنا ان يسترقها الخبيث. فامرتهُ ان يسير بي الى الهيكل ولما اجتزنا الباب ابصرت في احدى الزوايا شبحاً اشبه الاشياء بصنم بوذه وكان يتشنج ويهدر هدير الجمل فدنوت منهُ وتأملتهُ فاذا هو معاون البوليس وقد جرَّدوهُ من ثيابهِ ودهنوا بدنهُ بضرب من الجير وسدُّوا فاهُ وشدُّوا وثاقهُ واجلسوهُ مربوطاً كما يُرى في اصنام

بوذه عادة وكان على رأسهِ قبعة مخروطة الشكل وقد تبدى في هيئة تضحك الثكلى فاسرعنا الى حلّ وثاقهِ واتيت بن تقلهُ الى المحلة حتى اذا ما استراح من عنائهِ اخبرنا كيف ان اللص وعصابتهُ اوقعوا برفاقهِ واقعدوهُ موثقاً مسدود الفم كما وجدناهُ وكان مدة اسرهِ في الهيكل يحاول ان يسترعي سمع المارَّة بأنينهِ المتواصل .

فهاج بنا حديثهُ محبة الاخذ بالثار ولما كان لا يزال متعباً ضعيفاً غادرناهُ وبعض الرجال في احدى القرى المجاورة وسرنا في طلب اللصوص فلقينا في سيرنا صنوف العذاب وانواع المشقات وكان احدنا اذا زلت قدمهُ غاص في الوحل الى عنقهِ واصابنا جهد شديد ومشقة في استخراجهِ وانقاذهِ هذا فضلاً عن الابخرة السامة التي كانت تتصاعد من الآجام . وباشد ما لقينا من الحشرات والهوام والدبابات وبينها العلق على اختلاف اصنافهِ وتفاوت حجمهِ من الصغير الذي يبيعهُ الصيادلة الى علق الفيل الذي يزيد طولهُ على شبر وكانت هذه الدبابات تعلق بنا وتمتص من دمائنا فكنا نقف عن السير لنتخلص منها . ونحو المساء بلغنا مرتفعاً من الارض فجلسنا نستريح من عناء السفر ونتعلل بالاكل والشرب ولم يكن الا كحسو الطير حتى علت ضجة فهرولت مسرعاً الى حيث ابصرت ما لا انساهُ مدى العمر وذلك انني رأيت الطاهي منطرحاً على الارض وقد لصق بعنقهِ اربع علقات امتصت دمهُ وهو نائم فاسرع من رفع العلقات عنهُ لكنها كانت قد قضت عليهِ وكان طول واحدتها اكثر من شبرين وهي اشبه شيء بالقربة المملوءة ماء فدفناهُ وثارهُ الرجال بقتل قاتلاتهِ

وخطر لي ان السير في الاجمة متعذر او مستحيل فعدنا ادراجنا حتى بلغنا اليابسة وقد توارت الشمس بالحجاب فتابعنا المسير حتى بلغنا القرية حيث غادرنا المعاون فاذا هو احسن حالاً من قبلُ على انَّ نجاتهُ من الموت لم تكن الا لتزيد فيهِ حب الانتقام من خصمهِ وفي الغد دخل علينا الخادم وقال بالباب أمرأة تطلب مقابلتك فامرناهُ بادخالها فتعل وخلاصة حديثها ان اللص سباها وحملها الى مخبائهِ حيث ظلت نحو اربعة اشهر واذ ضجر منها اطّرحها وابعدها عنهُ فارادت الانتقام منهُ ووعدتنا ان تسير بنا الى حيث نجدهُ واكدت لنا انها على خبرة وهداية من الطريق فسمعنا لقولها وعزمنا على الاستعانة بها فسارت بنا في سبل متعرجة اشتبكت فيها اغصان الاشجار حتى اتينا بحيرة كبيرة فيها جزيرة وفي الجزيرة بيوت وكان هناك ثلاثة زوارق والطواف كثيرة وكانت الشمس في الهاجرة والحرّ شديداً جداً فرأينا ان نأخذ اعداءنا على غرة وهم في القيلولة فعبرنا البحيرة الى الجزيرة حيث ربطنا الزوارق ووكلنا حراستها الى بعض الرجال وسرنا نطلب القرية وفيها ثمانية بيوت وكانت السكينة مخيمة عليها فدخلنا اربعة بيوت

واسرنا من فيها قبل ان يشعر بنا احد لكن الاسرى نبّهوا من بقي من العصابة بصياحهم وعويلهم واذا ستة رجال طلعوا من البيوت الاخرى وطفقوا يجرون نحو الشاطئ فصبَّ عليهم رجالنا رصاص البنادق فقتلوا منهم اثنين وجرحوا آخرين. فلما رأى من بقي ان لا مناص لهم القوا بنفوسهم في البحيرة يريدون التخلص سابحين لكنهم لم يكادوا يغطسون في الماء حتى حام حولهم العلق ولصق بهم يمصّ دماءهم فاسرع بعضنا الى زورق فركبوهُ ودفعوهُ نحو السابحين وكان زعيم اللصوص ممسكاً بخيزرانة كبيرة يسبح عليها وقد لصق به علقٌ كثير فرفعوهُ ورفقاءهُ الى الزورق وعادوا بهم الى الشاطئ حيث عمدنا الى اغاثتهم ومداواتهم على ان الزعيم وواحداً من رجالهِ ماتا لكثرة ما سال من دمائهما. ثم شددنا وثاق الاسرى وحملنا ما كان في بيوتهم من الغنائم وعدنا الى محلتنا حيث افترقنا فسار المعاون بمن معهُ الى مركز عملهِ وعدت اطلب الايائل. انتهى

وعصابات اللصوص كثيرة في تلك البلاد ومثلها الجمعيات السرية وكلها دليل على الفساد وقرب الدمار كما تكثر الآفات في الجسم الحي اذا تولاهُ السقم وقارب الانحلال

افعال الاطفال

للشهير تشارلس داروين

[المقتطف. لا ابهج للعين ولا اسرَّ للخاطر من ان ترى زوجاً وزوجة وضعا طفلهما امامهما ينظران اليهِ ويرقبان حركات يديهِ ورجليهِ ومناغاته فيحييهما بالبأْبأة والابتسام. وقد لا يخطر لهما ان كبار العلماء يراقبون حركات الاطفال الآن ويستنتجون منها حقائق علمية جليلة الشان. واول من بحث في ذلك الشهير تشارلس داروين صاحب المذهب الداروني المنسوب اليهِ وقد كتب مقالة في هذا الموضوع نشرت اولاً في مجلة العقل منذ ثلاث وعشرين سنة ولكن لم تعطَ حقها من الشهرة لقلة من يقرأ تلك المجلة العلمية فنشرت الآن ثانية في مجلة العلم العام الاميركية. وقد رأينا ان ننقلها الى العربية لاننا نعلم ان كل الوالدين والوالدات يودون ان يراقبوا افعال اطفالهم ويعرفوا اسبابها ويفهموا مغازيها. قال داروين]

ان ما نُشر في مجلة العقل حديثاً مترجماً الينا من ابحاث المسيو تاين دعاني الى مراجعة اوراق كتبتها منذ سبع وثلاثين سنة عن واحد من اولادي. وكنت ارقبهُ جيداً واكتب حالاً كل ما اراهُ منهُ وكان غرضي من ذلك ان اعرف دلالة ملامح الوجه فادمجت بعضهُ في

كتابي الذي الفتهُ في هذا الموضوع وفيهِ امور اردت نشرها الآن لتقابل بما نشره المسيو تاين وغيره من الذين يبحثون في هذا الموضوع . ويظهر لي ان الزمن الذي تظهر فيهِ القوى المختلفة يختلف باختلاف الاطفال

فعل ابني في الايام السبعة الاولى بعد ولادتهِ افعالاً كثيرة مما يسمّى بالافعال المنعكسة (اي التي يفعلها الحيوان لا عن فكر وروية بل طوعاً للمؤثرات الخارجية) كالعطاس والفواق والتثاؤب والتمطّي والرضاع والبكاء . وفي اليوم السابع لمست اخمص قدمهِ بقطعة من الورق فدفعها من امامي مسرعاً واطبق اصابعها كما يفعل الولد اذا دُغدغت قدمهُ . ويستدلُّ من هذه الحركات القسرية على ان عجز الطفل عن الحركات الارادية ليس ناتجاً عن ضعف عضلاتهِ بل عن ضعف مركز الارادة . ورأيت حينئذٍ انهُ اذ مسّ وجههُ بالكف وكانت الكف دافئة ناعمة تحرَّك فيهِ الميل الى الرضاع وهذا فعل منعكس و فعل غريزي لانهُ لا يعقل ان الاختبار علَّم الطفل في ذلك السن ان لمس اليد يشبه لمس ثدي امهِ لهُ . وكان في الاسبوعين الاولين يضطرب ويرمش عينيهِ اذا سمع صوتاً فجائياً وشاهدت مثل ذلك في طفل آخر من اولادي في الاسبوعين الاولين من عمرهِ . ولما صار عمرهُ ٦٦ يوماً اتفق اني عطستُ مرةً فجفل شديداً وبكى كثيراً وبقي في حالة الاضطراب العصبي ساعة من الزمان وهو يجفل لاقل صوت يدوي يجفل ويرمش عينيهِ كما سمع صوتاً . ولما صار عمرهُ ١١٤ يوماً هززت صندوقاً صغيراً من الورق فيهِ مسكّرات امام وجههِ فجفل ولكنهُ لم يجفل حين هززت ذلك الصندوق امام وجههِ فارغاً . ويستنتج من ذلك ان رمش العين الذي يقصد بهِ وقايتها من الاذى لم يكتسب بالاختبار . وبقي حتى صار عمرهُ ١٢٤ يوماً ولا يعرف ان يميز مركز الصوت ليحول بصرهُ اليهِ

اما من جهة البصر فرأيت ان عينيهِ حدقتا الى مصباح وعمرهُ تسعة ايام ولم تحدقا الى شيء آخر حتى صار عمرهُ ٤٥ يوماً. ولما صار عمرهُ ٤٩ يوماً ادنيت منهُ عذبة (شرابة) حمراء فحدَّق اليها وبطلت حركات يديهِ . وصار عمرهُ سبعة شهر ونصف شهر ولم يصر قادراً على اتباع الاشياء المتحركة امامهُ بعينيهِ اذا كانت حركتها سريعة . ولما صار عمرهُ ٣٢ يوم درك وجود ثدي امهِ امامهُ وكان على نحو عشرة سنتيمترات منهُ كما ظهر من اشارة شفتيهِ وثبوت مقلتيهِ ولكنني اشك في انهُ ادرك ذلك بالنظر ولا اعلم هل ادركهُ بالشم او بالحرارة او بالوضع الذي وضع فيهِ حينئذٍ امام الثدي

وبقيت حركات اعضائهِ وجسمهِ مدة طويلة اعتباطية لا يقصد بها غرض معلوم تبدو بسرعة كانهُ ينتفض انتفاضاً الاَّ حركة واحدة وهي حركة يديهِ الى فيهِ فانها كانت مقصودة وكان

يستطيعها قبلما صار عمره ٤٠ يوماً . ولما صار عمره ٧٧ يوماً جعل يمسك الرضاعة بيمينهِ (لان بعض غذائهِ كان بها) سواء وضع على يمين مرضعهِ او على يسارها ولم يصر يمسكها بيسارهِ الاّ بعد اسبوع مع انني حاولت ان اجعلهُ يمسكها بيسارهِ قبل ذلك . ولما كبر اذا هو اعسر بالوراثة لان جده لامهِ وامهُ وخالهُ كانوا عسراً . ولما صار عمره بين الثمانين والتسعين يوماً جعل يضع كل ما يمسكهُ في فيهِ وبعد اسبوعين او ثلاثة مهر في ذلك لكنهُ كان يلمس انفهُ بالشيء الممسوك اولاً ثم ينزلهُ الى فيهِ . ومسك اصبعي وادناهُ من فيهِ ليرضعهُ لكن يدهُ منعتهُ من رضاعتهِ ولما صار عمره ١١٤ يوماً مسك اصبعي ووضعهُ في فيهِ ولما كانت يدهُ تمنعهُ من ذلك تركهُ من يدهِ حتى استطاع رضاعهُ . وكرَّر هذا العمل مراراً بعد ذلك وكان يحكهُ دائماً دلالةً على انهُ لم يفعلهُ اتفاقاً ولذلك فحركات اليدين الارادية سبقت حركات الرجلين والجسم كلهِ الارادية . لكن حركات الرجلين كانت من اول الامر متعاقبة كأنها حركات المشي . ولما صار عمره اربعة اشهر جعل ينظر الى يديهِ وغيرهما من الاجسام القريبة منهُ ويحول عينيهِ لكي يستجلي الرؤية . وبعد اسبوعين رأيت انهُ اذا ادني جسم من وجههِ وجُعل بقرب يديهِ حاول مسكهُ ولكنهُ قلما يفلح في ذلك ولم يكن يحاول مسك الاجسام البعيدة عنهُ وقلما ارتاب في ان توجيه بصرهِ الى الجسم القريب كان ينبههُ الى تحريك ذراعيهِ ولما صار عمره سنتين واربعة اشهر كانت اختهُ وعمرها ١٤ شهراً امهر منهُ في مسك الاقلام ونحوها مع انهُ استعمل يديهِ باكراً جداً

الغضب لم يكن من السهل تحديد الوقت الذي ظهر فيهِ الغضب ففي اليوم الثامن من عمرهِ عبس وجعَّد ما حول عينيهِ قبلما بكى لكن ذلك قد يكون مسبباً عن الالم والضيق لا عن الغضب . ولما صار عمره نحو عشرة اسابيع أُعطي حليباً بارداً بالرضاعة فعبس كل الوقت الذي كان يرضعهُ فيهِ كأنهُ رجل أُجبر على عمل ما يكرهُ . ولما بلغ الشهر الرابع صار وجههُ يحمرُّ بسرعة اذا غضب فلم تبقَ شبهة في ان القوة الغضبية صارت تظهر فيهِ وقد تظهر لاقل سبب ففي ذات يوم وقعت ليمونة من يدهِ ولم يستطع ان يصل اليها فاغتاظ غيظاً شديداً وجعل يبكي وكان عمره حينئذٍ نحو سبعة شهور . ولما بلغ الشهر الحادي عشر صار اذا أُعطي لعبةً غير اللعبة التي طلبها يرميها من يديهِ ويضربها . وعندي ان ضربهُ اللعبة علامة غريزية للغضب اذ لا يتصور انهُ يحسب ضربها مؤلماً لها . ولما بلغ سنتين وثلاثة اشهر صار يرمي كل من يغضبهُ بما معهُ من الكتب والقضبان ونحوها. وشاهدت ذلك في بعض ابنائي الآخرين ولكنني وجدت البنات لا يفعلنهُ كأنَّ الميل الى الرماية صفة موروثة في الصبيان لا في البنات

الخوف — يترجح لي ان الخوف يظهر في الاطفال قبل غيره بدليل جفلهم وبكائهم من الاصوات التي يسمعونها بغتةً وعمرهم بضعة اشهر . وقتنا بلغ الطفل الذي انا في صددهِ اربعة اشهر ونصف شهر عوَّدتهُ سماع اصوات مختلفة كنتُ اصوتها بجنبهِ لتسليتهِ . وذات يوم شخرت شخرة عالية لم اسمعهُ مثلها من قبلُ فعبس حالاً وجعل يبكي . وبعد يومين او ثلاثة شخرتُ تلك الشخرة عينها سهواً فعبس ايضاً وبكى . وفي نحو ذلك الوقت دنوت منهُ ماشيا الى الخلف لكي لا يرى الاَّ ظهري فنظر اليهِ مستغرباً وكاد يبكي لو لم ادر وجهي اليهِ حالاً فبشَّ وابتسم . ومعلوم ان الاولاد يخافون كثيراً من الظلماء مما لا يدركون حدوده وقد حدث مثل ذلك لهذا الطفل فانني مضيت بهِ الى بساتين الحيوانات وعمره سنتان وثلاثة اشهر فسُرَّ كثيراً برؤية الحيوانات التي مثل ما رآه قبلاً كالغزلان والايائل وبرؤية الطيور على انواعها حتى النعامة ولكنهُ خاف من رؤية خنوزير في اقدامها وكان يقول بعد ذلك انهُ يريد ان يذهب ويرى الحيوانات ولكنهُ لا يريد ان يرى الوحوش في بيوتها . ومن المحتمل ان خوف الاولاد من الوحوش والظلمة موروث فيهم يفسرُ حقيقةً او مما له علاقة بالاوهام التي كانت سائدة على الناس في ازمنة التوحش القديمة . وهذا ينطبق على ما يُعرف من انتقال الاخلاق الراسخة في النفس الى النسل بالوراثة وظهورها في سن الصبا ثم زوالها بعد حين

اللذة — يمكننا ان نستنتج ان الاطفال يشعرون باللذة وهم يرضعون كما يظهر من عيونهم . وهذا الطفل ابتسم وعمرهُ ٤٥ يوماً ورأيت طفلاً آخر ابتسم وعمرهُ ٤٦ يوماً والابتسام في الاثنين كان واضحاً جداً ودليلاً على اللذة لان عيونهما برقت حينئذٍ واطبقت اجفانهما قليلاً وكانا يبتسمان بالاكثر اذا نظرنا اليهما ولذلك يحتمل ان يكون سبب الابتسام عقلياً . وكان الطفل الاول يبتسم بعد ذلك لغير سبب ظاهر كأن سبب ابتسامهِ داخلي فيهِ للذة شعربها في نفسهِ . ولما صار عمرهُ ١١٠ ايام صار يسرُّ اذا وضعنا ملاءة على وجههِ ثم نزعناها عنهُ حالاً وكذلك اذا غطيت وجهي ثم نزعت الغطاء عنهُ وكان يصوت حينئذٍ صوتاً شبيهاً بالضحك فكانت المفاجأة سبب تسليتهِ في هذه الحال كما هي سبب تسلية الكبار . وقبل ذلك بثلاثة اسابيع او اربعة قرصهُ واحد في وجنتيهِ قرصة لطيفة فسرَّ بها حاسباً اياها من باب اللعب فاستغربت ذلك لان عمرهُ كان اقل من اربعة اشهر ولكنني عدت فتذكرت ان اجراء الكلاب والقطط تلاعب من يلاعبها كذلك وهي صغيرة جداً . ولما صار عمرهُ اربعة اشهر ظهر منهُ انهُ يسرُّ بسماع الموسيقى وهنا اول ظهور الطبيعة الفنية او محبة الجميل الاَّ اذا اعتبرت رغبتهُ في رؤية الالوان الزاهية من هذا القبيل فتكون هذه الطبيعة قد ظهرت فيهِ قبل ذلك

العواطف — لعلها ظهرت فيهِ باكرًا جدًّا كما يظهر من تبسمهِ للذين كانوا يعتنون بهِ وسنهُ اقل من شهرين ولا دليل لي على انهُ كان يميز احدًا حتى صار عمرهُ اربعة اشهر. وظهرت حينئذٍ رغبتهُ في الذهاب الى مرضعهِ ظهورًا واضحًا ولكنهُ لم يُظهِر ذلك بدليل علني حتى صار عمرهُ اكثر من سنة فانهُ قبَّل حينئذٍ مرضعهُ لما عادت اليهِ بعد ان غابت عنهُ مدة. ولما صار عمرهُ ستة اشهر واحد عشر يومًا تظاهرت مرضعهُ بالبكاء فاجهش هو اقتداء بها او توجعًا لها. وربت[1] مرةً دمية (لعبة) كبيرة فظهرت فيهِ الغيرة واضحة وكان عمرهُ خمسة عشر شهرًا ونصف شهر. وكان يمكن ان تظهر فيهِ دلائل الغيرة قبل ذلك لو انتبهت الى اظهارها فيهِ

ائتلاف الافكار والاستدلال — اوضح عمل عملهُ يدل على التعقل تركهُ يدي ليستطيع ان يرضع اصبعي كما قلت سابقًا وكان عمرهُ حينئذٍ ١١٤ يومًا. ولما صار عمرهُ اربعة اشهر ونصف شهر صار يضحك من رؤية صورتي وصورتهِ في مرآة. ولا شبهة عندي في انهُ كان اولاً يظنهما شخصين حقيقيين لكنهُ كان يدرك خروج صوتي من ورائهِ ولو كانت صورتي امامهُ فيستغرب ذلك. وكان يسرُّ برؤية صورتهِ في المرآة مثل كل الاطفال وفي اقل من شهرين فهم انها صورة لانني كنت اذا وقفت وراءهُ حينئذٍ وقلبت سحنتي ورأى التغير في صورتي امامهُ التفت الى ورائهِ حالاً كانهُ يعلم ان التغير الذي رآهُ في الصورة انما هو في وجهي. وكان لي ابنة صار عمرها سنة تمامًا صارت تدرك ذلك. وقد جرَّبت وضع المرآة امام القرود فكانت تضع ايديها وراءها ثم تغضب ولا تعود تنظر اليها

ولما صار عمرهُ خمسة اشهر ظهر فيهِ ائتلاف الافكار فصار اذا البسناهُ الثياب التي نخرجهُ بها الى النزهة يغضب اذا لم نخرجهُ الى النزهة حالاً. ولما صار عمرهُ سبعة اشهر صار يعرف اسم مرضعهِ اي صار يقرن صوت اسمها بها فاذا ذُكر اسمها التفت يفتش عنها بعينيهِ. وفي الاربعة الاشهر التالية قرن اشياء كثيرة باسمائها وافعالاً كثيرة بالكلمات الموضوعة لها فاذا قلنا لهُ ان يقبّل احدًا زمَّ شفتيهِ كمن يتهيأ للتقبيل واذا اريناهُ صندوق الفحم قال ح وهي لفظة كان يطلقها على كل شيء وسخ. ولما كاد يبلغ الشهر التاسع صار يقرن اسمهُ بصورتهِ التي يراها في المرآة فكلما ذُكر اسمهُ التفت الى المكان الذي فيهِ المرآة. وبعد ان صار عمرهُ تسعة اشهر ادرك ان الجسم الذي يلقي ظلاً على الحائط امامهُ يكون خلفهُ فصار اذا رأى ظلاً امامهُ على الحائط يلتفت الى ما وراءهُ ليرى الجسم الذي احدثهُ. وقبل ان بلغ السنة كان معنى الجملة القصيرة يرسخ في ذهنهِ بعد ان تتكرر عليهِ مرتين او ثلاثًا. ويظهر لي ان اوضح المزايا

(1) ربت الصبي ضرب بيدهِ على جنبه قليلاً ليدنم

التي يمتاز بها عقل الطفل على عقل اذكى الكلاب الكبيرة هو سهولة ادراك الطفل للصور الذهنية الناتجة من التعليم او المتولدة من نفسها . وما اعظم الفرق بين عقلهِ وعقل السمكة ذات المنقار التي ذكرها الاستاذ موبوس وقال انها وُضعت في حوض وفصل بينها وبين السمك الصغير الذي تأكلهُ بلوح من الزجاج فكانت تراهُ وترمي نفسها على لوح الزجاج لكي تصل اليهِ وظلت تفعل ذلك الى ان وجدت ان رميها نفسها على لوح الزجاج يؤذيها ولا ينفعها . ثم وضع هذا السمك الصغير معها من غير حاجز بينها وبينهُ فلم تعد تهجم عليهِ

لما صار عمر هذا الطفل اربعة اشهر رأيت انهُ اخذ يقلد الاصوات وقد اكون مخطئاً في ذلك ولم اتحقق انهُ يقلد الاصوات حتى صار عمرهُ عشرة اشهر. ولما صار عمرهُ احد عشر شهراً ونصف شهر صار يقلد كل انواع الحركات مثل هز رأسهِ وقولهِ اح اذا رأى شيئاً وسخاً ومثل وضع سبابة يدهِ الواحدة في كف اليد الاخرى حينما نقول لهُ عبارة توضع الاصبع معها على هذه الصورة وكان يبدو على وجههِ السرور اذا فعل شيئاً من ذلك طبق المراد

ولما كان عمرهُ ثلاث سنوات و٢٣ يوماً اريناهُ صورة جدهِ وكان قد رآهُ آخر مرة قبل ذلك بستة اشهر فعرف حالاً انها صورتهُ وذكر حوادث كثيرة حدثت لما رأى جدهُ آخر مرة ولم يكن احد قد ذكرها لهُ بعد رؤيتهِ .

الشعور الادبي — انتبهنا الى اول علامة بدت منهُ تدل على الشعور الادبي لما كان عمرهُ نحو ٢ اشهراً وذلك اني قلت لهُ بصوت التوبيخ "ألا تبوس اباك المسكين" فانزعج من ذلك ثم لما ابعدت عنهُ وجلست في كرسي زمَّ شفتيهِ يريد ان يقبلني ثم جعل يهز يدهُ هزَّة الغضب الى ان رجعت اليهِ وادنيت وجهي منهُ فقبلني وسرَّ كمن صالح خصمهُ . وفعل مثل ذلك بعد ايام ثم صار يتظاهر بانهُ مغتاظ مني ويضربني بيدهِ حتى ادنو منهُ فيقبلني ويظهر السرور والابتهاج وسهل علينا حينئذٍ ان نجعلهُ يفعل ما نشاء . ولما صار عمرهُ سنتين وثلاثة اشهر كان بيدهِ قطعة من الكعك فاعطاها لاختهِ وهي اصغر منهُ مسروراً وقال ددي كريم ددي كريم (ددي اسمهُ للتحبب) وبعد شهرين ظهر فيهِ سوء الظن وصار ينتبه الى الذين يتكلمون امامهُ ويضحكون حاسباً انهم يضحكون عليهِ . ولما صار عمرهُ سنتين وسبعة اشهر ونصف شهر رأيتهُ خارجاً في غرفة المائدة وعيناهُ تبرقان على غير عادتهِ وهو في حالة لم ارهُ فيها قبلاً فدخلت الغرفة لارى ما فعل فوجدت انهُ وجد السكر واخذ منهُ وكان قد نهي عن ذلك . ولم نكن قد قاصصناهُ قط فلا تفسر حالة الاضطراب التي كان فيها الاَّ بان حاسة الظفر وحاسة الضمير الموبخ على فعل ما نهي عنهُ كانتا تتغالبان في نفسهِ فظهر عليهِ الخوف والفرح في وقت واحد.

ثم التقيت بهِ بعد اسبوعين خارجاً من غرفة المائدة وقد لفَّ مريولهُ وهو ينظر اليهِ مضطرباً على غير عادتهِ فاردت ان ارى ما فيهِ فقال لي لا شيء فيهِ لا شيء. فيهِ اتركني لكن كان المريول ملطخاً بقطر المربى. فهنا خداع محكم الطرفين . ومن ثم اخذنا نربي فيهِ ملكة الصدق والمجاهرة بالحق فشبَّ صادقاً حرًّا على احسن ما نشتهي

الخجل — ما من احد راقب الاطفال الاَّ ورأى انهم ينظرون الى مَن يرونهُ اول مرَّة من غير حياء كما ينظر البالغون الى الحجارة او الى الجمادات وسبب ذلك في ما اظن ان الاطفال لا يفتكرون بانفسهم فلا يخجلون مع انهم قد يخافون من الغرباء . وراقبت اول سمات الخجل في طفلي وعمرهُ نحو سنتين وثلاثة اشهر وذلك انني غبت عن البيت عشرة ايام فلما عدت نظر اليَّ نظر الخجول وهو يجتهد لكي لا تقع عينهُ على عيني ولكنهُ لم يلبث ان اقترب مني وجلس على ركبتي وقبَّلني فزالت منهُ كل آثار الخجل

وسائل التخاطب — البكاء (او الزعيق لانهُ لم يكن بكاء بحصر المعنى اذ كان في اول الامر خالياً من سكب الدموع) دليل غريزي على الشدة والضيق ثم صار بكاؤُهُ يختلف باختلاف الاحوال كالجوع والالم وقد رأيت ذلك فيهِ وعمرهُ احد عشر اسبوعاً ورأيتهُ في طفل آخر وهو اصغر منهُ سناً . ثم تعلم ان يبكي بالارادة او ان يقطب وجههُ كمن يريد البكاء اذا مُنع عنهُ شيء طلبهُ . ولما صار عمرهُ ٤٦ يوماً شرع يلفظ بعض الاصوات ليسلي نفسهُ وابتدأ يتبسم ضاحكاً وعمرهُ ١١٣ يوماً لكن طفلاً آخر ابتدأ يضحك وهو اصغر منهُ سناً . وابتدأ حينئذٍ يتقلد الاصوات كما اشرت سابقاً ولما صار عمرهُ خمسة اشهر ونصف شهر لفظ الكلمة دا ولكن من غير ان يقصد بها معنى. ولما صار عمرهُ اكثر من سنة صار يعبر عن مرادهِ بالاشارات مثال ذلك انهُ تناول ورقة واعطاني اياها واشار الى الموقد لانهُ كان قد رآني مرارًا كثيرة احرق فيهِ الورق . ولما صار عمرهُ سنة كاملة اخترع كلمة للطعام وهي كلمة مَمْ ولا اعلم ما جعلهُ يضع هذه الكلمة للطعام[1]. ومن ثم لم يعد يبكي حينما يجوع بل صار يقول مَمْ مَمْ كأنهُ يأمر بها امرًا من يطعمهُ او يرضعهُ وكان يسمي السكر شوم ثم لما تعلم معنى كلمة اسود صار يسمي رب عرق السوس شوم اسود. وكان اذا استعمل كلمة مم بمعنى الامر يشدد الميم الاخيرة ويكون صوتهُ حينئذٍ صوت من يسأل مهتماً بالسؤال . وكانت طبقة الصوت ترتفع في آخر لفظهِ . وقد استنتجت بعد ذلك ان الانسان كان يعبّر عمَّا في ضميرهِ بتغيير برج صوتهِ قبلما صار يستعمل الكلمات ذوات المقاطع

(١) المقتطف كلمة مم يستعملها الاطفال في سورية ومصر للخبز

وخلاصة القول ان الطفل يعبر عن مرادهِ اولاً بالبكاء الغريزي ثم ينوّع ذلك وبعض هذا التنويع يفعلهُ بالطبع لا بالقصد وبعضهُ يفعلهُ بالقصد على ما ظهر لي فيعبر عن مرادهِ بهيئة وجههِ وبالاشارات وباختلاف نغمة صوتهِ او برجهِ واخيراً يستعمل الكلمات التي يسمعها وهو يتعلم الكلمات التي يسمعها بسرعة فائقة . ويفهم اغراض الذين يعتنون بهِ وعواطفهم من هيئة وجوههم . ولا شبهة في ذلك من حيث فهمهُ لمعنى التبسم ويظهر لي ان الطفل الذي ذكرت احوالهُ هنا كان يفهم مراد من ينظر اليهِ نظر الحب والانعطاف وعمرهُ خمسة اشهر او اكثر قليلاً

ولما كان عمرهُ ستة اشهر رأى مرضعة تدعي البكاء فظهرت عليهِ دلائل الحزن . ولما ناهز السنة كان ينظر الى الذين حولهُ بعد ان يعمل عملاً جديداً كأنهُ يريد ان يعرف تأثيرهُ فيهم . وكان يسر ببعض الوجوه اكثر مما يسر بغيرها وعمرهُ نحو ستة اشهر ولعلَّ ذلك لم يكن ناتجاً عن اختلاف يراهُ في الوجوه بل عما يرى فيها من البشاشة او الانقباض . وقبلما بلغ السنة صار يفهم درجات الاصوات واشارات الوجه وكلمات كثيرة وجملاً قصيرة وفهم اسم مرضعهِ قبل ان وضع كلمة من الاكل بخمسة اشهر . وهذا هو المنتظر قياساً على العجماوات فانها تفهم معاني بعض الكلمات التي تسمعها





السوس

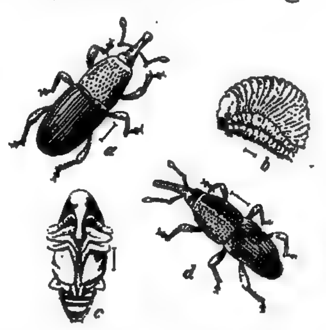
وضع المستر فودن سكرتير الشركة الزراعية الخديوية رسالةً في هذا الموضوع وصف فيها سوس القمح وسوس الارز ناقلاً ذلك عن رسالة نشرها ديوان الزراعة في الولايات المتحدة الاميركية وقد اعتمدنا عليهِ في ما يلي

ترى هذين السوسين مرسومين في الشكل التالي فان الحيوان المرسوم بجانب الحرف *a* هو سوسة القمح مكبَّرة جدًّا وطولها الحقيقي مثل طول الخط الذي قرب الحرف *a* . والحيوان المرسوم عند الحرف *b* هو صورة هذه السوسة حينما تكون دودة وهي مكبرة ايضاً وطولها الحقيقي مثل طول الخط الذي قرب الحرف *b* . والحيوان المرسوم عند الحرف *c* هو صورة هذه

السوسة حينئذٍ تصير زيزاً اي تدخل حالة السكون التي تمرُّ عليها كل الحشرات فان السوس مثل غيره من الحشرات يكون بيضاً في اول امره ثم يصير دوداً يخرج من البيض ويأكل وينمو ثم ينضمُّ على نفسهِ ويسكن ويصير زيزاً ثم ينهض من رقادهِ وتظهر اجنحتهُ ويصير حشرة مجنحة

والحيوان الذي عند الحرف d صورة سوس الارزّ وهو صغير ايضاً مثل سوس القمح ويمرُّ على الاطوار الاربعة المتقدم ذكرها مثل سوس القمح اي يكون بيضاً ودوداً وزيزاً ثم يصير حشرة مجنحة

والسوس منتشر في كل المسكونة ينتقل بالحبوب من مكان الى آخر . وهو في البلاد الحارة يعيش في المخازن وخارج المخازن وقد يفتك بالحبوب قبل خزنها واما في البلاد الباردة فلا



a سوسة القمح . b دودتها . c زيزها . d سوسة الارزّ

يعيش خارج المخازن ولذلك لا يتلف الحبوب الاَّ بعد خزنها فيها . وضررهُ في الحالين كبير جدًّا . لان الحبوب التي يأكلها السوس لا تعود تصلح طعاماً للانسان ولا علفاً للحيوان . وقد تفرَّ بأكلها . ولا تصلح بذاراً لان السوس يتلف الجرثومة النامية فيها واذا لم يتلفها اكل الغذاء الذي حولها فتنبت ضعيفة

سوس القمح — وطنهُ سواحل بحر الروم وهيئتهُ لا تخفى على احد وهو اكبر قليلاً من سوس الارزّ . والسوسة تثقب الحبة بخرطومها وتبيض بيضة في الثقب وتتولد من هذه البيضة دودة صغيرة تأكل ما في الحبة وقد تبيض بيضتين او اكثر في الحبة من الحبوب الكبيرة . والمدة اللازمة لتولُّد الدود والسوس تختلف باختلاف الاقاليم من حيث الحرّ والبرد فتقصر في البلاد

الحارّة وتطول في البزرة والمرجح ان السوس يتولّد خمس مرات او اكثر في القطر المصري في السنة الواحدة . وهو يصيب القمح والشعير والذرة والحمص والفول وما اشبه

سوس الارز — يشبه سوس القمح لكنهُ ضارب الى البياض وفي اغمديه اللذين يغطيان جناحيهِ اربع نقط حمر وهو اقدر على الطيران من سوس القمح وكان وطنهُ بلاد الهند لكنهُ انتشر الآن في المسكونة وهو يتلف القمح والشعير والذرة ونحوها كما يتلف الارز لكنهُ لا يصيب الارز غير المقشر. ولهُ اطوار مثل اطوار سوس القمح اي انهُ يكون بيضاً فيصير دوداً وزيزاً وسوساً . ولا يقتصر على أكل الحبوب بل يأكل ايضاً الدقيق والبقسماط والمكروني وما اشبه مما يصنع من الدقيق

علاج السوس — ينقسم العلاج الى نوعين الاول منعي والثاني دوائي ويراد بالعلاج المنعي منع السوس من الوصول الى الحبوب وذلك اولاً بدرس الحبوب حالاً بعد حصادها لكي لا تكون فرصة للسوس ليضربها . ثانياً بنقلها الى الاهراء (المخازن) حالاً بعد درسها والحذر من مزج الحبوب المسوسة بالنظيفة من السوس. ثالثاً بتنظيف المخازن جيداً وذر الجير (الكلس) الحي فيها مدة ثم كنسهُ منها قبل وضع الحبوب فيها. واذا امكن فلتكن ارض المخازن صلبة خالية من الشقوق وكذلك جدرانها صقيلة مدهونة بالجير. اي يجب ان لا يكون في المخازن شقوق وخاريب يختبئ السوس فيها من سنة الى أخرى. رابعاً ان خزن مقدار كبير من الحبوب في مخزن واحد عرمة واحدة خير من تفريقهِ في مخازن كثيرة لان السوس يكتفي غالباً بالحبوب السطحية ولا يغور في العرمة كثيراً الا اذا قلبت من وقت الى اخر

هذا من حيث العلاج المنعي او من حيث الوقاية من السوس اما العلاج الدوائي اسي الدواء الذي يميت السوس ويمنع تكاثرهُ فهو ثاني كبريتيد الكربون وهو سائل صاف لا لون لهُ شديد الرائحة كريهها غالباً يتبخر بسرعة ولا يبقى منهُ شيء وهو سام جداً وشديد الالتهاب . فتبلّ خرق بهذا السائل وتوضع على الحبوب تحت سطحها قليلاً فيستحيل بخاراً بسرعة وبخارهُ اثقل من الهواء فينتشر بين الحبوب ويقتل ما فيها من السوس . واذا كانت الحبوب كوماً كبيرة في المخازن تدهن الاكياس الفارغة بهذا السائل وتبسط على الكوم فينتشر بخارهُ بين الحبوب ويميت السوس. واقة من هذا السائل تكفي لالف وستمئة اقة من الحبوب. وهو يطير بسرعة فلا يبقى منهُ شيء في الحبوب ولا من رائحتهِ ولكن لا يجوز ان تدنى منهُ النار او قنديل مشتعل لانهُ يلتهب بسرعة

امراض جذور النبات

كتب الينا احد الفضلاء من طرابلس الشام يقول

يصيب اشجار الليمون عندنا ضربة لم نعرف حتى الآن اسبابها ولا علاجها وقد ابتدأت بالبرتقال بنوع البزرة منهُ اي الذي اصل شجره من بزرة برتقال ولم يطعّم اصلاً فالشجرة التي تصاب بذلك يبتدئ اليبس فيها بغتةً ولو كانت كبيرة سليمة البدن . وبعد قلعها لا يرى لها جذور صغيرة شعرية (كتانة) واما بقية جذورها الغليظة فتوجد مهترية سوداء . وقد اتلفت هذه الضربة جانباً كبيراً من اشجار البرتقال . واعدمتها كلها في بعض الاماكن . وظننا ان سببها مكروب استحجار جذور البرتقال البزرة ولكن لم يمضِ وقت طويل حتى عمّت الضربة انواع البرتقال المطعم على كل انواع الليمون . ولقد عالجنا الاشجار المضروبة بزيت الغاز والكلس (الجير) وماء البحر والزبل على انواعهِ فلم نرَ نجاحاً يذكر حتى الآن .

ثم سألنا الكاتب عن التراب المعروف بابيض اسبانيا وسنجيب عليهِ في باب المسائل . اما مرض الجذور فامرهُ هامٌ جداً ولذلك بحثنا عنهُ في بعض المظان حتى اهتدينا الى رسالة فيهِ في تقرير ديوان الزراعة الاميركية لسنة ١٨٩٥ للدكتور نيل والاستاذ ريلي فلخصنا منها ما يلي

(١) ان هذه الضربة مسببة عن ديدان صغيرة تسطو على الجذور وتصيب جذور التين والعنب والبرتقال والخوخ (الدراقن والشكل المرسوم على الصفحة التالية صورة جذور الخوخ المضروبة) وغيرها من الاشجار اذا كانت ارضها رطبة لا ينزح الماء منها بسهولة

(٢) ان بعض الاصناف يصاب بها اكثر من اصناف اخرى من نوع واحد من الشجر . والجذور السريعة النمو اللينة القوام اكثر تعرضاً لها من غيرها

(٣) ان الشجر الذي تصاب جذوره يقع ثمره وتسقط اوراقهُ وييبس حالاً حتى يقول العامة انهُ اصيب بصاعقة

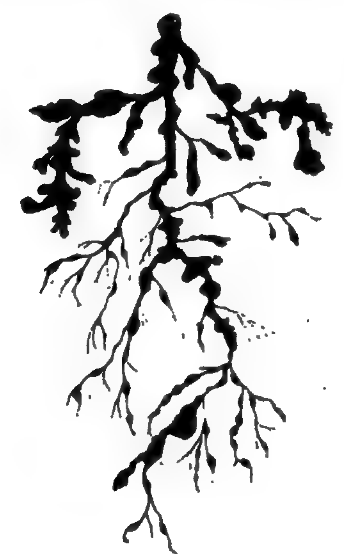
(٤) اذا اصيب البرتقال والخوخ وما اشبه بهذه الضربة زالت جذورها الشعرية وظهر في جذورها الاخرى عقد كبيرة كما ترى في الشكل

(٥) البرد الشديد يميت الديدان التي تسبب هذه الضربة والحرّ الشديد والجفاف الكثير يميتانها ايضاً

(٦) الاشجار الكبيرة المثمرة اذا اصيبت بهذه الضربة وكانت شديدة لم ينفعها شيء من قاتلات الحشرات لانها تقتل الاشجار كما تقتل الحشرات ولكن اذا كانت الضربة خفيفة فالسوائل

القلوبة من ٣٠ ليبرة الى ٤٠ لكل شجرة او جير (الكلس) الحي او كبريتات البوتاس والرماد تفيد كثيراً ولا سيما اذا تكرر استعمالها

(٧) انهُ لابدَّ من جلب التراب الذي تغمر بهِ جذور الاغراس وقت غرسها من عن سطح الارض حيث يكون التراب خالياً من الديدان بتعرّضهِ لحرارة الشمس



جذور تخوخ مصروبة بضربة العقد

(٨) النمل الاسود الصغير الذي يعيش في مخاريب الاشجار يغور في الارض ويأكل الديدان التي تتلف الجذور فيجب ان يترك شأنهُ ولا يُتلف لانهُ يساعد في اتلاف الحشرات. وجفاف الارض يساعد على نمو هذا النمل ورطوبتها تمنع نموهُ فهذه فائدة أخرى لجفاف الارض

(٩) لا تصيب هذه الضربة كل نوع جنس الواحد من الشجر على حدّ سوى في

الليمون مثلاً قلما يصاب بها النارنج (ابو سفير) والحامض ولذلك تختار هذه الانواع على غيرها وتطعم بطعم البرتقال اذا اريد ان تحمل برتقالاً

(١٠) ان هذا الدود خطي ميكرسكوبي صغير جداً طول الدودة منهُ حال ظهورها نحو جزء من سبعين جزءا من العقدة وقطرها من وسطها جزء من الفي جزء من العقدة ثم تكبر الانثى وتغلظ كثيراً قبل ان تلد حتى يصير طولها نحو خمس عقدة ويكون في جوفها حينئذٍ نحو مئة وستين دودة وشكلها كمثري

هذا ويظهر لنا ان ضربة الجذور التي تشيرون اليها مسببة عن هذه الحشرات او عمّا هو من نوعها وان جفاف الارض خير علاج لها وكذلك مزج التراب بالكلس او نحوهِ من المواد القلوية

النيل والقطن

ابتدأ الفيضان في البحر الابيض في ميعادهِ وفي البحر الازرق قبل ميعادهِ فارتفعت المياه في خرطوم رويداً رويداً حتى بلغت متراً او اكثر فوق الصفر بعد ان هبطت الى اكثر من ستين سنتمتراً تحتهُ وسارت السفن في البحر الازرق بعد ان انقطعت عن السير فيهِ وبلغ مقياس اصوان ذراعاً واحد عشر قيراطاً في ٢٥ الشهر بعد ان هبط الى ٤ قراريط تحت الصفر وزاد منسوب المياه في القناطر الخيرية فبعد ان بلغ ١٢ متراً و٩٢ سنتمتراً ارتفع الى ١٣ متراً و١١ سنتمتراً . وكانت الحكومة قد فرضت ان لا يروى القطن الا مرة كل ٢٨ يوماً فغيرت ذلك لما وردت المياه وسمحت ان يروى مرة كل ٢٢ يوماً وربما قصرت المدة اكثر من ذلك. والمرجح الآن ان الموسم لا يقل عن ستة ملايين بالة ولكن لو بلغ هذا المبلغ لم يزد على ما يطلب منهُ لان متأخرات القطن عموماً قليلة جداً هذا العام تبلغ نحو ٥٣١ الف بالة وكانت في العام الماضي مليوناً و٣٥٩ الف بالة فهي تقل عنها في العام الماضي ٨٢٥ الف بالة ومتأخرات القطن المصري قليلة ايضاً تبلغ ١٨٢ الف بالة وكانت في العام الماضي ١٩٢ الف بالة وفي الذي قبلهُ ٢٠٠ الف بالة وكذلك متأخرات القطن الهندي قليلة فانها ٦٠ الف بالة وقد كانت في العام الماضي ١٨٨ الف بالة ولا بدَّ من ان يحتاج الغزالون الى القطن قبل ورود القطن الجديد ويرتفع سعرهُ حينئذٍ ولو قليلاً . واذا روي القطن المصري جيداً وجاد نوعهُ غلا سعرهُ ايضاً ولو زاد مقدارهُ

غلة القطن المصري

بلغ الوارد الى الاسكندرية من القطن من سبتمبر سنة ١٨٩٩ الى ٢٢ يونيو ٩١٤ ر٦٤٣ ,

قنطاراً يقابلها ٣٨٠ ٥٥٧٩ في العام الماضي فالزيادة هذا العام نحو ٨٥٠ الف قنطار وقد ارسل منها ١٦٥ ٣٠٣٣ قنطاراً الى انكلترا و٢٤٩٧٤٣ ٥ قنطاراً الى سائر البلدان الاوربية و٩٧٦ ٥٠٤ قنطاراً الى الولايات المتحدة الاميركية ولم يرسل في العام الماضي الى الولايات المتحدة سوى ٦١٤ ٣٦٩ قنطاراً

بزرة القطن

بلغ الوارد الى الاسكندرية من بزرة القطن حتى ٢٢ يونيو ٤٤٨ ٣٧٣٤ اردباً ارسل منها الى انكلترا ٨٦١ ٢٨٣٩ اردباً والى سائر البلدان الاوربية ٦٧٨ ٣٥٧ اردباً

السكر

بلغ الوارد من السكر الى الاسكندرية حتى ٢٢ يونيو ٢٠٠ ٤٨٨ كيس صدر منها ٩٠٢ ٣٨٢ وكان الوارد في العام الماضي ٢٠٠ ٥٧٥ والصادر منها ٦٢٩ ٥٦٥ كيساً

تجنيس المواشي

اقرّت الحكومة المصرية الآن على اعطاء شيء من المال للجنة التي تعتني باجادة نوع الخيل لكي تعتني باجادة نوع الحمير ايضاً . ولما كانت كلمة "تجنيس" شائعة في هذا القطر بمعنى Cross-breeding لاق باللجنة ان تجعل اسمها لجنة التجنيس او لجنة تجنيس المواشي وان توسع نطاق اعمالها حتى يعم كل الحيوانات الزراعية الخيل والبقر والجواميس والحمير والبغال والغنم والمعزى والطيور على انواعها. ولاق بالحكومة ان تجعل لها ادارة مخصوصة تابعة لنظارة الاشغال او لغيرها من النظارات او للمدرسة الزراعية وتعين لها النفقات اللازمة . فان كل ما في القطر من هذه الحيوانات يجود بالتجنيس اذا روعيت فيه الطرق العلمية

والفرق بين الحيوانات كبير جداً فمن فرس يباع بالف غرش وفرس آخر يباع بالف جنيه ولا فرق في ما ينفق عليهما من العلف وانما الفرق في جنسهما . ومن بقرة تباع بخمسة جنيهات وبقرة اخرى تباع بخمسين جنيهاً او بخمس مئة جنيه ولا فرق بينهما ايضاً في نفقات العلف ولكن بينهما فرقاً كبيراً في اللبن والسمن فالاولى لا يزيد ثمن لبنها وسمنها على ثمن علفها والثانية يزيد عليه خمسين جنيهاً او اكثر في السنة فيحصل ثمنها مناسباً لربحها من لبنها ومن خلفها. وكبش الغنم قد يباع بجنيه واحد وقد يباع بخمسين جنيهاً حسب ما يجتمع في بدنهِ من اللحم وعلى جسمهِ من الصوف وقس على ذلك سائر المواشي والطيور فانها تتفاضل في ثمنها كثيراً حسب نوعها او حسب تجنيسها

واذا كان في هذا القطر ادارة خاصة بتجنيس المواشي وكان لها فروع في كل المديريات والمحافظات واهتمت بعملها اهتمام لجنة اصلاح نتاج الخيل بجلب الفحول الغالية الثمن من البلدان الاجنبية واعطاء الجوائز لمن عنده حيوانات اصلح من غيرها لم تمضِ سنوات كثيرة حتى نرى فرقاً كبيراً في المواشي فتجود الخيل وتقوى ويغزر لبن البقر ويجود لحم العجول وتكثر البغال وتقوى ويطاول صوف الغنم ويسمن ويغزر ويجود لحمها ويكبر البيض ويكثر ويجود لحم الطيور وتربح البلاد من تجنيس مواشيها اضعاف ما تنفقهُ الحكومة على ذلك

ولا ينكر ان دوائر كثيرة من الدوائر الكبيرة التي فيها مديرون من الاوربيين كالدومين ودائرة القصر العالي ودائرة نوبار باشا ودرانت باشا تعتني بتجنيس المواشي كالبقر والغنم كما يظهر مما تعرضهُ منها في المعرض الزراعي ولا ينكر ايضاً ان كبار المزارعين المجاورين لهذه الدوائر يستفيدون من اعتنائها هذا فيشترون منها الحيوانات المجنَّسة او يجنسون حيواناتهم بها . لكن ما يفعلهُ الافراد لا يسد حاجة البلاد كلها ولا بدَّ من ان تقوم جماعة لتوسيع نطاق هذا العمل كما فعلت لجنة اصلاح نتاج الخيل ويجدر بالحكومة حينئذٍ ان تساعدها بالمال اللازم لها لان كل غرش تنفقهُ في هذا السبيل يعود على البلاد اضعاف الاضعاف

موسم القمح في اميركا

تتوقف اسعار الغلال في اوربا وفي هذا القطر ايضاً على مواسم اميركا فاذا جاد فيها موسم القطن والقمح والذرة هبطت اسعارها هناك وفي هذا القطر ايضاً واذا امحلت فيها هذه المواسم ارتفعت اسعارها هناك وهنا. وقد قدَّر ديوان الزراعة حالة موسم القمح في غرة يونيو ٧ و٨٢ في المئة فقط اي اذا كان الموسم البالغ اقصى الجودة ١٠٠ فالموسم الحالي نحو ٨٣ في المئة. ثم زاد القيظ وكثرت الحشرات بعد اول مايو على ما جاء في الغازت الزراعية الانكليزية وكانوا يقدرون الموسم ٦٢٠ مليون بشل فلا يقدَّر الآن باكثر من ٥٥٠ مليون بشل

الفراخ في البيت

اعتاد كثيرون من سكان المدن تربية فراخ الدجاج في بيوتهم لتسمن وتنظف ولكنها قد تضعف وتموت مع شدة العناية بها لا لقلة طعامها بل لانها تحتاج ان تأكل صغار الحصى مع طعامها لكي يسهل عليها جرشهُ وهضمهُ . واذا كانت مما يبيض فلا بدَّ لها من الحجارة الجيرية التي يتكوَّن منها قشر البيض والاَّ خرج رقيق القشر او قلَّ كثيراً . وفراخ البط احوج للحصى من فراخ الدجاج فلا بدَّ لها منهُ ولا بدَّ لها ايضاً من الظل واما اذا تركت في الشمس النهار كلهُ فقد تموت من شدة الحر

باب الرياضيات

السيارات وحركاتها في شهر يوليو ١٩٠٠

لحضرة الاستاذ وست مدير مرصد المدرسة الكلية الاميركية في بيروت واستاذ الفلك فيها

عطارد

عطارد نجم المساء الشهر كلهُ ويبلغ تباينهُ الاعظم وهو ٢٦° و٢ً شرقي الشمس في الرابع من الشهر الساعة ٣ مساء ولذلك يرى بسهولة في الشفق مدة الايام العشرة الاولى من الشهر وسيرهُ من الجوزاء والاسد حيث يكوّن من حركتهِ النصف الاول من العقدة ويتمها في اغسطس وتبقى حركتهُ مستقيمة الى السابع عشر من الشهر الساعة ٦ مساء ويسكن حينئذٍ ثم تصير حركتهُ متقهقرة ويقطع عقدتهُ النازلة في الرابع من الشهر الساعة ٧ صباحاً ونقطة الذنب ظهر الرابع عشر من الشهر

الزهرة

تمر الزهرة باقترانها الاسفل في الرابع من الشهر الساعة ٣ مساء وتصير بعد ذلك نجم الصباح وسيرها في الجوزاء وحركتها متقهقرة حتى الثلاثين من الشهر الساعة ٤ مساء وتظهر حينئذٍ ثابتة وتبلغ بعدها الا بعد عن الشمس في ٢٣ الساعة ١١ مساء

المريخ

المريخ في برج الثور الشهر كلهُ وبازدياد تباينهِ عن الشمس يقل بعدهُ عن الارض ويزيد اشراقهُ رويداً رويداً ويقطع عقدتهُ الصاعدة في التاسع عشر من الشهر الساعة ٨ مساء

المشتري

المشتري نجم المساء وهو ظاهر جداً في برج العقرب في جهة الجنوب وحركتهُ متقهقرة حتى التاسع والعشرين الساعة ١٠ صباحاً حينما تبتدئ حركتهُ المستقيمة

زحل

زحل نجم المساء وحركتهُ متقهقرة في برج الرامي وهو في نقطة الذنب في التاسع من الشهر الظهر

واورانوس في برج العقرب قرب المشتري ونبتون في الجوزاء قرب المريخ . والشمس في الحضيض في الثاني من الشهر الساعة ٣ مساء

اقترانات القمر

	يوم	ساعة			
يقترن بالمشتري	٠٩	٣	صباحاً	فيقع	١° ٣٥َ شمالية
" بزحل	١١	٦	"	"	٠° ٤٨َ جنوبية
" بالمريخ	٢٣	٣	"	"	٠° ٤٤َ شمالية
" بالزهرة	٢٤	٤	مساء	فتقع	٣° ٥٠َ جنوبية
" بعطارد	٢٨	٩	صباحاً	فيقع	٠° ١٦َ "

ويخسف القمرُ زحل والمريخ وقت اقترانهما ولكن الخسوفين لا يريان في عرضنا

اوجه القمر

يوم	ساعة	دقيقة		
٠٥	٠٢	١٩	صباحاً	الربع الاول
١٢	٠٣	٢٧	مساء	البدر
١٩	٠٧	٣٦	صباحاً	الربع الاخير
٢٦	٠٣	٤٨	مساء	الهلال
٠٣	٠٥	٣٠	مساء	في الحضيض
١٥	٠٣	٤٠	"	" الاوج
٣١	١٠	٤٧	صباحاً	" الحضيض



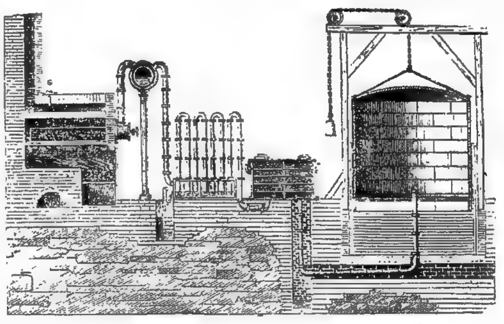
الفحم الحجري وغاز الضوء

سألنا سائل كريم من مشتركينا في حمص عن كيفية استخراج غاز الضوء من فحم الحجر وصورة الآلات التي تستعمل لذلك وكنا قد كتبنا فصلاً مسهباً في هذا الموضوع في المجلد الثامن من المقتطف فنقلنا منهُ ما يلي واضفنا اليهِ ما تتم بهِ الفائدة

للفحم الحجري نوعان مشهوران الواحد اسود حالك برّاق صدّفي المكسر قليل الهيدروجين

يشتعل بلا لهيب وهو المسمّى غالبًا بالانثراسيت . والثاني كثير الهيدروجين ويشتعل بلهيب ساطع ولهُ اشكال كثيرة تختلف لونًا وقوامًا ومكسرًا ويطلق عليها اسم الفحم القاري . والفحم الحجري موجود بكثرة في كل القارات في اسيا واوربا وافريقية واميركا وفي بعض جزائر البحر مبتدئًا من الدور الثاني كما في اوربا ومنتهيًا في الدور الحاضر كما في جبل لبنان . وغالبهُ طبقات بعضها فوق بعض تختلف سمكًا مما لا يزيد على سمك القرطاس الى ما ينيف على الستين والسبعين قدمًا وتختلف اتساعًا من بقع ضيقة الدائرة الى مئات من الاميال المربعة[1] وتفصل بينها طبقات من الصخور والرمال والاتربة مما يقطع بانها تكوّنت في ازمنة مختلفة

والفحم الحجري يستعمل الآن وقودًا في بلدان كثيرة ويستعمل ايضًا للاضاءة لانهُ اذا



احمي خرج منهُ غاز يشتعل بنور ساطع . واوّل من استخرج هذا الغاز واضاء بهِ المنازل رجل انكليزي وذلك سنة ١٧٩٢ ومن ثمّ الى الآن انتشر استعمالهُ في اكثر المدن الاوربية وفي كثير من المدن الكبيرة في اسيا وافرقية واميركا واوستراليا وقد وضعنا هنا صورة الآلة التي يستخرج بها هذا الغاز من الفحم وينقى قبل ارساله الى البيوت . فالموقد في الجانب الايسر من الصورة والنار مضطرمة فيهِ وفوقها حلقين طويلة كاسطوانة طويلة فيها قطع الفحم القاري وهي ظاهرة في الرسم . فتحل الحرارة الفحم فتخرج منهُ بعض الغازات والابخرة وتصعد في الانبوب القائم فيتكاثف ما فيها من الماء والقطران والسائل النشادري ويستقر في الانبوب الثخين الذي لا يظهر منهُ في الرسم الا قطعهُ ويسير الباقي في الانابيب العوجاء المتوالية فيرسب

(١) قال الاستاذ داود باج ان مساحة اراضي الفحم الحجري في الولايات المتحدة وحدها نحو ستماية الف ميل مربع

فيها ما بقي في الغاز من املاح النشادر والمواد الهيدروكربونية التي يمكن رسوبها . ومن ثمَّ يمرُّ الغاز في صندوق لهُ رفوف كثيرة عليها كلس جاف كما يظهر في الشكل فيمتص الكلسُ الحامض الكربونيك والهيدروجين المكبرت من الغاز . وقد يمرُّ الغاز على اناء آخر فيهِ حامض كبريتيك مخفف ليمتصَّ ما بقي فيهِ من النشادر . ولهم طرق واساليب اخرى لتنقية هذا الغاز وما ذكرناهُ اشهرها . وحينما تكمل تنقيتهُ يجمع في اناء واسع وهو المرسوم في يمين الصورة ويضغط هناك باناء اسطواني كبير من الحديد وينقل الى البيوت التي يضاء فيها بانابيب من حديد او نحوهِ ويكون اكثرهُ من الهيدروجين المكربن الخفيف والهيدروجين المكربن الثقيل مع قليل من الهيدروجين والنيتروجين والحامض الكربونيك . ولما كشف تقسيم النور الكهربائي وشاع الاستصباح بهِ اهتمت شركات الغاز باصلاحهِ وتقليل نفقاتهِ وترخيص ثمنهِ لكي يسهل عليها مناظرة شركات النور الكهربائي فكانت تستخرج ٩٥٠٠ قدماً مكعبة من طن الفحم فصارت تستخرج منهُ ١١٤٢٠ قدماً مكعبة وكان يستخرج من المرجل الواحد ٦٠٠٠ قدم مكعبة في اليوم فصار يستخرج منهُ ٩٠٠٠ قدم. وكانت المراجل تملأ باليد والرفش فصارت تملأ بالآلات وصار الجالون الواحد من الماء يكفي لتطهير الف قدم مكعبة من الغاز

واكبر اصلاح في قناديل الغاز وكل القناديل التي توقد فيها مادة غازية استعمال الشبكة الدقيقة التي تحمى باحتراق الغاز فتنير بنور ابيض ساطع يزري بالنور الكهربائي. ثم اضيف الى القناديل هنة فيها مادة تحمى من نفسها بمجرد وقوع الغاز عليها فتشعلهُ ولعلها من اسفنج البلاتين فصارت قناديل الغاز مثل القناديل الكهربائية من حيث سطوع نورها وسهولة اشعالها وهي ارخص منها كما لا يخفى ولكنها تبقى دونها في انها تحرق الهواء وتولد فيهِ غازاً ساماً والقناديل الكهربائية لا تؤثر في الهواء

اسرار الصناعة

لكل صناعة اسرار يحافظ اصحابها عليها ولا يسهل عليهم افشاؤُها واذا افشاها احد من صناعهم عُدَّ مجرماً وعوقب معاقبة المجرمين . وقد بالغت المحاكم الالمانية بالامس في التشديد على كتمان الاسرار الصناعية وذلك ان صانعاً استنبط اسلوباً جديداً لتهذيب المخمل ثم اخبر غيرهُ من الصناع بما استنبطهُ فقال لهُ صاحب المعمل الذي هو فيهِ ان هذا الاستنباط سرٌّ من اسرار معملي ولا يجوز لك افشاؤُهُ لغيري ورفعهُ الى المحكمة فحكمت عليهِ بالعقاب لانهُ لم يكتشف هذا الاكتشاف لولا الوسائل الصناعية التي وجدها في المعمل فما دام مأجوراً فيهِ

فكل ما يصنعهُ ويكتشفهُ ويستنبطهُ هو مستعمل وليس لهُ حق فيهِ ولا يحق لهُ افشاؤُهُ لاحد. وبمثل ذلك تحفظ حقوق اصحاب المعامل والاَّ ضاعت ثمرة الاجتهاد وتساوى المكتشف بالمقلد

المظهر الجديد

يرحّب صناع الصور الشمسية بهذه المادة لانها من احسن ما كشف لاظهار الصور الفوتوغرافية واسمها ادورول adurol وهي تفضل على المظهر المسمى هيدروكوينون hydroquinone وتحتاج الى قليل من القلوي فيستعمل فيها كربونات الصود بدل كربونات البوتاسا وتظهر الصور بها سريعاً جداً والبرد الشديد لا يؤثر فيها او تأثيره قليل في تأخير ظهور الصور. واهم مزايا الادورول قوتهُ الشديدة على اظهار الصور ويبقى فعلهُ على حالهِ الى آخر ما يكون من اظهار الصورة فهو افضل من كل المظهرات من هذا القبيل. وتظهر الصورة بهِ في نحو ثلث دقيقة وتبلغ معظم ظهورها في اربع دقائق. ويقال ان هذا المظهر يصلح لاظهار الصور التي أُخذت على نور ضعيف فلا تظهر جيداً بغيرهِ





قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستجار على المطوَّلة

GENTLEMEN,

I beg you to pardon me for the mild protest which I wish to enter against figures of the heads in profile of a Hottentot and a Gorilla which one of our students has just shown me in a number of the Muktataf, your Magazine, which is so justly esteemed wherever it is known. Both figures have been greatly modified, assimilated to each other. I immediately showed the student reliable figures from standard books on Zoology and Anthropology (Brehm's Thier Leben and Ratzel's

History of Mankind) and the inaccuracy of the figures published in the Muktataf was at once manifest. I believe in the relationship of man to his lower cousins, the brutes; but while the likenesses are great and deserve careful attention, the differences are vast, both in moral and mental attributes and in anatomical structure, and should not be slurred over. Science is or ought to be the standard bearer of the truth, and your publications are its great exponents to the Arabic speaking world, and I feel deeply grieved that any lack of carefulness on your part should have led to the printing of such grossly misleading caricatures as those to which I have referred.

With my kindest regards and my best wishes for the success of all your enterprises, I am,

Yours truly,

ALFRED ELY DAY.

الترجمة

التمس منكم المعذرة عمّا ساعترض بهِ على صورة رأس الهوتنتوت ورأس الغورلاّ التي ارانيها احد تلامذتنا الآن في مقتطفكم المجلَّة التي يُقدَّر قدرها حيث عُرفت فان الصورتين قد حوّرتا كثيرًا وجُعلتا متشابهتين . وللحال اريت التلميذ صورًا يوثق بصدقها من كتب الثقات في علم الحيوان وعلم الانسان ككتاب برم وثبرلين ورتزل فظهر حالاً عدم الدقة في الصورتين المطبوعتين في المقتطف : وانا اعتقد بالقرابة بين الانسان والحيوانات الدنيا . والمشابهات كثيرة بينهُ وبينها وتستحق ان يوجَّه النظر اليها ولكن المخالفات كبيرة في الاوصاف الادبية والعقلية والبناء التشريحي ولا يجوز اخفاؤها . وعلى العلم ان يرفع راية الحق وفي ما تنشرونهُ اعظم مذيع للمعارف العلمية بين ابناء العربية ولذلك يسوءُني جدًّا انهُ بدا منكم شيء من قلة الاعتناء فطبعت في مجلتكم صورتان ممسوختان تضلاَّن الناظر اليهما مثل الصورتين اللتين اشرت اليهما . واني بالاحترام وطلب النجاح لمشروعاتكم المخلص الفرد داي

[المقتطف] نشكر لحضرة الاستاذ داي على ما تكرم بهِ من التنبيه على ما حسبهُ خطأً في المقتطف . وغاية ما نتمناهُ من هذا القبيل ان ننبَّه الى خطاءٍ فنصلحهُ او نقص فنكملهُ . اما الصورتان اللتان اشار اليهما فليستا من بنات افكارنا ولا لعبت بهما يد التبديل والتحسين وانما هما من كتاب شهيد العلم العلاَّمة الاميركي الدكتور ونتشل (Alexander Winchell) استاذ الجيولوجيا والباليئتولوجيا في مدرسة مشيغان الجامعة ومؤلف كتاب مذهب النشوء وكتاب التوفيق بين العلم والدين وغيرها من الكتب المشهورة . والصورتان واردتان في الصفحة ٢٥٣ من كتابهِ Preadamites المطبوع سنة ١٨٨٠ . هذا من حيث مصدرها اما نقلهما عنهُ فكان بالفوتوغرافير وهو اصدق طريقة لنقل الصور فلم نهذبهما ولم نغير فيهما شيئًا . ولا نكر ان

صورة انثى الغورلاً مهذَّبة الشعر وقد انتبهنا الى ذلك واشرنا اليهِ حيث قلنا "وقد هُذِّب شعرها بعض التهذيب " مع ان المؤلف لم يشر اليهِ

هذا من حيث النقل. وهنا مسألة اخرى نستغرب كيف لم يلتفت الاستاذ اليها وهي ان الصور الجنسية Generic images المنتزعة من صور افراد الجنس قد تختلف كثيراً من الصور الشخصية . ويظهر لنا ان صورتي ونثل شخصيتان اي ان الواحدة منها صورة راس امرأة بعينها من الهوتنتون والثانية صورة رأس واحدة من اناث الغورلاً . ومعلوم ان الصور الشخصية لا تنطبق دائماً على الصور الجنسية بل قلّما تنطبق عليها واننا نعرف اناساً من الزنوج شكل وجوههم ابعد عن شكل الجنس القوقاسي واقرب الى شكل الغورلاً من الصورة المرسومة في المقتطف وسنثبت صورة فوتوغرافية من صورهم في الجزء التالي. ولو كان التلميذ الذي اراهُ الصورتين ترجم لهُ ما كتبناهُ عنهما وهو "ان اليمنى منها صورة رأس قردة من القرود المعروفة بالغورلاً وقد هُذِّب شعرها بعض التهذيب . واليسرى صورة رأس امرأة من نساء الهوتنتون " لرأى اننا لم نقل انها جنسيتان بل انها شخصيتان واضفنا الى ذلك ان رأس انثى الغورلاً مهذَّب الشعر. ولو اردنا الصور الجنسية لقلنا ان الاولى منها صورة رأس انثى الغورلاً او صورة الغورلاً والثانية صورة رأس نساء الهوتنتون او صورة الهوتنتون كما قلنا في الكلام على هيكل الانسان وهيكل الشمبانزي . ثم اننا اتبعنا صورة رأس تلك الانثى من اناث الغورلاً بصورة جنسية للغورلاً في الصفحة ٣٧٢ وقلنا في وصفهِ ان فيهِ من الهيئة الوحشية ما يبعدهُ عن كل طوائف الناس مهما انحطت . فيرى حضرة الاستاذ من ذلك كلهِ اننا توخينا البعد عن تضليل الناس جهدنا . ثم قلنا في خاتمة تلك المقالة ما نصهُ

" اذا التفتنا الى نظام العائلة ودرجات ارتقائهِ وتدرَّجنا الى الشعائر الدينية وسلطتها على نفس الانسان والى الآداب والفضائل رأينا البعد بينهُ وبين الحيوان الاعجم يزيد اتساعاً حتى لا يبقى سبيل للريب في ان المرتقين من نوع الانسان قد بعدوا بعداً شاسعاً عن شركائهم في الحيوانية سواء كان ارتقاؤهم هذا خاضعاً لسنن طبيعية سنها الله لهذا الكون او ناتجاً عن عناية خاصة خارقة لسنن الطبيعة "

وقلنا قبل ذلك انهُ " ما من عظمة في القرد الاَّ وتختلف عما يماثلها من عظام الانسان اختلافاً يراهُ علماء التشريح جليًّا ولو لم يرَهُ سواهم " . ومع ذلك فاننا نشكرهُ على حسن ظنهِ بالمقتطف وعلى ما تمناهُ لهُ ونود ان يكرم بتنبيهنا الى كل ما يجدهُ فيهِ من الخطإ ولهُ الفضل

حاجيات العاصمة ومدن القطر الكبيرة

حضرات الدكتورين الفاضلين محرري مجلة المقتطف الاغر

كل من طالع المقالة البليغة المدبجة بقلم حضرة الكاتب البارع خليل افندي ثابت المدرجة في الجزء الرابع من مجلة المقتطف الغراء تحت عنوان "المكاتب ودور المطالعة" يجد فيها من درر المعاني وجواهر الفوائد ما يبعثهُ على تكرار قراءتها واعادة مطالعتها والتمعن في ما جاء فيها من ثمين النصائح وقويم الارشادات

على انني وان كنت اوافقهُ في كل ما خطهُ قلمهُ البليغ ارى القاهرة وغيرها من مدن القطر المصري في حاجة الى ما هو اهم من المكاتب والزم من دور المطالعة العمومية ارى ان الامة المصرية في حاجة الى ما يعدّها للشروع في هذه المشروعات الجليلة من نفسها مندفعة الى ذلك بدوافع داخلية وبواعث يرى كل مصري بواسطتها ان هذه المشروعات هي مما يضطر اليهِ اضطراراً وانها من اهم الحاجيات وليس من الكاليات فقط

يقترح حضرة الكاتب الاديب على اعيان مدينة القاهرة وسائر مدن القطر الكبيرة الذين اشتهر عنهم السخاء والكرم وحب العلم والادب ان يؤلفوا لجنة او لجاناً لانشاء المكاتب ودور القراءة. ولنفرض ان هذه اللجان تألفت وتلك المكاتب ودور المطالعة شيدت وان الجرائد والكتب والمجلات على اختلاف انواعها ولغاتها جمعت في هذه المكاتب فهل نرى من سكان القاهرة ومدن القطر الكبيرة اقبالاً عليها وما هي القوة التي تنقل شبان العاصمة والمتعلمين في مدارسها من قهاوي الرقص والغناء ومحلات اللهو والخلاعة الى اندية القراءة ومحلات المطالعة؟. فالقاهرة وبقية مدن القطر الكبيرة تحتاج قبل المكاتب ودور المطالعة الى ما يمهد السبيل للوصول الى هذه الاماكن المفيدة وينتشل الشبان من وهاد الجهل. الجرّاح الماهر لا يضمد الجرح الاّ بعد ان ينقيهُ من جراثيم التعفن والفساد التي تولدت فيهِ والطبيب الحاذق من منع اولاً سريان الداء ثم انتقل الى اعطاء العلاج والدواء

ومن اهم الوسائط الفعالة التي تمهد هذا السبيل التربية في الصغر وهي كلمة طالما سمعناها وقرأناها ولكننا لم نفتح لها في صدورنا محلاً رحيباً ولكم قرأنا من مقالة بليغة وسمعنا من خطبة انيقة تتلى الواحدة بعد الاخرى وتحث الناس على تهذيب اولادهم وتربيتهم لتنمو الفضائل فيهم فيشبوا ويشب فيهم حب الميل الى العلم والادب ولكن لم يكن لتأثير تلك المقالة من النصيب الاّ مدح كاتبها . ومع اننا نعلم قيمة تهذيب البيت وندرك اهمية تعليم المدرسة للولد الصغير ترانا قلما نعيرها التفاتنا فينمو اولادنا حسب الفطرة والمكان الذي يعيشون فيهِ وتتفتح اعينهم وهم

لا يرون حولهم الأَّ حانات المسكر ودور المقامرة وملاعب اللهو ويرون الناس من كبير وصغير يتسابقون اليها تسابق الجياع الى القصاع فلا يكون من اولئك الصغار الأَّ الدخول اليها آمنين ساكنين فيستقبلون فيها على الرحب والسعة ولا يخرجون منها الاَّ متى فرغ الكيس او متى تعذر على اجسامهم حمل اعباء الشهوات

وللقدوة التأثير الاعظم في اخلاق الشاب وصفاته وعلى الوالدين والاغنياء والوجهاء واصحاب المقامات العالية مسؤولية اكبر مما يخطر لهم على بال . فان الولد حين يرى اباهُ منهمكاً بكاسهِ وطاسهِ يرى ايضاً انهُ مهما فعل وغالى في اتباع اللذات كان معذوراً على ما يفعل . وبعكس ذلك اذا دخل الولد الى بيت ابيهِ ورأى والديهِ مشتغلين بالمباحث الادبية عن العبث في الكلام او شاهد اباهُ يطالع مجلة او كتابا ادبيًا وامهُ مشتغلة باشغالها المنزلية ثم دعاهُ ابوهُ لمشاركتهُ في مطالعاتهِ او مباحثتهِ في بعض المسائل الاجتماعية فانهُ يميل تدريجًا الى حب المطالعة ويشب وهو لا يود ان يرى نفسهُ الاَّ في المجتمعات الادبية وبين المكاتب والمحابر . وما قيل عن الولد في بيت ابيهِ يقال عن الشاب في المجتمع الذي يلازمهُ اذ للمجتمع تأثير على اخلاق الانسان لا يقدَّر . فالعاصمة وبقية مدن القطر الكبيرة تحتاج قبل انشاء المكاتب ودور المطالعة الى قدوة حسنة وافاضل يمشون تعاليمهم . ولا ينكر ان هذا العمل من اصعب الاعمال والاقدام عليهِ يعدُّ من الاعمال الكبيرة يتجشم المقدم عليها كل صعب ويلاقي الاهوال اينما ذهب لان جيش الفساد قد احتل معاقل القلوب ورفع عليها اعلام نصرهِ المبين الاَّ ان للفضيلة تأثيرًا في تدمير هذا الجيش والعاصمة لم تحرم والحمد لله من فضلاء لو اهتموا في مشروع امَّوهُ غير ان اليأس من الحالة الحاضرة قد اخذ من قلوبهم كل مأخذ وغل ايديهم عن الاقدام على افضل الاعمال فالى مثل هؤلاء الافاضل تتجه انظار كل محب للفضيلة والانسانية ويطلب منهم بلسان الامة ان لا يتركوا لليأس في قلوبهم مجالاً

وتحتاج العاصمة ايضاً وبقية مدن القطر الكبيرة الى جمعيات ادبية يؤلفها محبو الآداب والفضيلة ويبذلون جهدهم في تحويل القلوب عن محلات اللهو والخلاعة الى المحلات التي ترقى فيها العواطف والصفات الانسانية . ومن طالع تاريخ هذه الجمعيات وتأمل النتائج العجيبة التي فعلتها في انحاء العالم المتمدن يرى ولا بدَّ ان امثال هذه الجمعيات من اهم المشروعات الادبية الوطنية التي ينبغي ان يتسابق اليها كل من يهمهم ارتفاع شأن البلاد

هذا وانني اشارك حضرة الكاتب الاديب في اسفهِ من الحالة التي وصلنا اليها باقتباسنا من الاوربيين العوائد المضرة واهمالنا الصفات الجيدة . والحق اولى ان يقال ان حالة العاصمة

خصوصاً وبقية مدن القطر عموماً مما يملأُ القلوب حزناً وينذر بخطر مقبل شديد من جراء تهور شباننا الذين تناط بهم رفعة البلاد الى ذرى المجد او حطها الى اسفل دركات الذل

المنيا في ٢٩ مايو سنة ١٩٠٠ — امين مرشاق

ابتهال الى الله ونصيحة للخلق

رحماك يا ربَّ الانامْ ... فالجفن قد هجر المنامْ
"والثغر" أَصبح عابساً ... من بعد ضحكٍ وابتسامْ
بك نستعيذ من "الوبا" ... ولعلنا بك لا نضامْ
فارفع بـلاءك فالورى ... باتت مضاجعهـا ضرامْ
واهدِ العقول لرشدها ... فتهي العقولِ هو المرامْ
فلكم نصحناها وكم ... لمنا ولم يجدِ الملامْ
واليـوم ننصحها عسى ... تجدي النصيحة والكلامْ
يا من غدوتَ من "الوبا" ... تخشى مهـاجمة الحمـامْ
طهّرْ ثيـابك دائماً ... فالطهر ليس من الحرامْ
واهجـرْ غثاثة مأكل ... فعواقب الغث السقامْ
والجسم فاغسلْ جلدهُ ... بالماء من وسخ الرغامْ
لم تلقَ برءًا للوبا ... غير النظافة بالتمامْ
فهي الاساس لمنعهِ ... وبهـا يكون لهُ انصرامْ
وبدونها لا بد ان ... تلقاهُ عاماً بعـد عامْ
فاسمع نصيحـة صادق ... يهوى لعيشتك السلامْ
واعمـل بهـا يا خائفاً ... تلقَ الامانَ على الدوامْ

احمد نسيم

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

ابشركم وابشر كل محبي الوطن السوري من الذين هاجروا الى القطر المصري وغيره من الاقطار اننا شارعون في عمل طالما تمنوهُ وهو انشاء سكة حديدية من دمشق الى قلب بلاد العرب الى مكة المكرّمة وقد قدَّر المقدرون ان نفقات هذه السكة لا تزيد على خمسة ملايين من الجنيهات مع ان طولها نحو الف ميل

دمشق — احد المشتركين

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

دواء الصلَع

الصلع لا يؤلم ولا يتعب ولكن الوجه يتشوَّه بهِ والعين تابى النظر اليهِ ولا سيما اذا اصاب الشبَّان او الكهول . وهو درجات اخفها خفَّة الشعر حتى يكاد جلد الراس يظهر من تحتهِ واشدها زوال الشعر تماماً . وقد لا يقتصر على الراس بل يعمُّ الحاجبين والجفنين والبدن كلهُ من قمة الراس الى اخمص القدم

وقد يكون الصلَع محلياً فتعترى بهِ بقع صغيرة من الراس ويحدث ذلك للشبان والشابات من غير سبب ظاهر لكنهُ يشفى اذا عولج العلاج المناسب ويعود الشعر الى النمو بعد ثلاثة اشهر او اربعة وقد يعود هذا الصلع بعد ذلك ثم يشفى ثانية باستعمال العلاج المناسب ولاسيما اذا كان الشخص المصاب بهِ حديث السن . وهو يعالج هكذا يؤتى بدهون اليود وتدهن بها البقع التي زال الشعر منها مرة كل ليلتين ويصنع مزيج هكذا

صبغة الذراح (الكنثريدس)	اوقيتان طبيتان
حامض خليك (اسيتيك)	اوقية
جليسرين	٢/١ درهم
روح حصى اللبنى (حصليان)	اوقية
ماء الورد	٨ اواقي

وتبل خرقة وتوضع على تلك البقع مرتين في النهار

وقد شاهدنا بدوية شفت ابنة مصابة بهذا الصلع بمسحوق احمر نظنهُ الآن اكسيد الزيبق جبلتهُ بالزيت وكانت تدهن بهِ البقعة الخالية من الشعر فعاد الشعر الى النمو بعد بضعة اسابيع

وكثيراً ما يحدث الصلع من تقشر جلد الراس فيكون علاجهُ بعلاج جلد الراس نفسهِ لانهُ يكون مصاباً بما يشبه داء الاسكربوط ويعالج هكذا : يُصنع مزيج من اربعة اواقي من الصابون ودرهمين من روح حصى اللبن واربع اواقي من السبيرتو المصحح ويفرك جلد الراس بهِ جيداً ثم يغسل من هذا الصابون وينشف

وهذا الغسول قد يجفف الشعر ويحمله قصماً ويهيج جلد الراس اذا استعمل وحده ويمنع ذلك بدهن الراس بعد تنشيفهِ بالبومادا مركبة من المواد التالية

رزورسين resorcine	١٠ قمحات
كبريت مرسب	٢٠ قمحة
دهن الصوف	٠١ درهم
فاسلين ابيض	٠١ اوقية

ويمكن الاستغناء عن البومادا بدهون مركب من نصف اوقية من زيت اللوز ودرهم ونصف من الرزورسين وخمس نقط من زيت الورد وخمس اواقي من السبيرتو المصحح

ولا يجوز ان يدنو مستعمل هذه العلاجات من شمعة مشتعلة او قنديل غاز مشتعل لانها تشتعل حالاً وقد تصل النار الى الشعر فيشتعل ايضاً اذا كان مبلولاً بها لما فيها من السبيرتو والزيت

ملكة الصدق والمجاهرة بالحق

يظن كثيرون من الناس ومن كبار العلماء انهم اذا نشروا القواعد الدينية في الكتب والرسائل والمجلات اصلحوا بها حال الناس وزدعوهم عن المنكرات وجعلوهم ادباء فضلاء كما يجب ان يكونوا . فتصلح البلاد وترتقي وتصير مثل ارقى البلدان الاوربية . ويضحكنا من هؤلاء العلماء اقتناعهم ان ما يكتبونهُ لا يحتاج الاَّ ان يقرأهُ الناس حتى يعملوا بهِ فيصلح حال الدنيا . ولم نرَ وهماً اسخف من هذا الوهم ولا غروراً اشد من هذا الغرور . وبالامس كان احد هؤلاء العلماء يتلو علينا فصلاً كتبهُ في اصلاح السيرة والسريرة وعززهُ بالآيات والاحاديث وكان يتلوهُ طرباً جزلاً لبلاغة عباراتهِ وهو يحسب ان البلاغة اعلق بالنفوس واقرب الى الاقناع من كل الادلة العلمية والاساليب العملية فلما اتمَّ قراءة فصلهِ تلونا عليهِ سطراً واحداً من مقالة نشرناها في هذا الجزء من المقتطف موضوعها افعال الاطفال قال فيهِ الشهير دارون عن احد اولادهِ وكان قد سرق سكراً وانكر ذلك وعمرهُ سنتان وثمانية اشهر " ومن ثمَّ اخذنا نربي فيهِ ملكة الصدق والمجاهرة بالحق فنشبَّ صادقاً حرًّا على احسن ما نشتهي ". وقلنا لهُ هكذا تربى الامة على الصدق والعدل والمجاهرة بالحق بتربية هذه المناقب في اطفالها سواءٌ كان المربون لها شديدي التديُّن اوكانوا ملحدين مثل دارون وهكسلي نعم ان التربية الدينية تساعد كثيراً على التربية الادبية ولكنها لا تفيد الفائدة المطلوبة ما لم تقترن بالارشاد اليومي

في الصغر لتقوية ملكات الخير في النفس ونزع ملكات الشر منها واسهبنا في هذا الموضوع حسب ما اقتضاهُ المقام

وبعد ساعة من الزمان خرجنا لبعض امرنا فرأينا خادماً في بيت جارنا اجلس طفلهُ على مصطبة داخل الباب وعمرهُ نحو سنتين وجعل يعلمهُ ويغرس في ذهنهِ المناقب الادبية التي يمتاز بها كثيرون من الاطفال في هذا القطر وفي كل بلدان المشرق مثل قولهِ "فلان" فيقول الطفل "ابن كلب" واذا اخطأ في لفظها شتمهُ وعلمهُ صحة اللفظ وهزَّ جرًّا مما تعافهُ النفس وتأباهُ الاسماع. فوقفنا ونحن نقابل بين ما فعلهُ داروِن وما يفعلهُ اكثر الشعب الانكليزي في تربية اطفالهم وبين ما يفعلهُ هذا الخادم ويفعلهُ اكثر اهالي هذا القطر في تربية الاطفال فاسودَّت الدنيا في اعيننا ورأينا المستقبل مظلماً مكفهرًّا لان التربية الصحيحة ان لم تكن من الصغر لم تأْتِ بفائدة فكم من رجل من ابناء هذا القطر تلقى العلوم في اعلى المدارس الاوربية ثم هو لا يستطيع ان يكبح جماح نفسهِ عن دنيء الخلل عن الكذب والوقيعة والانتقام وما اشبه مما تترفع عنهُ نفس الحر وما ذلك الا لانهُ لم يربَّ من صغرهِ على مكارم الاخلاق

الاعتناء بالشعر

الشعر جسم حي يغتذي كما يغتذي غيرهُ من اعضاء الجسم فيقوى بالغذاء ويجوع كما يجوع غيرهُ من الاعضاء فيضعف بالجوع . وغذاؤهُ من الدم الذي يرد الى اصولهِ بالاوعية الدموية المتصلة بهِ فكل ما يقوي الدورة الدموية يزيد توارد الدم الى اصول الشعر فيسهل عليهِ التغذية ويقويهِ

التعرُّض نافع وضار

مررنا بالامس على طريق من الطرق الزراعية جنوبي بنها وكان الوقت الظهر تماماً واشعة الشمس تتدفق عمودية كانها هابطة من اتون مضطرم ثم مررنا بجمال تسير الهوينا وعلى رحالها اطفال لا يزيد عمر الطفل منهم على ثلاث سنوات او اربع وهم عراة حاسرون لا شيء على ابدانهم ولا على رؤوسهم وكان الدوم يسيرون بجانب الجمال لا يخافون عليهم ضيماً . ولا شبهة عندنا انهُ لو وقف طفل من اطفالنا حينئذٍ ربع ساعة حاسر الراس لاصيب بالرعن او ببرزة الحائط ولا ينجو اولئك الاطفال من ذلك الا بفعل العادة . لكن اذا عُرِّض عشرة اطفال للشمس لا يعتادها خمسة منهم حتى يموت الخمسة الآخرون

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤَالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤَال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) ابيض اسبانيا

طرابلس الشام. احد المشتركين. ماهي مادة التراب الابيض المرسل لكم الآن واسمهُ ابيض اسبانيا ولاي شيء يستعمل وهل يرجى منهُ نفع لاشجار الليمون او لقتل الميكروب الذي يسطو عليها

ج هو نوع من الطباشير او كربونات الكلس يستعمل في صناعة الدهان وليس منهُ فائدة لاشجار الليمون اكثر من فائدة التراب الابيض المعروف بالحوارى الكثير الوجود في جبال لبنان ومنهُ فائدة قليلة كما ذكرنا في الكلام على ضربة الليمون في الجواب على سؤَالكم الآخر في باب الزراعة من هذا الجزء

(٢) قدم الانسان

امبابه. الخواجه نعمان عوض. يذكر على حواشي التوراة المطبوعة في بيروت بالمطبعة الاميركية ان الله خلق الارض قبل المسيح باربعة آلاف سنة واربع سنوات. وقد قرأنا في بعض الكتب ان مريت باشا مؤَسس دار التحف المصرية قدَّر اول حكم العائلة الاولى المصرية منذ ٥٠٠٤ سنين قبل المسيح. ومفاد ذلك ان العائلة المصرية الاولى حكمت مصر قبل خلق الارض او قبل خلق آدم ابي البشر بالف سنة فمن اين هذا الخلاف البيّن

ج ان ما ذكرهُ مريت باشا اما انهُ صحيح او قريب من الصحيح ولا خلاف الآن في ان الانسان وُجد على وجه الارض منذ اكثر من سبعة آلاف او ثمانية آلاف سنة وقد يكون وجد فيها منذ عشرين الف سنة او اكثر. وما ذكر على حواشي التوارة مأْخوذ من جمع اعمار الآباء وبعض التواريخ لكن علماء الديانة المسيحية لا يعوّلون عليهِ الآن ولذلك تراهم قد حذفوهُ من النسخ التي طُبعت حديثاً

(٣) عمر الارض

ومنهُ. قد جاهر بعض العلماء ان عمر الكرة الارضية مئة مليون سنة وقال غيرهم ان عمرها ستون مليوناً وغيرهم ان عمرها عشرون مليوناً فقط فكيف تباينت هذه الآراء تبايناً فاحشاً وهو ليس من التوراة

ج ان الانسان لا يستطيع ان يحكم بعمر بيت بناهُ ابوهُ ان لم يكن تاريخ بنائهِ مذكوراً فكيف يستطيع الحكم البات في عمر الارض لكن العلماء ينظرون الى بعض الفواعل الطبيعية ويقيسون فعلها السنوي ثم يرون نتيجة فعلها كلها ويقيسونها بهذا المقياس فيصلون الى نتيجة تقريبية. مثالهُ لنفرض ان النيل يترك على الارض ملمتراً واحداً من الطمي كل سنة ولنفرض اننا وجدنا سمك طبقة الطمي في جهة من الجهات عشرين متراً فاذا كانت القوى الطبيعية تفعل على وتيرة واحدة كما هو الراجح فهذه الطبقة قد رسبت من النيل في مدة عشرين الف سنة . والعلماء يحسبون عمر الارض من امور مثل هذه فبعضهم يحسب عمرها من تكوُّن طبقاتها وبعضهم من برد سطحها وبعضهم من غير ذلك فتختلف النتائج التي يصلون اليها باختلاف المبادىء التي يعتمدون عليها في تقديرها . والنتيجة المجمع عليها الآن ان الارض قديمة جداً يتجاوز عمرها عشرة ملايين من السنين من حين بردت وصارت صالحة لسكن الاحياء

(٤) ترجمة هوميروس

ومنهُ . هل عُرِّب كتاب هوميروس الشاعر اليوناني وهل نُقل الى الفرنسوية ومن ترجمهُ اليها

ج نعم عرَّبهُ ونظمهُ سليمان افندي بستاني ولم يطبعهُ حتى الآن ولكننا طبعنا فصلاً طويلاً منهُ في المجلد الحادي والعشرين من المقتطف وترجمهُ الى الفرنسوية كثيرون نثراً مثل مدام داسيه وبتوباي ولبرون ودبجاس مونيل وجيجه وبسونو وشعراً مثل رشفور وانيّن وبنيّن

(٥) الشقر بين المصريين

ومنهُ . ان أوصاف المصريين والمستمصرين لا تخفى على احد ولا سيما الفلاحين وكلهم سود الشعور مرتفعو الاصداغ سمر الالوان ولكن في القطر المصري اماكن كثيرة كما في مركز امبابه سكانها شقر الشعور بيض الالوان ليس فيهم شيء من الشكل المصري المعروف فكيف يعلَّل اصلهم

ج سكن القطر المصري كثيرون من اليهود والسوريين من قديم الزمان وحاولوا عدم الامتزاج باهله فبقي شكلهم محفوظاً ثم استوطنهُ كثير من الروم والجركس ونحوهم من امم الشمال فلا يبعد ان يكون بعضهم قد حافظوا على اصلهم ولم يمتزجوا بالسكان الاصليين ومنهم تولَّد الناس الذين تشيرون اليهم

---

(٦) باني الحرم

القدس الشريف . ا . ع من بنى الحرم الشريف المنسوب الى عمر بن الخطاب وفي اي سنة تم هذا البناء

ج ان كتَّاب الافرنج مختلفون في ذلك فالعلاَّمة فرغوسن يقول ان قبة الصخرة هي

كنيسة الملك قسطنطين التي بناها على القبر المقدس وقال الباحث لون ان البناء كان هيكلاً للمشتري بناهُ هدريانوس . ويظهر من وصف اركلفس الاسقف الفرنسوي الذي زار القدس سنة ٦٧٠ للميلاد ان مذهب فرغوسن هو الصواب وانهُ كان في الحرم حينئذٍ بناء كبير من الخشب يسع ثلاثة آلاف من المصلين . ثم بنى الحرم الخليفة عبد الملك الاموي سنة ٦٩١ للميلاد (٧٢ للهجرة) وهدم البناء بزلزلة فبناهُ المأمون . ويظهر من شكل البناء انهُ مزيج من ازمنة مختلفة وهذا غاية ما وقفنا عليهِ من هذا القبيل

---

(٧) الهالوش

طرابلس الشام . س . ي هل من وسيلة لمنع اضرار الهالوش بالنبات

ج من افعل الوسائل لمنع ضررهِ قتلهُ سمًّا بالبطاطس والزرنيخ او اطلاق الخنازير في الارض التي يكثر فيها فتنبشهُ من تحت التراب وتأكلهُ . وقد يمكن ان يصاد ليلاً ويقتل

---

(٨) حكام مصر

مصر . محمد افندي عمر . من كان حاكمًا على مصر في عهد الملك شارلمان الفرنسوي .

ج تولى هذا الملك من سنة ٧٦٨ مسيحية الى سنة ٨١٤ فلما تولى كان الوالي على مصر يزيد بن حاتم المهلبي وخلفهُ عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج سنة ١٥٢ للهجرة وخلفهُ اخوهُ محمد سنة ١٥٥ وبقي في الولاية ثمانية اشهر وتوفي وخلفهُ موسى بن علي . وخلفهُ عيسى بن نعمان سنة ١٦١ . وخلفهُ واضح المنصوري الخصي سنة ١٦٢ وخلفهُ منصور بن يزيد بعد اربعة اشهر وخلفهُ يحيي بن داود بعد شهرين وخلفهُ سالم بن سواده في غرة سنة ١٦٤ . وخلفهُ في غرة العام التالي ابرهيم بن صالح . وخلفهُ موسى بن مصعب سنة ١٦٧ وقتل في العام التالي وخلفهُ اسامة بن عمرو وعزل بعد شهرين وخلفهُ الفضل بن صالح . وخلفهُ علي بن سليمان سنة ١٦٩ . وخلفهُ موسى بن عيسى سنة ١٧١ . وخلفهُ مسلمة بن يحيي بن غرة سنة ١٧٢ وخلفهُ محمد بن زهير سنة ١٧٣ وعزل حالاً وخلفهُ داود بن يزيد بن حاتم وهلمَّ جرًّا . ومدة حكم شارلمان ٤٦ سنة تقلَّب فيها على مصر نحو ٤٦ واليًا حتى لا تستقر رجل الوالي فيها الاَّ ريثما يحصل منها كفافهُ . وبمثل ذلك تنحط البلدان فلا عجب اذا كان سكان مصر ١٢ مليونًا او اكثر وقت الفتح فلم يبقَ فيها سنة ١٨٠٠ سوى مليونين

(٩) الروح والدم

ومنهُ . هل الروح هي الدم

ج لا نعلم ماذا تريدون بالروح . اما الدم فمعروف وهو ليس شيئًا آخر غير الدم .

واذا اردتم بالدم الحياة فهي غير الدم لان الدم جسم مادي معروف والحياة شيء غير مادي فلا يدرك بالمشاعر وهي تشبه ان تكون قوةً حالّة في المادة الحية او هي الصفة التي تفرق بها المادة الحية عن غير الحية

---

(١٠) السخرة في مصر

مصر. يوسف افندي نحاس . نرجو ان تخبرونا عن السخرة وما كانت عليهِ قبل الاختلال وهل ابطلت الآن تماماً اولم تزل باقية في احوال معينة

السخرة قديمة في القطر المصري جدًّا وكان لا بدَّ منها لما كانت البلاد كلها تروى بما يسمى بري الحياض ولم يكن منها ضرر حينئذٍ من حيث ابطال الاعمال لانهُ لم يكن للناس عمل زراعي وقت الفيضان والخروج لتطهير ترعهم وتقوية جسورهم . وكانت فائدة ذلك عائدة على الجميع لانهم لم يكونوا يعملون الاَّ في ما حولهم ولكن لما ادخل محمد علي باشا الزراعة الصيفية بتعميق الترع اشتدَّ عناء السخرة وصارت فائدتها خاصة غير عامة وصار المسخرون ينقلون من مديرية الى غيرها ويجبرون على العمل كل فصل الصيف . قال لينان باشا ان تعميق الترع الصيفية الكبيرة لزم لهُ حفر ١١٠ ملايين متر مكعب توازي اجرتها ثلاثة ملايين وثلثمئة الف جنيه حفرها الفلاحون بالسخرة . ثم جاء سعيد باشا فسخر الفلاحين في حفر ترعة السويس وتلاهُ اسمعيل باشا فسخرهم في حفر الترعة الابرهيمية بعد ان جمعهم من كل المديريات ولم يكن فائدة من تلك الترعة حينئذٍ الاَّ في ري اطيانهِ. وكان الكبراء والعظماء يشغلون الفلاحين بالسخرة اقتداء برأس الحكومة فكان الفلاحون يعملون في تطهير الترع وتقوية الجسور ستة اشهر من ١٥ يناير الى ١٥ يوليو . ويعملون في حفظ الجسور ثلاثة اشهر من اول اغسطس الى اول نوفمبر وعليهم ان يحضروا معهم الفؤوس والمقاطف والطعام ويناموا في العراء بل كانوا مضطرين ان ينيروا مصباحاً على كل خمسين متراً على نفقتهم. وفي ايام محمد علي عدَّ الذكور من ابن ١٥ الى ابن ٥٠ وكان ربعهم يخرج للسخرة كل ٤٥ يوماً مدة الصيف ثم قلَّ هذا العدد رويداً رويداً حتى صار الذين يخرجون للسخرة كل ٤٥ يوماً ثمن المكلفين فقط

ولا تزال السخرة الآن ولكنها قليلة جدًّا فيدعى الناس لحفظ جسور بلادهم اذا خيف من الغرق لا غير

(١١) ابطال السخرة

ومنهُ . قرأت في بعض الكتب ان اسمعيل باشا ابطل السخرة عند ما تولى فهل ذلك صحيح

ج لا يظهر لنا انهُ صحيح لان اسلوب

الري حينئذٍ كان يستلزم السخرة كما ترون من جواب سؤالكم الاول وهو زاد في اثقال السخرة ان الزم الاهالي بحفر الترعة الابرهيمية. واول امر بتخفيف السخرة صدر في ٢٥ يناير سنة ١٨٨١ في عهد الخديوي السابق. وحدّدت حينئذٍ الاعمال العمومية التي تعملها الحكومة بالسخرة ويقال في المادة الخامسة منهُ ما نصهُ " العونة (السخرة) واجبة على كل اهالي القطر الذكور السليمي البنية البالغ سنهم ١٥ سنة فما فوقها الى ٥٠ سنة " واستثنت من الخروج للسخرة العلماء والفقهاء والمدرسين وطلبة العلم والذين في التكايا والاديرة والمستشفيات وخدمة المساجد والمقابر والاضرحة متى كان لديهم شهادات مستوفاة والقسوس والرهبان والحاخامين واصحاب الصنائع الذين يدفعون رسوم صناعاتهم وصيادي الاسماك والمراكبية والذين يدفعون العوض. والعوض ١٢٠ غرشاً في مديريات الوجه البحري و ٨٠ غرشاً في مديريات الوجه القبلي

وفي ١٢ مارس سنة ١٨٨٢ اقرَّت الحكومة على اخذ بدل السخرة من العرب النازلين في القطر المصري وأُلفت لجنة برئاسة اسمعيل باشا يسري اقرَّت على ان كل مئة فدان تخرج للسخرة ثمانية انفار.

واول اصلاح ابتدأ في امر السخرة كان سنة ١٨٨٥ فان فلاحي كفر الشيخ طلبوا من الحكومة ان تنظر في امرهم فنظرت ووجدت في ذلك المركز ١٤٥ الف فدان واصحاب ٣٣ الف فدان منها يخرجون للسخرة دون سواهم وان الفلاحين الذين كان عليهم ان يقدموا ٤٣٨ نفراً لمدة ٩٠ يوماً كانوا يقدمون ٨٠٠ نفر لمدة ١٨٠ يوماً. وفي تلك السنة اعطت الحكومة ثلاثين الف جنيه لتخفيف السخرة بتطهير بعض الترع في المنوفية والغربية وكان ذلك في عهد نوبار باشا وهذا اول تخفيف حقيقي للسخرة. وفي السنة التالية صادقت انكلترا على اتفاق ٢٥٠٠٠٠ جنيه سنوياً لالغاء السخرة اي لعمل الاعمال التي كانت تعمل بالسخرة. والآن تنفق الحكومة اربع مئة الف جنيه كل سنة في هذا السبيل

---

(١٣) كشف غش اللبن

الاسكندرية س . س لا يخفى ان باعة اللبن يمزجون لبنهم بمادة يكثر بها ويبيعونهُ كذلك مغشوشاً فما هي المادة التي يمزجونهُ بها وباي واسطة يمكن كشفها

ج الغالب انهم يمزجونهُ بالماء فقط او بالماء الذي حُلَّ فيهِ قليل من النشاء ويعرف ما اذا كان ممزوجاً بالماء بقياس ثقل اللبن بالاكتومتر فان ثقل اللبن النوعي ١,٠٣٨ وثقل الماء النوعي ١,٠٠ فاذا مزج اللبن بالماء خفَّ ثقلهُ النوعي قليلاً ولكن اذا مزج بالماء ونزعت قشدتهُ بقي على ثقلهِ النوعي لان القشدة خفيفة فاذا نزعت من اللبن فقد يزيد

في ثقلهِ النوعي ما ينقص منهُ باضافة الماء فيكون الغش قد تضاعف ولا يعود المقياس يدل عليهِ ولا سبيل آخر لمعرفة غش الماء لان الماء موجود في اللبن طبعاً ومقدارهُ فيهِ يختلف باختلاف البقر بل باختلاف احوال البقرة الواحدة . واما النشاء فيعرف وجودهُ فيهِ بان يحمَّى قليل منهُ ويضاف اليهِ قليل من اليود فاذا كان فيهِ نشاء ازرقَّ حالاً

---

(١٣) فعل الكلوروفورم

مصر . توفيق افندي داود . ما هو فعل الكلوروفورم وفي اي جزء يؤثر من اجزاء العقل

ج الكلوروفورم يفعل بالمجموع العصبي فيوقف الحركات الارادية والشعور ولكنهُ لا يوقف التنفس ولا فعل القلب

---

(١٤) سبب المحبة الوالدية

مليج . حبيب افندي حنا . ما هو سبب المحبة الوالدية ولماذا نرى بعض الناس يعطفون على اولاد ليسوا من نسلهم

ان الحنو على الاطفال غريزة في النفس ولاسيما في نفس الام سواء كان الطفل ولدها او ولد غيرها ولكنهُ اذا كان ولدها امتزج الحب الغريزي بالحب المبني على حفظ النسل والانتفاع من الولد والطاعة للاوامر الدينية والعمل بموجب القواعد الاجتماعية . هذه العوامل تفعل كلها معاً فتدعو الى محبة الطفل والشفقة عليهِ . ولا شبهة عندنا في انهُ لو أُبدل طفل بطفل آخر مثلهُ سناً وشكلاً حين ولادتهِ على غير علم والديهِ لرّبياهُ واحباهُ واعتنيا بهِ كما لو كان طفلهما تماماً

(١٥) اختلاف الاهوية

ومنهُ . ما هو السبب في اختلاف الاهوية هذا العام وعدم انتظام حالة الطقس وهل لنقص التبخر من ماء النيل بسبب شدة التحاريق في عامنا هذا علاقة بذلك

ج لا ندري كيف عرفتم ان الاهوية اختلفت هذا العام عما كانت عليهِ في الاعوام السالفة فان ذلك لا يعلم الا اذا وجدت آلات تقاس بها سرعة الرياح وتعلم جهاتها يوماً بعد يوم وسنة بعد سنة ثم تقابل السنة الواحدة بالسنين الاخرى . ولم يبلغنا ان احداً فعل ذلك ثم استنتج ان هذه السنة تخالف السنين السالفة . اما الحكم على ما يشعر بهِ الانسان فلا يعتمد عليهِ لانهُ ينسى اليوم ما كان يشعر بهِ امس ولا يعوَّل الا على المقاييس المدققة وتسجيل ما تدل عليهِ

(١٦) مجاعة الهند

ومنهُ . هل المجاعة الفاشية الآن في بلاد الهند مسببة عن جدب وقتي لعدم هطول الامطار هذا العام او هي تحدث دائماً بطبيعة الارض او انها ناتجة عن كسل الهنود واهمالهم

ج سببها الاكبر وقتي لقلة هطول الامطار هذا العام . ولو كانت ملازمة لطبيعة

البلاد لما كثر سكانها بل كانوا هجروها من عهد طويل او انقرضوا منها ولكن للسلطة الاوربية يداً في هذه المجاعة وذلك انهُ من حين استتب الامن في البلاد وكثر الاعتناء بالاهالي في زمن المجاعات صار عدد السكان يزيد ووفياتهم تقل فصاروا اذا قلَّ وقوع الامطار وقلَّ الطعام يزيد شعورهم بقلتهِ لزيادة عددهم واما قبل ذلك فكانت المجاعات تفنيهم ولا يبقى منهم الاَّ من يجد طعاماً . غير ان السلطة الاوربية لا تقتصر نتيجتها على زيادة عدد السكان ولو اقتصرت على ذلك لزاد فتك المجاعات كثيراً الى ان يعود عدد السكان الى القلة ولكنها اصلحت الري ووسائط النقل فخففت من فعل المجاعات بقدر ما زادت من عدد السكان فكانت النتيجة الاخيرة زيادة السكان من غير زيادة في فتك المجاعات

(١٧) تعميم التعليم

بغداد . يعقوب ميخا الشيخ . قرأنا لاحدهم مقالاً يقول فيهِ ان كثرة المدارس في البلاد يوقع بها الضرر حتى تصبح بضاعة العلم مزجاة . فما رأيكم في ذلك

ج يظهر من قول القائل "حتى تصبح بضاعة العلم مزجاة" انهُ يريد المدارس العالية فان كان هذا مرادهُ فكثرتها ضارة غير نافعة كما قال واذا اريد بالمدارس المدارس الابتدائية فيجب ان تكون كثيرة حتى يتعلم فيها كل الاولاد القراءة والكتابة ومبادئ العلوم . ويظهر لنا ان الاسلوب المتَّبع في بلاد سويسرا خير الاساليب التي يليق بنا الجري عليها في بلاد المشرق وهو ان يتعلم الاولاد كلهم جانباً من النهار او من السنة ويعملوا في الحقول او في الصنائع المختلفة الجانب الآخر من النهار او من السنة فيتربوا على العلم والعمل معاً وتقوى ابدانهم ولا تتولاهم السآمة التي تتولى اولاد المدارس الابتدائية عادةً

---

(١٨) منع سقوط الشعر

برمانا بلبنان . اسكندر افندي توما . ما الدواء لمنع سقوط الشعر وما سبب سقوطهِ

ج راجعوا ما كتبناهُ في باب تدبير المنزل في هذا الجزء تجدوا فيهِ ما تطلبون

(١٩) الاشباح المقلوبة

ومنهُ . لماذا لا نرى الاشباح مقلوبة مع ان عدسية العين تقلب صورتها

ج اختلف العلماء في تعليل ذلك فمن قائل ان القوة البصرية المدركة تدرك جهة الاشعة فاذا كان امامها رمح قائم ووقع سنانهُ على اسفل الشبكية وزجهُ على اعلاها ادرك المركز البصري ان التأثير الواقع على اعلى الشبكية وارد من اسفل الرمح والتأثير الواقع على اسفل الشبكية وارد من اعلى الرمح فيصلح المركز البصري ما حدث من الانقلاب في

صورة الرج . وقيل بل اننا نرى كل شيء مقلوباً فتبقى النسبة واحدة بين الرج وبين سائر الاشباح والظاهر ان هذا هو الرأي الصواب

(٣) جراثيم الطاعون

مصر . الشيخ مصباح الحامدي الطرابلسي بالازهر . يزعم الاطباء ان الطاعون جراثيم كغيره من الامراض المعدية بحيث لو انتشرت في قرية من القرى او بلدة من البلاد اصيب اهلها بالطاعون . وزعموا ايضاً ان اكثر ما تتراكم عليه تلك الجراثيم هو الصوف والحرير وبقية الثياب ولذلك اوجبوا التبخير على المنتقل من بلدة اصيب اهلها بهذا الداء الى بلدة خالية منهُ وضرب الحجر الصحي عليه في بقعة بعيدة عن تلك البلدة فهل عندهم ادلة عقلية يستندون عليها في دعواهم هذه

ج لما اكتشف العلماء جراثيم بعض الامراض المعدية خطر لهم ان الطاعون قد يكون لهُ جراثيم مثلها فصاروا يبحثون عن جراثيمه في اجسام المصابين وذلك بان تؤاخذ مثلاً نقطة من طمتة وتربى في المرق او نحوه على اسلوب يميت كل الجراثيم المعروفة ويبقي الجراثيم غير المعروفة ثم تطعم الحيوانات الصغيرة بهذه الجراثيم فاذا لم تصب بالطاعون فالجراثيم غير جراثيم الطاعون واذا اصيبت بهِ فالجراثيم جراثيم الطاعون . اما القول بان هذه الجراثيم تتراكم على الصوف والحرير فلم نسمع احداً قال بهِ ولكن يظن بل يرجح ان المادة التي تخرج من دمامل المطعونين والمواد الاخرى التي تخرج من ابدانهم يكون فيها شيء من جراثيم الطاعون فاذا لصقت بثيابهم صارت الثياب حاملة للعدوى . ثم انهُ عُلم بالامتحان ان البخار السخن يميت الجراثيم المرضية كما يميت غيرها من الاجسام الحية الصغيرة فتبخر الثياب على هذا المبدإ وعُلم ايضاً انهُ اذا وجدت جراثيم الطاعون في جسم انسان او على ثيابهِ لم يمضِ عليها زمن طويل حتى يظهر فعلها فيهِ فيضرب عليهِ الحجر الصحي مدة حتى اذا كانت موجودة ظهر فعلها والا فلا

(٤) مساحة كوريا وعدد سكانها

مصر احمد افندي علي . كم مساحة بلاد كوريا وكم عدد سكانها وما شكل حكومتها وسائر احوالها

ج مساحتها نحو ٨٢ الف ميل مربع وعدد سكانها عشرة ملايين ونصف مليون اي اكثر قليلاً من سكان القطر المصري وكانت السيادة للصين عليها حتى سنة ١٨٩٤ وحينئذٍ تعرَّضت لها اليابان وطلبت ان تشاركها في السيادة على كوريا فابت الصين ذلك فاضطرتها اليابان الى الخروج منها . وقد حاولت روسيا الاستيلاء على كوريا او تقوية نفوذها فيها حتى يتغلَّب

على نفوذ اليابان لكن اليابان لا تسلم بذلك ولا هي عاجزة عن الاحتفاظ بحقوقها في تلك البلاد . وفي البلاد مزية وثمانية وزراء وقراراتهم يصادق عليها امبراطور كوريا



معرض باريس

ارجأنا وصف معرض باريس الى ان نزوره ونراه مرأى العين فنصفه للقراء كما يتراءى لنا ونشفع الوصف بما يلزم من الصور والرسوم

التقريظ والانتقاد

لدينا كتب ومجلات حرية بالتقريظ والانتقاد ونوفيها حقها من ذلك في الجزء التالي

العنصر المنير

اكتشف العالم بكرل منذ مدة ان عنصر الاورانيوم ينير من نفسه هو ومركباته واشعة نوره ونورها تفعل بالالواح الفوتوغرافية ولو حجبت عنها بحاجز غير شفاف . وتوجد هذه الخاصة في عنصر الراديوم وعنصر البلونيوم وهي فيهما اشد منها في الاورانيوم. وقد بحث السر وليم كروكس الكيماوي الشهير عن هذه الاشعة فوجد انها ليست صادرة من الاورانيوم نفسه لانها لا تصدر منه اذا كان نقياً جداً ولا من البلونيوم ولا من الراديوم بل هي من عنصر آخر غير معروف حتى الآن وهو مهتم بالبحث عنه

تبخر المعادن

من المعلوم ان المعادن الثمينة كالفضة والذهب والبلاتين لا تذوب الا على اعلى درجات الحرارة ولا تصير بخاراً الا اذا زادت الحرارة على ذلك لكن السر روبرتس اوستن اثبت الآن بالامتحان انه اذا وضع الرصاص فوق الذهب واحمي الذهب قليلاً الى درجة دون الدرجة التي يصهر عليها الرصاص استحال بعض الذهب بخاراً وامتزج بالرصاص . وعرض الذهب والرصاص لحرارة ٦٥ درجة بميزان فارنهيت مدة اربع سنوات فاستحال بعض الذهب بخاراً وامتزج بالرصاص. ويزيد تبخر الذهب بتقريب الرصاص منه ويقل بابعاده ولكنه لم يتحقق بعد هذه الحرارة بالذهب اذا لم يكن الرصاص قريباً منه

سكك اسيا الحديدية

في قارة اسيا الآن ما طوله ٣٠٠٠٠ ميل من السكك الحديدية ثلثاها في بلاد

الهند الانكليزية . وطول الطريق الحديدية في سيبيريا ٣٦٠٠ ميل وطول طرق اليابان الحديدية ٣١٠٠ ميل وفي تركيا ١٦٠٠ ميل وفي جاوى ١٠٠٠ ميل وفي بلاد الصين ٣٠٠ ميل وفي المستعمرات الفرنسوية ٢٥٠ ميلاً واذا تمت سكة الحديد من دمشق الى مكة المكرمة زادت سكك الحديد في تركيا الف ميل اخرى

الماس الاسود

الماس اصفى الجواهر واشدها تألقاً لكن منهُ نوعاً يكاد يكون اسود فاحماً يوجد في برازيل ويباع القيراط منهُ بنحو اربعة جنيهات وهو لا يستعمل في صوغ الحلي وترصيعها بل في ما هو انفع من ذلك في ثقب الصخور وحفر الآبار الارتوازية لانهُ كالماس الابيض الشفاف صلابةً بل قد يكون اصلب منهُ وقد وجدت جوهرة منهُ ثقلها ٩٧٥ قيراطاً بيعت بمئة الف فرنك

فصل توأمتين

ولد توأمتان متصلتان في بلاد برازيل مثل التوأمين السياميين المشهورين . وقد تمكن الاطباء الآن من فصلهما احداهما عن الاخرى في عاصمة البرازيل فبقيتا حيتين

استئصال البعوض

اهتمَّ ثلاثة من العلماء الايطاليين باستئصال البعوض من مدينة سساري في سردينيا فصبُّوا زيت البترول في المستنقعات التي حول المدينة فمات ما فيها من دود البعوض واطلقوا غاز الكلور حيث يكثر البعوض نفسهُ حتى تمكنوا من استئصالهِ كلهِ وقد حسبوا ان المدينة التي يبلغ سكانها خمسين الف نفس يمكن استئصال البعوض منها ومما حولها بنحو خمسين جنيهاً

الغذاء الكثيف

مع كل جندي من الجنود الانكليزية صندوق صغير فيهِ اربع اواقي من عصيدة الكوكوا واربع اواقي من خلاصة اللحم وهو مأمور ان لا يفتحهُ ويأكل ما فيهِ الاَّ عند الحاجة الشديدة فاذا اكلهُ اغناهُ عن الطعام ٣٦ ساعة

ترعة السويس

بلغ ايراد ترعة السويس في العام الماضي ٩٤٣١٧٥٠٠ فرنكات وكان في العام الذي قبلهُ ٨٧٩٠٦٢٥٥ فرنكاً فبلغت الزيادة في الايراد ٦٤١١٢٥٠ فرنكاً اكثرها من سفن التجارة والبريد . وبلغت النفقات العادية على العمل ٢٤٨٦٣١٦٦ فرنكاً وكانت في العام الماضي ٢٤٤٦٤٣٦٨ فرنكاً

وقد وُزّع صافي الايراد على الاسهم المختلفة والفوائد والاستهلاك فاصاب السهم من الاسهم العادية ١١٦ فرنكاً و٤٨ سنتيماً والسهم من الاسهم المسترجعة ٩١ فرنكاً و٤٨

سنتيماً ومن اسهم المؤسسين ٥١ فرنكاً و٧٣ سنتيماً

وقد بلغت نفقات هذه الترعة حتى آخر السنة الماضية ٣٧٤ ٩٤٢ ٦٠٣ فرنكاً ومرَّ فيها في العام الماضي ٣٦٠٧ سفن صافي محمولها ٦٣٠ ٨٩٥ ٩ طناً

أفخر الغرَف

الاميركيون متطرفون في كل شيء فكما نروي عنهم المغالاة في السخاء على المدارس والمكاتب ونحوها مما يفيد نوع الانسان حتى لقد يهب الواحد منهم مليون الجنيه صفقة واحدة نروي عنهم الآن المغالاة في الترَف حتى لقد فاق احدهم ملوك الارض في غرفة نومهِ ولا غرابة في ذلك لان الترف في هذا العصر للاغنياء لا للملوك. والغرفة التي نشير اليها طولها ٧٦ قدماً وعرضها ٢٢ قدماً في دار رجل من اغنياء اميركا اسمهُ مرشند جدرانها مقطعة على الطرز المنسوب الى الملك لويس الخامس عشر ارض قطعها من الميناء البيضاء ونقوشها مموهة بالذهب وقد بلغت نفقات الجدران ونقوشها ١٢٨٠٠ جنيه وعليها طرائق من المخمل الجنوي المطرَّز بالذهب نسج لها في ليون المتر بثمانية جنيهات وبلغ ثمنها كلها ٢١٧٠ جنيهاً . وفي السقف نقوش بديعة صنعها صانع من باريس بلغ ما أُنفق عليها ٣٨٧٠ جنيهاً وعلى الشبابيك ستائر الستارة منها بالف وثمانمئة واربعين جنيهاً وتحتها فتراج ثمنهُ ٢٧٠ جنيهاً وفي الارض بساط ثمنهُ ٣٤٥٠ جنيهاً

واثمن ما في هذه الغرفة السرير والاثاث فالسرير من خشب الابنوس والعاج مرصع بالذهب قضى صناع فرنسا في عملهِ سنتين ونصف سنة وبلغ ما أُنفق عليهِ ٣٨ الف جنيه وفيهِ صفيحة من العاج مخرَّمة على اشكال بديعة دقيقة جدًّا بقي الصناع يعملون فيها سنةً ونصفاً وقد جُنَّ واحد منهم من دقة عملها . وفي اعلى السرير تاج أُريد عملهُ من قطعة واحدة من العاج ولكن بُحث في مخازن اوربا واميركا فلم توجد فيها قطعة كبيرة تكفي لعملهِ وزاد مرشند ان لا يكون هذا التاج من قطعتين فبعث اناساً الى قلب افريقية يبحثون لهُ عن ناب كبير يكفي لعملهِ فوجدوهُ وبلغ ما انفق عليهِ اربعة آلاف جنيه

والخزانة التي تعلق فيها الثياب بلغ ثمنها ٢٩٠٨٠ جنيهاً وبلغ ثمن طاولة اللبس ١٢٤٠٠ جنيه والمغسلة ٧٢٠٠ جنيه وجملة اثاث الغرفة بلغت قيمتها مئة الف جنيه هذا ماعدا مرآة ثمنها ٧٣٠ جنيهاً وموقداً ثمنهُ ١٢٣٠ جنيهاً وادوات الغسل وثمنها ٧١٠ جنيهات وزوائد اخرى يضيق المقام عن ذكرها

وبلغ كل ما انفقهُ على هذه الغرفة ١٩٣٧٤٠ جنيهاً اي نحو مئتي الف جنيه. هذه نهاية الترَف وغاية الاسراف ولكن

إنفاق المال في هذا السبيل خير من خزنهِ في خزائن الحديد لانهُ يوزَّع على الوف من الصناع فينتفع بهِ كثيرون

القطن الاميركي

جاء في جريدة نيويورك الزراعية التجارية ان مساحة الارض المزروعة قطناً هذا العام في اميركا تبلغ ٢٤٦٢٥٩٤٤ فداناً وكانت في العام الماضي ٢٢٤٣٣٢٤٥ فالزيادة هذا العام عنها في العام الماضي ٩ وثلاثة ارباع في المئة ولكن زمام الزراعة في العام الماضي كان قليلاً وكان اكثر منهُ في العام الذي قبلهُ فقد كان حينئذٍ ٢٣١٧٥٠٠٠ فدان وفي الذي قبلهُ ٢٣٠٢٩٠٠٠ فدان وعليهِ فالزيادة هذا العام نحو مليون ونصف من الفدادين. ويظهر من مجموع الاستعلامات ان الموسم متأخر هذا العام عنهُ في الاعوام السالفة لان الزارعين تأخروا في الزرع ولان الامطار اخرت نمو الزرع ولكن ذلك لا يمنع ان يجود القطن اذا وافقهُ الهواء من الآن الى ان يتم طرحهُ

بيض الاوك

بيعت بالامس بيضة من بيض الاوك بثلث مئة جنيه لان هذا الطائر انقرض الآن من المسكونة فصارت بيوضهُ نادرة ولذلك يغالى بها الى هذا الحد. وهي اصغر من بيض النعام واكبر من بيض الفراخ الرومية ثقلها نحو اوقية وربع

مجمع ترقية العلوم البريطاني

يلتئم هذا العام في مدينة بردفورد بين لندن وادنبرج من يوم الاربعاء في ٥ سبتمبر برئاسة السر وليم ترنر

تلامذة المدرسة الزراعية

نال الشهادة تسعة من تلامذة المدرسة الزراعية الخديوية فعين احدهم محمد افندي حسني ناظراً لتجارب الجمعية الزراعية الخديوية في الجيزة ومحمد افندي فهمي في تفتيش البرنس ابرهيم باشا حليم ببلبيس. ومحمد افندي توفيق في تفتيش القصر العالي بانباي البارود. وطلبت مصلحة الاراضي الاميرية اربعة فعينت علي افندي حسين في تفتيش السنطة ومحمد افندي مختار في تفتيش روينه وابرهيم افندي فهمي في تفتيش سخا وعبد المجيد افندي التمري في تفتيش بشبيش. وجُعل راتب كلٍّ منهم ستة جنيهات مصرية في الشهر من اول يوليو وبقي اثنان وهما بركلي جوانيدس واسطاطي ايوانه غرضهما العمل في زراعتهما

وعسى ان تهتم الحكومة باستخدام هؤلاء الشبان لتعليم المبادئ الزراعية في مدارسها الابتدائية بعدان يتمرنوا على الاعمال الزراعية في هذه التفاتيش سنتين او ثلاثاً وترضيهم بالرواتب الكافية لانها اذا اعطت القاضي ثلاثين او اربعين جنيهاً في الشهر وهو قد لا يفيد البلاد فائدة مالية تذكر فحري بها

ان تعطي بمثل هذا الراتب لمعلم الزراعة الذي يعلم ابناء الفلاحين كيف يستغلون من ارضهم اكثر الغلات باقل النفقات فيفيدون بلادهم وحكومتهم الوف الجنيهات ان لم تقل ملايين الجنيهات كل سنة

التلغراف الاثيري

خطب السروليم بريس بالامس في مجمع مهندسين الملكيين وذكر نتائج الكهربائية الحديثة واستطرد الى الكلام على التلغراف الاثيري فقال انهُ لم ينجح النجاح المنتظر لان لا فائدة تجارية منهُ. وكلام السروليم بريس حجة في هذا الموضوع لانهُ من اشهر علماء الكهربائية ومن اول الباحثين عن ارسال الانباء البرقية من غير اسلاك معدنية. ويظهر لنا ان التلغراف الاثيري لا ينتشر استعمالهُ الاَّ اذا تحققت اماني الاستاذ تيقولا تسلا وصارت الكهربائية تجمع من الارض والهواء وترسل من غير موصلات.

الزبرجدة الكبرى

وجدت بلورة من الزبرجد في الولايات المتحدة الاميركية ثقلها ٢٩٠٠ رطل مصري وبلورة اخرى ثقلها ٥٥٠٠ رطل وطولها متر و ١٥ سنتمترًا ووجدت بلورة من الجبس طولها متر و ٢٠ سنتمترًا وبلورة من سلكات الاليومنوم والليثيوم طولها نحو تسعة امتار

الاطباء من مدرسة باريس

خرج من مدرسة باريس في العام الماضي ٦٧١ طبيباً و ٤٨ قابلة و ٦٨ طبيب اسنان

علاج سرطان الشفة

كتب الدكتور ترونسك النمسوي في السجل الطبي الاميركي وصف طريقته في علاج سرطان الشفة بالزرنيخ وذلك انهُ يذيب جراماً من الحامض الزرنيخوس في ٧٥ جراماً من الالكحول الاثيلي و٧٥ جراماً من الماء المقطر وينظف السرطان جيدًا حتى يخرج منهُ جانب من الدم ثم يدهنهُ بموذوب الزرنيخ بفرشاة ويتركهُ من غير غطاء واذا لم يشعر المصاب بألم يعاد دهنهُ بهِ بعد خمس دقائق ويكرّر ذلك مرة كل يوم الاَّ اذا حدثت اذيما حادة حول الاجزاء المصابة فيمتنع عن استعمال الزرنيخ حتى تزول ثم يعاد استعمالهُ الى ان يجف الجلد ويقشر من نفسهِ ويعاد للعلاج ويزاد فيهِ مقدار الزرنيخ فيجعل جراماً والالكحول اربعين جراماً والماء اربعين. والمقالة مدرجة في ٢ يونيو من السجل الطبي فعسى الاطباء ان يراجعوها

البرتقال في اميركا

كان الاميركيون يجلبون البرتقال الى بلادهم من اسبانيا وغيرها من البلدان التي على سواحل بحر الروم . ومنذ ٢٥ سنة اخذوا

يزرعون البرتقال بكثرة وقد اتفقوا على زرعهِ حتى الآن نحو تسعة ملايين من الجنيهات وعندهم برتقال خالٍ من البزر زرعوهُ اولاً سنة ١٨٧٢ واخذوا يكثرون من زرعهِ سنة بعد سنة بالتطعيم والآن تقدَّر غلة الفدان المزروع من هذا البرتقال بثلاثمئة ريال في السنة

وقد ورد قطار منذ مدة من كليفورنيا الى شرقي اميركا وفيهِ ٥٩ مركبة كبيرة مشحونة كلها برتقالاً

بالون فون زبلن

يصنع الكونت فون زبلن بالوناً لم يصنع احد ما يدانيهِ جرماً وهو طويل دقيق كالقلم او كالسيكار طولهُ ٤١٦ قدماً وقطرهُ ٣٨ قدماً عوارضهُ كلها من معدن الاليومنوم الخفيف الوزن تغطى بنسيج من الحرير وفوقهُ مادة مُعْفية وداخلهُ مقسوم ١٧ قسماً في كل قسم منها كيس كبير من الغاز . وعلى جانبي البالون مجاذيف في شكل المراوح الكهربائية يدور الواحد منها ١١٠٠ دورة في الدقيقة

وينتظر ان يعلو هذا البالون في الجو مثل سائر البالونات ويسير في الهواء من مكان الى آخر كما تسير السفن التجارية في البحر . لكن السير في الهواء ليس بالامر السهل اذا ثارت فيهِ العواصف ولا تقدَّر لهذا البالون نجاحاً مهما برع صانعوهُ في صنعهِ الاَّ اذا لم يعبأوا بانتقالهِ مع الهواء من مكان الى آخر خمسين او ستين ميلاً في الساعة ارادوا او لم يريدوا

آثار الفوروم العلمية

يظهر من البحث في آثار الفوروم برومية ان الزلازل كانت ترصد في حَرَم المريخ الذي كان فيهِ فقد كان فيهِ رماح معلقة تهتز بهزات الزلزلة وتؤثر على الحائط تأثيراً يدل على اهتزازها. وكانت تبتدىء بالاهتزاز قبل حدوث الزلزلة او قبل وصولها اي عند اول حدوثها فيراها الرقباء وينذرون اهل المدينة فيلجأُون الى الفرار.

الواقية من الترام

رأينا في جريدة السينتفك اميركان الصادرة في ٢ يونيو صورة آلة توصل بمقدم مركبات الترامواي الكهربائي فتلتقط ما يقع امامها من الناس والحيوانات وترفعهُ عن الارض وتحملهُ من غير ان ينالهُ ضرر . وهي مصنوعة من مفاصل متصلة بعضها ببعض حتى اذا التقطت شيئاً رفعتهُ عن الارض بمجرَّد ثقلهِ . وربما رسمنا هذه الآلة في الجزء التالي عسى ان تراها شركة الترامواي في مصر والاسكندرية فتعمل آلات مثلها لمركباتها

معمل كروب

انشىء معمل كروب الذي تعمل فيهِ المدافع ونحوها منذ سنة ١٨١٠ انشأهُ جد كروب الحالي في مدينة اسن وكان عدد

سكانها حينئذٍ اربعة آلاف نفس فاتسع نطاقهُ رويدًا رويدًا واتسع نطاق المدينة باتساعهِ حتى بلغ عدد سكانها الآن ١٠٥٥٢٨ نفسًا . وفي المعمل وتوابعهِ من المناجم والمسابك ونحوها ٤١٧٥٠ نفسًا . ولهُ منجم حديد في اسبانيا تنقل الحجارة المعدنية منهُ الى البحر بسكة حديدية خاصة بالمعمل وتنقل من ثمَّ الى روتردام باربع سفن بخارية تخص المعمل ايضًا . والارض التي تجرَّب فيها المدافع يوضع الغرض فيها على ٧٢ الف قدم من المدفع اي ان طولها اكثر من اربعة عشر ميلاً

سكة حديد الحجاز

يراد ان تبتدئ هذه السكة من دمشق وتمرَّ بشبه جزيرة سينا الى مكة المكرمة والمدينة المنورة وتصل الى جدة وتقدَّر نفقاتها على ما في جريدة التان بعشرة ملايين جنيه ويقوم باعمالها الهندسية المهندسون الحربيون في الجيش العثماني وسيوصى بعمل ٣٦ آلة قاطرة لها . وقد اخذت معامل نظارة الحربية العثمانية على نفسها ان تصنع ٥٠٠٠ متر من الخطوط الحديدية في اليوم . وقرّر ان تكون المحطات ٣٥

سبك الحديد

نشرت مجلة الكيمياء الاميركية فصلاً ذكرت فيهِ تقدم الكيمياء الصناعية مدة العام الماضي قالت فيهِ ان هذا العام شهد من التقدم في الاعمال الكيماوية الصناعية ما لم تشهدهُ الاعوام السالفة فلقد كان غاية ما يسبك في مسبك الحديد في اليوم من مئتي طن الى ثلثمئة منذ عامين اما الان فيسبك في المسبك ستمئة طن يوميًا ومنذ عشر سنوات لم يكن يسبك في المسبك اكثر من ١٠٠ الى ١٥٠ طنًا في اليوم

ثم ان مسابك الحديد في سكتلندا التي تحرق الفحم الحجري صارت تستخرج منهُ الامونيا وهي تحرقهُ . وعشر الامونيا التي استعملت في بلاد الانكليز في العام الماضي من هذه المسابك وهي ربح خارج عن العمل

ونجح سابكو الحديد خلال العام الماضي في استخدام خبث الحديد للملاط الذي يجمد تحت الماء وذلك بصبهِ في الماء حالاً حين خروجهِ من السبك فيتجزأ اجزاء صغيرة ويمزج بالجير فيغني عن سمنت بورتلند ويصير كبير الفائدة بعد ان كان السباكون يضيقون بهِ ذرعًا لا يعلمون اين يطرحونهُ

فيضان النيل

سار الفيضان سيرًا حسنًا فبلغ مقياس البحر الازرق في سنار ٣ امتار و ١٢ سنتمترًا في غرة يوليو وبلغ في الخرطوم مترًا و٢٣ سنتمترًا وفي اصوان ذراعًا و ١٩ قيراطًا وفي القناطر الخيرية ١٣ مترًا و٣٠ سنتمترًا

فهرس الجزء الاول من المجلد الخامس والعشرين

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الخامس والعشرين

١ اغسطس (آب) سنة ١٩٠٠ — الموافق ٥ ربيع الثاني سنة ١٣١٨

سلطانة الصين ومشاكلها

نشرنا في المجلد العشرين من المقتطف ترجمة كتابين بعث بهما ملك الصين الى الملك جورج الثالث ملك الانكليز سنة ١٧٩٣ خاطبهُ بهما كما يخاطب السيد عبدهُ والرئيس مرؤُسهُ كقولهِ " انك بعثت الينا رُسلاً يحملون خطابك الدال على خضوعك فقدموا الينا جزيتك الدالة على اخلاصك وفضضنا خطابك وقرأناهُ فوجدنا عبارتهُ تدلُّ على طاعتك لنا واحترامك لمقامنا ولذلك امرنا بقبولهِ " الى ان يقول " فقد ابلغناك ارادتنا وامرنا رجالك ان يعودوا حالاً الى بلادهم . ويحسن بك ايها الملك ان تبذل جهدك لتفهم مقاصدنا السلطانية وتنفي عزيمتك لتبرهن لنا على حسن ولائك واجتهد دائماً ان تكون خاضعاً لنا محترماً لمقامنا لكي يكون لمملكتك نصيبها من نعم السلام "

وختمنا الكلام حينئذٍ بقولنا " ان الانكليز لم يعرضوا عن سلطان الصين لانهُ جهل قدرهم بل بعثوا اليهِ وفداً بعد وفد ورسولاً بعد رسول ثم اروهُ مقدرتهم بقنابل المدافع سنة ١٨٤٠ ودخلوا عاصمتهُ عنوةً واضطروهُ ان يعطيهم جزيرة هونغ كونغ ويفتح موانيهُ لتجارتهم ويخاطب ملوكهم كما يخاطب المثيل مثيلهُ . وحاربوهُ مرةً اخرى سنة ١٨٥٨ واضطروهُ ان يقبل سفراءهم في عاصمتهِ ويسمح للاوربيين ان يسافروا في بلادهِ كيفما شاؤُوا . وحاول ان لا يمضي شروط الصلح فحاربوهُ مرةً ثالثةً وفتحوا عاصمتهُ واضطروهُ الى امضائها "

ولما كانت هذه الحوادث مرتبطة بمشاكل الصين الحاضرة وكان لسلطانة الصين السلطانة شي الشأن الاكبر فيها رأينا ان نشبع الكلام عليها في هذا المقام فنقول

يتولى الملك في بلاد الصين الآن دولة منشورية الاصل اسمها دولة صنغ تغلبت على دولة

منغ القديمة سنة ١٦٤٤ والسلطان الحالي هو التاسع منها والسلطانة تسي التي لها الشان الاكبر في الحوادث الجارية هي ام سلفهِ لا امهُ ولكنها تبنَّتهُ . وهي عجوز في السادسة والستين من عمرها لم تكن من بيت الملك ولكنها من الامة المنشورية التي تغلَّبت على بلاد الصين وملكتها منذ مئتين وخمسين سنة كما تقدَّم . وقد اختلف الكتَّاب في اصلها على روايتين الاولى ان اباها كان ضابطاً في شمالي الصين فاخنى عليهِ الدهر وعضهُ ناب الفقر حتى اضطرت ان تبيع نفسها امة لكي يستعين ابوها



السلطانة تسي سلطانة الصين

بثمنها على حالهِ . وتعلمت القراءة والكتابة في بيت سيدها ورأت ذات يوم منشوراً من سلطان الصين يدعو بهِ كل فتاة منشورية عمرها بين الخامسة عشرة والثامنة عشرة لتعرض نفسها عليهِ لان السلطانة زوجتهُ كانت عاقراً فاراد ان يتزوَّج باخرى ليولد لهُ نسل . فعرضت نفسها عليهِ مع غيرها من البنات ونالت الحظوة في عينيهِ فاقترن بها وجعلها زوجتهُ الثانية . هذه هي الرواية الاولى والرواية الثانية انها ابنة ضابط كبير من روَساء المنشوريين تعلمت وتهذبت في صغرها

ونالت الحظوة في عيني السلطان فاقترن بها بعد ان رأى زوجتهُ الاولى عاقرًا كما تقدَّم. وكانت في السابعة عشرة من عمرها فولدت لهُ ولدًا ذكرًا جعلهُ ولي عهدهِ وعظمت منزلتها في عينيهِ لاسيما وانها عرفت كيف ترضي ضرتها زوجتهُ الاولى وتعيش معها على تمام الوئام. لكن ابى طمع الانسان بل ناموس الطبيعة القاضي على كل حي بالسعي والكسب ان يبقى الصينيون منقطعين عن سائر الممالك مستأثرين بخيرات ارضهم وثمار اعمالهم فسلط عليهم الانكليز والفرنسويين فاتوا تاكو سنة ١٨٦٠ وهدموا حصونها بمدافعهم وساروا الى بكين فهرب منها السلطان وزوجتهُ وولي عهدهِ وعمرهُ ست سنوات الى مصيفهِ حيث كان يقضي اوقات الانس بالصيد والقنص ودخلت الجنود الاوربية بكين ونهبت ما في قصر السلطان ثم احرقتهُ

قال الجنرال غوردون (باشا) وكان من الذين شاهدوا ذلك المنظر الفظيع . ان قائد الجنود الاوربية امر بحرق قصر الصيف وفيهِ من التحف والاثاث والرياش ما يساوي اربعة ملايين من الجنيهات. والصينيون ودعاء ولكن عظماءهم يكرهوننا ولا غرابة في ذلك بعد ان فعلنا ما فعلنا بقصر سلطانهم فان جمالهُ يفوق الوصف لا يرى امرؤ النار مضطرمة فيهِ الاَّ ويدمى فؤادهُ عليهِ فان فيهِ من بديع الصناعة وبدائع العمران ما تراهُ في قصر وندزور . وقد حطَّم الفرنسويون كل شيء فيهِ ولم يبقوا ولم يذروا

وتوفي سلطان الصين سنة ١٨٦١ وعمر ولي عهدهِ سبع سنوات ولما حضرتهُ الوفاة اقام لهُ مجلسًا من الاوصياء يتولى شؤُون المملكة الى ان يبلغ سن الرشد وعهد في تربيتهِ الى امهِ وضرتها . فلما رأَت امهُ ان ادارة البلاد كلها اصبحت في يد هذا المجلس لم يرضها ذلك وكانت مقاليد البلاد في يد اخي زوجها البرنس كنغ قبلما اقام زوجها مجلس الاوصياء فتواطأَت معهُ على التخلص من هذا المجلس والقت القبض على اعضائهِ بحجة إغفالهم بعض الرسوم في الاحتفال بجنازة زوجها فحكم عليهم بالقتل وصارت مقاليد البلاد في يدها ويد ضرتها. وبقي البرنس كنغ يدير شؤُون السلطنة بمهارتهِ ودهائهِ ثلاث سنوات فافلحت في ايامهِ وعزي الفضل كلهُ اليهِ فلما رأَت ذلك اوجست منهُ خيفةً فامرت بعزلهِ لانهُ قدر نفسهُ فوق قدرها فاعتزل طائعًا وللحال وقع الارتباك في ادارة البلاد حتى اضطرت ان ترجعهُ الى منصبهِ بعد خمسة اسابيع وردَّت اليهِ كل الخطط التي كان فيها ما عدا رئاسة الوزراء

ولما بلغ ابنها سن الرشد اختارت لهُ زوجةً من بنات الامراء فاتي ببنات المنشو كلهنَّ ومررنَ امامها رباعَ رباعَ ومع كل فتاة ورقة فيها اسمها وسنها فاذا اعجبتها واحدة منهنَّ سأَلتها بعض المسائل وكتبت جوابها عنها فابقاها الخصيان عندهم وصرفوا الباقيات ثم عُرِض عليها

هؤلاء الفتيات المختارات ثانيةً وثالثة وهي تغربل منهنَّ الى ان قرَّ قرارها على فتاة واحدة فاختارتها زوجةً لابنها واحتُفل باقترانهِ بها احتفالاً عظيمًا وكان ذلك سنة ١٨٧٢ لكنهُ توفي سنة ١٨٧٥ ولا يعلم من امورهِ شيءٌ كثير . وكانت زوجتهُ حاملاً وتقضي شريعة الصين ان يُنتظر ما تلدهُ فان كان ذكرًا فهو السلطان وهي التي تكفلهُ وتكون نيابة الملك لها ولا يبقى شأن لجدتهِ وضرتها وان كان انثى تبنَّت لها ابنًا فيكون السلطان وهي التي تكفلهُ وتكون لها نيابة الملك ايضًا لكن السلطانة شي داست شريعة البلاد واغتصت عن كنتها قبلما تلد وتبنت ابن الامير تشن



البرنس كنغ الذي له الشأن الاعظم في تاريخ الصين الحديث

اخي زوجها وعمرهُ اربع سنوات فبقيت النيابة في يدها ويد ضرتها والبرنس كنغ يدير شؤون البلاد الى سنة ١٨٨٤ وحينئذٍ عزلتاهُ ونصبتا مكانهُ الامير تشن ابا السلطان الصغير ويقال انهُ من الشعراء وبينهُ وبين السلطانة شي مطارحات شعرية لكنهُ ليس من رجال السياسة فاعتمدت السلطانة في ادارة الشؤون على الوزير لي هنغ تشنغ الداهية المشهور

ولما اشتدت المجاعة في ولاية شانسي نشرت هي وضرتها امرًا سلطانيًّا تقولان فيهِ انهما رأتا ثمن اللحم الذي يؤكل في قصرهما يبلغ مئة ريال كل يوم فعزمتا ان لا تأكلا لحمًا ما دام

شعبها جائعًا وامرنا ان تضاف المئة الريال ثمن اللحم الى اموال الاعانة التي تنفق على الجياع. فكان لهذا الامر السلطاني اعظم وقع في النفوس. ثم ان السلطانة شي اختارت لتعليم الولد الذي تبنتهُ ليكون سلطانًا رجلاً مشهورًا بالعلم والحكمة وبُعد النظر في العواقب فرباه وهذبهُ وتوفيت السلطانة الاولى سنة ١٨٨١ فاستقلت السلطانة شي بالسلطة وحدها الى سنة ١٨٨٨ حينما بلغ السلطان الجديد سن الرشد فاختارت لهُ زوجة ونشرت امرًا سلطانيًا قالت فيهِ

امرٌ خاص من السلطانة الارملة

لقد تأهل السلطان لميراثهِ المجيد وهو يزيد رشدًا يومًا فيومًا ولذلك لاق بهِ ان يختار لهُ زوجةً فاضلة تساعدهُ في شؤون بلاطهِ وتتولى ادارة خاصتهِ وتساعدهُ ليسير سيرةً صالحةً مستقيمةً لذلك جعلنا تتهونالا ابنة الجنرال كوي هسيانغ التي اخترناها لهُ زوجةً لاجل فضائلها سلطانة على الصين

وامرنا ايضًا ان تكون تتالا بنت تشنغ هسي وعمرها خمس عشرة سنةً زوجةً ثانيةً لهُ واختها تتالا وعمرها ثلاث عشرة سنة سرية لهُ من الدرجة الثانية

وقد اختلف الكتّاب كثيرًا في اوصاف السلطانة شي فمدحها بعضهم حتى جعلها مجمع الفضائل وذمها البعض الآخر حتى جعلها قرارة الرذائل . والظاهر ان الصينيين لا يعبأون بالكذب فاذا اصاب احدهم خيرًا منها مدحها على قدر ما تحتمل اللغة الصينية من الغلو في المدح واذا اصاب آخر ضيرٌ منها ذمها على قدر ما تحتملهُ لغتهُ من الذم. وكذلك الاوربيون الذين ينقلون عنهم يجارونهم غير محاذرين . الاَّ ان جمهورهم يقول انها تفوق نساء الصين علمًا وادبًا وانها تصوّر وتنظم الشعر الحسن وقد اهدت الى مدرسة هملن الكلية ستمئة مقطع من نظمها. وكتب بعضهم في جريدة الورلد الاميركية سنة ١٨٨٨ يقول "انها مهيبة الطلعة بمشط شعرها وتعقصهُ بيدها بدبابيس من الذهب وهي مستقلة في رأيها لا تتقيد بآداب السلوك الصينية . تروض جسمها بالرماية داخل اسوار قصرها وتترّن على الملائكة . اخبرني السفير دني انها تدرس كل المواضيع التي تعرض عليها وهي كثيرة الاشتغال جدًّا ومن رأيه ان التاريخ سيذكر اسمها مثل اعظم الملكات وهي التي رقّت الصين الى درجتها الحاضرة بين ممالك الارض"

وقد وصفها واحد رآها حديثًا فقال انها طويلة القامة معتدلة القوام سوداء الشعر والعينين سمراء الوجه قدماها في الشكل الطبيعي لم تصغرا كاقدام الصينيات لان بنات منشو لا يصغرن اقدامهنَّ

ولما استقبلت نساء السفراء قبل الحوادث الاخيرة كتب سفير انكلترا يصف استقبالها لهنَّ فقال انها ابدت غاية الدعة والبشاشة واللواتي مضين الى القصر وهنَّ يحسبن انهنَّ

يلاقين امرأة متكبرة متعاظمة استغربن كثيراً ما وجدنهُ في جلالتها من اللطف والدعة ولين الجانب

ويقول خصومها انها مغرمة بالمال والمقامرة غدَّارة تقتل خصومها بالسم فلم تبقِ على خصم والتها قتلت ضرتها وكنتها . لكن الناظر في احوال الصين قبل ايامها وفي ايامها لا يستطيع ان يبخسها حقها من الاهتمام بترقية بلادها اكثر من كل مَن سلفها

وبلغ السلطان الحالي سن الرشد سنة ١٨٨٧ وسُلِّم مقاليد الاحكام بالفعل سنة ١٨٨٩ فوقع الخلاف بينهُ وبينها لانهُ كان يحب الاستقلال عنها وهي قد شبت وشابت على ادارة الاحكام بيدها فشقَّ عليها ان تربي ولداً تحسبهُ برّاً بها فتجدهُ عقوقاً . والظاهر من وصف السفراء لهُ انهُ نحيف البنية كثير الشغل يميل الى الاستبداد في الرأي و يشتغل بامور ليس من شأنهِ الاشتغال بها فيتعب نفسهُ على غير طائل مثل تعرضهِ لديوان الامتحان فان المناصب تعطى في بلاد الصين بعد امتحان دقيق فطلب مرةً اوراق الامتحان وبقي يطالعها ثلاثة ايام كاملة ثم عين درجات الممتحنين حسبما تراءى لهُ فرقّى البعض الى اعلى المناصب وخفض البعض الى ادناها على ضد ما اقرّت عليهِ لجنة الامتحان

ثم نشبت الحرب بين الصين واليابان ويقول البعض انها كانت برضى السلطانة شي وعلى غير رضاهُ ويقول غيرهم انها كانت برضاهُ وعلى غير رضاها فوقع الخلاف بينهما بسببها وقام حينئذٍ كنغ يو واي زعيم الاحرار في بلاد الصين وهو شاب من مدينة كنتون كان يعلم فيها فقرأ تاريخ بطرس الاكبر قيصر الروس واعجب بهِ وخطر لهُ انهُ يمكن النهوض ببلاد الصين في سنوات قليلة كما نهضت بلاد الروس وكتب رسالةً في هذا الموضوع اطّلع عليها سلطان الصين فاعجب بها

وقد اشار هذا الرجل على السلطان ان يأمر وزراءهُ وكل الذين في مناصب عالية في بلاد الصين بان يمضوا الى المعابد ويحلفوا هناك الايمان المغلظة انهم يساعدونهُ في ترقية البلاد وادخال كل طرق الاصلاح اليها . ومن طرق الاصلاح هذه تنقيح قوانين الادارة كلها واقامة مجلس من الرجال الذين درسوا في اوربا او تعلموا الاساليب الاوربية لكي يساعد في اصلاح المملكة وتنظيم دوائر الحكومة على اسلوب دوائر الحكومة في اوربا واستخدام الاجانب فيها مشيرين ومساعدين . وتغيير نظام جباية الاموال فتصير اموال السلطنة كلها ترد الى خزينة الحكومة بدلاً من انفاق اموال كل ولاية فيها فيصير عند الحكومة مال كافٍ لتعبئة الجنود وتقوية الاساطيل وانشاء المدارس الحربية

وقرأ ولاة الصين هذه الرسالة فاحتقروا بها وقالوا لن نغير عادات اسلافنا واما السلطان فاعجب بها وعزم على الجري بموجبها واخذ من ساعتهِ يغير ويبدل و يعزل وينصب فعزل مرة خمسة آلاف موظف دفعةً واحدة ووظائف كثيرين منهم وراثية تقلدوها ابًا عن جدٍ. وامر ان ترسل اوامرهُ الى الولاة والحكام بالتلغراف . واطلق حرية الصحافة. واباح لكل احد ان يرفع اليهِ ظلامتهُ مباشرة وكانت الظلامات ترفع الى دواوين الحكومة المختلفة فتنتقل من ديوان الى ديوان ولا يصل منها شيء الى الدواوين العليا

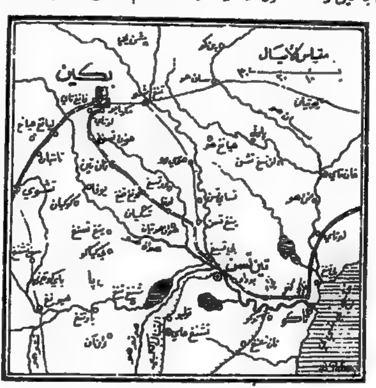
وكان في ديوان الشعائر الدينية كاتب صغير اسمهُ وان هش فلما رأى نجاح كنغ يو واي قدَّم عريضة الى السلطان طلب فيها مئةً اصلاحات اخرى . فاغتاظ الوزراء والولاة من وقاحتهِ ووبخوهُ توبيخًا صارمًا اما الامبراطور فاصدر امرًا مدحهُ فيهِ على جسارتهِ وشجاعتهِ الادبية ورقاهُ الى منصب لم يكن يستطيع الارتقاء اليهِ الا بعد امتحانات كثيرة وعزل رئيسي مجلس الشعائر الدينية ونائبيهما وكثيرين من كبار الموظفين لانهم تجاسروا على حجز حرية غيرهم من رعاياهُ وقاوموا رغبتهُ في اصلاح بلادهِ

فلما رأى عظماء الصين ذلك من سلطانهم لجأُوا الى السلطانة فامر بقتلها اما هي فجمعت حولها خواصها واكتنفت قصرهُ بفريق من الجند المخلصين لها واضطرتهُ ان يمضي امرًا ملكيًا في ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨ يقول فيهِ انهُ تنازل عن الملك لانهُ وجد نفسهُ غير كفوء لهُ ويتوسل اليها فيهِ ان تستلم زمام الاحكام بيدها . وللحال فرَّ بعض المصلحين وقُبض على البعض الآخر فقُتلوا او نفوا وسُجن السلطان في قصرهِ ولكن بقيت الاوامر تصدر باسمهِ فباسمهِ سُلبت الصين كياو شاو وبورت ارثر ووي هاي واي ونحو ذلك مما جرَّ الى الويلات الحاضرة. وباسمهِ ايضًا صدر امر في الرابع والعشرين من شهر يناير الماضي يقول فيهِ انهُ لا يستطيع ان يخلف نسلاً وبهِ توسل الى السلطانة ان تختار وريثًا للملك فاختارت پوتشنغ ابن البرنس توان وهو فتى في الرابعة عشرة. فنقم حزب الاصلاح عليها واخذ ينشر المنشورات ضدها وهي تصادرهُ بكل ما وصلت اليهِ يدها وعينت مئة الف ريال لمن يقتل زعيم الاصلاح كنغ يو واي ورفيقهُ لينغ شي شاو

وقابلها البرنس هنري لما ذهب الى بلاد الصين وهو اول اوربي رأى وجهها . ويقال انها هي التي قوَّت جمعية الملاكمين وغيرها من الجمعيات الوطنية المعادية للاجانب لكي يقوى بها حزبها على حزب الاصلاح وتطرد الاجانب من بلادها

والحوادث التي تلت ذلك معلومة عند القراء واهمها حرق البكسرس لمحطة سكة الحديد ممتدة من بكين الى تين تسن وحصرهم السفارات الاجنبية في بكين . واراد الاميرال سيمور

ان يمضي الى بكين لانقاذ السفراء فصُدَّ واضطرَّ ان يعود ادراجهُ . واطلقت حصون تاكو المدافع على بوارج الدول المتحدة فاصلتها هذه ناراً حامية دامت سبع ساعات فنسفت حصنين من حصونها وفتحت الحصنين الآخرين عنوةً . وقتل سفير المانيا في بكين وحرق رجالهُ دار نظارة الخارجية وقُتل مدير الجمارك وهو انكليزي . ووردت الاخبار ان السفراء كلهم قتلوا ثم كُذّبت . وجرت معارك شديدة في تين تسن فدُمرت احياء الاجانب فيها ثم دمَّر الاجانب احياء الوطنيين واحتلوها . والظاهر ان الدول الاوربية ومعها اليابان والولايات المتحدة عازمة ان تصل الى باكين وتخمد الثورة وتسلم مقاليد الاحكام لاناس يحسنون ادارتها وتعزز نفوذها



قسم من بلاد الصين حيث مواقع القتال تظهر فيهِ العاصمة بكين ومدينة تين تسن وسكة الحديد بينهما ومدينة تاكو وغيرها من المدن الكثيرة

فيها. ولا يبعد انها تختلف عند اقتسام الغنيمة فتبقى الصين على ما هي عليهِ الى ان تصلح شؤونها بيدها او تتمزق وتتقاسمها الدول . ويحتمل ايضاً ان ينجو السفراء وتتوسط الولايات المتحدة بين الصين وباقي الدول وتواسي الجرح على عثم

وقد صدَّرنا هذا الجزء بصورة قارة اسيا كلها حتى تظهر بلاد الصين فيها بالنسبة الى غيرها من البلدان

دقائق عربيَّة

لحضرة الاستاذ سعيد الشرتوني صاحب قاموس اقرب الموارد

ربمَّا يتعجب من هذا العنوان من يلتفت الى تلك الأُلوف المؤلَّفة من الكتب الموضوعة في علم العربية فيقول أنحن بعدُ في حاجةٍ الى فصول تُعقَد في علم لو أُريدَ بناء صروح من مختصراتهِ ومطوَّلاتهِ ومتوسطاتهِ ما أعوزت المريدَ المادَّة. ولو نُضّد بعضها فوق بعض لرأيت منها جبلاً توشك شعَفاتهُ ان تمسَّ الغمام. قلت لكنهُ بعد ان يطلع ما أكتبهُ في هذا الفصل وفيما بعدهُ يتعجب من خلوّ تلك الخزائن الحافلة عن كتاب يتصدَّى لذكر هاتيك الدقائق في مظانها و يعلم ان اعادة النظر في كل علمٍ من العلوم تزيدهُ توسعةً ووضوحاً بما تستخرج من مقدَّماتهِ وتفسر من مبهماتهِ . فأحرِ بعلماء العصر ان ينهجوا هذا النهج فيتمّوا الناقص ويبرزوا المدفون فهذا هو تقدُّم العلوم لا كثرة التآليف مع عدم التعرض لكشف غامض يحلّ المشكل

وبعدُ فانَّ في علم العربية من الدقائق واللطائف ما يخفى على عددٍ من الأُدباء والمتأدّبين ومعضلات لا يهتدي الى حلها بل لا يدري بها غير اللبيب ممن تعلموا وعلَّموا وأنشأُوا وعرَّبوا ونثروا ونظموا واشتغلوا بالكتابة ووقعوا في مضايقها وغشيتهم الظلمة في بعض طرقها ثمَّ طلع عليهم من تضاعيف كلام العلماء الاعلام ما يبيِّن تلك الدقائق ويرشد الى هاتيك اللطائف. ولما كنت ممن تيسر لهم ان يتمرَّنوا على الكتابة في بعض ما لم يضرب بينهُ وبين العقل الشرقي حجاب المنع عن البحث فيهِ والتوغل في ارجائهِ وفيافيهِ انفتح لي الباب فاجتنيت فوائد عزيزة من قراءة الكتب الممتعة التي قد يعثر المنشيء في تضاعيفها على كنوزٍ لا يصيبها ثمة الاَّ من اجرى قلمهُ في مضمار الانشاء والتعريب او كان كما قال الامام الزمخشري ممن "رجعَ ورُجع اليهِ وَردَّ ورُدَّ عليهِ" . وقد علّقت تلك الدقائق في دفاتر لي خشيةَ النسيان ومضى عليها شهور ومعلقها يكابد ما يكابدهُ من يخدم العلم في هذه الناحية حتى زارني احد الاخوان من اعلام كتَّاب الزمان ورآها على مرفع كتبي فاستحسن نشرها في مجلة كثيرة القرَّاء جوَّابة الاقطار بعيدة الاسفار ليعمَّ التنبه لها فهي وان كانت متداولة المآخذ لكنها مجهولة المواقع. فوعدتهُ ان أتخذ استحسانهُ امرًا وانشر مقالات في تلك الدقائق العربية والفوائد اللغوية في مجلة المقتطف التي انتشرت حتى كادت تطبق وجه المعمور . وما احسبها تتلكأُ ان تحمل الى قرائها مثل هذه الجناة او تربأ بنفسها ان تنظم هذا المبحث في سلك مباحثها وهي من التوفر على خدمة العلم ما هي

الدقيقة الاولى

حقُّ الضمير ان يطابق مرجعهُ تذكيرًا وتأنيثًا وافرادًا وتثنيةً وجمعًا غير انهُ قد يبقى بلفظ المفرد مع تعدُّد ما يعود اليهِ تنزيلاً لكل ما قبلهُ منزلة المذكور او اجراء للضمير مجرى اسم الاشارة كما جاء في سورة يوسف "ودخل معهُ السجن فتيان قال احدهما إني أراني اعصرُ خمرًا وقال الآخر إني أراني أحملُ فوق رأسي خبزًا تأكلُ الطيرُ منهُ نبئنا بتاويلهِ" فالهاء من تأويلهِ راجعة الى ما قصَّا عليهِ. والضمير يجري مجرى اسم الاشارة في نحوهِ كأنهُ قيل نبئنا بتأويل ذلك. وفي سورة آل عمران "وهو مُطلع على كفرِ مَن كفر وايمان مَن آمن وهو مُجازيهم عليهِ" يريد على ذلك وهو كثير في كلام العرب

الدقيقة الثانية

ان المثنّى قد يُتبع بلفظة (اثنين) تعزيزًا لبيان ما قصدهُ المتكلم من ارادة التثنية كما يُتبع المفرد بكلمة واحدٍ لبيان قصد الافراد دون التثنية والجمع وان كان كلٌّ منهما يدلُّ على ذلك بصيغتهِ. ومنهُ في سورة النحل "قال الله لا تتخذوا الهين اثنين إنما هو إلهٌ واحدٌ" قال السيد في حاشيتهِ على الكشاف ما نصهُ "فالاسم الحامل للتثنية دالٌّ عليها وكذلك المفرد فأُريد التنبيه لان احد المعنيين وهو التثنية مراد مقصود وكذلك أُريد الايقاظ لان الوحدانية هي المقصودة في قولهِ انما هو الهٌ واحدٌ ولو قتصر على قولهِ انما هو الهٌ لأوهم ان المهمَّ اثبات الإلهية والغرض من الكلام ليس الاَّ الاثبات للوحدانية"

قلتُ فمن لا يتنبَّه للدقيقة في مثل هذ المقام ربَّما يرى من يقول مثلاً رأيت من بني تميم رجلين اثنين وليس هنا من بني قيس الاَّ رجلٌ واحدٌ جوابًا لمن يقول انك رأيت من التميميين جماعةً وان هنا من بني قيس رجالاً يراهُ قد ارتكب التطويل وأتى بما ليس وراءهُ فائدة

الدقيقة الثالثة

قد تقرَّر عند الصرفيين وجوب تجريد المثنى والجمع السالم والملحق بهِ عند النسبة من علامة التثنية والجمع فتقول في النسبة الى اثنين إثنيٌّ وفي النسبة الى عشرين عِشريٌّ الاَّ عند من اجرى المثنّى مجرى حمدان اي الزمهُ الألف واعربهُ بالحركات ممنوعًا من الصرف واجرى الجمع السالم مجرى غسلين فينسب اليهما مع بقاء علامة التثنية والجمع. فلما كان الجري على هذه القاعدة موقعًا في اللبس ومخلاً بتأدية المقصود وكان الغرض من الكلام بيان المعنى عدل علماء العربية عنها الى لغة من ينسب الى المثنّى والجمع على لفظهِ وان كانوا يعربونهما بالحروف. قال الصبّان في حاشيتهِ في باب لا النافية للجنس ما نصهُ "فان كان مثنًى نحو لا رجلين أو جمعًا نحو لا رجالَ

كانت محتملةً لنفي الجنس ولنفي قيد الاثنينية او الجمعية" فقد نسب الى الاثنين على لفظهِ بدون تجريد. قلت وعلى هذا يخرَّج قول النصارى الصوم الاربعيني والنسخة السبعينية نسبة الى الاربعين والسبعين باثبات علامة الجمع خوف الالتباس عند حذفها بالمنسوب الى الاربعة والسبعة

الدقيقة الرابعة

قد تقرَّر عند النحاة ان الاسم يذكر اول مرة بلفظهِ واذا دعت الحال الى اعادتهِ أُضمر لهُ فراراً من التكرار ما لم يكن ثمَّة ما يقضي بمخالفة الظاهر وربما كان للمتكلم عند الاضطرار الى اعادة ذكرهِ غرض لا يوصلهُ اليهِ التكرار ولا الاضمار فيذكر لهُ وصفاً يتكفل ببيان غرضهِ فيكون ذلك الوصف قائماً مقام الضمير ومنهُ في سورة الكهف "ما كنتُ متخذاً المضلين عضداً" فوضع المضلين موضع الضمير ذماً لهم بالاضلال وكان مقتضى السياق ان يقول متخذهم. ومنهُ ايضاً في سورة آل عمران "وأنزلَ الفرقانَ" قال السيد في جملة كلام لهُ هناك ما نصهُ" او كرَّر ذكر القرآن بما هو نعت لهُ ومدح من كونهِ فارقاً بين الحق والباطل وكان من مقتضى التركيب ان يقول وأنزلهُ". وهذا مستفيض في لغة الافرنج حتى ليظنهُ من خصائص لغتهم مَن قلَّ تصفحهُ للجيد من نثر العرب ونظامهم. ومما يمكن نظمهُ في هذا السلك بل يجلي بذكرهِ الغرض المقصود قول خلف بن خليفة مولى قيس بن ثعلبة

عدلتُ الى فخرِ العشيرةِ والهوى ... اليهم وفي تعداد مجدهم شُغُلُ
الى هضبةٍ من آل شيبانَ أشرفت ... لها الذروةُ العلياء والكاهلُ العَبْلُ
الى النفرِ البيضِ الألاء كأنهمْ ... صفائحُ يومَ الرَّوعِ أخلصَها الصقلُ
الى معدنِ العزِّ المؤيدِ والندى ... هُناكَ هُناكَ الفضلُ والخُلُقُ الجزْلُ

فقد عدل عن الاضمار للعشيرة الى التعبير عنها بالهضبة وبالنفر البيض وبالمعدن وذلك للدلالة بكلٍ منها على معنًى لا يبلغ اليهِ بالاضمار ولا بتكرار اللفظ. قال التبريزي" والمراد بجميع ما ذكر العشيرة وان اختلفت العبارات عنها"

الدقيقة الخامسة

يقول النحاة ان تعاطف النعوت المختلفة جائز ويمثلون لهُ بقول الشاعر

الى الملك القرم وابن الهمام ... وليثِ الكتيبة في المزدحَمْ

لكنهم لا يذكرون ما يترتب على ذلك التعاطف من الايماء الى كمال المنعوت في كل نعت منها. وقد ذكرهُ السيد في سورة الفرقان في تفسير "واللهُ بصيرٌ بالعباد الذين يقولون إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين"

الدقيقة السادسة

قد تقرَّر عند النحاة ان كل ما دلَّ عليهِ دليل جاز حذفهُ الاَّ اذا تعلق بذكرهِ غرض لا يعلم مع الحذف فلا يحذف كما يعلم ذلك مما ذكرهُ الصبان في حاشيتهِ عند قول ابن مالك

وأفعـل فعلان نحو أَشرِ . ونحو صَدْيانَ ونحو الاجهرِ

وهذا كلامهُ بالحرف " انما اعاد لفظة نحو للدلالة على اختلاف النوع " قلت لعلَّ مرادهُ بتكرار لفظة نحو التنبيه على اختلاف النوع وان كان ذلك الاختلاف يُعرَف من مجرَّد الصيغ الثلاث فالاعادة هنا لازمة لتأدية هذا الغرض واما في نحو اكرم خادمَ زيدٍ وخادمَ عمرٍو فيمتنع الحذف لانهُ يوهم ان لكليهما خادماً واحداً والمراد ان لكل منهما خادماً فهناك خادمان لا خادم واما في مثل اقطع رأس زيدٍ وعمرٍو ففي الحذف ايجاز بلا لبسٍ

الدقيقة السابعة

انَّ عدم استيفاء كتب اللغة قد يوقع الخاصةَ في الأوهام فينكرون كل ما لا يجدون فيها ويخطّئون من يستعملهُ. فاذا تناظر المخطّيء والمخطَّأ كان الاوَّل كالرامح والثاني كالأعزل ذاك يحتج بنصّ علماء اللغة وهذا لا حجة لهُ فيثبت عند الواقفين على المناظرة بل وعند المخطِّيء ان الانتقاد واقع في كبد الصواب وبهذا القصور يتسبب في زرع الخطإِ ونشرهِ المكلفون بمحوهِ وقلعهِ. مثال ذلك ان البليغ عند كثير من الادباء مختصٌّ بمن لهُ بلاغة الكلام وهم غير ملومين في ذلك لاستنادهم الى ما وقفوا عليهِ من نصوص بعض المعجمات مع انهُ ليس بمختصٍّ بدليل ما ورد في الكشاف في تفسير سورة يوسف حيث يقول " الاستعصام بناء مبالغةٍ يدلُّ على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد " وبدليل ما جاء في تفسير " لو انزلنا من السماء ماءً طهوراً " من سورة الفرقان قال اي بليغاً في طهارتهِ . وكذلك البلاغة غير مختصة بالكلام كما يعلم من قولهِ في هذا الموضع " وعن أحمد بن يحيى هو (اي الطهور) ما كان طاهراً في نفسهِ مطهراً لغيرهِ فان كان ما قالهُ شرحاً لبلاغتهِ في الطهارة كان سديداً " ويعضد ذلك ما ورد في الاساس من قولهِ " ابلغت الى فلان فعلت بهِ ما بلغ بهِ الاذى والمكروه البليغ " . وقول ابن الاثير " والاصل فيهِ (اي البلغين) كأنهُ قيل خطبٌ بُلغ اي بليغ ثم جمع جمع السلامة ايذاناً بأنَّ الخطوب في شدَّة نكايتها بمنزلة العقلاء الذين لهم قصدٌ وتعمُّد "

الدقيقة الثامنة

ليس في المتداول من كتب النحو ان الجملة الواقعة صفةً للنكرة تقترن بالواو . ورأيت في الكشاف ان الواو تدخل على الجملة الواقعة صفةً للنكرة كما تدخل على الواقعة حالاً من المعرفة

تقول جاءني رجل ومعهُ آخر وما أهلكنا من قريةٍ الاَّ ولها كتاب معلوم كما تقول مررت بزيد وفي يدهِ سيف. وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافهُ بها امرٌ ثابت مستقرٌّ (الكشاف . سورة الكهف)

قلت من نظر الى ان الغرض من الحال بيان هيئة ما هو لهُ عند تعلّق الفعل بهِ اخذ برأي الجمهور ولا سيما وان سيبويهِ حكى من كلام العرب ما يدل على ان الحال قد تجيء عن النكرة بدون شيء من المسوّغات كقولهم مررتُ بماء قعدةَ رجل . وأجاز فيها رجلٌ قائماً وجاء في الحديث فصلى رسول الله صلى الله عليهِ وسلم وصلى وراءهُ رجالٌ قياماً . ومحصل الكلام انَّ الجملة في نحو جاء رجلٌ ومعهُ آخر حال عند الجمهور وكذلك الجملة الواقعة بعد الاَّ في " وما أهلكنا من قريةٍ الاَّ ولها كتابٌ معلومٌ " لما في الأولى من بيان هيئة الرجل عند مجيئهِ وفي الثانية من بيان هيئة القرية عند اهلاكها . وصفة عند الزمخشري . والرأي هنا رأي الجمهور . وقد نقل الصبان في حاشيتهِ على شرح الاشموني على ألفية ابن مالك ما ورد في الكشاف لكن نقل من لا غرض لهُ الاَّ استقراء الآراء وجمع الاقوال بدون تعرُّضٍ للترجيح أو التخطئة . قلت ولا عجب فمن يطلع على بدائع صاحب الكشاف يصغر عند نفسهِ دها عامةُ الناس اللهمَّ الاَّ ان يكون مغترًّا يحاول ان يثبت لنفسهِ الأفضلية على كل عالم

الدقيقة التاسعة

قال الفيومي في مادة أمَّ عاملنا امرأة واميرنا امرأة وفلانة وصيُّ فلانٍ وفلانة وكيل فلانٍ . وانما ذكّر لانهُ انما يكون في الرجال اكثر مما يكون في النساء فلما احتاجوا اليهِ في النساء أجروهُ على الاكثر في موضعهِ . وانت قائل مؤذِّن بني فلانٍ امرأة . وفلانةٌ شاهدٌ بكذا لانَّ هذا يكثر في الرجال ويقلُّ في النساء . وفي القرآن الكريم " انها لاحدى الكبر نذيرًا للبشر وهو لاحدى " (المصباح)

الدقيقة العاشرة

من التراكيب الواردة عن العرب المستحبّ الاحتذاء على مثالها قول عمرو بن كلثوم التغلبيّ

نزلتم منزلَ الاضياف منا فعجّلنا القرى أن تشتمونا

وهو في تقدير فعلنا ذلك كراهة ان تشتمونا . ومثلهُ " يا أهل الكتاب قد جاءكم رسول يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا بشيرٌ ولا نذيرٌ " والتقدير كراهة ان تقولوا

الدقيقة الحادية عشرة

يظن بعض الادباء ان اضافة الفعل الى الفاعل بن غير واردة في كلام العرب ولقد رأيتها

اثناء تصفحي لبعض الكتب البليغة وذهبت تلك العبارات من ذاكرتي الاً عبارة للامام الزمخشري في المقالة الرابعة والاربعين من كتابهِ (اطواق الذهب في المواعظ والخطب) وهي " وما قولك في هناتٍ توجد منك وانت ذاهل "

وفي حاشية الصبان على شرح الاشموني ما نصهُ " قولهُ وما توفيقي الاَّ بالله استقبح اهل اللسان نسبة الفعل الى الفاعل بالباء لانهُ يوهم الآلة فلا يحسن ضربي بزيدٍ اذا كان زيد ضاربًا والحسن ضربي من زيدٍ وفاعل التوفيق هو الله تعالى فالحسن وما توفيقي الاَّ من الله

الدقيقة الثانية عشرة

قال صفيٌّ لي من اعيان الادباء ونخبة الكتَّاب البلغاء ان خليلاً لهُ نبههُ الى ان استعمال (عن) بعد عوَّض وعوِّض خطأ وعليهِ فعوِّض عن كذا خطأ والصواب عوِّض من كذا . والصحيح ان كلا الاستعمالين وارد في كلام من يوثق بهِ فهذا الاشموني يقول "هو اما عوضٌ عن حرفٍ " بادخال عن على المعوَّض منهُ وهو نفسهُ يقول في باب الاضافة من شرح الالفية "ويكون التنوين عوضًا من لفظ الجملة" وهذا ابن الناظم يقول في شرح الالفية "والتعويض عنها" وحسبك دليلاً على تعدية عوِّض بعن قول احد الشعراء من قصيدة يمدح بها عبيد الله ابن العباس لاحسانهِ اليهِ بالف دينار مكافأةً لهُ على ذبح عنز لم يملك غيرها

تعوّضني عنها غناي ولم تكن تساوي عنزي غير خمس دراهمِ

كما رواهُ العينيُّ في شرح الشواهد

الدقيقة الثالثة عشرة

قد رأيت من أُدباء العصر من ينكر ادخال فوق على حيث مع ان ذلك وارد في بعض اشعار الحماسة . ثمَّ ان حيث من الظروف التي قد تخرج عن الظرفية كقولهِ . لدى حيث أَلقت رحلها امُّ قشعمِ وكقول الآخر

أَبعدت من يومك الفرارَ فما جاوزت حيث انتهى بك القدرُ

يريد لدى مكان القت فيهِ رحلها وجاوزت مكانًا انتهى بك القدرُ. فان كانت تخرج عن الظرفية كما قال النحاة فيكون قولهم وقف حيث كان الصبي صحيحًا لا غبار عليهِ وهو بمثابة قولك وقف فوق المكان الذي كان فيهِ الصبي

الدقيقة الرابعة عشرة

قد ورد في كتب النحو انهُ يجوز في المضارع بعد عسى خاصةً ان يرفع السببيُّ واستشهدوا لهُ بقول مالك بن الريب المازني وهو ممن هرب من الحجاج

وماذا عسى الحجاج يبلغ جهده اذا نحن جاوزنا حفير زياد

على ان المبرّد رواه في الكامل "وماذا ترى الحجاج يبلغ جهده" وهو من ابيات لا بأس بروايتها

ان تنصفونا يا ل مروان نقترب اليكم والاّ فأذنوا ببعادِ
فانّ لنا عنكم مزاحاً ومرحلاً بعيسٍ الى ريح الفلاةِ صوادي
ففي الارض عن دار المذلة مذهبٌ وكلُّ بلادٍ أوطنت كبلادي
وماذا ترى الحجاج يبلغ جهده اذا نحنُ جاوزنا حفير زيادِ
فلولا بنو مروان كان ابن يوسف كما كان عبداً من عبيد ايادِ

فان لم يكن لهم الاّ هذا الشاهد فأحرِ بهذا الاختصاص ان يسقط من اصلهِ

الدقيقة الخامسة عشرة

لم يذكر احدٌ من النحاة فيما وصل اليهِ اطلاعي ان اين تخرج عن الظرفية . وهذه كتب البلغاء من الاوائل والاواخر طافحة بمثل هذا التركيب رأيت فلاناً مسافراً فقلت لهُ اين تريد قال أُريد الكوفة فهي هنا مفعول بهِ لا مفعول فيهِ قطعاً

الدقيقة السادسة عشرة

قد تقرَّر في كتب النحو ان حيث لا تجزم الاّ ملحقةً بما وحينئذٍ تتعين للجزم فلا يقال اجلس حيثما تريد ويؤيد ذلك ما جاء في حاشية الصبان من قوله قيل وزيدت ما على اذ وحيث فرقاً بين حالة جزمهما وحالة عدمهِ. على ان من كتاب هذا الزمان من قد يسهو عن ذلك فيستعمل حيثما استعمال حيث فيند قلمهُ عن سُنَّة الفصاحة

الدقيقة السابعة عشرة

قال ابن مالك . . . . . .

واقرن بفا حتماً جواباً لو جُعِل شرطاً لان او غيرها لم ينجعل

استعمال انجعل ولم ينبه احدٌ من الشراح ولا المحشين على عدم ورودهِ. قلت وما ذلك الاّ استناداً الى انَّ مثل الامام ابن مالك ثقة لا يرد استعمالهُ انجعل بخلو كتب اللغة منهُ

الدقيقة الثامنة عشرة

ان كما تلحق بكذلك على انها توكيدٌ لما كما ذكر ذلك الصبان على قول الاشموني "كما ان آلاءهُ تعالى لا تزال تتجدَّد في حقنا دائماً كذلك نحمدهُ بمحامد لا تزال تتجدَّد"

الدقيقة التاسعة عشرة

انَّ من الادباء من ينكر استعمال كلمة (دائماً) ويقول يجب ابدالها بكلمة (ابداً) ويستند

ذلك الى انهُ لم يطلع عليها في كلام من يوثق بهِ وقد وردت في شعر ابي العلاء المعرّي وهو اعلى من أن يستعمل ما ليس منهُ على ثقةٍ قال في لزومهِ

كُتُبٌ يقال على المنابر دائماً أفلا يميدُ لما يقالُ المنبرُ

وعثرت عليها في كلام غيرهِ من اهل الاطلاع الواسع وارباب اللغة الفصحى على انها قليلة الورود في كلامهم بخلاف ابداً فهي مستعلية على ألسنتهم فاشية في كتبهم

اصل الوهابية

للكاتب البليغ محمد افندي كردعلي

لغطت ألسن الناس في هذه الايام باصل الوهابية وتاريخهم ومعتقدهم وتناقضت الروايات وكثرت التخرُّصات والقوم بين مفرط في التشيع لهم ومفرّط في التشنيع عليهم ووَدَّ الكثير لو كان في الايدي ما يستنَد عليهِ لاستقراء الحقيقة واستجلاء الغامض من هذا السر. وما دعا الى ذلك الاَّ اختلاط المتمسكين بذاك المذهب مع اهل الامصار كالقطر العراقي المصري والشامي وغيرها من الاقاليم يتجرون بنتائج بلادهم من سمن وحنطة واباعر وشياه واوبار وجلود تجارة رائدها الصدق في التعامل مع الكافة مما ضاعف الثقة بهم على تطاول الايام. ولان اميرهم الحالي كالخالي اخذ يحسن صلاتهِ مع الدولة العلية العثمانية فينفذ كل عام الى الاستانة وفداً من قبلهِ يصحبهُ بعشرات من جياد الخيول العربية المطهمة هدية منهُ الى الاصطبل السلطاني ورسائل لتكون دلائل على اخلاصهِ وصداقتهِ فينال رجالهُ كل رعاية وتجلة وتنهال عليهم وعلى مولاهم انواع الاوسمة وعلائم الشرف كما تنثال الخلع والطرف

ولما كان من شأن المقتطف أن يبحث في كل جليل وقليل من احوال العلم والعالم وقد سبق لهُ ان تعرض لذكر كثير من المذاهب خصوصاً ما ينشأ منها في المشرق رأيت ان اخدمهُ بنبذة في تاريخ الوهابية فاقبلت على التواريخ الحديثة انشد فيها ضالتي فلم اعثر على بيان يشفي الغلة ويدرأ الشبهة جرى فيهِ كاتبهُ على قدم الصدق وتمحيص الحق واسند الاشياء الى ادلتها. ولما ضاق المضطرب وعز المطلب عمدت الى انتقاد نتف من كتب شتى ولفقت بينها على كثرة التناقض فيها ونواصي الامل معقودة بان يأخذ المطالع منها حصة تكون اقرب الى الحقيقة اذا استعمل الفكرة

ولا اتوخى في هذه العجالة الالمام بعقائد تلك الطائفة لتأتي صبرة واحدة فان كتبهم

المطبوع اكثرها في بلاد الهند تتكفل بذلك لمن يروم الاستيفاء ولا ان اصف بلادهم واحوالهم وصف مدّاح متحامل او قداح متحامل بل غاية ما اتطاول اليهِ ذكر طرف من اخبارهم مشفوعة بصحة النقل والناقل لاتبعة تلحقهُ اذا خلصت منهُ النية

قال عبد الرحمن الجبرتي المصري في تاريخهِ عجائب الآثار في التراجم والاخبار عند حوادث سنة ١٢١٨ هجرية ما نصهُ . "وحضر صحبة الحجاج كثير من اهل مكة هروبًا من الوهابي ولغط الناس في خبرهِ واختلفوا فيهِ فمنهم من يجعلهُ خارجيًا وكافرًا وهم المكيّون ومن تابعهم وصدّق اقوالهم. ومنهم من يقول بخلاف ذلك لخلو غرضهِ . وارسل الى شيخ الركب المغربي كتابًا ومعهُ اوراق تتضمن دعوتهُ وعقيدتهُ وصورتها " بسم الله الرحمن الرحيم وبهِ نستعين الحمد لله نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا من يهدِ الله فلا مضلّ لهُ ومن يضلل فلا هادي لهُ . ونشهد ان لا اله الا الله وحدهُ لا شريك لهُ ونشهد ان محمدًا عبدهُ ورسولهُ من يطع الله ورسولهُ فقد رشد ومن يعصِ الله ورسولهُ فقد غوى ولا يضر الاّ نفسهُ ولن يضر الله شيئًا . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آلهِ وصحبهِ وسلم تسليماً كثيرًا . اما بعد فقد قال الله تعالى قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين. وقال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم . وقال تعالى وما آتاكم الرسولُ فخذوهُ وما نهاكم عنهُ فانتهوا . وقال تعالى اليوم اكملتُ لكم دينكم واتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الاسلام دينًا. فاخبر سبحانهُ انهُ اكمل الدين واتمهُ على لسان رسولهِ صلى الله عليهِ وسلم وامرنا بلزوم ما انزل الينا من ربنا وترك البدع والتفرق والاختلاف . وقال تعالى اتبعوا ما أُنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونهِ اولياءَ قليلاً ما تذكرون . وقال تعالى وان هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوهُ ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيلهِ ذلكم وصاكم بهِ لعلكم تتقون

" والرسول صلى الله عليهِ وسلم قد اخبرنا بانَّ امتهُ تأخذ مأخذ القرون قبلها شبرًا بشبر وذراعًا بذراع. وثبت في الصحيحين وغيرهما عنهُ صلى الله عليهِ وسلم انهُ قال لتتبعنَّ سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموهُ قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن. واخبر في الحديث الآخر ان امتهُ ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال من كان على مثل ما انا عليهِ اليوم واصحابي

" اذا عرف هذا فمعلوم ما قد عمت بهِ البلوى من حوادث الامور التي اعظمها الاشراك بالله والتوجه الى الموتى وسؤالهم النصر على الاعداء وقضاء الحاجات وتفريج الكربات التي

لا يقدر عليها الاّ رب الارض والسموات وكذلك التقرب اليهم بالنذور وذبح القربان والاستغاثة بهم في كشف الشدائد وجلب الفوائد الى غير ذلك من انواع العبادة التي لا تصلح الاّ لله . وصرف شيء من انواع العبادة لغير الله كصرف جميعها لانهُ سبحانهُ وتعالى اغنى الاغنياء عن الشرك ولا يقبل من العمل الا ما كان خالصاً كما قال تعالى فاعبد الله مخلصاً لهُ الدين ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونهِ اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيهِ يختلفون ان الله لا يهدي من هو كاذب كفّار . فاخبر سبحانهُ انهُ لا يرضى من الدين الاّ ما كان خالصاً لوجههِ واخبر ان المشركين يدعون الملائكة والانبياء والصالحين ليقربوهم الى الله زلفى و يشفعوا لهم عندهُ واخبر انهُ لا يهدي من هو كاذب كفار . وقال تعالى و يعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبؤن الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانهُ وتعالى عما يشركون . فاخبر انهُ من جعل بينهُ وبين الله وسائط يسألهم الشفاعة فقد عبدهم واشرك بهم وذلك ان الشفاعة كلها لله كما قال تعالى من ذا الذي يشفع عندهُ الاّ باذنهِ وقال تعالى يومئذٍ لا تنفع الذين ظلموا معذرتهم وقال تعالى يومئذٍ لا تنفع الشفاعة الاّ من اذن لهُ الرحمن ورضي لهُ قولاً وهو سبحانهُ وتعالى لا يرضى الاّ التوحيد كما قال تعالى ولا يشفعون الاّ لمن ارتضى وهم من خشيتهِ مشفقون . فالشفاعة حق ولا تطلب في دار الدنيا الاّ من الله كما قال تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احداً وقال تعالى ولا تدعُ من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلتَ فانك اذاً من الظالمين

« فاذا كان الرسول صلى الله عليهِ وسلم وهو سيد الشفعاء وصاحب المقام المحمود وآدم فمن دونهُ تحت لوائهِ لا يشفع الا باذن الله لا يشفع ابتداء بل يأتي فيخرُّ لله ساجداً فيحمدهُ بمحامد يعلّمهُ اياها ثم يقال ارفع رأسك وسل تعطَ واشفع تشفع ثم يحدُّ لهُ حدًّا فيدخلهم الجنة فكيف بغيرهِ من الانبياء والاولياء. وهذا الذي ذكرناهُ لا يخالف فيهِ احد من علماء المسلمين بل قد اجمع عليهِ السلف الصالح من الاصحاب والتابعين والائمة الاربعة وغيرهم ممن سلك سبيلهم ودرج على منهاجهم واما ما حدث من سؤال الانبياء والاولياء من الشفاعة بعد موتهم وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها واسراجها والصلاة عندها واتخاذها اعياداً وجعل السدنة والنذور لها فكل ذلك من حوادث الامور التي اخبر بها النبي صلى الله عليهِ وسلم امتهُ وحذر منها كما في الحديث عنهُ صلى الله عليهِ وسلم انهُ قال لا تقوم الساعة حتى يلحق حيٌّ من امتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من امتي الاوثان. وهو صلى الله عليهِ وسلم حمى جناب التوحيد اعظم

حماية وسد كل طريق يؤدي الى الشرك

" فنهى ان يجصص القبر وان يبنى عليهِ كما ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر وثبت فيهِ ايضاً انهُ بعث علياً بن ابي طالب رضي الله عنهُ وامرهُ ان لا يدع قبراً مشرفاً الا سواهُ ولا تمثالاً الا طمسهُ ولهذا قال غير واحد من العلماء يجب هدم القباب المبنية على القبور لانها اسست على معصية الرسول صلى الله عليهِ وسلم . فهذا هو الذي اوجب الاختلاف بيننا وبين الناس حتى آل بهم الامر الى ان كفرونا وقاتلونا واستحلوا دماءنا واموالنا حتى نصرنا الله عليهم وظفرنا بهم وهو الذي ندعو الناس اليهِ ونقاتلهم عليهِ بعد ما نقيم عليهم الحجة من كتاب الله وسنة رسولهِ صلى الله عليهِ وسلم واجماع السلف الصالح من الامة ممتثلين لقولهِ سبحانهُ وتعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كلهُ لله . فمن لم يجب الدعوة بالحجة والبيان قاتلناهُ بالسيف والسنان كما قال تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيهِ بأس شديد ومنافع للناس . وندعو الناس الى اقامة الصلاة في الجماعات على الوجه المشروع وايتاء الزكاة وصيام شهر رمضان وحج بيت الله الحرام ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر كما قال تعالى الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور

" فهذا هو الذي نعتقدهُ وندين الله بهِ فمن عمل بذلك فهو اخونا المسلم لهُ ما لنا وعليهِ ما علينا ونعتقد ايضاً ان امة محمد صلى الله عليهِ وسلم المتبعين للسنة لا تجتمع على ضلالة وانهُ لا تزال طائفة من امتهِ على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي امر الله وهم على ذلك اه " .

قال الجبرتي بعد ايراد ما تقدم " اقول ان كان كذلك فهذا ما ندين الله بهِ نحن ايضاً وهو خلاصة لباب التوحيد وما علينا من المارقين والمتعصبين . وقد بسط الكلام في ذلك ابن القيم في كتابهِ اغاثة اللهفان والحافظ المقريزي في تجريد التوحيد والامام اليوسي في شرح الكبرى وشرح الحكم لابن عباد وكتاب جمع الفضائل وقمع الرذائل وكتاب مصائد الشيطان وغير ذلك "

وجاء في تاريخ بغداد لعثمان بن سند البصري عند الكلام على الوهابية ما يأتي " ومن اعتقادهم تكفير عموم المسلمين الذين على الكرة الارضية الا من اعتقد اعتقادهم . وسموا انفسهم بالسلف وبالمحمديين ويبغضون ويلعنون جملة من علماء السنة مثل ابي الحسن الاشعري مع ان انهم هم الذين اسسوا قواعد الادلة والبراهين في علم التوحيد . ومنهُ نشأت الفرق ...

الامة المصرية والاَّ فقبلهُ كانت الادلة في القرآن والحديث لا غير . وايضاً يكفرون الامام ابن السبكي الشافعي ولكن ما اعلم السبب في تكفيره دون سائر المصريين . وياليت شعري ما ذنبهُ سوى انهُ لكونهِ كان يغري الملوك بابن تيمية وجماعتهِ الحنابلة حتى حبسهم الناصر محمد بن قلاوون في الاسكندرية كما هو مذكور في الدرر الكامنة لابن حجر

"والحاصل ان الوهابيين آذوا الاحياء والاموات.ومن محاسن الوهابيين انهم اماتوا البدع ومحوها ومن محاسنهم انهم امنوا البلاد التي ملكوها وصار كلما كان تحت حكمهم من هذه البراري والقفار يسلكها الرجل وحده على حمار بلا خفر خصوصاً بين الحرمين الشريفين ومنعوا غزو الاعراب بعضهم على بعض وصار جميع العرب على اختلاف قبائلهم من حضرموت الى الشام كانهم اخوان اولاد رجل واحد وهذا بسبب قسوتهم في تأديب القاتل والسارق والناهب الى ان عدم هذا الشر في زمان ابن سعود وانتقلت اخلاق العرب من التوحش الى الانسانية . وتجد في بعض الاراضي المخصبة هذا بيت عنزي ويجنبهِ بيت عتبي وبقربهِ بيت حربي وكلهم يرتعون كانهم اخوان وبهاتين الحسنتين خدعوا جميع العوام يعني محو البدعة وتأمين الطرقات والسبل خصوصاً بين الحرمين واحبهم سائر الامم وغفلوا عن باقي عقائدهم . ورأيت لهم عقيدة منظومة يحفظها حتى رعاة غنمهم ومنها

وما الدين الاَّ ان تقام شعائر وتأمن سُبْل بيننا وشعابُ

كأنهم جعلوا تأمين الطرقات ركناً من اركان الدين . ويفهم عقلاً من سياستهم انهُ اذا فقد القاتل والسارق والناهب فأي سبب يمنع عموم الناس من الاشتغال بالزراعة والتجارة واقتناء المواشي في البادية المخصبة للتكسب من البانها واصوافها وجلودها واذا اشتغلوا بالكسب الحلال فلا يسرقون ولا ينهبون ولا يقتلون فكأن المسئلة شبيهة بالدورية اي انهُ متى وُجد الامان يقتنع السارق والقاتل لاشتغالهم بمعاشهم الحلال ومتى اشتغلوا بالمعاش الحلال وُجد الامان لكن هذا الدور منفك الجهة

ولولا ما في الوهابيين من هذه النزعة اعني تكفير من عداهم لملكوا جميع بلاد الاسلام وادخلوها تحت حكمهم بطوعهم واختيارهم ولكن بسبب هذه النزعة ابغضتهم الامم وتسلطت عليهم اسول وغزاهم اسد الديار المصرية ابرهيم باشا بن محمد علي باشا بامر السلطان محمود سنة ١٢١٨ وملك بلادهم ومحا آثارهم وابادهم واسكن عائلة المقرن اي بيت الملك وعائلة بن عبد الوهاب الديار المصرية (وما رجعوا الى بلادهم الاَّ بعد ان عاد الحجاز الى الدولة العلية)

" هذه الفرقة المعبر عنها بالوهابيين هم اتباع محمد بن عبد الوهاب النجدي ولكنهم في

الحقيقة يسمون اهل الحديث لانهُ كان نظيرهم موجوداً في زمن الدولة العباسية وينكرون المناكير بالشدة والغلظة مثل الوهابيين ويثورون على الخلفاء بسبب ان الجهاد في اعتقادهم ركن من اركان الدين — انظر تاريخ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة من سنة ٣٠٠ هجرية— وكانوا يسمونهم الحنابلة واهل الحديث في ذلك الزمن ويقولون قام الحنابلة وثار الحنابلة وكسر الحنابلة حانات الخمور وادَّبوا من شربها وكان بينهم وبين العباسيين مقاتلات وحروب. ثم ثارت منهم فرق بالمشرق وبجزيرة الاندلس ويسمون الظاهرية وهم ايضاً اهل الحديث وكانوا ينكرون المناكير مع الغلظة ويثورون على الملوك واكثرهم يموت بين قتيل وطريد . ثم انهُ ظهر لهم فرق في دولة يوسف صلاح الدين وكانوا يسمون اهل الحديث ولهم ثورات وعداوات مع الملوك ايضاً وينكرون المنكر بغلظة وفظاظة وتسلسلوا الى زمن ابن تيمية الحراني وتلاميذه ابن مفلح وابن القيم وابن عبد الهادي . ثم ظهرت هذه الفرقة التي عمت وطمت في القرن الثاني عشر ويسمون بالوهابيين نسبةً الى محمد بن عبد الوهاب النجدي والاَّ ففي الحقيقة افعالهم وآثارهم هي افعال الحنابلة الاقدمين وهي افعال اهل الحديث في القرون المتوسطة وافعال الظاهرية فالمعنى واحد انما يسمون في كل عصر باسم على اصطلاح اهل ذلك العصر اه "

اما ناظم عقد هذه الجماعة وصاحب دعوتها محمد بن عبد الوهاب النجدي الآنف ذكرهُ فقد ورد في كتاب تبصرة الناقد لابي الفتح عبد النصير المندي ثم المدني نقلاً عن محمد بن ناصر الحازمي في رسالة فتح المنان في ترجيح الراجح وتزييف الزائف من صلح الاخوان انهُ محمد بن الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن احمد بن راشد بن عزيد بن محمد بن يزيد بن مشرف. هذا هو المعروف من نسبهِ ويذكر انهُ من مُضَر ثم من بني تميم والله بهِ عليم. اخذ عن ابيهِ وهم بيت فقه حنابلة ثم حج وقصد المدينة ولقي بها شيخاً عالمًا من اهل نجد اسمهُ عبد الله بن ابرهيم قد لقي ابا المواهب البعلي الدمشقي واخذ عنهُ وانتقل مع ابيهِ الى حريملا من نجد ايضاً ولما مات ابوهُ رجع الى العيينة واراد نشر الدعوة فرغب اهل العيينة بذلك ثم خرج عنها بسبب الى الدرعية واطاعهُ اميرها محمد بن سعود من آل مقرن. ويذكر انهم من بني حنيفة ثم من ربيعة والله اعلم. وهذا في حدود سنة تسع وخمسين بعد المائة والالف وانتشرت دعوتهُ في نجد وشرق بلاد العرب الى عمان ولم يخرج عنها الى الحجاز واليمن الاَّ في حدود المائتين والالف وتوفي سنة ست بعد المائتين والالف انتهى .

وقال ايضاً " هو رجل عالم متبع الغالب عليهِ في نفسهِ الاتباع ورسائلهُ معروفة وفيها المقبول والمردود واشهر ما ينكر عليهِ خلصتان كبيرتان الاولى تكفير اهل الارض بمجرد تلفيقات لاَدليل

عليها والثانية الاجتراء على سفك الدم المعصوم بلا حجة واقامة برهان . وتتبع هذه جزئيات وهي حقيرة تغتفر مع صلاح الاصل وصحتهِ والله اعلم . وقد بنى الشيخ محمد المذكور طريقته على اتباع ابن تيمية وابن القيم في زعمهِ واخذ من اقوالهما اطرافاً بحسب ما وقع لهُ من الاطلاع والاشراف وقد اصاب في بعض ما نقلهُ واخطأ في البعض وساء فهماً واخذ على غير القصد في بعض وقد احيت دعوتهُ بعضاً من الشريعة واماتت كثيراً من الباطل في نجد والحجاز . رحمهُ الله وتجاوز عنهُ فيما اخطأ فيهِ وجزاهُ احسن ما عمل بهِ " انتهى ملخصاً

وكتب العلامة الشوكاني اليماني في البدر الطالع في ترجمة سعود بن العزيز ما نصهُ : "فوصل اليهِ الشيخ العلامة محمد بن عبد الوهاب الداعي الى التوحيد المنكر على المعتقدين في الاموات. وقال ايضاً في ترجمة غالب بن ساعد شريف مكة في بيان اتباع صاحب نجد وتبلغنا عنهم اخبار الله اعلم بصحتها من ذلك انهُ يستحل دم من استغاث بغير الله من نبي او ولي او غير ذلك. ولا ريب ان كان ذلك عن اعتقاد تأثير المستغاث بهِ كتأثير الله يصير بهِ صاحبهُ مرتداً كما يقع من كثير من هؤلاء المعتقدين للاموات الذين يسألونهم قضاء حوائجهم و يعوّلون عليهم زيادة على تعويلهم على الله سبحانهُ وتعالى ولا ينادون الله جل وعلا الاَّ مقترناً باسمائهم ويخصونهم بالنداء منفردين عن الرب فهذا كفر لا شك فيهِ ولا شبهة وصاحبهُ اذا لم يتب كان حلال الدم والمال كسائر المرتدين . وقال وبعض الناس يزعم انهُ يعني صاحب نجد يعتقد اعتقاد الخوارج وما اظن ذلك صحيحاً فان صاحب نجد وجميع اتباعه يعملون بما يعلمونهُ من محمد بن عبد الوهاب وكان حنبلياً ثم طلب الحديث بالمدينة المشرفة فعاد الى نجد وصار يعمل باجتهادات جماعة من متأخري الحنابلة كابن تيمية وابن القيم واضرابهما وهم من اشد الناس على معتقدي الاموات

" وقد رأيت كتاباً من صاحب نجد الذي هو الآن صاحب تلك الجهات اجاب على بعض اهل العلم وقد كاتبهُ وسألهُ بيان ما يعتقدهُ فرأيت جوابهُ مشتملاً على اعتقاد حسن موافق للكتاب والسنة والله اعلم بحقيقة الحال . وبلغنا انهُ وصل الى مكة بعض علماء نجد لقصد المناظرة فناظر علماء مكة بحضرة الشريف في مسائل تدل على ثبات قدمهِ وقدم صاحبهِ في الدين . وفي سنة ١٢١٥ وصل من صاحب نجد المذكور مجلدان لطيفان ارسل بهما الى حضرة مولانا الامام حفظهُ الله احدهما يشتمل على رسائل لمحمد بن عبد الوهاب كلها في الارشاد الى اخلاص التوحيد والتنفير من الشرك الذي يفعلهُ المعتقدون في القبور وهي رسائل جيدة مشحونة بادلة الكتاب والسنة . والمجلد الآخر يتضمن الرد على جماعة من الفقهاء المقصرين من فقهاء صنعاء وصعدة ذاكروهُ في مسائل متعلقة باصول الدين وبجماعة من

الصحابة فاجاب عليها جوابات محررة مقررة محققة تدل على ان المجيب من العلماء المحققين العارفين بالكتاب والسنة . وقد هدم عليهم جميع ما بنوه وابطل جميع ما دونوه لانهم مقصرون متعصبون فصار ما فعلوه خزياً عليهم وعلى اهل صنعاء وصعدة وهكذا من تصدر ولم يعرف مقدار نفسه. انتهى ملخصاً

وقال القاضي العلاّمة عبد الرحمن بن احمد البهكلي في كتاب نفح العود في ايام الشريف حمود "ومن كتب عبد العزيز بن سعود هذا الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد العزيز ابن سعود الى من يراه من اهل المخلاف السليماني خصوصاً اولاد الشريف حمود وناصر ويحيى وسائر اخوانهم واولاد اخوانهم وكذلك اشراف بني النعمي وكافة اشراف تهامة وفقنا الله واياهم الى سبيل الحق والهداية وجنبنا واياهم طريق الشرك والغواية وارشدنا واياهم الى اقتفاء آثار اهل العناية . اما بعد فالموجب لهذه الرسالة ان الشريف احمد بن حسين الفلقي قدم الينا فرأى ما نحن فيه وتحقق صحة ذلك لديه فبعد ذلك التمس منا ان نكتب لكم ما يزول به الاشتباه فتعرفوا دين الاسلام الذي لا يقبل من احد سواه . فاعلموا رحمكم الله تعالى ان الله سبحانهُ ارسل محمداً صلى الله عليهِ وسلم على فترة من الرسل فهدى بهِ الى الدين الكامل والشرع التام واعظم ذلك واكبره وزبدتهُ اخلاص العبادة لله لا شريك لهُ والنهي عن الشرك وذلك هو الذي خلق الله تعالى الخلق لاجلهِ ودلّ الكتاب على فضلهِ كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الاّ ليعبدون. وقال تعالى وما أُمروا الاّ ليعبدوا الله مخلصين لهُ الدين واخلاص الدين هو صرف جميع العبادة لله تعالى وحدهُ لا شريك لهُ وذلك ان لا يدعى الاّ الله ولا يُستغاث الاّ بهِ ولا يذبح الاّ لهُ ولا يخشى ولا يرجى سواهُ ولا يرهب ولا يرغب الاّ فيما لديهِ ولا يُتوكَّل في جميع الامور الاّ عليهِ. وان كل ما هنالك لله تعالى لا يصلح شيء منهُ لملك مقرب ولا نبي مرسل ولا شيء غيرهما. وهذا هو بعينهِ توحيد الالوهية الذي أُسس الاسلام عليهِ وانفرد بهِ المسلم عن الكافر وهو معنى شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً عبدهُ ورسولهُ

"فلما منّ الله تعالى علينا بمعرفة ذلك وعلمنا انهُ دين الرسل اتبعناهُ ودعونا الناس اليهِ والاّ فنحن قبل ذلك على ما عليهِ غالب الناس من الشرك بالله تعالى من عبادة اهل القبور والاستغاثة بهم والاستعانة منهم والتقرب بالذبح لهم وطلب الحاجات منهم مع ما ينضم الى ذلك من فعل الفواحش والمنكرات وا تكاب الامور المحرمات وترك الصلاة وترك شعائر الاسلام حتى اظهر الله الحق بعد خفائهِ واحيا اثرهُ بعد عفائهِ على يد شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب احسن الله تعالى اليهِ في آخرتهِ والمآب فابرز ما هو الحق والصواب من كتاب الله المجيد الذي لا يأتيهِ

الباطل من بين يديهِ ولا من خلفهِ تنزيل من حكيم حميد الخ . ورسالة عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب التي كتبها حين فتح الحرمين الشريفين شاهدة عدل على انهُ بريء من تلك الافتراءات التي افتروها على عقائدهِ وعقائد ابيهِ وبنوا عليها تلك الزلازل والقلاقل وان مذهبهُ عين مذهب الائمة المحدثين والسلف الصالحين وتلك الرسالة منقولة في اتحاف النبلاء من شاء الاطلاع عليها فليرجع اليها "

وقال المستشرق سيديلو الفرنساوي في كتابهِ خلاصة تاريخ العرب ما نصهُ : " اخذت العرب من ابتداء القرن الثامن عشر في الاستقلال بالحكم لقوتها وضعف اعدائها ولم تنقص الا اتخاذ مركز تجتمع حولهُ جميع الاذهان وترجع اليهِ في تدبير الامور فعمت الوهابية سنة ١٧٤٩ ميلادية فاتخذت منها عبد الوهاب مركزاً وهو من قبيلة تميم اشتغل في صغرهِ بالعلوم المعتادة عند العرب خصوصاً الفقه وسافر الى بغداد والبصرة وبلاد الفرس ثم اخذ يتفكر فيما يثير الحمية في ابناء وطنهِ فوجدهُ احياء الشريعة نقية من جميع البدع كحالتها الاولية فالزمهم المواظبة على العمل بالقرآن ونهاهم عن الغلوّ في تعظيم النبي (صلى الله عليهِ وسلم) وعن تقديس الاولياء الذين هدم قبورهم وعن تعاطي المسكر وانكر على لاتراك بعض الاحوال وقال أن الشريعة تقضي ان يخرج كل انسان خمس اموالهِ (كذا) زكاة وتحرم الزينة وتلزم القضاة بتحري الصدق " واخذ يعظهم بخطب عظم تأثيرها لديهم بموافقتها القرآن ومقصودهُ من ذلك استمالتهم الى الامور الحربية ليحيوا ما كان لآبائهم من العظمة وقد كان فات اقوى جميع قبائل نجد وفدت عليهِ وانتظمت تحت لوائهِ فجعل محمدبن سعود من قبيلة مصالح قائدهؤُلاء الوفود وزوج سعود ابنتهُ وقلدهُ الحكم السياسي على الوهابية لمعرفتهِ بالقوانين العسكرية

وقال احمد سعيد البغدادي في كتابهِ نديم الاديب : " اما حقيقة هذه الطائفة فانها حنبلية المذهب وجميع ما ذكر المؤرخون عنها من جهة الاعتقاد محرَّف وفيهِ تناقض كلي لمن اطلع عليهِ بتأمل لان غالب مؤرخي الشرقيين ينقلون عن الكتب الافرنجية فان كان المؤرخ المنقول عنهُ صاحب دراية وصادق الرواية تجد ان من يترجم كتابهُ يجعل الترجمة على قدر اللفظ فيضيع مزية الاصل وان كان المؤرخ غير صادق الرواية فمن باب اولى " الى ان قال "ومن اراد ان يعرف جلياً اعتقاد هذه الطائفة فليطالع كتب مذهب الامام احمد بن حنبل رضي الله عنهُ فانهُ مذهبهم "

اما بلاد نجد وحالتها الحاضرة فقد وصفها محمد بن سليم الشهابي المدني في رسالتهِ الرحلة الحجازية فقال : " انها ارض مسطحة سهلة يقل وجود الجبال فيها والمشهور فيها جبلان اجا

وسيلًا وانها حسنة الهواء كثيرة الامطار والسيول وفي سفح جبل اجا مدينة تسمى بندر حائل مركز امراء نجد الآن وفيها صاحب المجد والجود الامير عبد العزيز بن الامير متعب بن عبد الله الرشيد وهي مسوَّرة ولها ثلاثة ابواب وبيوتها طبقة واحدة والقليل منها طبقتان مرتفعة البناء وفيها محالّ للقهوة مزينة داخل البيوت على عادة العرب وفيها قصر اميرها عبد العزيز المسمى ببرزان وهو كبير وهيئتهُ حسنة وفيهِ مصيف واسع جداً لتناول الضيوف فيهِ الطعام ويلي قصر الامير اصطبل لجياد الخيل خاصة بالامير وعمهِ واولاد عمهِ واتباعهِ وقريب من القصر دار عمهِ حمود العبيد الرشيد ويقابلهُ جهة اليمين منزل خازنهم سبهان السبهان وبين قصر الامير ودار عمهِ ودار الخازن ميدان كبير يسمى المسحب مبني احسن بناء معد للجلوس. وفي كل يوم يخرج صاحب الدولة الامير عبد العزيز في الساعة الاولى من النهار الى الساعة الرابعة فيجلس بجانبهِ عمهُ حمود العبيد ويليهِ القاضي وبين ايدي الامير كاتب الامارة ومقيد الحقوق ويقابل الامير في الجهة الثانية خازن الامير فتغص دكاك المسحب بكبار الاهالي والوافدين من المشايخ والضيفان ويجلس امام الامير رجالهُ وعبيدهُ جثاةً متكئين على مقابض سيوفهم ينظرون في وجه الامير منتظرين اوامرهُ. وعند ما يستقر الامير في الجلوس يمثل بين يديهِ اصحاب الدعاوي والخصومات فيحكم بينهم في الامور العرفية والسياسية واما ما يتعلق بالشرع فيرسلهم الى القاضي بجانبهِ فيحكم بينهم فيهِ ويردهم الى الامير والامير ينفذ احكام القاضي على موجب القرآن الشريف والاحاديث النبوية والاقوال الصحيحة فيقتص من القاتل ويقطع يد السارق ويقيم حد الرجم

" ولا يوجد في بلاد نجد شاهد زور البتة حتى لو سمع الامير بشاهد زور يجلبهُ من اقصى نجد ويعزرهُ وينفيهِ وفي الساعة الرابعة ينفضُّ مجلس الحكم والقضاء ويدخل الامير قصرهُ وبعدها يدخل الضيوف والمحتاجون الى المضيف الواسع يتناولون الطعام وبعد هنيهة يخرج الامير الى مجلس لهُ في القصر فتدخل الضيوف ويشربون القهوة بحضرتهِ وكل من لهُ حاجة يقف امام الامير ويكبُّ عليهِ ويرفع رداءهُ على رأس الامير ورأسهِ ويذكر لهُ حاجتهُ في اذنهِ بكلام موجز مفيد حتى يتم كل من لهُ حاجة . وعادتهم بعد تناول القهوة ان يدوروا ببخار عود الطيب في المجلس ثم ينهض الامير قائماً والحضور يتبعونهُ للصلاة في الجامع المقابل لقصرهِ مع الامام . وفي اوقات الصلاة يطوف مأمور من قبل الامير في الاسواق والشوارع فاذا وجد واحداً لم يحضر صلاة الجماعة يسلبهُ عمامتهُ ويجرهُ الى المسجد وعند خروج الامير من الصلاة يعرضهُ عليهِ فيؤدبهُ الامير لتركهِ الصلاة مع الجماعة . . . .

" وترى جميع اهل البلد والنازلين فيهِ متبارين على صلواتهم مع الامام في الجامع وهم في

غاية الذكاء والكمال والفصاحة العربية وحديثهم بينهم بالاحسان والتؤدة لا تسمع بينهم لغواً ابداً ولئن كان بقايا من عوائد العرب القديمة وسننها فهي عندهم . ولقد نزلت بين ظهرانيهم على عهد المرحوم الامير متعب ثلاثة اشهر ثم زرتهم مرتين فأكثر لما رأيت من انسانيتهم فامعنت النظر في احوالهم فلم اسمع في حائل حاضرة الامير صوت طبل ولا غناء مزمار ما خلا طبل الحرب في وقته . واذا مات احدهم لا تسمع عويل اهله وعياله سوى حزن وبكاء ويدفنون موتاهم حال وفاتهم ولو مات الميت في الليل . ولاميرهم ايضاً مجلس آخر مثل الاول يجلس فيه من بعد العصر الى قرب الغروب وعند تحفزه للقيام ينادي منادٍ ثلاث مرات باعلى صوته في الشعب : العشاء يا مفتاق يا محتاج ثم يقف ثانياً في السوق وينادي ثلاثاً مثل الاول فيهرع الجياع لتناول الطعام في مضيف اميرهم عقيب الضيوف الذين لا ينقطعون من منزل الامير كل يوم وليلة واقل ما يجتمع على مائدته كل يوم اربع مئة نسمة او يزيدون

" وبلدة الامير المسماة بحائل محوطة بنخيل تسقى من آبار عمق واحدتها خمس عشرة قامة. وماؤها عذب فرات وفيها بعض اشجار مثمرة وبنواحيها في سفح جبل اجا قرية تدعى قفاد ذات عين ثرة تسقي النخيل والزروع . وحاضرة امير حائل تحيط بها من جهاتها الثلاث ارض سهلة ما عدا الجهة الرابعة حيث جبل اجا الذي يكثر فيه الربيع مسافة يومين وليلة وهي حمى جعله الامير لخاصته يربي فيها خيله وهجنه وابله ومواشيه . وفي محيط الحمى قرى رجال الامير وعلى بعد خمسة ايام من الحمى بلدة كبيرة خاضعة للامير تسمى عنيزة مسورة بسورين سور على نخيل يحيط بها وسور على البلدة وعلى مقربة منها مسيل ماء يجري في الغالب وعلى اطرافه نخيل كثير واكثر سكان البلدة تجار نجد واعيانها وبمقابلها ايضاً بلدة كبيرة مسورة تسمى بريدة ولها قرى تابعة لها ونخيل كثير تدعى القصيم متصلة بالدرعية ومنها الى مدينة عظيمة تدعى العارض حيث نجد مساكن حكام نجد وامرائها آل سعود في ايام عدلهم ولما طغوا ووصلوا الى مكة والمدينة وتجاوزوا الحجاز الى الشام ومنعوا الركب من الحج ثلاث سنين اذهب الله ريحهم وصار الحكم لآل الرشيد الذين هم في العدل الآن ومنهم الامير عبد العزيز بن متعب الرشيد

" اما القبائل التي يحكمها الامير المتفرقة في اقفار نجد من شمر فهي اربع قبائل ما عدا المنتفق في جزيرة بغداد وهو مستقل بنفسه وقبائله و كثر قبائل عنيزة تحت طاعته واغلب قبائل عتيبة وجانب من قبائل مطير وقبائل مسروح سكان نجد وقبائل بني سالم المتوطنين في نجد والشرارات وهتيم وغيرها من القبائل الكبيرة التي لا نطلع عليها وكلهم مطيعون لامره ونهيه يتوقعون اشارته . واذا بغت قبيلة على اخرى منهم او ارادت العصيان يربيهم ويقيم

العدل بينهم بالاحسان او بالسيف . وفي كل عام يأخذ منهم الزكاة وفقاً للشرع من خيولهم وابلهم واغنامهم ومواشيهم ونخيلهم وزروعهم ولا يستثني من ذلك الأ الخيل المعدة للحرب . والذي يجبيهِ من الزكاة على وفق الشرع يجمعهُ عندهُ فيفرق بعضهُ على المحاويج والفقراء ويصرف البقية في المآدب وعطايا قاصديهِ حتى لايبقى على راس السنة منها شيء . ويبلغ ما تحت امرهِ من النفوس التي عرفناها ما عدا ما لم نطلع عليهِ مائة وثمانين الفاً ونيفاً ومنهم ستون الف فارس يركبون الخيول العربية المطهمة ترى الخيل تحتهم كالاسود الضارية وهم على صهواتها كالعقبان شاكي السلاح تقرأُ الشجاعة في اعينهم. وستون الف شجاع يركبون الهجن وستون الفاً رماة مشاة يترادفون احياناً مع اهل الهجن وقت الغزو »

هذا طرف مما عثرت عليهِ في تضاعيف كتب مطبوعة ومخطوطة لمؤلفين متباينين في المشارب متفرقين في المشارق والمغارب اثبتهُ على حالهِ ولم امسخ من لفظهِ ولا مآلهِ . ورأيت وسمعت كثيراً من مؤرخي الفرنجة وسيَّاحهم تكلموا على هذا المذهب ومنهم المنصف والمجحف على ان المجحف منهم يفضل بهِ مدقهِ امثال احمد جودت وعبد الرحمن شرف وايوب صبري وغيرهم من المؤرخين الذين اطلقوا مباشرةً الفاظ التكفير والتضليل على ابناء هذا المذهب ورموا الكلام على عواهنهِ واتهموهم في امانتهم ولذا اقتصرت على ايراد ما تقدم وتجافيت عن ترجمة اقوالهم لانها امليت بلسان التمويه لا بلسان التاريخ . وعلى ما قيل في عباراتهم يتعرف ما كتبهُ احمد زيني دحلان المكي بعبارات مخزية مخجلة وقد رد عليهِ علماء الوهابية زاعمين ان الاحاديث التي ساقها في كتابهِ موضوعة بعد ظهورهم مطالبين القائل بها ببيان الكتب المأخوذة منها من اسفار المحدّثين المتقدمين والمتأخرين مطيلين اللسان على علماء ذلك العصر ناسبين لهم الافتراء على حضرة صاحب الرسالة عمداً ويا ليت هذا المكيّ بيَّن مآخذهُ ليخلص من المطعن فان المقام مقام جدال

واختلفت الاقوال في عدد المنتمين لهذا المذهب في نجد ويقول شمس الدين سامي صاحب قاموس الاعلام ان عددهم قد يرقى الى ثلاثة ملايين نسمة في نجد . اما مسافة هذه الكورة فيقطعها الراكب على متون المطايا في عشرين يوماً عرضاً وثلاثين يوماً طولاً . واخبرني احد الثقات الاثبات ان دعوة الوهابية تنتشر في الهند خصوصاً في الاعوام الاخيرة وان لهم تاريخاً جليلاً في مجلدين الفهُ حسين بن غنام الاحسائي فيهِ من المواد ما لم اتمكن من الاطلاع عليهِ وعساني استجلب منهُ نسخة فاعود لاشباع القول عليهم كشفاً للحقيقة وإقناعاً للموافق المؤانس او المخالف المُوالس والله ولي التوفيق

مستقبل الصين

لجناب الامير شكيب ارسلان

لا يخفى ان حرب الصين مع اليابان منذ بضع سنوات هي التي خرقت سياج الصين وذهبت بهيبتها وكشفت عوارها للدول الغربية حتى طمعن منذ ذلك اليوم في الاستيلاء على ممالكها الواسعة وبعد ان كان هذا الامر حديثاً في الانفس وامنيةً في الخواطر اندرج في لفّ المقاصد المنوية والعزائم المعقودة وذلك لما ظهر من كون هذه السلطنة العظمى اشبه جداً بالطبل الذي يعظم في العين حجمهُ ويدوي الى بعيدٍ صوتهُ حتى اذا بججهُ الانسان يبدو وجده اجوف فارغاً فتقلّص حجمهُ وانقطع صوتهُ. فتخمّر في رؤوس الاوربيين منذ حرب اليابان ادخال هذه البلاد في جدول الممالك الشرقية التي قضى عليها تأخرها في الحضارة ان تكون خاضعةً لسلطان اوربا وما زال الجهل عبد العلم والمتأخر تابعاً للمتقدم

وانما حال الى الآن دون مد الايدي الى جفنة الصين وتقاسم ما فيها بأصابعٍ منذ خرق ذلك الحجاب السماوي على يد اليابان تناظُر الدول وتجاذبها الحبل من كل جهة والزحام الواقع على حوض ابن السماء العذب كما هي الحال في كثير من الممالك الضعيفة الباقية على ملك اهلها. فجماعات كل دولة منهنَّ خصوصاً الدولتان الكبيرتان اللتان في يدهما زمام المشرق واليهما خطام السياسة اعني بهما انكلترا والروسية تجتهد في تخطيط "منطقة نفوذ" لنفسها في بلاد الصين يكون لها مهد تمكنة مستقبلة هنالك وسعى كل فريق في التأمين على نصيب وافٍ وشقصٍ عريضٍ من هذه التركة الكبرى بيرّد له بطريق القسمة الشرعية بدون ان تدعو العجلة والتهافت فيما بين الورثة الى هز عوامل وتجريد سيوف. وهذا ما طوت الدول انفسها عليهِ ولا يزال مطوياً تتمة امرها يؤخر من ابرازهِ الى حيز الوجود سكون الصين واستقامة امورها وتوفر اسباب ثباتها وتكشف اسوار منعتها وتعجل في ظهورهِ الى ميدان التحقيق تتابع فتنها وتفتق رتوقها وتفتح ابواب المداخلة في امورها وانهيار جوانب سياجها بعوامل الفتنة مما يطرق عليها ويستدرج اقدام الاجانب اليها ويمكنهم من اراضيها وذلك انهُ كما كان الميكروب لا يعيش ولا ينمو الا في المياه الصالحة لسكناهُ المترشحة لنزولهِ من تضاعيف الضعف وتجاويف الهزال كذلك النفوذ الاوربي لا ينبسط ولا ينتشر الا حيث وجد منتجعاً صالحاً له من ضعف البلاد واختلال الادارة وسقوط دعائم الاحكام يشهد بذلك تاريخ دخول الاوربيين في كل مملكة دخلوها وصيروا اعزّة اهلها اذلة.

ولما كان لا بدَّ لتلك المملكة الضعيفة التي تمكن منها النفوذ الاوربي من حركة رد فعل على يد الحزب الوطني فيها كان ذلك فاتحة المداخلة الفعليَّة فيجيء من باب اجهاز القوم على انفسهم بايديهم وذلك مثل فتنة البوكسر الحالية وليست هذه باول ثورة هناك على الاوربيين ولا تكون آخر ثورة بل ان فتنة التايبنغ التي ابتدأت سنة ١٨٤٨ وانتشرت في تلك المملكة انتشارًا اوشكت أن تسقط بهِ الامبراطورية المالكة الآن كانت موجهة ضد الحكومة في الظاهر وضد الاجانب في الباطن ومقصدها تخليص الصين من ربقة النفوذ الاجنبي وتجديد شباب دولتها ولذلك حرصت الدول وقتئذٍ على محو آثار تلك الفئة ونصرت الحكومة عليها نصرًا مؤزرًا لا حبًّا بها بل بغضًا بتلك الفرقة الاصلاحية حال كون هؤلاء التايبنغ كانوا متظاهرين بالعودة الدينية والميل الى النصرانية وقد جعلوا التوراة في جملة كتبهم الدينية فلم ترأف دول اوربا بهم لذلك وآثرنَ الدنيا على الدين وايدنَ الدولة المتشورة في كرسيها. وما زالت منذ ذلك الحين تنعقد جمعيات سرية في الصين وتتألف عصائب مرماها اماطة نفوذ الاوربيين وكشف سلطتهم عن اطراف تلك المملكة وكان كلما زاد نفوذ الدول ورسخت اقدامها في البلاد واحتلَّت من هنا بلدًا واقتطعت من هناك ثغرًا ازدادت كراهية الصينيين لوطأتهم ونفورهم من جوارهم وما قام قائم البوكسر هذه المرة الاَّ وقد بغت ارواح الصينيين الحناجر ورأوا ان قد احيط بهم وماتت دعامة ملكهم الى السقوط وساعدهم في ذلك استعداد الامبراطورة "تسوهسي" التي حاولت احياء روح العصبية الصينية وزرعت بذار العداوة والبغضاء للاوربيين فلم تمض ان استفحلت الفتنة وحملت على حصد رؤوس الشر. وقامت اوربا تدافع عن بنيها المتفرقين في تلك الاقطار وهي ترى في هذه الفتنة حركة معنوية مهمة وتتوجس من ورائها شرًّا مستطيرًا وكانت تهمُّ بانجاز موعود وتقضي على الصين قصاصها لولا ما تخشاهُ من الوقوع في شرّ اعظم هو تضارب السياسات وتصادم المصالح وبعد الكون على الصين يدًا واحدة رجوع بعضها لمناصبة بعض تهارش السباع على الفريسة فقامت الدول الغربية مع دولة اليابان الشرقية بعمل مشترك لقمع ثورة البوكسر ولكن على حذر تام بعضها من بعض والكل يريدون حل المعضلة بالتي هي احسن

ولما كانت مملكة الصين من اغرب الممالك شكلاً واوسعها رقعة بل كانت اكثرها عددًا واقدمها تاريخًا وهي اهم ما طمحت اليهِ عين اوربي من الممالك الشرقية وكان جم غفير من المطالعين يحبون ان يعرفوا هل لاوربا امكان زائد من رقبة الصين والاحاطة بملكها او هو مطلب عنيد وعقبة صعبة لا يرجى صعودها الى الآن وهل ضعف الصين العسكري كافٍ في

انهيار جدارها وتنكاث حبلها او لها من ورائهِ قائمة اخرى ورابطة ثنية تمنع من الانحلال هاتيك العصبية وهل اذا سقطت حكومة "بكين" سقط وطن العيني باسرهِ او بقيت هناك عصبية واقفة في وجه السطوة الاوربية مستقلة عنها باسباب راسخة متمكنة بواشجة عروقها ومرونة اعطافها مع الثبات ولين ملامسها مع المتانة او لم تبق عصبية ولا عصبية واضمحل كل هذا. والحاصل هل الصين لقمة سائغة في مزدرد اوربا او هي عظم تعلق في حلقومها فجثت بعجالتي هذه ابحث عن الاسباب التي يبنى عليها افتراض موت هذه المملكة وتناط بها آمال الاوربيين في الفتح والاسباب التي بعكس الاولى تمسك من جرف الصين وتسد من ثغورها وتحرس على اهلها اجلها حسبما وصلتُ اليهِ بعد التحقيق والتمحيص والله تعالى من وراء العلم

اذا اشتدت العلة على مريض اخذ الاطباء في فحص جسمهِ خصوصاً الاعضاء الرئيسة منهُ ليعرفوا سليمها من مصابها فان وجدوا ان القلب مصاب بالتقهقر التنجي وان المعدة لا تفرز عصارتها جيداً ولكن الرئة سليمة والحرارة غير عالية وسائر الاعضاء مؤديات وظائفها جيداً او ان رأوا الرئة مصابة والحرارة عالية ولكن القلب سليم والمعدة جيدة وما اشبه ذلك مما تعرف منهُ مدة مقاومة ذلك الجسم للعلة أي ان تكون نجحت فيهِ العقاقير وزنوا بين دواعي الحياة وبواعث الموت فان رجحت الاولى زددت آمالهم في نجاة المريض وان رجحت الثانية اشتد خوفهم عليهِ. ونحن سنشرح العناصر الحية التي في بدن المملكة الصينية والاسباب التي بمثلها تقوم الدول وتستتب الامم وتستمر مريرتها ونبسط العلل التي في جوف الصين موهنة لجسمها مقصرة لحياتها معجلة لحكم بزوال امرها ولما كانت الصناعة من امهات العمران واركان بناء الامم وما اشتهر بهِ الصينيون من قديم الدهر فهي من احيى عناصرهم واسلم اعضائهم الرئيسة واكثرها تأدية لوظيفتها قدمناها على غيرها بالذكر فنقول

الصناعة في الصين

من المأثور ان الله قد انزل الحكمة على ادمغة اليونانيين والسنة العرب وايدي اهل الصين ومما اتفق عليهِ الجغرافيون والمؤرخون والسائحون ان الامة الصينية امة صناع اليد لا تبارى في الصناعة مرزوقة الحظ في هذه الجهة بل ربما عدها الكثيرون في مقدمة الامم الصناعية شرقاً وغرباً . ومن هذا الفريق ابن بطوطة الذي يقول في رحلتهِ "واهل الصين اعظم الامم احكاماً للصناعات واشدهم اتقاناً فيها وذلك مشهور من حالهم قد وصف الناس في تصانيفهم فاطنبوا فيهِ" ووصفهم بمثل ذلك "ماركو بولو" الرحالة الايطالي الشهير ومن شدة ما اعجب بهِ من صناعتهم وسائر احوالهم نسبهُ اهل عصرهِ الى التعصب لهم ورموهُ بالكذب والمبالغة كما

رى جماعتنا ابن بطوطة والحال ان الصينيين ايام ابن بطوطة ومار كو بولو كانوا بلا شك سابقين كلّ الامم في غايات التمدن وانما كان الذين لم يألفوا هذا العمران المستبحر معذورين في انكار ما يسمعونهُ من غاياتهِ خصوصاً اذا قرأُوا مثلاً عن مدينة (هانغتشو) او (كنساي) ان فيها مئة الف برج وستمائة الف بيت وثلاثة آلاف حمام واثني عشر الف جسر حجر تمر من تحت جميعها المراكب وعلى كل جسر منها حرس عشرة رجال وان الصناع والمهنة فيها منقسمة الى اثنتي عشرة فرقة كلّ فرقة تأوى الى اثني عشر الف بيت " وهي التي سماها ابن بطوطة (الخنساء) وقال ان مسيرتها ثلاثة ايام وقال اودوريك دوبوردنون انها اكبر مدينة في العالم وقد حققت الآثار اقوال هؤلاء المؤلفين وخلصت من شائبة التزيين والمبالغة ولا عجب بعد وصول العمران الى هذا الحد ان تكون الصناعات هناك زاهرة والاعمال اليدوية باهرة لان اتقان الصناعة انما يكون على قدر استبحار العمران وتأثل المدنية

وقد سبق الصينيون الناس الى غايات شتى منها الصناعة واكتشفوا كثيرًا من اسرارها منذ قرون حتى ان جمًا من الصنائع والاختراعات التي اطلّ عليها الاوربيون في اواخر القرون الوسطى واوائل القرون الحديثة كان معروفاً عند اهل الصين منذ مئين من السنين قبل ذلك العهد مثال ذلك صناعة الطبع التي ظن بعض الاوربيين انها من اختراعهم حال كون هذا الظن نشأ من جهلهم باحوال الاقاليم وعدم الوقوف على ما عند غيرهم اذ قد عثر المحققون على آثار في القرن السادس للمسيح تفيد ان الطباعة كانت معروفة عند الصينيين من قبل هذا التاريخ . قال بعض الافرنج " ولو كان الافرنج قرأُوا تواريخ الفرس لقرأُوا عن كيفية الطبع في كتاب رشيد الدين المؤلف في نواحي سنة ١٣١٠ " قلت ولو اتقن الافرنج معرفة تاريخ العرب كلهِ لعرفوا ان الطبع انتقل من الصين الى فارس ومنها ظهر في الاندلس القطعة العريقة في كل صناعة من بين بلاد الاسلام وقد قال صاحب الاحاطة في اخبار غرناطة في ترجمة ابي بكر القلوسي " ورفع للوزير الحكيم كتاباً في الخواص وصنعة الامدة وآلة طبع الكتاب " وجاء في كتاب الحلة السيراء لابن الابار القضاعي البلنسي عن بدر مولى الامير عبدالله انهُ " كان يكتب السجلات في دارهِ ثم يبعثها للطبع فتطبع وتخرج اليهِ فتبعث في العمال " . وكانوا يحفرون الخشب للطبع ومن آثار ذلك طابع كان تجار المرية يرسمون بهِ البضائع في نواحي سنة ٧٥٠ للهجرة . واما الصينيون فكانوا قد عرفوا الحفر في الخشب والحجر والنحاس والطبع بقطعها وفي اواسط القرن الحادي عشر للمسيح اخترع احدهم الحروف المعروفة اليوم من خزف ولكن لما كانت كتابة الصين كثيرة الاشارات والحركات كان من الصعب استعمال هذه الحروف

الثقالة الاَّ في الكتب العامية و جرائد التي تكتفي في املائها الحركات اليسيرة ومع هذا فقد اجتهد بعض الطباعين في طباعة كتب معمة بالحروف الثقالة وافلحوا فجاءت غاية في الاتقان ولما عزم الامبراطور (كنغي) على طبع الستة آلاف كتاب التي طبعها امر فحفر لطبعها ٢٥٠ الف مثال من النحاس وكذلك الحروف التي في المطبعة السلطانية الآن يسمونها هناك لحسنها "الدرر المتناسقة"

وطالما كانت الصنائع في الصين لجاً زاخراً والمدنية فيها منبسطة الاطراف ولا علم لاهل اوربا بشيء من هذا حتى كشفهُ لهم بعض السياح ولكن لم تصلهم الاخبار الموثوقة عن الصين وصنائعهم وسائر احوالهم الاَّ في اواخر القرن السابع عشر للمسيح بواسطة دعاة الديانة النصرانية وبترجمة بعض الكتب التي ترجمها عن الصيني ستانسلاس جوليان وغيرهُ. وقد وهب الله الصينيين حذقاً فطرياً في العمل وانزل الحكمة على ايديهم والدقة على اناملهم واللباقة على معاصمهم وآتاهم سرعة الفهم وقياماً على العمل فجاؤوا صناعاً ماهرين وعملة حاذقين وساعدهم على اتقان اعمالهم عدم تقسيمها عندهم كما هي مقسمة في اوربا فكل صورة او قطعة او آلة هي عندهم عمل صانع واحد يعمل جميع ما يلزم له فالصانع هناك هو المصور والمركب والمرصع والملوّن والاعمال اكثرها افرادية ولذلك التزموا جميعاً دقة النظر وطاوعتهم اناملهم في اكثر الصناعات وانك تجد في كثير من ولايات الصين الفلاحين صنع الايدي يغزلون بايديهم اقطانهم ويحوكون اقمشتهم ويخيطون ثيابهم وهلمَّ جرًّا وانما كانت لهم البراعة الفائقة في عمل السلال والجوَن وحفر القصب على الاطلاق حتى من سلالهم ما يصب فيهِ السائل ويفرغ فيهِ الماء فيكون كقصبان الخشب او كآنية النحاس فتامل

ومما امتاز بهِ الصينيون تحليل مركبات النحاس والرصاص والتوتيا والقصدير والزرنيخ والفضة والذهب ويسبكون منها ما شاؤوا تبن فيها بالفنون العجيبة وان الآنية التي يصنعونها لا تنظر في لونها ولمعانها ومائها وقد تصل بعض آنيتهم من الملاسة والسلاسة والصفاء والماء الى درجة تعجز سائر صناع الارض ولا يزنون يطرقونها حتى يكسبوها رنة لا توجد في سواها ولهم مهارة غريبة في التطريق فتجد خمسة قيون يطرقون جميعاً على دائرة واحدة طرقاً متناسباً في القوة والايقاع حتى لا تفرق ذلك عن الموسيقى اصلاً

ومما فاقوا بهِ ايضاً ترصيع الخشب والعاج والحجارة الصلبة مما يسمى بالتنزيل فلهم في ذلك الدقائق المدهشة كذلك صنعة الورق التي اخترعوها هم فانهم سبقوا فيها الجميع وهم يعملون الكاغد انواعاً ومن هذه الانواع ما لا يعرف في اوربا ومع هذا فقد يؤثر الاوربيون الورق

الياباني او الكوري . اما الاصباغ فقد انحصرت الرئاسة فيها بالصينيين وكذلك لمزاولتهم استعمالها وتفننهم فيها ووجود اشجار في بلادهم لا توجد في سواها يعتصرون منها لهذه الاصباغ والالوان ما يجعل لها المزية على غيرها. وقد يتحلّب من عصارات بعض هذه الاشجار مواد سامة قتالة تجعل الخطر على الماهنين في تعاطيها بل في اشتمام روائحها فيلتزمون استعمالها بغاية الدقة والحذر . وبالاجمال فان كثيراً من سر هذه الاصباغ لا يزال مجهولاً عند الغربيين

اما كيفية استخراجهم للحديد وقينهِ عندهم فقريب من طريقة اهل اوربا واما الفولاذ (الصلب) فالصيني منهُ يفضل على الانكليزي ولكنهم لم يباروا الاوربيين الى الآن في استخراج الفحم الحجري مع ان بلاد الصين من اغنى بلاد الله بمعادنهِ ولا يظن وجود معدن للفحم الحجري في الدنيا ايسر تناولاً من معدن شانسي وقد قال (فون ريشتوفن) ان في جنوبي شانسي من الفحم ما يكفي العالم آلافاً من السنين. غير ان طريقة استخراجهِ لا تزال صينية محضة الاّ ما كان في معادن فورموزا ومنشوريا وبشيشلي فقد اتبعت فيهِ الاصول الاوربية الجديدة

والسبب في تجافي الصينيين غالباً عن استعمال الطرق الاوربية هو عجبهم بصنائعهم وبأوهم بانفسهم وكونهم لا يقرون للغربيين بالتقدم عليهم والحال ان تقدم العلم والصناعة في اوربا الى الحد الذي وصلا اليهِ لم يبقِ محلاً لكبرياء الصين وخيلائها الاّ في قليل من الصناعات بل الصينيون انفسهم صاروا يحتذون امثلة الاوربيين في كثير من الاشغال. واهل (كنتون) في عمل الادوات والمواعين والساعات واسباب الرياش. والفراش انما أخذوا عن الاوربيين والاميركيين فضلاً عن كون الغربيين هم اساتذة الآلات البخارية والمناجم . ومهما شدد الصينيون في حفظ اصولهم القديمة في العمل فلا غنى لهم عن تقليد الافرنجة في كثير من الاشياء نعم عندهم صناعات قديمة تستحيل فيها القوالب الجديدة لأنهم اخترعوا لها طرقاً هي من البساطة والسهولة بحيث لا يمكن ان تزداد تسهيلاً ومنها ما لم يقع عليهِ تغيير منذ اربعة آلاف سنة . قال بول شاييون في كتاب الصنائع القديمة والجديدة في الصين " ربما دثرت بعض هذه الصنائع القديمة بالمرة ولم يمكن تغيير اوضاعها وكيفيات عملها " وقد درست صنائع في الصين ولم يبقَ في امكان الصينيين ولا الافرنج تجديدها اذ كيف يتأتى تجديد صنعة الآنية المرصعة والخزف الشهير بالصيني المعروف في ديار الشام والمتنافس فيهِ بين الاقوام . فقد جرَّب عمل ذلك كثير من صناع الغرب والشرق فغمض سرهُ عليهم ولم يفلحوا .

ومما اتقنهُ الصينيون فن التصوير ولهم فيهِ سرعة خاطر زائدة وقد اشار الى ذلك ابن بطوطة منذ نحو خمسة قرون فقال : "واما التصوير فلا يجاريهم احد في احكامهِ من الروم ولا

من سواهم فان لهم فيهِ اقتداراً عظيماً ومن عجيب ما شاهدت لهم من ذلك اني ما دخلت قط مدينة من مدنهم ثم عدت اليها الاَّ ورأيت صورتي وصور اصحابي منقوشة في الحيطان والكواغد موضوعة في الاسواق ولقد دخلت الى مدينة السلطان فمررت على سوق النقاشين ووصلت الى قصر السلطان مع اصحابي ونحن على زيّ العراقيين فلما عدت من القصر عشيًّا مررت بالسوق المذكورة فرأيت صورتي وصورة اصحابي منقوشة في كاغد قد الصقوه بالحائط فجعل كل واحد منا ينظر الى صورة صاحبهِ وهي لا تخطئ شيئاً من شبهه. وذكر لي ان السلطان امرهم بذلك وانهم اتوا الى القصر ونحن فيهِ فجعلوا ينظرون الينا ويصوّرون صورنا ونحن لم نشعر بذلك وتلك عادة لهم في تصوير كل من يمرّ بهم وتنتهي حالهم في ذلك الى ان الغريب اذا فعل ما يوجب فرارهُ عنهم الى بلاد اخرى بعثوا صورتهُ الى تلك البلاد وبحثوا عنهُ فحيثما وجد شبه تلك الصورة أُخذ"

ولهم ملكة راسخة ايضاً في الوشي والرقم وهي صناعة (كنتون) التي هي من امهات مدنهم واحفلها بالاعمال اهلها ينسجون الحرير ويصقلون المنسوجات ويحفرون وينحتون ويرصعون وينزّلون في الخشب والعاج وغيرهما ويصنعون الزجاج والورق والسكر. قال (جوليان روشتوار) في كتابهِ " باكين وداخل الصين " انهُ سواء بزهو الالوان او ببهاء النقوش او بدقة الشغل ليس لصناعات كنتون مثيل في الدنيا

وفي مدينة (هانغتيشو) وهي خنساء ابن بطوطة ستون الف عامل بالحرير فقط وفي مدينتي (هوتيشو) و(كيامين) مئة الف عامل بهذا الصنف وحدهِ والعملة عندهم يرضون بالاجرة القليلة فيومية العامل في باكين وشنغاي وكنتون من ٥٠ سنتيماً الى فرنك واحد وعملة الحرير اوفر العملة اجرة ولكنها ليست بشيء بالقياس الى اجرة العامل الغربي نعم ان الطعام في الصين ارخص منهُ في اوربا ولكن قلما تجد فاعلاً اجرتهُ تكفيهِ وفي اكثر المقاطعات غذاؤهم الارز فقط ومع سوء غذائهم وصفرة الوانهم ونحول اجسامهم لهم قوة عضلية مهمة وعندهم صبر عجيب واذا جاؤُا لجر الاثقال لم يكن الانكليز اوثق قدماً منهم بل في اواسط المملكة حيث تندر الانهر والبحيرات والطبوع (الانهر المحفورة) تجد جميع الاحمال على ظهور الرجال فتراهم صاعدين نازلين باوقار يضعف الاوربيّ ان يحملها في السهل

ولهذه المزايا في فعلة الصين صعبت مزاحمتهم وكاد يستحيل نجاح العامل الاوربي بجانب العامل الصيني في حرفة واحدة وقد امتحنا مراراً والاوربي يأخذ اضعاف الصيني فاثرى الصيني من القليل ولم يكف الاوربي الكثير والتزم الفرار ولهذا تضايق اهل اميركا واستراليا من مهاجري الصين وكرهوهم واخيراً وضعوا الموانع في طريق مهاجرتهم وثقلوا عليهم الضرائب.

وبما لم يمنعهم ذلك عدلوا الى اعناتهم واهانتهم وربما ثاروا عليهم وذبحوهم وما زالوا يدافعونهم عن بلادهم وهم يتدفقون عليها و يزاحمون فقراءها حتى اضطرت حكومة الولايات المتحدة ان تعقد وفاقاً مع حكومة الصين تمنع استقرار الصينيين في تلك الولايات وفي جزائر الفيلبين وضيقت عليهم حكومة هولنده في الجاوي فهي لا تأذن لهم في الاقامة الاَّ في محالّ معينة ولا تعاملهم الا بالعنف ومع كونهم سدّوا خللاً كثيراً وجعلوا مرفقاً كبيراً في غربي استراليا وفي مستعمرة سنقافورة الانكليزية فتجد القوم يكرهون جوارهم و يسعون في جلائهم وما ذاك الاَّ من صعوبة مباراتهم وان ليس للغربيين صبرهم ولا ثباتهم ولا قناعتهم ولا رضاهم من العيش بالادنى. ولرجال العمل عندهم جمعيات ونقابات كما في اوربا بل اكثر مما في اوربا ولهم خضوع تام لنقاباتهم مما يسهل عليهم طرق النجاح والحاصل ان الصينيين وان اعوزهم الاقدام وعلو الهمم فعندهم الثبات والبصر بالصنائع وهم امة صناعية فطرةً وجبلةً ويبعد ان يغلبهم الاوربيون في هذه الشؤون او ان ينالوا معهم سبقاً. كنت اتحادث في هذا الامر مع حضرة عباس افندي البهائي رئيس الفرقة البابية وهو من العقل والعلم وسمو المدارك بالمقام الذي لا يخفى فقال لي : ان اخذ الاوربيين للصين بالسيف امر غير صعب المنال وانما كان مقصد الاوربيين في التملك خارج بلادهم الكسب والتجارة والعمل والكسب مع امة كالصين صعب اذ لا يمضي مدة بعد اخذ الاوربيين للصين حتى يأخذ الصينيون جميع ما بايدي الاجانب من الصنائع

رواية تنكرد

للوزير الشهير لورد بيكنسفيلد

الفصل السادس

اذا وقع القدر بطل الحذر . فان دوق بلامونت وزوجتهُ بذلا الجهد في وقاية ابنهما من المخاطر. وارسلا معهُ قائداً مجرّباً لكي يدفع عنهُ كل مكروه لكن هذا القائد لم يكن معهُ في ساعة الحاجة اليه وارسلا معهُ طبيباً ماهراً لكي يحميهُ من عوادي الادواء و يعالجهُ اذا مرض لكنهُ جرح واعتلّ جسمهُ في برية قفراء ولا طبيب معهُ ولا سبيل الى العلاج كأن الانسان يفرُّ من المقدور والمقدور مدركهُ على حد ما قيل

طامنْ حشاك فان دهرك موقع   بك ما تخاف من الامور وتكرهُ
واذا حذرت من الامور مقدراً   وفررت منهُ فنحوهُ تتوجهُ

وقع تنكرد جريحاً في تلك القفار وجنود ابيهِ المعروفة بجنود الاعيان مغمدة سيوفها في وبلادها لا تدري من امرهِ شيئاً. وانطرح على فراش المرض وليس من يداويهِ من اطباء بلادهِ قد يفارق الحياة الدنيا وليس معهُ رجل من رجال الدين يقوي ايمانهُ ويعزز معتقده

قال الخادم فريمن لباروني بعد رجوعهِ من القدس اننا لم ندع احداً من هؤلاء البرابرة يدنو من سيدنا الا ذلك الشاب . فانتهرهُ ترومن وقال لهُ هذا برنس وقد قلتُ لك ذلك عشرين مرة ويسمونهُ هنا اميراً ولهُ قصر يسكن فيهِ وقد طلب من سيدنا ان يزورهُ في قصره

فقال فريمن نعم وقد اعتنى بسيدنا اشد الاعتناء كل هذه المدة ولم يفارقهُ لا ليلاً ولا نهاراً

فقال باروني نعم عرفت ذلك هلموا ندخل الخيمة ودخل فرأى تنكرد ملقى على ديوان مغطى ببرنص من الحرير وهو اصفر الوجه جاحظ العينين

واسرَّ فريمن في اذن باروني قائلاً انهُ لم ينم من حين اصيب بالحمى . وقال ترومن نعم وكان يتكلم عن نفسهِ دائماً في اليومين الاولين ولكنهُ استكان امس قليلاً

فدار باروني الى وراء تنكرد وجلس وجسَّ نبضهُ بيدهِ وهزَّ رأسهُ فقال لهُ فريمن أتظن انهُ قُطع منهُ الرجاء وقال ترومن أهكذا تنتهي حياة سيدنا بعد ان بلغ سن الرشد . فاشار اليهما باروني ليخرجا من الخيمة وجعل يفكر في ما يكون من امر الصيدوني اذا بلغهُ ان تنكرد جُرح ومات في القفر وكيف انهُ يخفي عنهُ (اي عن باروني) في المستقبل ولا يعود يشير على احد باستصحابهِ وقال في نفسهِ اواه لو كان عندنا شيء من الافيون حتى ننومهُ بهِ . ثم اخذ ينظر في وجههِ ورأى على شفتيهِ شيئاً من الزبد فسحهُ وقال انهُ كثير التفكر والتأمل ولعلهُ يفكر أكثر من الصيدوني فهو قوي الفكر ورقيق القلب بخلاف الصيدوني فانهُ قوي الفكر ولكنهُ قاسي القلب هؤلاء يسودون المسكونة كبار العقول قساة القلوب الذين لا يؤثر الحب ونحوهُ في قلوبهم اما هذا الشاب فانهُ كبير العقل ورقيق القلب . اواه لو امكنني ان اشفيهُ من هذا المرض

وكان باروني يفكر بهذه الامور وهو جالس على البساط بجانب الديوان الذي عليهِ فخر الدين ثم سمع واحداً يناديهِ باسمهِ همساً فالتفت واذا فخر الدين وراءه دخل وهو يختلس خطاه اختلاساً فنهض واشار اليهِ فخر الدين ليخرج معهُ من الخيمة فخرج واذا بالفتاة التي أتت من القدس مع القافلة فقال لهُ فخر الدين اني أتيت بالسيدة حواء لترى سيدك لانها حكيم ماهر. فقالت حواء قد انفع شيئاً في هذا القفر . فقال باروني لم يبقَ في قوس الرجاء الا منزع واحد . فقالت أ إلى هذا الحد . فقال نعم وازيد . ففاضت الدموع من عيني فخر الدين وجعل

يتوسل اليها لكي تداويهُ وتشفيهُ وهي تضع اصبعها على شفتيها لكي يسكت ثم جعلت تتكلم مع باروني بصوت منخفض وازاحت سجف الخيمة ودخلت فرأت تنكرد منطرحاً على الديوان ووقعت عينهُ على عينها حالما دخلت فاحدق بها والظاهر انهُ لم يعرفها لانها كانت لابسة لبس بنات البدو ثم ادار عينيهِ عنها وجعل يصرخ ويقول الملائكة تحرسني الملائكة تحميني . واشتدَّ انزعاجهُ وحاول رفع يدهِ المجروحة لكن باروني كان قد دخل وجلس بجانبهِ وامسكها بيدهِ ومنعهُ من رفعها فعاد الى الكلام عن الملائكة . فقالت حواء في نفسها انت ملاك من الملائكة ثم التفتت الى باروني واشارت اليهِ ليخرج معها من الخيمة فخرجا وتبعهما فخر الدين وعيناهُ مغرورقتان بالدموع وجعل يعتذر لحواء عن بكائهِ بانهُ مسيحي رقيق القلب فقالت لهُ يا حبذا ولو كنتم كذلك ما وصل احد منا الى هنا . ثم قالت لباروني اني اوافقك على لزوم المنوّم لهُ . فقال باوروني أوّلا امل بوجود شيء من الافيون هنا فقالت كلاّ لان البدو لا يستعملونهُ حتى الآن من فضل الله . فقال فخر الدين انا امضي الى القدس وآتيكم بهِ فنظر اليهِ باروني مشمئزاً وقال لهُ اين نحن واين القدس فقال ولكنّ عندي ناقة تسابق الرياح . فوضعت حواء يدها على كتفهِ من غير ان تنظر اليهِ كأنها تأمرهُ ليصمت وبقيت تكلم باروني وقالت لهُ رأيت ونحن نازلون من المضيق نبات البنج على جانب الطريق وزهرهُ ابيض ضارب الى الصفرة وانا اعلم ان غلاية زهرهِ تفعل مثل الافيون ثم نادت جواريها ومضين يفتشن عن هذا الزهر وبقي فخر الدين وحدهُ في الخيمة وجعل يهدس في ما يأول اليهِ امرهُ اذا شفي تنكرد وتمكّنت عرى الصداقة بينهما وفي الاعمال العظيمة التي يفعلها بمساعدتهِ . ثم خطر لهُ انهُ هو سبب مرضهِ وتعريض حياتهِ للخطر فلعن مطامعهُ وسفاهة رأيهِ . ومضت ثلاث ساعات وهو بين اليأس والرجاء والشفقة والرخاء الى ان رأى باروني راجعاً وبيدهِ حقّة فيها غلاية البنج فدخل الخيمة وادناها من فم تنكرد فشرب منها من غير كراهة كأنهُ لا يدري ما يفعل ولم تمضِ ساعة من الزمان حتى أغمض عينيهِ ونام واسرع فخر الدين واخبر حواء وكانت قد عادت الى خبائها في خيمة جدها

وغابت الشمس وانبسط نوار الشفق الذهبي على خرائب البتراء على مدافن موتاها وهياكل آلهتها وتنكرد لا يزال نائماً . وعادت الجمال من المراعي وأوقدت النيران امام الخيام وتنكرد لا يزال نائماً . ومضى الهزيع الاول والثاني من الليل وتنكرد نائم وباروني وفخر الدين في خيمتهِ لا يفارقانها لحظة وكأنهما يعدَّان انفاسهُ . ومضى الليل كلهُ وهو نائم وبدت تباشير الفجر من غير ان يبدي حراكاً . وجسَّ باروني نبضهُ فلم يشعر بهِ ووضع فخر الدين خنجرهُ امام فيهِ فلم يرَ عليهِ اثر نفسهِ فتقطب وجه باروني وخرج فخر الدين وجعل يعدو الى خباء حواء فوجدها

جالسة صفراء الوجه منكسرة العين فقال لها علي مَ اراكِ صفراء فقالت ان مات هذا الامير لحقنا من موته عار لا يمحى ابد الدهر. فقال وكيف يكون حالي انا فانني اتيه في الارض مثل قايين او ادخل دير مار يوحنا واترهّب فيه وانقطع عن الدنيا . فقالت لهُ اني ملومة مثلك ولكن لم ينقطع حبل الرجاء حتى الآن . ثم خرجت واتت معهُ الى خيمة تنكرد ودخل هو اولاً ثم ازاح لها السجف فدخلت ووقفا امام تنكرد وكان لا يزال نائماً وقد بدت على وجهه امارات الراحة والسكينة التامة فزاد جمالاً على جمال ورقةً على رقة حتى كأن وجههُ وجه ملاك فنظرت اليهِ حواء بعين ملأها الحب والحنو فتحرك قليلاً ثم تنهد وفتح عينيه وادارهما في ما حولهُ ثم قال "سيدة بيت عنيا"

الفصل السابع

بين بلاد مصر وبلاد العرب جبال صوانية كأن حمم البراكين كانت تتدفق في العصور الغابرة ثم أُمرت ان تقف بغتة فوقفت في مكانها وصارت منها تلك الجبال. وبينها اودية كثيرة غالبها قفر اجرد ولكن بعضها لا يخلو من الماء والمرعى بل قد تجد في الوادي عيناً ثرّاء ونخيلاً داني القطوف . اما قنن الجبال فتطل على جبال اسيا وافريقية وبحريهما وعلى قنة منها دير وفوق الدير جبل سينا المشهور على قنته خرائب كنيسة ومسجد — هيكلين لله بناهما بنو اسرائيل و بنو اسمعيل ليعبدوا فيهما اله العرب وقد خرب هذان الهيكلان كأنهما خجلا من القيام بين هياكل الطبيعة التي تناطح السحاب

وخيَّم الليل وتلألأت الكواكب واذا بسائح ركع على قمة هذا الجبل ورفع عينيه الى قبة السماء وبسط يديه وجعل يتوسل ويقول يا اله اسرائيل خالق الكون الذي لا يُدرَك كنههُ ولا يستقصى وصفهُ . أتيتُ هيكلك في هذه البلاد لكي اسكب امامك قلبي وما اشعر بهِ من الشدة . لماذا تعميت لماذا لم يعد رسلك ينزلون الى الارض ليخبروا بمشيئتك . زال الايمان وضعف الرجاء وتولّى الناسَ القنوطُ وهم يئنون تحت احمال المشاق و يستغيثون باله لا يعرفونهُ. ان كان هذا الجبل المقدس لا يرى جلالك بعد الآن وان كان لاهوتك قد انقطع عن ارشاد الناس في سهول ارضك المقدسة وان كان الانبياء قد كفُّوا عن التبشير والانذار فدع واحداً من الملائكة خدَّام عرشك ينزل الى هذا العالم لينجي الخلائق من وهدة اليأس"

فغطى الضباب وجه السماء وجرَّ ذيولهُ على الجبال والآكام وسقط السائح على الارض وغاب عن الصواب . ثم ظهر لهُ شبح في صورة انسان كبير الجسم معتدل القوام جاز غضاضة الصبا ولكن لم يحنهِ كرور الايام. وقور المنظر مهيب الطلعة واسع الجبهة فوق جبينهِ نجم مشرق

يزيد منظرهُ عظمة وجلالاً وفي يدهِ صولجان من سعف النخل. فنظر الى السائح وقال لهُ يا ابن اوربا انا ملاك بلاد العرب انا حارس هذه البلاد التي تسلّطت على العالم لان السلطة ليست بالسيف ولا بالترس بل بالعقائد الدينية والعقائد سامية المصدر في كل مكان ولكن العقائد التي اذاعها العرب اتتهم من الله القدير من هذه البلاد خرجت الاديان التي تسود الدنيا

والبلاد التي اتيت منها وانت تنوح عليها الآن كانت حراجاً موحشة لما كانت قصور الملوك تبنى من ارز لبنان . لكن تلك الحراج اخرجت اممًا كثيرة ستنتشر في المسكونة كلها وتسود عليها وقد شاءت القدرة الالهية ان العقائد العربية الاصل تلاقي تلك الامم عند اول خروجها من حراجها وترشدها وتهديها . كل شيء بقضاء وقدر فقد غلب القياصرة الدنيا لكي توضع شريعة سينا فوق عروشهم . ثم قام رجل من الجليل وكتب على جباه الذين قهروا القياصرة خلاصة ما وصلت اليهِ العقائد الدينية التي نشأت في هذه البلاد

لكن اوربا لا تزال تتمخض وقد ولدت ابناء كثيرين ملأُوا السهول والوعور . وقد ثار ثائرهم في اوائل هذا القرن ونسبوا ما حلَّ بهم من الشقاء الى العقائد الدينية التي انقذتهم من الشقاء فبعدوا عنها وزادوا شقاء وتلمسوا آلهة أُخرى فعادوا بالفشل. ولاشيء يصلح تمدنهم الفاسد غير الاصول الدينية التي نزعت منهم البربرية ولا يتساوى الناس الاَّ اذا خضعوا كلهم لله ولا يشعرون انهم كلهم اخوة الاَّ اذا علموا ان لهم ابًا واحدًا في السماء . ولكن لما بعد الانسان عن خالقهِ نمت بينهما بزور الشرور فنغصت كاس الحياة . فاليك عن الفلسفة التي تتوخى حل هذه المشاكل وعلِّم الناس انهم متساوون في عين خالقهم ولا تخف ولا تجزع ولا تجبن أطع ما تلهمك اياهُ نفسك

ثم قصف الرعد فافاق تنكرد من غيبتهِ ورأى الجبال حولهُ كالحراس والكواكب فوقهُ كالمصابيح ولم يرَ الملاك ولكن صوتهُ بقي يرنُّ في اذنيهِ . ثم نزل عن الجبل الى حيث كان رجالهُ بجانب الدير

الفصل الثامن

حوّاء في خدرها وجواريها معها يضربنَ العود وينشدنَ اشعارًا من قصة عنتر ومجنون ليلى وهي جالسة غائصة في بحار الافكار تلعب بسبحة في يدها ولا تعي شيئًا . ما يشغل بالك ايتها الحسناء وما يخامر فؤادك من الهموم والغموم

بينما هي كذلك سمعت جدها يخاطب رجلاً آخر بصوت الغضب وهو يتوعَّد ويتهدَّد على غير عادتهِ والمتكلم معهُ يترضاهُ . ثم علا صياح الاثنين الاول يزأر كالاسد والثاني يصيح

كالديك ثم صمتا كلاهما او خرجا من الخيمة وابعدا عنها فلم يعد صوتهما مسموعاً . فعادت حواء بافكارها الى ما كانت تفكر بهِ وحينئذٍ سمعت صوت فخر الدين خارج خبائها يطلب ان يدخل ويراها . وقبل ان تأذن لهُ في ذلك دخل وهو احمر الوجه جاحظ العينين يكاد نفسهُ ينقطع من الحدة والغضب فارتمى على مقعد بجانبها وقال لها من يقول انني جبان ولكن كيف العمل وقد تجري الرياح بما لا تشتهي السفن . لا بدَّ من انك سمعتنا نتجادل ونتخاصم ولم اكن اعرف من حدك ما رأيت منهُ الآن .

حواء — ماذا جرى

فخر الدين — عليهِ ان يتعلَّم من محمد علي الذي اخلى سورية بعد ان ملكها . تلك خسارة لا تقلُّ عن غنيمة لم يصل اليها بعدُ

حواء — ألا يزال جدي يطلب الفكاك

فخر الدين — لا يزال وهو يطلب هذين العرشين بالحاجة

حواء — هذين العرشين ! مليونان من القروش . اربعة آلاف كيس

فخر الدين — لا تزالين غلطانة مثل ابيك فقد نزَّلنا الشيخ من اربعة آلاف كيس الى الفين الف لهُ والف لي فالمبلغ المطلوب لهُ الآن الف كيس لاغير وقد عزمتُ ان استدينها منهُ

حواء — تستدينها منهُ !

فخر الدين — نعم استدينها منهُ اذ ليس لهُ حاجة الى النقود وانا ادفع لهُ ربًا ثلاثين في المئة اوفي بها ديوني في بيروت وطرابلس واللاذقية حيث ادفع اربعين وخمسين في المئة سنويًا فاستفيد وافيدهُ ولو كان ابوك يوفي ديوني كلها ويأخذ مني ثلاثين في المئة لا غنى هو واغناني عن الناس

حواء — أصحيح انك تدفع فوائد بهذا المقدار . ما ظننتُ ذلك قط وما ظننتُ انك مديون الى هذا الحد

فخر الدين — صدقيني انني لولا ديوني ما كنتُ انفع شيئًا لانني كسلان بالطبع ولا شيء يحثني على الاجتهاد الا الشعور بانني مديون ومضطر ان اوفي ديوني او اوفي رباها على الاقل

حواء — اذا كان الامر كذلك فلا امل لك بالنجاح ابدًا لان الانسان لا ينجح وهو مغلول اليدين مثلك

فخر الدين — ولكن ديوني ليست شيئًا بالنسبة الى مقدرتي فاذا اردتِ الحكم على انسان لا تنظري الى ديونهِ فقط بل انظري الى مقدرتهِ ايضاً

حواء — ولكنني فهمت منك ان كل املاكك مرهونة

فخر الدين — املاكي! ما هي الاملاك ان مقدرة الانسان ليست باملاكهِ فقد يكون في رأسهِ فكر يساوي كل املاك الدنيا ولا سيما اذا كان عملياً

حواء — انا اعلم ان في رأسك افكاراً كثيرة ولكنني احسبها كلها نظرية فان كان فيها فكر عملي فهو غير ما اعهدهُ فيك وهو ما تحتاج اليهِ بالذات

فخر الدين — نعم لم يكن في رأسي فكر عملي ولكن صار فيهِ الآن والامور مرهونة باوقاتها

حواء — وما هو هذا الفكر العملي

فخر الدين — هو الثقة بما رآهُ هذا الامير الانكليزي في جبل سينا فانهُ جاء من هناك متغيراً واراهُ عازماً ان يسير في مقدّمة هذه الثورة . وهو غير راجع الى القدس بل ذاهب معي الى قنوبين

حواء — لا بدَّ لهُ من مقاصد كبيرة على ما يظهر

فخر الدين كيف تعرَّفتِ بهِ يا حواء ولم تخبريني قبل الآن

حواء — تعرَّفتُ بهِ!

فخر الدين — نعم فانهُ عرفك حالما فارقتهُ الحمى ثم عرفت منهُ انهُ رآكِ قبلاً ولكنني لم اعرف شيئاً آخر غير ذلك لانهُ قليل الكلام عن نفسهِ فتريتهُ يتكلم ساعات متوالية عن الايمان والحرب وبلاد العرب واما اذا كلمتهِ عن نفسهِ اوجز الكلام وسمعت قبل عرفتهِ في القدس

حواء — التقيتُ بهِ اتفاقاً دقيقةً من الزمان في بيت عنيا ولم اسألهُ عن اسمهِ ولا هو اخبرني بهِ فكيف اقول لك اني تعرفت بهِ بل كيف اعرف ان الشخص الذي رأيتهُ اتفاقاً هو الامير الانكليزي الذي اسرتهُ

فخر الدين — كيف تقولين اني اسرتهُ وانا الذي انقذهُ من الاسر او سأنقذهُ قريباً

حواء — اهتم بذلك الآن وبعد ان تنقذهُ وتخلص من هذا الشكل ننظر في امور أُخرى

فخر الدين — هذا امر هين وانا ادبر امر الشيخ وسأفتح لهُ باباً واسعاً للغزو والسلب والنهب ولو قلتِ لي لما زرتكِ اخيراً في بيت عنيا ان هذا الشاب كان عندكِ ما حدث شيء مما حدث

حواء — كيف عرفتَ انهُ كان عندي (قالت ذلك وقد علتها حمرة الخجل)

فخر الدين — لانني رأيتهُ آتياً من عندك وظننت حينئذٍ انهُ واحد من الافرنج يفتش من قبر اليعازر

فقالت وجدتهُ في البستان فارسلت اليهِ بعض الخدم . قالت ذلك مضطربة وكان فخر

الدين قد وقف وجعل يمشي في الخيمة ذهاباً واياباً فقال لها سيتم كل شيء طبق المرام فان احد اصحابي في غزة يحتاج الى قافلة من الجمال فسأدلهُ على جدك ليستأجر جماله بعشرة آلاف غرش فاسكتهُ بهذا المال وارجع انا وانت والامير الانكليزي الى القدس

حواء — انا غير راجعة الى القدس ولكن جدي سيرسلني الى الشام وابقى فيها الى ان امضي الى حلب . قالت ذلك وهي تشير الى زواجها المنتظر بابن عمها

فقطب جبين فخر الدين وقال لها عساها تخرب

وارادت حواء ان تغير الموضوع فقالت لهُ ان هذه التدابير متوقفة كلها على قبول جدي بترك اسيره ولا اظنهُ يكتفي بعشرة آلاف غرش

فخر الدين — ما هي عشرة آلاف غرش انا ادفعها فائدة كل شهر الى رجل قبطي في بيروت ساضبط املاك كلها حالما احكم الجبل . اما الشيخ فانهُ اذا رأى هذه النقود في جيبهِ قال رجالهُ عنهُ انهُ امتلك كنوز سليمان

حواء — عشرة آلاف غرش لا تكفي لابتياع الجمال لارملة سالم

فخر الدين — لا تتعبي رأسكِ بهذه الامور فان عند الشيخ جمالاً كثيرة وهو يعطيها منها وانا اعطيهِ اسلحة بدلاً من جمالهِ

حواء — كيف تصل الاسلحة من قنوبين الى بلاد العرب

فخر الدين — شريف افندي في غزة وسالتقي بهِ هناك بعد غدٍ وآخذ منهُ خمسة آلاف بندقية فاعطي الشيخ خمس مئة بندقية منها

فنظرت اليهِ نظرة الاستغراب وقالت لهُ قد كفلتك عند شريف افندي لمدة ثلاثة اشهر فما امرهُ الآن

فاحمرَّ فخر الدين خجلاً وتلعثم لسانهُ عن الكلام ثم قال لها سامحيني يا حواء فقد كذبت عليكِ وانا معترف الآن بخطائي ولكن كيف العمل فانني تظاهرت بطلب مهلة ثلاثة اشهر خداعاً مني لكي لا تعلمي مقاصدي اما الآن فقد قضي الامر وجدكِ ينقل لنا البنادق الى الجبل وانا ادفع لشريف افندي اربع مئة كيس او مئتي الف غرش

حواء — ومن اين لك هذه الدراهم

فخر الدين — مَن يقصد ان يقود هذه الحركة في اسيا كلها ويوقد شعلة هذه النار لا يصعب عليهِ ان يدفع اربع مئة كيس وانا خلصنا هذا الامير من دفع اربعة آلاف كيس فلا يثقل عليهِ دفع عشرها ثمن بنادق تبقى لهُ

الفصل التاسع

ابل تنكرد وكلم فخر الدين بما جعله يلح على الشيخ ليطلق سبيله على ما تقدم في الفصل السابق . ثم نهض من فراشهِ وحاول الخروج من خيمتهِ فمنعهُ باروني . وكان الشيخ يودّ الرجوع الى بلادهِ من تلك القفار ولولا مرض تنكرد والاختلاف على الفكاك لرجع حالاً . وفهم باروني من بقاء حواء هناك وانطلاق فخر الدين بغتة ان السعي متواصل في ارضاء الشيخ واطلاق سبيل تنكرد. وقال لهُ تنكرد "لقد اخبرني الامير امس انهُ يفض هذا المشكل بنفسهِ من غير ان يتعبنا ولا بدَّ من اعطاء الدية لامرأة القتيل ومن ارضاء الشيخ بقليل من المال وانا واثق ان هذا الامير يدبر كل شيء بفطنتهِ وبحكمة تلك الفتاة الحكيمة وانا اثق بها تمام الثقة"

باروني — انا اثق بها اكثر مما اثق بهِ لاني اعرف من هو

تنكرد — مهما يكن امرهُ فانا شاكر لهُ كرم اخلاقهِ واراني احبهُ من غير التفات الى هذه الامور

باروني — وانا لا اعرف شيئًا يقال ضدَّهُ ولقد اعتنى بسيادتك اعتناء شديدًا ولكن الشهابيين لا يقرّ لهم قرار

تنكرد — هو كبير المطامع ولم يتدرَّب كما نتدرَّب نحن ولكنهُ ذكي نبيه جدًا ولهُ منصب سامٍ وقد يكون لهُ شأن كبير في المستقبل فيحرر بلادهُ

باروني — لا شيء يحرر بلادهُ لان اهاليها عبيد منذ ولادتهم

تنكرد — ليسوا عبيدًا الآن لانهم اهل حرب وصدام ولكن ليس لهم قائد

باروني — ولا يكون لهم

تنكرد — كذلك العرب لم يكن لهم قائد فلما ظهر النبي محمد فلما ظهر تغلبوا على الروم والفرس

باروني — لا اعرف من امور السوريين اكثر من ذلك ولكن الصيدوني حاول انهاض همتهم سنة ١٨٣٩ ولو كان فيهم حياة لظهرت ولكنهُ كان كالنافخ في رماد

تنكرد — على اي شيء كنتم تعتمدون حينئذٍ

باروني — على المال فان الصيدوني وعدهم ان يقرضهم مالاً كثيرًا الى حد ثلاثة ملايين

تنكرد — المال لا يفعل شيئًا في هذه الاحوال اعتبر بامر اليونان . ولكن قد يستطيع الرجل ان يقف على جبل الكرمل ويقول ثلاث كلمات فتقبل عليهِ قبائل العرب ويصل بهم الى اسبانيا

باروني — ولكن ليس عندهم مدافع

تنكرد — وما هي حاجتهم الى المدافع فانهُ ليس في كل اسيا جنود منظَّمة الاَّ في بلاد الهند

باروني — ولكن دول اوربا تتداخل في الامر

تنكرد — ما علينا من دول اوربا اذا كان الله معنا . ومن ينهض الآن بدعوة دينية يستولي على اسيا كلها ومتى كانت اسيا معهُ لم يصعب عليهِ الاستيلاء على اوربا لانك اذا استثنيت انكلترا وفرنسا والبلدان التي على ضفتي الرين فاوربا منحطة مثل اسيا واكثر

وكان القمر هلالاً وقد امتزج نورهُ بما بقي من نور الشفق وهبَّ النسيم فلطَّف حرارة الهواء . فالتفَّ تنكرد بعباءة ومشى هو وباروني نحو خيمة الشيخ فرأى رجال القبيلة في خرائب المشهد القديم وقد اجتمعوا حول شاعر يضرب على الرباب وينشد اشعار عنتر التي يصف بها ذهابهُ الى مدائن كسرى ودخولهُ معابد النيران وكان الرجال يسمعون انشادهُ صامتين حتى اذا انشد قولهُ

كأنَّ دماء الفرس حين تحادرت خلوف العذارى او قباءٌ مدبَّجُ

فويلٌ لكسرى ان حللت بارضهِ وويلٌ لجيش الفرس حين اعجعج

واحمل فيهم حملة عنترية اردُّ بها الابطال في القفر تنعج

طابت نفوسهم وقالوا لهُ احسنت أحسنت لافضَّ فوك يا لعبس يا لعدنان . ثم انشد قول عنتر لما خرج الى العراق في طلب النوق العصافرية مهرًا لعبلة

جفون العذارى من خلال البراقع احد من البيض الرقاق القواطع

وعاد الى انشاد القصيدة النونية التي مدح بها كسرى انو شروان ومطلعها

يا أيها الملك الذي راحاتهُ قامت مقام الغيث في ازمانهِ

يا قبلة القصاد يا تاج العلا يا بدر هذا العصر في كيوانهِ

فقال باروني لتنكرد ان هؤلاء الناس سمعوا انشاد هذه القصيدة الف مرة ولا يزالون يطربون بانشادها. ثم نادى واحدًا اسمهُ شداد بن عمرو وقال لهُ انك سمعت هذه القصيدة من حين كنت ترضع اما مللت منها . فقال كلاَّ ومن يمل من سماع الكلام الفصيح فان الطيب يبقى طيبًا ولو شممتهُ الف مرة . وظلَّ الشاعر ينشد والناس يصغون اليهِ لا تسمع لهم صوتًا الاَّ اذا قال كلمة هزل تضحكهم . ورأى باروني الشيخ هناك فاخبر تنكرد ولم يكن تنكرد قد زارهُ بعد شفائهِ فتقدم اليهِ وحياهُ فرحب بهِ واجلسهُ على بساطهِ ثم وقف الشاعر عن الانشاد فجعل الرجال يتكلمون ويقولون ان كل ما قالهُ صحيح . وامر الشيخ ان يأتوهم بالقهوة ثم اخرج كيسهُ من جيبهِ وفكهُ واعطى الشاعر درهمًا منهُ فقبلهُ شاكرًا وقال لهُ انهُ نظم قصيدة في

مدح حواء ورغب اليهِ ان يسمح لهُ بانشادها فانشدها وقد وصفها فيها وصفاً بديعاً وقال انها تركب الخيل العتاق وتخجل طلعتها البدر وكان يكنيها بابنة مالك جدها ولا يذكر اسم ابيها. وارسل الشيخ مالك الى حواء لتحضر وتسمع ما يقولهُ الشاعر في وصفها فحضرت وسمعت القصيدة وكان باروني يترجمها لتنكرد فسرَّ هو بها ايضاً وكان في عنقهِ سلسلة من الذهب فاعطاها للشاعر وحينئذٍ اشرأبت اليهِ الاعناق ونظرت اليهِ العيون لانهم لم يروا مثل هذا الكرم في حياتهم وقالوا حقًّا هذا اخو الملكة

ثم انحل عقد الجمع ودنا تنكرد من حواء وقال لها لو كنتُ شاعراً لحاولت الاعراب عن شكري لسيدة بيت عنيا وعسى ان يكون باروني اخبركِ انني كنتُ عازماً ان ازورك غداً لاقدم لكِ واجب الشكر ولم يكن يخطر ببالي ان اراكِ هذا المساء ولا انني استطيع الخروج من الخيمة فيهِ

فقالت ان هواء المساء لا يضرك لانهُ لطيف منعش

تنكرد — نعم واظنهُ سيتم الشفاء الذي تلتهُ على يدكِ

حواء — لم استعمل الاَّ وسائط بسيطة ولكنني اشكر الله لانها اتت بشيء من الفائدة ولا سيما لان سياحتك هذه تهمني جدًّا

تنكرد — أأخبرك الامير فخر الدين عما انا عازم عليهِ

حواء — اخبرني بعض الشيء وكنت قد لمحت ذلك من كلامك السابق في البستان

تنكرد — الكلام السابق في البستان في بيت عنيا نعم وقد حدث ذلك بالامس ولكنني اشعر كأنهُ حدث منذ سنين كثيرة لكثرة ما مرَّ برأسي من العبر

حواء — ومن ذلك الوقت رأيتك تهتم بامر اسيا التعيسة

تنكرد — لماذا تصفينها بالتعيسة وهي بلاد الوحي والانبياء . والسبات الذي هي فيهِ الآن خير من يقظة اوربا كما ان ظن العاقل خير من يقين الجاهل

حواء — ولكن اوربا امتلكت بلاد الهند وبسطت سيادتها على بلاد فارس واسيا الصغرى وادَّعت انها انقذت بلاد الشام فكيف نقاومها

تنكرد — لا تقاوموها بل خلصوها

حواء — كيف نخلص غيرنا ونحن لا نستطيع ان نخلص انفسنا

تنكرد — خلصوها بالتعاليم الروحية كما فعلتم قبلاً . من جبل سينا ومن قرى الجليل ومن بلاد الحجاز من هذه البلاد انتشر الوحي الذي انار ظلمة الكون

حواء — هذه احلام كنت احلم بها . كلاَّ كلاَّ . هذا ضرب من المحال . اوربا متكبرة متعظمة تسلطت على الطبيعة فلم تعد تسمع للانبياء مهَّدت الجبال وخاضت عباب البحار فهل يصدق اهلها بوجود قوة اسمى من قوتهم بشرية كانت او الهية

تنكرد — تسلطت على الطبيعة ! ما هو هذا التسلط وقد قلّت خيرات الطبيعة في والطبيعة نفسها قد زعزعت اركان ممالكها وقد تقوَّض بنيانها . كلاَّ ايتها السيدة الكريمة اوربا ليست سعيدة بل فيها من الهموم والغموم ما ينخر عظامها ولو ظهرت بمظاهر النجاح والفلاح وعبثاً تطلق على جلبتها اسم التقدُّم لان لسان الحال يسألها من اين هذا التقدُّم والى اين فلا تحير جواباً وليس فيها الآن من يذكر اسم الله الا الذين يدينون بالاديان العربية الاصل

الفصل العاشر

مضت اربعة ايام من حين ذهب فخر الدين . وكان تنكرد يرى حواء كل يوم في خيمة جدها ولم يجلسا وحدهما في الخيمة ولكنهُ كان يكلمها بالفرنسوية فلا يفهم احد ما يدور بينهما من الحديث وكان مدار كلامهما على المواضيع التي تشغل بال تنكرد فاعرب لها عن افكاره صريحاً لانهُ رآها حصيفة الرأي فاراد ان يقف على رائها فوجدها تشاركهُ في ما يشعر به وسُرَّ بما رأى فيها من الحب المفرط لشعبها والايمان الوطيد بحسن مستقبلهم . ولم تكن تطيل الكلام على ذلك ولكنها لم تكن تخفي عنهُ اذا لاحت لها فرصة للكلام . وتكلمت عن فخر الدين ايضاً واظهرت ميلها اليهِ ورغبتها في نجاحهِ واعتقادها بنبالة مقاصدهِ ولكنها ابدت اسفها على قلة صبرهِ وسرعة تقلبهِ وودَّت لو يوفَّق الى مَن يعينهُ في الرأي ويرشدهُ في المصاعب

وعاد فخر الدين بعد اربعة ايام ودخل خيمة الشيخ وكلمهُ طويلاً ثم خرج محمرَّ الوجنتين ورأى تنكرد جالساً امام خيمتهِ فسلَّم عليهِ واعتنقهُ وقال لهُ قد قضي الامر وصرتَ حرًّا

وقال الشيخ لرجالهِ ان يستعدوا للرحيل تلك الليلة وقرَّ قرارهم على ان يأخذوا حواء معهم ويوصلوها الى ابواب دمشق وان يمضي خمسة وعشرون فارساً منهم مع تنكرد وفخر الدين الى ابواب غزة . وحينئذٍ علت الجلبة في المحلة كلها

. وشعر تنكرد بألم الفراق عن حواء ولم يصبر عليهِ الاَّ لانهُ كان قد وطن نفسهُ على أُمور أُخرى رأى ان لا بدَّ منها وودَّ ان يمضي معها الى دمشق ولكن تدبير السفر لم يكن في يدهِ بل في يد فخر الدين فاطاعهُ مختاراً او غير مختار . وكانت الشمس قد دنت بالمغيب فركب الفرسان واشرعوا رماحهم ونهضت الجمال برحالها . وتقدَّم الغلمان الى حيث كان الشيخ ومعهم نخبة جيادهِ وبينها فرس اسمها درة دارة وهي تكاد ترقص طرباً وخرج فخر الدين وتنكرد

لمشاهدة الركب وقدّمت الفرس الى حواء فاعتنقتها اولاً ثم علت صهوتها كأنها من فرسان الزمان ونظر اليها تنكرد فرأى قواماً يخجل البان ووجنتين جمعتا بين الورد والياسمين وشمماً وعزّة نفس يعجز عن تمثيلهما اشهر المصورين. وحاولت في اظهار البشاشة والسرور بكل جهدها فودعت فخر الدين بكلامها المألوف ثم التفتت الى تنكرد لفتت اضطرب لها فؤاده وقالت له اودعتك الله ايها السائح الكريم

الفصل الحادي عشر

بات فخر الدين وتنكرد تلك الليلة في القفر بين خرائب البتراء وقاما في الصباح وقصدا غزّة فوصلا اليها من غير مشقة وامضى تنكرد هناك سنداً لشريف افندي بثمن البنادق واجرة نقلها فحُملت على الجمال التي اتت معها وأُرسلت الى جبال لبنان وأُرسل بعضها الى جهات حوران الى الشيخ مالك. واتى باروني بيخت تنكرد من يافا الى غزة وسار بهِ وبالامير فخر الدين الى بيروت وصعد فخر الدين مع ضيفهِ وهو يفتخر بهِ امام تجار بيروت وصيارفتها لكي لا يلحوا عليهِ في طلب ما لهم عنده من المال. حتى اذا وقعت عين تنكرد على لبنان دهش مما رآه من بديع المناظر فان قنن ذلك الجبل لا تغطيها السحب مثل قنن ارارط ولا تكتنفها الحراج مثل جمالايا ولا تنفجر البراكين منها مثل الاندس ولا تنصب عليها الشلالات مثل الالب ولكن اذا نظر المرء الى ما في لبنان من النبات والحيوان وتعدد اشكالها وانواعهما وبديع المناظر التي تكتنفها فلا جبل في الدنيا يضاهيهِ او يقابَل بهِ

وقد هرب الناس من السهول الخصيبة من جور الحكام وظلم الولاة الى هذا الجبل فزرعوا فيهِ الكروم وتفيأُوا ظلال الاشجار وصيروه جنّةً من الجنان . فترى القصور والاديرة على شواهقهِ والكروم والحقول على سفوحهِ وسكانهُ من شعوب مختلفة ومذاهب شتى لكنهم مشتركون في اباءة الضيم والبعد عن الذل والترفّع عن الطاعة للحكام . امراؤهم على صهوات خيولهم واساقفتهم ملوك في اديرتهم وشيوخهم حكام في خلواتهم

وكان رجال فخر الدين قد علموا بقدومهِ فنزلوا اليهِ الى بيروت بالخيول المطهمة فركب هو وتنكرد ومن معهما من الرجال وصعدوا في الجبال الى ان اشرفوا على سهل البقاع والنهر الليطاني وهو كسيف يسل على نجاد اخضر وفي وسط السهل اكمة تغطيها اشجار السنديان وعلى قمتها قصر قديم كثير الابراج من ايام العرب وهو قصر فخر الدين الذي دعا تنكرد اليهِ ولما وصلوا الى بابهِ فُتح لهم بالترحاب واذا فيهِ ساحة رحبة في وسطها فسقية كبيرة يتدفق الماء منها وحولها رواق من المرمر وفي الساحة كثيرون من الخدم والحشم وبعضهم بافخر الثياب ينتظرون

قدوم سيدهم وترجَّل تنكرد وسار يه نحو تمدين من غرفة الى اخرى الى ان اوصلهُ الى غرف تطل على حديقة غناء بجانبها حمَّام من المرمر الصقيل وكلها فاخرة الاثاث والرياش فقال له هذه الغرف لك وسأرسل رجالك اليك اذا لم تشأ ان يتولى رجالي خدمتك

اصلاح الترامواي

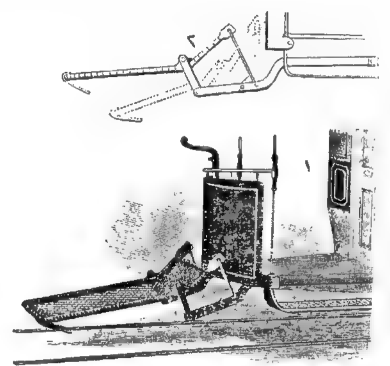
سِرْ بمركبتك او سِرْ ماشياً في شارع محمد علي او شارع كلوت بك او شارع الفجالة واسمع طنين الاجراس من مركبات الترامواي خلفك وامامك وانظر الى الناس يتسابقون جرياً اليها او هرباً منها يتضح لك امران الاول ان الترامواي اتلف الشوارع فلم تعد تصلح للمشاة ولا لركاب المركبات ولا سيما الشوارع الضيقة التي مدَّ فيها خطان من خطوطهِ . وضررهُ في الاسكندرية اشدُّ منهُ في القاهرة على ما يظهر. وذلك امر لا بدَّ منهُ لانهُ لما خُطِطت الشوارع وجُعل اتساعها عشرة امتار او اقل لم يكن يخطر بالبال ان تمدَّ فيها سكة حديدية تجري مركباتها بالكهربائية بدل البخار . اما ضررهُ بالمشاة فقلقهم الدائم من ان تصدمهم مركبة من مركباتهِ فتطحن عظامهم كما فعلت بكثيرين وكم تفعل كل اسبوع او كل شهر فانهُ قلما يمضي اسبوع الاَّ ونسمع ان واحداً صدمتهُ مركبات الترامواي فقتلتهُ او هشمتهُ . ولذلك يسير الماشي في الشوارع الضيقة كشارع مصر العتيقة او ينتقل من رصيف الى آخر خائفاً وجلاً لئلا يعثر في طريقهِ فتأتيهِ مركبات الترامواي ولا تقيل عثرتهُ بل تمرُّ فوقهُ كأنهُ من سقاط الاشجار. وقد يمكن ان يخفف هذا الضرر كثيراً او يزول بالتزام المشي على الارصفة حيث توجد . ولكن الضرر بالمركبات لا يزال بطريقة من الطرق لان عجلها تمرُّ في ميزاب خطوط الترامواي منحرفةً فتتعب الخيل وتتلف المركبات وتقلق الركاب عدا الخطر من اصطدامها بمركبات الترامواي حتى صار اصحابها يبعدون عن الشوارع التي فيها خطوط الترامواي اذا استطاعوا

هذا هو الامر الاول او الضرر الذي نتج عن وجود مركبات الترامواي ولكن هذا الضرر لا يقاس بالنفع العميم في تسهيل الانتقال على أُلوف من الناس . وانت تتعجب كيف كان هؤلاء الالوف ينتقلون من مكان الى آخر وكم كانوا يدفعون اجرة الركائب والمركبات او كم كان يضيع من وقتهم وقوتهم بل من احذيتهم وثيابهم في الانتقال فان هذه كلها خسائر كانت تقع بهم واموال ينفقونها وقد صاروا في غنى عن انفاقها الآن . ولو اوقفت مركبات الترامواي اسبوعاً واحداً لشعروا بحاجة شديدة اليها . فمهما يكن الضرر الذي يقع بالخاصة كبيراً فالنفع

الذي نالهُ العامة اكبر منهُ كثيرًا ولذلك رحَّبنا بالترامواي منذ اول مجيئهِ الى هذا القطر لعلمنا بما ينتج عنهُ من النفع للجمهور

لكن اذا بقي هذا النفع على حاله واستنبطت واسطة لازالة الضرر او لتقليلهِ وجب ان لا تهمل بل يلتجأ اليها حالاً وهذه الواسطة قد استنبطت في البلاد التي اخترعت الترامواي الكهربائي واشاعتهُ اي الولايات المتحدة الاميركية وقد نقلنا صورتها عن جريدة السينتفك اميركان التي يغني اسمها عن وصف ما فيها من التدقيق في المسائل العلمية الصناعية

قالت ما معناهُ ان شركة حواضن المركبات في كنساس باميركا استنبطت حاضنة جديدة



للمركبات التي تمرُّ في الشوارع وهذه الحاضنة مرسومة في هذا الشكل عند الرقم ١ في وضعها الطبيعي وهي بساط كمقدم كرسي الخيزران الذي تمدُّ عليهِ الساقان منسوج نسجًا من الخيزان او نحوهِ كما ترى في الشكل وتتصل بهِ عوارض لها مخالع ومفاصل كما ترى فاذا لمس جسمًا في طريق المركبة كانسان مطروح على الارض اندفعت مفاصلهُ الى الوراء فانخفض من نفسهِ كما ترى في الخطوط المنقطة تحت الرقم ٢ ورفع الشخص المطروح في طريقهِ او رماهُ الى اليمين او الى اليسار . قالت السينتفك اميركان ومزية هذا الاستنباط ظاهرة تغني عن التفصيل

نقول وهذا من نوع الاستنباط الذي استنبطهُ الخواجه عبد الله هاشم وقال انهُ يوصلهُ بمركبات الترامواي ويطرح نفسهُ امامها فترفعهُ عن الارض من غير ان يلحق بهِ ضرر وذكرنا

ذلك في المقطم غير مرة وعلمت به شركة الترامواي في القاهرة فلم تعبأ بامتحانهِ فعسى ان تهتم الآن بذلك

اما الاستنباط الاميركي فمذكور في جزء ٢ يونيو سنة ١٩٠٠ من جريدة السينتفك اميركان صفحة ٣٤٣ واقل ما يطلب من شركة الترامواي في العاصمة ان تكتب الى شركة الحواجز
Rodman Car-Fender Company Olathe, Kans, U. S. America.
وتستعلم منها عن كل ما يتعلَّق بهذا الاستنباط وكيفية استعمالهِ ومقدار فائدتهِ الى غير ذلك من الامور المتعلقة بهِ عساها تزيل الضرر من مركبات الترامواي فتصبح نفعاً محضاً

الاشتراكيون الديموقراطيون

لحضرة الكاتب المجيد خليل افندي ثابت

من يجل في ارباف القطر المصري ويشاهد الفعلة يعمل واحدهم صحابة نهارهِ ليكسب ثلاثة غروش فاذا قبضها عاد بها مسروراً يعجب لانتشار الاشتراكية في البلدان الاوربية على كثرة الاعمال وتنوعها فيها وارتفاع الاجور فضلاً عما قيَّض الله لتلك البلاد من العدل والحرية والراحة والامان. لكنَّ المتأمل يعلم ان الحاجة والفاقة هما اصل الاشتراكية وان ما نسمعهُ عن التقدم والاصلاح في اوروبا انما هو صحيح بوجهٍ عام وان هنالك من الفقر والمصايب ما ينفطر لهُ الفؤاد . فالعامل يجدُّ نهارهُ وليلهُ ليكتسب قوت اهل بيتهِ وليبتاع فحماً لتدفئتهم ايام البرد والزمهرير وليكسب ما يساوي اجرة البيت الذي يسكنهُ لكنهُ كثيراً ما يقصر دون نيلهِ تلك الغاية اما لارتفاع اسعار الطعام والوقود واجور المساكن واما لهبوط اجور العملة او لاجتماع الامرين وقد يحدث انهُ لا يجد عملاً لكساد التجارة وكثرة المصنوعات المخزونة مما يقضي على اصحاب المعامل باقفال معاملهم تجنباً للخسارة ان تلحق بهم . فالبلاد الحارة المخصبة كمصر مثلاً بلاد الفقير ينام في العراء اذا عدم المسكن ويأكل ما شاء من البقول والاثمار فلا يحتاج الى اللحوم والادهان وهو في غنًى عن الوقود بما في طبيعة البلاد من الحرارة التي يعدمها اهل الشمال ويستعيضون عنها بما يوقدونهُ من الفحم والحطب مما يستنزف جزءا كبيرًا من ثمار اتعابهم واجورهم

والاشتراكية حالة الانسان الفطرية يوم كان الناس اقواماً رحلاً لم يمصّروا الاقاليم ولا انتجعوا مكاناً الاَّ وعصيُّهم في ايديهم واحذيتهم مشدودة لمغادرتهِ اذا قلَّ المرعى ونضب الماء

لكنَّ تلك الحالة لم تدم طويلاً فلم يلبث الانسان الوحشي ان انس الى الحضارة فكان ما كان من تقسيم الموجود بين افراد الجماعة وتلا ذلك التملّك بالغلب او بالارث او بالشراء حتى تفرَّد قوم بالغنى وآخرون بالفقر فاستعبد الغنيُّ الفقير بماله وابتاع دمهُ وحياتهُ وعرق جبينهِ بما يكفي لسدّ رمق ذاك وكان للسيد على عبدهِ السلطة التامة فاذا شاء قتلهُ واذا شاء ابقى عليهِ وقد كان الغاء الاسترقاق خطوة كبيرة في سير الاشتراكية فانها اعلنت المساواة الجبرية بين بني البشر

وقد تقدم للمقتطف انهُ نشر المقالات الكثيرة في الاشتراكيين ومذاهبهم وزعائهم المشهورين فيهم وموقف هذه الطائفة تجاه العالم المتمدن فرأيت ان اتبع تلك المقالات بشيء في فئة منهم تسمي نفسها "الاشتراكيين الديموقراطيين" يكثر وجودها في بلاد الانكليز . وقد حاول المستر هربرت سبنسر شيخ العلم الاجتماعي تفنيد مذاهب هذه الفئة في مقالة نشرها في مجلة "الكونتمپورري رڤيو" Contemporary Review منذ خمس عشرة سنة وسآتي في عرض الكلام على بعض اقوالهِ فيها وما يرد عليهِ بهِ زعماؤُها

غاية هذا الفريق من الاشتراكيين كما يؤخذ من كتبهم هي تعميم وسائل الاستثمار والاستغلال وتوزيع الغلة والمصنوع وبيعهما بادارة حكومة ديموقراطية (جمهورية) تشتغل لخير الجماعة باسرها وتحرير العمل والعمال من ربقة السخرة والعبودية لاصحاب الاموال والاملاك والمساواة بين الرجل والمرأة اجتماعياً واقتصادياً

وقد خطُّوا الطرق الموصلة الى هذه الغاية واليك ملخصها

(١) يشترك كل بالغ في انتخاب اولي الامر وتقوم الجماعة بنفقاتهم

(٢) الشعب هو الشارع فلا يُعمل بقانون ما لم يصادق عليهِ اكثر الامة

(٣) الغاء الجيوش القائمة تحت السلاح وتنظيم حرس وطني يتولَّى الدفاع عن البلاد وللامة وحدها حق الحكم في اعلان الحرب او التزام السلم

(٤) يجعل التعليم اجبارياً زمنياً (لا دينياً) بدون ثمن مقابل

(٥) تنظيم المحاكم بحيث يستطيع جميع الناس نيل حقوقهم بواسطتها دون ان يكلفوا لدفع رسوم

(٦) تعد وسائل الاستغلال والاستثمار والتوزيع والمبادلة والمقايضة من المنافع العامة فهي ملك الجماعة

(٧) تسنّ الجماعة نظام توزيع الثروة لخير جميع افرادها

(٨) تقام محاكم دولية تحكم في الخلافات الناشئة بين الامم

وقد اشاروا بما يأتي تخفيفاً لمصايب البشرية بما يعود بالفائدة في الزمان العاجل

(١) تبنى مساكن موافقة لسكن العمال لا تزيد اجورها عما يقتضيهِ بناؤها وحفظها من الاكلاف والنفقات

(٢) لا يجوز لاحد ان يجبر ولداً دون السادسة عشرة على احتراف حرفة او العمل في تجارة ومن خالف ذلك واغرى احد الصغار يعد جانياً يستحق العقاب الشديد

(٣) تحدَّد ساعات العمل فلا تتجاوز الثماني في اليوم او اربعاً واربعين ساعة في الاسبوع ومن خالف ذلك من اصحاب الاعمال والعامل يعاقب شديداً

(٤) توكل ادارة السكك الحديدية والترع الى الحكومة والمجالس البلدية وحدها حق اصطناع نور الغاز والكهربائية وتوزيعهما ولها وحدها الحق في ادارة اعمال ماء الشرب

(٥) تعمّ عربات الترامواي وعربات النقل لتسهيل اعمال الجماعة كلها

(٦) تعمّ بنوك البوسطة حتى تستغرق كل الاعمال التي يقوم بها الصيارفة ويربحون بها من مال القوم

(٧) يلغى الدين الوطني

(٨) تسلخ الكنيسة عن الحكومة وتشاد ملاجيء للعجزة والضعفاء من العمال ومن تجاوز الخمسين فالجماعة تقوم بنفقاتهِ الاَّ من اراد العمل بعد الخمسين فلهُ ذلك

(٩) تبنى مستشفيات بلدية حيث تبدو الحاجة اليها.

وغنيٌّ عن البيان ان المنافسة بين العمال والتجار واصحاب الرساميل يداً في اسقاط الاجور فالبطَّال يقنع بكسب اقل مما يكسبهُ العامل اذا هو اعطي مكان هذا على ذلك الشرط. ومن يمعن النظر في تاريخ الاستعمار الحديث في الولايات المتحدة يتضح لهُ ذلك جليًّا بحيث ان حكومة الولايات المذكورة رأت منذ زمن وجوب وضع حدٍّ لمهاجرة العمال اليها من كل حدب وصوب وضربت المكوس الفاحشة على البضائع الاجنبية التي ترد الى بلادها حماية لمصنوعاتها وعالما على ان الامر ليس كذلك في بلاد الانكليز حيث ابواب التجارة مفتوحة للجميع على السواء ولا تفرض الحكومة مكوساً الاَّ على القليل من الواردات فكان من ذلك ومن كساد التجارة ان بقي عدد غفير من العمال لا عمل لديهم ولا صناعة يلجأون اليها فحركت الحالة قلوب زعماء هذه الفئة وقاموا يطالبون الحكومة بالاصلاح ويدعون الشعب لشد ازرهم على نمط يكفل لجميع القادرين على العمل وطالبيهِ ايجاد ما يضمن لهم ولذويهم القوت والمسكن من الاعالي ويرى الاشتراكيون الديموقراطيون ما يراهُ اخوانهم في جميع انحاء العالم من ان استئثار

ذوي الرساميل والاملاك هو العامل الاكبر في هذا النقص في المجتمع وان احتكار الشركات لسكك الحديد وما اشبهها يعود بالربح الكثير على فئة صغيرة من الناس فيكسبهم أُلوف الدنانير وما هي سوى عرق النعلة المساكين ودماء قلوبهم بينما هؤلاء لا يكسبون ما يزيد عن الضروري لسد حاجاتهم

اما المستر هربرت سبنسر فيرى في نجاح الاشتراكية استعباداً للجنس البشري وينسب ما يلاقيه أُلوف العمال من المشقة والعناء والبطالة في لندن وغيرها الى كسلهم وانغماسهم في الشهوات والسكر وعندهُ ان المجتمع الانساني غير مكلف باسعاف هؤلاء وقد جنوا على نفوسهم والمجتمع ولقوا جزاء ما فعلوا. ولا ينكر عليهِ الاشتراكيون ان من العمال مَن هو كسل سكير وان المجتمع لن يعدم امثال هؤلاء في كل الاحوال ولكن اكثر العمال لم يعدموا العمل لذنب اقترفوهُ وانما هو انحطاط التجارة وكساد البضائع وكثرة السكان فكثيرون من هؤلاء المساكين يرضى بالاشتغال بأية المهن بما يضمن لهُ القوت فقط. والذي يطالب بهِ الاشتراكيون انما هو تخليصهم من الشقاء والمصايب التي مصدرها نظام العالم المتمدن الحاليّ تلك المصايب التي باتت حملاً على كاهل البشرية باسرها. ومن المعلوم ان المستر هربرت سبنسر من اكبر زعماء مذهب بقاء الانسب وانصارهِ اي انهُ من المنادين بالفردية ضد الاشتراكية وعندهُ ان من لا يعمل لا يستحق ان يأكل فاذا مات جوعاً فذاك جزاؤُهُ سعى اليهِ بنفسهِ قياساً على ان ما كان من النبات والحيوان عديم القوة لا يعمر طويلاً وجواب الاشتراكيين على قولهِ هو ان بين جماعة الاغنياء والمستأثرين بالرساميل من لم يأتِ عملاً نافعاً في حياتهِ ولا يستطيعهُ لكن جميع اسباب الراحة والرفاه متوفرة لديهِ فهو بالحقيقة عالة على فئة من العمال الذين يطعمونهُ ويسقونهُ بكدهم وتعبهم ويقول الاشتراكيون ان اقواماً كهؤُلاء لاشدُّ ضرراً في الهيئة الاجتماعية من العمال الفقراء الذين لم يعرفوا معنى الشبع في حياتهم

ثم نظر المستر سبنسر في نظام المدارس فاعترض على ما هو حادث من تكليف زيد لدفع ما يقوم بنفقات تعليم ابن عمرو وليس هذا من ذويهِ او ولدهِ لكن الاشتراكيين يحسبون ذلك واجباً لتقدم الامة باسرها وان من العار والانحطاط ان يشبَّ اولادها وهم جهلة لا يفضلون البرابرة في المعرفة والعلم

ويقدر المستر سبنسر درجة عبودية المرء بنصيبهِ من قيمة عملهِ فاذا كانت قيمة عمل العامل في اليوم خمسين قرشاً فعبوديتهُ تختلف باختلاف ما يعطيهِ اياهُ سيدهُ من هذه الخمسين وما يحفظهُ السيد لنفسهِ وعليهِ فلا فرق في كون السيد رجلاً واحداً او جماعة وسواءٌ اصاب العامل

هذا الجزء من قيمة عملهِ من رجلٍ واحدٍ او من المجتمع باسرهِ فهو في الحالتين عبدٌ لهذا او لذاك . ومع ان الاشتراكيين يسلّون بتعريف المستر سبنسر لكنهم يعقبون عليهِ بقولهم ان عبودية العمال لاصحاب الرساميل في الزمان الحاضر اشدُّ مما يمكن ان تكون فيما لو اشتغل هؤلاء للمجتمع اي انهم يصيبون في الزمان الحاضر اقلّ مما يكسبون لو جرى الامر على ما يروم الاشتراكيون فان المرء في الزمان الحاضر مجبر على الاعتمال بما يدفع عنهُ غائلة الجوع ولما كانت المنافسة بين الصنّاع وذوي الاموال عامةً التزم العامل ان يرضى من الاجور بما هو اقلّ جدًّا مما يستحق مكافأةً لهُ على اتعابهِ بعد خصم ما ينبغي ان يصيب راس المال اللازم للعمل. وتأييدًا لزعمهم هذا يستشهدون بما يقاسيهِ المشتغلون في معامل الخياطة في مدن انكلترا وما تأتيهِ البنات المشتغلات بالبيع في المخازن الكبيرة من الاعمال المخالفة للآداب كي يكتسبن من الدراهم ما ينقصهنَّ من الاجور قيامًا باودهنَّ وما يعانيهِ مستخدمو سكك الحديد وعمالها من التعب والعناء والمشقة الى آخر ما هنالك من مصايب العمال على اختلاف طبقاتهم وتباين مهنهم

ويرى المستر سبنسر في جملة ما يراهُ ان تقدم الاشتراكية ونجاحها يأولان الى اضعاف مقام الفرد وبالتالي تقليل همتهِ وترسيخ قدم المجتمعات كالحكومات والمجالس البلدية . ويحجهُ الاشتراكيون بقولهم ان اكثر الاعمال الضخمة في الزمن الحاضر انما هي بيد الشركات حيث لا يدَ للفرد ولا فعل للرأي العام كما يشاهد في الولايات المتحدة خاصةً فان المستر فندربلت المثري الاميركي المشهور كان يتكلم بلسان عصابة من الاغنياء حين قال " ليهلك الشعب " فقد قال ذلك وهو رئيس احدى هذه الشركات الغنية . فلم يهتم وشركاؤُهُ فيما يعود بالخير والاسعاد على سائر افراد المجتمع

وعند الاشتراكيين انهُ لو اخذت الحكومة على عاتقها ادارة السكك الحديدية وما شاكلها من المنافع العامة لقلت النفقات اللازمة لادارتها كما يشاهد في اعمال البرد فان نفقات البوسطة في مملكة واحدة اقل مما لو تولت اعمال البريد في تلك المملكة شركتان او ثلاث شركات . ومتى فعلت الحكومة ذلك فيجب عليها ان تحسب ريع هذه الاعمال حينئذٍ جزءًا مما يستثمر كل سنة لنفع المجتمع ولخير افرادهِ وانهُ يجب على كل فردٍ الاشتراك في العمل الذي يصيبهُ بحسبما تفرضهُ الادارة العامة ولا يحق لاي كان ان يرفض العمل ما لم يكن عاجزًا او ما يماثل ذلك

وقد جاء في صدر هذه المقالة ان الحاجة والفقر هما منبت الاشتراكية واني ملمٌّ هنا ببعض ما يحدث في اوربا مما يزيد في ضيق العمال ويدفعهم الى السخط عن الحالة الحاضرة .

فلا يمرّ دهر في اوربا لا تصاب فيه التجارة بكساد والذي يطلع على تقدم الصنائع وكثرة الاختراعات وتحسين الآلات والمعامل وتسهيل وسائل النقل يعلم ما لهذه من التأثير في تقليل العمل وتقليل عدد العمال . فقد كانت المصنوعات قبل البخار تصنع بايدي العمال وبقوتهم فلما شاع استعمال الآلات البخارية قلّت الحاجة اليهم ثم تلا ذلك التحسين المطرد في هذه الآلات فازدادت كمية المصنوع بها دون زيادة عدد العمال الذين يتولون ادارتها على ان هناك من الاسباب ما هو اولى بالنظر مما تقدم. خذ عاماً يكثر فيه طلب المصنوعات والبضائع من اوربا فان اصحاب المعامل يسرعون الى زيادة العمال واكثار الادوات فيكثر العمل وترتفع اجور الفعلة وتزداد المنافسة بين اصحاب الرساميل ويشتد بهم الجشع للكسب فيصنعون من البضائع ما يزيد عن الحاجة اليها فيعقب ذلك الدور دور الكساد ويجبرون على اخراج العمال من مصانعهم وهكذا يصبح الوف من هؤلاء منتشرين في انحاء العالم ولا عمل لديهم وليس لهم ما يبتاعون به القوت. وقد حسب بعضهم ما اصاب انكلترا من سني الرغد في قرن واحد فكان كما ترى

من سنة ١٧٧٠	الى سنة ١٨١٩	سنو الرغد	٤٥	سنو الشدة	٥
« ١٨٢٢	« « ١٨٦٠	« «	٢٠	« «	١٩
« « ١٨٦١	« « ١٨٨٤	« «	٠٩	« «	١٥

وهذه الزيادة في سني الضيق والشدة مقارنة لاحتشاد السكان في البلدان المتمدنة تتفق مع ادخال الآلات العظيمة والاستعاضة عن البالغين من الرجال بالاولاد والنساء اذ القوة متوفرة في الآلات نفسها

هذا بعض ما يراه زعماء هذه الفئة من الاشتراكيين ولا ريب في انهم مصيبون في بعض اقوالهم مخطئون في البعض الآخر وللتاريخ الاقتصادي المستقبل ان ينبئنا بنجاحهم في اقناع الناس بصحة ارائهم او باخفاقهم في ذلك . ولا مشاحة في ان ثورة الخواطر في اوروبا احدثت اثرًا مهمًا في عمرانها واجلت عن تغيير وابدال في شرائع الحكومات وعوائد البلدان مما عاد بكثير من الخير ولعلّ هذا معظم فضل الاشتراكيين فان الغلاة منهم يطالبون بما لن يحدث في المستقبل العاجل او بما لن يحدث ابدًا لكنّ مجاهرتهم بارائهم نبهت الافكار وايقظت العقول فكان من ذلك ما كان من اهتمام العمال بامورهم واسراع الحكومات الى سنّ الشرائع المناسبة وتأليف الجمعيات لنجدة ذوي البأساء من العمال حتى اصبح بين اعضائها كثيرون من اصحاب الرساميل ممن كان يعتقد ان العمال خلقوا لخدمته. وبالاختصار فان الاشتراكية المعتدلة قد اتت العالم بكثير من الفوائد

نور المستقبل

ساعة على شاطئ بحر الروم في سان استفانو تكاد تقنعنا ان نور المستقبل ليس الغاز ولا الكهربائية بل شيء آخر ارخص منهما كليهما . نور طبيعي لا يحتاج الى ايقاد ولا الى نفقة . وهذا النور امامنا الآن فان الوقت نحو الساعة العاشرة ليلاً وبنات نعش في الهاجرة والنجوم تتلألأ ولكن نورها ضئيل لا يلقي ظلاً ولا يوضح خفياً . والانوار الكهربائية وراءنا لا يمتد نورها الى شاطئ البحر والقمر لا يزال تحت الافق لا يطلع قبل نصف الليل . ولكن ما هذا النور المستطير الممتد في عرض البحر يظهر تارة ويغيب اخرى لا هو انعكاس من كواكب السماء ولا هو امتداد من اشعة الكهرباء ولا يرى الا حيث يتحرك الموج ويتنفس . نور لطيف فصفوري لا يبهر البصر اوقدتهُ الطبيعة في مصابيحها لتسرَّ بهِ اسماك البحر وتنير ظلمة محارهِ

هذا النور الفصفوري الساطع الذي نراهُ في الحباحب وبعض الحيوانات البحرية عرفهُ القدماء واستخرجوا من هذه الحيوانات او من غيرها دهناً ينير في الظلام وكان غوَّاصو عمان والبحرين يدهنون بهِ معهم الى قاع البحر وهم يفتشون عن صدف اللؤلؤ فطلي مرّ لم يشتهر امرهُ حتى الآن ولا اهتمَّ العلماء باستخراجهِ واستعمالهِ ذلك من غرائب الاهمال التي لا يعرف سببها

هذا وقد ابنا غير مرة ان بعض العلماء الفرنسويين او المشتغلين بالعلم في فرنسا اكتشفوا مواد معدنية تنير من تلقاء نفسها من غير ان توضع في نور الشمس . ومعلوم ان الاتربة المعروفة بكبرتيد الكلسيوم والباريوم وما اشبه تنير اذا وضعت في نور الشمس ثم نقلت الى مكان مظلم لكن انارتها هذه لا تطول وكأنها تمتص اشعة النور ثم تشعها فمتى اشعتها نفد منها لان النور ليس ذاتياً فيها اما المواد المشار اليها آنفاً فتنير من نفسها كما ينير الفصفور في الظلام ونورها خالٍ من الحرارة فهو ليس ناتجاً عن احتراق بطيء فيها . ويمتاز عن سائر الانوار بخواص اخرى وهي ان فيهِ اشعة تخترق بعض الاجسام مثل اشعة رنتجن واشعة تؤثر في الالواح الفوتوغرافية واشعة تجعل الهواء موصلاً للكهربائية

فقد اكتشف العالم بكرل الفرنسوي سنة ١٨٩٦ انهُ يصدر من املاح الاورانيوم اشعة لا ترى بالعين ولكنها تؤثر في الواح التصوير الفوتوغرافي وبعضهـا يخرق الورق الاسود مثل اشعة رنتجن ويؤثر في الواح التصوير . وهذه الخاصة تشمل الاورانيوم المعدني ومركباتهِ المختلفة متبلورة كانت او غير متبلورة جامدة او ذائبة

وكانت مدام كوري البولندية الاصل تشتغل في مدرسة الطبيعيات الصناعية والكيمياء

باريس سنة ١٨٩٨ فاستنبطت آلةً لقياس قوة ايصال المواد للكهربائية في احوال معلومة وبحثت في بعض املاح الاورانيوم من هذا القبيل فوجدت قوتهُ تزيد على قوة الاورانيوم نفسهِ ثلاثة اضعاف فاستنتجت ان فيهِ جسماً آخر غير معروف. ثم استعانت بزوجها على البحث في هذا الملح فوجدا فيهِ عنصراً مثل عنصر البزموث سمياهُ باسم البولانيوم نسبة الى بولاندا بلاد مدام كوري. واعطت اكادمية العلوم هذه السيدة اربعة آلاف فرنك اعترافاً بفضلها في كشف هذا العنصر. ثم وجدت هي وزوجها عنصراً ثانياً سمياهُ باسم الراديوم. واكتشف المسيو دبيرن بمساعدتهما عنصراً ثالثاً اطلق عليهِ اسم الاكتينيوم

والراديوم من هذه العناصر تتولد منهُ اشعة نور ظاهر للعيان ولا تزول منهُ بمرور الزمان وطول الاستعمال. كتب الدكتور بلتن الكيماوي في جريدة العلم العام الاميركية ان الاستاذ لنغلي سمح لهُ بامتحان هذه العناصر الثلاثة في دار العلم السمثسونية باميركا وكانت قد استُحضرت لها في المانيا وبعضها استُحضر في باريس فلما نزع عنها الورق الملتفة بهِ في غرفة مظلمة رأى لها نوراً ضارباً الى الخضرة

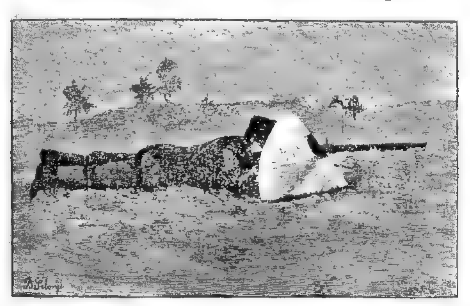
وهذه العناصر قليلة الوجود جداً ولكن قد اظهر احد علماء المجار الآن انها ليست بسيطة بل هي مركبة ويمكن تركيبها كيماوياً. فاذا صح ذلك وركب منها مقادير كبيرة افلا تصير واسطة الانارة بدل الزيت والغاز والكهربائية ويصير الاعتماد عليها وحدها لانها تنير ولا تخسر شيئاً من مادتها فلا تكون لها نفقة. واذا ثبت ان العناصر المنيرة فيها هي نفس العناصر المنيرة في الحباحب وهوام البحر عدنا الى زيت القدماء الذي انارواً بهِ ظلمة البحر وقد يكون هو الزيت الذي اناروا بهِ باطن المدافن المصرية وهم يصنعونها وينقشونها من غير ان يوقدوا فيها زيتاً يفسد هواءها والاَّ فان نقشها بالوان بديعة ودقة تامة بعد رسمها بخطوط دقيقة من غير نور ساطع لَّما تعجز عنهُ ايدي البشر ولا يصدَّق انها نقشت على المصابيح الزيت ولا اثر لسناجهِ فيها

والبحث في هذا الموضوع كبير الفائدة تبارت فيهِ النساء والرجال ليس من الالمان ولا من الانكليز ولا من الفرنسويين بل من اهالي بولاندا والمجار من الذين قلما يذكر الآن اسمهم في نوادي العلم والجرائد العلمية. والفضل الاول فيهِ لمدام كوري كما تقدم وهب انهُ لم تنتج منهُ نتيجة عملية فالنتيجة العلمية كافية لذاتها لمداومة البحث والتنقيب وبمثل ذلك ترتقي العلوم الطبيعية وترتقي البلدان التي تهتم بها والامم التي توسع نطاقها

ترس المشاة

كان الترس من اول وسائل الدفاع بل الحيوان الاعجم سبق الانسان اليهِ لا عن فكر وروية بل جرياً على ناموس طبيعي يخضع لهُ عقل الانسان كما يخضع لهُ شجر الغاب وحيوان القفر . وكانت حيوانات العصور الغابرة تشتمل بتروسها كالسلاحف والتماسيح فلا تخشى انياب الضواري ولا مجار البراكين اما الآن فقلَّت منها ذوات الاتراس كما قلَّ استعمال الدرع والترس لما صُنع البارود فلم يعودا يقيان من رصاص البنادق

غير ان الاختراع والاكتشاف لا يسيران في جهة واحدة فبينما كان اناس يهتمون بالبارود



والبنادق حتى يصير الرصاص يصل الى ابعد مرمى ويخترق اصلب المواد كان غيرهم يهتمون بعمل دروع تقي من الرصاص والقنابل فصنعوا اولاً دروع البوارج من صفائح الحديد ثم من صفائح الصلب وتفننوا في ذلك وبذلوا فيهِ قصى ما وصل اليهِ العلم والاستنباط حتى صارت الدرع التي يزيد سمكها على قدم واحدة تغني عما سمكهُ قدمان او ثلاث . ولم تعد قنابل المدافع مهما كبرت وقوي بارودها تخرق الدرع ولو أُطلقت عليها مراراً متوالية

ولكن ما سهل استخدامهُ لوقاية البوارج من القنابل لا يسهل استخدامهُ لوقاية الناس من رصاص البنادق لان اول ميزة للجندي خفة حملهِ حتى تسهل حركتهُ واسرع الجنود حركةً اقربهم الى الفوز على خصومهم. ولولا ذلك لسهل استنباط درع تغطي البدن كلهُ ولا يخرقها الرصاص

وقد اهتمَّ كثيرون باستنباط ترس خفيف يسهل على الجندي حملهُ ومتين لا يخرقهُ رصاص البنادق فلم يوفق احد منهم الى الغاية المطلوبة تماماً وخير ترس صُنع حتى الآن مرسوم في الشكل السابق وهو مثلثان متصلان بمفاصل يطوى على نفسهِ ويحملهُ الجندي على ظهرهِ مع مزودهِ من غير مشقة واذا أراد استعمالهُ فتحهُ ووضعهُ على الارض امامهُ واستلقى على بطنهِ كما ترى في الرسم وهي الصورة التي يكون عليها اكثر الجنود الآن وقت اطلاق البنادق . وفي الترس ثقب يخرج البندقية منهُ ويرى منهُ صفوف الاعداء امامهُ فيقي الترس رأسهُ وبدنهُ كلهُ من غير ان يمنعهُ رواية العدو

وثقل هذا الترس ١٣ رطلاً مصرياً او نحو اربع اقات ونصف اقة وقد ثبت بالامتحان ان رصاص موزر ورصاص لي‌متفرد لا يخرقانهِ على مسافة ١٣٠٠ قدم ولا يؤثر فيهِ رصاص المكسيم الا على بعد ٢١٠٠ قدم لكنهُ لا يخرقهُ بل يزلق عنهُ زلقاً واذا دهن بدهان يشبه الارض حسبهُ العدو حجراً واذا كان بارود الجندي خالياً من الدخان استطاع ان يبقى وراءهُ زماناً طويلاً من غير ان يُكتشف

وهذا الترس لا يقي الجنود الهاجمة على الحصون او على الخنادق . لكن حرب البوير الاخيرة اثبتت ان لا فائدة من الهجوم على الجنود التي وراء الحصون والخنادق لان خسارة الفريق الهاجم تزيد على خسارة الفريق المهاجَم زيادة فاحشة حتى لا يصح الهجوم الا بعد ان يقوم الجنود من خنادقهم . وعليهِ فهذا الترس يساعد الهاجمين على الهجوم البطيء الى ان يصيروا على ربع مئة متر من العدو المحصن في خنادقهِ فيستلقون هناك وراء تروسهم و يصلونهُ ناراً حامية الى ان يضطروهُ الى الخروج من خنادقهِ وحينئذٍ يهجمون عليهِ بالحراب و يثخنون فيهِ الى ان يفرَّ من وجوههم او يستأمن

وكل الوسائل التي تستنبط لتقوية احد المحاربين على الآخر تؤول الى تخفيف ويلات الحروب وتقليل قتلاها . اعتبرْ ذلك بحرب البوير فان الجنود الانكليزية تبلغ نحو مئتين وخمسين الفاً وقد مضى على هذه الحرب الآن نحو عشرة شهور ومع ذلك لم يقتل من الجنود الانكليزية فيها سوى ٣٠٠ ٧ نفس وجرح منهم نحو ٣٥ الفاً وذلك كلهُ اقل مما كان يقتل ويجرح في معركة واحدة من المعارك القديمة حينما كان الناس يقتتلون بالسيف والرمح . فكل ما استُنبط من البنادق والمدافع ووسائط الهلاك لم يزد قتلى الحروب بل قللها كثيراً والغاية من الحرب الآن ليس قتل العدو بل منعهُ عن الحرب واضطرارهُ الى التسليم

الطاعون في العام الماضي

لجناب بتشنغ بك مدير عموم مصلحة الصحة

ذكر الدكتور جوتشلخ المفتش الصحي في بلدية الاسكندرية في ٤ مايو سنة ١٨٩٩ ان غلاماً يونانياً دخل المستشفى اليوناني مصاباً بمرض يشتبه في كونهِ طاعوناً . ومع ان اعراض مرضهِ والبحث الكبتريولوجي في مواد الدبل الذي اصابهُ قوَّت الشبهة جدًّا رأت مصلحة الصحة انهُ لا يجوز لها ان تعلن ان القطر المصري موبوء بناء على تلك الاصابة الوحيدة

ثم دخل المستشفى اليوناني مصاب آخر في ٢٠ مايو وتبين بالبحث انهُ مصاب حقيقة بالطاعون فأُخبر رجال مجلس الصحة والكورنتينات بالاصابتين حالاً فاعلنوا ذلك للدول. واتخذت الاحتياطات الواجبة في ما تعلق بالاصابة الاولى ففتشت المنازل المجاورة لمنزل المصاب تفتيشاً دقيقاً لمعرفة ما اذا كان قد حدث فيها اصابة اخرى فلم يوجد شيء من ذلك . ولكن تبين بعد اعلان الاصابتين ان غلاماً يونانياً آخر دخل المستشفى اليوناني في شهر ابريل مصاباً بشبههما فشخص اطباء المستشفى علتهُ التهاباً في الغدد وعالجوهُ معالجة الالتهاب فشفي وخرج من المستشفى . فيمكن ان يكون هذا الغلام قد أُصيب بالطاعون ايضاً ولكن زيادة البحث لم تأْتنا ببينة عن ثقة على ان الطاعون كان في الاسكندرية قبل ذلك الحين

وحالما أُعلنت تانك الاصابتان في الاسكندرية قامت مصلحة الصحة مقام البلدية في اتخاذ الاحتياطات التي رأَتها لازمة لمقاومة الطاعون وقررت الحكومة بذل مبلغ من المال على ذلك وحصلت عليهِ من صندوق الدين وأيدت مصلحة الصحة في جميع ما تعملهُ لحصر الطاعون ضمن حدودهِ . فزادت المصلحة عدد الاطباء كثيراً وتولت تفتيش المنازل في الجهة الموبوءة تفتيشاً وافياً وعينت جماعة لرش المنازل بالجير ونظمت طرقاً لمراقبة جماهير العال على الدوام

وكان الطاعون محصوراً في حارة المنشية حيث تسكن الطبقات الدنيا من الاوربيين ثم جعلت الاصابات تظهر في كل حي من احياء الاسكندرية

اما الاحتياطات التي اتخذت في الاسكندرية فكانت كما يأْتي :

يفرز المصاب بالطاعون حالاً بنقلهِ الى مستشفى الحكومة او المستشفى اليوناني ووضعهِ في مكان من الاماكن المعينة للامراض المعدية . ويفرز جميع الذين خالطوهُ بنقلهم الى المحجر الصحي في القباري حيث يبقون سبعة ايام تحت المراقبة ويطعمون على نفقة الحكومة ويقبض كل ذكر منهم من ابن ١٦ سنة فما فوق ثلثة غروش منها يومياً مقابل ما فقد من اجرتهِ بالحجر عليهِ

واذا اكتشفت وفاة بالطاعون خارج المستشفى نقلت الجثة الى محل الموتى حيث تعد للدفن . ثم تتخذ جميع التدابير الواقية من العدوى ويفرز جميع الذين خالطوا المتوفى الى القباري حيث يقضون سبعة ايام في المحجر الصحي

اما الذين يفرزون في القباري فيلزمون بخلع ثيابهم حال وصولهم اليهِ والاستحمام فيلبسون ثياب تعطيهم اياها الحكومة مهلة ما تطهر ملابسهم . ولم تحدث بينهم غير اصابة واحدة مدة وجودهم في القباري . ثم ان جميع الثياب والفرش والاثاث والبسط والستائر وغيرها تنقل في مركبات خصوصية من المنازل الموبوءة وتطهر بالبخار الحامي في مستشفى الحكومة . وكان عند الحكومة اولاً فرنان لهذا التطهير في المستشفى وفرنان في محجر القباري ثم جاءت بغيرهما من المانيا

اما المنزل الذي تحدث الاصابة فيهِ فيطهر بمحلول ١ في الالف من بركلوريد الزئبق بعد نقل ما فيهِ وتطهيره كما تقدم ثم يرش بالجير المطفإ حديثاً ويذر الجير الحي على الارض اذا كانت من تراب. ويقفل كل منزل بعد تطهيره كما تقدم حتى يعود اصحابهُ من محجر القباري. وترسل مركبات ايضاً لازالة ما في المنزل من الزبالة مثل الحصر العتيقة والخرق القذرة والمخدات ونحوها فتنقلها منها الى خارج المدينة وتحرق هناك . وترد الحكومات اليها حصراً ومخدات جديدة من مالها بدلاً من التي احرقتها . ومما هو حريٌّ بالذكر انهُ لم تحدث اصابة ثانية قط في منزل طهر هذا التطهير

واذا توالت الاصابات في جهة من الجهات نظفت تلك الجهة كلها حالاً ونظفت جميع منازلها ورشت بالجير . وقد ذكرت في الجدول التالي عدد المنازل التي رشت بالجير وعدد اكياس الزبالة التي نقلت منها وغير ذلك من ٢٠ مايو الى هذا التاريخ وهو

المنازل والغرف الموبوءة	١٦٩
الغرف التي رشت بالجير	١١٢٦٧٦
اكياس الزبالة التي أحرقت	٣٤٠٤٩
الحصر التي أعطيت مجاناً بدلاً من التي احرقت	١٤٠٧٤
المخدات " " " " " "	٥٩١٢
الاصطبلات التي طهرت	٨٥٤
عدد العمال الذين اضيفوا الى العمال الاصليين	٧٣٢
عدد الاشخاص الذين فرزوا	٦٧٢

اما عدد الاصابات فكانت من ٢٠ مايو الى ٢ نوفمبر (يوم اعلان آخر اصابة) ٩٣

اصابة شُفي منها ٤٨ وتوفي ٤٥ وكان ٦٥ منها من الاهالي و ٢٨ من الاوربيين وهم فرنسويان وايطالي و ٢٥ يونانياً . وتوفي ٢١ منها خارج المستشفى ثم اكتشفوا بعد وفاتهم فدفنوا بعد الاحتياط الواجب واتخذت جميع التدابير الصحية ايضاً مثل فرز الذين خالطوهم وتطهير المنازل وما جاورها

واحتياطاً لتفشي الطاعون استُحضر ثلثة اطباء من بلاد الانكليز وهم من الذين اختبروا مقاومة الطاعون في الهند فوصلوا الى الاسكندرية في شهر يوليو

على اننا لم نعتمد على غير الاحتياطات الصحية في مقاومة الطاعون ولم نستعمل العلاج باللقاح الذي اكتشفهُ هفكن . اما هذا اللقاح فيظهر من الاحصاءات التي نشرها المستر هفكن انهُ يقي بعض الوقاية ولكن لا ينكر ان مقدار تلك الوقاية ومدة دوامها غير معلومين . فاستصوبت مصلحة الصحة ان يكون عندها من اللقاح حتى اذا طلب أحد منها ان يحقن بهِ اجابتهُ الى طلبهِ فاستحضرت مقادير عظيمة منهُ في معملي مصر والاسكندرية البكتيريولوجيين وحفظتها حتى تمس الحاجة اليها

هذا وارى من التحليل الذي عملتهُ عن الطاعون في الاسكندرية انهُ مثل سائر الامراض المعدية اعني انهُ اذا لم يتدارك في اولهِ تفشى حتى يعجز رجال الصحة عن استئصال شأفتهِ ولكن اذا عُرِف خبرهُ في بدء ظهورهِ واتخذت التدابير اللازمة لمقاومتهِ امتلك رجال الصحة ناصيتهُ كما يمتلكون ناصية الجدري او الحمى القرمزية مثلاً . فالمعالجة بعلاج هفكن تفيد في البلاد التي تفشى الطاعون باهلها واستعصى على رجال الصحة واما استبدال الاحتياطات الصحية بعلاج هفكن في البلاد التي لم يزل الطاعون محصوراً فيها ضمن حدود ضيقة فضرب من الغرور وهو لا يخلو من الخطر . ولا خير في كل تدبير يتخذ لمقاومة الوباء ان لم يتيسر العمل بهِ ولا يتيسر العمل بعلاج هفكن لوقاية اهل الاسكندرية من الطاعون لاننا لو شئنا حقن كل واحد لاقتضى لذلك خمسون طبيباً يشتغلون بهِ دون سواهُ اشهراً هذا عدا استيفاء سائر الشروط اللازمة لصحة العلاج

اما كون الطاعون قد انقطع وزال من الاسكندرية فمسألة لم يأْنِ وقت الحكم فيها ولكن مضى نحو ثلثة اشهر على آخر اصابة حدثت بالطاعون الاَّ اصابة واحدة مشتبهة حدثت في ٧ يناير الجاري وقد كان عدد الوفيات في الاسكندرية منذ شهر يونيو اقل من متوسط عددها في السنوات العشر الاخيرة

على ان الاحتياط لم يبطل هناك والتفتيش لا يزال دقيقاً والرش بالجير والتنظيف والتطهير

جارياً مجراه والكشف عن الموتى باقٍ على حالهِ حتى اذا لم ينتبه الى الاصابة في حياة المصاب لم يدفن بعد وفاتهِ الاَّ بالاحتياط اللازم . وستدوم هذه الاحتياطات مدة شهرين آخرين على الاقل ثم تنقص شيئاً فشيئاً اذا لم تحدث اصابات جديدة

ولم نلقَ صعوبة تذكر في اجراء الاحتياطات في الاسكندرية مع ان كثيرًا منها كان يظهر للناس مقلقاً في زمن لم يكونوا يدركون فيهِ اخطار الاحوال التي هم فيها لانهُ لم يكن يصب غير واحد او اثنين يومياً في مدينة اهلها ٣٨٠٠٠٠ نفس . وقد ساعدت قنصليات الاسكندرية رجال الصحة بكل ما في طاقتها ولا سيما وكيل دولة اليونان الذين اصيب عدد عظيم منهم بالنسبة الى غيرهم فانهُ اهتم بالاحتياطات الصحية اهتماماً خصوصياً وابدى مزيد الغيرة في انجاح مساعي رجال الصحة

ولم يصب احد بالطاعون خارج الاسكندرية الا اثنين في بندر دمنهور على بعد ٤٠ ميلاً من الاسكندرية احدهما يوناني مستخدم في دكان بدال فيها وكان صاحب الدكان قد اشترى بضاعة من مخزن في الاسكندرية حدثت بعض الاصابات فيهِ والآخر حمال وطني في محطة سكة الحديد وكان ينقل البضاعة من عربيات سكة الحديد الى مخازنها . وجعلت بنادر القطر كلها تحت المراقبة لكشف كل اصابة مشتبهة فبلغ مصلحة الصحة خبر اصابات عديدة منها ولكن ثبت من الفحص البكتريولوجي انها كانت كلها بغير الطاعون

القاهرة في ٣٠ يناير ١٩٠٠ ه . ه . بنشنج مدير عموم مصلحة الصحة

الذكاء والجنون

لحضرة الدكتور نقولا فياض

تختلف القوى العقلية باختلاف الناس وهي في الانسان الواحد معرَّضة لتفاوت عظيم فتضعف قوة منها بنمو اخرى وقلما اتفق لواحد ان تتساوى قواهُ كلها في النماء ولهذا تفاوتت مراتب العقل البشري وكان لهُ حالات وصور يصعب تحديدها فلا يعرف اين يبتدىء الذكاء ولا اين ينتهي . وما هذا الرأي بحديث النشأة بل قامت عليهِ الادلة منذ القدم وكان لهُ زعماء لعهد ارسطوطاليس . وطالما سمعنا ورأينا ان الذكاء مهما بلغ من انسان لم يعصمهُ من الخلل في بعض قواهُ العقلية . وقد قرأنا الآن لبعض علماء العصر بحثاً جديدًا في هذا الموضوع يؤيد ان الذكاء الشديد والجنون حلقتان من حلقات السلسلة التي تؤلف حالات العقل البشري وهما في

طرفيها بحيث لا يستحيل ان تلتقيا وتلتصقا فيتصل الذكاء بالجنون . ولا يراد بهذا القول ان من كان نابغة في قومهِ كان مجنوناً بل المراد ان بين الحالتين نسبة من حيث خروجهما عن الحالة المألوفة ودخولهما في تبة النادر الشاذ فالنابغة والمجنون بعيدان من الحالة البشرية العامة الاول لانهُ فوقها والثاني لانهُ دونها

وقبل الذهاب في الموضوع نرى من الواجب تعريف النابغة وشرح المراد من اللفظة لاضطرارنا الى الاكثار من استعمالها في كلامنا هذا فالنابغة ترجمة جني Génie بالفرنسوية وقد اختلف البعض في ترجمتها لان اللفظة الفرنسوية تطلق على معانٍ كثيرة اما نحن فاخترنا كلمة نابغة لانها تصيب غرضنا في هذا الموضوع اذ لا نقصد ان نتكلم عن الروح ولا عن الآلهة او غير ذلك من مفاد اللفظة الفرنسوية بل عن الرجل البالغ من الذكاء اشدهُ . والنابغة يختلف عن غيرهِ من الاذكياء كما يختلف الذكي عن الخامد الذهن ولكن بين الواحد منهم والآخر حالات متوسطة يصعب معها وضع حدٍّ فاصل . غير ان ذلك لا يمنعنا عن معرفة النوابغ . ومهما يكن من الارتباط بين اصحاب الذكاء فالتمييز بينهم غير مستحيل وهكذا يمكننا ان نعدّ بين النوابغ من كان في طبقة دانتي وشكسبير وكورنيل وهيكو وغاتي من الشعراء . وباسكال ونيوتون وڤولتر وابي العلاء من الفلاسفة واصحاب الافكار . وليونارد دي ڤنسي ورفائيل من المصورين . ونابوليون من قواد الحروب وساسة الشعوب

ولا ريب في ان ما امتاز بهِ هؤُلاء العظام ورفعهم فوق مرتبة اقوامهم هو مخالفتهم كل من عاصرهم في الفكر والرأْي وقيامهم باعمال لم يُقدم عليها سواهم فهم مستقلون في افكارهم يقودون غيرهم الى الاعمال ولا يقتادهم اليها احد . فالنابغة اذاً من كان غريب الاطوار فكراً وعملاً بعيد مطارح النظر تخرق اشعة ذكائهِ ما اظلم حول عقول معاصريهِ ويفتح ما اغلق عليها . خذ رسّاماً بارعاً في الرسم مدققاً في صناعتهِ كل التدقيق اذا رسم لم يترك مأْخذاً لطاعن ولا معلقاً لعائب ولكنهُ لا يعرف التفنن والخروج عن الطريق المألوفة من اخوانهِ في الصناعة فلك ان تسمي هذا الرسّام عالماً في صناعتهِ وتعجب بمهارتهِ ودقتهِ ولكن لا يسعك ان تقول انهُ نابغة. انظر الى الكتبة والمنشئين فانك تجد من هم في الطبقة الاولى من العلم بقواعد اللغة وتراكيبها حتى حق ان نسميهم علماء ولكن قلما تجد من يحق ان يسمى نابغة وقس على ذلك المصورين والنقاشين

قال احد العلماء ان الجديد يحصل بالتقريب بين صور متباعدة قابلة التقارب فالنابغة من ظهر لبصيرتهِ هذا التقارب الذي تغلق عنهُ مدارك غيرهِ من الناس وبهذا يعزى الى الغرابة ويخرج عن الطور الطبيعي

كذلك المجانين فالغرابة في الافكار كثيرة عندهم وافكارهم تندفع فجأة كالسهام فلا نفقه لما كنهاً ولكن يستشف منها احياناً شيء من الذكاء الشديد وكم اطلع المارستان اختراعات مدهشة كان ينقصها شيء زهيد لتعدّ من آثار النابغين

وخروج النابغة عن الطور الطبيعي يدل على انهُ لا يملك الصحة الكاملة في عقلهِ وانهُ معتل فسيولوجياً وبسيكولوجيا ألا ترى ان من كان من النابغين فهو مصاب اكثر الاحيان بما يسميهِ الاطباء بالهذيان الديني او هذيان الاضطهاد او الكبرياء واذا استقصيت الخبر وجدت اكثر النوابغ سلالة قوم كثر فيهم الجنون او التقهقر في النمو وهم اذا تزوجوا جاء نسلهم عقيماً او لم يكن لهم نسل

والنابغة من يمكنهُ ان يفعل اكثر مما يفعل سواه واحسن مما يفعل سواه وطريقتهُ في العمل مخالفة لطريقة غيرهِ فهو نادر شاذ . والطبيعة لا تحب الشاذ ولا ترضى الإبقاء عليهِ وجل همها المساواة بين افراد هذا الموجود فهي اذاً ديمقراطية المبدإ ولهذا لا ترضى بوجود النوابغ فتجتهد ان تدخلهم في مصاف غيرهم . واذا تتبعنا حياة النوابغ وطالعنا سيرهم نجد في معاملتهم العقلية والبيئية والاجتماعية شيئاً من الاعتدال او الاختلال يقربون بهِ من المجانين بل نرى ان اذكى العقول مضاء واقفة عند حدود الجنون ولا يخلو عظيم في الناس من بعض تصورات تختص بهِ وعقائد لا تتعداهُ وعوائد لا تجدها في سواهُ . والانفة وسرعة التأثر وشدة الانفعال والرهبة وما شاكل امراض من امراض النفس تبلغ اشدها في النابغين ولكن وجودهم وراء نور ساطع من الذكاء يخفيها فتظهر في ابنائهم اوضح ظهور ولهذا نصح احد مشاهير الاطباء كل فتاة تريد الزواج ان ترفض من يتقدم اليها من ابناء النوابغ اذا كانت تطلب لاولادها صحة كاملة

واذا نظرنا في اعمال النوابغ انكشف لنا وجه آخر للشبه بينها وبين اعمال المجانين وهو احتواؤها شيئاً فجائياً ترجع عنهُ مدارك العوام حاسرة إما لما فيهِ من الجرأة والاقدام و القدرة والسرعة فترى الافكار البعيدة السامية تلد باسرع ما يمكن من غير جهد ولا عناء وما قالهُ بوفوست من ان التأني طريق النبوغ غير صحيح لان جهد ما يستطيعهُ الانسان بالتأني ان يأتي عملاً متقناً معتدلاً لا يخرج عن نظام المألوف. اما النابغة فلا يعرف الاعتدال ولا يتقيد بنظام

ففي فكر النابغة شيء غريب خارق العادة لا يدخل تحت نظام كما في المجنون ولهذا كان النوابغ في كل عصرٍ ومصر مرمى الهزء والاضطهاد فلم تنل اعمالهم قبولاً عند معاصريهم لان معاصريهم لم يفهموها وعلى هذا القياس دعا نابوليون فولتون مجنوناً لانهُ استنبط البخار للسفن البحرية . وانكرت جمعية العلوم الباريسية منفعة التلفون في اول امرهِ . وحُبس غليليو لانهُ قال

بدوران الارض . وسمي كولمبوس صاحب احلام لانهُ قال بوجود اميركا قبل ان رآها

وائتلاف التصورات الغريبة هذا يكثر عند الشعراء . ولا اريد بهم المشتغلين بالنظم من جيلنا الحاضر فان اكثرهم مقلد بل المتقدمين الذين نبغوا فيهِ وكانوا من المخترعين . ترى المجانين تحب التلاعب بالالفاظ وتكثر في الجملة الواحدة من الكلمات المتشابهة وهذا قريب من الشعر ولهُ عند العرب اسم يعرف بهِ وهو البديع

والافكار السامية شعرية او علمية تجيء اضطراراً غير مقيدة بارادة صاحبها وهذا ايضاً مما يميز النابغة عن سواهُ لان الشاعر المقلد يجد المعنى اولاً ثم يطلب كلمة التعبير عنهُ . واما الشاعر المطبوع فكثيراً ما تعرض لهُ كلمة او قافية تنبههُ الى معنى جديد لم يكن لولا تلك القافية . وهذا ما يسمونهُ بالوحي الشعري . وكذلك المخترع فان اعظم تصوراتهِ تلد من جراء تأثير خاص يفعل في دماغهِ كما تفعل نقطة ماء ملح ببطرية كهربائية مهيأة للعمل هكذا اتصل كلفاني الى اكتشاف الكهربائية المنسوبة اليهِ بواسطة ضفدع كان قد اتى بها لمعالجة امرأتهِ وهكذا سقوط تفاحة الهم نيوتون الى اكتشاف الجاذبية

ولا ينتج مما بيناً ان الشعراء العظام والمخترعين الكبار مجانين لان الرجل العظيم وان شابه المجنون من بعض الاوجه فهو يختلف عنهُ اختلافاً عظيماً . نعم لهُ من حدة التصوّر وغرابتهِ ما للمجنون ولكن لهُ ايضاً ما ليس لذاك من التوسّع في النظر والاشراق في الفكر . ولهذا لا يكون عقلهُ عقيماً كعقل المجنون

والمصاب بالجنون يعيش في حالة اشبه بالحلم يلمس فكرهُ الاشياء لمساً ولا قوة لهُ على التبصر والنقد تلك المزية التي يمكن بها اصلاح الافكار الشاردة وردها الى الحقيقة فهو في حلمهِ المستطيل لا يرى ما حولهُ ولا دافع يردهُ عن الذهاب في فضاء التخيل ولا تأثير لحقيقة الاشياء فيهِ

اما النابغة فانهُ بالرغم عن غرابة تصورهِ وشرود مخيلتهِ تؤثر الحقيقة فيهِ لان لهُ قوةً اخرى فعلها يعاكس فعل الاولى وهي قوة النقد والتعقل فيستخدمها مع التصور والاختراع في وقت واحد . وهذه القوة المهيأة في دماغهِ وتمحيص ما ينتجهُ تصورهُ إن هي الاَّ حالة من ارقى حالات الذكاء بحيث ان النابغة يحوي مجموعاً واحداً من التصورات بل سلسلة عظيمة من الافكار التي تتزاحم معاً في عقلهِ الواسع فمهما شردت مخيلتهُ اصابت من حولها وازعاً وكابحاً

وليس الاختراع محظوراً على غير النوابغ ولكنهُ يكون فيهم قصير الاجل سريع الزوال فقد يمكن مثلاً لشاعر تعوَّد نظماً فصيحاً سلساً ان يسقط عليهِ في ساعة من الزمان ما يسمونهُ بالوحي الشعري فينبغ في نظم معجزة من المعجزات غير ان ذلك لا يطول فلا يلبث ان يعود الى حالتهِ

الاولى من النظم . وطالما عثرنا على مقاطيع بديعة لشعراء مختلفين ظننا بها ان سائر شعرهم يكون كذلك فلم يصب ظننا من ذلك قصيدة سقوط الاوراق للشاعر الفرنسوي ميلثوى فهي كافية وحدها لتخليده ولكن ان قلبت ديوانهُ لا تكاد تجد فيهِ قصيدة في طبقتها ومثله قصيدة الاعزازي التي مطلعها " صاح في العاشقين يالكنانه " فقد ادَّعاها على ما يقال سبعون شاعراً وهي فريدة بين اشعاره والقصيدة التي مطلعها نالت على يدها ما لم تنله يدي لم ينسج بمثلها على ناظمها . فالشاعر الذي ينبغ حيناً في نظمهِ لا ينبغ الاّ في ساعة يتخذ فيها فكرهُ المجرى الذي يتخذهُ المجانين اي تأتلف في ذهنهِ تصورات غير اعتيادية لم تعرض لهُ قبلاً ولا تعرض لمن هم في طبقتهِ ووجوده في استعداد لمثل هذه التصورات يبعدهُ من مصاف العوام ويدنيهِ الى النوابغ

اذا عرفنا هذا اتضح لنا ان في كل من يشتغل اشغالاً عقلية قوتين مختلفتين القوة المبدعة القائمة بائتلاف تصورات غريبة غير منتظرة والقوة الناقدة التي تصلح تلك التصورات بائتلاف تصورات اخرى معاكسة او بعبارة اقرب الى الفسيولوجيين يوجد عاملان متناقضان من المحرك والموقف الحركة والحاصل من تنازع هذين العاملين هو نتاج الدماغ

فالمجانين يملكون العامل الاول اي المحرك واما موقف الحركة فمفقود منهم فهم في تصوراتهم كالفرس الجموح لا وازع لهم يوقفهم عند حد معقول اي ليس لهم تبصر في الامور ولا نظر ثاقب ولا حكم صائب والعامة متمتعون بالعامل الثاني اي لهم خاصة النظر والنقد غير انهم لا يشعرون بتلك القوة الدافعة التي توصل الى العظائم ولهذا يظلون في طبقة منخفضة اما النابغة فجامع بين القوتين حاصل على العاملين دماغهُ مقر التهيج الجديد الموصل الى الابداع وفيهِ من صفاء الذهن واشراق الفكر ما يخفف من تهور التصور

وعمل هاتين القوتين يتم في وقت واحد والفائز منهما يرسم صورتهُ في العمل الاخير الذي ينتجهُ الدماغ . ومن درس اعمال المشاهير سواء كان في العلم او في السياسة وجد هذين العاملين على نسب مختلفة فيغلب في البعض منهم الاول بحيث يخالهم الدارس من المجانين مع اعترافهِ بعلو طبقتهم . ويغلب في البعض الآخر الثاني دون ان يمنع ذلك ظهور الغرابة فيهم

ولا يختص هذا القول بالعلوم الادبية دون العلمية لان الكيمياء والطب والطبيعيات لا يكفي لصاحبها ان يكون ذا اضطلاع وثبات واجتهاد بل يقتضي لهُ حدة في التصور والتخيلات والاّ قضى فيها عمرهُ عالماً مملاً عادم الطلاوة . وفي الابداع العلمي ما في الادبي من تفاوت الطبقات في الاختراع فقد يقع لعالم ما ان يشرق عقلهُ بنور النوابغ حيناً ثم يختفي ذلك الشعاع

كأن لم يكن وأصدق مثل على هذا شوان مكتشف الرأي الخاوي

ولكن في العلم كما في الادب لا يكفي الاختراع اذا لم يقرن بالصبر والتبصر فالمجانين قادرون على الاختراع ولكن لتقيدهم في افكارهم المحدودة وتيههم في بيداء احلامهم لا يبالون بالحقائق التي تحوطهم والتي يمكن ان تهذبهم فلا يرون غير تصوراتهم وان هي الا نقطة محدودة لا تكاد تلحظ وما بقي فغلق عليهم وهكذا لا تنكشف سرائرهم للغير فيمتنع عليهم التقدم و يغلب فيهم الخطاء لان كل رأي لا تتصل بهِ الآراء المجاورة ولا تمسهُ اصابع النقد لا يسلم من الضلال

فالاختراع والتعقل متلازمان وكل من هذين العاملين اذا انفصل عن اخيهِ كان قاصراً عن الاتيان بعمل عظيم . ان لافوازيه رجل الكيمياء الشهير كان من المقدرة على الاختراع بمكان عظيم فاتصل الى ما فات الوفاً من قبلهِ ودخل بفكرتهِ في قلب كل شيء تقريباً فحلل الماء والالكحول وعرف الاختبار وعلل عن تكون الحرارة الحيوانية ووزن تلك الحرارة واخترع تسمية كيماوية لم تكن قبلهُ واشتغل بالاقتصاد السياسي والصناعة ولم يترك سرًّا من اسرار الكيمياء دون ان يدركهُ او يشير اليهِ عن بعد فكانت اعمالهُ اساس الكيمياء الحديثة والقاعدة التي وضع عليها ذلك البناء العظيم الناشر اليوم ظلهُ في عالم الصناعة والاختراع فلو لم يكن عندهُ من الدقة في النظر ما يقارن تصورهُ السريع البديع بحيث لا يجعلهُ ان ينقاد الى آرائهِ الخصوصية ويعمى عن غلطهِ بل يدفعهُ الى اجراء الامتحان واختبار كل ما كان يرتئيهِ وتمحيصهِ لمعرفة خطائهِ من صوابهِ لما فاز العلم بخدماتهِ والعالم بنتائجها

وباستور المحسن العظيم للانسانية مشهور بدقة نظرهِ وملامستهِ الحقيقة في كل اعمالهِ ولكن من ينكر عليهِ غرابة تصورهِ وقوة اختراعهِ فلولا هذا ما ادرك التولد الذاتي فاندفع الى درسهِ ولا استشف امكان التخميض من سموم الجراثيم المرضية فاخذ اليهِ. والاغلب ان المرض الذي اصابهُ في رأسهِ قديماً جعل دماغهُ سريع التهيج وربما كان السبب في ترقية قوة التصور والاختراع فيهِ ولا ريب انهُ يوجد الان مثل باستور في النظر والدقة ولكن من لنا بنظيرهِ في الابداع وقوة التصور

والمشتغل بالعلم يستفيد كثيراً من تصوراتهِ وكلما اتسع نطاقها اتسع ذكاؤهُ ولو كاد يصل بهِ التخيل الى الهذيان بشرط ان يكون لهُ من دقة النظر وصفاء الذهن ما يلطف هياجهُ ويعدل حركاتهِ

ولزيادة البيان نختم هذه المجالة بمثل نستمدهُ من قصة مشهورة عند الافرنج تعرف بدون كيشوت ففي هذا الكتاب الذي هو من ابدع ما انتجهُ الفكر البشري بما دعي من الجد في الهزل

والحقائق طي الاوهام بطلٌ يسمى دون كيشوت قرأ تواريخ الفرسان التائهة فدفعتهُ الغيرة الى التشبه بهم فغادر وطنهُ راكباً فرساً يشبههُ في الغرابة وسار في الارض فارساً تائهاً يطلب ضعيفاً ينقذهُ وبائساً يعضدهُ ومقهوراً ينصرهُ لانهُ كان ذا نفس كبيرة واميال سامية شريفة يحب العدل والاحسان والحرية وكان ينظر الى الشيء خلاف ما ينظر اليهِ سواهُ وآراؤهُ اسمى من آراء غيرهِ وعندهُ من المقاصد والمبادىء ما عند المصلحين والمخترعين والنوابغ فهذا الرجل لو كان فيهِ قليل من التعقل والتبصر لاصلح الانسانية قاطبة غير انهُ لسوء الحظ مجنون واي مجنون لانهُ لم يكن يتروى ليفهم حقائق الاشياء بل كان ينقاد الى تخيلاتهِ فيظنها حقائق ويبصر كل شيء من خلال احلامهِ ويتمشى في الحياة كما يتمشى النائم غير اهل لان يميز بين ما يوجد وما لا وجود لهُ ولهذا كان يخيب في كل عمل اقدم عليهِ وبالرغم عن اجتهادهِ وشجاعتهِ وفروسيتهِ وبالرغم عن مقاصدهِ السامية الشريفة افضى بهِ الحال الى قضاء باقي عمرهِ في المارستان لانهُ كان مجنوناً جنوناً مطبقاً

والى جانب هذا الفارس خادمهُ سانكو بانشا راكباً حمارهُ وهو رجل مجرد عن كل تصور لا يختلف عن عامة الناس في العقائد يتكلم ويفتكر ويعمل كما يعمل الناس ويعيد بسذاجة كل ما يسمعهُ من اصحابهِ معلقة في السماء وهو في الحضيض لا استعداد فيهِ لان يرتفع قليلاً عما كان عليهِ اجدادهُ ولا قوة لهُ على الانحراف عن الطريق العمومية ولكنهُ كان مشهوراً بتعقلهِ واشراق فكرهِ . وكلما عرض معلمهُ رأياً اجابهُ عليهِ بتبصر واسفرت العواقب عن صدقهِ وضلال سيدهِ

فلا يكون الانسان نابغة الا اذا جمع بين دون كيشوت وسانكو بانشا . الاول ليمشي الى الامام ويحيد عن الطريق المطروقة ويستقل فيعمل غير ما يعملهُ الناس واحسن مما يعملون . والثاني لان هذه الغرابة في الاطوار لا تفيد شيئاً ان لم تقترن بشيء من التبصر والحكم الصائب ومعرفة الحقائق. ولهذا السبب مرَّ كثيرون من الدارسين البارعين من امام المخترعات العظيمة والاعمال الكبيرة ولم يقربوها لانهم لم يملكوا جسارة دون كيشوت ولهذا السبب عينهِ قضى كثيرون من المجانين عمرهم في الاحلام واستخدموا احلامهم في الباطل دون ان يفيدوا انفسهم او الانسانية لتعريهم عن نظر سانكو بانشا

هذا هو الفرق بين النابغة والمجنون لا ينفي ان يكون عند المجانين بعض احوال تراهم فيها من العقلاء الاذكياء انما الاغلب الوجه الآخر اي ان يكون من النوابغ بعض صفات وتصرفات لا تصدر الا عن المجانين لان الجنون فنون والجنون المطبق نادر في العالم بالنسبة الى انواعهِ



السيارات وحركاتها في شهر اغسطس ١٩٠٠

لحضرة الاستاذ وست مدير مرصد المدرسة الكلية الاميركية في بيروت واستاذ الفلك فيها

عطارد

يمر عطارد باقترانهِ الاسفل في اول الشهر الساعة ١٠ صباحاً فيكون نجم الصباح الشهر كلهُ وتباينهُ الاعظم ١٨° و ٣٢ً حتى التاسع عشر من الشهر الساعة الرابعة مساء حينما يرى اياماً قليلة وقت الفجر في الجهة الشرقية ويمر مدة الشهر في برج الجوزاء والاسد . ويسير القهقرى حتى الحادي عشر من الشهر الساعة الرابعة صباحاً حينما يظهر ثابتاً ثم يسير الى الامام ويقطع عرضهُ الشمسي الاعظم في الثالث من الشهر الساعة ١٠ مساء ويبلغ عقدتهُ الصاعدة في ٢٢ الشهر الساعة ١٠ مساء ونقطة الذنب في ٢٧ منهُ الظهر

زهرة

الزهرة نجم الصباح الشهر كلهُ ويزيد تباينها بسرعة ويبلغ ابتزاقها اشدهُ في الرابع عشر من الشهر الساعة ١٠ صباحاً وحينئذ يكون ربع قرصها فقط مستنيراً فتظهر بالتلسكوب كالقمر وعمرهُ ثلاثة ايام او اربعة وهي في برج الجوزاء وسيرها مستقيم وتقطع عرضها الشمسي الاعظم في الخامس عشر من الشهر الساعة ١١ صباحاً

مريخ

المريخ نجم الصباح ويسير بسرعة من برج الثور الى الجوزاء ويقترن بنبتون في السابع من الشهر الساعة ٧ مساء

مشتري

المشتري نجم المساء ولا يزال في برج العقرب وسيرهُ مستقيم ويمر بالتربيع في الخامس والعشرين من الشهر الساعة ١١ مساء ويبلغ الهاجرة حينئذ الساعة ٦٠ مساء

زحل

زحل نجم المساء وسيرهُ سريع في برج الرامي

واورانوس يتم حركتهُ المتقهقرة في السابع عشر من الشهر الساعة ١٠ مساء وهو في برج العقرب . ونبتون في برج الثور ويقترن بالمريخ في ٧ الشهر الساعة ٧ مساء

اقترانات القمر والسيارات

اليوم	الساعة					
٥	١١ صباحاً	يقترن بالمشتري	فيقع	١°٢٢َ	شمالاً
٧	١ مساء	«	بزحل		٠°٥٠َ	جنوباً
٢٠	٨ «	«	بالمريخ	«	٢°٥٥َ	شمالاً
٢١	الظهر	«	بالزهرة	فتقع	٠°٩َ	جنوباً
٢٣	٧ مساء	«	بعطارد	فيقع	٤°٥٩َ	شمالاً

اوجه القمر

يوم	ساعة	دقيقة		
٣	٦	٥١	مساء	الربع الاول
١٠	١١	٣٥	«	البدر
١٧	١	٥١	«	الربع الاخير
٢٥	٥	٥٨	صباحاً	الهلال
١٢	١	١١	مساء	في الاوج
٢٨	١٢	٣٥	صباحاً «	الحضيض

باب الزراعة

موسم القطن الاميركاني والمصري

ليس بين المباحث الزراعية موضوع اهم من هذا الموضوع لسكان القطر المصري . لكن الكتابة فيهِ ليست مأمونة العثار ولا سيما اذا ذكر الكاتب آمالهُ وآراءهُ ونزّلها منزلة الحقائق ولذلك نقلل الكتابة فيهِ جهدنا حتى نعثر على قول جريدة شهيرة في دقة البحث او رأي رجل معروف بسعة الاطلاع فننشر ذلك القول وهذا الرأي متوخين التدقيق في النقل على قدر ما تسمح بهِ الترجمة من لغة الى اخرى

وقد رأينا في عدد حديث من جريدة الايكونومست الانكليزية فصلاً عن القطن

الاميركاني منقولاً عن السجل المالي التجاري الاميركي يليق باهل التجارة والزراعة ان يطلعوا عليهِ لعلهم يروا فيهِ سبباً لارتفاع اسعار القطن الاميركاني مع ما يعلم من اتساع زراعتهِ هذا العام

والامر الاول المذكور في هذا الفصل ان زمام زراعة القطن الاميركاني هذا العام اوسع من زمام زراعتهِ في العام الماضي في كل الولايات كما ترى في هذا الجدول

اسم الولاية	سنة ١٩٠٠	سنة ١٨٩٩
تكساس	٦ ٦٨٢ ٧٣٨	٦ ١٨٧ ٧٢٠
جيورجيا	٣ ٨٤٣ ٦٥٢	٣ ٤٦٢ ٧٥٠
الابامـا	٣ ٢٥٤ ٤٨٢	٢ ٩٥٨ ٦٢٠
مسيسبي	٣ ١٧٩ ٠٣٩	٢ ٩١٦ ٥٤٠
كرولينا الجنوبية	٢ ١٨٩ ٠٥٣	١ ٩٧٢ ١٣٠
اركانساس	١ ٥٦٩ ٦١٢	١ ٤٢٦ ٩٢٠
لويزيانا	١ ٣١١ ٢٧٠	١ ٢٠٣ ٠٠٠
كرولينا الشمالية	٠ ٩٤٠ ٢٣٤	٠ ٨٦٢ ٦٠٠
تنسي	٠ ٦٧٢ ٥٥٦	٠ ٦١١ ٤١٥
المقاطعة الهندية	٠ ٣٣٥ ٢٢٥	٠ ٢٩١ ٥٠٠
فلوريدا	٠ ٣٢٧ ٧٥٠	٠ ٢٨٥ ٠٠٠
اوكلاهوما	٠ ١٩٣ ٥٧٥	٠ ١٥٤ ٨٦٠
مسوري	٠ ٠٧٣ ٥١٥	٠ ٠٥٦ ٥٥٠
فرجينيا	٠ ٠٥٣ ٢٥٣	٠ ٠٤٣ ٦٥٠
المجموع	٢٤ ٦٣٥ ٩٤٤	٢٢ ٤٣٣ ٢٤٥

فزاد زمام الزراعة هذا العام عما كان عليهِ في العام الماضي نحو مليونين ومئتي الف فدان او نحو ٩ وسبعة اعشار في المئة . ولكن زمام الزراعة في العام الماضي كان اقل مما كان عليهِ عام ١٨٩٨ فانهُ كان حينئذٍ ٢٣ ١٧٥ ٠٠٠ فدان والفرق بينهُ وبين زمام هذا العام اقل من مليون وخمس مئة الف فدان

والامر الثاني ان الموسم الاميركاني متأخر هذه السنة بنوع عام فقد اضطرَّ الزارعون ان يتأخروا في زرع القطن في اماكن كثيرة لان كثرة الامطار وشدَّة البرد اخرتا الاعمال الزراعية في كل مكان تقريباً . وكانت هذه الشكوى عامة في اول الامر ثم انحصرت في ولاية

الاباما ومسيسبي وتكساس ولويزيانا حيث كثرت الامطار في اماكن عديدة فغمرت السيول منخفضاتها او صيرتها كثيرة الماء وحال ذلك دون الزراعة ولاسيما في ولاية تكساس حيث غمرت المياه بعض الاراضي مرتين . والحالة في ولاية تكساس دون ما كانت عليهِ في العام الماضي حتماً لان الموسم كان فيها مبكرًا حينئذٍ . ويقال جملة ان الموسم متأخر اسبوعين عن ميعادهِ

والامر الثالث ان الولايات التي زرعت باكرًا ولم يكن المطر فيها زائدًا عن الحد عزقت زراعتها ونزعت الاعشاب منها ونما قطنها جيدًا . وقد زاد استعمال السماد هذا العام عنهُ في العام الماضي في بعض الولايات

وخلاصة ذلك ان الموسم متأخر واكثر تأخرهِ في الولايات الاربع الجنوبية التي ينتظر ان يرد منها القطن الى الاسواق قبل غيرها وفي هذه الولايات اكثر من اربعة عشر مليون فدان مزروعة قطناً اي نحو ستة اعشار الاطيان التي يزرع فيها القطن الاميركاني فاذا تأخر موسمها فتأخرهُ يؤثر في سعر القطن لقلة المتأخرات من الموسم الماضي كما هو معلوم . لكن الجريدة الاميركية التي نقل عنها هذا الاحصاء تقول "انهُ اذا صار الطقس على ما يرام فلا شيء يمنع نمو القطن جيدًا" . والظاهر انهُ لو اعتدل الطقس بعد ذلك لظهرت نتيجة اعتدالهِ في هبوط سعر القطن الاميركاني الحاضر لانهُ غالٍ غلوًّا فاحشاً بالنسبة الى السنوات الخمس الماضية فقد كان سعر الليبرة من الابلندمدلن مثلاً في ١٢ يوليو سنة ١٨٩٩ ٣ ٥/١٦ وسنة ١٨٩٨ ٣ ٥/٣٢ وسنة ١٨٩٧ ٤ ٩/٣٢ وسنة ١٨٩٦ ٣ ١٣/٣٢ وسنة ١٨٩٥ ٣ ٢٣/٣٢ فلم يزد على ٤ ٥/٣٢ لكنهُ كان في ١٢ يوليو هذه السنة ٥ ٢٧/٣٢ اي زاد اكثر من بنس ونصف عن اغلى سعر بلغهُ في السنوات الخمس الماضية فان لم يكن هذا الارتفاع مسببًا عن المضاربات فسببهُ المعقول الخوف من تأخر الموسم المقبل واذا ثبت الآن ان الموسم الاميركاني متأخر ولا سيما في الولايات الجنوبية بقي سعر القطن الاميركاني على حالهِ ولم ينخفض كثيرًا . واذا بقي على هذا السعر او ما يقاربهُ فالمظنون ان سعر القطن المصري يعود الى الارتفاع لكي تبقى النسبة بينهُ وبين القطن الاميركاني على ما كانت عليهِ في الاعوام السالفة او على ما يقاربها

هذا ولنلتفت الآن الى القطن المصري فنقول من المحقق ان زراعتهُ واسعة هذا العام وقد تكون اوسع مما كانت في العام الماضي وان طلوع القطن ونموّهُ كانا جيدين وان مياه الري كفت القطن حتى اول يوليو ولو بالتقتير في بعض الاماكن اما من الآن فصاعدًا فآراء الخبيرين ووقائع الحال تستحق البسط واعادة النظر . فقد علم القراء رأي السر وليم جارستن

الذي كتب بهِ الى رئيس شركة الحاصلات الزراعية منذ شهر ونصف من الزمان وهو انهُ يرجو ان ماء الفيضان يصل في الوقت المناسب والمقدار الكافي لزراعة الذرة من غير ان يلحق بزراعة القطن ضرر كبير وهو يشير بالضرر اما الى قلة المياه وكونها لا تكفي لري الذرة والقطن ريًّا كافيًا او الى ما صرّح بهِ المستر ولكوكس ونشرناهُ في المقطم في حينهِ وهو ان القطن اذا عطش كثيرًا وقت الطرح ثم رُوي يقع جانب من وسواسهِ. وهذا القول يقول بهِ كل ارباب الزراعة الذين كلمناهم في هذا الموضوع

وقد حدث الآن امران يدلاَّن على ان خوف السر وليم جارستن في محلهِ وانهُ قد يلحق بالقطن شيء من الضرر. الامر الاول ان بعض الاقطان المبكرة في مديرية القليوبية والدقهلية التي عطشت وقت ابتداء الطرح ثم رويت ريًّا كافيًا وقع بعض طرحها عنها وارسل شيء منهُ الى نظارة الاشغال العمومية

والامر الثاني انهُ لما كان منسوب القناطر الخيرية واطئًا في الشهر الماضي وكانت المياه قليلة كانت كافية لري القطن في مديرية الغربية لان زراعة القطن في مديرية المنوفية كانت تكتفي بقليل من الماء ولم تكن الآلات الرافعة هناك تدور كل ايام الادارة. اما الآن وقد زاد منسوب القناطر الخيرية وكثر الماء في رياح المنوفية ولكنك ترى الماء قليلاً في ترع كثيرة في الغربية واهاليها يشكون من قلتهِ لان زراعة القطن في المنوفية صارت تحتاج الى الماء اكثر مما كانت تحتاج اليهِ في الشهر الماضي فصارت الآلات تدور كل ايام الادارة وقد تدور نهارًا وليلاً. وقد رأينا القطن على جانبي سكة الحديد من طنطا الى دمنهور فوجدنا دلائل العطش بادية على كثير منهُ

ولهذين الامرين شأن في تقدير الموسم المقبل لانهُ اذا صحَّ الامر الاول اي اذا سقط بعض طرح القطن حينما يروى وهو عطشان واذا صحَّ الامر الثاني اي اذا قلَّ الماء من بعض الترع حتى تمسي بعض الاطيان بغير ماء كافٍ لريها فلا بدَّ من وقوع شيء من الضرر الذي اشار اليهِ جناب السر وليم جارستن وعسى ان لا يكون كثيرًا

القمح في فرنسا

يظهر من تقدير وزير الزراعة في فرنسا ان الارض المزروعة قمحًا في فرنسا هذه السنة تقل نحو نصف مليون فدان عما كانت عليهِ في العام الماضي وستكون غلتها اقل مما كانت عليهِ في العام الماضي بنحو عشرة ملايين كوارتر اي انها تنقص نحو الربع

الوزن بدل الكيل

اقرّت الحكومة المصرية على استعمال الميزان بدل المكيال في بيع الحبوب على انواعها ونعمّ ما فعلت لسببين كبيرين الاول ان الميزان ادق من المكيال ولا يسهل التلاعب فيهِ كما يسهل التلاعب في المكيال والثاني ان مقدار ما في الحبوب من الغذاء يتوقف على ثقلها لا على حجمها فاذا كان الاردب من هذا القمح اثقل من الاردب من قمح آخر فالقمح الاول اكثر غذاء من القمح الثاني ويجب ان يكون اغلى منهُ ثمناً . ورأت بعد المداولة مع كبار التجار والمزارعين ان تجعل وزن الاردب من القمح الصعيدي والبحيري ١٥٠ كيلوغراماً ومن الفول ١٥٥ كيلو غراماً ومن العدس ١٥٧ ومن الشعير ١٢٢ ومن الترمس ١٥٤ ومن الذرة الشامية ١٤٢ ومن الذرة الرفيعة ١٤٠ ومن البزلّة ١٦٠ ومن الحلبة ١٥٧ ومن الحمص ١٤٠ ومن الفريك ١٣٥ ومن الكمون ٦٥ ومن اليانسون ٧٥ ومن الحمص الجوهر ٦٢ . وشرعت في انفاذ هذا القرار في ٢٢ يوليو

باعة الفاكهة في مصر

لا شبهة في ان ارباب الزراعة صاروا يهتمون الآن بزرع الفاكهة اضعاف ما كانوا يهتمون قبلاً فقد كثر العنب والتين والموز والمنجو والصبر (التين بشوكه) والشليك حتى لم نعد نجد سبيلاً للشكوى من قلتها كما كنا نجد قبلاً . ولا نقول انها بلغت الحدّ المطلوب بل هي لا تزال دونهُ بمراحل كثيرة كما يظهر من ثمنها فان اقة العنب تباع الآن بغرشين او اكثر وكذلك اقة التين واقة الموز تباع باربعة غروش او اكثر وهذا غلاء فاحش يدل على قلة هذه الاثمار بالنسبة الى الذين يبتاعونها . ولا بدّ من ان يكثر زرعها حتى تباع اقة العنب بغرش او بنصف غرش قياساً على غير مصر من البلدان الشرقية

هذا هو الامر الاول والامر الثاني الذي لا بدّ من الالتفات اليهِ هو ان للنوع الواحد من الفاكهة اصنافاً كثيرة بعضها جيدٌ جداً وبعضها متوسط في الجودة وبعضها رديء . ونفقات غرسها والاعتناء بها واحدة فلذلك يجب على اصحاب البساتين ان يختاروا اجود الاصناف والأقلّ ربحهم منها

والامر الثالث وهو الذي نريد توجيه الانظار اليهِ بنوع خاص هو باعة الفاكهة فان الفاكهة مثل اسمها لا يقصد بها مجرَّد التغذية بل يراد بها التفكيه اي مسرَّة النفس بالنظر والشم والذوق اما اكثر باعة الفاكهة في مصر ونخصُّ منهم باعة العنب والتين فمن اقذر الناس

واوسخهم وافبحهم منظراً حتى لقد تقزّ النفس من رؤيتهم . ولا ننتظر ان يبلغ كلامنا مسامعهم فينظفوا ابدانهم وثيابهم قبلما يخرجون لبيع فاكهة من اطيب واجمل ما خلقهُ الله ولكننا نرجو ان يقوم رجل مقدام ويجمع نفراً من الاولاد او الشبان الذين لا عمل لهم ويلبسهم ثياباً نظيفة ويضع لهم الاثمار في آنية نظيفة ويرسلهم ليبيعها او ينشيء سوقاً خاصة بالفاكهة والازهار كما في المدن الاوربية وكما كان في القطر المصري في عهد الفرس واليونان والرومان ويجعل اساسها النظافة التامة وجمال المنظر وحسن التنسيق حتى يقصدها الناس كل صباح ويبتاعوا فاكهتهم منها



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تُستختار على المطوّلة

احتفال المدرسة الكلية الاميركية

حضرات منشئي المقتطف المحترمين

لهذه المدرسة فضل لا ينكر على القطر الشامي والمصري يعرفهُ كلّ من عرف ابناءها وما افادوا بلادهم بهِ بتآليفهم الكثيرة وبممارستهم لصناعة الطب الشريفة . وقد احتفلت مساء الاربعاء الماضي احتفالها السنوي لسنتها الرابعة والثلاثين بتوزيع الشهادات على المنتهين من تلامذتها فرأس الاحتفال حضرة رئيسها الفاضل الدكتور بلس يحيط بهِ عمدة المدرسة واساتذتها وافتتح الاحتفال بقراءة فصل من الكتاب المقدّس ثم خطب الدكتور برترم بوست نجل الدكتور بوست الجراح الشهير خطبة طبية موضوعها الطب المستجد باللغة الانكليزية وهو من منتهي مدرسة الطب وتلاهُ الدكتور نجيب افندي نعمه القيم من منتهي مدرسة الطب ايضاً وخطب بالعربية خطبة موضوعها " الوقاية من الامراض " . ثم قام حضرة الاديب وليم افندي رزق الله برباري من منتهي القسم العلمي وخطب خطبة انيقة في "بقاء الانسب" فاجاد .

وافاد وجمع بكلمات قليلة حقائق كثيرة وقد صفق لهُ الحضور مراراً كثيرة لبليغ عبارتهِ وحسن القائهِ وانطباق اشاراتهِ على الموضوع

وتلاهُ حضرة الدكتور الفاضل اسكندر بك بارودي وهو مدعوٌّ للخطبة السنوية واتحف الحضور بخطبة بليغة في الطب الشرقي جمع فيها فاوعى من الحقائق والتفاصيل ما يدلُّ على وفرة علم وسعة اطلاع . ثم وزعت الشهادات على مستحقيها وهم

في القسم العلمي الافندية وديع شبلي ابلاً وابرهيم شديد ابو حيدر ووليم رزق الله بربارى وسعيد طنوس سماحه وزاكي الياس قرو

وفي القسم الطبي . الدكاترة جورج اككجيان وبرترم بوست ونسيب جرجس تبشراني وتوفيق نضلو شحلاوي واسكندر سليمان عرنكي وسليم طانيوس غصن ومارك فينبرغ ونجيب نعمة القيم

وفي القسم الصيدلي . اسبيريدون جرجس الخوري واهان نيكوغس درمار قاريان وفضول ميخائيل زرعوني وعبد القادر احمد طياره وامين يوسف عطيه . وفرج يوسف فرح واحمد احمد فوزي ويشوع الياهو مزراحي وحبيب فضل الله نجار ونرسس ساركس نقاشيان

وقد وصلت الى يدي نسخة من خطبة وليم افندي بربارى وموضوعها " بقاء الانسب " فبعثت بها اليكم لكي تنشر في صفحات المقتطف وانا ساعٍ للحصول على نسخ غيرها من الخطب

بيروت ١٦ يوليو ن . ق

بقاء الانسب

شأن المخلوقات الحية في هذه الدنيا تنازع البقاء فهي تسعى في عالم الوجود يأكل كبيرها صغيرها و يستعبدُ قويها ضعيفها ولا يخرج سالماً من معترك الحياة هذا الاَّ ما كان منها اكثر ابناء نوعهِ مناسبة للبقاء واشدها احتمالاً لنوازل الحياة. والميل الى النمو والتكاثر غريزي في كل ذي حياة ولو تركت طائفة واحدة منها تنمو لذاتها لملأَت الارض وضاقت بها اسباب المعيشة غير ان التنازع للبقاء يشتد كلما زادت افراد النوع الواحد عما يمكن بقاؤُهُ منها فيثور النزاع بينها وبين الطوارىء الطبيعية وبينها وبين الانواع الاخرى ويكون على اشدهِ بين انواع الفرد الواحد

ونتيجة هذا كلهِ كما اثبتهُ العلماء انقراض الضعيف عن وجه البسيطة فلا يبقى عليها الاَّ النشيط القوي . ثم يظهر التنازع بين نسل هذا ايضاً وهكذا الى ما شاء الله. وقد كان الامر كذلك منذ بدأَ الوجود ولولا التنازع لما اختلفت الانواع وارتقت وصارت الى ما هي عليهِ .

هب البرد اشتد في بلادٍ ما ولم يبقَ من الحيوانات التي تفترسها الذئاب وتقتات بها الاَّ الغزلان فبديهيٌّ انهُ لا يبقى من الذئاب الاَّ ما كان سريع العدو قادراً على ادراك فريستهِ وإن قبيلة من الناس هاجرت الى بلاد يختلف اقليمها عن اقليم وطن القبيلة يموت منها كل ضعيف البنية ويعيش قويها اذ يستطيع هذا الاخير احتمال فعل هواء القطر الجديد ويتمكن من العمل فيهِ فيكون نسلهُ اكثر مقدرة منهُ على ذلك وهكذا حتى تصير القبيلة كلها موافقة لاحوال الزمان والمكان

وليست غايتي النظر في الموضوع من وجهتهِ العلمية فقد ذهب العلماء في هذه كل مذهب بما يملأ المجلدات الضخمة فما ذكرتهُ من الحقائق انما هو توطئة لما سأُشير اليهِ من وجود هذا الناموس المظيم ناموس التنازع للبقاء وبقاء الانسب في العالم الادبي وفي الهيئة الاجتماعية

وُجد الانسان في هذه الدنيا جاهلاً ينقصهُ الاختبار فسار في جميع المسالك المعوجة واباح القتل والسرقة واشتاد العادات كلها بلا استثناء وبقي يجاهد قروناً عديدة قبل ان اهتدى الى الطريق القويم وعرف الضار والمفيد . فالشعب الذي اباح القتل والسرقة قلَّ عددهُ وافتقر والذي ادرك مضارها باكراً وسنَّ الشرائع بتحريمهما نما واثرى وتغلَّب على الاول وشبَّ نسلهُ اكثر استعداداً لقبول الصالح والمفيد فارتقى عن سلفهِ وهلمَّ جرًّا . وما يصدق على الشعب يصدق على افرادهِ وهم اعضاؤهُ والحافظون لكيانهِ . فكلما كثرت افراد الناس زاد التنازع بينها واشتدَّ وكان على اشدهِ بين افراد الشعب الواحد او اصحاب الحرفة الواحدة . يلد كثيرون فيموت اغلبهم في سن الطفولية ولا يعيش الاَّ صحيح البنية وقويها . يتعاطى التجارة عدد عديد من الناس فيثري القليل ويفتقر الباقون . يخرج كل سنة الى العالم الوف من الاطباء والمحامين وارباب الصناعة والزراعة فيشتهر نفر منهم ويبقى البقية نسياً منسياً . ولا يخفى عليكم ايها السادة اننا لسنا في عالم الصدفة او الاتفاق فقد سنَّ الباري شرائع ونواميس طبيعية وادبية لا استثناء لها

فاذا كان الحي لا يعيش في بلاد الاَّ اذا ناسبهُ اقليمها ووجد لهُ غذاء فيها وتغلب على منازعيهِ او بعبارة اخرى اذا وفق نفسهُ لاحوال الزمان والمكان فالانسان ايضاً لا يعيش في المجتمع البشري الاَّ اذا طابقت معيشتهُ لنواميس ذلك المجتمع. وهذه النواميس التي نتشدها هي ما نراهُ في اسفار الدين وكتب الآداب من الوصايا والتعاليم التي لا غنى لنا عن اتباعها فهي خوف الله والامانة والاجتهاد والعفاف والمواظبة ونكران الذات ومحبة القريب والسعي في سبيل الصالح العام وتضحية الفرد فدًى للشعب ومعرفة ما لنا من الحقوق وما علينا من الواجبات والاعتماد على النفس وحسن معاملة الآخرين هذه هي الشرائع التي اوجدها الله تعالى . فمن

تمسك بها فاز في مضمار الحياة ومن نبذها قضي عليهِ مخذولاً . لو مرض احدكم ألا يدعو من الاطباء من كان بارعاً في فنهِ اميناً في عملهِ . ولو كان لهُ دعوى امام محكمة أَوَلا ينيب عنهُ محامياً صادقاً مجتهداً او لو اردتم البيع والشراء أفلا تسألون عن تاجر امين تعتمدون عليهِ . نفعل ذلك ايها السادة كل يوم وقد فعل مثلنا اسلافنا وسيقتدي بنا خلفاؤنا وهذا العمل لا يستدعي تبصرنا الدائم بل هو عادة اورثنا اياها الاختبار حتى صارت غريزية فينا فاذا رأينا رجلاً ناجحاً في مهنتهِ حكمنا لاول وهلة انهُ حائز للصفات اللائقة التي تؤهلهُ للنجاح واذا رأينا رجلاً متأخراً فيها قلنا انهُ تنقصهُ بعض هذه الصفات

ومن دقق في اخبار الافراد واتبع تاريخ حياتهم رأى امراً غريباً لا يفسرهُ الاَّ الناموس المذكور آنفاً وهو ان لكل ذنب عقاباً عاجلاً او آجلاً وهذا العقاب نتيجة الذنب نفسهِ مباشرة فالذي يتناول السم يلقى منيتهُ لان السم قاتل لذاتهِ ومن يخالف نواميس الهيئة الاجتماعية يقضى عليهِ لان ذنبهُ هو السم الزعاف في هذه الحالة

وخلاصة الامر اننا جميعاً في معترك الحياة نفوز تارة ونخذل أُخرى ولا يبقى منا الى النهاية الاَّ اوفرنا اجتهاداً واكثرنا امانة واشدنا تمسكاً بالآداب الحقيقية. من وضع نصب عينيهِ خوف الله ومحبة القريب وبذل النفس والنفيس في ترقية بني نوعهِ واعلاء شأن الهيئة الاجتماعية بقي عليَّ ايها السادة فرض واجب ألا وهو اداء سنة الوداع . دخلنا هذه المدرسة منذ اعوام كنا في خلالها نجدُّ ونسعى لاقتباس علومها واتمام دروسها وقد وصلنا بحولهِ تعالى الى الغاية وآنت ساعة الرحيل التي كنا نتمناها فيحق لنا ونحن خارجون من هذه المكان نقدم رجلاً ونؤخر اخرى ان نقف هنيهة وننظر الى ماضي حياتنا فيهِ الى ايام صرفناها في طلب الافادة والعلم في حمى رئيس فاضل وقف حياتهُ على تهذيب الشبان وتثقيف عقولهم واساتذة نشطاء لم يدخروا جهداً في افادة تلامذتهم وحثهم على الجد والسعي . لا اشكركم ايها الكرام بالكلام الفارغ فهذا ضد ما ربيتمونا عليهِ انما شكرنا لكم يقوم باتباعنا تعاليمكم والسير في اثركم والتشبه بكم فهذا افضل شكر تنالونهُ واعظم اجر تستنظرونهُ

ايها الرفاق نودع بعضنا بعضاً وفي القلب ما فيهِ من ألم الفراق ويذهب كل منا في سبيلهِ وفي فؤادهِ ما لا تمحوهُ كرور الايام من عيشة قضيناها بالوفاق وصداقة هي اخلص صفاء من الماء ثبتت دعائمها على طلب الاستفادة واحراز المعارف لا على طلب الربح الدنيوي فقد جمعتنا في هذه الدار رابطة الادب ونعم النسب الادب . نحن في هذه الساعة اشبه بسفن انزلها اصحابها الى البحر وسارت تمخر اليمَّ وهم يقولون في انفسهم أَتُراها تسير الى المرفإِ الامين ام تهب

عليها الرياح وتثور العواصف وتتلاطم اللجج . واساتذتنا واصحابنا يتساءلون الآن ونحن سائرون في بحر العالم عمَّا اذا كنا نجوزهُ بسلام مسترشدين برشد الآداب القويمة وهي اصدق دليل لنا فيهِ ومعتصمين بالاجتهاد والامانة وهي خير منهج لنا في مخاطرهِ تثور علينا رياح التجارب وعواصف الاضطهاد وتحملنا صخور العشرة السيئة فتودي بنا الى قاعه . هذه مسألة يحلها الزمان غير اني اعوذ بالله ان يكون نصيبنا الخذلان بعد ما سمعناهُ في هذه المدرسة من المواعظ

فاستودعكم الله ايها الرئيس والاساتذة الكرام اقول هذا ولا ازيد وهو تعالى المسئول ان يأخذ بيدكم وينجح مساعيكم ويريكم ثمرة تعبكم كما تشتهون . استودعكم الله ايها الرفاق واوصيكم ونفسي بالسير حسبما تلقيناهُ هنا من التعاليم المفيدة لكي نكون مثالاً حسناً لمن حولنا وواسطة منفعة لبني وطننا واخيراً نودعكِ ايتها المدرسة العزيزة وداع ولد لامهِ ونودع تلك الايام التي صرفناها في ظلك الوارف لا زلتِ عالية البنيان مشيدة الاركان تتوارد اليك الطلبة من كل صقع وناد نضيئين بنورك اقاصي البلاد بمنِّ الله وكرمهِ

[المقتطف] وقد كتب الينا استاذ من اساتذة المدرسة الكلية يثني على الخطيب ثناء جميلاً ويقول انهُ بلغ غاية الاجادة في الالقاء فسُرَّ الحضور بكلامهِ وصفقوا لهُ مراراً

اقتراح

حضرة الفاضلين منشئي المقتطف الزاهر

لمقتطفكم الاغر فضل لا ينكر على ابناء اللغة العربية وبينهم ربات البيوت اللواتي يجدن لذةً عظيمةً في درسهِ ولا سيما باب تدبير المنزل الذي يشتقن كثيراً الى مطالعتهِ لما يجدن فيهِ من عظيم الفوائد الكافية لمساعدتهنَّ على تربية اولادهنَّ وتدبير منازلهنَّ . وبما ان كثيرات منهنَّ محرومات من الاشتراك في مجلتكم الثمينة هذه وقلَّ من توجد لديها كل مجلداتها اقترح على جنابكم واخال اقتراحي يستحسن لديكم ان لم توجد موانع غير ظاهرة لنا ان تجمعوا في مجلد او مجلدين كل ما ادرج في هذا الباب او ما يهم جمعهُ منذ انشاء المقتطف الى الآن فيكون منهُ كنز نفيس يسهل تناولهُ على كل من يهمهُ اصلاح احوالنا العائلية وفقكم الله للاصلاح

سنورس حنا معطي

[المقتطف] سنفعل ان شاء الله بعد وقت قريب



البصائر والمحاماة

هما كتابان جليلان الاول في علم المنطق والثاني في تاريخ المحاماة واحوال المحاكم والاحكام في هذا القطر. وسيتحفنا احد علماء المنطق بانتقاد الكتاب الاول واحد علماء القانون بانتقاد الكتاب الثاني

المجلة المصرية والخزانة

" الاولى مجلة ادبية تاريخية قضائية اقتصادية علمية زراعية تصدر في غرة كل شهر وفي منتصفه لصاحبها ومنشئها خليل افندي مطران. تشترك في تحريرها لجنة من اعاظم الكتاب ومديرها محمد افندي مسعود "

والثانية " مجلة شهرية في السياسة والادب لصاحبها الشيخ يوسف الخازن "

يشترط لنجاح المجلة من حيث انشاؤها اما ان يكون صاحبها من الكتاب المعدودين فيودعها نفائس المقالات وتقوم المجلة بقلمه وهو النادر. واما ان يكون من القادرين على استخدام اقلام الكتاب المشاهير بالاموال او غيرها وهو الشائع. ويظهر لنا من المقالات والنبذ التي نشرت في هاتين المجلتين الجديدتين انهما تتوخيان النجاح بهذين السبيلين معاً ففي الاولى منهما مقالات كثيرة بقلم حضرة منشئها وفيها شعر بليغ له من ذلك قوله في الجزء الثاني في وصف بعلبك

هم تجري الحياة بالادبار ... فاذا مر فهي في الآثار
والصبا كالكرى نعيم ولكن ... ينقضي والفتى به غير دار
يغنم المرء عيشة في صباه ... فاذا بان عاش بالتذكار
ايه آثار بعلبك سلام ... بعد طول النوى وبعد المزار
ووقيت الفناء من عرصات ... مقويات او آهل بالقفار
ذكرني طفولتي وأعيدي ... رسم عهد عن أعيني متوار
مستطاب الحالين صفواً وشجواً ... مستجير في النفع والاضرار
يوم امشي على الطلول السواجي ... لا اقتدار فيهن الا اقتداري
نزقاً بينهن جد لعوب ... لاهياً عن تبصر واعتبار

مستقلاً عظيماً مستحقاً ما بها من مهابة ووقار
خرَبٌ حارت البرية فيها فتنة السامعين والنظار
معجزات من البناء كبار لاناس ملء الزمان كبار
ألبستها الشموس تفويف در وعقيق على رداء نضار
وتحلَّت من الليالي بشاما ت كتنقيط عنبر في بهار
وسقاها الندى رشاش دموع شربتها ظوامئ الانوار
زادها الشيب حرمةً وجلالاً توَّجتها به يد الاعصار
رب شيب أتم حسناً وأولى واهن العزم صولة الجبار
معبد للاسرار قام ولكن صنعهُ كان أعظم الاسرار
مثَّل القوم كل شيء عجيب فيهِ تمثيل حكمةٍ واقتدار
صنعوا من جمادهِ ثمراً يجـ ـنى ولكن بالعقل والابصار
وضروباً من كل زهر أنيق لم تفتها نضارة الازهار
وشموساً مضيئة وشعاعاً باهرات لكنها من حجار
وطيوراً ذواهباً آيبات خالدات الغدو والابكار
في جنان معلقات زواهٍ بصنوف النجوم والانوار
وأسوداً يخشى التحفز منها ويروع السكوت كالتزءَار
عابسات الوجوه غير غضاب باديات الانياب غير ضوار
في عرانينها دخان مثار وبألحاظها سيول شرار
تلك آياتهم وما برحت في كل آن روائع الزوار
ضمها كلها بديع نظام دق حتى كأنها في انتثار
في مقام للحسن يعبد بعد الـ ـعقل فيهِ والعقل بعد الباري
منتهى ما يجاد رسماً وأبهى ما تحج القلوب في الانظار
أهل فينيقيا سلام عليكم يوم تفنى بقية الادهار
لكمُ الارض خالدين عليها بعظيم الاعمال والآثار
خضتم البحر يوم كان عصياً لم يسخر لقوة من بخار
وركبتم منهُ جواداً حروناً قلقاً بالعروس المغوار
ان تمادى عدواً بهم كبحوهُ واقالوهُ ان كبا من عثار

واذا ما طغى بهم أوشكوا أن يأخذوا لاعبين بالاقمارِ
غير صعب تخليد ذكر على الار ض لمن خلدوه فوق البحارِ
شيدوها للشمس دار صلاة وأتم الاغريق حلي الدارِ
هم دعاة الفلاح في كل عصر ورجال العمران في الامصارِ
نحتوا الراسيات تحت صخور وأبانوا دقائق الافكارِ
وأجادوا التي تجاز عليهم أنها الآمرات في الاقدارِ
مجدوا للذي سمو صنعوهُ سجدات الاجلال والاكبارِ
بعد هذا أغاية فترجّى لتمام أم مطمع في الفخارِ

ويلي ذلك مقالات مختصرة في مواضيع شتى كرحلة امير الاساطيل المصرية سنة ١٥٥٣ وبحث في الفلسفة الهندية والاخلاق ولقاح الادمان على السكر والسجاير التهجية وسوق المضاربة وتاريخ الشيخ محمد بن علي السنوسي وما اشبه من المواضيع المفيدة . وعبارة المجلة فصيحة خالية من الركاكة والتعقيد

وفي العدد الاول الذي صدر من الخزانة خلاصة تاريخية احسن كاتبها في سرد حوادثها وربطها بعضها ببعض فبدأ الكلام على الصين وانتقل الى حرب البوير ثم تكلم على الولايات المتحدة الاميركية وروسيا وسكة الحجاز . ويلي ذلك مقالة مسهبة في ترجمة صاحب الدولة رياض باشا مأخوذ اكثرها عن الكتَّاب الاوربيين وهي تدل على بحث دقيق في كثير من المظان . وقد نوَّه الكاتب بفضل الوزير على المقتطف وهو فضل نعترف لهُ بهِ ابد الدهر . واشار ايضاً الى انقلاب بعض الجرائد السياسية عليهِ لكنهُ لم يفعل ولم ينصف لان رياض باشا اتَّبع سياسةً ثم تركها واتَّبع ضدها كما فعل بيكنسفيلد وغلادستون وغيرهما فالجريدة التي تبعتهُ في سياستهِ الاولى غير مضطرَّة ان تتبعهُ في سياستهِ الثانية بل تلام اذا غيَّرت سياستها اكراماً لهُ وهي ترى ان سياستهُ الثانية مضرَّة بالبلاد وهذا شأن المقطم في مدح السياسة التي جرى عليها دولتهُ في وزارتهِ الثانية وذم السياسة التي جري عليها في وزارتهِ الثالثة . اما شخصهُ فقد كان ولا يزال مكرَّماً معظماً عندنا وهذا نجاهر بهِ كلما لاحت لنا فرصة ونعترف بفضلهِ على المقتطف والمقطم ايضاً

ويلي هذا الفصل كلام على زيارة الجناب الخديوي لملكة الانكليز وعلى كتاب المحاماة ثم رواية كاملة موضوعها ضحية الحب في ٤٨ صفحة

وطبع الخزانة وورقها اجود من طبع المجلة المصرية وورقها

البريد المصري سنة ١٨٩٩

صدر تقرير مصلحة البوستة المصرية عن سنة ١٨٩٩ وهو مثل التقارير السابقة حلقة من حلقات الارتقاء المستمر في هذه المصلحة. وكل فرع من فروعهِ يشهد لسعادة مديرها الهمام سابا باشا بالهمة والمهارة في ادارتها والسهر المتواصل على انجاحها كما يشهد بارتقاء القطر المصري مادياً وادبياً

وقد بلغ عدد المراسلات التي نقلتها مصلحة البريد المصرية في العام الماضي ٢٩٩٢٠٠٠٠ وكانت في العام الذي قبلهُ ٢٧٨٧٨٠٠٠ مراسلة اكثرها من القاهرة وهي فيها ١٢ مليوناً وتتلوها الاسكندرية وهي فيها ٨ ملايين ثم تقلُّ رويداً رويداً فتبلغ في مديرية الغربية مليوناً وستمئة الف اي نحو مراسلة واحدة لكل واحد من السكان على مدار السنة وهي في القاهرة والاسكندرية نحو عشرين مراسلة في السنة لكل نفس من السكان

ومن التسهيلات التي تمّت في العام الماضي جعل قيمة تذكرة البوسطة اربعة مليمات بدلاً من خمسة وجعل الرسم على اوراق المطبوعات غير الدورية مليماً واحداً بدلاً من مليمين والترخيص بكتابة كلمات الدعاء والشكر والتهانيء وما اشبه على اوراق الزيارات الصادرة الى البلدان الخارجية اتباعاً لقرار مؤتمر البريد الذي عُقد اخيراً في وشنطون . وقد قرَّ هذا القرار اجابةً لاقتراح سعادة سابا باشا

وكانت قيمة النقود التي ارسلت عن يد البوسطة المصرية داخل القطر المصري ١٦ مليوناً و ١٥٠ الفاً من الجنيهات سنة ١٨٩٨ فبلغت في العام الماضي ١٧ مليوناً و ١٠٠ الف جنيه فكانت الزيادة نحو مليون من الجنيهات مع ان الناس صاروا يعتمدون على اوراق البنك الاهلي

وقد بلغ ايراد مصلحة البريد في العام الماضي ١٢٩ ٨٧٣ جنيهاً مصرياً وكان في العام الذي قبلهُ ١٢٢ ٨٦٧ وبلغت نفقاتها في العام الماضي ١٠٨ ١٩٨ فالزيادة في الايراد ٢١٦٧٥ جنيهاً عدا اجرة ما تنقلهُ من مراسلات الحكومة مجاناً وتقدَّر بثمانية واربعين الف جنيه فيكون ربح مصلحة البريد السنوي نحو سبعين الف جنيه

تجارة القطر المصري

صدر تقرير الجمارك المصرية عن العام الماضي وهو خلاصة تجارة القطر المصري الخارجية من صادر ووارد ودليل نمو ثروتهِ عاماً بعد عام . وقد بلغت قيمة الصادر منهُ ١٥ ٣٥٠ ٩٠٨ جنيهات مصرية وقيمة الوارد اليهِ ١١ ٤٤١ ٨٠٢ وصدر منهُ ايضاً من السجاير ما قيمتهُ

٠٤٨ ٣٠٨ جنيهاً . وورد اليهِ نقود ذهبية قيمتها ٤٦٧٨٢٩ ٤ وفضية قيمتها ٠٨٨ ٤٨ وصدر منهُ نقود ذهبية قيمتها ٤٧٠ ٤٥٤ ١ وفضية قيمتها ٠١٥ ٤٨ فتكون زيادة الوارد على الصادر ٤٣٢ ٠١٣ ٣ اي اكثر من ثلاثة ملايين من الجنيهات . ولا يخفى ان القطر المصري يرسل كل سنة نحو خمسة ملايين من الجنيهات ربا ما عليهِ من الدين وويركو الدولة العلية فاذا طرحت من ثمن البضائع التي صدرت منهُ صار الوارد نقوداً وبضائع اكثر من الصادر نقوداً وبضائع بنحو اربعة ملايين من الجنيهات . ولا يعلم كيف سدَّد القطر المصري حسابها الاَّ اذا كانت البضائع التي صدرت منهُ بيعت باكثر من الثمن الذي قوّمت بهِ وقت صدورها او اذا كانت اموال كثيرة صدرت منهُ ولم تدرِ بها ادارة الجمارك

آثار الانامل

Finger Prints and Fingerprint Directories :(1)

BY FRANCIS GALTON, F.R.S., D.C.L., etc.

يعلم قرَّاء المقتطف اسم هذا العالم الشهير وانهُ اول من بحث بحثاً مستفيضاً في آثار الانامل واثبت بالاستقراء الطويل اولاً ان آثار انامل كل انسان تمتاز عن آثار انامل غيرهِ فلا تلتبس آثار انامل انسان بآثار انامل انسان آخر وثانياً ان آثار انامل الانسان الواحد تبقى على شكل واحد من ولادتهِ الى مماتهِ فتتسع بنمو جسمهِ وتحفو بتقدمهِ في السن ولكن شكلها الهندسي يبقى على حالهِ . فتكون اصدق دليل على صاحبها وادلّ عليهِ من خَتمهِ وصورة وجههِ وما اشبه مما يتخذ دليلاً في تحقُّق الشخصية . وثالثاً انهُ يمكن قسمة هذه الآثار الى اجناس وانواع وفصائل اي تصفيفها في صفوف مختلفة حتى يسهل الاستدلال عليها فاذا كان عندك اثر انملة انسان ووضعتها في صفها الخاص بها وكتبت اسم صاحبها بجانبها وبقية اوصافهِ ثم جاءك انسان باثر مثلهِ وقال لك اثر انملة من هذا وجدت حالاً انهُ مثل الاثر الذي عندك ولو كان موضوعاً بين الف اثر كما يجد الانسان كلمة في قاموس اللغة من كيفية ترتيب حروفها . وقد زار هذا العالم القطر المصري في الشتاء الماضي ورأى طريقتهُ مستعملة في محافظة مصر للاستدلال على المجرمين وهي وافية بالغرض على اتم المراد

وفي الكتاب الاول من هذين الكتابين اكثر من مئتي صفحة وبحث مستفيض عن آثار الانامل واستعمالها عند كل الامم والثاني اصغر منهُ وهو كثير الرسوم وفيهِ كلام مسهب عن كيفية تصفيف الآثار حتى يسهل الاستدلال عليها

(1) London, Macmillan and Co.

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعيّن حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) ضيق الحدقة واتساعها

سنورس . حنا افندي ملطي . رقبت طفلة عمرها شهر فرأيت حدقة عينها تضيق مرة وتتسع أُخرى وعيناها صحيحتان تماماً فافتكرت ان ضيقها يحدث عند وقوع النور عليها فما رأيكم في ذلك

ج انتم مصيبون في فكركم فان الحدقة تضيق عند كثرة النور وتتسع عند قلتهِ وذلك عامٌّ للكبار والصغار ما داموا في حال الصحة و يستطيع كل احد ان يمتحن ذلك في نفسهِ بان يقف في الشمس ويرى حدقتي عينيهِ في مرآة فانهُ يراها ضيقتين ثم يدخل غرفة قليلة النور وينظر في المرآة فانهُ يراها قد اتسعتا . وضيقها واتساعهما لا يتمان حالاً بل يقتضي وقت قصير قبلما يتمان فاذا كان الانسان واقفاً في غرفة قليلة النور وخرج منها الى مكان منير بغتة أَعمتهُ النور لان حدقتيهِ تكونان واسعتين فتدخلهما اشعة كثيرة من النور اكثر مما يحتمل عادةً ويبقى شاعراً بالتعب او بشيء من الجهر بضع ثوانٍ الى ان تضيق حدقتاهُ فيستريح . ثم اذا عاد الى الغرفة القليلة النور راها مظلمة في اول الامر لان حدقتيهِ تكونان قد ضاقتا وهو واقف في النور فلا تعود اشعة النور التي تدخلها من الغرفة كافية للابصار ويبقى كذلك مدة وجيزة الى ان تتسع حدقتاهُ فيصير النور الداخل منهما كافياً للابصار . وضيق الحدقتين واتساعهما فعل ذاتي (منعكس) غير خاضع للارادة

---

(٢) استخراج العسل

مليج . حبيب افندي حنا . عندنا كثير من خليات النحل وقد بحثنا عن طريقة نحفظ بها لون العسل الطبيعي بعد عصرهِ فلم نجد . والطريقة المتبعة عندنا في عصرهِ ان نكسر اقراص العسل قطعاً صغيرة جداً بواسطة فركها بين اليدين او دهسها بآلة حادَّة وتصفيهُ في مصافٍ من النحاس او من حطب الحلفاء فيكون العسل بعد هذه العملية ضارباً الى الصفرة مع ان لونهُ الطبيعي ابيض كالبلور ومنذ سنتين زرت المستر كرسلند مربي النحل

في جنينة الجيزة فاراني الطريقة المتبعة عنده لكنها لا تنفعنا لان خلياتنا ليست مثل خلياته فما هي الطريقة لاستخراج العسل بلونه الطبيعي

ج لا عجب من تغيّر لون العسل اذا كنتم تستخرجونهُ على هذه الصورة لانهُ يخرج ممزوجاً بمواد كثيرة من النحل الميت ومن الشمع ولا ندري لماذا لا تستطيعون استعمال الآلة التي اراكم اياها المستر كرسلند او آلة اصغر منها مصنوعة على مبداِها اي يخرج العسل بها من شهده بقوة التباعد عن المركز وقت ادارة الآلة . ثم انهُ قد حان لكم ولكل من يريد الانتفاع من تربية النحل ان يبدل الخلايا البلدية القذرة بخلايا مربعة تصنع من الخشب على الاسلوب الذي وصفهُ المستر كرسلند في المقتطف فانها رخيصة الثمن سهلة الاستعمال . ويخرج العسل من اقراصها نظيفاً نقياً . راجعوا الفصول التي كتبها في المقتطف عن تربية النحل

---

(٣) الحيات غير السامة

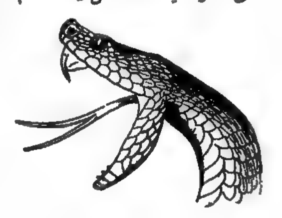
عاليه بلبنان . ايليا افندي بارودي . سمعت ان الحية السوداء لا تلدغ واذا لدغت لا تؤذي فما هو سبب ذلك

ج ان الحيات انواع كثيرة عدُّوا منها نحو الف وثلاثمئة نوع وهي منتشرة في كل الدنيا الا في بعض الجزائر مثل زيلندا الجديدة وايسلندا وارلندا والانواع السامة قليلة جداً قد لا تزيد على خمسها وما بقي غير سام طبعاً. والحية السوداء الكثيرة الوجود في لبنان من الانواع غير السامة على ما نظن لكن اسوداد اللون ليس دليلاً على كون الحية سامة او غير سامة ولا يعلم كون الحية سامة الا من وجود انياب السم فيها .

(٤) كيفية اللدغ

ومنهُ . اذا لدغت الحية فبماذا تجرح أبلسانها ام باسنانها وكيف تضع السم في الجرح

ج للافعى السامة نابان في فكها الاعلى كما ترى في هذا الشكل وعند اسفلهما



جرابان فيهما السم وهي تجرح من تلدغهُ بنابيها فينعصر السم من الجرابين ويخرج من ثقب في النابين او يجري بميزاب فيهما ويدخل الجرح ويسري مع الدم

---

(٥) جثة منفتاح

امبابه . سمعان افندي عوض . اكتشف بعض الاثريين جثة زعموها جثة منفتاح فرعون موسى . واذا رجعنا الى نص الكتاب

المقدّس رأينا ان فرعون وكل جنوده غرقوا في البحر وطفت جثثهم عليهِ فلم يبقَ احد من المصريين حياً ليحمل جثة ملكهِ ويعود بها الى البلاد لتحنط وتدفن ولا ينتظر من بني اسرائيل انهم يفتشون عن جثتهِ ويقطعوا بها البحر ثانيةً ويردوها الى بلادهِ. وهب ان المصريين سمعوا ان فرعونهم وجنوده غرقوا كلهم في البحر وتبعوهُ ليخلصوا جثته فانهم لا يصلون الى بحر سوف حتى يكون السمك قد اكل الجثة اوحلَّ بها الفساد فكيف يقول العلماء انهم وجدوا هذه الجثة محنطة محفوظة الى الآن

ج لبعض العلماء سخائف تبعد عن الحقيقة بعد خرافات العجائز عنها. ولا ندري كيف يبحثون عن فرعون موسى بحثاً علمياً وهم لم يجدوا حتى الآن دليلاً واحداً اثرياً على ان بني اسرائيل كانوا ساكنين في مصر في العصر الذي يقال انهم كانوا ساكنين فيهِ. وهذا لا ينفي رواية التوراة ولكنهُ يمنع رجال العلم من البحث عن فروع قضية بحثاً علمياً قبل اثبات القضية نفسها اثباتاً علمياً. فعلم الآثار المصرية لم يثبت حتى الآن ان بني اسرائيل كانوا ساكنين في مصر في عهد منفتاح او قبلهُ فكيف يستطيع ان يبحث عن خروجهم من مصر في زمنهِ او زمن غيرهِ. لكن كثيرين من العلماء صاروا تجاراً يتجرون بعلمهم فيعرضون منهُ البضاعة التي تروج في السوق ويصورونها في الصورة يقبلها القرَّاء حقيقية كانت او غير حقيقية. وهذا من العقبات في سبيل العلم

وجملة القول ان البحث عن فرعون موسى على نوعين كتابي وعلمي فالكتابي يجب ان يقف فيهِ المسيحيون عند نص الكتاب. وهو "ان الماء رجع وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذي دخل وراءهم في البحر لم يبقَ منهم ولا واحد" وان الله "دفع فرعون وقوتهُ في بحر سوف" والعلمي يجب الوقوف فيهِ عند حد الاكتشافات الاثرية التي كشفت حتى الآن ولا ذكر فيها لخروج بني اسرائيل من مصر ولا لاستعبادهم فيها ولا لنزولهم اليها. نعم انهُ وجدت فيها بعض المدن التي ذكر اسمها في التوراة ولكن وجودها فيها لا يثبت خبر العبودية والخروج اكثر مما يثبتهُ وجود مصر نفسها ووجود البحر الاحمر. وهذا لا ينفي ان توجد غداً كتابات مصرية قديمة تنطبق على خبر التوراة تماماً وهبْ انهُ لم توجد قط فخبر التوراة لا يتوقف ثبوتهُ وتأييدهُ على شهادة الآثار المصرية بل هو ثابت لذاتهِ عند المؤمنين بهِ صدَّقت لهُ شهادة الآثار او لم تصدّق

(٦) اكل السمك وشرب اللبن

ومنهُ. من الامثال النحوية قولهم "لا تأكل السمك وتشرب اللبن" فهل من سبب طبي للنهي عن اكل السمك وشرب اللبن في وقت واحد

ج كلاَّ وقد جرَّب احد مشتركي المقتطف اكل السمك وشرب اللبن على صور شتى فلم يجد لهُ اثرًا من الصحة ونشر ذلك في المقتطف. ولم نرَ في كتب العرب ما يشير الى اصل هذا القول. وقد ذكر ابن البيطار في الكلام على السمك انهُ اشرّ ما يكون واوخمهُ وابطأهُ نزولاً اذا جمع الى البيض ولم يشر الى ضررهِ اذا جمع مع اللبن

(٧) ضرر الغيل

ومنهُ. يقال ان من ترضع ابنها وهي حامل يعتريهِ النحول لانهُ يغار من الجنين فهل ذلك صحيح وما سببهُ

ج هو صحيح غالبًا من حيث النحول لان لبن الحامل يصير قليلاً قليل الغذاء لانصراف دمها الى تغذية جنينها. واما الغيرة فلا محل لها وحقيقة الكلمة غيل من غالت المرأة ولدها ارضعتهُ وهي حامل

---

(٨) اصل اسم افريقية

امبابه. اسكندر افندي نبيه. لماذا تُسمى افريقيا بهذا الاسم وكذا اسيا واوربا واستراليا

ج ان اسم افريقية كان خاصًا ببلاد صغيرة على الشاطئ الشمالي ولم يطلق على القارَّة كلها الاَّ في زمن الرومانيين واسم اسيا كان اولاً خاصًا بسهول افسوس. اما اوربا فقد اختلف الكتَّاب في اصل اسمها فقال الاقدمون انها سُميت كذلك باسم اوربا بنت اجنور ملك فينيقية التي حملها المشتري الى كريت في زعمهم. وقال البعض انها سُميت كذلك من كلمة اورس اي ريح الصبا وقال المحقق هرمان ان هذه الكلمة استعملها هوميروس اولاً للدلالة على البر او بسيط الارض سمى بها بر ثراقية تمييزًا لهُ عن الجزائر اليونانية فاطلقت على قارَّة اوربا كلها. ويميل الباحثون الآن الى ان الاسم فينيقي من اربه اي الظلمة او الغرب اي حيث تغرب الشمس. وكلمة استراليا من اوسترالس اي الجنوب او ريح الجنوب

(٩) طول سكك الحديد

ومنهُ. كم طول سكك الحديد في الدنيا كلها

ج نحو ٤٥٥ الف ميل وهي موزعة هكذا ٢١٠ آلاف ميل في اميركا الشمالية و ١٦٣ الف ميل في اوربا و ٣١ الف ميل في اسيا و ٢٧ الف ميل في اميركا الجنوبية و ١٤ الف ميل في استرالازيا و ١٠ آلاف ميل في افريقية

(١٠) ترجمة الكتاب المقدس

ومنهُ. مَن اول مَن ترجم الكتاب المقدَّس الى اللغة الفرنسوية ومَن اول مَن ترجمهُ الى الانكليزية

ج لا نعلم مَن ترجمهُ الى اللغة الفرنسوية اولاً ولكنهُ طُبع بها اولاً سنة ١٤٨٧ وترجمهُ الى اللغة الانكليزية وكلف في نحو سنة ١٣٨٢

(١١) لون الماء

سنورس . عزيز افندي ابرهيم . قرأت في بعض الجرائد ان الماء لا لون لهُ ولا طعم ولا رائحة فهل ذلك صحيح

ج يراد بالماء هنا الماء الصرف وهو خالٍ من الطعم والرائحة ولكن لهُ لون ازرق ولا يرى هذا اللون اذا كان الماء قليلاً واما اذا كان كثيرًا ظهر لونهُ فاذا كان عندكم اناء زجاجي ارتفاعهُ نصف متر او اكثر وملأتموهُ ماء ووضعتم تحتهُ ورقة بيضاء ونظرتم اليها من فوق الماء حتى يمر النور المنعكس في الماء رأيتم لونها ضاربًا الى الزرقة كانكم نظرتم اليها من خلال زجاجة ضاربة الى الزرقة

(١٢) اشتعال الالكحول

ومنهُ . اذا وضع الالكحول (السبيرتو) على عضوٍ من اعضاء الجسد واشعل بالنار فلا تؤثر النار في العضو الاَّ بعد ان يتلاشى الالكحول وقد جربت ذلك بنفسي في احد اصابعي فما سبب ذلك

ج ما دام السبيرتو موجودًا بين الجلد واللهب لم تتصل حرارة اللهب الى الجلد لان السبيرتو غير موصل للحرارة وكذا كل السوائل فانها لا توصل الحرارة من اعلى الى اسفل لسبب طبيعي وهو ان الدقيقة التي تسخن تتمدَّد وتطلب الارتفاع فتبعد عن الدقيقة التي تحتها لسهولة حركتها ولا توصل حرارتها اليها



مجمع ترقية العلوم الاميركي

التأم هذا المجمع في مدينة نيويورك من ٢٣ يونيو الى ٣٠ منهُ وكانت العادة ان يلتئم في اواخر شهر اغسطس فقدّم اجتماعهُ هذا العام حتى اذا اراد احد المجيء الى باريس وحضور مجتمعاتها العلمية لا يعاق عن ذلك. ولم يحضرهُ كثيرون من غير اعضائهِ . ومن الاقوال الغريبة التي قيلت فيهِ ان الولايات المتحدة الاميركية تدفع الآن مئة وخمسين مليون ريال كل سنة على قتل اهالي فيلبين. وقد قال هذا القول المستر اتكينصن الاحصائي الشهير فاعترض عليهِ الحضور وطلبوا ان لا ينشر هذا الكلام في اعمال المجمع فقال ان انتم منعتموهُ من النشر زاد طلب الناس لهُ فقد مُنعت مرة من نشر رسالة فبعت منها مئة الف نسخة ولم اكن انتظر ان ابيع الفين

خطر التعدين

التعدين او استخراج المعادن من اكثر

الاعمال خطرًا ولذلك كان القدماء يخصونهُ بالاسرى كانهُ قصاص لهم . وقد احصت احدى الجرائد النمسوية عدد المعدنين الذين قُتلوا في المناجم في السنوات الخمس الاخيرة فاذا هم ٧٠٠ في المانيا اكثرهم قتلوا بسبب اشتعال الغاز و٦٥٠ في روسيا قتل ثلاث مئة منهم غرقًا بانصباب الماء في الفحم. و٣٩٥ في اميركا و٣٦٥ في انكلترا و١٣٦ في المجر و١٠٨ في اسبانيا و٧٠ في فرنسا و٤٨ في بلجكا . وقلة القتلى في فرنسا على اتساع مناجمها دليل على حسن ادارة المناجم فيها

دعوى غريبة

جاء في السينتفك اميركان ان واحدًا ادَّعى في فينَّا ان سكة الحديد هزَّت جسمهُ هزًّا ازاح قلبهُ من موضعهِ وعرضهُ للموت الفجائي وأُقيمت الدعوى امام المحكمة فعينت اهل خبرة من الاطباء ينظرون في ذلك فحكموا ان قلب الرجل هبط قليلاً عن وضعهِ الطبيعي وهو قد يعيش سنين كثيرة ولكنهُ صار معرَّضًا للموت الفجائي فلا يستطيع ان يجهد نفسهُ في العمل فحكمت لهُ المحكمة بتعويض كافٍ

آلات المعارض

قابل المسيو اند يرت قوات الآلات البخارية التي استعملت في المعارض المختلفة فبان ان الآلات التي استعملت في معرض سنة ١٨٦٧ كانت قوتها ٨٥٤ حصانًا وفي معرض سنة ١٨٧٨ كانت قوتها ٢٥٣٣ حصانًا وفي معرض سنة ١٨٨٩ كانت قوتها ٥٣٢٠ حصانًا وفي معرض سنة ١٩٠٠ الحالي قوتها ٣٦٠٨٥ حصانًا . وفي القسم الفرنسوي فقط ١٨ آلة قوتها ١٤٤٣٥ حصانًا وفي القسم الاجنبي ١٩ آلة قوتها ٢١٦٥٠ حصانًا فمتوسط قوة الآلة منها ١١٤٠ . اما الآلات التي استعملت في المعرض الاول فكان متوسط قوة الآلة منها ١٦ حصانًا فقط

وقود نشارة الخشب

كانت معامل الخشب الكبيرة تضيق ذرعًا بنشارة الخشب التي تخرج منها كل يوم واخيرًا اهتدت الى عمل اقراص منها توقد بدل الفحم الحجري . وفي بلاد النمسا معمل كبير يجبل هذه النشارة بمادة قطرانية ويصنع منها اقراصًا كالاجر ثقل القرص منها نحو نصف رطل وهو يصنع ستة ملايين قرص في السنة تبلغ نفقة الالف منها نحو اربعة غروش ولكنها تباع بعشرين غرشًا . فيبقى منها ربح وافر وهكذا استحال الضرر الى نفع

مضرَّة اخرى للتراماواي

اثبتت جريدة السينتفك اميركان ان اسلاك التراماواي الكهربائي التي تجري عليها الكهربائية تضرُّ بالاشجار التي تمرُّ بقربها او تتصل بها فتضعف رويدًا رويدًا الى ان تيبس . وتضرُّ ايضًا بانابيب الماء الممدودة تحتها

جزاء القوَّاد

التاجر الذي ينجح في تجارتهِ لا يدركهُ من الكهولة حتى يصير غنياً قادراً ان ينقطع عن الاعمال ويعيش من ريع امواله وكذلك الطبيب والمحامي واما رجال الجيش فاقل الناس بختاً من هذا القبيل لانهم يخاطرون بنفوسهم في مصلحة بلادهم ثم لا يتقاضون الاَّ اجوراً لا تكاد تقوم بنفقاتهم . وقد كانوا في الازمنة الغابرة يعتمدون على نصيبهم من الغنائم فكانت قيادة الجيوش تجارة رابحة اما الآن فلم يبقَ شيء من ذلك الاَّ نادراً . وقد رأي الانكليز ان لا بدَّ لهم من مجازاة قوادهم بالمال حينما يفوزون فوزاً مبيناً جزاء لهم واغراء لغيرهم ومن ذلك انهم اعطوا لورد كتشنر خمسة وعشرين الفاً من الجنيهات لما قهر الخليفة وفتح الخرطوم واعطوا لورد ولسلي خمسة وعشرين الف جنيه ايضاً لما فتح الاشنتي سنة ١٨٧٤ واعطوا لورد روبرتس اثني عشر الف جنيه بعد حرب الافغان او الف جنيه سنوياً مدى عمره . ولما طرد ملبرو الفرنسويين من هولندا سنة ١٧٠٢ اعطوهُ دوقية وخمسة آلاف جنيه كل سنة . ولما فاز في واقعة بلنهيم سنة ١٧٠٤ بنت لهُ الملكة حنة قصراً بلغت نفقاتهُ ٢٥٠ الف جنيه . ولما فاز بواقعة رملس سنة ١٧٠٦ اقرَّ البارلمنت على اعطائهِ اربعة آلاف جنيه تدفع اليهِ والى نسلهِ كل سنة ابد الدهر وقد بلغ ما دُفع الى عائلتهِ بهذا القرار سبع مئة الف جنيه

ووهب البارلمنت دوق ولنتن على اثر حروب اسبانيا اربع مئة الف جنيه . ولما فاز في واقعة وترلو اعطاهُ املاك ستراثفلدساي واربعة آلاف جنيه تدفع اليهِ سنوياً ولاثنين من نسلهِ

ويقال الآن ان الحكومة الانكليزية تنوي ان تعطي لورد روبرتس بعد انتهاء حرب الترنسفال مئة الف جنيه . ولكن في اسواق لندن وباريس وهمبرج مئات من الصيارفة في خزانة كلٍّ منهم من اوراق مناجم الترنسفال ما ستزيد قيمتهُ بعد هذه الحرب اكثر من مئة الف جنيه وهم لم يحركوا يداً فيها ولم يتجشموا مشقة لها والمرجح انهم لا يدفعون درهماً بل الملوك والوزراء والقواد والجنود والعمال والصناع يتعبون ويشقون نهاراً وليلاً ونفر قليل من رجال الاموال يتطفل عليهم ويتمتع بالنصيب الاوفر من جنى اعمالهم

هبات علمية

ترك ادمند دَوْنت لمدرسة هارفرد الجامعة ١٢٥ الف ريال . ووهب المستر ركفلر مدرسة دنيصون الجامعة مئة الف ريال على شروط ان يهبها غيرهُ ١٥٠ الف ريال قبل شهر يوليو الحاضر فوهبها بعضهم هذا المبلغ المشروط

فاستحقت المبلغ الاول ايضاً . ووهب المستر ستراتن مدرسة كولورادو الكلية خمسين الف ريال

وترك المستر جونس كلارك لمدرسة كلارك الجامعة التي انشأها مليون ريال اذا استطاع مديروها ان يجمعوا لها خمس مئة الف ريال أُخرى. وترك لمكتبة هذه المدرسة مئة الف ريال ولدار الفنون فيها مئة الف ريال أُخرى . ووهب اثنان مدرسة وشنطون الجامعة حصتهما في املاك شركة وريع هذه الحصة السنوي ١٢٠ الى ١٣٠ الف ريال

الدكتور خليل عازوري

جاءنا من لبنان نعي كريم قومهِ الدكتور خليل عازوري احد ابناء المدرسة الكلية الاميركية في بيروت . دخل القسم الطبي منها حين انشائهِ سنة ١٨٦٧ وتلقى العلوم الطبية والجراحية وجاء القطر المصري فاقام فيهِ يتعاطى صناعة الطب الى ان انحرفت صحتهُ فعاد الى لبنان . ثم اختير عضواً في مجلس ادارة الجبل فاشتغل بمهامهِ اشتغال رجل قرن العلم بالاختبار الطويل

حريق هائل

شبت النار في جانب من ارصفة نيويورك في الثلاثين من شهر يونيو الماضي واتصلت الى السفن التي في المرفإ فمات بها نحو اربع مئة نفس واحترقت ثلاث من اكبر البواخر التابعة شركة لويد الالمانية الشمالية وارصفتها الاربعة . وخسرت الشركة بسبب ذلك نحو خمسة ملايين من الريالات

هدم المعرض

في اليوم الذي فتح فيهِ معرض باريس رسمياً امضيت شروط مع بيت من بيوت شيكاغو لهدم مبانيهِ بعد اقفالهِ . وهذا البيت هو الذي هدم مباني معرض شيكاغو ومباني معرض اوماها باميركا فكان تلك المباني البديعة المنظر غمامة صيف عن قريب تقشع

العلم في الحرب

اضافت نظارة الحربية الانكليزية الى ميزانيتها للعام المقبل ٩٥٠٠ جنيه لاجل التلغراف الاثيري و٣٦٠٠ جنيه لكي تبتاع بها تلسكوبات للمدافع السريعة الاطلاق و١٦٥٠٠ جنيه لاجل آلات الجيروسكوب التي توصل بالتوربيدو

قتلى الصواعق

قتلت الصواعق في العام الماضي ٥٦٢ نفساً من اهالي الولايات المتحدة الاميركية ولم يبلغ عدد الذين صعقوا هذا المبلغ في سنة من السنين الماضية . و ٤٥ في المئة من هؤلاء صُعِقوا في الخلاء و ٣٤ في المئة صعقوا فى البيوت . و ١١ في المئة صُعِقوا تحت الاشجار و ٩ في المئة في مخازن العلف وقتل اثنا عشر وهم ينشرون الثياب على حبال من

الاسلاك المعدنية . وواضح من ذلك ان القيام تحت الاشجار ليس اشد خطراً من غيره كما هو المظنون

كلفة كبيرة في الشمس

وصفنا تلسكوب معرض باريس في احد الاجزاء السابقة من المقتطف وكنا نتصفح الجرائد العلمية عسى ان نجد فيها شيئاً جديداً اكتشف بهذا التلسكوب فلم نجد سوى انهُ كشفت بهِ كلفة كبيرة على الشمس قطرها قدر محيط الارض اي ٢٥ الف ميل فان كانت كذلك فهي تكاد ترى بالعين من غير تلسكوب

توزيع الهواء البارد

طلبت احدى الشركات من مجمع الامة الاميركي ان يأذن لها في مد الانابيب تحت اسواق مدينة وشنطون في اميركا لاجراء الهواء البارد فيها الى المنازل والمكاتب والمخازن كما يجري غاز الضوء الآن وهي تبرّد الهواء في معمل كبير كما يُصنع فيهِ الثلج وترسلهُ الى البيوت في انابيب ممدودة تحت الارض كما تقدَّم. فنتوسل الى هذه الشركة ان تذكر عاصمة الديار المصرية وترسل الينا فرعاً منها يسعى لدى حكومتنا في امتياز مثل هذا فيتاله حالاً ونكون لها من الشاكرين

ملك ايطاليا

فاجأنا البرق بنعي الملك العادل الحازم امبرتو الاول ملك ايطاليا اغتالتهُ يد أثيمة في ٢٩ يونيو بمدينة منزا قصبة ملوك لمبرديا القديمة وهو في السادسة والخمسين من عمرهِ ولد في ١٤ مارس سنة ١٨٤٤ واقترن بابنة عمهِ الاميرة مرغريتا سنة ١٨٦٨ وخلف اباهُ الملك فكتور عمانوئيل سنة ١٨٧٨ . ولهُ اليد البيضاء في الاتحاد الايطالي والبلاء الحسن في حروب سنة ١٨٦٦ . وقد حاول احد الاشرار قتلهُ في ١٧ نوفمبر سنة ١٨٧٨ وحاول آخر قتلهُ سنة ١٨٩٧ على ما هو مشهور عنهُ من الدعة والبر بالرعية

الدكتور دري باشا

استأثرت رحمة الله بالجراح الشهير الدكتور محمد باشا دري فقضى صباح الثلاثين من يوليو . وكان عالماً عاملاً اشتهر بفن الجراحة علماً وعملاً ولهُ العمليات الدقيقة فيهِ وقد درَّس هذا الفن سنين كثيرة في مدرسة قصر العيني الطبية ولهُ فيها معرض لما استخرجهُ من الحصوات المثانية والنواسير والسراطين وما اشبه . وكان حريصاً على العلم راغباً في انتشارهِ اقتنى مطبعة خاصة لكي يطبع فيها كتبهُ وينشرها بين تلامذتهِ

الطاعون

مضى جانب كبير من هذا الشهر لم تحدث فيهِ حوادث جديدة بالطاعون في الاسكندرية ولا في بورت سعيد وقد بلغ

عدد الذين اصيبوا بهِ حتى التاسع والعشرين من الشهر ١٠٥ توفي منهم ٤٥ وشفي ٥٨

واصيب اربعة بمرض في مدينة بيروت اشتبه بكونهِ الطاعون فضرب الحجر الصحي في القطر المصري على واردات بيروت كما تضرب بيروت الحجر الصحي على من يضي اليها من القطر المصري ووضع النطاق الصحي (الكوردون) بين بيروت ولبنان . لكن المصابين شفوا ولا يظهر ان احداً عدي منهم ولا ثبت انهم كانوا مصابين بالطاعون . وقد دخل الطاعون بلاد سدني باستراليا ومرَّ عليهِ فيها بضعة اشهر لا يقوى على الانتشار ولا يقوون على ازالتهِ . وبحث الدكتور تدسول عنهُ في مجمع ترقية العلوم الاسترالي فاشار الى علاقة الجرذان بهِ وقال انهُ ذكرت امثلة كثيرة حيث ابتدأ الطاعون في الجرذان وانتقل منها الى البشر من ذلك انهُ وجدت جرذان ميتة مرةً في معمل من معامل القطن بمدينة بمباي فرفعها عشرون من العمال وطرحوها في مكان بعيد فاصيب نصفهم بالطاعون في ثلاثة ايام واما بقية عمال المعمل فلم يُصب احد منهم بهِ. ومنهُ ان سائساً وجد جرذاً ميتاً في اسطبل ببمباي واخرجهُ من الاسطبل فاصيب بالطاعون بعد ثلاثة ايام ومات بهِ . ولكن كثيرين وجدوا الجرذان الميتة ورفعوها ولم يصابوا بشيءٍ وكثيرين اصيبوا بالطاعون ولم يلمسوا جرذاً ميتاً فما تكون علاقة الجرذان بالطاعون . والجواب على ما يظن ان البراغيث تقصد الجرذان بكثرة فاذا كان الجرذ سليماً قلَّ تقصدهُ منها ولكنهُ اذا مرض كثرت في بدنهِ واذا مات بقيت فيهِ الى ان يبرد جسمهُ وحينئذٍ تفارقهُ فلا يبقى ضرر من لمسهِ بعد مفارقتها لهُ واما اذا لُمس قبل ذلك طارت البراغيث منهُ الى من يلمسهُ ومعها ميكروب الطاعون فلقحت بدنهُ بهِ . وهي تنتقل من جرذ الى آخر ايضاً فتنقل العدوى اليهِ وتلقحهُ بها . ومعلوم ان الجرذان تنقل من بلاد الى اخرى ببضائع التجار من مثل الارز والسكر ونحوها فلا يبعد ان يكون ذلك سبب انتقال الطاعون من الهند الى غيرها

قوات الدول البحرية

اذا حُسبت قوة اليابان البحرية مئة فقوات الدول الاوربية البحرية بالنسبة اليها هكذا

بريطانيا	٦٣٨
فرنسا	٢٥٧
روسيا ..	١٨٨
الولايات المتحدة	١٦٥
المانيا	١٣٤
ايطاليا	١٠٣
اليابان	١٠٠

ويظهر من ذلك ان قوة بريطانيا العظمى البحرية تساوي قوات فرنسا وروسيا والمانيا وايطاليا

فهرس الجزء الثاني من المجلد الخامس والعشرين

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الخامس والعشرين

١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٠ — الموافق ٦ جمادي الاولى سنة ١٣١٨

ملك ايطاليا



قد يُظن لاول وهلة ان رجال العلم لا يفرقون بين الملوك وغيرهم من عامة الناس . وهذا صحيح اذا نظروا اليهم من حيث بناء اجسامهم وصحة ابدانهم ومضاء عقولهم ونكتهُ غير صحيح اذا نظروا اليهم من حيث مقامهم في المجتمع الانساني ومقدرتهم على النفع والضرر فهم من هذا

القبيل يمثلون قوةً عظيمة من اعظم قوى المجتمع الانساني . ولذلك تنشر المجلات العلمية والادبية سيَر الملوك والوزراء اذا كان لهم شأن في ترقية بلادهم كما تذكر سير العلماء والفضلاء

وقد حدث في اواخر الشهر الماضي حادث عظيم ارتجت له النوادي السياسية والادبية واهتمَّ بهِ علماء الاخلاق والباحثون في مصير المجتمع الانساني وهو اعتداء رجل خامل الذكر على ملك عظيم الشان لا لذنب جناهُ هذا الملك على ذلك الرجل او على احد من خاصتهِ او على احد من الناس ولا لان ذلك الرجل مصاب بدخل في عقلهِ او انهُ فعل ما فعل خطأً عن غير عمد كلاَّ بل هو في تمام العقل وقد فعل ما فعل عن قصد وروية وغرضهُ وغرض رفاقهِ الفوضويين التنكيل بالملوك كأنهم يحسبون انهُ اذا قُتِل الملوك زالت ادواء الاجتماع الانساني وبطل الفقر وقلَّ الكرب الى غير ذلك من المزاعم الفاسدة

وقد جمعنا السطور التالية مما كُتب في سيرة هذا الملك و يظهر منها انهُ كان من خيرة الملوك ومن خيرة الناس اجمع ولذلك فاغتيال الفوضويين لهُ دليل على فساد قواعدهم

لما توفي الملك فكتور عمانوئيل ملك ايطاليا شعرت الامة الايطالية بفقد عزيز احياها ورفع مقامها بين الممالك الاوربية ولكنها علمت وعلمت اوربا كلها ان العبء الذي القاه على عاتق ابنهِ ثقيل لان تنظيم الممالك وترسيخ قدمها في العمران اعسر من فتحها وجمع شملها . وكان عليهِ ايضاً ان يقتدي بابيهِ ويحتفظ بالمقام الرفيع الذي اوجدهُ في قلوب شعبهِ ولذلك قال في المنشور الاول الذي نشرهُ على الايطاليين ان غاية ما يتمناهُ هو ان يستحق محبة شعبهِ . واجتمع كثيرون منهم تحت قصرهِ ونادوا بهِ ملكاً فلما اشرف عليهم ضمَّ ابنهُ الى صدرهِ وقال لهُ اني اقسم لك باني ساعيش عيشة تجعل الشعب الايطالي ينادي بك ملكاً حال موتي على هذا الاسلوب من الولاء . فكان كما قال

وُلد امبرتو الاول ملك ايطاليا في مدينة تورين في ١٤ مارس سنة ١٨٤٤ في مثل اليوم الذي وُلد فيهِ ابوهُ . وامهُ ماري ادليدا ابنة ارتشديوك رانياري والي لمبرديا والبندقية وكانت من فضليات النساء واشدهنَّ رأَماً لاولادهنَّ واهتماماً بتهذيبهم وتعليمهم وجرت في تربية اولادها مجرى بيت سافوى الذين يربون اولادهم تربية النشاط والقوَّة ليكونوا من الابطال المعدودين حتى جرى المثل " ان سافوى والخوف لا يجتمعان "

وتوفيت هذه الام الفاضلة وعمر امبرتو احدى عشرة سنة وتركت اولادها لعناية والدهم الملك فكتور عمانوئيل . وكانت مشاكل البلاد ومشاغلها كثيرة فلم يكن لهم بدٌّ من مراقبتها والتشوُّف الى الوقت الذي يصيرون فيهِ قادرين على مساعدة ابيهم في تحرير بلادهِ . ولما كانت

عمر امبرتو ١٥ سنة ركب مع ابيهِ وخرج للحرب في احدى المعارك التي كان لها الشأن الاكبر في مستقبل ايطاليا . ثم أُرسل في سهام اخرى فاعرب عن همة وحصافة رأي يندر وجودهما في مَن كان من سنهِ

وسنة ١٨٦٦ وقع القتال بين الايطاليين والنمسويين وكانت القيادة للبرنس امبرتو ومن ثم صار يخرج للحرب كما دعت الحال. ومن اعمالهِ التي تدلّ على شهامتهِ وعزة نفسهِ تنازلهُ للحكومة عن راتبهِ اذ رأى البلاد مثقلة الكاهل بنفقات الحروب. وكان باسلاً يعترض الموت اذا اعترضهُ ومما يؤثر عنهُ أنهُ وبّخ احد قوّادهِ حين اسرع هذا لانقاذهِ فانهُ التفت اليهِ وقال لن اغفر لك اسراعك لانجادي

وفي الرابعة والعشرين من عمرهِ دعا ابوهُ وزيرهُ وطلب اليهِ ان ينتقي لابنهِ زوجةً اميرة فاضلة وان يسرع في عملهِ اذ لم يرق في عينيهِ بقاء ولي عهدهِ عزباً واخوهُ الاصغر متزوج فارتأى الوزير ان تكون العروس البرنسس مرغريتا ابنة دوق جنوى وهو عمّ الامير وكانت هذه الاميرة قد ربيت احسن تربية ونشأت على حب الوطن وكانت في الثامنة عشرة من عمرها بيضاء اللون بعينين زرقاوين وقد اشتهرت بالدعة واللطف حتى لُقّبت ملاك ايطاليا

واطنب الوزير في مدح جمالها واخلاقها حتى طرب الملك ووعد وزيرهُ ان يذهب بنفسهِ لزيارتها فيتأكد صحة الخبر بالخبر ولم يلبث ان الحق القول بالفعل فشهد منها ما زاد مقامها في عينيهِ فخطبها لابنهِ واحتفل بزواجها في تورين سنة ١٨٦٨ احتفالاً ملكيًا باهرًا شهدهُ جميع اعضاء الاسرة المالكة وكان في من حضر ذلك الاحتفال الامبراطور فردريك ملك بروسيا وهو لا يزال ولي عهد ابيه

ولم تكن الامة في ذلك الزمان مجمعة على حب هذا الامير اجماعها على اكرام ابيهِ لاسباب اهمها اشتغالها بحب الوالد وكون الامير لم يكن يحسن التصرف بين الايطاليين على ما يرغبون فكان من طبعهِ الترفُّع لا عن كبرياء بل عن شمم على ان الامة لم تبرح ترى فيهِ سرّ ابيهِ وانهُ امير من بيت سافوى وانهُ بطل مجرّب كما اتضح بالامتحان وكان الملك شديد الثقة بابنهِ عارفًا ما فيهِ من حسن الصفات والاخلاق . ومن يقف على تاريخ ايطاليا مدة حكمهِ وينظر في اعمالهِ لا يرى في آمال ابيهِ شيئًا من المبالغة فانهُ لم يلبث على العرش طويلاً حتى اجتذب اليهِ قلوب الرعية وملك افئدتهم بما اتصف بهِ من كرم الاخلاق والمروءة والحكمة والتعقل

وبعد العرس جال هو وزوجتهُ في مدن ايطاليا الكبيرة ما عدا رومية وكانت الحفلات تقام في هذه المدن تكريمًا لهما وترحيبًا بهما ثم عادا الى تورين حيث لبثا ورزقا بعد سنة ونصف

بوحيدها وورث ملكها فسُمّي فكتور عمانوئيل باسم جدهِ . ولما دخلت رومية في حوزة الحكومة الايطالية انتقل الاميران الى قصر الكويرنيال وكان الملك فكتور عمانوئيل يزداد ميلاً الى كنتهِ واعتباراً لها وثقةً بها فتمكنت بذلك من تغيير بعض اطوارهِ حتى اذا ما رقي زوجها الى عرش الملك انعقدت قلوب الامة على احترامها ومحبتها بما شهدوهُ من لطفها ورقتها

ولمَّا ملك امبرتو استهلَّ حكمهُ بعمل حميد اكسبهُ احترام الامة وذلك ان اباهُ خلف ديونًا باهظة فرأى مجلس الامة ان توفيها الحكومة اعترافًا بفضلهِ في تحرير ايطاليا لكن الملك ابى المصادقة على قرار المجلس قائلاً ان ديون ابي ديوني وانا المطالَب بايفائها وللحال شرع يقتصد في نفقات بلاطهِ وباع بعض خيولهِ وظل كذلك الى ان تمكن من ايفاء الدَّين ومكافأة خدم ابيهِ وحشمهِ

ولم يمضِ سنة على ارتقائهِ الى العرش حتى اراد بهِ احد الاشقياء شرًّا وذلك انهُ كان هو والملكة ووزيرهُ داخلين الى مدينة نابولي في مركبة مفتوحة واراد الشقيُّ ان يطعن الملك بحربة فابصرهُ الوزير ومال يحمي مولاهُ وجُرح بدلاً منهُ . فأخذ الغيظ مأخذهُ من الامة وانفتح للملك حينئذٍ ما اكتسبهُ الملك من محبة شعبهِ في مدة حكمهِ هذه القصيرة . ولما حُكم على المجرم بالاعدام عفا عنهُ وابدل الاعدام بالاشغال الشاقة المؤبدة فزادت هذه الشفقة منزلتهُ رفعة في عيون شعبهِ

وما انطوى عليهِ من صدق العزيمة والشجاعة هوَّن عليهِ التفاني في خدمة امتهِ حتى كان يستغرب اعجاب شعبهِ بشهامتهِ يوم كان يتفقد المرضى في اقذر الشوارع حين ظهور الكوليرا فقد قال في ذلك "لم اعمل سوى ما هو واجب عليَّ" . ولم تنزل بالبلاد نازلة الا وهو في مقدمة المساعدين بمالهِ وحميتهِ على ان تلك الحمية لم تصلح حالة البلاد فقد بليت ايطاليا بالفقر لكثرة ما اضطرت اليهِ من الانفاق في سبيل اتحادها ثم رأت من ميل فرنسا عنها ما اضطرها الى عقد التحالف الثلاثي فكان ضغثًا على ابالة من حيث كثرة النفقات الحربية واتت ثالثة الاثافي بالحرب المالية التي اثارتها عليها فرنسا سنة ١٨٨٨ فاتلفت صناعتها وتجارتها . واهتمَّ الايطاليون بعد ذلك بالاستيلاء على بلاد الحبشة فلم يفلحوا وفاز الاحباش عليهم فوزًا مبينًا كاد يقوض اركان الملكية . وكان حنق الاكليروس شديدًا على ملك ايطاليا وجرائدهم لا تنفك عن ايغار الصدور عليهِ ولاسيما في فرنسا فقاوم هذه المحن كلها بالصبر وخرج منها ظافرًا . وطيب سريرتهِ وشهامتهُ اكسباهُ ميل الامة اليهِ فهو العارف باحوالها الخبير بآمالها المرسل كلامهُ الى قلوبها ينطبع فيها كأ باقلام من حديد وهو الذي كان اذا خطب فيها مسَّ اعماق

القلوب واختلب الالباب لا بفصاحتهِ وحسن انشائهِ فقد كان بعيداً من ذلك ولكن بصدق لهجتهِ وخلوص طويتهِ وما فطر عليهِ الايطاليون من الحماسة والحمية

وكان يبرّ بمواعيدهِ اقسم مرة ان لا يدخن ولم يحنث بقسمهِ . وكان ذلك عملاً بنصيحة اطبائهِ لما آنسوهُ فيهِ من اكثارهِ التدخين الى حدّ ان خشوا سوء العاقبة . ولم يكن قويّ البنية كأبيهِ فظهرت فيهِ علامات الشيخوخة باكرًا . ومن اخلاقهِ انهُ كان ولعًا بالخروج الى خارج المدن والتصعيد في الجبال فكان يأوى الى الخيام ويشارك الفلاحين في طعامهم وشرابهم وكان على شغف بالالعاب الرياضية والى هذين تعزى جودة صحتهِ في كهولتهِ . وكان من عادتهِ القيام الباكر لا يميز فيهِ بين برد الهواء او حرّهِ ولا يعتدّ بالمطر ولقد كان يفضل ان تبتلّ ثيابهُ من المطر على ان يستظل بمظلة تقيهِ وكان يقف في الاستعراضات بضع ساعات معرضاً لحر الشمس وهو يهزأ بالذين يطلبون الظل والراحة . وعدم اعتدادهِ بالبرد والحرّ خُلق من اخلاق أُسرتهِ ودليل آخر على قلة اكتراثهِ للمخاطر

وكان محباً لزوجتهِ يعتمد عليها في الرأي ويستشيرها في امور كثيرة ولهُ معها وقائع يصح اتخاذها دلائل على اخلاقهِ فمن ذلك انها الحت عليهِ ان يصبغ شعرهُ وكان قد لعب بهِ المشيب شاباً فلم تلقَ منهُ قبولاً فعمدت الى الحيلة على ما قيل فاتت بمقدار من الخضاب ووضعتهُ في غرفتهِ ومعهُ ورقة فيها تبيان كيفية استعمالهِ وانتظرت ما يكون وكان لها كلب ابيض طويل الشعر وبعد بضعة ايام رأت هذا الكلب مسرعاً الى غرفتها وقد تبدّل بياضهُ بالسواد ولبس من الصبغ حلة أسكتتها فلم تعُد تفاتحهُ في هذا الموضوع . وسأل مرة احد كتابها عمّا يصلح ان يقدم لها على سبيل الهدية في عيد الميلاد فأجابهُ هذا ان جلالتها مديونة كثيراً للخياطين فطلب ان يؤتى اليهِ باوراق الحساب فأُتي بها اليهِ وفي صباح العيد وضع جميع تلك الاوراق على المائدة امام كرسيها مع الوصل باستلام الدراهم من اصحابها ولم يزد عليها هدية واحدة فرأت الاوراق وفطنت لقصدهِ وشرعت تقتصد في نفقاتها على لبسها من ذلك الحين

وحكى ولي العهد الحكاية الآتية قال رأى ابي امي وهي تضع النظارات على عينيها لتستعين بها على قراءة الموسيقى فصاح قائلاً يا مرغريتا ابعديها عنك فاني لا اطيق رؤيتها فلم تصغِ الى قولهِ فقال اذا لم تطرحيها جانباً فاني أُغني فاطاعت للحال لكي تتخلص من سماع غنائهِ لانهُ عادي الصوت لا يحسن ضبط الانغام . ومما يحكى عن الملكة انها سافرت وولي العهد مرة من بالرمو الى نابولي فعصفت الريح وهاج البحر حتى خشي القبطان على من في السفينة فجمع الضباط واستشارهم في الامر وفيما اذا كان الاجدر بهم التقدم فاجمعوا على العودة الى بالرمو وعرضت المسألة على

مولاتهم فاتوها مستشيرين وكان بيدها ورقة بيضاء فاخذت قلماً وكتبت عليها " Sempre avanti Savoia " ومعناهُ ان سافوى يجب ان تسير دائماً الى الامام وهي شعار بيت الملك عندهم

وقد حاول الفوضويون الاعتداء على حياة الملك امبرتو مرتين غير هذه الاخيرة كانت الاولى في نابولي كما تقدم والثانية في سنة ١٨٩٧ ولقي في الثالثة حتفهُ وهو لم يتجاوز سبعاً وخمسين سنة من العمر. وقد فصلت الجرائد الايطالية مقتلهُ فقالت انهُ اسرع بعد العشاء في ليلة ٢٩ من شهر يوليو للذهاب الى حفلة الالعاب الرياضية لانهُ كان قد سبق فوعد اصحابها بالحضور حين توزيع الجوائز فحاولت الملكة ان تثنيهُ عن عزمهِ فلم تفلح وابى ان يخلف وعدهُ فركب واثنين من قوادهِ في مركبتهِ وتبعهم المندوب الخاص واحد وكلاء البوليس في مركبة اخرى فلما وصل الى مكان الحفلة الفاهُ غاصاً بالحاضرين والطريق مسدوداً والشرفة المعدة لهُ مملوءة بالمتفرجين وبعد العناء الشديد تيسر فتح الطريق واخلاء الشرفة ثم وزعت الجوائز على مستحقيها وحيا الملك الذين نالوها مصافحة جرياً على عادتهِ وبعد ان حدث من حولهُ نهض يريد الانصراف فهتف الحضور مراراً ليحيَ الملك وتراكضوا جميعاً الى طريقهِ وكان ممسكاً قبعتهُ بيدهِ فجعل ينظر باسماً الى من حولهُ وتقدم على مهل الى مركبتهِ بين صفوف الناس ثم صعد الى المركبة ووقف حاسر الراس وجعل يحيي الجمهور الذي تألب حولهُ اظهاراً لشكرهِ لهُ وكان رجال البوليس قد حاولوا ابعاد الناس عن مركبتهِ فلم يفلحوا . ثم ادار المندوب الخاص ظهرهُ وسار ووكيل البوليس الى مركبتهِ مزاحماً وعند ذلك تقدم رجل الى الصفوف الامامية ووقف على مسافة متر ونصف من الملك وسدد مسدسهُ عليهِ ساكن الجأش واطلق عليهِ اربع رصاصات فجرحتهُ واحدة منها جرحاً بالغاً في الفسحة الرابعة بين الاضلاع واصابت الثانية الترقوة اليسرى واستقرت الثالثة في الفسحة على طول الخط الابطي فاكبَّ على ركبتيهِ ثم استلقى على ظهرهِ وامر سائق المركبة ان يسير مسرعاً فجرت الخيل عدواً الى القصر الملكي. وانقض الجمهور ورجال البوليس على القاتل فقبضوا عليهِ اما الملك فبقي ساكتاً بضع دقائق ثم صعَّد زفرات قليلة وفاضت روحهُ قبل ان يصل الى قصرهِ . ويقول القاتل انهُ ارتكب هذه الجناية لبغضهِ الملوك لا لسبب آخر .

وقد شمل الحزن كل من سمع بخبر هذه الفاجعة واشتدَّ حنق الناس على الفوضويين ومبادئهم القبيحة وستكون هذه الجريمة من مقوضات اركانهم وممزقات شمل عصبتهم ومسهِّلات عقاب الملك على ابنهِ فكتور عمانوئيل الثالث لانها تكرّه الامة بالجمهوريين المتطرفين وتبعدها عنهم حتى تنحل عصبتهم ويفضي امرهم الى لا شيء

دوق ادنبرج



لقد صدق من قال " تنوَّعت الاسباب والموت واحد " ولكن القضاء الطبيعي الناتج عن مرض عجز عنهُ علم الطب او عن انحلال اقتضتهُ الشيخوخة ودعا اليهِ نفاد القوى لا يحرك الغيظ في النفوس ولو ادمى القلوب والعيون ويمثل ذلك قوبل موت دوق ادنبرج ابن ملكة الانكليز وثاني اولادها فانهُ قضى بداء ضاعت فيهِ حيل الاطباء

وكان من حداثة سنهِ كثير الاجتهاد والحذق يرع في العلوم التي تعلمها وفاق اقرانهُ . وبعث ابوهُ مرةً باوراق امتحانهِ الى الوزير اللورد دربي ليطَّلع عليها فلما قرأها كتب الى ابيهِ يقول " اني اشكر الله لانهُ لم يشترط على وزراء المملكة ان يمتحنوا مثل هذا الامتحان والاَّ ما وُجد وزراء يكفون لتأليف وزارة "

وكتب ابوهُ الى البارون ستكمر سنة ١٨٦٠ يقول لقد ودَّعنا الفرد ومضى الى رأس الرجاء الصالح بطريق ريو جنايرو. ومن الغريب ان اخاهُ مضى الى كندا ليفتح جسراً (كبري) انشئ على نهر سنت لورنس وهو مضى ليضع حجر الزاوية في مرفإ مدينة رأس الرجاء وسيحدث ذلك في اسبوع واحد في طرفي المعمورة. ما ابهج هذه الصورة الدالة على نمو الشعب الانكليزي ومشاركة الاسرة الملكية لهُ في ترقية شؤُون العمران. والناس في هاتين المستعمرتين الجديدتين ينظرون الى ولدينا بالحب والفخر

وكان وهو في السفينة كاحد البحَّارة تماماً ولكنهُ لما نزل الى البر قوبل مقابلة الملوك. ولما عاد من هنالك عاد برفقتهِ السر جورج غراي والي المستعمرة. وكتب الى صديق لهُ بعيد ذلك يقول "لا شيء يسرُّ الفؤَاد اكثر مما رأيناه من البرنس الفرد هنا فهو شاب كريم الاخلاق مملوء من النشاط والظرف وحيث سار قابلهُ الناس بالبهجة والسرور. وهو امهر مني في ركوب الخيل فاجتذب قلوب الرؤساء الوطنيين وسرَّ الاوربيين بما ابدى من الاهتمام بمصالحهم ونجاحهم"

ورآهُ رئيس قبيلة الجيكا وعشرة من مشيريهِ على ظهر السفينة يعمل في تنظيفها مع غيرهِ من الشبان فقالوا لقد رأينا الآن سبب عظمة انكلترا فان ابن ملكتها يخضع لرجل من رعيتها لكي يتعلم الحكمة فاذا كان ابناء العظماء من الانكليز يتركون بيوتهم ورفاهتهم وآباءهم ويتحملون المشاق مع هذا الامير لكي يتعلموا ويصيروا سياجاً لمملكتهم فلا عجب اذا عظمت انكلترا واعتزَّ شأنها ·

وعُرض عليهِ عرش مملكة اليونان سنة ١٨٦٢ باجماع اليونانيين في بلادهم وكل البلدان فاضطرَّ ان يرفضهُ لان بريطانيا وفرنسا وروسيا كانت قد اتفقت سنة ١٨٣٢ على ان لا ينتخب لهذا العرش امير من الاسر المالكة فيها

وهو كهل في سن ملك ايطاليا ولد في التاسع من اغسطس سنة ١٨٤٤ وربي كما رُبي سائر اخوتهِ على ما يعلي شأن بلادهم فدخل الخدمة البحرية وهو في الرابعة عشرة من عمرهِ جرياً على خطة اسلافهِ الذين عززوا قوة انكلترا البحرية بانضمامهم اليها الى ان توفي عمهُ دوق كوبرج وغوتا فانتقلت الدوقية اليهِ بحق الارث سنة ١٨٩٣ وقد اقترن بالاميرة ماري ابنة اسكندر الثاني قيصر الروس سنة ١٨٧٤ ورزق منها ابناً واربع بنات اما ابنهُ واسمهُ الفرد فتوفي في فبراير سنة ١٨٩٩ فانتقلت امارة ساكس كوبرج وغوتا الى ابن عمهِ دوق البني

وقد عمَّ الاسف على وفاة هذا الامير لاسيما وان ام الارض ترثي لمصاب والدتهِ الثاكلة التي ابى الدهر الا ان يجرعها الحسرات مع ما اولاها من بهجة الملك وعظمة الجاه

الفتح النورماندي

لحضرة المؤرخ المحقق جرجي افندي يني الطرابلسي

كان اول النازلين في البيون وهي انكلترا بضعة قبائل من المهاجرين الاسيويين وامة القلط وسمهم البريتون دفعتهم اليها القبائل الجرمانية التي وفدت على اوروبا بعدهم وزاحمتهم على مواطنهم فيها فظلوا يمرحون في جاهليتهم حتى دهمهم الرومان قبيل التاريخ المسيحي فسادوا فيهم بعض الشيء وظلوا يحكمونهم نحوًا من خمسمائة سنة الا انهم لم يقووا على اذلال بعض القبائل لاعتصامها في الجبال فلما رحل الرومان عادت تلك القبائل واهمها اثنتان السكوتس والبكتس يشنون الغارات على الثغور ليغنموا منها ما زانتها به الحضارة الرومانية فلم يقوَ الاهلون على صدهم فاستعانوا عليهم ببعض القبائل الجرمانية التي كانت نازلة في اوروبا في القطر الواقع بين هنوفر وولدنبرج وهم الساكسون والانكلس والجوت فجاؤهم بالنجدة ولكنهم بعد ظفرهم انقلبوا خصامًا اذ نزلوا في الجزيرة وامتلكوها وازدادوا عددًا بكثرة الجالية اليهم من قبائلهم حتى صاروا بكرور الايام اصحاب البلاد وارومة ساكنيها . اعتبر ذلك بانتساب الانكليز الى الانكلوساكسون من البلاد فدعيت باسمهم انكلند اي بر الانكلس وانزوى القلط في وايلس وايرلندا وهضاب سكتلندا

وكان السكنديناف قبائل من الارومة الجرمانية نازلين في بلاد الدانمرك والسويد ونروج يجدّون للعيش في بلادهم الباردة القاحلة فلا يجدون بلغةً الا بشق الانفس فاكتسبوا النشاط والاقدام والمهارة في التجارة يتخذونها سبيلاً للنهب والسلب مدى زمن جاهليتهم فعلوا في اواخر القرن الثامن شيئًا مما احرزت غاليا من الغنى فاتجهت قواربهم السوداء صوب سواحلها الشمالية ومنها الى بريطانيا فشرعوا يأتونها في الاحايين قرصانًا لا يقصدون سوى اغتنام اسلابها لا يزجرهم عن ذلك دين ربهم ودن ولا يمنعهم شيء عن قتل الرجال واختطاف النساء والاولاد لان الانكلوساكسون كانوا يومئذٍ سبعة ممالك كل واحدة قائمة بذاتها والعدوان مستحكم بينها فلا تقوى من جراء ذلك على صد العدو والسكنديناف في خلال ذلك يشنون الغارات تباعًا دراكًا على البلاد حتى امتلكوا ايرلندا وزحف جيش منهم سنة ٨٣٦ الى دورستشير فردهم اكبرت الذي توفق قبل ذلك للتفرد في الملك على ان يبقى بعض اصحاب الممالك الاخرى على حكوماتهم باسم نائب الملك. وتكررت الغارات في ايام خلفائه حتى اتصف

القرن التاسع وقد امتلك السكنديناف سواحل ايرلندا وشمالي غاليا واستفحل امرهم في البحر فاطبقوا على بريطانيا من كل جهةٍ

وفي سنة ٨٦٦ زحف جيش منهم من ايرلندا على اسكتلندا ونزل جيش آخر تحت امر هوبا على سواحل ايست انكليا فاكتسحها وقصد يورك وما لبث ان استولى على نورثمبريا وانضم الجيشان سنة ٨٦٨ ثم أسر نائب الملك في ايست انكليا وقتل وتوّج قائد الشماليين المسمى كثرم ملكاً وخضعت مارشيا المجزية وبالاجمال خرجت كل البلاد الواقعة الى شمالي التمس من يد الانكلوساكسون وصارت في حكم السكنديناف واصبحت مملكة الوسكس التي كانت ذات السيادة على كل البلاد اذاء العدو الاكبر اذ عبر النهر الى بلادها سنة ٨٧١ واضطرمت الحرب فمات في غضون ذلك الملك اثلرد وخلفهُ اخوهُ الفرد فاشترى المصالحة بالمال وارتد السكنديناف الى ما وراء النهر ولكن بعد مضي ثلاث سنوات عادوا فطردوا نائب الملك من مارشيا وجعلوها تحت حكومتهم وهاجموا البلاد فوقعت الحرب بينهم وبين الفرد وكانت سجالاً حتى انكسروا في ودمور فعاقدهم الملك على صلح ظاهرهُ خروجهم من كل بريطانيا وحقيقة امرهِ سلامة قطر وسكس فقط وظلّ القسم الاعظم من البلاد بايديهم مطلقين عليهِ اسم دانلاك مشتقاً من الدنماركيين لكن هذا الصلح لم يكن حاسماً للنزاع بل ظلّ الشماليون يقدمون من بلادهم فيلقون من الفرد ومن خلفائهِ من بعدهِ حروباً داميات

ولم تكن غارات النورمان على انكلترا فقط ولكنهم اغاروا على فرنسا ايضاً وبعد معارك يشيب لها الرضّع تغلّب قائدهم رولف سنة ٩١٢ على الملك شارل الساذج وعاقدهُ على التخلّي لهُ عن الثغور الشمالية فكانت هذه المعاهدة شبيهة بالانكليزية التي عقدت في ودمور فسكن الحال وتنصَّر رولف واتخذ ابنة الملك شارل لهُ امرأةً ثم اعترف بسيادة الملك عليهِ الاَّ ان التنصر والاذعان لسيادة الاجنبي لم يكونا من خُلُق القوم. اما البلاد التي استحوذوا عليها فهي التي اتّسمت باسمهم نورمندي. وبعد وفاة رولف تولى الامارة (الدوكية) ابنهُ وليم وكان متذبذباً في المسيحية وطاعة ملك فرنسا لبقائهِ شمالياً لحماً اعتبر ذلك بما ورد من استقدامهِ شرذمة من الدانماركيين ليسكنهم شبه جزيرة كونتين الواقعة بين سان ميشيل وريف شاربورج وبما ورد من انهُ بعث بابنهِ الى بايو ليربى هنالك على اخلاق قومهِ الباقية على الحالة الاولى بخلاف سائر الجماعة الذين خالطوا الفرنسويين واخذوا عنهم الدين والعادات واللغة وكان من نتيجة فعلتهِ ان نشأ ابنهُ الدوك ريتشارد شمالياً بحتاً فعدل عن المسيحية حيناً من الدهر ذلك لما اشتد ساعدهُ بجماعة المهاجرين الحديثين الاَّ ان ذلك لم يدم طويلاً لان قومهُ ما لبثوا ان دانوا

بالنصرانية واقتبسوا حضارة الفرنسيس واخلدوا الى محاسن الاخلاق وطالت امارة ريشارد من ٩٤٥ الى ٩٩٦ فرأى اثر هذا الانقلاب وشهد صدق ولاء قومهِ للاريكة الفرنسية

ولقد كانت هذه الامارة النورماندية قذىً في عيون ملوك الانكليز لقربها من بلادهم وخوفهم من اساءتها ولكن ما عتم ان رأى بعضهم ان يشد ازره بهم فتزوج اثلرد باما بنت اميرهم فاحكمت عرى الصداقة السياسية بين البلدين حتى اذا اغار الداغاركيون على البلاد فرَّ الملك ملتجئاً الى بلاد نورمندي ومنذ يومئذٍ اتجهت عيون النورمان الى انكلترا يحسبونها مصدر الخير والثروة وتحركت فيهم تلك الاطماع القديمة وهي التي دفعت الدوك روبرت في عصر الملك كنوت ان يقصد تلك الديار بحجة رغبتهِ في ارجاع العرش لملك اثلرد لكنّ العاصفة اجلت الفتح الذي اضمره اذ حطمت سفائنهُ وحالت دون مرامهِ . وخلف الدوك روبرت ابنهُ الدوك وليم وكان قويَّ الارادة شديد الحول يعلو بافكارهِ عن زمنهِ وبمقاصدهِ السامية عن معاصريهِ وفيهِ دهاء السياسيين ومهارة العارفين

الا ان نسبهُ من جهة امهِ لم يكن نبيلاً لان اباهُ الدوك روبرت كان قد رآها ابنة دبَّاغ فعلق جمالها الفتان فاستولدها الدوك وليم فبقي نسبهُ هذا وصمةً يُعاب بها لولا ان سترها مجد اعمالهِ التي بدأها بكبت اعدائهِ في وطنهِ وجوارهِ حتى رسخ قدمهُ واستفحل امرهُ سنة ١٠٦٠ وعُدَّ اولاً بين امراء فرنسا فاضاف مايان الى بلادهِ واخضع بريتاين ومال الى العلم فعضدهُ عضداً قوياً حتى ازهرت في ايامهِ مدرسة بك وازدادت نفعاً برئاسة لانفرنك اللمباردي

اما في انكلترا فان الشماليين الذين غلبوا بعض الاقطار وسكنوها تبعثروا بين الاهلين فما لبثوا ان دانوا بالمسيحية وتخلقوا باخلاق مجاوريهم واتخذوا لغتهم وعوائدهم حتى كادوا لا يفرقون عنهم وزاد انضمامهم تمكناً بانقطاع المدد عنهم من الشمال لانشغال تلك البلاد بشؤونها الداخلية في زمن نشأة ممالكها الثلاث الاَّ ان صيرورة الجميع امةً واحدة لم يخلد بهم الى السكون بل ظلت الحروب قائمة بين بعضهم ولكنها لم تبقَ كحروب الوطنيين للاجنبي عنهم بل كتنازع ابناء الامة الواحدة

ولا خفاء ان تلك الاونة كانت اشد الازمنة اضطراباً واكثرها قلقاً للملوك الاوربيين لما كان يعتور حكوماتهم من مخاصمة امراء القطائع الذين كانوا لا يفترون عن الاقتتال وقد كان يخطر لبعضهم التغلب على المملكة اما في انكلترا فقد كان اولئك الامراء على طرز اخوانهم من مناوأة بعضهم بعضاً ولكنهم لم يكونوا يستطيعون الالمام بالشأن الملكي لمقامهِ في ذاتهِ وبين قومهم القائلين بامارتهم عليهم فبقي الشأن الملكي عند الانكليز محفوظاً ولكن القتال لم ينقطع بين

بعضهم والملك في خلال ذلك يحارب غير واحدٍ من الامراء لشؤون اخرى ولكن لم يبقَ في النفوس اثر لاعتبار النورمان من اصلٍ غريب فاصبحوا لا يحاربون لهذا السبب

وفي ختام الجيل العاشر كان على العرش الانكليزي فتىً من البيت الملكي اسمهُ اثلرد رأى حالة الامراء فاراد ان يخضد شوكتهم فاتخذ حولهُ بطانةً واعواناً فما عتم ان اعتزَّ هؤلاء بنعم الملك واقطاعاتهِ وزادوا طمعاً فلم يكن قيامهم مقللاً من الاحن بل مزيداً فيها . وعلم الملك ان الدانماركيين على وشك الاغارة على بلادهِ ولم يكن يستطيع صدهم لما في البلاد من الشقاق والبلايا ورأى عزة نورمندي فحسب ان الاقتراب من بيت امارتها يزيدهُ رسوخاً في عرشهِ ويدفع عنهُ طارئة العدو فتزوج باما بنت الدوك روبرت سنة ١٠٠٢ كما مرَّ فامتعض الانكليز منهُ وزادهم انقباضاً انهُ امر بقتل المستأجرة الشماليين لئلا ينضموا الى الدانماركيين حين اغاروا على انكلترا تحت امرة سويجن فادَّى ذلك الى ظهور عجزهِ عن صد العدو بالقوة فرشاهُ بمالٍ طائل حتى ارتدَّ ولكنهُ عاد سنة ١٠١٣ وعاث في البلاد فساداً ففرَّ اثلرد الى نورمندي غير انهُ لم يقم فيها طويلاً لان المنية ادركت سويجن فمات سنة ١٠١٤ فاضطر ابنهُ كنوت ان يعود بقومهِ الى بلادهم وكان فتًى باسلاً فلما بلغ الدانمارك جلس على الاريكة ثم باشر الاهبة لاغارةٍ شعواء على انكلترا . وسنة ١٠١٦ توفي اثلرد فخلفهُ ابنهُ ادمند وثارت على اثر جلوسهِ الشحناء فالقتال بين الامراء لجاء الدانماركيون واستولوا على وسكس ومارشيا فقاومهم ادمند بضعة اشهر حتى غلبوهُ في موقعة اساندون وعاقدوهُ على اقتسام البلاد فاصبحت انكلترا خاضعةً لملكين ادمند وكنوت وبعد حين توفي ادمند فخلا جو الملك لكنوت فبدأ حكومتهُ بالانتقام وسفك الدماء حتى انهُ لحق بابناء ادمند الى المجر ولكنهُ عاد الى الحكمة والرشاد فساس البلاد سياسةً مستحسنة وامنها وكانهُ لم يكن غريباً اذ ابقى كل شيءٍ على حالهِ بل صرف الدانماركيين الى بلادهم ولم يبقِ حولهُ منهم الاَّ نفراً اتخذهم لحراستهِ

وفي ايامهِ كان بدء حادثين لهما الشأن الاعظم في تاريخ انكلترا احدهما اتفاقهُ مع ملك السكوتس على اعطائهِ شماليَّ نورثمبريا حتى نهر التويد وهي قطر يسكنهُ الساكسون والسكوتس على ما ذُكر من القلط الاصليين ومن الغالة فلما انضم اليهم الساكسون امتزجوا بهم وغلب عليهم عنصرهم فصاروا والانكليز امةً واحدة لذلك سهل انضمامهم بعد لزمنةٍ الى اخوانهم بحيث اصبحوا لهذا العهد مملكةً واحدة . والحادث الثاني هو ان كنوت قرَّب اليهِ الإرل كودوين ومنحهُ السراوة والغنى واتخذهُ عوناً ونصيراً فكان ذلك بدء عزتهِ . قيل ان اصل الرجل خامل بل وضيع جداً حتى انهم ليحسبونهُ ارتفع الى السراوة بعد اذ كان صبياً يرعى البقر فاصبح من

اوسع الامراء جاهاً واكثرهم اقتداراً وباتت كلمتهُ وهي النافذة في المملكة حتى ليحتاج اليها الملك في ترجيح قدمهِ

وخلف كنوت ابناهُ هارولد فهارثانكوت ولم يسيرا على منهاج ابيهما من العدالة واللين فملّ الانكليز حكومتهما حتى اذا مات هارثانكوت استدعوا ادوارد بن اثلرد من منفاهُ في نورمندي حيث نشأ على العادات والاخلاق النورمانية واجلسوهُ على اريكة آبائهِ والامر في خلال ذلك لثلاثة من اعاظم الامراء الاَّ ان اكثرهم نفوذاً واقتداراً الارل كودوين فكان مدبر شأن المملكة سيما لاقامتهِ ابنيهِ واحد انسبائهِ امراء على بعض المقاطعات فاشتد بهم ازرهُ وزاد اقتداراً بمصاهرة الملك فحدثتهُ نفسهُ بارتقاء الاريكة ولكن حال دون بلوغهِ اليها فسق احد بنيهِ وما جرَّ في اثرهِ من الخلاف مع الملك وفرار الابن من البلاد. ولو وقف الامر عند هذا الحدّ لهان ولكن كودوين نال من الملك نعمة العفو عن ابنهِ فلما عاد قتل ابن عمهِ وهو اميرٌ من صنائع ابيهِ فمال الرأي العام على كودوين وابنهِ سياحيين اذ فاز بالعفو ثانيةً فاراد كودوين ان يصرف نفرة الامة عنهُ الى الملك فسعى بين الناس في بيان ارتياح ادورد الى النورمانديين وشؤونهم. وحدث في خلال ذلك وقوع النزاع بين صهر الملك صاحب بولون بفرنسا وبين اهل دوفر فادى ذلك الى الهرج فقتل بضعة من رجال الامير فالتجأ الى الملك يطلب قصاص الفاعلين فامر الملك كودوين ان يقتص من اهل دوفر لانها من امارتهِ فابى محتجاً بوجوب المحاكمة فعدَّ الملك ذلك مخالفةً وامر بحضور كودوين لديهِ فابى فرماهُ بالعصيان وتحفز كلاهما للقتال الاَّ ان نفرة الناس من كودوين وابنيهِ مالت بهم عن نصرتهما فلما تفرقت جماعة الامير فرَّ بعائلتهِ وامواله الى فلاندر ثم علم ان الامة حسبت ذلك السقوط الوقتي قصاصاً كافياً وشعرت بالحاجة الماسة الى اقتدارهِ فجاء بالسفن سنة ١٠٥٢ فارجعهُ الملك الى سابق شأنهِ واقرَّهُ على امارتهِ ولكنهُ مات سريعاً وتولى الزعامة ابنهُ هارولد مدى اثنتي عشرة سنة وكان حكيماً باسلاً جمع كل فضائل ابيهِ. ولكنهُ لم يلتطخ بمفاسدهِ فازدادت عظمتهُ اضعافاً واحبتهُ الامة كثيراً فاشتد املهُ بنيل الاريكة لاسيما بعد اذ عهد بامارة نورثمبريا لاخيهِ توستيك عقيب موت صاحبها الارل سوارد فاصبحت بذلك كل انكلترا الاَّ قسم صغير من قطر مارشيا في امارة آل كودوين وزاد في اعتلاء كعبهِ ضعف الملك وموت ولي عهدهِ ووشك انقطاع الاسرة المالكة بحيث كان ذلك جميعهُ ممهداً سبيل هارولد الى الاريكة

الاَّ ان العقبة الكؤود التي كانت تحول دون الوصول الى امنية هارولد لم تكن في انكلترا ولكنها في نورماندي بفرنسا لان الدوك وليم بن روبرت كان قد تولى الامارة وحدثتهُ نفسهُ

بالجلوس على الاريكة الانكليزية التي كان يقدر قرب موت ملكها بلا عقب. واذ كان الملك من انسبائهِ واصدقائهِ اغتنم فرصة خروج كودوين منها وأتى البلاط الملكي زائرًا صديقهُ وعاد منهُ على قول وقد وعدهُ الملك بولاية عهدهِ. وسنة ١٠٦٥ ركب هارولد البحر في مهمة لم يكشف التاريخ عنها قناعاً فعصفت الانواء وألقت بسفائنهِ حطاماً على الشاطىء الفرنسي ونجا بنفسهِ الى بونثيو فاسرهُ صاحبها لان من عادة تلك الايام ان يحسب الملتجىء الى بلدٍ اسيرًا فيها. وقد اختلفت الروايات في اتصالهِ بعد ذلك الى الدوك وليم فمن قائل انهُ اشتراهُ من الكونت الذي اسرهُ ومن ذاهب الى ان هارولد شكا الى الدوك وليم فأمر بهِ فأحضر لديهِ الى روان فاحتفل الدوك بهِ كثيرًا واذ كان عارفاً بمكانتهِ وانهُ اذا ناظرهُ على الاريكة الانكليزية كان خصماً عنيدًا عقد مجلساً من ذويهِ ودعى بهارولد وشرع يخاطبهُ قائلاً اني لما كنت والملك ادورد كاخوين نسكن دارًا واحدة وعدني بولاية العهد على انكلترا اذا صار ملكاً عليها فارغب اليك الآن ان تمدَّ لي يد المعونة لوفاء وعد الملك. واذ كان هارولد في قبضة الدوك وقد شعر ان الضيافة التي يتمتع بها ليست الاَّ اسارًا قد يؤدي بهِ الى الحتف اجاب الدوك الى ما اراد. فعاد وليم وسأله ان يصاهرهُ في ابنتهِ اديلا وان يبعث اليهِ باحدى شقيقاتهِ ليزوجها باحد امراءِ (باروناتِ) النورمانديين فاذعن هارولد لذلك ايضاً. الاَّ ان وليم كان ادهى من ان يستوثق بمثل هذه الوعود المجرَّدة فاوعز الى هارولد ان يقدّم لهُ في حضرة سراة النورمانديين واجب الطاعة والاحترام اللائقين بولي عهد ملكهِ. فركع هارولد امام الدوك وليم ووضع كلتا يديهِ بين يدي الدوك وكرر الطاعة والوعد بالمعونة. وكان وليم عارفاً بما للشعائر المذهبية من الشأن العظيم في افكار الناس جميعاً حتى ان من اقسم على شيءٍ من تلك الشعائر يلتزم بهِ ومن حنث نفر القوم عنهُ ورموهُ بالمروق من الدين ولهذا جمع الدوك ما وصلت اليهِ يدهُ من الذخائر المحترمة كعظام القديسين وسواها في صندوق مقفل ووضع على الصندوق كتاب الصلاة وعقد مجلساً آخر طلب فيهِ الى هارولد ان يقسم الايمان على ذلك الكتاب فاقسم يمين الطاعة والمعونة وهو لا يعلم بما في الصندوق حتى انتهى من قسمهِ ورأى بام عينهِ تلك الذخائر المحترمة فامتقع لونهُ لما في نفسهِ من الحنث بيمينهِ. وأفرج عن هارولد فعاد الى انكلترا وشرع يزداد كمالاً في عيون مواطنيهِ بيسالتهِ وحكمتهِ وعدالتهِ حتى اذا قضى الملك ادورد نحبهُ في ٥ كانون الثاني سنة ١٠٦٦ اجتمع اهل الحل والعقد وانتخبوا هارولد ملكاً فوقع ذلك من الاهلين موقعاً جليلاً لتعظيمهم قدرهُ. وما بلغت الاخبار الى نورماندي حتى قام وليم ايرها وقعد وبعث بالحال رسولاً يذكر هارولد بيمينهِ التي حلفها على الذخائر المقدسة فاجاب الملك قائلاً نعم اني حلفت

لهُ ولكني اقسمت مرغماً ووعدت بما لا يد لي في اعطائهِ لان قيامي على الاريكة ليس مما املك ولذلك لا استطيع التخلي عن الملك الاَّ برضا الامة وليس الاَّ برضاها اقتدر على التزوج بابنة غريبة واما شقيقتي التي يريد وليم مني ان ارسلها اليهِ ليزوجها من احد رجالهِ فقد ماتت في مدى هذه السنة فهل يرغب اليَّ ان ابعث لهُ بجثتها

فلم يقنع الدوك وليم بهذا الجواب بل بعث الرسل ثانيةً فعادوا بمثل جوابهم الاول فنشر وليم بين الناس رسالةً ابان بها حنث هارولد بيمينهِ وعدم برهِ بوعدهِ وتوعَّد ان يجرد السيف عليهِ ليأخذ منهُ بحقهِ . قيل ان الدوك وليم لم يدَّعِ الملك افتئاتاً انما رغب في ان يسأل فيهِ رأي الامة وحسب هارولد حائلاً بتملكهِ بينهُ وبين نيان رأيها ثم ارتأى ان يسعى بالوسائل السلمية لنيل رغبتهِ قبل ان يجاهر بالعدوان لا خوفاً منهُ ولكن لسياسةٍ نحاها اراد بها ان يكن لنفسهِ بين الحلفاء والانصار ليصدقوا في نجدتهِ متى علموا ان دعواهُ نائلةٌ الحظوة لدى الكرسي الرسولي في رومية. والناس في ذلك العهد على اتم الولاء والاذعان لاحكامهِ فاستدعى ان يكون قداسة البابا حكماً بينهُ وبين هارولد فابى الملك هارولد الاجابة الى ذلك بحجة انكارهِ المجلس الذي يُعقد لهذه الغاية وان لا صلاحية للحبر الايطالي ان يحكم في دعوى الملك الانكليزي فساء وقع هذا الجواب كثيراً ولكنهُ لم يقف في سبيل فحص الدعوى والحكم للدوك وليم بالاريكة الانكليزية وتعزز الحكم بارسال البابا للدوك رايةً صلى عليها وباركها فلما اتصل ذلك بعلم الاكليروس شرعوا يؤيدون دعوى الدوك ويحضون القوم في طول اوروبا وعرضها على الانضواء تحت اعلامهِ فكانت دعوتهم كنفير عام ضد انكلترا . اما الدوك وليم فشرع يعمل بملء قدرتهِ ومنتهى دهائهِ ليس فقط لجمع رجال دولتهِ بل لاستنهاض حلفائهِ وتباعهِ ومريديهِ يمني هذا بالغنائم وذاك بالمناصب حتى اجتمع لديهِ جيش لم يرَ الغرب احسن منهُ عدداً وعدداً اذ انضمَّ اليهِ كل ذي حمية وبسالةٍ من الاوربيين الطامحين لنيل البركة واغتنام ما يملك الانكليز وفوق هذا فان النورمانديين كانوا من الابطال المشهورين وناهيك بالدوك فهو يعدّ بالالوف .

ولا خفاء ان الاغارة على بلاد الانكليز لا تستطاع الا لمن يمتلك اسطولاً قوياً وقد اتجهت عناية وليم لهذه الغاية ايضاً وقضى الشهور الطوال من سنة ١٠٦٦ وهو يجهز السفن الجمة في الثغور الخاضعة لهُ

اما الانكليز فانهم كانوا يرون تلك الاهبة ويقابلونها بالمثل براً وبحراً الا ان المصايب تتوالى فان مرابطة ثغور انكلترا الجنوبية زمناً طويلاً اقلق الكثيرين من جيش هارولد ومعظمهم

من اهل الحراثة والصناعة فشرعوا يتركونهُ زرافات حتى لم يبقَ لديهِ في اواخر الصيف من سنة ١٠٦٦ الاَّ الجيش المدرَّب. يومئذٍ اتصل بعلمهِ ان ملك نروج هارالد هاردرادا قد اغار على بلادهِ بخمسمائة بارجة ونزل قطر اوركنيس فانضم اليهِ كثيرون من الاهلين فزحف الى يوركشير وهناك حارب بعض الامراء عند يورك فغلبهم واستولى على المدينة وجوارها

وكان السبب في هذه الغارة ان هارالد هاردرادا كان ثالث الطالبين للاريكة الانكليزية وقد زادهُ استرسالاً اليها تحريض الارل توستيك بن كودوين شقيق الملك هارولد اذ لحق بهِ مغاضباً وذلك لان اخاهُ هارولد كان قد اناله في زمن الملك ادورد الامارة على نورثمبريا كما مرَّ بنا فلم يجد منهُ بعد ذلك اخلاص الاخ بل اوجس منهُ خيفة على الاريكة ان يناظرهُ فيها حتى اذا وقع خُرج في تلك الامارة فرَّ توستيك منها الى فلاندر واقام ثمَّ يرقب الاحوال فعلم ان اخاهُ اعطى امارتهُ لموركر من آل ليوفريك شقيق صاحب مارشيا فاصبح كلاهما من اعوانهِ وما عتم ان فقدت الاريكة اليهِ فالحق توستيك بهارالد هاردرادا وشرع يزين لهُ الاغارة على بلادهِ وقومهِ حتى نهض وعبى الجيش وجهز السفن كما مرَّ

فلما علم الملك هارولد بالغزاة انزاح عن مرابطة الثغور الجنوبية واغذ السير الى يوركشير فبلغها في اربعة ايام . وبلغت الاعداء عند ستامفورد بردج واصلاهم حرباً عواناً فلقي منهم كفاحاً عنيفاً وكاد لا يقوى على القاء الوهن في صفوفهم لتألبهم على بعضهم فاظهر الانكسار خدعةً واحتيالاً حتى اذا تفرقوا لملاحقتهِ كرت عليهم ابطالهُ واثخنوا فيهم قتلاً وجرحاً فنالوا الظفر بعد ان قتلوا الملك هرالد هردرادا

وسر الملك هرولد بظفرهِ ولكن اشتراهُ بدماء نخبةٍ من شجعان رجالهِ الاَّ ان سرورهُ لم يكن طويل الامد لان الدوك وليم كان قد نزل البر غير معارضٍ ذلك لانهُ كان منذ اواسط شهر اغسطس قد حشد السفن عند مصب نهرٍ صغير بين السين والاورم اسمهُ نهر ريف وساق الى الجوار خمسين الفاً من الابطال وعشرة آلاف من الجند ولبث ينتظر الفرص لركوب البحر بهذا الجيش الكثيف وما يحتاجهُ من الكراع والمتاع الاَّ ان الرياح كانت مضادةً فجعل الدوك يسدّد تنظيم جيشهِ وينظر في مهماتهِ تأهباً للعمل العظيم وهو يرقب الريح حتى قرب زمن الاعتدال الخريفي وصح المهب من الشمال الشرقي متجهاً صوب الغرب فركب الغزاة البحر وما اقلعت بهم السفن حتى تغير مهب الريح وعصفت الغربية بنوئها فارتدت السفن الى السواحل الافرنسية بعد اذ تحطم بعضها وغرق بعض فادى ذلك الى تذمر النورمانديين ومللهم من الحرب حاسبين ان العناصر تذود عن الانكليز وما دروا ان العاصفة كانت من انصارهم لانها

ساقت النروجين الى انكلترا واشغلت هارولد بهم عن مرابطة الثغور فابتسمت لهم حين اقتربوا منها وناهيك ان العترة التي اتخذها الملك هارولد من قوارب الصيادين وسفن التقل وملأها بالرجال والسلاح وجعلها على خفارة السواحل شُغلت ايضاً بعد مواقعة النروجيين بحشد المؤونة والذخيرة لابناء جلدتهم الذين اتفقوا ما اذخروه من ذلك في لقاء الاعداء. اما الدوك وليم فلم تكد تلك العترة لتفعل شيئاً في عزيمته بل شرع يحمّس القوم و يستنهض هممهم حتى عادت الريح فهبّت جنوباً فنشر شراع سفنه وعبر البحر الى انكلترا فلم يجد في البلوغ اليها معارضةً فوطىء البر في خليج من ولاية سوساكس بين بافنساي وهاستنس وذلك في ٢٩ ايلول سنة ١٠٦٦

وكان الملك هارولد يقيم الافراح في مدينة يورك لظفره بالنروجيين فجاءه الخبر بنزول عدوه الى البر فزحف لحال للقائه ولما بلغ لندن اقام بها ستة ايام اصدر خلالها الاوامر بحشد الجنود وتجمع السفن على ضفاف سوساكس ثم اسرع الكرة غير مبالٍ بالجهد ولا مكترث بمديد العدو لانهُ قد سكر بخمرة الظفر والاَّ فان لندن وغيرها من البلدان كنَّ يعظمن قدرهُ و يطعن امرهُ ألا تراهنَّ وقد اسرعن لتقديم بنيهنَّ اليهِ فجمع منهم عسكرًا وسار بهم مسرعاً ابتغاء مباغتة النورمان كما باغت النروجيين فلقي من حذر وليم ودهائهِ ما لم يكن في حسبانهِ

وكان من الدوك وليم عند نزولهِ الى البر ان عثرت رجله فوقع على كلتا يديهِ فصاح بعض جماعتهِ ان تلك علامة الشؤم فاجابهم لساعتهِ بل ان ذلك فألٌ حسن فاني وعظمة الله لقد امتلكت انكلترا بكلتا يدي فهي الآن لي وما هو لي فهو لكم

وزحف النورمان على سيف البحر الى هاستنس واقاموا هنالك معسكرًا حصيناً وكانوا قد اصطنعوا ثلاث قلاعٍ من الخشب احكموا صنعها في بلادهم وجاءوا بها قطعاً لا تحتاج في تشييدها الاَّ الى شدها بالمسامير فلما نزلوا البر نصبوا قلعةً منها وفي اليوم التالي نصبوا القلعتين الأُخريين عند هاستنس وشرع الذين يمتارون للجيش بالسلب والنهب لئلا ينفد ما جاءوا به في سفنهم ففرَّ الاهلون من مساكنهم ابتعاداً عنهم وخلت الديار للظافرين فانفذ الدوك وليم بعض الشراذم من الفرسان لارتياد البلاد فرأوا الجيش الانكليزي زاحفاً عليهم فنكصوا على الاعقاب حتى انضموا الى قومهم يخبرونهم بمجيء الانكليز سراعاً اما هارولد فأُسقط بيدهِ لانهُ لم يستطع ان يأخذ العدو على غرةٍ فغيَّر منهاج حربهِ بان نزل على سبعة اميال منهُ وبعث يدس الجواسيس في معسكر النورمان فعادوا اليهِ يخبرونهُ ان الجيش مملوء بالكهنة اكثر منهُ بالكماة ذلك لانهم رأوا زيَّاء النورمانديين شبيهةً بزي اهل الكهنوت فحسبوهم منهم الاَّ ان هارولد كان عارفاً بحقيقة الحال فصرَّح بها

وعرف هارولد ان الجيش النورماندي اوفر منهُ عدداً فلم يعبأ بهِ ولا عمل بنصيحة بعض رجالهِ الذين اشاروا عليهِ ان يرتدّ الى لندن ولا يبقي في طريقهِ اليها على شيءٍ من الزاد والذخيرة فلا يمضي الزمن الطويل الاّ وقد احتاج النورمان الى تلك اللوازم فلا تقدر سفنهم على السفر للامتيار من بلادهم لوقوف السفن الانكليزية لها بالمرصاد فيضطر الدوك ان يزحف بجيشهِ الى لندن طلباً للقوت فلا يجد على مدى طريقهِ الاّ جوعاً شديداً وامراضاً وبيلة تفني الامة الانكليزية في هلاك النورمان عن القتال . ولو عمل هارولد بهذهِ المشورة لنجت انكلترا من الفتح النورماندي ولكن هي عزة الملك وانفة البسالة رفعت بنفس هارولد عن الارتداد وهو الاشفاق ان يسلب قومهُ بيدهِ وان يشقي بلادهُ بامرهِ زين لهُ الموت في دفع الحملة على الحياة في ايصال الاذيَّة لمن احبَّ

وكان في صحبة الملك اخواهُ كارث وليوفون فاشار عليهِ الاوَّل ان يتغيب عن القتال لانهُ مثقل بحنث اليمين و يبقى هو واخوهُ في الجيش يحاربون دفاعاً عن الوطن فابى الملك ان يتخلى عن قومهِ في زمن المحنة وتحصن في موقفٍ منيع يدل اختيارهُ على معرفتهِ بالفنون الحربية معرفة القائد المحنك فان الماجين كانوا لا يقوون على المحاربين فيهِ اذا نازلوهم من الامام خيفة ان يؤخذوا من الجانبين وكان الى وراء الموقف غابة كثيفة يستطيع هارولد ان يجمع فيها شتات جيشهِ اذا وهن وشتَّ واقتدر العدو على اخذ مركزهِ المنيع اما النورمان فانهم لا ينجون من الوبال اذا اندحروا

ونصب هارولد اللواء الساكسوني في موضعٍ ارتأى ان العدو يهاجمهُ منهُ ووقف بجانبهِ وحولهُ رجال كنت الذين كان يحق لهم ان يبدأوا القتال متى كان الملك معهم وكذلك رجال لندن ومن حقهم يومئذٍ ان يكونوا حراس الملك والراية : وما لبث ان ظهرت فيالق النورمان وبدأت في المهاجمة على النسق الذي تصورهُ هارولد الاَّ ان وليم لم يباشر القتال فوراً بل بعث للملك راهباً اسمهُ هوك مايكرو يسألهُ واحدةً من ثلاث اما ان يتخلى عن الملك لمناظرهِ الدوك واما ان يذعن لتحكيم البابا او ان يبارز الدوك فابى الملك الاجابة الى شيءٍ من ذلك لان تملكهُ كان باتفاق الامة فلا يسوغ لهُ التخلي عنها ولا تعليق امرها على حكم اجنبي او فصلها بالمبارزة بين اثنين. ولكن هذا الجواب لم يقطع الجدال اذ اعاد وليم الرسول يعرض على هارولد التسليم على ان يكون لهُ ملك ما وراء هامبر ولاخيهِ كارث امارة ابيهِ وامر الرسول قائلاً اذا اصرَّ على عنادهِ فقل لهُ على مسمعٍ من ذويهِ انهُ حانث بيمينهِ وكاذب بوعدهِ ومحروم من الحبر الاعظم فادّى الراهب رسالتهُ فارتاع عظماء الساكسون لدن سمعوا كلمة الحرم وتناظروا

فقال واحدٌ منهم لا تراعوا ايها الشجعان فانّا مندوبون للدفاع كيف كان الحال لان القضية ليست في اختيار الملك الواحد دون الآخر ولكنها ذود عن ذمارنا وما ملكت ايماننا فاذا غلبنا الدوك على الملك فينا فهو مرتبط مع انصاره على ان يعطيهم كلما نملك من كثير وقليل فماذا يحل بنا اذا ستبنا والى اين نذهب بعيالنا واولادنا فاصغى القوم لمقاله وتحالفوا على الدفاع حتى الرمق الاخير

فلما لم يجد الفريقان من الحرب بدًّا باتا على عزم القتال في الصباح التالي الا ان حالهما لم يكن واحداً اذ ان الساكسون قضوا ليلتهم فرحين طربين يبوقون ويهتفون ثم يشربون الخمور غير واجسين خوفاً بخلاف النورمان فانهم بعد اذ القوا النظر على اسلحتهم وخيولهم قضوا السنّة المذهبيّة بالاعتراف ومناولة الاسرار المقدّسة ثم ناموا ملء جفونهم حتى صباح ١٤ اكتوبر (ت ١) فنهضوا وصلوا فروضهم وانضووا تحت اعلامهم اما الامراء منهم فانهم التفوا حول الدوك وليم فأمر ان يقسم الجيش الى ثلاثة فيالق تهاجم الاعداء في وقتٍ واحد معاً ووقف ببطانته على رابيةٍ يشرف منها الموقع وخاطبهم قائلاً انهُ واثق بالنجاح لان جيشهُ شديد الحول وفيهِ الامراء الابطال المخلصون الذين سيكون لهم ما ينال من المغنم فهتفوا لهُ هتافاً شديداً مؤكدين ان ليس بينهم جبان او رعديد وانهم موطنون النفوس على الموت في سبيلهِ فشكرهم واشار عليهم ان يبلوا في الاعداء بلاء حسناً والاَّ تلهيهم الاسلاب لانها لا بدَّ ان تكون لهم في آخر الامر فيقسمها بينهم على السواء ثم قال اياكم والاستئمان او الهرب لان الانكليزي لا يحب النورمندي فلا يبقي عليهِ فلا تأخذكم الشفقة عليه لانهم يفتكون بالجبان الهارب كفتكهم بالبطل المحارب وفي اين المفرّ من القتال الى البحر فانكم لا تجدون ثمة سفناً تنقلكم او جسوراً تجتازون عليها الى بلادكم فيلحق الانكليز بكم ويقتلونكم وانتم مسربلون بالذلة والعار. واذ ان الفرار لا ينجيكم فليس لكم الاَّ القتال والصبر على اهوالهِ فتغلبون والظفر الذي جئنا في التماسهِ مكللاً بالمجد قريب المنال منا اذ اصدقنا في الضرب. وعلى هذا النسق كان يخاطبهم واذا بواحدٍ من عظمائهِ يقول لهُ لقد ابطأنا يا مولاي فهلمَّ بنا فاسرعوا الى خيامهم وشكوا في سلاحهم وجاؤوا الدوك بدرعهِ وصدرتهِ واذ لم يكن منتبهاً لبس الصدرة مقلوبةً فتشآم بعض الحضور فقال لهم انهُ لا يتطير وانما يسلم الامر لله المتعال وهو فعالٌ لما يريد وانهُ بالاحرى يتفأل خيراً من ان الصدرة كانت منقلبةً فاصلح لبسها اشارةً الى انهُ سينال الاريكة الانكليزية ويصير ملكاً بعد اذ كان دوكاً

ثم دعا بالراية المباركة وسلمها لاحد ابطالهِ ثم عهد بالقيادة على احد الجانبين لدىء

مونكوميري يعاونهُ وليم اوسبر ومعهم فرقتاها ورجال بولون وبوا وعسكر النورمان وعهد لالين فرجر وامري بقيادة رجالها والبريتون الفرنسيين وكل فرق بارونات المابن لمهاجمة الجانب الاخر فبقي لقيادتهِ بطال قومهِ واصدقاؤهُ ونسباؤهُ ليهاجم بهم القلب حيث يحتدم القتال شديداً

وكان الجيش مؤلفاً من الرجالة والفرسان اما سلاحهم فالسيف والرمح والنبال وسلاح الانكليز السيف والرمح والبلطات والنبوت والهراوة

ولما وقع المصاف تقدم مشاة النورمان اولاً ووراءهم الفرسان فرماة النبال وخاطب هارولد قومهُ محمساً ومحذراً من التفرق والشتات لان الصف اذا لم يبقَ محكماً غلبهم العدو ولقد صدق الملك لانهم لو ظلوا على تجمعهم وراء السياج الذي اقاموهُ من الاشجار وعززوهُ بالمجان ما نال النورمان منهم وطراً

وامر هارولد رجال كنت ان يقفوا حيث ظنَّ النورمان يبدأون بالقتال ليكون لهم ان يضربوا الضربة الاولى وامر رجال لندن بخفارة العلم فلما خف القوم لاتمام اوامرهِ ترجل ووقف للقتال بجانب رايتهِ ووقف معهُ اخوهُ وسائر امرائهِ. وتقدم النورمان بقدم راسخة وكان بينهم منشد رخيم الصوت يتغنى بالاناشيد الحماسية حتى اقترب العسكران فدنا من الدوك وليم وسألهُ ان يأذن لهُ بابتداء القتال فلما اجاز تقدم وقتل رجلاً من الانكليز فقتلهُ غيرهُ فاحتدم القتال بين الجيشين وراجت سوق المنايا

وكان وراء موقف النورمان حفرة ففي ذات مرةٍ ارتدوا امام الانكليز فسقطوا في الحفرة وقتل منهم كثيرون ورأى حفظة متاع ذلك فحسبوا جيشهم قد انكسر وكادوا يولون الادبار لو لم يأتهم اودو اسقف بايو اخو الدوك وليم يشجعهم ويؤكد لهم قرب الظفر وما زالت الحرب سجالاً من الساعة التاسعة صباحاً حتى الثالثة بعد الظهر وكان رماة النورمان يسددون سهامهم الى الانكليز فلا تصيب منهم الا الاترس فامر الدوك ان يرشقوها صعداً فتنحدر على رؤُوسهم ووجوههم فكان ما حسب اذ نزلت عليهم كأنها المطر الهتون واضرَّت بكثيرين في عيونهم واصاب نبل منها عين الملك هارولد فقلعها وآلمهُ شديداً فمد الملك يدهُ وانتشل النبل من عينهِ وحطمهُ حنقاً ورماهُ بعيداً ثم اتكأ على مجنهِ متألماً

ورأى الدوك ثبات الانكليز فامر ان يتظاهر قومهُ بالتقهقر حتى يخرج الاعداء من محصنهم فيرتدون عليهم فلما كان ذلك برز الانكليز في اثر اعدائهم يضربون في اقفيتهم حتى بعدوا قليلاً عن محصنهم فكر النورمان عليهم وابلوا فيهم البلاء الحسن حتى ردوهم الى المحصن فلم يغنهم عن الانكسار فتيلاً فارتدوا الى موضع العلم واحاطوا بهِ ذوداً عنهُ وتبارى ابطال النورمان

في قصده فما نالوا اربًا ولكن الدوك وليم كان متجهًا نحوهُ بجميع عسكرهِ فلقيهُ احد ابطال الانكليز وضربهُ بالبلطة على رأسهِ فكاد يخمد انفاسهُ بل ظنهُ وقع قتيلاً فلحق النورمان بالانكليزي وقتلوهُ واما الدوك فلم يعبء بسوءٍ ولئن ذاع بين قومهِ انهُ قتل فكشف الخوذة عن رأسهِ وقال هوذا انا سليم ولا بدَّ من الظفر ثم لوى عنانهُ صوب العلم فقتل هنالك كارث اخا الملك وكان رجال كنت واساكس يبلون في القتال بلاء بديعًا فارتدَّ النورمانديون امامهم ولكنهم عادوا فتألبوا واندفع الدوك بهم الى موضع العلم الانكليزي وهنالك رأوا هارولد في جملة من يذود عنهُ غير مكترثٍ باقتلاع عينهِ فنازلوهُ وقتلوهُ واخذوا العلم بعد ان فتكوا بمن حولهُ ولكن ذلك لم يمنع سائر الانكليز من البقاء على القتال حتى ذاع خبر مقتل ملكهم واخذ الراية فخاب رجاؤهم وولوا الادبار

وسر وليم بما احرز من النصر فامر برفع رايتهِ موضع الراية الانكليزية ونصب سرادقهُ بقربها بين القتلى كأنهُ اصبح لا يعبأ بانين الجرحى وحشرجة المحتضرين وامر بطعامهِ فأُعدَّ لهُ هنالك واكل مريئًا وشرب هنيئًا بعد ان شكر الله على نعمتهِ واثنى الثناء المستطاب على انصارهِ موٌبنًا من مات منهم في سبيلهِ فاندفع القوم يمدحون بسالتهُ ويطرأون اعمالهُ وفي صباح اليوم التالي دفنوا قتلاهم وجاء نساء الجوار وبعض الكهنة وحملوا قتلاهم فدفنوهم في الاديار والكنائس

ولقد زعم بعض الكتبة ان الجرح الذي اصاب هارولد كان سببًا في انكسار قومهِ لانهُ شغل بالمهِ عن تدبير الموقعة والاَّ فلا يعقل ان الذي ينتصر قبل ايام بخدعة الحرب يؤخذ بمثلها في ذلك اليوم وانما الذنب في ذلك على ابطالهِ الذين جاهدوا احسن جهاد فلما تظاهر العدو بالقهقرى حسبوا ثمر بسالتهم دانية القطوف فسارعوا الى جناها ولم يحسبوا للخدعة حسابًا. ولقد اثنى كتبة النورمان وشعراؤهم على بسالة هارولد وتدبيرهِ ويظن انهُ لو سلم غير واحد من اخوي هارولد او من امرائهِ لجمعوا شتات الانكليز بعد اندحارهم ووقفوا بهم موقفًا آخر اطال الحرب واضرَّ كثيرًا

اما الخسائر فكانت فادحة لان النورمان فقدوا في ذلك اليوم ربع جيشهم اي خمسة عشر الفًا ولا تعرف خسارة الانكليز

وكان هارولد قبل اختيارهِ ملكًا قد بنى ديرًا سماهُ ديروليثام فلما زحف للحرب اصطحب معهُ راهبين من رهبانهِ ففي صباح اليوم التالي جاء الراهبان يسألان الدوك وليم ان يأذن لهما بالبحث عن جثة الملك فاجاز لهما ذلك ولكنهما لم يعرفاهُ لان النورمان كانوا قد شوهوا كثيرين من القتلى فاستدعيا احدى النساء العارفات بهارولد فعرفتهُ وفي خلال ذلك طلبت امهُ

من الظافر ان يأذن لها بدفنهِ فاجابها وهو غاضب ان من كان حانثاً بيمينهِ ومارقاً من دينهِ لا يصح ان يُدفن الاَّ على رمال البحر وانهُ كان في حياتهِ مرابطاً للثغور فليبقَ على خفارتها وهو ميت غير ان الحاح ام هارولد غلب على غيظ الدوك وتمنعهِ فاذن لهـا بدفنهِ فحُمل الى دير ولثام ودفن ثمة عزيزاً مكرماً

وامر وليم ببناء دير على اكمة سنلاك تذكاراً لظفرهِ فبني الدير وسمي دير القتال وآثارهُ باقية الى اليوم

وبعد ان استراح الدوك اياماً زحف فاكتسح البلاد وخضد شوكة المعارضين وما هم بالشيء المهم لانهُ لم يكن قد بقي حيٌّ من اخوة الملك هارولد وكانت ارملة الملك ادورد سائدةً في ونشتر فلما دنا الظافر منها سلَّمت اليهِ الاَّ ان صبيا من البيت الملكي القديم اسمهُ ادكار اثلن اختارهُ الانكليز ملكاً عليهم وعضدهُ بعض الامراء وارادوا الامتنـاع بهِ في لندن ولكن لما دنا وليم منها وتوعدهم خافوا وفروا الى اوطانهم فسلمت لندن اليهِ اذ ارسلت اليهِ وفداً من عظمائها يتقدمهُ الملك الحدث فقبل الظافر التسليم وفي عيد الميلاد توّج ملكاً على انكلترا في وستمنتر من يد رئيس الاساقفة الدرد . ومما يحكى ان احد الاساقفة الحاضرين سأَل سراة النورمانديين الحاضرين باللغة الافرنسية عن ارتضائهم بتتويج الدوك وليم ملكاً فاجابوهُ بالايجاب ثم سأَل غيرهُ بالانكليزية لعظماء الساكسون عن ارتضائهم بهِ فاجابوا موجبين ايضاً وهللوا لهُ تهليلاً عظيماً وكان في ظاهر الكنيسة شرذمة من ابطال النورمان فلما سمعوا التهليل لم يفقهوا لهُ معنى بل حسبوا تلك ضوضاء بعض المؤتمرين على سيدهم فحنقوا واندفعوا على الدور المجاورة يحرقونهـا فوقع الهرج والاضطراب وخرج كثيرون من الامراء والعظماء من الكنيسة لتسكين الثائرة فلم يبقَ في حفلة التتويج الاَّ الملك والاساقفة الخائفون

ومع تتويج وليم الفاتح ملكاً لم تكن كل انكلترا خاضعةً لامرهِ لان نورثمبرلند ابت الاذعان مع ان حكمهُ كان حسناً اذ اعاد الامن الى البلاد واجرى العدالة ولم يجنف الاَّ على بعض المشاغبين واراد ان يتعلم الانكليزية ليفهم تظلم رعيتهِ فما نال منها ارباً. وفي سنة ١٠٦٧ ذهبَ الى نورماندي لينظر في شؤُونها وعهد بالنيابة عنهُ لاخيهِ الاسقف اودو فجار كثيراً حتى استفز اهل كنت لشق عصا الطاعة فجاءهم الملك واخضعهم. وفي السنة التالية اغرى ملك الدانمرك بعض الاقطار على الثورة فجاءها الملك وكبت الثائرين واسرف في الانتقام فدانت البلاد لهُ حيناً ثم وقع شيءٌ من الهرج لان ادكار اثلن كان قد التجأَ الى مالكولم ملك اسكتلاندا وازوجه من اختهِ الحسناء واستعان ادكار بهِ على استرجاع ملكهِ ولكن الملك وليم كان للاعداء

بالمرصاد فضربهم ونكّل بهم وزحف يقصد اسكتلاندا فجاءهُ ملكها يحلف له ايمان المودة والولاء

هذا هو الفتح النورماندي بجميع ظروفهِ واحواله الاَّ ان لهُ اثرًا مجيدًا في تاريخ انكلترا نلخصهُ عما كتب بعض المؤرخين قال. انهُ اذا اراد ان يتصور انكلترا وقد فتحها النورمان تعين عليهِ ان يتصور ذلك الفتح غير مقصورٍ على الانقلاب السياسي في الحكومة ولا على ظفر احد المتناظرين بخصمهِ وانما عليهِ ان يرى دخول شعبٍ على اخر وقيام مجتمعٍ فوق مجتمع قياماً مغصوباً اودى بالمجتمع الاول بحيث لم يبقَ منهُ الاَّ بقية هي الصبغة الوطنية وانهُ لا يستطيع ان يتخيل ولِيم ملكاً مستبدًّا ولا رعيتهُ كبيرهم وصغيرهم غنيهم وفقيرهم انهم انكليز لانهم يسكنون انكلترا بل عليهِ ان يتصورهم امتين الواحدة كان وليم منها وزعياً فيها كلتيهما خاضعتين لوليم ورعيةً لهُ الاَّ ان كلمة رعية تختلف في مؤداها عنهما فهي في احداها تفيد معنى التابعية وفي الاخرى معنى الخضوع بل عليهِ ان يعتبر ان ثمة قطرين في دائرةٍ واحدة احدهما للنورمان وفيهِ الغنى والحرية والآخر للساكسون وفيهِ الفقر والرق ينغصهُ الاستئجار والحراثة وترى القطر الاول مملوءًا بالبيوت المشيَّدة الاركان والقلاع المحصنة . واما الثاني ففيهِ اكواخ من القش مبعثرة واعشاش خربة. تلك الدور الرحيبة يسكنها اهل السعادة والنعيم ورجال البلاط والحرب واهل الفروسية والنبالة وهذه الاكواخ الحقيرة يعمل بها اهل الكد من كل عاملٍ في الزراعة والصناعة فمن الجهة الواحدة ترفٌ واساءةٌ ومن الاخرى شقاء وحسد وليس الحسد هنا ما يشعر بهِ الفقراء لاهل السعة حين لا ينالونها ولكنهُ حسد المسلوب من نعمة السالب . انتهى بتصرفٍ

الاَّ ان هذا الشقاء الذي وصفهُ المؤرخ كان سبباً لعظمة الانكليز ذلك لانهم اتحدوا في ضيقهم يدًا واحدة واطرحوا اسباب الشقاق وشعروا بوحدة الوطنية حتى اذا جاءتهم نعمة الوئام وحسن الحال نهضوا كلهم امةً واحدة ليس بينهم انكلوساكسوني ولا نورماندي ولكنهم كلهم انكليز

ولقد صدق القائل ان الانكليز مدينون بحريتهم للفتح النورماندي ولا عبرة بالقول ان النظام الساكسوني كان حرًّا فانما كان كالماء الراكد فلما جاء الفتح بعث في الناس فضائل كانت خافيةً من قبل

[المقتطف] كان في هذه المقالة حواشٍ كثيرة تدلُّ على كتب التاريخ التي اعتمد الكاتب عليها فحذفناها لضيق المقام ولان هذه الكتب غير مترجمة الى العربية ليسهل الرجوع اليها

التنازع والتعاون

لحضرة الكاتب الفاضل فدرس افندي الخوري

ومن هاب اسباب المنايا ينلنهُ ولو رام اسباب السماء بسلَّمِ
ومن لا يزلْ يستحمل الناس نفسهُ ولم يُغنها يوماً من الدهر يندمِ
ومن يغتربْ يحسبْ عدوًّا صديقهُ ومن لا يكرّمْ نفسهُ لا يكرَّمِ
ومن لا يَذُدْ عن حوضهِ بسلاحهِ يُهدَّمْ ومن لا يظلم الناس يُظلَمِ
ومن لا يصانع في امورٍ كثيرةٍ يضرَّس بانيابٍ ويُوطأ بمنسمِ

ابياتٌ قالها زهيرٌ وهو بعد في شظف الجاهلية دائب مع معاصريهِ في ردّ الهجمات وشنّ الغارات . ايام لم يكن حدٌّ لقوة القوي يقوم ردًّا بينهُ وبين المستضعفين ولا وازع يزعُ المتطلع الى ما في يد الغير الاَّ الضعف وقصر الباع . ايام كان الناس لا يفقهون معنى الخير والشر الاَّ بما يترتب عليهما من الغنم والغرم ولا يفرقون بين المحلّلات والمحرمات الاَّ اذا اعتبروها بما تنتج لهم من الربح والخسار وتسوق اليهم من المنافع والاضرار . ايام كان القويُّ يقتعد غارب الضعيف ويصرّفهُ في كل وجه ولا ينفكُّ يسومهُ خسفاً ويزيد على ضعفهِ ضعفاً الى ان يجتاح اصلهُ ويقتلع جرثومتهُ فيستأثر بما لديهِ من الرزق غنيمة باردة

وليس زهير باول من اقتدح هذا المعنى او اختطَّ للناس هذا السبيل فلولا ان ابياتهُ وافقت مقتضى الحال وجاءَت مترجمة لما في نفوس اهل عصرهِ لما تلقفتها الآذان وذخرتها في خزائن العقول فعدَّت من البلاغة بمكان وحفظت الى هذا اليوم بالحرص والاعجاب . وليس هو ايضاً آخر من انزل هذه المعاني منزلة الحقائق وعدَّها قبساً يستضيءُ بهِ كلُّ من عاش يقارع الايام ويدالك آفات العمران . فما زالت الدنيا كما كانت مكاسب والناس مخلدون اليها متفاوون بحبها يكره بعضهم بعضاً ويختطف العزيز حظ الذليل الى ان يأذن الله بفلّ المطامع واشتراك المصالح وذلك بقلب حالة العمران وتبديل بنية الانسان

يزعمُ البعض ان الحالة اليوم هي خلاف ما كانت امس وان حق القرن التاسع عشر غير حق القرن السادس وما قبلهُ وقاموا يطالبون الفرد بان يحبَّ الناس مثل حبهِ لنفسهِ ويؤْثر خير الاغيار على خيرهِ قاطعين ان هذه الغيريَّة هي الانسانية الحقة وان الفرد لا يجمع مقوّمات الانسان الاَّ اذا اهمل امر نفسهِ وجعل حياتهُ وقفاً على نفع ابناء جنسهِ وذلك ما يسمونهُ انكار النفس وينادون بهِ على المنابر . فهم قاموا يتقاضون الفرد امراً يأباهُ طبعهُ وتنبو عنهُ اميالهُ

والعمران البشري لا تثبت لهُ قدم اذا سالك بهِ القائمون عليهِ ذلك السبيل . نعم ان التنازع اليوم يظهر في قيافةٍ غير التي ظهر بها لانسان الكهوف انما المحار الذي تردّ اليهِ طرق الارتزاق هو هو امس واليوم والى الابد اي ان كل فردٍ يحاول ليعطي قليلاً ويأخذ كثيرًا اما في الهمجية والبداوة فقد كانت وسيلة استلاب ما في يد الاغيار غير الوسائل في الحضارة فقد اتفقت الغايات وان اختلفت الوسائط

لا جناح على المرء اذا استخدم القوة التي لديهِ لتقوية حوزهِ ونفع نفسهِ فالقوة مدار التعيّش بل هي مدار الوجود لانها فاعلة على جميع اجزاء المادّة من حيّ وجماد وبفعلها هذا تؤثر فيها تحويلاً لجهة الحركة او سرعة فيها او تبديلاً للصفات الموحدة لمركباتها ولولا فعل القوة على المادّة لما تمّ شيء من النشوء الذي اوصل الاكوان الى ما هي عليهِ اليوم . وكما ان اختلاف القوة يبدّل خواصّ المادّة وهي في الاصل واحد كذلك قل عنها بانها تقسم المراتب وتوزع المنازل بين الافراد الذين يتألف منهم المجتمع البشري . وليس من شأننا في هذه الرسالة ان نفيض في تقصي الاسباب التي جعلت بين الناس اختلافاً في مقدار القوة لكلٍّ منهم فذلك بحث يرجع بنا الى اسباب جمة اهمّها طبيعة الاقليم ونوع المعيشة والارث النسلي وغيرها . ولا نعني بها القوة العضلية فقط بل جميع ما يملكهُ الفرد من الوسائل لتعزيز منزلتهِ واعلاء كلمتهِ بين مساكنيهِ فهي اذن قد تكون نشاطاً في الحركة او مالاً في الجيب او سعةً في العقل او غير هذه من المزايا التي يستظهر بها الفرد في ميدان التنازع وتكون لهُ عضدًا لنيل رغائبهِ وردّ خُدَع المعتدين عليهِ الى نحورهم . ومن كان لهُ مزيةٌ مما المعنا على اصحابهِ يحتم عليهِ ان يستخدمها في نفع نفسهِ ويبذلها في السبل التي تجرّ لهُ المغانم او تدفع عنهُ المغارم . ومن نقل قدرًا من قوتهِ لنفع غيرهِ بدون ان يرجو عوضاً يزيد مبلغهُ عما بذل عُدَّ في عرف الاقتصاد مسرفاً بما لديهِ وهو اذا استمرّ يعاود هذا العمل حقيق بان يصبح معدماً ضعيفاً ويحلّ بهِ الاملاق عوض البسطة والضيق بعد السعة والعجز بعد الاقتدار ومن ثمّ يعود عيّلاً على اصحابهِ الذين كانوا عيالاً عليهِ ويصير مع امثالهِ حملاً باهظاً لكاهل الانسانية

ثم لو فرضنا ان الفرد مطالب باستهلاك جزء من قوتهِ لتأييد مصلحة الغير تكون ولايتهُ على الناس عامة وولايتهُ على نفسهِ خاصة والولاية الخاصة اقوى من الولاية العامة ومقدمة عليها ولذلك قالوا ابدأ بنفسك ثمّ باخيك

من ينعم نظرهُ في طبقات الاحياء من ادناها الى اعلاها يجد ان الطبيعة لم تكل حيًّا بحيٍّ آخر ولا كلفت فردًا ان يعول فردًا آخر الاَّ ما كان من قبيل النسل وهو بعدُ في طور

الاعتماد على والديهِ بل ان ما يُلقى يخالف ذلك تماماً فني الحيوانات يجد النزاع والمطاردة والافتراس والمهاوشة وفي الانسان يجد المغالبة والاسترقاق واختلاس الاموال وافتراش الاعناق وكل فردٍ يسعى في استدراج الخير لنفسهِ دائباً لا يفتر . وانهُ اذا لم يذد عن حوزتهِ وينضح عن نفسهِ ويجهد في اشخاص راسهِ فوق هام من حولهُ جدير بان يفتات على حقهِ فيفرسهُ الدهر بالناب وتمزقهُ الايام بالظفر

في ما تقدم من الكلام مخافةُ التضليل والايهام فان القارىء اذا لم يكن بعيد المرمى جديرٌ بان يحمل كلامي على غير القصد ويطردهُ الى جهاتٍ غير محمودة المغبات لانهُ اذا اخذهُ على عواهنهِ مجرداً عن اعضاد الاستقراء يفهم منهُ انهُ لا يجمل باحد ان ينفع الناس وان حبّ الذات فضيلة جليلة لا يصير الانسان انساناً الاّ بالقيام عليها فمن ثمّ صار واجباً عليّ ان آتي بجملة تفسيرية لاجل اصلاح ذات البين قبل ان اتخلى هذا الموقف الى اتمام الكلام في وجوب ايثار النفس واليك ما اريد :

من الاقوال المأثورة قولهم " احيِ الناس ليحيا الناس لك " وذلك مبنيٌّ على ان الفرد لا يطيق الانفراد ولا يستطيع ان يعيش وحدهُ ومهما كان لهُ من القوى المادية والعقلية لا يغني ذلك عنهُ شيئاً ان لم يلتمس المساعدة من الناس . فالمرء مضطرٌّ الى التعاون لان بهِ ثبات المجتمع الانسانيّ وبما ان الفرد مشمول باصلاح الهيئة الاجتماعية ومكتنف باحوال تفعل على راحتهِ فتتكيف بمقتضى تلك الاحوال صار واجباً عليهِ لاجل قوام راحتهِ واستجماع الخير لنفسهِ ان يهتمّ باصلاح المحيط الذي يلتف بهِ كما انهُ يجب عليهِ ان يصلح البيت الذي يعيش فيهِ ليدرأ عنهُ الحرّ والقرّ ويسكن فيهِ مطمئناً لان الهيئة الاجتماعية بمنزلة بيتٍ للفرد تتقاضاهُ تقويم معوجها واصلاح الفاسد منها حرصاً على راحتهِ وتزلفاً الى خير نفسهِ

اذا رأيت رجلاً قد قطع الطريق على آخر وهو يحاول اخذ ما معهُ من المال فانت مطالَب من قبل نفسك بان تقبل على المعتدي القوي بوسائلك وتدفع عن المظلوم الضعيف بان تقتصّ من الظالم وتردّ كيدهُ الى نحرهِ وان لم يكن لك يدٌ بهذا العمل فعليك ان تجمع عليهِ اصحابك وتقوّم عوج المعتدي بالضرب على يدهِ وردّهِ الى سبل الاستقامة . هذا اذا كنت في قبيلٍ لم تنظم شؤونهم ولم ينصب فيهم آمرٌ مطاع وناهٍ وزاعٍ تفضي الامور اليهِ . اما اذا كنت في بلدٍ اقيم فيهِ قسطاس العدل على داركٍ اجتمع عليهِ راي الامة فعليك ان تسرع لاشعار اولياء الامر ليقوموا بما كان واجباً عليك . وان قلت لا يعنيني واحجمت عن مساعدة الضعيف الساقط وفعل غيرك مثل فعلك لا يعتمّ البطالون والكسالى ان يحاولوا اختطاف اموال

الناس والاعتداء عليهم حرفةً يحترفونها ولا عزَّ كثيرٌ او قليل حتى تراهم يتسلقون جدران منزلك او يعالجون بابك او يقطعون عليك الطريق فتكون قد مهّدت امامهم سبيلاً ليسلبوا راحتك وينغصوا عليك اعمالك . وهكذا تكون العاقبة اذا عدّى كل فردٍ عن اغاثة من يستغيث بهِ من ابناء جنسهِ وقام ينظر في شؤون نفسهِ دون ان يبذل كثيرًا او قليلاً في سبيل انعاش الناس . وانت ترى ان كل عرفٍ يوليهِ المرء غيره يدور طويلاً او قصيرًا ويعود اليهِ بحسنةٍ تربو عليهِ . وان لم يكن الطرفان متكافئين في استطاعة كلٍّ منهما اعانة الآخر في عبء ينهض بهِ الواحد وينوء بهِ الآخر لا تقوم للتعاون قائمة ولا تثبت للغيرية قدم ولهذا قالوا " لا ترجُ خيرَ من لا يرجو خيرك ولا تركن الى من يخاف شرّك "

نعودُ الآن الى بيان مصير من يهمل امر نفسهِ حبًا بمنفعة غيرهِ . فنقول : من اخطر واجبات الانسان ان يهتم بشأن جسدهِ ليقدم لهُ الغذاء ويحافظ على راحتهِ بعد كل تعب ليمكنهُ من استجمام القوى واسترجاع بدل الذي فقدهُ في العمل وان يغتنم كلَّ فرصةٍ تسنح لينال منها سرورًا و يكون لهُ فيها حظٌّ وان يحافظ على صحتهِ و دابهِ وشرفهِ ومالهِ لان هذه جميعها اعوان لهُ عند الحاجة لا يقوم مقامها الذين تُبذَل في مساعدتهم . والخلاصة عليهِ ان يؤثر نفسهُ كما كان لهُ الخيار في الايثار وان هو لم يفعل بل بالغ في الازدراء بها ووقفها على نفع الناس يكون من عملهِ هذا ضرران جسيمان : اولهما ضعف في الفرد وسقوط في النسل . ونعني بهِ انهُ لا بدَّ لمن ينهج هذا السبيل من ان تمنى بالانحطاط في قواهُ ونقصٍ في اعضائهِ لانهُ باهمالهِ امر نفسهِ تمتنع بعض اعضاء جسمهِ عن العمل والقيام بوظائفها وتموت بعض اميالهِ التي لو كُفيت كانت تعود عليهِ بلذّةٍ وابتهاج ولنضرب مثلاً يستأنس بهِ في استيعاب ماتريد : كلّ امرىء يتوق وتهفو نفسهُ لان يسمع الحانًا مطربةً تعزف على الآلات .او تنشد بافواه المغنين والمغنيات فاذا احتجب شابٌّ عن التمتع بهذه اللذّة وابتعد عن مناشئها مشتغلاً بالامتيار لوالديهِ او لاخوتهِ او في خدمة الانسانية فهذا الميل الذي كان يسطع في نفسهِ يتناقص تدريجًا حتى يضعف في دماغهِ المركز المختص بهذه الامنية و يصبح يتجافى عن كل مواقع الطرب ويخلد الى الوحدة والانفكار . فيكون بذلك قد فقد من قواهُ خلقًا خطيرًا لهُ يدٌ في جعل حياتهِ نعيماً ومحوهِ عمرًا طويلاً في لذةٍ وصفاء

وهذه الخسارة لا تقتصر على الفرد بل ان هذا النقص ينتقل الى نسلهِ جريًا على ناموس الوراثة الطبيعية في مذهب سبنسر ومن سبقهُ من ان الاخلاق المكتسبة تنتقل الى النسل كما تنتقل الاخلاق الفطرية فهو اذا ولد لهُ اولاد يأتون غالبًا وفيهم هذا النقص الذي كان في

والدم وهم ايضاً يبثونهُ مكبراً في بنيهم اذا جروا على آثار ابيهم وهكذا الى ان يصبح المركز المختص بالميل الآنف الذكر اثرياً لا عمل لهُ . وهكذا يكون سير تلك الاسرة الحسنة نشوءا تقهقرياً مخالفاً للجهة التي يجهد الانسان ليبلغ فيها الكمال . وهم اعني اعضاء تلك العائلة يخالفون من حولهم بفقد جميع القوى التي اهملوا استعمالها اشتغالاً بما لا يجدي اجسامهم نفعاً . وانت تعرف جيداً ان وجود هذا النقص فيهم يقضي عليهم بتحمل مشقات عديدة وتجشم مصاعب بالغة في المنافسة العمرانية حتى يفضي بهم اخيراً الى التناقص ثم الى الفناء امام من يزيدونهم قوة ويفضلونهم تركيباً لمناسبة احوال المجتمع وبهذا تكون الغيرية عاملة على اهلاك القوامين عليها والمبالغة فيها تؤدي الى نقصها بنقص اصحابها . وهذه حقيقة طبيعية سلم بصحتها اكثر المحققين

ولو جئت اضرب الامثال في تعداد القوى التي يفقدها من يضحي نفسهُ على مذبح خدمة الغير لطال بي الموقف فيما انا غنيٌّ عنهُ بما قدمت فالجزء يدلُّ على الكل اذا كانت الغاية واحدة

ويجدر بي هنا ان اشير الى ان اكثر المشتغلين بخدمة غيرهم المتجافين عما فيهِ الخير لاجسادهم يقطعون اعمارهم متبتلين ومتبتلات وان نهدوا الى العيشة العائلية لا يكون ذلك الاَّ بعد مرور السن المناسبة للزواج واذا ولد لهم اولاد يجيئون مشوَّهين بما اشرنا اليهِ من النقص والضعف فتكون اعمارهم انقص من اولاهم

الضرر الثاني الذي يعتور الهيئة الاجتماعية من اهمال الفرد امر نفسهِ هو صيرورتهُ حملاً على اصحابهِ وذلك لان من يتواكل عن خدمة جسدهِ بان يُبلغهُ كل ما يستطيع ليس من الحاجيات فقط بل من الكماليات ايضاً يضعف فيهِ كثيرٌ من القوى والاميال التي لم تنشأ في اسلافهِ وتنتهِ اليهِ الا لانها معوان على تحصيل الخير ولها ضلع في انبساط الحياة وانشراح الصدر وطول العمر وتؤهل من هي في حيزهِ الى الثبات في مجال التنازع والموافقة لحالات المجتمع . وهذه الخسارة قد مثلنا عليها عند كلامنا على الضرر الاول وبها يصبح الفرد هيكل الكآبة ومستقرَّ السكينة

ان الكريات الحيوية اذا وُضعت في حالة ترتاح اليها وقدمت لها مطاليبها في اوقاتها تطول حياتها ويبقى صاحبها سعيداً متهللاً واذا مُنعت عنها حاجاتها وكُلفت القيام على ما تكره او تقوضيت بذل قدرٍ من نشاطها لا يعود اليها بدلهُ تبرمت بذلك وتملت وان فعلتهُ لا تفعلهُ الا متكارهةً متحاملةً ولا يكون صاحبها الا كاسفاً كئيباً وهو اذا كان كذلك أخلق بهِ ان يصبح وجودهُ بين اصحابهِ مكروهاً وان لا تلقاهُ في مجلسٍ الاَّ ممقوتاً وكلٌّ يطوي عنهُ

كشحاً ويختار مفارقتهُ بالتي هي احسن واليك بعض الامثلة على ذلك

عندنا رجل ذو امرأةٍ واولاد يبكر الى عملهِ تبكير الغراب و يصرف يومهُ بشغل شاق يكاد ينوء بهِ وجبينهُ في ايام القرّ يتصدَّع عرقاً فقلبهُ خفوق وراسهُ مصدوع وعيناهُ غائرتان وركبتاه مرتجفتان وقوتهُ مستنزفة وجسمهُ منهك وبطنهُ خميص وافكارهُ مظلمة وليلهُ طويل ونهارهُ اطول فاذا اجتمع بافراد عائلتهِ لا تلوح على وجوهِ الاَّ سمات الكآبة ولا تقرأُ في محياهُ الاَّ اسطر الحزن واذا جاء اولادهُ يتعلقون باهدابهِ لا يسمعون منهُ الاَّ الجمل المبتورة ولا يستشرفون بهِ الاَّ الوجه العبوس الآسف فتكون حياة العائلة كلها محفوفة بالتعاسة ملتفاً بها الشقاء لان راسها مأخوذ بالمخوليا وغريق بارتباك الافكار . ولا اراني مضطرًا الى ان ابين الاثر الذي ترسمهُ هذه الحال في تلك العائلة وكيف يكون امر الاولاد بعد ان يقضي ابوهم عمرهُ القصير . ان هذا الرجل حرم نفسهُ لذاذات الحياة والزمها النصب والعناء ليسوق السعادة لاولادهِ ويكسوهم الرياش القشيبة ويطعمهم المآكل الطيبة وقد ذهب عنهُ ان لقمة يابسة ومعها سلامة خير من بيت ملآن ذبائح مع خصام

هناك شابٌّ مات ابوهُ وترك لهُ عائلة كبيرة ليقدم لها رزقها فجعل امر راحة العائلة نصب عينيهِ وجل مراميهِ فيشتغل طول النهار منحنياً على مكتبتهِ يذيب حبات دماغهِ وينهك اعضاء جسدهِ ويمنع نفسهُ لذة الحياة وعينيهِ طيب الهجوع جاعلاً طعامهُ بلغةً ونومهُ غرارًا حرصاً على ترقية بني ابيهِ وضناً بهم ان تنزل درجة معيشتهم عمَّا كانت ايام كان والدهُ يجترح لهم. واحرِ بمن كان كذلك ان يبقى مبلبل الافكار كثير الاحزان شجيَّ الوجه كاسف البال فهو اذا اجتمع باصحابهِ لا يكون منهُ الاَّ استماع حديثهم ومحاولة اظهار بهجتهِ المصنَّعة بمشاهدتهم وكلُّ ذلك عودٌ على القاعدة التي اسلفنا ذكرها ان الجهاز العصبي اذا كُلّف نشاطاً لا يعود اليهِ تمكَّن منهُ الكآبة ويستحوذ عليهِ الضجر ويكون ذلك باعثاً الى تقصير حبل الحياة وجعل الباقي منها غصصاً واشجاناً

اما من احسن القيام على امر نفسهِ وجهد ليجعل ايامهُ مسراتٍ وافراحاً فيكون منهُ منافع جمّة للعمران منها تمرين قواهُ التي نمت في اسلافهِ وانتهت اليهِ بسبب مناسبتها لاحوال المجتمع . وهذه القوى تزداد بالتمرين وتقوى بالاستخدام المعتدل فيقرب الجهاز العصبي من الكمال و يستقيم امر تكيفهِ لمقتضيات المحيط و يزداد صاحبهُ ثباتاً في تنازع البقاء ويبث القوة الى نسلهِ فيكون منهُ عمال اقوياء يدفعون الهيئة الاجتماعية التي حولهم عدة خطواتٍ الى الامام . هذه المنفعة تصدر عنهُ بالدرجة الثانية ومنفعتهُ بالدرجة الاولى اوجهُ منها : ان هذا الفرد القائم على

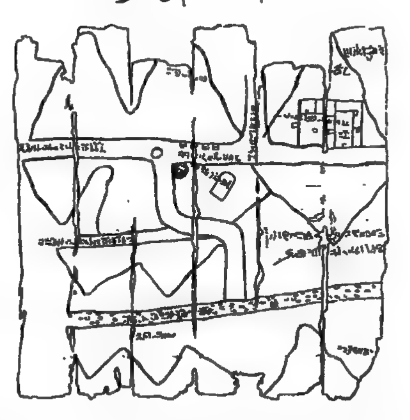
الاهتمام بامر نفسهِ لا يهمل ان يصير قادراً على نفع من حولهُ مادياً وادبياً . ينفعهم باتساع ثروتهِ وانبساط يدهِ بالسعة وتنت اذا اتسعت لا بد ان تطفَّ على من حولهُ ممن لم معهُ ارتباط في احوال المعيشة واذا امتلأ حوضهُ يصير حقيقاً بان يرشح نعماً على جميع المرابطين لابوابهِ . ينفعهم بآرائهِ السديدة ومثالهِ الصالح وبها ينير امامهم سبل الحياة ويدلهم على ابواب الرزق ودروب العيش الرغد . ينفعهم بتنشيط اليائس منهم واضرام لهيب الغيرة في نفوسهم لتسمو بهم الى ما فيهِ حسن حالهم وصلاح مآلهم

ينفعهم بوجههِ البشوش ومحياهُ الطلق وثغرهِ البسام لان من كان في عيشهِ انبساط وفي رزقهِ سعة وفي جهازهِ ارتياح ونشأة سرور يكون مجلسهُ مجلس صفاء ومقامهُ مقام نشاط وهناء يسلي اصحابهُ بالنكات الظريفة ويبهج اولادهُ بالاحاديث اللطيفة فهو انَّى سار سار معهُ السرور وايان حلَّ حلَّ امامهُ الحبور وكلٌّ يعرف ما للوجه الباش من قوة الجذب للقلوب واي تأثير لمن كان لحديثهِ طلاوة على نفوس مجالسيهِ كيف انهُ بحضورهِ معهم يحول اكدارهم افراحاً وضيق صدورهم انشراحاً فتنفتح مغالق القلوب وتتهلل لالفاظهِ النفوس . ومن كانت افكارهُ كثيفة يحاول عند اجتماعهِ بالناس ان يظهر الهشاشة والبشاشة ولكن شتان بين الكَحَل والكُحل

بين الاوربيين قوم يعرفون بالاشتراكيين (Socialists) يذهبون الى انهُ لا يحق للمرء ان يدخر قوة اذا كان غيرهُ محتاجاً اليها ولا يجوز لهُ ان يتمتع بلذة من لذات الحياة زيادة عما تقتضيهِ منزلتهُ بين الناس وهم يرغبون في ان يجعلوا البشر عائلة واحدة وثروة الارض مشتركة بينهم وكلهم متساوون في الحقوق والانصبة ويريدون ان يأخذوا الفضلات من ايدي المتمولين ويقسموها بين المحتاجين حتى يصير الكل في درجة واحدة من السعادة والاثراء . وقد اشار المقتطف الى فساد مذهبهم واقام الدليل الحسي والعلمي على تعذُّر ما يطلبون . وقد انشأ علماء الاقتصاد في اوربا المقالات الضافية والفوا الكتب المسهبة في مراوآت بهذه الشؤُون وذلك معروف عند كل من لهُ المامٌ باخبار القوم . وقد ظهر مما تقدم ان الفرد الذي سبق غيرهُ في مجال المنازعة العمرانية لم يحرز ذلك السبق الا بمزية كانت لهُ على اصحابهِ بقوة في عقلهِ او جسمهِ او في دهائهِ او في عصبيتهِ او في غير هذه وكل هذه المزايا خاصة بهِ ويحق لهُ الانتفاع بها دون غيرهِ . ولولا الجري على هذه القاعدة لما وصل النوع الانساني الى هذه الدرجة من القوة فالضعيف يهلك امام القوي والعاجز يعطي مكاناً للقادر ولا يبقى من النوع الا الانسب لاحوال المحيط والاقوم لسعادة المجتمع فيها يستمر النوع صاعداً في معارج القوة مقترباً من مستقر الكمال والضعفاء فيهِ يتناقص عددهم ويتقلص ظلهم الى ان يصير حملهم الثقيل ريشة لا يعبأ بها

اما تقليل عدد الضعفاء فلا يكون بقتلهم او بحرقهم او بتركهم يموتون جوعاً او برداً بل بالاحسان اليهم وانهاضهم من الوهدة التي سقطوا فيها ليكون منهم اعضاد للهيئة الاجتماعية واعوان على ترقية الانسانية وحيث ان الكلام في هذا المعنى طويل عريض ارجو ان اعود الى اتمامهِ في العدد القادم وكل آتٍ قريب

اقدم المناجم والخرائط



ذكرنا في الجزء الاخير من المجلد الرابع والعشرين من المقتطف ان شركة انكليزية اهتمت بالبحث عن المناجم التي كان المصريون الاقدمون يستخرجون الذهب منها ومضى وفد الى الاماكن التي كانت فيها بين لقصر والقصير فاكتشف سبعة عشر منها ووجد الذهب في بعضها كثيراً يبلغ ستة عشر درهماً في الطن

وقد اطلعنا الآن على اقدم خريطة من الخرائط المصرية التي بقيت الى الآن وهي اقدم خريطة وصلت الى ابناء هذا العصر مما صنعهُ الاقدمون وقد رسمت لتدل على مناجم الذهب في تلك البلاد فرأينا ان نتحف القراء برسمها ووصفها فنقول

تسلّط على مصر منذ ثلاثة آلاف وثلثمئة سنة ملك اسمهُ سِتي الاول وهو الذي بنى الرواق الاكبر في قصر الكرنك وكان فاتحاً عظيماً وقائداً كبيراً عبأ الجيوش ودوَّخ الاقطار ولم يكتفِ بالبناء والفتح بل وجّه همتهُ الى استخراج الذهب من معادنهِ. وقد وصلت الينا خريطة من البردي طولها نحو ٣٨ سنتمترًا في مثلها عرضاً مشرَّمة الحواشي مشققة الصدر لكثرة الاستعمال ولما توالى عليها من القرون. وهذه الصورة منقولة اصلاً عن صورتها التي رسمها لبسيوس الشهير وهي الآن في دار التحف البريطانية وفيها رسم واديين متوازيين ارتفعت الآكام على جانبي كلٍّ منهما ووصل بينهما شعب منحنٍ. واحد الواديين قاحل ملأتهُ الحجارة والانجم الشائكة كما يظهر من صورتهِ وهو الاسفل في الرسم والآخر كتب عليهِ انهُ يؤدي الى البحر وفيهِ اسم اربعة بيوت من بيوت المعدّنين عند سفح اكمة وهناك كلمة "معدن الذهب". وعند اتصال هذا الوادي بالشعب الممتد الى الوادي الآخر ارض زراعية فيها بئر او صهريج بجانبهِ كتابة يقال فيها "بئر الملك ستي الاول" وصفيحة مثل الصفائح التي تنصب فوق المدافن ويحتمل انهُ كتب فيها تاريخ حفرهِ لتلك البئر والمعدن. والى اليمين من هذه الارض والبئر اكمة قليلة الارتفاع عليها كتابة مصرية يقال فيها "هنا الجبال التي يصوَّل فيها الذهب ولونها احمر مثل لون هذه الكتابة". والآكام بين الواديين ملونة في الخريطة باللون الاحمر. وعلى الجانب المقابل من هذا الوادي اكمة اخرى ارفع من الاولى في سفحها رسم هيكل كبير للاله امون وعلى الاكمة كتابة مصرية يقال فيها "الجبل الطاهر"

والخريطة على بساطة رسمها تدلُّ دلالةً واضحة ناطقة على ما وُضعت لهُ وهي دليل قاطع على اهتمام المصريين القدماء باستخراج المعادن وعلى انهم اهتدوا الى رسم الخرائط واتخاذها دليلاً للاهتداء بها وهذا امر لا يفعلهُ ابناء هذا القطر حتى الآن من تلقاء انفسهم. ولا غرابة في ذلك لان عمران المصريين في تلك الايام كان ارقى من عمرانهم في هذا العصر اذا استثنينا ما استفدناهُ حديثاً من اوربا. وكان ارقى كثيراً من عمران العرب الذين فتحوا هذا القطر وتغلبوا عليهِ. ولا ندري كم كان ربح الدول المصرية القديمة من استخراج الذهب حينئذٍ ولكن لا شبهة في انها كانت تجود بنفوس الاسرى ولا تقدّر لعملهم قيمة بل كانت تكتفي باطعامهم ما يقوتهم لكي يبقوا قادرين على العمل

اما الآن فلا مطمع باستخراج الذهب الاّ اذا كان منهُ ربح يزيد على نفقات استخراجهِ ويبقى منهُ ربح لراس المال يبلغ عشرة او اكثر في المئة والاّ فمعدن الرمل الذي يقوم بنفقات استخراجهِ ويبقى منهُ ربح عشرة في المئة اربح من معدن الذهب

معاهدة جنيفا وجرحى الحروب

لحضرة الدكتور وديع برباري طبيب مستشفى الزقازيق

من اجلّ قوانين الحرب الحديثة معاهدة جنيفا التي وُضعت سنة ١٨٦٤ لحماية رجال المستشفيات وجرحى الحروب . وقد وقّعت عليها اكثر دول اوروبا مثل حكومة سويسرا وبلجكا والدنمارك واسبانيا وفرنسا وايطاليا وهولندا والبورتغال وبروسيا وبعض ممالك المانيا . ثم وافق على ما دوّن فيها اكثر الممالك والولايات المتمدنة تخفيفاً لويلات الحروب واوجاعها وجلّ ما ورد فيها مختص بجعل رجال المستشفيات في حيادٍ تام عن رحى الحرب عند المتحاربين وهذا مفاده

(١) ان المستشفيات العسكرية والمستشفيات النقالة تعتبر على الحياد ولذا يجب على الفريقين المتحاربين حمايتها واكرامها ما دام فيها مريض او جريح وتخرج عن الحياد متى احتلتها قوة عسكرية

(٢) ان خدمة المستشفيات الثابتة والنقالة ومن فيها من رجال المراقبة وادارة النقل والاطباء ورجال الدين يتمتعون بمزايا الحيادة ما داموا في وظائفهم وما دام عندهم مصاب لينقل او يسعف

(٣) ان الذين ذكروا في المادة الثانية يمكنهم الاستمرار على تأدية اعمالهم في المستشفيات المختصة بهم بعد احتلال جيش العدو ويحق لهم الانسحاب اذا شاءوا والالتحاق بالجيش الذين هم منهُ وحينئذٍ يرسلهم الجيش المحتل بعد انقطاعهم عن اعمالهم الى مواقع العدو الخارجة .

(٤) لما كانت معدّات المستشفيات العسكرية منوطةً بقوانين الحرب فالرجال التابعون لهذه المستشفيات لا يجوز لهم عند انسحابهم ان يأخذوا معهم شيئاً منها الاَّ ما كان خاصاً بهم على ان المستشفى النقال تحفظ لهُ جميع ادواتهِ ومهماتهِ في تلك الاحوال

(٥) هذه المادة لحماية السكان الذين يشتغلون بنقل جرحى المتحاربين او مساعدتهم

(٦) يحافظ على جرحى العساكر ومرضاهم ويعتنى بهم بدون نظر الى الجنسية ويكون لقواد الجيوش السلطة في تسليم العدو جنوده الذين جرحوا في المواقع حينما تسمح الاحوال بذلك بعد اتفاق الفريقين

(٧) يجب ان يكون على العلم والعلامة الموضوعة على الذراع علامة الصليب الاحمر على دائرة بيضاء وتستعمل في المستشفيات الثابتة والنقالة

ثم أُضيف الى المعاهدة المشار اليها ملحق في سنة ١٨٦٨ امضتهُ بريطانيا العظمى والنمسا

وبلجكا والدنمارك وفرنسا وايطاليا وهولندا وشمالي المانيا واسوج ونروج وسويسرا وتركيا وبعض ممالك المانيا وكان ذلك في اليوم العشرين من شهر اكتوبر من تلك السنة ومما جاء فيهِ

المادة الاولى : — ان الذين ذكروا في المادة الثانية من المعاهدة يمكنهم بعد احتلال العدو الاستمرار على تأدية اعمالهم ما دام المرضى والجرحى في حاجةٍ اليهم في المستشفيات النقالة والثابتة واذا شاؤا الانسحاب فيعين لهم قائد الجنود المحتلة موعد السفر ويجوز لهُ تأجيل الموعد قليلاً لاسباب حربية مهمة

المادة الثانية — تؤخذ الاحتياطات اللازمة بين المتحاربين لضمانة رواتب الذين يقعون بين ايدي الاعداء من رجال المستشفيات وابقائهم متمتعين بها

المادة الثالثة — يلحق بالمادة الاولى والرابعة من معاهدة سنة ١٨٦٨ ان اسم المستشفى النقال يطلق على المستشفيات التي تقام في ساحات الحروب وجميع البنايات الوقتية التي تنقل مع الجيوش لقبول المرضى والجرحى

المادة السابعة - اذا اسر وابور فرجال الدين والمستشفيات والاطباء فيهِ يعتبرون على الحياد وعند تركهم الوابور يجوز لهم نقل جميع الامتعة والآلات الجراحية التي تكون ملكاً خاصاً لهم

المادة الثالثة عشرة — ان الوابورات التي تحول الى مستشفيات ويقوم بتقديم معداتها جمعيات تعترف بها الحكومات الموقعة على هذه المعاهدة او تجهز بتصريح ملك واقرار من ناظر البحرية بانها كانت تحت سلطتهِ مدة تجهيزها وقيامها وبان تحضيرها كان فقط لاتمام الارسالية تعتبر على الحياد مع كل من فيها من المستخدمين ويجب على المتحاربين الاعتراف بها وحمايتها ويجب ايضاً على الوابور ان يعرف بقصدهِ للجميع برفع العلم الابيض المرسوم عليهِ الصليب الاحمر في جانب علم دولتهِ . وكذلك يجب ان يوضع حول اذرع رجالها علامات من اللون عينهِ اثناء تأدية اعمالهم وان يكون لون الوابور من الخارج ابيض ومقلماً باحمر . ويجب على هذه الوابورات مساعدة من تلزم مساعدتهُ من الجرحى او الذين تجنح بهم البوارج المتحاربة مع قطع النظر عن جنسيتهم . وتأدية واجباتها قبل المعارك وبعدها تكون على مسئوليتها . ويجب ان لا تكون بحركاتها عثرة في سبيل المتحاربين ويكون للمتحاربين حق المناظرة عليها وزيارتها ويحق لهم ايضاً رفض مساعدتها وابعادها او ابقاؤها اذا مست الحاجة ولا يجوز لاي فريق من المتحاربين استرداد الجرحى والذين كسرت بهم السفن ويجب عليهم ان لا يرجعوا الى الخدمة مدة استمرار الحرب

رواية تنكرد

للوزير الشهير اللورد بيكنسفيلد

القسم الرابع

الفصل الاول

لما دخل فخر الدين قصرهُ ومشى بين رجالهِ استغزَّ بما لقيهُ من التجيل وجعل يعامل قومهُ بالدعة والاكرام لكي تبقى القلوب معقودة على حبهِ فاتسعت ولائمهُ وكثر ضيوفهُ من الامراء والمشايخ وسرَّ تنكرد بما رأى وسمع وفعل بهِ هواء لبنان فعل الدواء فشفي جرحهُ وطيب نفسهُ. وكثر تحدُّث الناس عنهُ وتسابقهم الى اكرامهِ وكانوا يدعونهُ في امر الثورة ونتائجها وما يُفرَض منها على كل واحد منهم

واراد فخر الدين ان يجمع كلَّ امراء الجبل ومشايخهِ من الدروز والموارنة في قصرهِ لكي يصلح بينهم ويريهم منزلتهُ عند الدولة الانكليزية مدَّعياً انها علمت شأن العمل الذي هو عازم عليهِ فلم تأتمن قنصلاً عادياً تبعث بهِ اليهِ بل بعثت اليهِ باحد امرائها ممثلاً لعظمة تلك المملكة وغناها

وذاع هذا الخبر في الجبل على غير علم من تنكرد وصدَّقهُ بيت الخازن وبيت الدحداح وبيت حبيش وبيت حيدر من الموارنة وبيت جنبلاط وبيت تلحوق وبيت ابي نكد من الدروز وقالوا كلهم ان اخا الملكة نزل ضيفاً على الامير فخر الدين . وكان الخلاف شديداً بين الامير احمد ارسلان والمعلم بطرس كرامة فاصطلحا لان فخر الدين بعث اليهما كليهما جانباً كبيراً من البنادق التي اتى بها

وكان فخر الدين يبالغ في اكرام تنكرد فتزيد ثقة الناس بكلامهِ مع انهم لم يروا في تنكرد شيئاً يدلُّ على ما كان فخر الدين يذيعهُ عنهُ . وكان تنكرد يميل الى العزلة طبعاً لكن فخر الدين اقنعهُ بان ذلك يغيظ الامراء والمشايخ فلا يليق بهِ الاَّ ان يقابلهم كلهم حسب عادات البلاد

وركب معهُ ذات يوم وخرجا للنزهة بموكب حافل ثم عادا الى القصر وكان غاصاً بالزوار وقبل ان يترجل تنكرد عن جوادهِ ترجل فخر الدين وبادر اليهِ وامسك بركابهِ لكي يساعدهُ على النزول وهو يقول لهُ بالفرنسوية ان ذلك واجب عليَّ ويجب ان لا تمانع فيهِ لئلاَّ يغتاظ ضيوفي كلهم منك فزادت منزلة تنكرد في عيونهم اضعاف الاضعاف حينما رأوا اميرهم يمسك بركابهِ

كانت سورية من غزة الى الفرات مقسومة مقاطعات لكل مقاطعة امير او شيخ يحكمها فلما دخلها ابرهيم باشا حاول تنصيب والٍ واحد عليها فكانت النتيجة ان قام اهل لبنان عليهِ واضطروهُ الى ترك بلادهم سنة ١٨٤٠ .وفي لبنان خمس عشرة مقاطعة وعلى كل واحدة منها امير او شيخ كما تقدَّم لهُ الحكم المطلق في مصالح رعيتهِ وقد يكون من عائلة قديمة شهيرة تفوق عيال الامراء الاوربيين قدمًا وشهرة . وهذا النظام قديم جدًّا في جبال سورية وقد بذلت الدولة العثمانية جهدها في ابطالهِ وارسال الحكام من قبلها فلم يستتبّ لها ذلك الاَّ في السواحل

والشهابيون اشهر امراء لبنان وقد استتبَّ لهم الحكم على الجبل كلهِ وخضع لهم امراؤُهُ ومشايخهُ . واشهر الشهابيين الامير بشير الذي حكم الجبل مدة غزوة ابرهيم باشا لهُ فلما تغلبت الدولة عليهِ سنة ١٨٤٠ عزلت الامير بشيرًا ونفتهُ هو واولادهُ

واراد الباب العالي ان يتولى ادارة الجبل ويضع فيهِ الحامية العثمانية فلم توافقهُ الدول الاوربية على ذلك.ودعي الامير قاسم شهاب لولاية الجبل وكان لبطريرك الموارنة سلطان عليهِ فاخذ في عزل مشايخ الدروز (المقاطعجية) فدعى ذلك الى الحرب الاهلية التي نشبت سنة ١٨٤١ فكانت حجَّة لفرنسا على انكلترا ان الباب العالي لا يستطيع ان يحكم جبل لبنان مع ان اللوم فيها لم يكن على الباب العالي اكثر مما كان على المسيو غيزو وزير فرنسا او اللورد بامرستون وزير انكلترا . لكن الانكليز كانوا يجهلون امور الجبل فظنوا ان الحق في جانب فرنسا وندموا على مساعدتهم للباب العالي

واراد الباب العالي ان يغتنم فرصة اختلاف هاتين الدولتين ويمكن قدمهُ في الجبل فلم تقبل الدول الاوربية بذلك وعزل الامير قاسم ولم يشإِ الباب العالي ان يولي اميرًا آخر من الشهابيين ولا ارادت الدول الاوربية ان يكون الوالي من الاتراك . وتمَّ الاتفاق اخيرًا على ان يكون للجبل قائمقامان الواحد مسيحي يتولى امر الموارنة والثاني درزي يتولى امر الدروز . لكن سكان بعض المقاطعات ممتزجون من النصارى والدروز فوقع الخلاف في ضمهم الى هذا القائمقام او ذاك وحسبت انكلترا ان قسمة الجبل الى قسمين امرٌ سهل وهي تجهل ما لمناصبهِ من السلطة على اهاليهِ

ولما رأى الشهابيون هذا الاختلاف انحازوا كلهم الى الموارنة لانهم الفريق الاكبر في الجبل وبقي البعض منهم على دين الاسلام ولكنهم لم يكونوا محازبين للدروز واهتم اكليروس الموارنة بذلك وهو شديد السطوة في جبل لبنان

وكان الدروز من حزب الشهابيين قبل سنة ١٨٤١ وتألف مجلس من الشهابيين كانَ

يجتمع في دير القمر للنظر في مصالح الجبل وانضمَّ اليهِ بعض الدروز . ثم نشأ حزب سورية الفتاة سنة ١٨٤٤ وانتشر اعضاؤُهُ في تمدّن لبنانَ وقراهُ فلوجس الانكليز خيفة من ذلك ورضوا بقسمة الجبل الى قائمقاميتين ولما رأى الدروز انهم نالوا ما تمنوا تنحوا عن النصارى وانف الشهابيون من تسلط الدروز عليهم في المقاطعات التي قائمقامها درزي

وتبرع بطريرك الموارنة بمئتي الف غرش لابتياع البنادق وكذلك رئيس دير مشموشة قائلين ان انفاق المال في ابتياع الاسلحة خير من تركها لينهبها الدروز . وتبرَّع المطران طوبيا بمبلغ كبير ولكنهُ عاد فاسترجعهُ واتى المطران يوسف الجزيني الى صيدا باموال كثيرة وقال للناس سرًّا ان لا بد من اعطاء حكم الجبل لامير من بيت شهاب لكنهُ ادعى جهارًا انهُ اتى لتفريق الصدقات

ونشبت الحرب الاهلية في شهر مايو من شهور سنة ١٨٤٥ فهاجم النصارى الدروز في اماكن مختلفة ولم ينالوا منهم مأربًا ثم عاد الدروز على النصارى ونكلوا بهم وصعدت الجنود العثمانية الى الجبل بطلب الدول الاوربية لكن امراء دير القمر والامير قيس شهاب ابلوا في الدروز بلاء حسنًا : وكان فخر الدين حينئذٍ في قصرهِ فاسرع برجالهِ لنجدة الامير قيس فوجد رجالهُ مكسورين وقد دارت الدائرة عليهم والجنود العثمانية توسطت بين الفريقين فادَّعى انهُ جاء للتوسط ايضًا ونجح في استمالة قناصل الدول وجعل الباب العالي يعوض النصارى مما سلبهُ منهم الدروز وامضيت شروط الصلح بينهم وهي الشروط التي اشار اليها وهو يكلم حواء في القدس على ما تقدم

الفصل الثاني

الشيخ سعيد جنبلاط البطل المغوار اكبر مناصب الدروز راكب مهوة جوادهِ سائر الى قصر فنوبين ووراءهُ اربعة مشايخ من ابناء اعمامهِ اتوا معهُ من دارهِ في المختارة وهو شاب طويل القامة مجدول العضل على كتفيهِ برنس طويل وعلى رأسهِ عمامة بيضاء وهو بالعدة الكاملة

واتى بعدهُ الفارسان الشهيران الشيخ ناصيف ابو نكد واخوهُ الشيخ محمود ابو نكد ومعهما عشرون رجلاً من اتباعهما مسلحين بالبنادق. وكان النكدية مشايخ دير القمر فلما اراد البطريرك ان يسلب الدروز التسلط على بلادهم هجموا على دير القمر بلدهم ونهبوها نكاية فيهِ ولما عقد الصلح وتعهد الدروز برد الاسلاب التي عندهم قال الشيخ ناصيف ان عندهُ خمس مئة ظرطور اخذها من رأس خمس مئة امرأة

لكن هذه الامور نسيت الآن واجتمع الناس على الوئام والَّف فخر الدين بين القلوب

او كاد . وكان بين الوفود الى قنوبين المطران نيقوديموس كاتم اسرار البطريرك وهو ممن لم اليد الطولى في الحرب الماضية وكان معهُ شماس واحد لكن الجميع كانوا يجلّون مقامهُ فلما وصل الى القصر بادروا الى تقبيل يديهِ اما اكراماً لهُ او خوفاً منهُ لانهُ كان داهية كثير المشاكل والمشاغل يحرم هذا ويقطع ذاك ويفرض الفروض على من لا يطيع لهُ امراً . وكان يميل الى بيت شهاب ويحب فخر الدين ويسعى في مصلحتهِ وهو الذي سعى في ارسال الاسقف مراد الى اوربا فكاد يلقي الفتنة بين وزير فرنسا ووزير انكلترا كما تقدم حتى اضطرَّ فخر الدين ان ينكر انهُ مرسل من قبلهِ

وتوالى وفود الفرسان على صهوات الجياد وبينهم الامير قيس والامير عبد الله شهاب والشيخ فرنسيس الخازن وغيرهم من زعماء سورية الفتاة . وجاء بعدهم بنو يزبك الذين بقوا خمس مئة سنة لا يسمحون بتقدُّم آل جنبلاط عليهم . والشيخ فاعور كنج الذي قاطع الموارنة بعد الحرب الاخيرة اما الآن فطارحهم السلام وتصالح مع بيت حبيش وبيت الدحداح ومع المعلم بطرس كرامة. ووفد ايضاً مشايخ بيت تلحوق وبيت عبد الملك وبيت القاضي فامتلأ ميدان القصر بالصافنات الجياد وطبق الجو صهيل الخيل وجلس الامراء والمشايخ على البسط والارائك يدخنون التبغ ويشربون القهوة ومشى فخر الدين بينهم وعلى رأسهِ عمامة قوراء وعلى كتفيهِ جبة واسعة الاردان وكان يرحب بالدروز والموارنة على حدٍّ سوى وجلس مع الشيخ سعيد جنبلاط وحدَّثهُ طويلاً واكرم وفادة بني يزبك لكي لا يغاروا من بيت جنبلاط وقبَّل يد المطران نيقوديموس وارسل نارجيلتهُ الى الامير احمد ارسلان قائمقام الدروز

وكان تنكرد قد لبس لامة الصيد وهي من المخمل وتنكب بندقية من اجود مصنوعات بردي من نوع الششخانة فاعجب بها الحضور وطلب الشيخ فرنسيس الخازن من الامير فخر الدين ان يكلمهُ ليرمي لهم بها نسراً من النسور التي كانت تحلق في الجو امامهم . واخذ فخر الدين البندقية واراها الشيخ فرنسيس وتحال اقترب منهُ الشيخ سعيد جنبلاط والامير قيس شهاب وبعض مشايخ بيت حبيش وبيت الدحداح وجعلوا يروزونها ويعجبون بصنعها وما منهم الا من تمنى ان يكون عنده بندقية مثلها . ونادى تنكرد خادميهِ ليريا الحضور جفتهُ وفردهُ فاتيا بها واراهم اياها كأنها من سقط المتاع من غير ان يظهرا اقل اعجاب بها احتقاراً منهما لامراء لبنان . فاغتاظ تنكرد منهما واخذها منهما وجعل يشرح لهم مزاياها بالقليل من الكلمات العربية التي تعلمها واذا وصل الى معنى تعذَّر عليهِ التعبير عنهُ بالعربية تكلم بالفرنسوية والامير فخر الدين يترجم لهُ ثم التفت الى الجو فرأى عقاباً كبيراً محلقاً فيهِ فاطلق عليهِ بندقيتهُ واصابهُ فوقع امامهم

وهم يعجبون من مهارته في الرماية

ولما كان تنكرد يظهر دقة اسلحته كان بطرس كرامة يتكلم مع رفائيل فرح الدحداح فقال له ان هذا الامير اتى الى هنا ليرى ميل اهل الجبل الى بيت شهاب ولكنني سمعت امس في دير القمر ان قنصل الانكليز اقنع الملكة بان كل اهالي الجبل ضد بيت شهاب والبطرك في جملتهم . فاجابهُ رفائيل فرح ان هذا الكلام كذب والذي اشاعهُ الدروز لاغراض لا تخفى علينا . وسمعها الشيخ فرنسيس الخازن يتكلمان فقال لهما خلصنا من هذه السيرة فانهُ لم يبقَ دروز ولا موارنة بل الكل اخوة

رفائيل فرح — من قال ذلك وهل يقوم الجبل من غير الموارنة

الشيخ فرنسيس — نعم ولو كنا امة واحدة بدل ان نكون طوائف متعددة ما تغلّب علينا ابرهيم باشا بل كنا غلبناهُ وفتحنا مصر

رفائيل فرح — ما شاء الله شيخ من بيت الخازن يتكلم ضد الموارنة يتكلم ضد طائفة لها مئتا دير في الجبل

بطرس كرامة — ولها بطرك محترم في كل الدنيا

الشيخ فرنسيس — نعم وليس عندها قطعة سلاح

بطرس كرامة — نحن سلّمنا اسلحتنا باختيارنا

رفائيل فرح — أَقنعونا حتى سلّمناها

الشيخ فرنسيس — مَن اقنعنا هؤُلاء الرهبان الذين تفتخر بهم

بطرس كرامة — غشوهم اما انا فما سلمت اسلحتي وعندي الآن اسلحة تخطف ارواح كل الدروز

الشيخ فرنسيس — مالك وهذا الكلام فهو يغيظ الامير فخر الدين

المطران نيقوديموس — ويغيظني انا ايضاً وكلنا الآن اخوة وهذه ارادة سيدنا البطرك لا نصارى ولا دروز بل الكل اخوة

ثم قرعت الطبول علامة الخروج للصيد وخرج الامراء والمشايخ واعتلوا صهوات جيادهم وهم نحو اربع مئة فارس واربع مئة راجل وكان معهم قائمقام النصارى الامير حيدر شهاب وقائمقام الدروز الامير احمد ارسلان . ولما نزلوا عن الاكمة التي عليها القصر وبلغوا السهل المنبسط تحتها اخذوا يتسابقون ويرشقون الرماح ثم انقسموا ثلاث فرق ودخلوا حرجة كبيرة من اشجار السنديان ممتدة من طرف السهل ومنبسطة على سفح الجبل الذي يليهِ وصاعدة فيهِ

الى اعلاه . ومضت ساعات عديدة وانت لا تسمع الاَّ اطلاق البنادق ونباح الكلاب . ثم اخذ الناس يخرجون من الحراج ويسيرون نحو القصر وحداناً ثم زرافات واخيراً اقبل المشاة يحملون ما اصطاده الفرسان وهو خمسة وعشرون غزالاً وضبعٌ وكثير من الطيور وجاء الفرسان وراءهم يتمايلون على صهوات خيولهم كأَنهم سكارى ولما توسطوا السهل جعلوا يمرحون فيهِ ويجتمعون ويفترقون وهم ينشدون الاناشيد الحماسية ويلعبون بالرماح . والخيول تتهادى تحتهم كالعرائس الى ان بلغوا الاكمة التي عليها القصر

وكان مطبخ الامير كبيراً جدًّا فيهِ حفر كثيرة لشي الذبائح فاقبل الصيادون على الغزلان ينظفون احشاءها ويشوونها وجلس الامراء والمشايخ على بسطهم يدخنون التبغ الى ان طاب الشواء

ثم مُدَّت الاسمطة وجلس حولها الامراء والمشايخ على هذا النمط حول السماط الاول القائمقامان وتنكرد والمطران نيقوديموس ثم الشيخ سعيد جنبلاط ورئيس بيت يزبك ثم التلاحقة وبيت عبد الملك والنكدية وخمسة من مشايخ الموارنة . وعلى السماط الثاني فخر الدين ومعهُ الشهابيون وبيت حبيش وبيت الدحداح . وجلس بقية المشايخ حول بقية الاسمطة في الدار والرواق الذي حولها . ولم تكن تسمع الاَّ صوت تقطيع اللحم وتعريق العظم ومضغ الطعام اما الحديث فلا محل لهُ هناك لان الانسان إما ان يأْكل وإما ان يتكلم ولا يحسن الاثنين في وقت واحد. ومن خالف هذا النظام بُلي بسوء الهضم ولذلك ترى اكثر الاوربيين يشغلون ادمغتهم وهم ياكلون فتتلبك معدهم حتى لا تستطيع هضم الطعام . ويقال ان جلوس النساء على موائد الطعام مع الرجال هو الذي يدعو الى التنافس في الحديث وما ينتج عنهُ من التخم

وكان في وسط كل سماط صحن كبير من الارز المفلفل عليهِ غزال تحيط بهِ الحجال ودجاج الارض مما صادهُ البزاة وكلها مشوية محمَّرة

ولما اكلوا وطابت نفوسهم همس بطرس كرامة في اذن جارهِ رفائيل فرح وقال ارى الآن ان الاتفاق ممكن . فقال لهُ رفائيل فرح نعم ولماذا لا يمكن ذلك الم يكن على الجبل حاكم واحد قبل الآن فاذا كانت الدول تقبل بتسليم الحكومة لواحد من بيت شهاب وكان يجمعنا مراراً هنا كما نحن مجتمعون الآن زالت من بيننا الضغائن والاحقاد

بطرس كرامة — اتريد ان اخضع لمحمود ابي نكد

رفائيل فرح — مَن قال ذلك بعد ان حرق الاديرة

بطرس كرامة — ونهب خمس مئة طرطور

فرنسيس الخازن — ولكن هَبْ انهُ يردها لاصحابها

رفائيل فرح — اذا ردها انتهى الخلاف

بطرس كرامة — لا ينتهي الخلاف ما دام هذا الرجل حيًّا

ولما فرغ الضيوف من الطعام شكروا الله ونهضوا وجلسوا على الدواوين فجاءهم الخدم بالاباريق والطسوت فغسلوا ايديهم ثم جاؤوهم بالشبقات ودار الحديث بينهم وكان موضوعهُ الصيد والقنص وما فعلوهُ ذلك اليوم وسأل الشيخ جنبلاط تنكرد عمّا اذا كان في بلادهِ ضباع وقصَّ المطران نيقوديموس عليهم قصصاً كثيرة جرت في ايام الامير بشير حينما كان يخرج للصيد من بيت الدين واستطرد الكلام الى ما كان في تلك الايام من العز والجاه يوم كان على الجبل والٍ واحد

واخذ فريمن وترومن قطعة كبيرة من اللحم المشوي وجلسا تحت شجرة يأكلان منها . وقال فريمن ان الذي يحيّرني هو ان هؤلاء الناس يحسبون انفسهم نصارى وهم يعمّمون بالعمائم مَن سمع ان النصارى يعمّمون

ترومن — ويأكلون باصابعهم لا سكين ولا شوكة

فريمن — يقال من سافر كثيراً رأى العجب

ترومن — ورأى المشاق وانا ليس اصعب عليَّ من اننا لا نأكل في وقت معين

فريمن — ولكن هذا الاكل ليس بطالاً وهم يسمونهُ غزالاً . ولا ادري ما يقولون في بلامنت اذا قلنا لهم اننا اكلنا لحم الغزال

ترومن — نحن الآن هنا ليس في بلامنت . وهذا الامير امير بالحق وانا مسرور ان سيدنا صادقهُ فان صداقتهُ افضل من صداقة القسوس والرهبان

ولما خيم الليل قلت الضوضاء وفك كل احد عمامتهُ او منطقتهُ وفرشها ونام عليها . واوى الامراء والمشايخ الى غرف القصر او ناموا في اروقتهِ ودام الحال على هذا المنوال ثلاثة ايام متوالية . ولما لم يبقَ لفخر الدين غرفة ينام فيها طلب من تنكرد ان يقبلهُ ضيفاً عليهِ لينام في غرفتهِ

الفصل الثالث

تنكرد مخاطباً فخر الدين — كان هذا اليوم يوماً مشهوداً لا يُنسى ابد الدهر

فخر الدين — نعم وما رأيك في هؤلاء الرجال أيستطيعون ان يغلبوا العالم

تنكرد — غلبة العالم لا يكفي لها وجود الرجال بل لا بدَّ لهم من غرض يسعون اليهِ

فخر الدين — الفرض موجود

تنكرد — هل يعرفونهُ

فخر الدين — نعرّفهم بهِ

تنكرد — لا ادري كيف نستطيع ذلك

فخر الدين — الم يكن العرب عبدة اصنام ومع ذلك خرجوا من بلادهم يدينون دين التوحيد فانت ترى ان كل شيء مستطاع

تنكرد — نعم وانا لم ازل على رأيي الاول وهو ان الثورة يجب ان تبتدئ من بلاد العرب . فان البدو بمعزلٍ عن سفسطات الحضر وهم الآن كما كانوا في عصر محمد وموسى وابرهيم اهل ورع وتقى لا حيف عندهم ولا عتوّ

فخر الدين — ولكن انا من العرب وكل المقاطعجية من العرب وما منهم احد الاَّ وهو ينتسب الى عرب نجد او عرب الحجاز او عرب اليمن. وفي الجبل خمسون الف بندقية ورجالهُ ابطال اشدّاء وهم اهل زهد وتقشف الدرزي منهم يعيش على الخبز والزيتون وينام على التراب

تنكرد — ولكنهم لم يفعلوا شيئاً حتى الآن اما العرب ففعلوا

فخر الدين — نعم لم نفعل شيئاً لان ليس عندنا فرسان واعداؤنا يستعينون علينا بفرسان العرب ولكننا حافظنا على بلادنا . والآن صار العرب معنا لان الشيخ ما لكاً يمجدنا بفرسانهِ ولهُ الحول والطول في كل بلاد العرب فيأتينا بالفرسان من نجد والحجاز واليمن وعمان والبحرين يأتينا بخمسين ألف فارس اذا اردنا

تنكرد — هذا كلهُ حسن ولكنهُ لا يكفي ولا بدَّ لي من رؤية مدن الشام والعراق لارى أيتها يلزم لها مدافع وايتها تفتح بغير المدافع ثم يجب ان لا تنسى بر الاناطول اسيا الصغرى أخصب ارض الله فان الاتراك قد يهاجمون لبنان من الشمال ونحن ذاهبون الى الجنوب والشرق . وقد رأيت قومك ورجالك وانا اقدركم قدركم ولكن من يحمي اسيا الصغرى ومن يحفظ معابر الشمال وعلى من نعتمد بين طرابلس وانطاكية وبين حلب وادنة

وفهم فخر الدين مراد تنكرد وكان مخلصاً في قولهِ راضياً ان يترك قصرهُ وبساتينهُ وما فيها من رغد العيش ويشتبك في الحروب والمطامع لكي يقيم في اسيا مملكة شعارها العدل واساسها الاخاء وكانت نفسهُ كبيرة فيهِ وهي تدفعهُ الى العمل وتمنعهُ من الصبر على عيشة الكسل وتزين لهُ ان يدهش اوربا كلها بافعالهِ ولم يكن قصرهُ ليشبع مطامعهُ وما تطمح اليهِ نفسهُ . ولذلك كنت تراهُ قلقاً ضجوراً . ولم يكن يحب الفخر والمباهاة ولا كان يحسب للمخاطر حساباً

وكان قد استغرق في الديون ولكن هذه الديون كانت تشحذ ذهنهُ وتقوي عزيمتهُ ولا سيما اذا قابل مداينيهِ وحاول التغلب عليهم بالحيلة

ومن العجب العجيب ان ترى شاباً مثل لورد منتكيوت نبيل المطالب ثابت العزيمة يصادق رجلاً متقلباً مع الاهواء مثل فخر الدين . لكن فخر الدين كان زكي الفؤاد سريع الخاطر قلبهُ خاضع لمشاعرهِ فاذا ارضيت مشاعرهُ ملكتَ قلبهُ . لم يكن يعرف المبادئ الادبية المجردة ولكنهُ كان يرى الفضائل ويعرف قيمتها لانها تؤثر فيهِ تأثيراً عميقاً ولذلك فعلت بهِ آداب تنكرد فعل المغنطيس بالحديد ووجهتهُ وجهة معلومة

الفصل الرابع

تنكرد يخاطب باروني — اتعرف شيئاً عن قوم يقال لهم النصيرية

باروني — كلاَّ لا اعرف عنهم شيئاً ولا احد يعرف عنهم شيئاً غير انهم رجالُ حرب غلبوا المصريين ولما رأى ابرهيم باشا ذلك منهم حشا مدافعهُ بالدراهم ورشقهم بها فصاروا من اعز انصارهِ

تنكرد — أَمسلمون هم

باروني — كلاَّ لا مسلمون ولا نصارى ولا دروز ولا يهود ولا مجوس

تنكرد — من اي الاقوام هم . أعرب هم

باروني — كلاَّ ولم ارَ الاَّ واحداً منهم وشكلهُ يدل على ان اصلهم يونان او ارمن

تنكرد — اين رأيتهُ

باروني — في دمشق فانهُ حدث فيها مرةً خصام وهجم المتخاصمون على واحد يريدون قتلهُ فانقذهُ الصيدوني من يدهم ووجدناهُ نصيرياً لابساً زي البدو وهم يتزيون بكل الازياء ولهم جواسيس في كل المدن ويتكلمون العربية ولكن لهم لغة خاصة بهم

تنكرد — لماذا لم تمضوا الى بلادهم

باروني — لان الطاعون كان فاشياً حينئذٍ ولم يكونوا يسمحون لاحد ان يدخل بلادهم

تنكرد — هل رأيتَ هذا الرجل مرةً اخرى

باروني — نعم رأيتهُ في دمشق واسمهُ دركوش وهو يبيع العقاقير الطبية

والذي دعا تنكرد الى هذه المسائل هو انهُ كان جالساً في اليوم السابق مع فخر الدين والشيخ حمود ابي نكد ودار الحديث بينهم على الثورة فقال الشيخ حمود اني حاربت مع الامير بشير وركبت مع الامير يوسف لمحاربة الجزار ولكنني اقول الصدق ان طريق بلادنا ليست من هنا بل من جهات الشمال . وهذا القول سمعتهُ من الامير بشير نفسهِ مرارًا كثيرة ومن الامير

يوسف ايضاً وقد تفلح في اقامة امير واحد علينا وننضم كلنا تحت رايتهِ ولكن الاتراك يدخلون بلادنا من الشمال وقتما يريدون فلا تقوم لنا قائمة

تنكرد — وبيد مَن تلك الطريق ايها الشيخ المحترم

الشيخ حمود — بيد هؤلاء الابالسة النصيرية ولا يصيبنا شر الاَّ منهم

فخر الدين — ولا امل لنا باسترضائهم لانهم يكرهون الشهابيين ولو نصروا الامير بشيراً لغلب بهم الباب العالي ووالي مصر

الشيخ حمود — عندهم خمسة وعشرون الف محارب واذا انضمَّ اليهم التركمان والاكراد لم يقف احد في وجههم

فخر الدين — ومن العجب العجاب اني ذهبت الى حلب وانطاكية مراراً ولم ادخل بلاد النصيرية لان الناس كانوا يحذرونني منها وتحذيرهم لي كان يجب ان يغريني بدخولها ولكني لم ادخلها لانني اكرههم واخاف منهم لغير سبب واظن ان التي ارضعتني بثَّت في قلبي كراهتهم او انني اكرههم لانني اعلم انهم يكرهون الشهابيين وكان عمي الامير بشير يبغضهم ويشتمهم علانيةً

الشيخ حمود — ولكنهُ بذل جهدهُ هو والامير يوسف في استرضائهم

تنكرد — انظن اذاً ايها الشيخ انهُ لا امل باستقلال سورية من غير مساعدة النصيرية

الشيخ حمود — اذا ساعدنا النصيرية وامنَّا جانب البدو لم نخف من الترك ولا من المصريين

فخر الدين — ويصير يمكننا ان نفتح الحرب عليهم

الشيخ حمود — دعهم يتركونا وشاننا وهذا يكفينا

فخر الدين — انظر هذا الغزال ما قولك لو طاردناهُ وبقينا نطاردهُ حتى نصل الى بلاد النصيرية

الشيخ حمود — بلادهم بعيدة من هنا ولا غرض لي بدخول بلاد تحكمها امرأة

تنكرد — تحكمها امرأة! أصحيح ذلك

الشيخ حمود — كذا يقال

فخر الدين — هذه اشاعة ولكن المحقق ان النصيرية يعبدون امرأة

الفصل الخامس

أَقدم مدينة في العالم خالية من الآثار القديمة . غلبت وغُلِبَتْ قهرت وقُهِرَتْ لكن لم يبقَ فيها اثرٌ للغلب ولا للانقلاب لا عمود ولا قنطرة . انشئت فيها الهياكل ونصبت فيها التماثيل ولكن لم يبقَ منها اثر . أين قصورها اين سجونها اين دور القضاء ومجالس العلم خُرِّب كل شيءٍ وبني غيرهُ بانقاضهِ

يقول الناس ان مدينة لندن هي بابل الحديثة ومدينة باريس تماثل رومية القديمة ولكن ما قولهم في دمشق فانها كانت مدينة عظيمة لما كلم الله ابرهيم ومن ثم انتابها الملوك والغزاة الاراميون واليونان والرومان والعرب والتتر والترك مروا بها كالظل الزائل وهي باقية على مر الدهور مملوءة من السكان والغنى والرغد . هذه مدينة شاب الدهر ولم تشب وتقدمت الايام ولم تقدم . شربت اكسير الشباب فبقيت في عنفوانه وهي منفردة في ذلك لا مثيل لها في المسكونة درة بين الزمرد

هذه دمشق التي سكنها ابرهيم الخليل تحدق بها الحدائق وتخللها الانهار فترى ماءها يترقرق في جداولها وفساقيها ودورها وشوارعها فتسمع خريره في كل بستان وبيت وترى جداوله في كل دار وسوق . ولكن المياه كانت كثيرة في طيبة ونينوى وبابل . وما يردى باغزر ماء من النيل ودجلة والفرات ولم تبق هذه الانهار العوامم التي كانت عليها

حدثت الامور التالية بدمشق في غرفة كبيرة مستطيلة سقفها منقوش نقشاً لا مثيل له الاً في قصور ملوك الاندلس او مماليك مصر قائم على اعمدة من الرخام الابيض تيجانها كسعوف النخل بينها وبين الجدران رواق طويل نصبت فيه الارائك من الحرير الاخضر المطرز بالذهب وعلى الجدران سجوف حاكها امهر صناع مونخ . والارض مرصوفة من قطع الرخام في اشكال بديعة لا يرى منها الاّ الشيء القليل بين بساط وآخر . والبسط باهية النقوش والالوان من افخر ما صنعهُ اهل خراسان . وفي الغرفة آنية وتحف كثيرة من مصنوعات المشرق والمغرب موائد من الهند وصحاف من الصين وكؤوس من العقيق مملوءة بالازهار . وكوى الغرفة تطل على حديقة غناء باسقة الادواح مخضرة الخمائل مدبجة الازهار يترقرق الماء على حصبائها ويتدفق من فساقي صغيرة مبثوثة في جوانبها متصلة كلها بفسقية كبيرة في وسطها قام حولها اربعة تماثيل من المرمر الاسود تصب الماء من اربعة ابواق لؤلئية في حوض من الزبرجد

وكان في هذه الغرفة حينئذٍ اناس كثيرون اكثرهم زوار ورب المنزل وهو كهل طويل القامة مهيب الطلعة . هذا هو ادم بسو التاجر الشهير الذي رأيناهُ في القدس الشريف . على رأسهِ وكتفيهِ شال من الكشمير الدقيق وضعهُ التاجر الذي اتاهُ بهِ في قلب رمانة . وفي منطقتهِ خنجر قرابهُ من المينا ومقبضهُ مرصع بحجارة تناس حتى لا يبين منهُ شيء غيرها . والى جانب بسو رجل قصير القامة نحيف البنية لابس ثياباً اوربية رسمية تدلّ على انهُ قنصل لدولة من الدول الكبرى مع انهُ يحلق شعر رأسهِ ويلبس طربوشاً من غير عمة واسمهُ السنيور الياس لورلاً . وهو تاجر يهودي من تجار دمشق اقامتهُ دولة النمسا قنصل شرف لها . رجل مشهور في التجارة .

والسياسة لهُ ابنتان من اجمل بنات المشرق تعلمتا في ازمير ومرسيليا فانقلب رأسهما وعادتا تحتقران عادات الشام وازياءهُ وتلبسان الثياب الاوربية من آخر زي ومن افخر زي مع ان اباهم لا يلبس الثياب الاوربية الاَّ في الحفلات الرسمية ولا احد يلبس مثلهما من كل بنات اعمامهما

هذه اول مرة زارتا فيها بيت بسو لانهما عادتا من مرسيليا في اول السنة ولم يأتِ بسو الى دمشق الاَّ في اواسط الصيف وكانتا تعرفان صاحب البيت بشهرتهِ وانهُ فخر اليهود في المشرق ولكنهما كانتا تحتقران قومهما وتفضلان ان لا تحسبا من اليهود وكانت الكبرى منهما تجاهر بذلك امام اهلها ولا تخجل واما اختها فكانت تقول انهُ يجب على اليهود ان يتزوجوا بالناس اكثر فاكثر حتى يعرفهم الناس فلا يعودوا يكرهونهم وعليهم ايضاً ان يتمثلوا بالناس الذين يسكنون بينهم في كل شيء حتى لا يبقى ما يميزهم عن غيرهم ولا يبقى الاَّ فرق الدين وهذا لا ينظر اليهِ بين الاقوام المتمدنين . ولما دخلت هاتان الابنتان بيت بسو اضطرتا ان تخففا من عجبهما ولاسيما لما قُدّمتا الى رب المنزل ورأتا جلالة قدرهِ ثم قُدّمتا الى حواء ورأتا جمالاً يفوق الوصف وطلعة تسبي العقول وحسنًا وحلى تبهر العيون

ومدام لورلاً ام هاتين الابنتين نَصَف من بنات ازمير كانت موصوفة بجمالها ولم تزل عليها مسحة من الجمال لولا كثرة ما على رأسها من الحلي والجواهر فانها تفوق في ذلك كل سيدة سواها ولم تكتف بحجارة الماس بل وضعت بينها حجارة كبيرة من الزمرد والياقوت وسموطاً طويلة من اللؤلؤ وكأنَّ جسمها كلهُ في غلالة من الجواهر لكنها كانت جالسة على مقعدها كالصنم لا همَّ لها الاَّ النظر في حلى غيرها ومقابلتها بحلاها

وكان هناك شاب طويل القامة جميل المنظر لابسًا لباسًا شرقيًا يمشي بين الحضور يكلم هذا ويمازح ذاك ويهز كتفيهِ كأن الدنيا برغمةٍ في عينيهِ . هذا هلالي بسو خطيب حواء ابن بسو الحلبي . ذهب الى الاستانة واقام مدة في بيرا وزار السفراء ولكنهُ لم يعد محتقرًا لعادات بلادهِ كما عادت بنتا لورلاً ولم يكن يستحي بشعبهِ ولا بديانتهِ ولم يكن متعصبًا لانهُ قرأ فولتير . وكان يصغي الى حواء حينما تتكلم ويصادق على ما تقولهُ من ان شعب اليهود يفوق الشعوب كلها ويتأوّهُ حينما تحنّ الى الايام التي يعود فيها مجد آبائهم . ثم يهمس في اذن من يراهُ بجانبهِ قائلاً لا اظن اننا كنا في وقت من الاوقات ارفهَ حالاً وانعم بالاً منّا الآن

ودنا من ابنة لورلاً الكبرى ليكلمها فلم تكد تتنازل للكلام معهُ اولاً ثم لما علمت انهُ من بيت بسو ورأتهُ قابل السفراء في الاستانة ونساء السفراء قامت اجلالاً لهُ وخاضت معهُ في الحديث. اما بقية النساء الحاضرات فلم يكنَّ يتكلمن الاَّ نادرًا كأنَّ الكلام ليس من لوازم المجتمعات

العمومية وان تكلمن فعن حلاهن وحلى غيرهن . وكان هناك مراد فارحي ونسيم فارحي وموسى لورلا وزوجته وهما من نخبة اهالي دمشق ومن اكرم الناس كما يعلم كل من زار دمشق وكان موسى لورلا وكيلاً لاخيه (فيس قنصل) . اما نسيم فارحي واخوه فلم يكونا قنصلين ولكنهما من كبار التجار وقد تزوجا باختين من بنات عمهما فمدام مراد فارحي في اوج مجدها وزهرة جمالها لكنها كانت خجولة منكسرة الطرف واما اختها مدام نسيم فكانت اشد منها نباهة وذكاء وغيرة على شعبها واعجاباً بحواء . وهي طويلة القد ممشوقة القوام يتدفق الجمال من وجهها والذكاء من جبينها

وكان هناك امرأة سمينة عترهلة زوجها قنصل ولكنه ليس قنصلاً جنرالاً مثل لورلا تنظر اليها فتظنها صنماً من اصنام الصين وهي بشوشة الوجه كثيرة التبسم براقة العينين

وكان في الغرفة ايضاً ثلاثة اولاد او اربعة كأنهم الملائكة في جمالهم وخفة ارواحهم وابنة يصل شعرها الى الارض . اما الاولاد فكانوا كثيري اللعب والحركة لا يقر لهم قرار يدنون من بسّو وهو يتكلم و يشدون بطرف جبته غير هائبين ثم يسرعون الى امهم او حواء يقبلونها او يدنون من المرأة السمينة و يتفرسون في وجهها ويضحكون. هؤلاء اولاد اخت جلال بسو أُتي بهم الى دمشق لتغيير الهواء وامهم معهم وهي جالسة بجانب حواء ترقب اولادها بعينين زرقاوين وتشير اليهم بيدها لكي يلزموا السكينة

وكان الرجال واقفين اكثر الوقت يتحدثون كانهم في مجمع التجار (البورصة) ثم دخل من الغرف التي الى جانب هذه الغرفة خدم يحملون سلة كبيرة من الفضة مملوءة بسعوف النخل الصغيرة تتخللها اغصان الآس ودخل بعدهم خدم آخرون يحملون سلة كبيرة من الذهب فيها ثمار الليمون. وجعل الخدم يطوفون على الحضور فيأخذ كل منهم سعف نخل بيمينه وليمونة بيساره. ثم رفع رب المنزل سعف النخل بيده وحركه وللحال بادرت حواء اليه وكانت لابسة حلة من الحرير الابيض مزرورة بازرار من فصوص الماس الكبيرة ومتمنطقة بمنطقة مغشاة باللؤلؤ وفوق المنطقة صدرة من المخمل الاحمر مزركشة بالقصب والحجارة الكريمة وفوق ذلك شال من صنع الهند عليه تطريز بديع بخيوط الذهب والجواهر . وعلى رأسها عراقية مثل العراقية التي كانت عليه في بيت عنيا لكنها كانت الآن مغطاة بحجارة الماس بدل اللؤلؤ

ولما دنت من ابيها قال لها لا اظنهم يأتون فعلى مَ ننتظرهم

حواء — لا بد من مجيئهم يا ابي وقبل ان اتمت كلامها دخل الخدم ومعهم ضيفان جديدان تنكرد والامير فخر الدين

(ستأتي البقية)

حديث مع الجناب العالي

قصر تاتيانيا

قرأتُ في جرائد جنيف ان سمو الخديوي المعظم قدم جهات نيون على سواحل بحيرة ليمان ونزل في قصر تاتيانيا للاستحمام بمياه ديفون مدة من الزمان . فكتبت من فوري الى سعادة الفاضل شفيق بك رئيس الديوان الخديوي الافرنجي ان يتفضل فيرفع الى الجناب الفخيم رغبتي في التشرف بمقابلتهِ لتقديم واجب السلام ورفع عريضة الولاء مع التعظيم فكتب سعادتهُ اليَّ ان سموهُ يقابلني عصر ٢٢ الجاري قبل ان يغادر نيون ويصعد في جبال سويسرا. فنزلت في غداة ذلك النهار الى نيون وسرتُ قاصدًا قصر تاتيانيا والسماء تذرف دموع السحاب والبرق يقرطق ظهور الهضاب وما زالت المركبة تجري بي بين المروج والرياض والحدائق والغياض فاطل تارةً على بحيرة ليمان وطورًا على القصور والافدان وانا اخالني لشدة المشابهة سائرًا بين بيروت ولبنان حتى وقعت عيني فجأةً على لراية المصرية تخفق وسط الحدائق والبساتين على ما تحتها من الاشجار والرياحين. فعلمتُ انني دنوت من قصر تاتيانيا وكأني انتقلت الى خمائل القبة او قناة عابدين . فجعلت امتع الطرف بمحاسن الحدائق والخمائل التي غرسها البرنس يوسوبوف الروسي منذ ثلاثين عامًا واتطالُ لرؤية القصر المنيف الذي شادهُ لزوجتهِ فيها واستعظمُ ما انفق عليهِ من الالوف والملايين ثم اتذكر كيف اغتالتهُ يد المنون في وطنهِ منذ ثماني سنين واقول انهُ غرس ولكن لغيرهِ وشاد ولكن لسواهُ فان قصرهُ يهجر الآن حتى يؤجر لمن يجيء تلك الجهات من الامراء والملوك . وما زلتُ اميل تارةً ذات اليسار وطورًا ذات اليمين حتى دخلت بي المركبة من رتاج عظيم الى جنة نضرة ووقفت بي امام باب القصر حيث انست برؤية بعض من الخدم والحشم وقوفًا على رؤوسهم الطرابيش بعد ما ملَّت عيناي من رؤية البرانيط دون سواها مدة غيابي عن مصر . ولما دخلتُ الباب التقيتُ بحضرة عزتلو ياور بك من موظفي المعية وكنا قد سافرنا من الاسكندرية على باخرة واحدة فسلمنا وحمدنا اللقاء وسار بي حتى جمعني بسعادة الفاضل شفيق بك فسلمنا تسليم المشتاق بعد طول الفراق واتفق ان سعادة اسكندر باشا فهمي العضو الوطني في مجلس ادارة سكة الحديد كان متشرفًا حينئذٍ بمقابلة الحضرة الفخيمة الخديوية فقضيت لحظة الانتظار في غرفة شفيق بك اسمع منهُ اخبار مرض الجناب العالي وشفائهِ حتى ودع سعادة اسكندر باشا وخرج من الحضرة وامر سموهُ فتشرفتُ بالمقابلة

مرض الجناب العالي وشفاؤه

ولما دخلت قاعة الاستقبال اذا سموهُ واقف فيها بوجههِ الصبوح وثغرهِ الباسم يرحّب بي ترحيب شرقي ورث كرم الاخلاق أباً عن جد . وجمع بين رقة الجانب وانس المحضر وبين عظمة الملك وهيبة السؤدد ويتلطف اليَّ في السلام والكلام ويتعطف بتقريبي منهُ واجلاسي بجانبهِ حتى دهشتُ مما شاهدتهُ من التنازل واللطف اشد مما يدهش الانسان من الهيبة وظواهر الصولة. ثم انطلق لساني بحمد الله على ما أرى على وجه سموهِ من علائم الصحة ودلائل العافية بعد المرض المضني الذي اقلق بال الامة

فقال سموهُ اني احمد الله على ذلك فقد ذقتُ من ذلك المرض الاهوال وقضيتُ ثمانية ايام لم أذق فيها طعاماً غير المرق حتى خارت قواي لان سقف حلقي ورم وكذلك لثتي ولم أعد استطيع مضغ الطعام من شدة الالتهاب . واظن ان كثيرين يحسبون ان المرض اصابني في حنجرتي وليس كذلك فان حنجرتي وبلعومي كانا سليمين . ومما زادني ارتباكاً وحيرة انهُ اصابني في وقتٍ لم اكن أتوقعهُ فيهِ ولا كنتُ في متسع لهُ . فلذلك شددتُ عزيمتي وجعلتُ اقاومهُ واصارعهُ منذ شعرت بهِ في كولوني وصبرت عليهِ حتى ركبت اليخت الملكي وشخَّصهُ طبيب اليخت بالدفثيريا كما شخصهُ كوتسكي بك طبيبي . فأيقنتُ حينئذٍ انهُ لم يبقَ مجال للقيل والقال ولا باب للاراجيف ولا لاشاعات الذين كانوا ربما يقولون ان الخديوي تمارض ليتخلص من زيارة لا يريدها ومن مقابلات يكرهها ونحو ذلك من الاقاويل التي يتوهمها قوم توهماً ثم يذيعونها كانها حقائق لا ريب فيها . وعدتُ بعد التأمل فقلتُ ان اصابتي بهذا المرض وانا في اوربا خير من اصابتي بهِ قبل المجيء اليها لسدها كل سبيل للقول والارجاف من هذا القبيل . ثم عادني الدكتور سيمونس الشهير وهو الماني مستوطن انكلترا منذ زمان طويل وشهد حرب المانيا وفرنسا كأنهُ جندي بسيط بطوعهِ واختيارهِ فقال لي بعد الفحص انهُ يظن ان مرضي ليس الدفثيريا ولكنهُ لا يجزم بماهيتهِ الاَّ بعد عيادة أخرى فاطمأن بالي ولكنهُ غيَّر رأيهُ بعد العيادة الثانية ورجح رأي الطبيبين الآخرين واشار بالحقن تحت الجلد باللقاح المضاد للدفثيريا قائلاً انهُ ان كان المرض هو الدفثيريا قاومناهُ بالحقن وان لم يكن الدفثيريا فالحقن لا يضرُّ فيهِ ثم اخذ بعض الغشاء الابيض الذي ظهر على حلقي ليريني مكروبهُ ويعلم نوعهُ بالبحث البكتيريولوجي بعد مضي اربع وعشرين ساعة ووجه معظم عنايتهِ الى قلبي لشدة تأثرهِ من هذا المرض فانهُ كان ينبض ١٤٠ نبضة في الدقيقة . فلما رأيتُ ان ذلك الطبيب المشهور عدل عن رأيهِ الاول وبقي متردداً في ماهية مرضي جسم الامر عندي وتشاءمت من عاقبتهِ

ولاسيما لاني بت اتقلب على جمر الانتظار مدة اربع وعشرين ساعة مع ما بي من انحطاط القوة المتأتي عن قلة الطعام ومن الضعف المتأتي عن السقام . ومع ذلك بقي وجهي على ما ترى الآن لا تظهر عليهِ علامات الصحة والعافية

ثم تبين من البحث البكتريولوجي بعد الاربع والعشرين ساعة ان المرض من الامراض العفنية المعدية وانهُ كان يعدُّ قبل اكتشاف مكروب الدفثيريا الدفثيريا بعينها ولكنهُ غيرها ولما نقهتُ منهُ استرجعتُ صحتي وقوتي سريعاً حتى اني اتممت كل ما كان معيناً في بيان الزيارة بلا تغيير فيهِ ولا حذف شيء منهُ

امتنان سموهِ لابناء وطنهِ وللاجانب

قلت الحمد لله يا مولاي على شفاء سموكم ورجوع عافيتكم فان اخبار مرضكم اقلقت كل رعاياكم واعلم ان كل مصري جاء بلاد سويسرا في هذا الصيف كان يحسب مرض سموكم مرضاً في عزيز عندهُ كما كان شأن اخوانهِ المصريين في وطننا العزيز وكان يطرق كل باب للاستعلام عن صحة سموكم يومياً وعن رأي الاطباء في مرضكم

فقال سموهُ اني لا اقدر ان اصف لك يا دكتور ما وجدتُ في نفسي من البسط والارتياح وسط اشتداد المرض والم السقام مما ثبت لي من حب ابناء وطني لي وتعلقهم بي حتى كنتُ اقول على سريري ان الله ابتلاني بهذا المرض لامتحاني من جهة ولتطييب خاطري باظهار ما لي من الحب في نفوس شعبي فانا ممتنٌّ لهم عظيم الامتنان سواء كانوا داخل القطر او خارجهُ وشاكرٌ لهم على تعلقهم بي وكذلك شكري عظيم للاجانب الذين اثبتوا حبهم لي وعطفهم عليَّ في مرضي وخصوصاً جلالة ملكة الانكليز واعضاء العائلة المالكة الانكليزية ورجال الدولة البريطانية فان جلالة الملكة كانت تستعلم يومياً عني من اربعة من رجالها الذين معي واعضاء العائلة المالكة كانت استعلاماتهم عني متتابعة متواصلة . وكان اهتمامهم كلهم بامر صحتي يؤثر في نفسي تأثيراً عميقاً فانهم كانوا يبذلون جهدهم في تخفيف مشقة الاحتفالات والزيارات عليَّ ويرغبون اليَّ في وسط الحفلات الكبرى ان اقدّم راحتي ومقتضى صحتي في الاهتمام على كل المعاملات الرسمية . فذلك وشدة اعتنائهم بجعل مقابلاتي من احسن المقابلات في كل امر كلي وجزئي واحتفالهم بزيارتي كاحتفالهم بزيارات اعظم زائريهم من الملوك والامراء وقع في نفسي وقعاً عظيماً لما فيهِ من الدلالة على كرم الاخلاق وصدق الوداد وحسن النية

حنين سموهِ الى العائلة والوطن

ولكني لما اتممت زيارتي وعدت من انكلترا شعرت بضعف لا مزيد عليهِ وكأن كل قوتي

فارقتني فسافرت من كالي الى باريس ومنها الى ديفون وانا لا اكاد اقف على قدمي لشدة ما بي من الضعف حتى ان الاطباء في ديفون قالوا اني لا استطيع الانتقال الى هنا وأبوا ان يسمحوا لي بحمام " الدوش " لعدم احتمالي له ولكني اذهب كل يوم واستحم بمياه ديفون واراني قد اكتفيت بالاربعة عشر حماماً التي استخدمتها فيها فاسترجعت قوتي وعدت الى عافيتي

ثم تنفس سموهُ الصعداء وقال واني كنت اقضي في هذه الجهات ستة اسابيع ولكن ارى ان فراقي لعائلتي قد طال (وبانت عليهِ علامات الشوق الى ولي عهده صانهُ الله وحماه والى الاهلين والاوطان) فأرى الاولى بي الاسراع الى الوطن ولذلك عزمت على السفر غداً وطلبت من شفيق بك ان يبلغك ذلك حتى تراني قبلما اسافر

نتيجة الزيارة لانكلترا

فقلت لسموهِ وعسى ان زيارة افندينا لانكلترا ارضتهُ من الجهة الخصوصية فكانت نتيجتها حسنة لمقام الخديوية وللبلاد المصرية . فاظهر سموهُ تمام الرضى من كل ما رآه وما سمعهُ سواء كان من اعضاء العائلة المالكة او من رجال الدولة البريطانية ثم قال ولا بدَّ ان تكون قد اطلعتَ على خطبة اللورد مايرمحافظ لندن وحكمتَ بما لها من الاهمية الكلية حيث اكّدت حسن العلائق بيننا وبين الامة الانكليزية واثبتت باجلى بيان ان مقام الخديوية هو مناط امور مصر وعليهِ المعوَّل واليهِ المرجع فيها . فنتيجة زيارتي للندن امر جلّ ومرادي ان اعيد الزيارة لها من حين الى حين اذا سنحت الفرص ووافقت الاحوال لتجديد عهود الوداد وتوكيد العلائق التي تفيد البلاد

فقلت نعم يا مولاي اني طالعت تلك الخطبة بتأمل وتدبر وادركتُ منها ما اشرتم سموكم اليهِ ولا شك عند كثيرين من المخلصين الولاء لسموكم من رعاياكم ان هذه السياسة من احسن السياسات التي تنيل مقام الخديوية غايتهُ وتفيد بلادهُ. وقد علمتُ من صديق يكاتبني من لندن ان زيارة سموكم اثّرت تأثيراً حسناً جداً في اذهان الانكليز وان بعضاً من اكابرهم قال انهُ وجدكم أدرى كثيراً باحوال بلادكم مما كان يظنهُ فيكم قبل اجتماعهِ بكم

فقال سموهُ ان المستر تشمبرلن والمستر جوشن (من وزراء انكلترا) حدَّثاني طويلاً وسألاني عن مصر واهلها واحوالها واشغالها واعمالها تفصيلاً. ثم تبسّم سموهُ وقال ولحظتُ بعد ذلك عليهما انهما استغربا معرفتي لبلادي واهلها واني ممازج لشعبي ومطلع على احوالهِ واشغالهِ

الخطة السياسية المصرية

ثم انتقل سموهُ من التعميم الى التخصيص واطال في ذلك فاقتطفُ من اقوالهِ الغرّ ما

يوافق المقام وما يستدل منهُ الكاتب على الخطة السياسية التي يظهر ان سموهُ يجري عليها الآن في تدبير الامور المصرية . قال اعزَّهُ الله وقد تكلمت مع كثيرين من رجال الدولة البريطانية عن جناب اللورد كرومر في زيارتي للندن فاخبرتهم صريحًا بما أراهُ وما اعتقدهُ فيهِ حيث قلتُ اني احترمهُ كثيرًا واجلّ قدرهُ لاني وجدتهُ بعد الاختبار رجلاً هماماً اميناً يخدم دولتهُ ويسعى في مصلحتها بالصدق والاستقامة . وان كنا نختلف في الرأي احيانًا فهذا الاختلاف امر لا بد منهُ بين اثنين ينظر كلٌّ منهما من جهتهِ ويسعى في مصلحة خاصتهِ . ولو رأيتُ منهُ في ما مضى ضعفًا يستمال بهِ عن جادة الصدق والامانة لانحطت منزلتهُ في عينيَّ ولم يكن لهُ عندي ما لهُ الآن من الاكرام والاحترام . وقد عرفتهُ ساعات الغيظ والرضى واجتمعت بهِ ايام الانس والجفاء وعاشرتهُ في الاتفاق والاختلاف فعرفت طباعهُ واخلاقهُ وصار سهلاً عليَّ حل المشاكل وانجاز الامور معهُ فوجودهُ عندنا محبوب عندي وميسّر لقضاء المهام عليَّ . وبعد ما اسهب سموهُ في هذا المعنى طويلاً قال وان كل مسألة انحصرت بيني وبين اللورد كرومر ولم يدخل فيها سوانا ولا تعدَّت الى غيرنا زالت مشاكلها بيننا وانحلت على ما يرام بخلاف المسائل التي كان يتعرض لها سوانا معنا وتتناقلها افواه غيرنا فانها كانت تزداد اشكالاً وتعقيدًا وتتعدَّد وجوه الاختلاف فيها يومًا فيومًا ثم تنتهي على غير ما يرام حتى ثبت لي بعد الاختبار ان بعض المتعرضين كان يتوخى ايغار الصدور والقاء الجفاء والنفور بيننا لغرض يعلمهُ الله . واما الآن فذلك قد زال ولم يبقَ للسعي في التفريق مجال. ثم اثنى سموهُ في سياق الكلام على جناب المستر غورست المستشار المالي لما يبدي من حب الاتفاق ولسعيهِ في تأليف القلوب وتذليل المصاعب وحلّ المشاكل في المسائل التي تعرض للحكومة ومدحهُ على سعة عقلهِ وسمو ادراكهِ ورحب صدرهِ وحسن نيتهِ وصفاء طويتهِ . ومدح جناب السر رنل رود ايضًا على لطفهِ وظرفهِ وكمال ادبهِ واجتهادهِ في تسهيل الزيارة على سموهِ ولم يبخس سعادة السردار حقهُ من المدح ايضًا .

وقال سموهُ قبل ان انتقل من هذا الحديث الى غيرهِ اني لما وصلت الى كالي كلّفت الكولونل كارنجتن ياور الملكة الذي كان بمعيتي ان يبلغ جلالتها شكري لفضلها ولا عضاء عائلتها على ما لقيتُ من الحفاوة وحسن الضيافة والاكرام وما رأيتُ من دلائل الوداد وحسن الوفاء وكلفت السر رنل رود ان يبلغ اللورد سالسبري وسائر النظار شكري وامتناني ويخبرهم اني سائر الى ديفون توًّا ثم اعود في اواسط الشهر القادم الى بلادي ويحتمل اني اعرّج على الاستانة في عودتي لزيارة الحضرة الشاهانية بضعة ايام حسب عادتي .

فيتبين القارئ من الطرف الذي اوردتهُ من اقوال سموهِ ايدهُ الله صدق ما قلتهُ في مقالتي عن زيارة سموهِ لندن ان تلك الزيارة عنوان سياسة المسالمة والاتفاق والتعاون على الاصلاح . واني وان كنت على يقين ان هذه السياسة التي تستصوبها حكمة الجناب العالي هي عين السياسة التي يستصوبها جناب اللورد كرومر واكابر المحتلين للقطر المصري وانها عين ما تتمناهُ الدولة البريطانية كلها من جلالة ملكتها الى اصغر رجال حكومتها لا أرى بدًّا من تنبيه صغار المحتلين الى هذا الامر الجلل والسلوك على مقتضاهُ حتى يكونوا مثل رؤسائهم وأكابرهم قدوة لغيرهم في دماثة الاخلاق وحسن السلوك ورقة الجانب ولا يجعلوا للمصريين سبيلاً للشكوى من تكبرهم وتغطرسهم ومعاملتهم لهم بالازدراء والاحتقار . فليعتبروا كيف عاد الجناب العالي من بلادهم وكلهُ السنة شكر وثناء على امتهم للطف ملكتها ورقة جانب امرائها وحسن اخلاق اكابرها وعظمائها بل ليعتبروا كيف يثني كل مصري عرف رجال الوكالة البريطانية في مصر على لطفهم واحترامهم للوطنيين ومعاملتهم لهم باللطف والرقة وليقتدوا بفضلائهم في معاملة المصريين والابتعاد عما يسوءهم واجتناب اسباب الخصومة والنزاع ولا سيما بعد ما ثبت لهم ميل الاهالي جميعهم الى مسالمتهم ومحاسنتهم

عودة سموهِ الى الاسكندرية

وسألت سموهُ في سياق الحديث قائلاً والى اين تقصدون سموكم بالسلامة في سفركم من هنا فقال اني اسافر غداً (الاثنين في ٢٣ الجاري) قاصداً جبال سويسرا واتنقل من مكان الى مكان حتى اصل الى فينا في اول اغسطس ثم البث فيها بضعة ايام وحينئذٍ فإما ان اسير الى الاستانة لزيارة الحضرة الشاهانية واقيم هناك حوالي اسبوع من الزمان ثم ارجع مع عائلتي منها . واما ان اسافر الى الاسكندرية توًّا ولا اعرّج على الاستانة وتوافيني عائلتي من الاستانة اليها . وسواءٌ عرجت على الاستانة او لم اعرج عليها فاني اصل الى الاسكندرية في اواسط شهر اوغسطس ان شاء الله

وبعد ما قضيت بين يدي سموهِ نحو ساعتين اذن لي فقمت وانا اثني جميلاً واطلب لسموهِ عمرًا طويلاً

واستأذنتهُ قبل الوداع في نشر بعض الحديث قائلاً اني اعلم يامولاي ان احاديث الملوك والامراء عزيزة يضن بها على الجرائد ولا يؤذن بادراجها ونسبتها الى اصحابها الا عند ارادة امر خطير والامر الذي تكرمتم سموكم فانبأتموني بهِ امر جلل يهم جميع المصريين فهلاَّ تفضلتم فاذنتم لي في نشرهِ فائدة للجمهور . فافترّ سموهُ وتوقدت نار الذكاء في عينيهِ ثم حولها نحوي وادام

نظرها اليَّ وهو يعمل الفكرة الثاقبة في ما هو معروض عليهِ. ثم قال افعل ما تجدهُ نافعاً. فخرجت وانا أكرر الدعاء واسرعت الى النزل الذي انا فيهِ وارسلت اليكم بهذه العجالة ليطلع القراء الكرام على ما يتشوفون اليهِ من اهم اخبار سمو الامير حفظهُ الله وزاد عزهُ وعلاهُ

نيون (بسويسرا) في ٢٢ يوليو سنة ١٩٠٠ (فارس نمر)

البعوض والحمّى

وكيفية اتقائهما

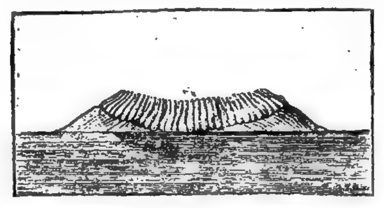
يعذرنا القراء اذا عدنا الى هذا الموضوع لانهُ ليس بين المباحث التي يهتم بها الآن علماء الطب وعلماء البيولوجيا وعلماء حفظ الصحة عموماً ما هو اهم منهُ بل يجب ان يكون لهُ الشأن الاكبر في نظر كل انسان لانهُ ما من احد الاَّ وأُصيب بالحمّى الملارية او اصيب بها احد اخوتهِ او اخواتهِ او اقاربهِ وودَّ ان يعرف سبيلاً للنجاة منها وقد صار هذا السبيل معروفاً ميسوراً كما سترى في ما يلي

ظنَّ كثيرون من زمان قديم ان للبعوض علاقةً بالحمّى الملارية . ولم يقتصر ذلك على المتعلمين الذين يرقبون الحوادث الطبيعية ليردوها الى اسبابها بل شاركهم فيهِ المتوحشون فقد وجد الدكتور كوخ الشهير اناساً من سكان افريقية الاصليين في املاك المانيا بشرقي افريقية يعرفون ان الحمى التي يصابون بها اذا نزلوا من جبالهم الى السهول تأتيهم من لسع البعوض وهم يسمون هذه الحمى وهذا البعوض اسماً واحداً. وهذا شأن الفلاحين في بعض جهات ايطاليا فانهم يعتقدون ان الحمى الملارية تأتيهم من لسع البعوض

ثم لما اكتشف لافران الجراثيم الحية في دماء محمومين ظنَّ انها تنتقل منهم الى البعوض الذي يلسعهم ويمتص دمهم والبعوض ينقلها الى من يلسعهُ من الاصحاء فيصاب بالحمى. لكنهُ لم يستطع اثبات ذلك بالامتحان ولا بالدليل

ثم وجد الدكتور غولجي وغيرهُ ان هذه الجراثيم تخلف نسلاً وهي في جسم الانسان وذلك هو سبب ادوار الحمى لكن نسلها لا يبلغ تمام نموهِ وهو في جسم الانسان ولا يبلغهُ اذا خرج منهُ وخرج من الدم ايضاً . ولا بدَّ لهُ لاتمام دور من ادوار نموهِ من ان يخرج من جسم الانسان مع قليل من دمهِ. وعليهِ فلا سبيل لانتقال الحمى من محموم الى السليم بواسطة تنفس المحموم او تفلهِ او عرقهِ او مبرزاتهِ اذ لا بدَّ من خروج شيءٍ من الدم مع هذه الجراثيم

لكي يتم هذا الدور من نموها فيهِ وهو خارج جسم الانسان. ورأى الدكتور مانسون ذلك سنة ١٨٩٤ فاستنتج ان العدوى تنتقل من المحموم الى غيرهِ بواسطة البعوض الذي يلسعهُ ويمتص شيئاً من دمهِ فتتم كل الشروط اللازمة لنمو هذه الجراثيم في دم الانسان وخارج جسمهِ لكنهُ لم يثبت ذلك بالامتحان. واراد ان يمضي الى بلاد تكثر الحميات فيها مثل غينيا الجديدة فلم يستطع . فنشر رأيهُ هذا لكي يثبتهُ غيرهُ بالامتحان. وكان الدكتور روس قد جاء بالاجازة من الهند فقابلهُ وشرح لهُ رأيهُ وما يعلمهُ من هذا القبيل فعاد الى الهند وجعل يبحث وينقب ويشرّح البعوض بعد لسعهِ للمحمومين فلم يعثر على ما اراد الاَّ بعد عناء كثير وتعب طويل. وجرى غيرهُ من العلماء الايطاليين مجراهُ فثبت لهم ان جراثيم الحمى الملاريَّة التي تصيب الانسان لا تنمو في كل انواع البعوض بل في نوع واحد منها مرقَّط الجناحين قليل الوجود جدًّا فهو عدو الانسان الذي ينقل عدوى الحميات الملارية من شخص الى آخر. وغنيٌّ عن البيان اننا اذا عرفنا هذا النوع من البعوض وميزناهُ عن غيرهِ سهل علينا اتقاء الحميات الملارية

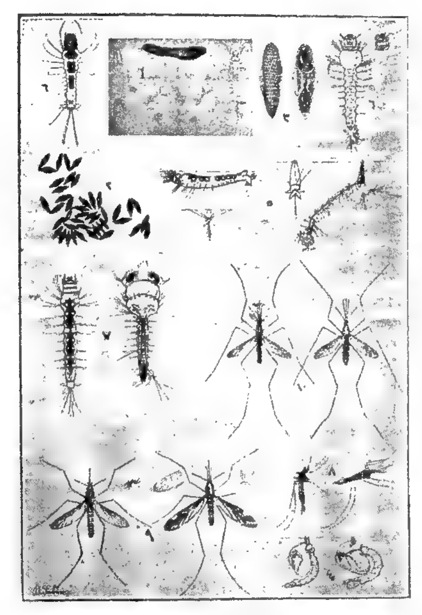


الشكل الاول بيض البعوض طافيًا على وجه الماء كما يرى من جانبهِ وهو مكبر جدًّا

وهذا البعوض يمتاز عن البعوض العادي في كل اطوارهِ كما سترى . وقبل ذلك نقول ان البعوضة العادية تبيض على وجه الماء الراكد او البطيء الجريان وتختار من الماء ما ليس فيهِ سمك لان السمك يأكل صغارها وتلصق بيضها بعضهُ ببعض في شكل قارب يطفو على وجهِ الماء كما ترى في الشكل الاول . وبعد اربعة او خمسة ايام يخرج من كل بيضة دودة صغيرة تسبح في الماء وتتدرَّج هذه الدودة على اطوار مختلفة الى ان تصير بعوضة وقد اوضحنا ذلك كلهُ بالرسوم الكثيرة في الجزء الثالث من المجلد الرابع والعشرين . ورسمنا ايضاً صورة هذا القارب والدود الخارج منهُ في درجات مختلفة من نموهِ عند الرقم ١ في الشكل الثاني المرسوم بعدُ

اما بعوض الحمى الملارية فلا يلصق بيضهُ بعضهُ ببعض بل يضعهُ على وجه الماء متفرقاً فيدنو

بعضهُ من بعض كما تدنو كل الاجسام الخفيفة الطافية على وجه الماء ترى هذه البيوض عند



الشكل الثاني (١) بيض البعوض العادي وعومة في الماء.(٢) بيض بعوض حمى الربع الملارية (٣) بضة مكبرة كثيرًا من هذا البيض تظهر من وجهيها · (٤) عوم البعوض في حالة الزيز او الشرنقة اليمنى لبعوض الحمى واليسرى للبعوض الاعتيادي (٥) اليمنى عومة البعوض الاعتيادي وهي تتنفس واليسرى عومة بعوض الحمى لاصقة بسطح الماء · (٦) اليسرى عومة بعوض الحمى حال ظهورها من البيض واليمنى بعد ما تنمو · (٧) عومة البعوض العادي الى اليمين وعومة بعوض الحمى الى اليسار · (٨) شكل البعوض في وقوفهِ فالتي الى يمين الرقم بعوضة الحمى والتي الى يسارهِ بعوضة عادية (٩) التي الى يمين الرقم بعوضة الحمى وهي مرقطة الجناحين وقرناها حول خرطومها طويلان · والتي الى اليسار بعوضة عادية وقرناها قصيران · (١٠) بعوض الحمى الانثى الى يمين الرقم والذكر الى يسارهِ

الرقم ٢ في الشكل الثاني وهي متفرقة مستدقة من طرفيها كحبوب الشعير لكنها في الرسم مكبرة جدًّا عما هي في الحقيقة. وقد كبرت واحدة منها ايضاً ورسمت من وجهيها فوق الرقم ٣ وعددها قليل بين اربعين ومئة واما بيوض البعوض العادي فنحو اربع مئة او اكثر. ووضح من ذلك ان شكل البيض ووضعهُ على وجه الماء يختلف في بعوض الحى عما هو في البعوض العادي اختلافاً كبيراً جدًّا. فاذا رأيت بيوض بعوض الحى في بركة او ترعة فاعلم ان بعوض الحى موجود هناك

والديدان او العوم التي تخرج من البيض وتصير بعوضاً تختلف ايضاً في بعوض الحى عنها في البعوض العادي في بنائها وغذائها وطبائعها وشكل وقوفها في الماء. فعوم البعوض العادي تصعد الى وجه الماء لتتنفس حتى اذا بلغ انبوب التنفس الذي عند طرف ذنبها سطح الماء ثبتت تحتهُ مائلة على زاوية كما ترى على يمين الرقم ٥ في الشكل الثاني وتبقى هناك لحظة ثم تغوص في الماء لتفتش عن شيء تأكلهُ ثم تعود الى وجه الماء كل دقيقة او دقيقتين. وكأنها اثقل من الماء فتتلوَّى حتى تصعد الى سطحهِ واما اذا ارادت النزول فيهِ تركت نفسها لثقلها فتنزل من غير تعب كأنها جسم ثقيل طُرِح في الماء

اما عوم بعوض الحى فتقضي اكثر الوقت عند سطح الماء وانبوب التنفُّس في ذنبها قصير جدًّا اقصر منهُ في عوم البعوض العادي فتراها لاصقة بسطح الماء في شكل افقي كما ترى عن يسار الرقم ٥. ورأس هذه العوم يتحرك في عنقها فتدير فاها الى سطح الماء وتأكل ما تجدهُ عليهِ مع ان بطنها يكون الى الاسفل. وتحرك اهداب فمها حركة سريعة فتندفع اليهِ الاجسام الصغيرة الطافية على وجهِ الماء. وجسم هذه العوم قاتم اللون يكاد يكون اسود واما جسم عوم البعوض العادي فرمادي او ضارب الى الصفرة. والظاهر ان عوم بعوض الحى خفيفة ثقلها كثقل الماء فلا تستطيع الغوص فيهِ الا بتعب ولذلك لا تغوص فيهِ الا اذا خافت

ورأس عوم البعوض العادي اكبر من رأس عوم بعوض الحى كما ترى عن جانبي الرقم ٧ فان التي عن اليسار عومة بعوض الحى والتي عن اليمين عومة البعوض العادي وهما صغيرتان جدًّا ويبقى هذا الفرق بينهما ولو كبرتا والاهداب التي حول الرأس مختلفة في النوع الواحد عنها في الآخر كما ترى في الاشكال المتقدمة

والعوم تستحيل الى زيزان او شرانق كما هو الحال في غيرها من الحشرات. وهذه تختلف ايضاً في النوعين اختلافاً بيناً كما ترى على جانبي الرقم ٤ فان التي الى يسار الرقم شرنقة البعوض العادي والتي الى يمينهِ شرنقة بعوض الحى

ويختلف هذان النوعان من البعوض في شكلهما وكيفية وقوفهما على الحائط. اما

اختلاف شكلهما فيظهر عند الرقم ٩ فان البعوضة التي الى يمين الرقم انثى بعوض الحمى الملارية والبعوضة التي الى يسار الرقم انثى البعوض العادي . ومعظم الفرق في ترقيط الجناحين وفي طول القرنين اللذين على جانبي خرطومها فانهما طويلان في بعوض الحمى وقصيران في البعوض العادي

ومعلوم ان ذكر البعوض لا يمص دماً فلا ضرر منهُ وريشتا رأسهِ طويلتا الاهداب . وترى عند الرقم ١٠ صورة ذكر بعوض الحمى وانثاهُ فالذكر الى اليسار والانثى الى اليمين فيسهل التمييز بينهما

ثم اذا وقفت بعوضة الحمى على سقف او حائط كان وقوفها عمودياً على السقف او الحائط كما ترى الى يمين الرقم ٨ واما البعوضة العادية فتقف موازية للحائط او السقف كما ترى على يسار الرقم ٨ ورأس بعوضة الحمى يكون على استقامة بدنها كما ترى في هذا الرسم واما رأس البعوضة العادية فيكون مائلاً عليهِ كما ترى

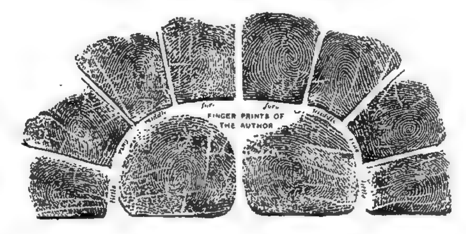
وبعوض الحمى المرسوم ههنا هو بعوض حمى الربع والظاهر انهُ نفس بعوض بقية الحميات الملارية او ان بعوض هذه الحميات يشبههُ ويخالف البعوض العادي كما تقدم . وقد نقلنا الصور التي في الشكل الثاني عن جريدة السينتفك اميركان وهي واردة في مقالة للدكتور هوَرد صورها من بحثهِ الخاص في الربيع الماضي في مدينة وشنطون

واذا عرف الانسان عدوهُ لم يتعذر عليهِ اتقاؤهُ فعدو الانسان الذي يبليهِ بالحميات الملارية هو هذا النوع من البعوض وهو لا يتولد الا في المستنقعات والبرك الخالية من السمك فاذا ربي السمك فيها او نُزح ماؤها حتى تجف لم يبقَ سبيل لتولد هذا البعوض وكذلك اذا صُبت فيها مادة تميت عوهُ كزيت البترول

والحميات الملارية كثيرة في هذا القطر والقطر الشامي وقد رأينا ان علماء الطب يغادرون بلادهم ويمضون الى اقاصي افريقية او اقاصي الهند الى البلدان التي تكثر فيها الحميات لكي يبحثوا عن علاقة البعوض بها . أفلا يهتم احد من الاطباء الشرقيين في هذا القطر والقطر الشامي بالبحث عن البعوض الذي ينقل عدوى الحمى ويدرس طبائعهُ عسى ان يكتشف طريقة تقي منهُ فيفيد ابناء نوعهِ ويخلد لنفسهِ الاسم الحسن بين العلماء الذين افادوا نوع الانسان . وقد صار اسلوب البحث سهلاً جداً الآن بعد كل ما اثبتهُ العلماء المحققون في هذا الموضوع فليس على الباحث الا ان يقف على ما اكتشفوهُ وحققوهُ ثم يزيد عليهِ ما تستتب لهُ زيادتهُ

آثار الانامل

واستخدامها في مصر للدلالة على المجرمين



لم نبقَ بنا حاجة لوصف آثار الانامل وكيفية اهتداء العالم فرنسيس غالتون الى استخدامهِ في الدلالة على المجرمين بعد ما كتبناهُ قبلاً في هذا الموضوع . وقد عرف قرّاء المقتطف ان هذا العالم الشهير زار القطر المصري في الشتاء الماضي وتفضّل بزيارتنا مراراً وهو شيخ كبير السن في الثامنة والسبعين من عمرهِ لكنهُ في همَّة الشبان. فلم يكد يأتي العاصمة حتى بحث عن استخدام طريقتهِ فيها للدلالة على المجرمين كما استخدمت في بلدان اخرى فوجد ان سعادة هارفي باشا حكمدار العاصمة يستخدمها لهذه الغاية وكتب في ذلك مقالةً ضافية في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية ابان فيها كيفية استعمال طريقتهِ في هذا القطر وقال فيها ما ترجمتهُ

والآن أتكلم عن المكان الذي تستعمل فيهِ هذه الطريقة في القاهرة وهو مثال في النظام والفائدة. ومما يحسن ذكرهُ في هذا المقام ان هارفي باشا ادخل هذه الطريقة ونظَّم استعمالها من تلقاء نفسهِ . والآن يُطلَب من البوليس معرفة شخصية المتهمين الذين تتعذَّر معرفة شخصيتهم وقد استخدم هذا النظام منذ سنة ١٨٩٧ مع نظام القياس ولكنهُ لم يتطرَّف فيهما

وبلغ عدد المجرمين الذين طُبِعَت آثار اناملهم ٢٠٨٣٦ نفساً سنة ١٨٩٩ وهم ١٨٥٨٢ من الرجال و٦٦١ من النساء و١٥٩٣ من الاولاد وآثار كل انسان مطبوعة على ورقة خاصةً بهِ وعليها قياسهُ ووصف مزاياهُ الشخصية واسمهُ وجرائمهُ . وهذه الاوراق مرتبة في ٢٤٣ درجاً واوراق كل درج رتبة حسب نوع الآثار . وهناك اربعة من المستخدمين بيدهم هذه الاوراق وهم غاية في الذكاء والهمة وقد امتحنتهم لارى في كم من الوقت يعرفون اسم انسان لو رأوا آثار انامله فكنت استخرج ورقة من الاوراق المزدوجة واريهم ما عليها من الآثار واطلب منهم

ان يجدوا اسم صاحبها فوجدت انهم كانوا يعرفون الشخص في اقل من دقيقة وعرفوهُ مرة في احدى عشرة ثانية من الزمان

وقد افادت هذه الطريقة فائدة جليلة في القطر المصري فلم يعد المجرم يستفيد من تغيير اسمهِ ولا يتضرَّر غيره اذا كان اسمهُ شبيهاً باسم رجل مجرم. والذين تحت مراقبة البوليس صاروا يُعرَفون اذا هربوا وبُحث عنهم بهذه الطريقة . وقد حدث في سجون مصر ان انساناً محكوماً عليهِ بالعقاب سنين كثيرة أُطلق سبيلهُ بدل انسان آخر محكوم عليهِ بالعقاب مدة قصيرة لما انتهت مدة عقاب هذا لان اسميهما متماثلان . ولم يُنصَف هذا المسكين الاَّ حينما اثبتت آثار انامله انهُ غير الرجل الذي أُطلق خطأً او عمداً مثال ذلك انهُ كان في سجن الحوض المرصود رجلان اسم كل منهما حسن محمد احدهما محكوم عليهِ بالسجن شهر ولما انقضى الشهر وذلك في ٢٨ دسمبر سنة ١٨٩٨ أُطلق حسن محمد الاول المحكوم عليهِ بالسجن سنة وأُبقي الثاني في السجن . وامثال ذلك كثيرة منها ان رجلاً ارمنياً اسمهُ باغوص سنوسيان حكم عليهِ بالسجن مدة قصيرة لجريمة حقيرة فرضي ان يبقى في السجن بدل ارمني آخر اسمهُ كرنك مردنيان كان قد حكم عليهِ بالسجن مدة طويلة . ولم تعرف ادارة السجون ذلك الاَّ بعد ان قيس باغوص سنوسيان ثانية وطبعت آثار انامله حينما أُريد اخراجهُ من السجن فوجد قياسهُ مختلفاً عن قياسهِ الاول وآثار انامله مختلفة عن آثارهِ الاولى . وسُئلت ادارة تحقيق الشخصية في ذلك فوجدت ان هذه الآثار هي آثار كرنك مردنيان لا باغوص سنوسيان وفُتش عن هذا الرجل وقُبض عليهِ فوجد ان الآثار الاولى آثارهُ حقيقة لا آثار باغوص

ويستعمل هذا التحقيق الآن لمعرفة سوابق الخفراء وسوابق الخدم وفائدتهُ جلي ولا سيما في القطر المصري حيث تتشابه الاسماء كثيراً ويسهل على الشخص الواحد ان يغير اسمهُ مراراً

ويظهر من مقالة المسترغالتون ان تحقيق الشخصية بآثار الآثار صار كثير الاستعمال في بلاد الهند فكل الذين يقبضون المعاش تحفظ آثار اناملهم حتى لا يُبدلوا بغيرهم عن خطاء او عن عمد . وكل الذين يحلّون اوراقاً تثبت شخصيتهم بآثار أنامِلهم بدل ختومهم حتى يستحيل عليهم انكار ما فعلوهُ . ويعتمد على آثار الانامل في كثير من دوائر الحكومة. واذا طُرد رجل من خدمة مصلحة المساحة لسوء سلوكهِ رُسمت آثار انامله بالزنكوغرافيا وطبعت على الورق ووزعت على فروع تلك المصلحة حتى اذا اتاها يطلب خدمة عرفتهُ ولم تستخدمهُ

هذا وقد علمنا نحن من حكمدارية البوليس في العاصمة ان الرجال يقاسون وقتما تطبع آثار اناملهم واما النساء فيكتفى بآثار انامِلهنَّ لكي لا تعرّى ابدانهنَّ وكذلك الصغار يكتفى

بآثار انا ملهم لان قياسهم يختلف بسبب نموهم . وقد ظهرت فائدة آثار الانامل في معرفة السوابق ظهوراً جلياً مثال ذلك ان رجلاً ضُبط في سرقة بطنطا في ٢٦ مايو سنة ١٨٩٨ وادَّعى ان اسمهُ علي وهبه السوداني ولكونهِ غريباً قيس وطبعت آثار انامله وارسلت الى قلم تحقيق الشخصية في مصر للكشف عن سوابقهِ فاتضح لدى الكشف ان آثارهُ معروفة قبلاً وان الاسم الذي ادعاهُ هو غير الاسماء التي كان يدَّعيها قبلاً وان لهُ خمس سوابق معروفة عند الحكومة ثلاثاً منها سرقات ادَّعى في الاولى منها ان اسمهُ محمد حسن جعفر وفي الثانية ان اسمهُ جعفر عبده البربري وفي الثالثة ان اسمهُ حسن جعفر . وفي ١٩ يونيو من تلك السنة وردت من الاسكندرية آثار انامل رجل اسمهُ خليل علي وهبه ولدى البحث عنها وجد انهُ هو محمد حسن جعفر ابو جعفر علي البربري او علي وهبه السوداني ولم يكن يُعلَم حينئذٍ انهُ هرب من طنطا فسئلت مديرية طنطا عنهُ فورد الجواب منها انهُ هرب من السجن حقيقةً وحكم عليهِ غيابياً وكانت المديرية آخذة في البحث عنهُ ولما أُتي بهِ الى المحاكمة انكر ان لهُ سوابق وطلبت النيابة تأجيل الدعوى وجيء بواحد من قلم المقاسات الى المحكمة لتحقيق شخصيتهِ فلما قيس ثبت بالدليل العياني انهُ هو صاحب السوابق المتقدمة وحكم عليهِ بالسجن سنة ثم استأنف فحكم عليهِ بالسجن سنتين

ولما قيس هذا الرجل في محكمة طنطا كان فيها رجل يدعي ان اسمهُ جرجيرج هرمان متهم بسرقة وكان قلم تحقيق الشخصية قد اثبت ان اسمهُ يعقوب بلال حبيم وان لهُ سابقة في السرقة وحكم عليهِ بسببها في ٢ ابريل سنة ١٨٩٨ بمصر فانكر ذلك كلهُ فلما ثبتت شخصية الرجل الاول في المحكمة امامهُ واقترب منهُ مستخدم قلم المقاسات ليحقق شخصيتهُ قاطعهُ قائلاً لا فائدة من الاستمرار على الانكار واعترف باسمهِ الاول وسوابقهِ . وحينئذٍ طلبت المحكمة من المستخدم المشار اليهِ ان يبقى فيها حتى ختام الجلسة فاعترف كثيرون من المجرمين بسوابقهم لانهم رأوا انكارها قد صار ضرباً من العبث

ومن هذا القبيل انهُ أُفرج عن رجل اسمهُ ابرهيم حسن خضر في ٢٥ فبراير سنة ١٨٩٨ وكان مسجوناً في سجن طنطا ولم يوضع تحت مراقبة البوليس حين الافراج عنهُ وأُرسل قياسهُ وآثارهُ الى مصر فوجد حالاً ان هذا الرجل حكم عليهِ ثلاث مرات بالوضع تحت مراقبة البوليس في الاولى اربع سنوات وكان اسمهُ حينئذٍ محمد محمد الاشول وفي الثانية سنتين وكان اسمهُ ابرهيم محمد الطوخي وفي الثالثة سنتين ايضاً وكان اسمهُ ابرهيم محمد

وظهرت فائدتها ايضاً في تبرئة الابرياء من السوابق التي يحكم بها عليهم خطأً فقد قرَّر

قلم السوابق القضائي لجرم احدى عشرة سابقة لكن قلم الفحص الانثربولوجي (اي الفحص بالقياس وآثار الانامل) اثبت ان تلك السوابق ليست لهُ بل لغيرهِ وان الجريمة التي ارتكبها حينئذٍ هي الاولى

ومن اكبر فوائدهِ سرعة تحقيق الشخصية فانهُ اذا قُبض على مجرم الآن في اية جهة كانت من القطر المصري وأُرسلت مقاساتهُ وآثارهُ الى قلم تحقيق الشخصية في العاصمة تعلم شخصيتهُ وما اذا كان لهُ سوابق ويرسل ذلك الى الجهة التي قُبض عليهِ فيها في مدة قصيرة جدًّا لا تزيد على ٤٨ ساعة بعد القبض عليهِ فلا تطول مدة الحبس التحفظي اكثر من ذلك وكان قبلاً يحبس اياماً واشهراً قبلما يعلم شيء من امرهِ

وعسى ان يزيد اهتمام الحكومة المصرية بهذا القلم وتجعل لهُ فروعاً في كل المديريات وتستخدمهُ في تحقيق الشخصية في اقلام التسجيل بدل الختوم التي يلعب بها الختامون والمزورون حسبما يشاؤون

هذا وقد صدَّرنا هذه المقالة بآثار انامل المستر غالتون منقولة عن كتابهِ الاول الذي نشرهُ في هذا الموضوع سنة ١٨٩٢

باب التقريظ والانتقاد

كتاب المحاماة

وضعهُ حضرة الاصولي الفاضل احمد بك فتحي زغلول رئيس محكمة مصر الابتدائية الاهلية في المحاماة وتاريخها على تراخي الايام لهذا العهد وفيما اجتمع لها وللقضاء من الجوامع وما لزمها من الحقوق وما حق لها من الواجبات. فكان عمل المؤلف فاتحة هذا الباب بل كان هو سبَّاق غايات بمعنى انهُ لم يتقدمهُ متقدم عربي كتب في المحاماة سفراً او جلَّى لها وجهاً فكأَنما هو اليوم اثبت في سجل الدهر ان المحاماة برزت من ضمير الايام في بلاد العرب على الجملة وفي مصر السعيدة على التخصيص. وقد قلَّبت كتابهُ وتقلبت بين ابوابهِ ومطالبهِ فما وجدت الرجل الأَ صادق العزيمة فيما جرَّد نفسهُ اليهِ اذ ترقَّت همة يراعهِ الى عهد اليونان والرومان العهيد ثم تحدَّرت برة الى هذا الجيل مجتازة وسط الاجيال غير واقفة بدار ولا مسلمة على ديَّار وما ذاك

الاَّ لان المدى الضارب بين دولة رومية وبين دول اليوم هو مدًى اجرد برئت منهُ الحضارة ودالت فيهِ المدنية الرومانية واستوت فيهِ دولة البربرة والجهل ولا محاماة الاَّ مع الحضارة. وفي عبارة اخرى ان وجود المحاماة يلزم عنهُ ولا مشاحة وجود الشرائع وقيام قسطاس العدالة ولا شرائع ولاعدالة مع ظلمات الظلم المتراكبة في ذلك الوسط من الدهر في البلدان الاوربية

وقد بوَّب حضرة المؤلف تأليفهُ تبويباً حسناً موطئاً لهُ بفاتحة اوضح فيها غرضهُ من هذا التأليف ثم شفعها بمقدمة على المحاماة من قبلُ وبمثلها عليها اليوم . وبعد هذا شرح حال المحاماة في ممالك الغرب حتى يؤْتى المطالع مقارنةً بينها ومقابلة الى ان افضى بهِ الكلام الى المحاماة في البلاد المصرية فاذا هي لم تكن شيئاً قبل نشأة المحاكم المختلطة والاهلية. وكم نقَّب حضرتهُ وكم اخرج من خبايا الدفترخانات محفوظات فما زادتهُ ولا زادتنا اعتباراً للمحاماة في ولاية محمد علي وابرهيم وعباس الاول وسعيد واسماعيل. على ان المؤلف وان كان قد اخذ تاريخ المحاماة عن كتب القوم كما اشار في مقدمتهِ الاَّ انهُ حفظ لنفسهِ فضل الاختيار وفضل الرأي وما ادخل عليهِ من العظات والحكم الغوالي . والمرء بحسن اختيارهِ حتى لقد قيل ان فضل ابي تمام الشاعر الطائي المشهور كان اتمَّ واظهر في ديوان الحماسة الذي جمعهُ من اشعار العرب منهُ في ديوانهِ على نفاسة هذا الديوان وكياسة صاحبهِ وما عقد فيهِ من عقود النظم المرقصات

بقي علينا ان نطلب مواقع الرأي الذي رآهُ صاحب التأليف ومواطن النظر الذي القاهُ في المحاماة والمحامين وفي القضاء والقضاة حتى يكون لنا موضع للقول نعلقهُ على ذلك

ولا شك ولا ريب ان من قرأ اقوال المؤلف ثبت لهُ انهُ كان شريف الشعور نحو المحامين حتى انهُ انصفهم من القضاة انفسهم مع انهُ من ذوي الرئاسات فيهم فدعاهم الى اجلال المحاماة واكرامها واوصاهم بالرفق بها والارعاء عليها قائلاً ان المحاماة حلقة الخير وجسر الفائدة بين الامة والقضاء

الاَّ انهُ حمل من جهة اخرى حملة شديدة على فرقة من المحامين ساءت فعلاً وساءت مصيراً فصرفها عن مضطرب الطريق الى جادَّتهِ ودلها ابلغ الدلالة على الواجب والمفروض حتى كاد يبكيها ويستبكي عليها

وانما ذهب عن حضرتهِ الاستبلاغ في تنبيه الناس ان يصدقوا سيرةً ويستقيموا اطواراً مع المحامين وانهم اذا لم يستثيبوا الى طلبات المحامين فما حلَّ لهم في شرعٍ ولا في عرفٍ ان يجعلوا حقوقهم نهباً منهوباً او سلباً مسلوباً او يحسبوا خدعة المحامي ظفراً مبيناً او ان يزين لبعضهم سوء الفهم ان يركبوا المحامي كل مركب خشنٍ في دعاويهم حسبان انهم متى صوَّروا لاقوالهم صورة

حسنة واضاعوا محاميهم اضل هذا القضاء. وان هذا شر ما يقع للمحامين مع ارباب الخصومات

ثم كان الاولى بحضرتهِ ايضاً ان يستلين عرائك رجال النيابة العمومية مع المحاماة فقد كثر تحامل بعضهم على المحامين مدلين بما اعطتهم اللوائح من حق السيطرة ورفع الدعوى وان اولى الناس بمسامرة المحامين ومجاملتهم انما هم رجال النيابة لما بين الطائفتين من جامعة الصناعة ولا يقدح في هذه الجامعة ما على وظيفة النيابة من المسحة الميرية وكفى بذلك تذكرةً لقوم يعقلون

ومما يُذكر للمؤلف بالحمد والثناء انهُ تحرَّج اي تحرج في مناحي المحامي وطرق سيرهِ وما تقتضي هذه المناحي والوجهات من الطهر والشمم حتى غالى في الدعوة الى الترفُّع فقبَّح اموراً لا اخالها من مخازي المحاماة في شيء مثلاً ذكر في صفحة ٢٨٩ في عداد ما يؤخذ على المحامي ان يعلق على باب دارهِ لوحة عليها اسمهُ واسم مهنتهِ للدلالة على مكان وجودهِ ولا اراه اصاب في هذه وليست المحاماة من وجوه العبدات والزهد في هذه الحياة الدنيا وانما هي حرفة شريفة من الحرف يرتزق منها اهلها وان اللوحة تهدي ذوي الحاجات القضائية الى من عساهُ ان يكشف غمتهم ويسدُّ خلتهم وعلى ذلك جرى الافرنج ايضاً والشواهد كثيرة في العاصمة والاسكندرية

وكذلك تعييبهُ المحامي لو كتب على ورق مخاطباتهِ اسمهُ ومهنتهُ ولا ارى في هذا ايضاً غضاً من قدر المحاماة. وامثال هذين المثلين كثيرة في جدول المعايب التي رتبها حضرتهُ واستنفر المحامين منها فلتطالع الصفحات ٣٨٩ و٣٩٠ و٣٩١ من الكتاب

ومن حسنات الكتاب للمصريين انهُ اشتمل على كثير من الاوامر العالية والقوانين واللوائح التي صدرت في عهد الولاية الخديوية حتى كاد تاريخ الادارة يزحم تاريخ المحاماة على ارض المحاماة اي في كتابها الموقوف عليها. وعذر المؤلف في ادخال هذا على المحاماة احكام الرابطة بين المحاماة والحكومة وانهُ لم يتيسر لهُ في مطالعاتهِ التي تاها في دفترخانات الحكومة وفي مكاتبها الاَّ ما نقلهُ الى كتاب المحاماة على جهة العوض عما اراد ثم تنويراً للاذهان فيما كانت الدنيا عليهِ والعهد غير قريب وفيما صارت اليهِ من المساواة والعدالة والحرية والشاهد بين ايدينا. ولعلي لم انتقص حق المؤلف الفاضل فيما بسطتهُ فان من الجرائم اكبر الجرائم ان تؤذى نفوس الاحرار المجتهدين على غير ما داعٍ ولا سبب ا . . .

باب الصناعة

البنوك والشركات الصناعية

نشرت غرفة التجارة البريطانية بالاسكندرية كرّاسة ذكرت فيها اسماء البنوك والشركات التجارية والصناعية التي في القطر المصري مثل البنك الاهلي المصري وبنك الانجلواجبسيان والبنك المصري والبنك العقاري المصري والكريدي ليونه وشركة سكة حديد الدلتا وشركة سكة حديد حلوان وشركة سكة حديد الفيوم وشركة كوك وولدهِ والشركة التوفيقية وشركة الانجلو امركان وشركة ماء القاهرة وشركة ماء الاسكندرية وهلمَّ جرًّا

ووصفت كل شركة من هذه الشركات وذكرت رأس مالها ومقدار اسهمها والارباح التي وزعتها عليها وسعر اسهمها سنة ١٨٩٩ ومما يحق ذكرهُ عبرةً للمعتبر الفرق الفاحش بين اعلى ما بلغتهُ الاسعار في العام الماضي وما بلغتهُ عند كتابة هذه السطور في اوائل اغسطس

	بنس	شلن	جنيه	بنس	شلن	جنيه	اصل القيمة
السنديكات المصري	٣	١٤	١	٦	٢	١	١
اسهم الاسواق المصرية	٦	١٣	١	٩	١	١	١
معامل النسج والغزل	٦	٢	١	٠	١٠	٠	١
شركة الملح والصودا	٣	١	١	٦	١٦		١
سكة حديد الدلتا			١٧		٥	١٠	١٠

ولم تهبط اسهم كل الشركات والبنوك كذلك وبعضها لم يهبط مطلقًا او صعد قليلاً ولكن هذه هي الاسهم التي كثر التحدُّث فيها والاقبال عليها وارتفعت اسعارها عن ثمنها الاصلي ارتفاعًا فاحشًا قبلما ربحت غرشًا واحدًا

الحفر الكهربائي

لا يخفى ما في حفر الصوَر على الحديد والنحاس من المشقة حتى لقد يقضي الصانع الماهر اياماً واشهرًا على حفر صورة واحدة . وقد استنبط رجل الماني اسمهُ ريدر اسلوبًا جديدًا لحفر الصور بالكهربائية نجاء وافيًا بالمراد

ذلك انهُ اذا غطسنا صفيحتين من الحديد في مذوب كلوريد الامونيوم ووصلنا احداهما بالقطب الايجابي من بطرية كهربائية والاخرى بالقطب السلبي أُكل الحديد من الصفيحة المتصلة بالقطب الايجابي وذاب في الكلوريد فصار منهُ كلوريد الحديد ثم رسب الحديد منهُ على الصفيحة المتصلة بالقطب السلبي . واذا غطينا جانباً من الصفيحة المتصلة بالقطب الايجابي بقليل من صمغ اللك لم يؤكل الحديد من تحتهِ كما يؤكل من بقية الصفيحة فيمكن ان يرسم عليها هلال مثلاً بصمغ اللك وتوضع في السائل فلا تمضي مدة طويلة حتى يصير رسم الهلال عليها ظاهرًا بارزًا لان الحديد يكون قد أُكل من كل ما حولهُ

وهذا الاسلوب من الحفر الكهربائي معروف من زمان طويل ولكنهُ كان يستعمل في السطوح المستوية فقط واما اذا اريد ان يرسم في الحديد صورة بارزة او غائرة فيها مرتفعات ومنخفضات كصور الوسامات ونحوها فلا يمكن استعمالهُ . وهنا تظهر فائدة الاسلوب الذي استنبطهُ ربدر وكان اولاً يأتي باناء من الزجاج يضع فيهِ مذوب كلوريد الامونيوم و يغطس فيهِ صفيحة من الحديد (الصلب) يصلها بالقطب السلبي من بطرية كهربائية ولهذا الاناء غطاء في وسطهِ اناء صغير من الزجاج يضع فيهِ قطعةً من الجبس في اعلاها الرسم الذي يطلب نقلهُ الى الحديد وقطعة الجبس تملأ هذا الاناء الصغير تماماً وهو مثقوب من اسفلهِ فتمتص السائل من الاناء الكبير وتترطب بهِ . وتوضع صفيحة الحديد (الصلب) التي يراد نقش الصورة عليها فوق قطعة الجبس حتى تمس الرسم الذي عليها وتوصل هذه القطعة بالقطب الايجابي وللحال يبتدىء الحديد يذوب من قطعة الحديد المتصلة بالرسم وينزل الى السائل و يرسب على الصفيحة التي فيهِ . الاَّ ان هذا الفعل الكهربائي يجري نحو ثلث دقيقة ثم ينقطع لان سطح قطعة الحديد الملامس للرسم يكتسي مادة تمنع ايصال الكهربائية فلا بد من تنظيفهِ بفرشاة ودهن الرسم بمذوب كلوريد الامونيوم الجديد . وقد صنع المخترع آلة تنظف سطح الحديد من نفسها فصارت الصور والرسوم تحفر بها على اتم المرام

الطبع المنير على الورق

اذب ١٢٥ غراماً من الجلاتين الابيض وغراماً من الغليسرين في ٥٠٠ غرام من الماء في حمَّام مائي واضف الى المذوب ٣٥٠ غراماً من كبريتيد الكلسيوم الفصفوري ممزوجاً بقليل من تحت نيترات البزموث وانت تحركهُ جيداً وادهن الورق دهنتين بهذا المزيج ثم ادهنهُ بفرنيش الكوبال او اللك . فاذا عرض هذا الورق لنور الشمس ثم وضع في الظلام انار بنور فصفوري

الجبسين

الجبسين اسم لنوع جديد من الاجر (الطوب المشوي) يصنع من الجير والرمل والاسبستوس لا يحترق بالنار ولا يوصل حرارتها جربتهُ جمعية منع الحريق في بلاد الانكليز فبنت بهِ جداراً طولهُ عشر اقدام واضرمت النار بجانبهِ حتى بلغت حرارتها ٢٠٥٠ درجة بميزان فارنهيت فبقي الجدار على حالهِ ولم يسخن من الجانب الآخر سخونة تكفي لاشعال عود من عيدان الكبريت

باب الزراعة

القوة المطلوبة

مضينا بالامس من القاهرة الى بنها وكان الجو صافياً والريح بليلاً فاطللنا من كوة المركبة نستشرف مزارع القطر وقد كُسيت حلة سندسية تطرَّزت بانوار الذر والكهرمان لكننا لم نكد نخرج من العاصمة حتى حسبنا انفسنا في ضواحي مدينة من مدن انكلترا لكثرة المداخن وما فوقها من قتام الدخان منظر لم تعتدهُ افريقية بلاد الراحة والسكينة لكن المزاحمة الشديدة في هذا العصر والخوف من قلة الماء اضطرَّ الناس ان يكثروا الآلات البخارية لرفع الماء من النيل وترعهِ ويوقدوا فيها الفحم الحجري على غلاء ثمنهِ . وقد ابتاع القطر المصري في الستة لاشهر الاولى من هذه السنة من الفحم الحجري ما ثمنهُ ٥٤٢٩٩١ جنيهاً بحسب تقدير الجمارك حرق اكثرها لتوليد قوة بخارية ترفع الماء لري القطن

حينما يرى الناس ذلك يخطر لهم ان يستعيضوا عن قوة البخار بقوة اخرى . وذلك ليس بالامر العسير اذا كان الماء قريباً والمقدار المطلوب منهُ غير كثير فتستعمل السواقي والطنابير والبدالات والشواديف وما اشبه ولكن اذا كان الماء عميقاً و يطلب منهُ شيء كثير في وقت قليل كما اذا اضطرَّ انسان ان يروي مئتي فدان في خمسة ايام وكانت المناوبة لا تسمح لهُ باكثر من خمسة ايام وقد لا يجد الماء الكافي فيها كلها فلا سبيل لهُ لارروائها الاَّ بآلة بخارية كبيرة ترفع الماء الكافي في تلك الايام . نعم ان الآلة البخارية مهما كانت متقنة لا يستخدم بها اكثر من ١٤ في المئة من القوَّة التي كانت في الفحم المحروق فيها ولكن لا توجد واسطة

اخرى حتى الآن لاستخدام كل القوة التي في الفحم او لاستخدام اكثر من ١٤ في المئة من قوته

ولو كان ماء النيل متحدراً لسهل عمل آلات تدور بحركة الماء وترفعهُ بدورانها ولكن لو كان تحدُّر ماء النيل اكثر مما هو الآن لعُملت التدابير الكافية لجعل الري كلهِ بالراحة من غير آلات وذلك يرفع مآخذ الترع

اما اذا كان الماء قريباً او كان المقدار المطلوب منهُ غير كثير كأن يكون المطلوب ارواء بضعة افدنة فالسواقي المتقنة العمل التي لا يضيع فيها كثير من القوة تفي بالمراد لاسيما وان الحيوان الذي يديرها يستخدم لاعمال أخرى حينما لا يراد ادارتها . قلنا السواقي المتقنة العمل لان اكثر السواقي التي رأيناها ولاسيما الاشكال القديمة منها مصنوعة على اسلوب يضيع فيهِ اكثر القوة بالاحتكاك ويرفع الماء بها بالعناء الشديد وينصبُّ جانب كبير منهُ قبل بلوغهِ المجرى الذي يراد صبُّهُ فيهِ فتضيع بهِ قوة أُخرى. ومن الغريب ان بقيت هذه السواقي مستعملة حتى الآن في قطر استنبطت فيهِ اول الآلات المائية وابدعها صنعاً وهي التابوت المعروف او لولب الفيلسوف ارخميدس . ولكن اذا جرت الاعمال من غير ان يساعدها العلم قلَّ تقدُّمها او زادت تأخراً . ولو كان اصحاب الآلات الرافعة يعرفون ما هي القوة وماذا يضيع منها وماذا يستعمل لرأيتهم يتسابقون الى اتقانها واستخدام اقلها نفقةً واكثرها فائدةً

البغال في الزراعة

البغل من انفع الحيوانات واكثرها ربحاً ولا بدَّ منهُ لكل بلاد زراعية كما لا بدَّ منهُ لنقل المهمات وجر المدافع والمركبات في الحرب . وهو متولد بين الحمار والفرس كما لا يخفى لكن التوليد بينهما على غير رضى الفرس فلا تقبل ان يدنو الحمار منها باختيارها ولا يتمُّ تلقيحها منهُ بسهولة لانهُ اذا صحَّ التلقيح ثلاث مرات من كل اربع مرات اذا كان الذكر حصاناً لا يصحُّ الأَّ مرتين اذا كان الذكر حماراً . ثم ان مدة حمل الفرس حينئذٍ ٣٧٥ يوماً اي انها اطول مما لو لُقحت من حصان . وهي معرَّضة للاسقاط اكثر مما لو لقحت من حصان

ولا بدَّ من الاعتناء بانتقاء الفرس في توليد البغال حتى تصلح بها عيوب الحمير فان الحمار يكون كبير الرأس قصير العنق متبسط الخاصرين واطيء الكتفين ضيق الكفل دقيق القوائم والافخاذ والحوافر فتختار الفرس صغيرة الرأس مستديرة الجسم قصيرة الظهر واسعة الكفل كبيرة الافخاذ والقوائم طويلة العنق مستديرة الحوافر. ويحسن ان يكون ارتفاع الحمار ١٣ قبضة الى ١٤ . والبغال ترث شكلها ومزاياها من ابيها وترث حجمها من امها ولكنها لا ترث عيوب

امها اذا كان في خلقتها عيب ولذلك فالافراس التي لا تصلح لانتاج الخيل تصلح لانتاج البغال

وفلو البغل اضعف من فلو الحصان وابطأ منهُ نموًّا ولا يبلغ اشدَّهُ قبلما يصير عمرهُ اربع سنوات ولكن مدة خدمتهِ اطول كثيرًا من مدة خدمة الحصان فيستخدم ثلاثين سنة او اربعين وهو اذا بلغ اشدَّهُ صار علوهُ من ١٣ قبضة الى ١٥ او ١٦ ويفضَّل ما كان علوهُ بين ١٤ و١٥

ويرث البغل مزاياهُ من ابيهِ كما تقدَّم فان قصر رأسهِ وضخامتهُ وطول اذنيهِ ودقة قوائمهِ وصغر حوافرهِ وقصر عرفهِ وخلو اعلى ذنبهِ من الشعر الطويل كل ذلك موروث من الحمار. واما علوهُ وشكل عنقهِ وكفلهِ واسنانهِ فمن امهِ. وشحيج البغل (اي صوتهُ) يخالف صهيل الخيل ونهيق الحمير لكنهُ اقرب الى الاول منهُ الى الثاني. ولون البغال يختلف من الاسود الى الرمادي والابيض وقد يكون فيها مسحة من اللون الاشقر. وهي في الصبر والثبات ورسوخ القدم كالحمير وفي القوة والنشاط والهمة كالخيل وتفضل على الخيل لنقل الاثقال وجرها لان جلدها اصلب واقل حساسة من جلد الخيل. وهي ايضًا اشد احتمالاً للحر والبرد من الخيل. وأكلها قليل وعلفها سهل وقدمها ثابتة فتسير في اضيق الشعاب واكثرها تحدُّرًا من غير ان تزلق كأنها المعزى ولذلك تفضَّل على كل حيوانات النقل في البلدان الحارَّة الجافَّة اذا كانت جبلية

وهي اقل من الخيل تعرُّضًا للامراض. فبعد دخول الانكليز الى القطر المصري سنة ١٨٨٢ اصيبت خيلهم بنوع من الحمَّى الملاريَّة واما البغال فلم تصب بها. ولكن الادواء التي تصيب الحمير كالسقاية تصيب البغال ايضًا وتفتك بها سريعًا

وقد كتب بعضهم منذ مدة الى جريدة الزارع الاميركية" انهُ كان يربي البغال والخيل ويطعم افلاء الخيل اجود انواع العلف وافلاء البغال اردأهُ ومع ذلك كانت البغال تكبر وتقوى اكثر من الخيل وتباع بثمن اكثر من ثمن الخيل فخطر لهُ ان يحسب ذلك حسابًا مدققًا فجعل يكتب ثمن العلف في دفتر يوميًّا فوجد ان ثمن العلف الكافي لفلو البغل في السنوات الثلاث الاولى من عمرهِ ستة جنيهات وثمن العلف الكافي لمهر الخيل في السنوات الثلاث الاولى من عمرهِ اثنا عشر ريالاً. وانهُ اذا أُطلقت الخيل والبغال في المراعي القليلة الكلإ فالبغال تعيش جيدًا حيث تموت الخيل من قلة المرعى. وكانت الخيل تعود الى بيتهِ في طلب العلف واما البغال فتبقى في المراعي مهما كانت قليلة العشب وتوغل فيها حتى انهُ لم يكن يهتدي اليها الاَّ بتعليق الاجراس في اعناقها. ثم اذا أراد بيعها وجد ان متوسط ثمن البغل اكثر من متوسط ثمن الحصان عشرة جنيهات او اكثر. وثبت لهُ بعد طول الاختبار ان البغل

يعمل في حياتهِ مضاعف ما يعملهُ الحصان ونفقاتهُ نصف نفقات الحصان فهو في عملهِ مثل حصانين وفي نفقاتهِ مثل نصف حصان

اما البغال التي ترفس فقد تعلمت ذلك تعلماً وهي صغيرة . واذا اعتني بتربية البغال من صغرها كانت البغة الى الغاية القصوى . ومعلوم ان البغل جامع لصفات امهِ الفرس من حيث الجرم والشكل والفطنة ولصفات ابيهِ الحمار من حيث القوة والصبر وطول العمر وتحمل المشاق . ويوصف البغل بالعناد وهي الصفة التي تجعلهُ اقنع البهائم لجرّ الاثقال لانهُ يبقى يجرُّ ويشد حتى يقع على الارض عياء

ويُعمّر البغل عمراً طويلاً وقلما يمرض فيعمل على الدوام من حين يكون عمرهُ ثلاث سنوات الى ان يبلغ اربعين سنة من العمر . وقد عرفت بغال عملت خمسين سنة متوالية ولم تمرض قط ولا طلبت الراحة . وهضم البغال جيد جداً وطلبها للطعام غير كثير فتكتفي بالقليل منهُ ولا تسأل عن نوع العلف فان لم تطعم علفها العادي اكلت مما يقدم لها بل قد تكتفي بقشير الاشجار واكل لحاها

والبغال لا تسير عدواً كالخيل ولكنها تمشي بسرعة وتستمرّ عليها اثنتي عشر ساعة متوالية .وجملة القول ان البغال تعمر اكثر من الخيل وهي اصبر منها واقدر على العمل وثمن علفها نصف ثمن علف الخيل "

والبغال معروف من قديم الزمن من عهد بني اسرائيل وعهد اليونان والرومان وهو موجود الآن في كل الاقطار ولاسيما في فرنسا واسبانيا وايطاليا . وبغال اسيا الصغرى وسورية وقبرص ومصر والجزائر موصوفة بجودتها وكذلك بغال البلاد التي بين دجلة وبلاد فارس وشمالي الصين وبلاد البنجاب في الهند واميركا الشمالية ولاسيما ولاية كنتكي وبلاد المكسيك

ولا بد من البغال لكل بلاد زراعية وكان المنتظر ان تكون البغال كثيرة في القطر المصري حتى لا تجلب اليهِ من بلدان أُخرى او حتى تصدر منهُ الى البلدان الاخرى لكن الامر ليس كذلك والبغال المصرية قليلة جداً حتى الآن . ولما فتح المعرض الزراعي في الربيع الماضي عُرضت فيهِ البغال مع ما عرض من الحيوانات فحازت الجائزة الاولى بغلة مصرية لسعادة مصطفى باشا وهبي مدير الدقهلية وبغلة أُخرى شامية لمصلحة التنظيم وهما مرسومتان في الشكلين المتقابلين . وقد حكم المستر لناود الطبيب البيطري المشهور " ان البغلة المصرية تشابه البغلة الشامية ولو كانت دونها في كثير من الامور التي ينظر اليها في تأصيل الحيوانات وانهُ لا بدَّ من زيادة الاهتمام بتوليد البغال وتربيتها في هذا القطر بزيادة حاجة الزراعة اليها "



بغلة شامية ملك مصلحة التنظيم (جائزة اولى)



بغلة بلدية ملك سعادة مصطفى باشا وهبي (جائزة اولى)

صادرات ستة اشهر

زادت قيمة الصادرات من القطر المصري في الستة الاشهر الاولى من هذه السنة عما كانت عليهِ في السنة الماضية ١٩٢٠-٢١ اي نحو مليونين من الجنيهات . وهاك اهم المواد الزراعية التي صدرت وقيمتها بالجنيهات المصرية

	هذا العام	العام الماضي	الزيادة	النقصان
بيض	٨١ ٠٠٩	٢٩ ٣٦٣	٥١ ٦٤٦	
شعير	٥٠ ٦٨٠	٤٩ ٧٣٤	٩٤٦	
فول	١٣٦ ٢٩٥	٢٨١ ٦٩٠		١٤٥ ٣٩٥
بزرة قطن	٩٢٩ ٠٨٤	٦٣٥ ٥٠٣	٢٩٣ ٥٨١	
بصل	١٥٢ ١٠٤	٢٢٧ ٣٧٤		٧٥ ٢٧٠
سكر	٤٨١ ٣٢٣	٦١٦ ٦٦٢		١٣٥ ٣٣٩
قطن	٦٨٤٢ ١٦٥	٤٨٨٨ ٤٣٨	١٩٥٣ ٧٢٧	

و يظهر من ذلك ان الزيادة في ثمن القطن في الستة الاشهر الاولى من هذا العام هي اكثر من مجموع الزيادة في كل صادرات القطر لان بعضها كالفول والبصل والسكر قد نقص كثيراً هذا العام . والظاهر ان تجارة البصل ليست رابحة كما كان يظن

محصول القمح الاميركي

قدّر القمح الموجود الآن للمطوعية في الولايات المتحدة الاميركية وكندا واوربا والآتي من استراليا وارجنتينا ١٣٩ ١٨٦ ٠٠٠ بشل وكان في العام الماضي ١٤٣ ٥٨٣ ٠٠٠ بشل اما الموسم الجديد فالاميركي منهُ اقل من موسم العام الماضي بمئة مليون بشل . والمحقق الآن ان القمح سيكون في العام المقبل اقل مما كان هذا العام

موسم القطن

وردت الينا تباشير القطن في ٨ اغسطس من زراعة حضرة شريف بك عمر بصهرجت الكبرى بمركز ميت غمر وهي ناعمة الملمس دقيقة الشعر متينة . ويظهر لنا من استقراء البحث ان الذين بكروا في زراعتهم أصاب قطنهم العطش قبل ورود ماء الفيضان فاصابهُ شيء من الضمور بسبب ذلك اما الذين تأخروا في زرع القطن فاحتمل قطنهم العطش بسهولة وهو صغير

ثم لما كبر كانت مياه الفيضان قد زادت فنما بها جيدًا ونموهُ حتى الآن احسن من نمو القطن المبكر ولكن القطن المبكر كاد ينجو من كل الآفات التي يمكن ان تصيبهُ واما القطن المؤخر فلم يزل معرّضاً لشيءٍ من الخطر اذا برد الهواء كثيرًا في هذا الشهر والشهر التالي. ويقال جملة ان الموسم متوسط اذا سلم من الافات الجوية فقد يبلغ خمسة ملايين ونصف مليون بالة او يزيد عليها

امراض المواشي

كتب المستر لتلود المفتش البيطري في القطر المصري تقريرًا عن امراض المواشي في القطر المصري يظهر منهُ انهُ أُصيب بداء السقاوة والسراجة ٤٢ حيوانًا فقط في القاهرة والاسكندرية في غضون العام الماضي واصيب ١٠٢ من الخرفان بداء الجدري في مديرية البحيرة في شهري اكتوبر ونوفمبر وهذا الداء يفد من بلاد الصحراء الغربية مع القطعان التي ترد منها ولم ينتبه اليهِ في القطر المصري قبل سنة ١٨٩٥ . وقد طعم المستر برافتش الغنم بطعم الجدري البقري فوجدهُ يقيها من الجدري

اما الحمّى القلاعية فشوهدت اولاً في شهر يوليو من العام الماضي في البقر والجواميس في الوجه البحري وامتدت الى الوجه القبلي بواسطة حيوانات اشترتها الدائرة السنية من الوجه البحري . وقد دخل هذا الداء القطر المصري بعد جلب المواشي الروسية اليهِ والظاهر انهُ منها. وكانت وطأة الداء خفيفة ولا نظن انهُ مات بهِ من المواشي عشر ما انضرّت البلاد باقفال اسواقها بسببهِ او عشر ما انفق على الاطباء لمقاومتهِ ولكن يحتمل انهُ لو لم يتدارك بالهمة لانتشر في البلاد وفتك بمواشيها

وقد ظهر طاعون المواشي في السودان اتاها من مواشٍ أُتي بها من الجدين التابعة لايطاليا وأُتي بالمصل لتلقيح المواشي بهِ من بلاد الراس فأفاد كثيرًا وكانت الاصابات بهِ كما يأتي

السودان الشرقي	يناير	٥٦٦
	فبراير	١٣٠
	مارس	٠٥٠
	ابريل	٢٧
الاتبرة	ابريل	١٩
بربر	مايو	١٠
كسلا	سبتمبر	٤٨
المجموع		٨٥٠



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنّ العهدة في ما يُدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تُستختار على المطوَّلة

الانجيل بلغة البرابرة

سادتي الافاضل اصحاب المقتطف

عثرت على نسخة من انجيل "مرقص" مكتوبة بالخط العربي بلغة البرابرة العامة سكان الاقاليم التي بين كرسكو ودنقله اي بطن الحجر وسكوت ومحص. وهي تشبه جزءا من القرآن اي انها مطبوعة على حدة على ورق نباتي. وقد بلغني ان الذين طبعوها من جمعية انكليزية دينية وما قصدوا بطبعها الا نشر الدين المسيحي فارجو ان تفيدوني عن هذه الجمعية وتاريخها وبكم لغة طبعت الانجيل حتى الآن لكي اذكر ذلك في كتابي الذي عزمت على طبعهِ قريباً ولكم الفضل. ثم ارجو من فضلكم ان تخبروني ما هو السبب الحقيقي لان علماء المسيحيين لا يفترون عن الاهتمام بنشر الدين المسيحي وامًّا علماؤنا فلا يهتمون الا بتثيل صرف عمر وتحقيق معاني بعض الابيات الشعرية مصر محمد عمر

[المقتطف] لا نعلم اية جمعية طبعت انجيل مرقص بلغة البرابرة ولكننا نرجح انها جمعية نشر التوراة البريطانية والاجنبية "British and Foreign Bible Society" فاذا كان الامر كذلك فهذه الجمعية انشئت سنة ١٨٠٤ وغرضها نشر التوراة والانجيل وقد وزعت حتى سنة ١٨٩٩ مئة وستين مليون نسخة بثلثمئة واربع وستين لغة ونفقاتها السنوية الآن نحو ٢٣٠ الف جنيه تجمعها من اهل المبرَّات. ثم ان علماء الدين المسيحي يتجادلون ويتناقشون في امور لا طائل تحتها مثل غيرهم واذا اراد الله بقوم شرًّا اعطاهم الجدَل ومنعهم العمل. واهتمام المسلمين بنشر الاسلام اشد من اهتمام المسيحيين بنشر الديانة المسيحية ونجاحهم اكثر من نجاح المسيحيين. وعندنا انهُ لو اهتمت الجمعيات الدينية المسيحية بنشر الانجيل في اللغة الانكليزية وعلّمت الناس لغتها كما يفعل المسلمون بنشر القرآن باللغة العربية من غير ان يترجموهُ

نكان نجاحهم اتم لكنهم جروا على ضد ذلك وقد رأينا المرسلين الاميركيين في سورية يمنعون تلامذتهم من تعلم اللغة الانكليزية بين سنة ١٨٦٠ و ١٨٦٥ ونظن انهم يفعلون ذلك في اكثر البلدان التي يمضون اليها فيتعلمون لغة اهلها ويترجمون الكتاب المقدس اليها وهم لو علموم اللغة الانكليزية لقرأوا الكتاب المقدس بها واستفادوا من معرفتها اضعاف ما يمكن ان يفيدهم بهِ المرسلون بلغتهم

نسيم بشور

سيدي الفاضلين منشئي المقتطف المحترمين

بملء الاسف والحزن انقل اليكما خبر وفاة الوجيه الفاضل المرحوم نسيم افندي بشور احد اعيان هذه البلاد ورئيس الطائفة المسيحية فيها عزيز قومهِ ووجيه بلادهِ نصير الفضل وخادم الانسانية. ما تأسّت الافئدة بهِ بعد وفاة المرحوم والدهِ خادماً للوطن وحليفاً للانسانية يُشدُّ بهِ الأزر ويُشفى بهِ الغليل. لكن وأسفاه شاطرتنا الأيام شخصهُ ونازعتنا المنون شبابهُ واخذتهُ منا كهلاً فيهِ حكمة الشيوخ وقوّة الشبان وطاعة الفتيان ملآن معرفةً وحكمةً ومحبةً وحنوًّا وشفقةً ورفقاً

ذا غصنُ فضلٍ زهت اثمارهُ ونمت قبلَ اكتهالٍ فزادَ الحملُ فانقصفا

فحلت هذه المصيبة حلولاً ثقيلاً بقلوب لا طاقة لها على احتمالها

توفي الفقيد الكريم أصيل يوم الجمعة في ١٣ تموز (يوليو) ولهُ من العمر ٤٦ عاماً قضى أكثرها في خدمة الوطن ولم ينتشر خبر نعيهِ في هذه الجهات الا وتقاطر وجوه البلاد على اختلاف الطوائف والمشارب لمشاطرة اسرتهِ الكريمة الاسى والاحزان والجميع يندبون وطنياً عزيزاً ووجيهاً غيوراً ولسان حالهم يقول

نعاهُ لنا الناعي ففي كلّ مدمعٍ دموعٌ ولكن في الاضالعِ أسهمُ

وقبل غياب شمس يوم السبت حُمل ذاك الجسم اللطيف على الاكف وواروهُ التراب على رجاء القيامة والخلود وقام بصلاة الجنازة غبطة المطران نيقوديمس رئيس كهنة الملة الارثوذكسية في عكار وما يليها وعدد كبير من الكهنة وأئمةُ الشعراء والادباء وعدّدوا ما لهُ ولابيهِ من الصفات الحميدة والفعال الكريمة فكان المشهد مؤثرًا والمأتم محزنًا وما كنت ترى الا عيناً تدمع وقلباً يصدع

نسألهُ تعالى ان يعزي قلوب عائلتهِ الكريمة ويتغمد الفقيد برحمتهِ ورضوانهِ

برج صافيتا سليمان الحلو

الدقائق العربيَّة

اطلعت على ما كتبهُ الاستاذ الشرتوني في الدقائق العربية وكنت كلما قرأت دقيقةً منها ورأيت شواهدها اقول في نفسي ترى هل يجوز ان تأخذ مأخذ بعض الكتَّاب التابعين من المحدثين ونحذو حذوهم في ما خالفوا بهِ المتقدمين. وان كان ذلك غير جائز ما دام الكاتب منهم في قيد الحياة ولا اذا مرَّ عليهِ قرن او قرنان فكم هي السنون الشرعية التي يجب ان تمرَّ حتى يصير قول الكاتب حجَّةً يؤخذ بها كقول الاشموني مثلاً في "عوض عن حرف" اوحتى يصير كلام من كان مثل الجبرتي حجة مثل كلام ابن الاثير من حيث اللغة. واني اطرح هذا السؤال على حضرة الاستاذ الشرتوني ومَن حذا حذوهُ من علماء اللغة عسى ان يتوسَّعوا فيهِ ويدلونا على الحد الذي نقف عندهُ الآن في الاعتماد على الكتَّاب الاقدمين ويضعوا لنا قاعدة نعرف بها مقدار السنين التي يرجع فيها في المستقبل الى ما مضى من هذا القبيل فنعلم منها عدد السنين التي يجب ان تمر حتى يصير استعمال الكتَّاب في عصرنا هذا قاعدةً يجرى عليها

مصر مستفيد

مدينة الخنساء

حضرات منشئي المقتطف الاغر

قرأت ما كتبهُ الكاتب المحقق الامير شكيب ارسلان عن الصين في الجزء الاخير من المقتطف الى ان وصلت الى استشهادهِ بابن بطوطة فاستغربت تصديقهُ لما يكتبهُ ابن بطوطة في هذا الشأن وكلامهُ في رحلتهِ مضطرب اشد الاضطراب لا يستدل منهُ على انهُ كان يفرق الصين الاصلية عن غيرها من بلدان الهند الشرقية ثم انهُ سمَّى مدينة الصين الكبرى بالخنساء وهو قريب من الاسم الذي سماها بهِ ماركو بولو "كنساي" ومن الاسم الصيني كنغ ساي اي العاصمة وهو الاسم او اللقب الذي يطلق على بكين الآن ولكن ذلك وانطباق بعض وصفهِ على احوال اهل الصين لا يدل على انهُ دخل تلك البلاد بنفسهِ بل نقل ما نقل عن غيرهِ وذلك اسلم لسمعتهِ من ارتكابهِ ما ارتكبهُ في القصص التي اوردها كقصة المشعوذ الذي طار في الهواء هو وغلامهُ وقطع الغلام ورماهُ الى الارض قطعاً " ثم هبط وهو ينفخ وثيابهُ ملطخة بالدم فقبَّل الارض بين يدي الامير وكلمهُ بالصيني ثم اخذ اعضاء الصبي فالصق بعضها ببعض ورفسهُ برجلهِ فقام سوياً " وقد استدرك ابن بطوطة بما اخبرهُ بهِ القاضي من ان ما رآهُ شعوذة ولكن ذلك لا ينفي ادعاءهُ رؤية امور نرجح انهُ سمع بها ولم يرها

مصر امين احمد

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

البنات والعلوم العالية

مما يطيب نشرهُ ان خمساً من البنات جزن امتحان الشهادة الابتدائية في نظارة المعارف وكانت درجاتهنَّ عالية بين الشبان الذين نالوا هذه الشهادة فان كل الذين نالوا الشهادة ٧١٢ والبنات اللواتي نلن الشهادة درجة الاولى منهنَّ ١٧ وهي من قسم البنات في مدرسة عباس والثانية درجتها ٣٦٦ وهي من مدرسة عباس ايضاً والثالثة درجتها ٣٧٣ وهي من مدرسة عباس والرابعة درجتها ٤١٢ من المدرسة السنية والخامسة درجتها ٦٤٥ من المدرسة السنية ايضاً. فمتوسط درجاتهنَّ ٣٤٢ اي اعلى من متوسط درجات الفتيان الذين نالوا الشهادة معهنَّ. وهذه بداءة حسنة. ونحن نعلم عن ثقة ان كثيرات ينلن من المدارس الاميركية والفرنسوية والايطالية وغيرها شهادات لا تقل عن شهادة نظارة المعارف بل قد تزيد عليها من بعض الوجوه وسمعنا بعضهنَّ يجبن عن مسائل عويصة في الصرف والنحو والبيان والحساب والطبيعة والهيجين والفزيولوجيا والنبات اجوبة صحيحة صريحة تدلُّ على انهنَّ درسنَ مبادئ هذه العلوم وبرعنَ فيها. لكن عدد البنات اللواتي درسنَ هذا الدرس قليل جداً لخمس بنات وعشر بنات ومئة بنت والف بنت لا يُحسب شيئاً في بلاد فيها خمسة ملايين من الاناث وعليهنَّ المعوَّل في تعليم الاطفال لانهُ لا يشيع التعليم في هذا القطر ما لم يتولَّ النساء تعليم الاطفال في البيت وفي المدرسة ايضاً

ثم انهُ ليس في القطر المصري حتى الآن مدرسة عالية يتعلم فيها البنات علم التعليم والعلوم اللازمة لهُ حتى يستطعنَ ادارة المدارس وتعليم البنات وتهذيبهنَّ. ويظهر لنا ان الحكومة والامة مغضيتان عن ذلك او لا تستطيعانهِ لان المعلمة لا تفلح في تعليم غيرها ما لم تنقطع لهذا العمل اي تكون مثل الراهبات اللواتي لا همَّ لهنَّ الاَّ التعليم. فاذا بقيت حالة المرأة في الشرق على ما هي عليهِ الآن فالامل بانتشار التعليم فيهِ ضعيف جداً

شراب الليمون

ضع رطلاً من السكر في اناء مدهون بالخزف وصبَّ عليهِ رطلاً من الماء واغلهِ على النار قدرعشر دقائق ثم صبهُ في اناء آخر ودعهُ حتى يبرد وصفهِ واضف اليهِ عصير اربع ليمونات كبيرة من الليمون الحامض وعشرين نقطة من روح الليمون وحرّك السائل جيداً وصبهُ في قناني ناشفة وسدها سدًّا محكماً وضعها في مكان بارد . ملعقة من هذا الشراب في كاس من الماء البارد شراب منعش مبرد للدم

فساد الاطعمة

تضطر ربة البيت احياناً كثيرة ان تبقي جانباً من اللحم من يوم الى آخر فاذا كان الفصل بارداً فالغالب انها تجدهُ سليماً ولكن اذا كان الفصل حارًّا فالغالب انها تجدهُ قد فسد واذا طبختهُ فقلما يسلم من يأكلهُ من الضرر. فلماذا يسلم اللحم في الفصل البارد وينتن في الفصل الحار. يظن لاول وهلة ان الحرارة تفسدهُ لكن ذلك غير صحيح كما يظهر باقل نظر فان اللحم يشوى على النار ولا يفسد ويطرح في الصحراء المحرقة فيجف وييبس ولا يفسد ايضاً فليس الحر سبب فسادهِ وكذلك قد يفسد اللحم ولو كان الفصل بارداً فما هو اذاً سبب الفساد

خذ اللحم الجديد وضعهُ في اناء من الصفيح والحمهُ حالاً بعد ان تسخنهُ واتركهُ يوماً او يومين وشهراً بل شهرين فلا يفسد ثم افتح الاناء وعرضهُ للهواء يوماً او يومين فالغالب انهُ يفسد. ويظهر من ذلك كأن الفساد اتاهُ من الهواء ولكن اذا فتحت الاناء وسددتهُ بقطعة من القطن النقي التي لا تمنع دخول الهواء اليهِ فانهُ لا يفسد فالفساد ليس من الهواء نفسهِ بل هو من شيء في الهواء علق بين الياف القطن. وهذا هو الصحيح . وكما يفسد اللحم من شيء في الهواء يفسد من اتصال لحم فاسد بهِ وسبب الفساد في الحالين واحد وهو ميكروب الفساد فان هذا الميكروب يكون في الهواء عادة ويلتصق بجوانب الآنية والاقفاص التي يوضع اللحم فيها ولاسيما اذا لصق بها قليل من اللحم فاذا كان الفصل بارداً جدًّا تأخر نموهُ كثيرًا لان الحرارة المعتدلة لازمة لنموهِ مقوية لهُ واما البرد الشديد فيوقف نموهُ او يمنعهُ ولهذا ينقل اللحم الآن من استراليا او من اميركا الى بلاد الانكليز من غير ان يفسد لانهم يضعونهُ في غرف مبرَّدة جدًّا حتى يصير ما فيها كالثلج او ابرد فلا تعيش فيها الميكروبات ويبقى اللحم سليماً منها

ولا تستطيع ربة البيت ان تبرد هواء بيتها الى درجة تمنع فساد اللحم ولا تستطيع ايضاً ان تمنع الهواء عن اللحم ولكنها تستطيع منع الفساد من جهة أُخرى وهي نظافة الاقفاص

والآنية التي يوضع فيها اللحم فانها اذا كانت نظيفة جدًّا خالية من كل آثار اللحم المنتن بقي اللحم فيها يومًا او يومين من غير ان ينتن ولو كان الفصل حارًّا واما اذا كان فيها اثر من اللحم الفاسد اتصل ميكروب الفساد منهُ الى اللحم الذي يوضع فيها وافسدهُ حالاً

السمك القديم

جرت عادة الذين يشترون السمك ان يجسّوهُ بايديهم فاذا وجدوهُ صلبًا حسبوهُ جديدًا واشتروهُ واذا وجدوهُ لينًا حسبوهُ قديمًا ورفضوهُ . وهذا الحكم صحيح وسببهُ ان السمك الذي يبتدئ فيهِ الفساد تنحلّ بعض اليافهِ لان ميكروبات الفساد تأكلها وتهضمها فتلين واما السمك الجديد الذي لم يحلّ فيهِ الفساد فتكون اليافهُ لم تزل على حالها الطبيعي من المتانة والصلابة . والسمك الذي حلّ فيهِ الفساد يسودّ لحمهُ تحت سلسلة ظهرهِ مما يلي بطنهُ و يصير لحمهُ سريع التفتت اذا قلي او شوي وقلما يخلو اكلهُ من الضرر ولا سيما اذا اكلهُ من لم يعتد اكل السمك الفاسد فلا يجوز ان يؤكل مهما كانت الحال لان ضررهُ مرجح ولو لم يكن مؤكدًا. وقد يظن ان قليهُ يزيل الضرر منهُ لانهُ يقتل الميكروبات وذلك صحيح من حيث قتل الميكروبات ولكن ضرر السمك الفاسد واللحم الفاسد ليس من الميكروبات نفسها وان كانت هي سبب الضرر بل من بعض المواد الكيماوية السامّة التي تولدها هذه الميكروبات في اللحم والسمك . فهذه المواد الكيماوية قد تحلها الحرارة وتبطل ضررها وقد لا تحلها ولا تبطل ضررها بدليل ان اللحم المنتن يبقى منتنًا مهما طبخنهُ . ولو كانت حرارة الطبخ تغير تركيب المادة الكيماوية المنتنة لازالت نتانتها اما اذا كانت الحرارة اشد من حرارة الطبخ كما اذا استقطرت المواد الفاسدة استقطارًا جافًا فالغالب ان المواد السامّة التي فيها تنحل وتخرج منها مواد اخرى غير سامة

الزكام في الصيف

اذا اعتنى الانسان بنفسهِ في فصل الصيف في بلاد مثل القطر المصري استحال ان يصاب بالزكام . ونريد بهذا الاعتناء ان لا يعرق ويتعرّض لمجاري الهواء وهو عرقان حتى يبرد سطح جسمهِ فيندفع دمهُ الى الاوعية الباطنة ويحتقن في الاغشية المخاطية .فاذا انتبه حتى لا يجلس في مجاري الهواء وهو عرقان واذا خلع قميصهُ حالما يصل الى بيتهِ وابدلهُ بقميص جاف أمن الزكام كلّ فصل الصيف . ويسهل عليهِ ان يأمن الزكام السنة كلها اذا اهتمّ حتى لا يبرد سطح جسمهِ بغتةً ويبقى باردًا مدة طويلة



فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) اول نظم الاشعار

امبابه. اسكندر افندي نبيه. مَن ابتدع نظم الاشعار باللغة الافرنسية وكذا بالانكليزية

ج يستحيل ان يعرف احد مَن اول مَن قال الشعر في لغة من اللغات كما يستحيل ان يُعرف من اول مَن نطق بهذا الكلام الموزون الذي يُطلَق عليهِ اسم الشعر نطق بهِ الناس في البداوة او قبل ان وُجدت عندهم الكتابة وتدوين الاخبار. وكل قول يعبر بهِ الانسان عن عواطفهِ بعبارات معقولة موزونة هو شعر سواء قالتهُ نادبة تندب ابنها او عشيقة تشكو فراق الفها او مملَّك يتغنَّى بفضائل مليكهِ. وهذا الشعر يقال ارتجالاً فلا ينتظر ان يحفظ دائماً ولذلك فالقول بان فلاناً اولُ مَن قال الشعر في اللغة الفلانية دعوى لا دليل عليها

(٢) ملك مصر في عصر ابرهيم

ومنهُ. من كان ملك مصر لما دخلها ابرهيم الخليل

ج لا يعلم ذلك لان تواريخ الملوك المصريين غير محققة وكذلك تواريخ التوراة والفرق بين العلماء الباحثين في التواريخ المصرية يصل احياناً الى اكثر من الف سنة

---

(٣) الانتي اثيلين

سنورس. عزيز افندي وهبي. قرأت في بعض المجلات المصرية ان الاطباء سابليه وتيولت وبروكا من اطباء فرنسا اخترعوا مصلاً مصنوعاً من مادة مجهولة سمَّاها الدكتور مشنيكوف "ستيموليني" اذا حقن بهِ السكير تحت الجلد احدث فيهِ نفوراً من المسكرات وضعف ميلهُ اليها وقد جرَّبوهُ فوجدوهُ صحيح الفعل فهل يوجد مصل آخر يحدث نفوراً من الدخان للمدخنين

ج لم يثبت ما قيل عن هذا المصل حتى الآن ثبوتاً علمياً اذ يرجح قوم ان فعلهُ وهمي اي ان الذي يعالج بهِ يتوهم انهُ لم يعد يستطيع شرب المسكرات. وقد قال الدكتور سابليه انهُ عالج بهِ ٥٧ سكيراً فنجح في ٣٢

منهم وافاد قليلاً في ٨ ولم يفد شيئاً في الباقين وهذا يدلُّ على ان منهُ نفعاً ولو كان وهمياً. ولم نقرأ حتى الآن انهُ وجد مصل يحدث نفوراً من الدخان ولكننا قرأنا انهُ تصنع مجابر من ورق البن فتمنع ضرر التبغ. والانسان يستعمل لقاح الجدري ومصل الدفتيريا ونحو ذلك من مضادات الامراض لا لكي يعرض نفسهُ لمافيهِ سليماً بل لانهُ تعرَّض لها خطأً او يخشى ان يتعرَّض لها خطأً فيداويها او يتقي شرها واما التدخين فدواؤُهُ معلوم اذا اضرَّ بصاحبهِ وهو ابطالهُ او تقليلهُ فيزول ضررهُ او يقل. هذا هو المصل الشافي او الواقي

(٤) البن في السودان

مصر. حسين افندي فهمي. هل تصلح أراضي السودان لزرع البن وما كيفية زراعتهِ اذا كانت تصلح لذلك

ج يظهر لنا ان البن لا يجود كثيراً فيها لشدَّة حرارتها وتعرُّضها للرياح. اما كيفية زرع البن فقد كتبنا فيها مقالة مسهبة في الجزء العاشر من المجلد السابع عشر فراجعوها فيهِ

(٥) مساحة الصين

مصر. امين افندي يوسف. نرجوان تذكروا لنا كم مساحة بلاد الصين وكم عدد سكانها

ج ترون ذلك في هذا الجدول

الاسم	المساحة	السكان
الصين الاصلية	١٣٣٦٨٤١	٣٨٦٠٠٠٠٠٠
منشوريا	٠٣٦٢٣١٠	٠٠٧٥٠٠٠٠٠
مغوليا	١٢٨٨٠٠٠	٠٠٢٠٠٠٠٠٠
تبت	٠٦٥١٥٠٠	٠٠٦٠٠٠٠٠٠
جنغاريا	٠١٤٧٩٥٠	٠٠٠٦٠٠٠٠٠
تركستان الشرقية	٠٤٣١٨٠٠	٠٠٠٥٨٠٠٠٠
والجملة	٤٢١٨٤٠١	٤٠٢٦٨٠٠٠٠

هذا حسب احدث التقادير اي حسب قول الحكومة الصينية سنة ١٨٧٩ وسنة ١٨٨٢. وقد قيل في التقادير الصينية الرسمية سنة ١٨٤٢ ان اهالي ١٨ ولاية من ولايات الصين الاصلية وفرموسا كانوا حينئذٍ ٤١٣ مليون نفس. لكن مزاعم الصينيين كثيرة والمظنون ان سكان الصين لا يزيدون على ٣٥٠ مليون نفس

(٦) ما اخذ من الصين

ومنهُ. ما هي التغييرات الحديثة التي حدثت في بلاد الصين على اثر حربها مع اليابان والتي يظن انها كانت من الاسباب التي هاجت الصينيين ضد الاجانب

ج اهم هذه التغييرات امتلاك الاوربيين للمرافئ الصينية وتضييق خناق الصينيين وذلك ان اليابان اخذت جزيرة فرموسا مع نفقات الحرب واستلمتها في ٢ يونيو سنة ١٨٩٥

وفي نوفمبر سنة ١٨٩٧ اخذت المانيا مرفأ كياوشو اجرة توسطها في الصلح بين الصين واليابان . وفي شهر يناير من السنة التالية استأجرت من الصين المدينة التي هناك وضواحيها لمدة ٩٩ سنة . وفي ٢٧ مارس من تلك السنة استأجرت روسيا بورت ارثر وتاليئوان والبلاد المجاورة لها والانهر المتصلة بهما لمدة ٢٥ سنة يجوز اطالتها باتفاق الفريقين ويحق لروسيا ان تبني الحصون والمعاقل والثكنات في البلاد التي استأجرتها ويكون لها وحدها السلطة الحربية عليها برًّا وبحرًا . ولما رأت انكلترا ما فعلتهُ روسيا اتفقت مع الصين في ٢ ابريل سنة ١٨٩٨ على اخذ واي هاي واي ثم استأجرت في السنة التالية البلاد المجاورة لجزيرة هونغ كونغ لمدة ٩٩ سنة . واستأجرت منها فرنسا ايضاً خليج كوانغ شو وانغ امام جزيرة هينان في ابريل سنة ١٨٩٨ واخذت في السنة التالية الجزيرتين اللتين عند مدخل هذا الخليج

(٧) عدد الاجانب في الصين

ومنهُ . كم عدد الاجانب في بلاد الصين

ج كان عدد الساكنين منهم في المدن التي يجوز سكنهم فيها ١٣٤٢١ سنة ١٨٩٨ وهم ٥١٤٨ من الانكليز و ٢٠٥٦ من الاميركان و ١٦٩٤ من اليابانيين و ١٠٤٣ من الالمانيين و ١٠٨٢ من البرتغاليين و ٩٢٠ من الفرنسويين و ٣٩٥ من الاسبانيين و ٢٠٠ من الاسوجيين والنروجيين . ونحو نصف هؤلاء كلهم في شنغاي

(٨) جنود الصين

ومنهُ . كم عدد جنود الصين

ج ان جنود الصين هي . (١) الثمانية الالوية وعددها ٣٠٠٠٠٠ واكثرهم من اهالي منشو الذين فتحوا بلاد الصين وملكوها لكن الجيش العامل منهم لا يزيد على مئة الف نفس و (٢) الجيش الوطني او الاعلام الخضر او المعسكرات الخمس وعددهُ من ٥٤٠ الفاً الى ٦٦٠ الفاً والجيش العامل منها نحو مئتي الف (٣) جيش الرديف والباش بزق وعددهُ نحو مئتي الف

ومجموع الجيش الصيني وقت السلم نحو ٣٠٠ الف ووقت الحرب نحو مليون

(٩) تجارة روسيا مع الصين

ومنهُ . ما هي نسبة تجارة روسيا مع الصين الى غيرها من الممالك الاوربية

ج ترون ذلك في هذا الجدول وهو محسوب بالريال الصيني الذي يساوي اربعة عشر غرشاً مصريًّا

روسيا	٠١٩ ٥٥٢ ٢٩٥
الولايات المتحدة	٠٢٩ ١٥٠ ٠٨٣
اليابان	٠٤٣ ٤٦٨ ٨٤١
انكلترا ومستعمراتها	٢٢٥ ٤٣٥ ٦٢٦
بقية اوربا	٠٣٥ ٣٢٦ ٩٠٦

اي ان ثلثي تجارة الصين بيد انكلترا وثلثها بيد بقية دول الارض واقلها مع روسيا

باب الاخبار العلمية

نجم جديد

اكتشفت مدام سراسكي زوجة الاستاذ سراسكي الروسي نجماً جديداً متغيراً يختلف اشراقهُ بين القدر الثامن والثاني عشر . وقد كان نورهُ آخذاً في الازدياد في شهر اكتوبر سنة ١٨٩٦ واخذ في النقصان في اكتوبر سنة ١٨٩٧ وبلغ اقلهُ في مايو سنة ١٨٩٨ وفي ابريل سنة ١٨٩٩ واول مايو ١٩٠٠ كما ظهر لنا من صورهِ في الصور الفوتوغراف الفلكية

نجم آخر جديد

قال الاستاذ بكرنج ان زوجة الاستاذ فلمنغ اكتشفت نجماً جديداً من البحث في صور درابر الفوتوغرافية في كوكبة النسر الطائر وقد ظهر في الصورة التي صوِّرت في ٢١ ابريل و٢٧ اكتوبر سنة ١٨٩٩ وكان في ابريل من القدر السابع وفي اكتوبر من العاشر وظهر في صورتين صوِّرتا في ٦ يوليو و٩ يوليو سنة ١٩٠٠ . ورآهُ المستر وندل في ٩ يوليو سنة ١٩٠٠ بتلسكوب قطرهُ ١٥ عقدة وحسب انهُ من القدر الثاني عشر

الطب الروحاني

يقال ان في مدارس الطب الروحاني باميركا من التلامذة اكثر مما في مدارس الطب القانوني . واطباء الطب الروحاني يعالجون المرضى بالصلاة او بالتدجيل على صور شتَّى فيشفون كل الامراض التي تشفى من نفسها من غير علاج واما الامراض التي لا تشفى من غير علاج فتسير سيرها الى ان تقتل اصحابها . وبالامس اصيب نحو عشرين ولداً بالدفتيريا في شارع اهلهُ يعتقدون بالطب الروحاني اسمهُ سوق صهيون فمنعوا ضباط الصحة من الدخول اليهم فوضع هؤلاء حولهم نطاقاً صحيًّا فمات اكثرهم مع ان الذين يعالجون الآن بالمصل المضاد للدفتيريا يشفى اكثرهم. ومتى اختلط الجهل بالدعوى والحمق والتعصُّب الديني نتج من خليطها نوع من الجنون المستعصي لا اشد منهُ ضرراً بنوع الانسان

الجذام في كريت

قرَّر زمياكو باشا مرةً ان في جزيرة كريت اربعة آلاف مجذوم . وقد عين البرنس جورج والي كريت اثنين من مشاهير الاطباء ليبحثا عن المجذومين فيها فوجدا ان عددهم لا يزيد على ثمانمئة وقد لا يكون اكثر من ستمئة ولكن الجذام على ازدياد في الجزيرة

قام البرنس جورج باتخاذ الوسائل الكافية لفرز المجذومين عن غيرهم حتى يمتنع انتشار هذا الداء الخبيث

المجاعة في الهند

بلغ عدد المصابين بالمجاعة في الهند الذين تصل اليهم المساعدة من الاموال التي تصدَّق بها الاوربيون والاميركيون خمسة ملايين وسبع مئة الف نفس وقد فتكت الامراض والاوبئة بالجياع فتكاً ذريعاً. وكانت الاوبئة تنتاب بلاد الهند في الازمنة الغابرة وتفتك بالملايين من سكانها فلا يزيد عددهم عن مقدار الطعام الذي يستخرج من بلادهم عادةً اما الآن فصارت عناية الحكومة الانكليزية تقلل فتك المجاعات وتضعف هذا العلاج الذي تعالج بهِ الطبيعة كثرة السكان فصار لا بد من ان تتوالى المجاعات و يزيد فتكها

علاج السل بالهواء

اتضح من احصاء المستشفيات التي يعالج فيها المسلولون بالهواء النقي والغذاء في برلين وضواحيها ان المسلولين الذين عولجوا واقاموا في المستشفى اكثر من ١٤ يوماً كانوا ٥٥٨١ وهم ينقسمون الى فريقين فريق وُجد فيهِ ميكروب السل وفريق لم يوجد فيهِ فالفريق الاول عدده ٢٥١٩ نفساً و١٠٤٧ من هؤُلاء تحسنت صحتهم جداً . و١١٧١ تحسنت صحتهم ايضاً و٢٥٩ لم يظهر فيهم تحسن او ساءت حالهم و٦٠ ماتوا . والفريق الثاني عددهُ ١٢٤٥ نفساً و٨٧٦ منهم تحسنت صحتهم جداً ولم يبقَ اثر ظاهر للمرض في رئاتهم و٣٥٩ بقيت الاعراض فيهم ولكنهم استطاعوا ان يعودوا الى اعمالهم و٤٠ لم تحسن حالهم وكان فيهم مضاعفات اخرى . وبلغ متوسط ما زادهُ ثقل كل منهم اربعة كيلوغرامات و٨٠٠ غرام

عبدة العرش

ظهر من البحث في التحف التي وجدت في خرائب مسيني ووصفناها في المجلد الاول من المقتطف ان الناس كانوا يعبدون عرش الله حينئذٍ وهذا يفسّر وجود الكراسي او العروش الصغيرة بين خرائب الاولين . والظاهر ان زركسيس كان يأخذ معهُ عرشاً من هذه العروش في غزواتهِ حاسباً ان روح الله يجلس عليهِ

المدافع الطويلة

يصنع الانكليز الآن مدافع للدفاع طول المدفع منها اربعون قدماً وقطر فمهِ ثلاثة ارباع القدم ومداهُ ١٢ ميلاً وستوضع ستة من هذه المدافع في حصون مدينة دوفر امام سواحل فرنسا

اموال الالمان

يظهر من تقارير قناصل المانيا ان للالمانيين اموالاً ومتاجر في اقطار المسكونة

تبلغ قيمتها ألفاً ومئتين وخمسين مليوناً من الجنيهات فلهم في بلاد المكسيك خمسون مليوناً وفي اميركا المتوسطة ٦٣ مليوناً وفي جزائر الهند الغربية ٦٣ مليوناً ايضاً وفي فنزويلا ٥٠ مليوناً وفي شيلي ٦٨ الى ٧٥ مليوناً وفي جمهورية ارجنتين ١٥٠ مليوناً وفي برازيل ١٥٠ مليوناً. هذا عدا ما لهم من الاموال والمتاجر في اوربا نفسها

كهربائية الجو

ابان بعض علماء الانكليز الآن ان نور الشمس ولاسيما الاشعة التي فوق البنفسجي تولّد في الهواء نقطاً مكهربة سلباً ونقطاً مكهربة ايجاباً على مبدإ الحل الكهربائي فاذا كثر البخار في الهواء اجتمعت دقائقهُ حول النقط المكهربة سلباً فثقلت ونزلت مطراً فتبقى النقط المكهربة ايجاباً في الجو وتزول بها موازنة كهربائية الهواء فتحدث كل الحوادث الكهربائية الناتجة من فقد الموازنة الكهربائية

اعمى واخرس واطرش

في مدينة نيويورك ولد اعمى واخرس واطرش اعتُني بتعليمهِ فصار يتكلم بالنطق وبالاشارات ويفهم كلام غيرهِ باللمس ويقرأ باللمس ايضاً وتعلم التاريخ والجغرافيا والحساب والتجارة وعمل الكراسي . ولا ندري لماذا يُبذَل هذا المقدار من الاعتناء على ولد واحد وهو لو بذل في تعليم مئة ولد من المبصرين الناطقين السامعين الذين يُترَكون الآن في حمأة الجهل لكفى لتعليمهم وتهذيبهم وصيرورتهم من نخبة الناس

فتك داء السل

توفي ٤٦٩٨٨ نفساً في مدينة باريس سنة ١٨٩٩ وقد ثبت ان ١٢٣١٤ منهم توفوا بداء السل اي اكثر من ربعهم . والذين ماتوا بين سن سنة و ٢٠ سنة مات منهم بالسل ٣٧ في المئة . والذين ماتوا بين سن ٢٠ و ٤٠ مات منهم بالسل ستون في المئة . والذين ماتوا بين سن ٤٠ و ٦٠ مات منهم بالسل ثلاثون في المئة والذين ماتوا من سن الستين فصاعداً مات منهم بالسل ثلاثة في المئة فقط . فاكثر فتك السل بين السنة العشرين والاربعين وفتكهُ حينئذٍ ذريع جداً لان ستين في المئة من الذين يموتون في ذلك السن يكون السل سبب موتهم

احتكار الحنطة

نوت الحكومة الروسية منذ اربع سنوات ان تحتكر الحنطة هي والولايات المتحدة الاميركية لكي ترفع ثمنها وتغني فلاحيها لكن حكومة الولايات المتحدة الاميركية رفضت ذلك حينئذٍ . وقد بلغت غلة الحنطة في المسكونة كلها منذ سنتين ٢٨٧٩ مليون بشل وغلة اميركا منها ٧٠٠ مليون بشل وغلة روسيا ٤٠٠ مليون بشل وكان غرض

روسيا ان تزيد ثمن البشل عشرة غروش فلو أُجيب طلبها لربح الفلاح الاميركي من ذلك ٧٠ مليون جنيه كل سنة والفلاح الروسي اربعين مليون جنيه وتكون الخسارة على البلدان التي تشتري الحنطة

الاسلحة القديمة في المعرض

يقال ان فيه بندقية كانت للقيصر بولس الاول والسيف الذي كان مع بونابرت في تلست واهداهُ الى القيصر اسكندر الاول وغدّارة كانت لملك هنري الثالث من ملوك فرنسا وبندقية من عهد الملك لويس الخامس عشر

سكك الحديد في اميركا

كان في الولايات المتحدة الاميركية ٨٩٠ ١٨٩ ميلاً من خطوط سكك الحديد المفردة منذ سنة من الزمان وكان عدد قواطرها ٣٦٧٠٣ وعدد مركباتها ١٣٧٥٩١٦ وعدد المستقدمين فيها ٩٢٤ ٨٢٨ ورأس مالها ١١٠٠٠ مليون ريال فقيمة الميل الواحد مع ما يخصهُ من المركبات ونحوها ٥٦٦ ٦٠ ريالاً وبلغ الربح الذي وزعتهُ في العام الماضي ٨٢٢ ٩٠٠ ١١١ ريالاً اي نحو خمسة في المئة . وبلغ الدخل كلهُ قبل طرح النفقات ١١٨ ٦١٠ ١٣١٣ ريالاً

وقتل بهذه السكك في العام الماضي ٧١٢٣ نفساً وأُوذي ٦٢٠ ٤٤. لكن المسافرين منهم قليلون فقد قتل من المسافرين ٢٣٩ نفساً وأُوذي ٤٠٤٠ والباقون من عابري الطريق

الحلزون والصخور

يُرى الحلزون احياناً كثيرة في ثقوب غائرة في الصخور وهذه الثقوب اسطوانية الشكل يختلف قطرها من خمسة سنتيمترات الى نصف سنتيمتر حسب كبر الحلزونة وصغرها ويقول الفلاحون الذين يرونها ان الحلزون يثقبها في الصخر ولكن لم يثبت ذلك الاَّ بعد ان راقبهُ العلماء ووجدوهُ صحيحاً فان الحلزون يثقب الصخور الكلسية الصلبة على اسلوب غير معروف حتى الآن وقد تكون هذه الثقوب كثيرة جدًّا حتى يصير الصخر بها كالاسفنج وتتصل بعضها ببعض كما يشاهد على شاطىء البحر عند مينا الحسن في مدينة بيروت

التلسكوب واللصوص

يستعمل التلسكوب لرصد الافلاك لا لكشف اللصوص ولكن كان واحد في معمل الآلات البصرية باميركا يمتحن تلسكوباً بالامس فاداره الى مكان قريب فرأَى ولداً يسرق اناء من الزبدة من عربة مارة امامهُ فاخبر رجال البوليس بالتلفون حالاً فقبضوا على السارق وفتشوهُ فوجدوا الزبدة معهُ

القطر الكبير

القطر المعروف في القطر المصري بعيش الغراب لا يكبر كثيراً فاذا بلغ قطر القرص

منهُ شبرًا حسب من اكبر انواع القطر وهذا اكبر ما رأيناهُ . لكن بعضهم وجد قطرًا في اميركا قطرهُ نحو متر ووزنهُ نحو كيلوغرام

حرير الرتيلاء

ذكرنا غير مرةٍ ان الفرنسويين ربّوا نوعاً من الرتيلاء في استراليا واستخرجوا منها خيوطاً حريرية متينة غزلوها ونسجوها وعرضوا منسوجاتها في معرض باريس . وقد وقفنا الآن على وصف طبائع هذه الرتيلاء وكيفية تربيتها واخراج الحرير منها وهي كبيرة الجسم اناثها اكبر من ذكورها مثل سائر العناكب والاناث شكسة الطباع شرسة الاخلاق واما الذكر فعلى غاية الضعف والانكسار واذا حان زمن المزاوجة لزم الحذر التام لانهُ اذا دنا منها حينئذٍ ولم تستحسنهُ وثبت عليهِ ودقت عنقهُ وافترستهُ

واذا حان وقت ولادتها مضت الى حراج النجو حيث تجد غذاء كافياً لها ولصغارها . واذا قلَّ الغذاء لسبب من الاسباب لجأت الى ناموس الطبيعة الاول ناموس الجهاد لبقاء الاصلح فتخرج هائمة على وجهها الى ان تجد واحدة من جنسها فتصارعها وتكافحها الى ان تقهر احداها الأخرى وتفترسها فتشبع ويبقى اشدها بأساً فهي احكم من البشر الذين لا يستفيدون من اعدائهم بعد قتلهم بل يتركون اشلاءهم تنتن وتفسد الهواء

ويظهر من اخبار مدغسكر ان الفرنسويين مهتمون اهتماماً شديداً بحرير العناكب يحسبون انهُ يكون منهُ نفع كبير للبلاد وقد انشأوا مدارس يعلمون فيها الوطنيين كيفية تربيتها واستخراج الحرير منها وغزلهُ ونسجهُ . والفضل في انشاء هذه المدارس للجنرال غاليانى . وهي من افضل المنشآت التي انشأها الفرنسويون في مدغسكر لانها اساس لعمل مفيد قد يكون منهُ ثروة كبيرة للبلاد

ولا تزال هذه العناكب شرسة جدًّا تعسر تربيتها ولكن يحتمل ان استمرار التربية والتوليد يغيّر طباعها فتصير تربيتها سهلة مثل تربية دود الحرير . والآن يُفتش النساء الوطنيات عن العناكب في حراج النجو ويأتين بها الى المدرسة في سلال ولا يتركنها زمناً طويلاً في السلال لئلا يفترس بعضها بعضاً . ثم توضع كل عنكبوتة في بيت صغير خاص بها ويضغط على جسمها بقطعة من الخشب حتى لا تستطيع الحراك . وبجانب هذا البيت بيوت اخرى صغيرة عدتها ثلاثون بيتاً ويكون في كل بيت عنكبوتة . ولبنات مدغسكر مهارة غريبة في استخراج الخيط الحريري من بطن العنكبوت فتضع الواحدة منهنَّ اصبعها على العنكبوتة وتضغط عليها قليلاً ثم تخرج اصبعها والخيط لاصق بها وتجمع الخيوط من العناكب الثلاثين وتصلها بوشيع دائر فتلتف عليهِ كما تلتف خيوط الحرير من فيالج دود الحرير .

ويستخرج الحرير من العنكبوتة اربع مرات في الشهر فيكون طوله ١٢ الف متر ثم تموت العنكبوتة عياء. والعنكبوتة التي يستخرج حريرها تخرج من بيتها وترسل الى مكان تسترجع قوّتها فيهِ حتى اذا عادت اليها الصحة والقوة اعيدت الى البيت واستخرج الحرير منها ثانية وثالثة ورابعة الى ان تموت

وحرير العنكبوت اصفر ذهبي دقيق متين جدًّا فهو ادق من حرير القز وامتن منهُ

واول من حاول نسج خيوط العناكب العالم ريومر سنة ١٧١٠ وذلك من عناكب فرنسا الصغيرة . ويقال ان اهالي الصين يستخرجون حرير العناكب وينسجونهُ. اما اول من استخرج حرير العناكب من مدغسكر فهو الاب كمبوى المرسل الكاثوليكي فانهُ شاهد خيوطها بين اشجار الغجو وجمعها وغزلها ونسجها فكان نسيجها متينًا جدًّا ولكنهُ كان غير منتظم الخيوط فبعضها دقيق وبعضها غليظ وبعد عناء شديد رأى ان يستخرج الخيوط من العنكبوت مباشرة كما تقدَّم

موسم القطن الماضي

بلغ الوارد الى الاسكندرية من القطن المصري من اول سبتمبر الماضي الى ١٠ اغسطس ٦٤٣٣ ٣٨٣ قنطارًا اي نحو ستة ملايين ونصف مليون قنطار صدر منها ٣١٦٥ ١٦٥ قنطارًا الى البلاد الانكليزية و١٣٨ ٢٧١٧ قنطارًا الى سائر الممالك الاوربية وصدر الى الولايات المتحدة الاميركية ١٩٦٦٠٥ قنطارًا وبلغ الصادر اليها في العام السابق ٣٨٩١٦٤ قنطارًا فقط

وبلغ الوارد الى الاسكندرية من البزرة من اول سبتمبر الماضي الى ١٠ اغسطس ٣٧٨٦٥٥٨ اردبًا صدر منها ٤٣٨ ٣٠٨٤ اردبًا الى انكلترا و٣٥٧٦٧٨ الى سائر الممالك

التلغراف بين الارض والبالون

ثبت بالامتحان في فرنسا انهُ اذا طار بالون في الجو وكان فيهِ آلة من آلات ماركوني وكان على الارض آلة مثلها امكن التخاطب بين الارض والبالون من غير موصل

ازدياد تجارة القطر

بلغ ثمن الفحم الحجري الذي ورد الى القطر المصري هذا العام حتى آخر يونيو الماضي ٥٤٣ ٩٩١ جنيهًا وكان في العام الماضي الى آخر يونيو ٤٣٠ ٦١٥ فالزيادة هذا العام ١١٢ ٣٧٤ جنيهًا

وبلغ ثمن الحديد والمواد الحديدية التي وردت هذا العام ٥١٩٦٥٩ وكان في العام الماضي ٣٣٦ ١٧٤ فالزيادة هذا العام ١٨٢ ٩٤٥ جنيهًا

وبلغ ثمن المنسوجات القطنية التي وردت هذا العام ٩٣٠ ٢٢٦ وكان في العام الماضي ٧٨٦ ٢٢٧ فالزيادة هذا العام ١٤٣ ٩٩٩ جنيهًا

عدد الحجاج

بلغ عدد الحجاج الذين حجوا هذه السنة الى مكة المكرمة عن طريق قنال السويس ١٥٩٢٧ حاجاً وبلغ ١٢٠٧٢ حاجاً في سنة ١٨٩٩ و ١٦٧١٧ حاجاً في سنة ١٨٩٨ و١٣٧٠٤ في سنة ١٨٩٧ و١٤١٠٢ في سنة ١٨٩٦ و١٤٧٣٧ في سنة ١٨٩٥ و١٤٨٣٤ في سنة ١٨٩٤ و١٧٩٠٩ في سنة ١٨٩٣ و١٣٠٠٤ في سنة ١٨٩٢ و١١٠١٣ في سنة ١٨٩١ و١٠٨٧٧ في سنة ١٨٩٠

انشقاق المريء بالقيء

ذكر الدكتور بَوْلس لجمعية الطب والجراحة الملكية حادثة امرأة عمرها ٦٢ سنة اخذت مقداراً كبيرًا من الصبر والراوند ثم شربت لبناً وكاساً من الماء والملح لكي تستفرغ فاصابها قيء شديد وألم في القسم الشراسيفي وتهوُّر . ولما اصابها التهوُّر بطل القيء وأُعطيت المورفين لتخفيف الالم ولكنها تقيأت وعاودها الالم واخيرًا اسلمت الروح بعد ابتداء القيء باثنتين وعشرين ساعة وظهر لدى البحث في رمتها ان مريئها انشق وهي تتقايأ. وهذه الحادثة من الحوادث النادرة جدًّا

السالول في الجدري

وجد بعض الاطباء انهُ اذا عولج المجدور بالسالول لم يعد يشعر بالحكة ولم يعد يحك البثور في جسمهِ فتسير سيرها وتبرأ قبل ان تنضج ولا يبقى مكانها ندوب . ولا ضرر من اخذ درهم من السالول كل يوم واذا حدث منهُ انحطاط عقلي زال حالاً بعد زوال فعلهِ

مدرسة برمنهام

لم يكتفِ المستر تشمبرلين وزير انكلترا بالمال الذي جمعهُ لمدرسة برمنهام مع انهُ فاق ما طلبهُ قبلاً بل طلب ان يزاد ايضاً فلبّى طلبهُ السر جمس تشانس ووهبها خمسين الف جنيه فصار مالها اربع مئة الف جنيه . هذا هو الطمع الجيد في خدمة العلم

سمك النيل

بعث المستر لوت الفين ومئتي مثال من اسماك النيل الى متحف التاريخ الطبيعي في بلاد الانكليز ليُبحَث عنها فيهِ . وعسى ان يكون من وراء هذا البحث في اسماك النيل والمال الذي انفقتهُ الحكومة المصرية على ذلك ان تبذل الوسائل لتكثير السمك في البرك والمستنقعات فيصلح هواؤها ويكثر الغذاء النيتروجيني منها لسكان هذا القطر

العفن في المعدة

قرأ الاستاذ مكس اينهورن مقالة في مجمع امراض المعدة والامعاء في شهر مايو الماضي وصف فيها العفن الذي ينمو في المعدة فيسبب تعباً كثيرًا لا يُعرَف اصلهُ عادةً ولا يعرف علاجهُ الاَّ اذا عُرِف ان سببهُ هذا العفن وعولج علاجاً يزيلهُ . والشائع ان عصارة

المعدة تميت كل المواد النباتية فيستحيل ان ينمو العفن فيها ولكن الامر ليس كذلك بل قد ثبت بالمشاهدة وجود العفن حيًّا ناميًا فيها ويمكن ان ينمو خارج المعدة في سائل مثل سائل المعدة . وذكر اناسًا كثيرين وُجد العفن في معدهم وعالجهم منهُ فشفوا . من ذلك شاب عمرهُ ٢٢ سنة اصيب بسوء الهضم منذ ست سنوات وكان لسانهُ مغطًى دائمًا بفروة وطعم فيهِ رديئًا في الصباح وكان يشعر بعد الطعام بساعتين بحرقة اسفل المعدة وقد يتجشأ ويقيء قليلاً وكانت قابليتهُ جيدة وجسمهُ معتدلاً وكل الاعراض تدل على ان جسمهُ سليم لاعلة فيهِ لكنهُ استخرج قليلاً من العصارة من معدتهِ قبل الطعام وبعد الطعام بساعة فثبت لهُ بالبحث الميكرسكوبي ان فيها عفنًا ناميًا فعالجهُ بي كربونات الصودا وبغسل المعدة ورشاش نترات الفضة فشفي تمامًا بعد اربعة عشر يومًا وزال العفن من معدتهِ

سبب الطاعون

وضع الدكتور منتينغرو الاسباني كتابًا في هذا الموضوع ذهب فيهِ الى ان الطاعون مرض من امراض الجرذان ينتشر في الدنيا بانتشارها فيها وينتقل منها الى الانسان مباشرة او بواسطة براغيث الجرذان التي تكثر عليها حينما تمرض وتفارقها بعد ان تموت وتبرد. ولا يظهر ان الطاعون يعدي بالمس ولكنهُ يعدي بالتلقيح من جرح في البدن او بالتنفس ودخول الميكروب مع الهواء الذي يتنفسهُ الانسان ولم يثبت حتى الآن انهُ يعدي عن طريق المعدة كالحمى التيفويدية لان الحيوانات التي أُطعمت مواد فيها ميكروب الطاعون لم تصب بهِ

رضاع الاطفال

قرأ الدكتور اسكندر مكلستر مقالةً في هذا الموضوع في مجمع الطب الاميركي ابان فيها ان الطفل الذي ترضعهُ امهُ او ترضعهُ امرأَة أُخرى مثل امهِ يكون اسلم بنية من الطفل الذي يغذَّى باللبن الصناعي واقل تعرُّضًا للامراض منهُ . وان لبن البقر يبقى معرَّضًا لجراثيم الامراض المعدية من حين حلبهِ الى ان يشربهُ الطفل. واذا كانت الام شابةً ولبنها قليلاً وجب ان تعالج حتى يكثر لبنها وان تأكل كثيرًا من لبن البقر والمواد الدهنية لكي يغزر لبنها.واذا كان لبنها قليلاً جدًّا وتعذَّر وجود مرضع غيرها فيحسن ان ترضع طفلها كل ما يمكنها ارضاعهُ من لبنها ولو مرةً في اليوم وتسقيهُ لبن البقر بقية الوقت بعد اغلائهِ . وبيَّن غيرهُ ان اغلاء اللبن يغير تركيبهُ وانهُ يقتل الميكروبات التي يمكن ان تكون في اللبن ولكنهُ لا يزيل السموم المفرزة منها فيهِ . وجملة القول ان لبن الوالدة هو الغذاء الطبيعي الصالح لطفلها ولا يجوز ابدالهُ بغيرهِ الاَّ عند الضرورة الشديدة

تيفويد الاجنَّة

ابان الدكتور لوفت مورس ان ميكروب الحمَّى التيفويدية ينتقل من الحامل الى جنينها . وقد كان ذلك مظنونًا ظنًّا قبل اكتشاف ميكروب التيفويد اما الآن فثبت بالامتحان في الحيوانات وبالبحث الميكروسكوبي في الانسان

عدد النجوم

تقسم النجوم حسب اشراقها الى اقدار فيقال هذا النجم من القدر الاول وذاك من القدر الثاني . وهاك عدد النجوم من القدر الاول الى السادس

الاول	٢١
الثاني	٥٢
الثالث	١٥٧
الرابع	٥٠٦
الخامس	١٧٤٠
السادس	٥١٧١
والجملة	٧٦٤٧

ويظهر من ذلك ان نجوم كل قدر نحو ثلاثة اضعاف القدر الذي فوقهُ او اكثر من ثلاثة اضعافهِ . وقد حسبت النجوم في زيج اجلندر الى القدر التاسع فبلغت ٦٣٠ الفًا والى القدر العاشر في زيج تمس كرديا فبلغت ٢٣١١٠٠٠ واذا جرينا على نسبة الثلاثة اي ان نجوم كل قدر اكثر من القدر الذي فوقهُ ثلاثة اضعاف فعدد النجوم الى آخر القدر الرابع عشر نحو مئتي مليون نجم على ما اثبتهُ الاستاذ نيوكم

النقود الواردة الى مصر

ورد الى القطر المصري في العام الماضي من النقود الذهبية ماقيمتهُ ٤٤٦٧٨٢٩ جنيهًا مصريًا ومن النقود الفضية ما قيمتهُ ٤٨٠٨٨ جنيهًا مصريًا والجملة ٤٥١٥٩١٧ جنيهًا مصريًا وهي واردة من البلدان المختلفة على ما في هذا الجدول

	ذهب	فضة
انكلترا	١ ٦٤١ ٥٤٦	١٠
فرنسا	٠ ٩٨٦ ٨٢٨	١٩
املاك انكلترا	١٩٢	
النمسا	٠ ٣٣٨ ٨٩٧	٥٢
ايطاليا	٠ ١٣٧ ٧٦٤	١٢٢٨
تركيا	١ ٣٠٨ ٩٨٣	٤١٨٢
اليونان	٠ ٠٥٣ ٥٢٢	١٤
بقية البلدان	٠ ٠٠٠ ٠٩٧	٤٢ ٥٨٣
والجملة	٤ ٤٦٧ ٨٢٩	٤٨ ٠٨٨

فاكثر الذهب وارد من انكلترا وتركيا اما انكلترا فقد اشترت من القطر المصري في السنة الماضية ما قيمتهُ ٨٢٢٧٢٧٤ جنيهًا اي بنحو ثمانية ملايين وربع مليون من الجنيهات ولذلك لا عجب اذا بعثت اليه مليونًا ونصف مليون من الجنيهات لا سيما وان

القطر المصري اشترى منها في العام الماضي ما قيمتهُ اربعة ملايين ونصف مليون من الجنيهات فقط فكانها بعثت لهُ بضائع ونقوداً واوقت عنهُ جانباً كبيراً من ربا دينهِ . واما تركيا فلا ندري لماذا ترسل الى القطر المصري هذا القدر الطائل من الذهب لان البضاعة التي اشترتها من القطر المصري قيمتها نحو ٣٤٠ الف جنيه لا غير وهو اشترى منها بضائع قيمتها مليون ومئتا الف جنيه فكان يجب ان يرسل اليها نقوداً اكثر مما ترسل اليهِ . ولا يفسر ذلك الاَّ بان بعض اصحاب الاموال صاروا يأتون باموالهم الى القطر المصري ليستثروها فيهِ

النقود الصادرة من مصر

صدر من القطر المصري في العام الماضي من النقود الذهبية ما قيمتهُ ١٤٥٤٤٧٠ جنيهاً ومن النقود الفضية ما قيمتهُ ٤٨٠١٥ وهي صادرة الى البلدان المختلفة كما ترى في هذا الجدول

	ذهب	فضه
انكلترا	٤٠٥٦٢٥	٠٣٨٤٤
فرنسا	٤٨١٥٤٣	٠٢٩٩٩
املاك انكلترا	٣١٧٦٦١	٠٠٧١٦
النمسا	٠٠٠١٠٢	٠٠٥٣٨
تركيا	٢٤٧٨٩١	٢٤٧١٨
اليونان	٠٠١٦٢٣	
بقية البلدان	٠٠٠٠١٩	١٥٢٠٠
والجملة	١٤٥٤٤٧٠	٤٨٠١٥

ومجموع النقود الذهبية والفضية الصادرة من هذا القطر في العام الماضي ١٤٤٩٢٨٠ ومجموع النقود الذهبية والفضية الواردة اليهِ ٤٥١٥٩١٧ فالواردة اكثر من الصادرة ٣٠٦٦٦٣٧ اي ثلاثة ملايين و ٦٦ الف جنيه و٦٣٧ جنيهاً . فاين ذهبت هذه الثلاثة الملايين وهل هي باقية في القطر المصري وهل هي لاهلهِ او للشركات الاجنبية التي انشئت فيهِ واهلهُ استدانوها منهم بالربا . هذه مسائل هامة تستحق ان يبحث فيها ليعلم مصير البلاد أإلى التقدم هو ام الى التأخر

دار للتحف في القدس

ابتاع الاسرائيليون ارضاً غربي اورشليم ليبنوا فيها داراً يضعون فيها الكتب والآثار المتعلقة بالارض المقدسة فتكون اول متحف في سوريا بعد متاحف المدرسة الكلية الاميركية في بيروت

باخرة في بحيرة لوط

أُتي بسفينة بخارية الى بحيرة لوط طولها ٢٥ متراً ولعلَّ الغرض الوحيد منها استعمال السياح لها

رجمة في فلسطين

لرجم الحجارة القديمة شأن كبير عند علماء الآثار وهي حجارة كبيرة كان الناس في سالف عهدهم ينصبونها حول موتاهم وقد وجد المستر ستورت مكلستر الآن رجمة منها في

فلسطين بقرب بيت جبرين غربي الاردن وهي اول رجمة وجدت في تلك البلاد فيها ثمانية حجارة كبيرة خمسة منها في صفين متقابلين والثلاثة الباقية واقعة بينها ولعلها كانت غطاء لها وتمتاز هذه الرجمة عن غيرها من الرجم في انها منصوبة على الصخر لا على التراب كأن الميت الذي نصبت له كان ملقًى على الصخر

شبابيك لا تحترق

صنع الاميركيون اغلاق الشبابيك من صفائح الحديد بدل الواح الخشب فجاءت خفيفة كالخشب او اخف ومتينة جدًّا وهي لا تحترق فاذا كان البيت مبنيًّا من غير خشب ومسقوفًا من غير خشب وابوابه وشبابيكه من صفائح الحديد زال كل خطر من النار

سكك الحديد في انكلترا

بلغ رأس مال سكك الحديد في البلاد الانكليزية حتى آخر العام الماضي ٠٠٠ ٢١٨ ١٥٢ ١ جنيه فزاد ٠٠٠ ١٧٨٥٠ عمّا كان عليه في العام الذي قبله وزاد نحوه ٥ مليون جنيه عما كان عليه عام ١٨٩٧ وبلغ صافي الربح الذي وزع على المساهمين ٠٠٠ ٥٧٦ ٤١ جنيه . وكان الربح كله ٠٠٠ ٦٦٧ ١٠١ جنيه وكانت النفقات ٠٠٠ ٠٩١ ٠٦٠ ويقال بالاجمال ان راس مال سكك الحديد في بلاد الانكليز يبلغ الف مليون جنيه ودخلها السنوي يبلغ مئة مليون جنيه اي عشرة في المئة بالنسبة الى رأس المال والنفقات تبلغ ستين مليون جنيه فيكون صافي الارباح اربعين مليون جنيه اي نحو اربعة في المئة بالنسبة الى رأس المال والربح اكثر من ذلك قليلاً لان راس المال لم يدفع كله بل دُفع منهُ ٩٦٧ مليون جنيه

غرائب النمل

النظر في طبائع النمل قديم جدا وكأن البشر انتبهوا منذ زمن طويل الى ما بين هذه الطائفة والبشر من المشابهة في السعي والكدّ والتدبير والحكمة . وفي الاقوال المأثورة عن حكيم العبرانيين ما يدلّ على وقوفهِ على كثير من اعمالها

وقد رأينا في جريدة السينتفك اميركان نبذة لتاجر اميركي وصف بها بعض ما شهدهُ بعينهِ من غرائب النمل مما يظهر ما طبعت عليهِ من حسن التدبير قال رأيت نحو اثنتي عشرة نملة من الصنف الاحمر تجرّ جثة رتيلاء وكان في ارجلها شعر يعلق بما في طريقها ويعيق النمل عن جرّها ولما اعياهنَّ الامر وقفن كانهنَّ يتشاورنَ في ما ينبغي فعلهُ وكان هناك ورقة يابسة فنقلن غنيمتهنَّ اليها وامسكن باطرافها وسرنَ كالاول حتى بلغن قريتهنَّ

ورأيت في مرة أُخرى نملاً كثيرًا يسير من قريتهِ منظمًا كجيش وقد اطاف بهِ

الجواسيس ولما صار على بضع اقدام من وكره انقسم شطرين تابع احدهما السير ولم يلبث حتى اشتبك مع العدوّ ودار الآخر من الوراء وهجم على ساقة العدو فاوقع بهِ

نفقات حرب الترنسفال

قدرت جريدة الايكونمست نفقات حرب الترنسفال كما يأتي بالجنيهات الانكليزية

الزيادة التي طلبت فيها اكتوبر الماضي	١٠٠٠٠٠٠٠
" " " مارس "	١٣٠٠٠٠٠٠
" " " اغسطس	٠٧٤٤٠٠٠٠
ميزانية الحربية لسنة	٣٧٧٩٧٠٠٠
فوائد	٠١٠٨٦٠٠٠
والجملة	٦٩٣٢٣٠٠٠

او نحو سبعين مليونًا من الجنيهات تنفق في سنة على الجيوش وسيعود نفعها على سكان تلك البلاد وعلى الذين يستوطنونها منهم ولكن الماليين اصحاب اسهم المناجم يجنون منها النفع الاكبر

صناعة النسج في اميركا

يزيد القطن الاميركي فتزيد معاملهُ عامًا بعد عام فقد كان في الولايات المتحدة ١٤،٥ مليون مغزل سنة ١٨٩٠ فصار فيها الآن ٢١ مليون مغزل فالزيادة خمسون في المئة وكان فيها ٣٢٤٨٦٦ نولاً فصار فيها الآن ٤٩٠٣٩٨ فالزيادة اكثر من خمسين في المئة وكان فيها ٣٦٤٦٢ من آلات الحبك فصار فيها ٧٥٧٢١ فالزيادة اكثر من مئة في المئة وكان فيها ٧١٨٣٦٠ آلة لغزل الحرير وفتلهِ فصار فيها الآن ١٤٢٦٢٤٥ آلة فالزيادة نحو مئة في المئة وكان فيها ٢٠٨٢٢ نولاً لنسج الحرير فصار فيها ٤٨٢٤٦ نولاً والزيادة اكثر من ١٣٠ في المئة . وقد تمت هذه الزيادة كلها في عشر سنوات

فيضان النيل

تدلُّ الدلائل كلها على ان فيضان النيل هذا العام سيبلغ حدًّا عظيماً جدًّا فيفوق فيضان سنة ١٨٩٨ وربما فاق فيضان سنة ١٨٧٨ الذي وصل فيهِ النيل الى حد لم يصلهُ من قبل فكان ارتفاعهُ في اصوان في ٣١ يوليو ٦ اذرع و٢٣ قيراطاً فبلغ في ٥ اغسطس ١٠ اذرع و٢٠ قيراطاً وفي ١٥ اغسطس ١٦ ذراعاً ولم يبلغ هذا الحد سنة ١٨٧٨ كما ترى من هذا الجدول

	١٩٠٠ قيراط	١٩٠٠ ذراع	١٨٧٨ قيراط	١٨٧٨ ذراع
١٥ يوليو	٠	٤	٢	٤
٢٠ يوليو	١٢	٥	٤	٦
٢٥ يوليو	٨	٦	١٤	٨
٣١ يوليو	٢٣	٦	٢٠	١٠
٥ اغسطس	٢٠	١٠	١٣	١١
١٠ اغسطس	١	١٥	٥	١٣
١٥ اغسطس	١٥	١٥	٢١	١٤

فالزيادة في فيضان هذا العام متسارعة جدًّا ولا يزال الماء يزيد في مقياس سنار حتى الآن فينتظر ان تستمر الزيادة في اصوان ثلاثين او اربعين يوماً. اما متوسط قياس الفيضان في اصوان في السنوات العشرين الماضية فعلى ما ترى في هذا الجدول

قيراط	ذراع	
٣	٤	٥ يوليو
٢١	٤	١٠ "
٢٠	٥	١٥ "
٢٢	٦	٢٠ "
١٠	٨	٢٥ "
٢٠	١٠	٣١ "
٠٣	١٢	٠٥ اغسطس
١٩	١٣	٠١ "
١٢	١٤	١٥ "
٠٢	١٥	٢٠ "
١٥	١٥	٢٥ "
٠٠	١٦	٣١ -
٥	١٦	٠٥. سبتمبر
٥	١٦	١٠ "
١٩	١٥	١٥ "
١٥	١٥	٢٠ "

ويتضح من ذلك ان النيل لم يكن يبلغ في اصوان ١٦ ذراعاً الاَّ بعد اليوم ٢٥ من اغسطس وقد بلغ الآن هذا الحد ولم نزل في الخامس عشر من اغسطس فاذا استمرَّت الزيادة عشرين يوماً اخرى خيف من الغرق قدر ما خيف من الشرق في العام الماضي

حشرات التين

بحث المستر فرغات في الحشرات الصغيرة التي تكون في التين البري فوجد اناثها مجنحة وذكورها خالية من الاجنحة على ضد ما تكون عليهِ الحشرات والغالب ان تكون هذه الذكور عمياء قصيرة القوائم والقرون

مجمع ترقية العلوم البريطاني

يلتئم في مدينة برادفورد من ٥ سبتمبر الى ١٣ منهُ فيخطب رئيسهُ خطبة الرئاسة في اليوم الاول ويستقبل الاعضاء في اليوم الثاني في مدرسة الصناعة ويخطب الاستاذ غونش في اليوم الثالث في الكهربائية الحيوانية

الطاعون

زال الطاعون من بورت سعيد منذ ايام كثيرة ولكنهُ عاد الى الاسكندرية فيصاب بهِ واحد كل يومين او ثلاثة

اعلان لحضرات المشتركين

اصدرنا جزء سبتمبر (ايلول) هذا في منتصف اغسطس (آب) لكي نتمكن من الذهاب الى معرض باريس وقد يتأخر صدور الجزء التالي عن ميعادهِ بضعة ايام لان غرضنا ان نصف فيهِ المعرض بعد مشاهدتهِ

فهرس الجزء الثالث من المجلد الخامس والعشرين

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الخامس والعشرين

١ اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٠٠ — الموافق ٧ جمادى الثانية سنة ١٣١٨

معرض باريس العام

سنة ١٩٠٠

"ودَّعتُ باريس مفتونًا بمرآها ... وآيةِ حسنٍ تجلّى من محيّاها
وجاوِ مالكِ رفيع الشان جاورها ... دهرًا طويلاً ولم يبرح يغناها
رواقهُ مسيطرٌ في معالمها ... وبدرهُ مشرقٌ في اوج علياها
مرسومة في جبين الدهر صولتهُ ... تتيهُ عجبًا بأولاها وأخراها
وعصبةٍ عصمتهم في صناعتهم ... الهةُ الحسنِ فاستهدوا بسيماها
وخلّدوا ذكر ارباب السيوف ومن ... فاق الورى حجةً او فاقهم جاها
اوخاض بحر المعاني فاجتنى دررًا ... وصاغ منها حلى حسن بها باهى
او غاص في لج بحر العلم مجتليًا ... غوامضَ الكون تعميمًا لجدواها
وآلِ علمٍ وفضلٍ طار صيتهم ... فطبّق الارض اقصاها وادناها
بستورٍ ماري فلامريون كلهمُ ... وبرّون سيكار ممن فاق اشباها
هم الأولى في سماء المجد قد رفعوا ... لها منارًا وأعلوهُ فأعلاها"

هذه كُلَيماتُ صدقٍ صغتها قِدَمًا ... في وصفها قبل ان تجلي خباياها[1]
وقبلما تجلّى في مرابعها ... آيات حسن يهيج الشوق ذكراها
وقبلما تتبارى في معارضها ... ممالك الارض اقصاها وادناها
نثرًا ونظمًا قصدتُ الوصف فامتلكت ... يراعتي مدهشات لستُ انساها

(١) الابيات المتقدمة قلتها في وداع باريس في رحلتي الاولى اليها وهي منشورة في غرة سنة ١٨٦٤

والمرء يحصر والاقلام يودي بها في موقف المجد روعٌ ان تولاها
فكيف استطيع وصفاً بعد مانشرت يارق المجد اعلاها وادناها
وبعد ما مُلئت من كل مفخرة من واسع الارض إعياناً واشباها

واي وصف وان جاد اليراع بهِ يقضي لبانة من يبغي ذكر الحقائق ويكرهُ ان يبخس الناس اشياءهم بعد ان يرى الامة الفرنسوية العظيمة الشان الراقية اعلى ذرى المجد المشهورة قديماً وحديثاً بامتلاكها ناصية الصناعة وقياد التجارة وبلوغها الشأو الابعد في العلوم والفنون ووقوفها موقفاً لا يجاريها فيهِ احد من حيث التفنن في اظهار عظمة الكون ومقدرة الانسان — بعد ان يراها قد افرغت الجهد لاظهار ما بلغتهُ عقول رجالها وقرائح النابغين فيها من التفنن في العلم والعمل والاختراع والاستنباط ودعت امم الارض جمعاء الى معرضها العام غير هيابة ولا وجلة تقول لهنَّ هذه مزاياي وهذا اقصى ما بلغتهُ فهلمَّ اليَّ بما عندكنَّ من بدائع الفنون وغرائب المخترعات ومتقن الاعمال وقابلنهُ بما عندي واعرضنهُ لنقد النقاد وحكم القضاة . ولنتبارَ كلنا في هذا المضمار مضمار العمران والرفاهة . وقد اعددتُ لي ولكنَّ اجمل مدينة من مدائني بل من مدائن العالم واوسعها شوارع وارحبها ساحات واخترت اطيب بقاعها وشدتُ فيها من المباني اجلها ومن المصانع اوسعها وفسحتُ لكنَّ المجال لتشدنَ ما تباهين بهِ من فاخر البناء وتعرضن ما تشأن و يشاء رجالكنَّ من آثار يد نكنَّ واعمال اهاليها من مبتكرات عقولهم ومصنوعات ايديهم من قديم وحديث . فلبيْن دعوتها عن طيب نفس وجئنها خفافاً ثقالاً من اقاصي المسكونة من اوربا واسيا وافريقية واميركا وجزائر البحر من كل مملكة على وجه البسيطة وكل مستعمرة فيها وانفقن الاموال الطائلة على عرض مصنوعاتهنَّ وثمار حضارتهنَّ لا قصد المباهاة والمغالاة بل لغرض اسمى واعظم قلَّما يسعى العقلاء الاَّ اليهِ الآن وهو الفائدة المادية والادبية اي اتقان الصناعة وترويج التجارة وترقية العلوم والفنون والآداب لتزيد راحة الانسان وتتوفر لهُ اساليب الرفاهة

هذا هو المعرض الذي اتوخَّى وصفهُ في هذه الصفحات ويستحيل عليَّ ان اصف كل ما فيهِ او ان اوفي الوصف حقهُ في ما اصفهُ منهُ لانني لم استطع ان امعن النظر الاَّ في القليل مما حواهُ ولأن من هذا القليل ما تقصر عن وصفهِ كلمات اللغة . فان النعوت المألوفة عندنا من مثل العظيم والفخيم والجميل والبديع لا تصوّر في الذهن صوراً تنطبق على ما لم ترهُ العين ولا رأت ما يدانيهِ لكن ما لا يدرك كلهُ لا يترك كلهُ وغاية ما اتوخاهُ في هذه السطور ان ابسط للقارىء الكريم بعض ما علق بالذهن مما رأيتهُ في هذا المعرض او ما علقتهُ في مفكرتي

حينئذٍ وشيئاً مما استفدتهُ من مشاهدتهِ او قرأتهُ في ما كتبهُ غيري عنهُ وبعض ما كان يخطر لي من الخواطر حين وقوفي في عرصاتهِ وقيامي امام معروضاتهِ. وقد سبقني رصيفي الفاضل الدكتور فارس نمر الى هذا المعرض والى وصفهِ في المقطم فلم ارَ لي بدًّا من ان اقتفي خطواتهِ وآخذ بعض ما كتبهُ وازيد عليهِ ما كان يثبتهُ هو فيهِ لو قصد نشرهُ في المقتطف . ورأيت اتماماً للفائدة ان استعين بالصور ليسهل على القارئ تصوُّر ما يقصر القلم عن وصفهِ

(١) وصف المعرض بنوع عام

لا مشاحة في ان هذا المعرض اوسع المعارض التي أُنشئت حتى الآن واجملها ولا يشاركهُ في هذا الوصف الاَّ معرض شيكاغو . لكنهُ يمتاز على معرض شيكاغو وعلى كل المعارض التي أُقيمت او تقام في غير باريس من العواصم ان المدينة التي اقيم فيها هي معرض للعلوم والفنون ومتنزه لاهل الثروة وطلاَّب الرفاهة . كيفما جلتَ فيها رأيتَ العظمة والجمال والجلال رأيت صنَّاعها وبناءها ومهندسيها ومخططيها قد بذلوا الجهد في ترصيعها بكل ما هو جميل يستوقف البصر ومتين يقاوي الدهر . رأيتَ كأنَّ حب الوطن وحب الجمال وحب الطبيعة وحب الرفاهة تعاونت كلها حتى تجعل باريس عاصمة العواصم ونزهة الدنيا ومقصد القصَّاد . فكيف وقد فتحت صدرها الرحيب لهذا المعرض واحلَّتهُ محل سويداء قلبها وتبارى مهندسوها ومهندسو المسكونة في إِحكام وضعهِ وزخرفة مبانيهِ بما لا تكاد العين تملُّ من النظر اليهِ حتى تقول لها مادة بنائهِ واوضاع معروضاتهِ كل ما عليها فانٍ وهذه سنَّة الطبيعة توجد فيها بدائع الموجودات من اشكال الحيوان والنبات ثم تزول وتمحى صورها ليتلوها غيرها مما هو اكمل منها وارق فاعيدي النظر اليَّ والاستبصار وودعيني وداع الف مفارق

الاَّ ان امتياز هذا المعرض بالسعة والجمال كثيرًا ما يدعو الى الشكوى والملال لانهُ "مهما جدَّ زائرهُ في الاحاطة بهِ وبمحاسنهِ يشعر دائماً بقصورهِ ويتألم من تقصيرهِ عن اخذهِ بجذافيرهِ فتضيع لذة التمتع برؤْية ما فيهِ بين ألم الشعور بالتقصير او القصور وبين تعب الجسد من الجولان وتعب الباصرة من البصر وكلال العقل عن الادراك " كما قال اخي الدكتور نمر واصاب. اضف الى ذلك ما تجدهُ النفس من الانقباض حينما تعلم ان كل تلك المباني الفخيمة تُنقض بعد ايام قلائل ولا يبقى منها غير قصرين من قصورها . وما تراهُ العين من تعدد المعروضات من النوع الواحد في قسم واحد من المعرض او في اقسام مختلفة منهُ حتى كأَنَّ جانباً كبيرًا منهُ مخزن بضائع اذا رأى المرء بعضها لم يعد يسرُّ برؤْية ما يماثلهُ او ما يراهُ دونهُ . وهذا مما لا بدَّ منهُ في كل المعارض الكبيرة . والشرقي مثلنا يجد فيهِ اسباباً اخرى لانقباض

النفس لا لعيب ينسبهُ اليهِ بل لعيب فينا فانهُ يرينا قصورنا وتقصيرنا وانحطاطنا عن كل امة من امم الارض. وسواءٌ دخل القصر التركيّ والمصريّ ورأى عظمة ظاهرة ولا لبابَ فيها او دخل معارض الممالك الصغيرة التي انفصلت عنا بالامس مثل السرب والبلغار او الممالك الحديثة العمران مثل بيرو واليابان لا يشعر الاَّ بالحياء والخجل . وقد افاض اخي الدكتور نمر في وصف ما شعر بهِ حين دخولهِ القصر التركي قال

"وقد اشتدَّت هذه الكآبة عليَّ وضاقت الدنيا في عينيَّ لما ايقنت ان معروضات جميع الامم الدانية والقاصية والمتمدنة والمتأبدة تفوق معروضات امتي العثمانية وان كل دولة من دول الارض قد عنيت بعرض ما يظهر مجدها وقوتها وتقدمها وثروتها وتمدنها وانتظام حكومتها الاَّ دولتنا العلية فانها اكتفت بالتشبه بالدول الاخرى في الظاهر فاقتصرت على بناء قصر باذخ لها على مثال بعض القصور والجوامع والاسواق في الاستانة ولكنها تركتهُ فارغاً من تحفها وكنوزها ونفائسها ولم تكد تعرض شيئاً فيهِ ولا في سائر اقسام المعرض غير ازياء جنودها في معرض جيوش البر وجيوش البحر . وكأنها خافت ان يتوهم الناس ان ملابس جنودها تُنسج في معامل بلادها لا في المعامل الاجنبية فعرضت معها مثال نسافة تصنع لها الآن في معمل اجنبي اظنهُ معملاً المانياً وكذلك حكّاً يوضع في النسافة لتسترشد بابرتهِ المغنطيسية في سيرها واوقفت حاجباً على هذه المعروضات التي يخجل العثماني من ذكرها بجانب ما قربها من ازياء جنود روسيا والمانيا وفرنسا فسألت هذا الحاجب بالفرنسوية قائلاً أهذه كلها صُنع بلادكم فاجابني وهو يحسبني اوربياً نعم ان هذه تصنع عندنا في الاستانة . فتبسمتُ واشرت الى مثال النسافة والى الطربيد والحك الذين بجانبها وقلت لهُ أتقول ان معامل الاستانة تصنع هذه ايضاً . فداخلهُ الريب لما رآني أتبسم وأُعيد السؤال متعجباً وكأنهُ ادرك اني لست اوربياً كما توهم فاجابني لا بل هذه وغيرها تصنع خارجاً ولكنها ملك الدولة . ثم صمت وتنهد فحوَّلت وجهي عنهُ وسرت في طريقي وانا اتنهد

"وقد سألت كثيرين من العثمانيين الذين لقيتهم في المعرض عن سبب هذا الاهمال الغريب من الدولة العلية وقلت اننا مهما شكونا من قصورنا وتقصيرنا فليس منا مَن يُنكر ان عند الدولة العلية وفي السلطنة العثمانية من النفائس والمصنوعات والحاصلات والادوات ما لو عرض في القصر العثماني لفاق معروضات اليونان وولايات البلقان على الاقل اذا لم نقل انهُ يفوق معروضات ايران والتركمان فما الذي جرى حتى ان دولتنا اكتفت ببناء قصر فخيم من الخارج وترك بعض الباعة يعرضون البسط والسجادات العثمانية والحلى الكاذبة والبضائع المزوقة

الباريزية ورضيت ان يخص باقيهُ بالملاهي والقهوات ومحلات الرقص والخلاعة حتى ان كل من يأتي هذا المعرض من ام الخافقين يظن ان الامة العثمانية احقر ام الارض شأناً واحطها آداباً واقلها علماً وادناها صناعة وزراعة وانها مؤلفة من شعوب غائصة في بحار الجهل والغباوة بعيدة عن التمدن والعمران لان كل دولة من الدول وكل امة من الام بل كل مستعمرة حتى المستعمرات الافريقية قد امتازت معروضاتها في هذا المعرض على المعروضات العثمانية كما لا ينكر ذلك احد . فلو كانت الدولة العلية لم تشارك سائر الدول في هذا المعرض لصانت كرامتها وحفظت حرمة تبعتها . اما وقد بادرت الى تشييد قصر فخيم بين قصر ايطاليا وقصر الولايات المتحدة وزانتهُ وزخرفتهُ حتى يخالهُ الرائي من جملة تلك القصور البديعة فكان الواجب ان تحفظ مقامها ومقام الامة العثمانية في اعتبار سائر الام وتعرض بعض ما في قصور سلاطينها من الكنوز والنفائس وبعض ما في بلادها من الاشياء الفاخرة لا سيما وان بلادها تفوق سائر البلدان في كثير من حاصلات اراضيها الخصيبة وتربتها الجيدة وتمتاز عن غيرها بكثير مما جاد الله بهِ عليها من الجماد والنبات والحيوان . وفيها من المصنوعات ما لا يصنع مثلهُ في اكثر البلاد الشرقية التي سمت عليها في المعرض سموًّا عظيمًا واوهمت الالوف والملايين من الذين يترددون عليهِ من جميع الامصار والاصقاع انها سابقة للبلاد العثمانية بمراحل فائقة لها في الحضارة والتمدن بمراتب "

وازيد على ذلك ان الحكومة العثمانية دفعت لانشاء القصر الخاص بها وعرض معروضاتها فيهِ اكثر مما دفعهُ كثير من الدول الاوربية كما ترى في هذا الجدول

دفعت حكومة	النمسا	٧٥٠٠٠٠٠	فرنك
" "	المانيا	٦٦٠٩٠٠٠	"
" "	الولايات المتحدة	٥٠٥٠٠٠٠	"
" "	المجر	٢٥٠٠٠٠٠	"
" "	بريطانيا	١٨٧٥٠٠٠	"
" "	تركيا	١١٥٠٠٠٠	"
" "	البلجيك	١٠٠٠٠٠٠	"
" "	اليونان	١٠٠٠٠٠٠	"
" "	ايطاليا	٠٩٠٠٠٠٠	"
" "	اسوج	٠٨٠٥٠٠٠	"

دفعت حكومة نروج		٥٦٠٠٠٠٠	فرنك
"	" رومانيا	٣٠٠٠٠٠٠	"
"	" البلغار	٣٠٠٠٠٠٠	"
"	" بيرو	٢٠٠٠٠٠٠	"

لكنَّ الذين ائتمنتهم الحكومة العثمانية على اظهار عظمتها في المعرض وعرض بضائع بلادها فيهِ اكتفوا بتشييد قصر فخيم من اعظم قصور الدول واجملها على ما تقدم بيانهُ وكانوا يستطيعون ان يتشبهوا بسائر الدول في عرض خيرات بلادهم ومصنوعات اهاليها ولكنهم لا يستطيعون ان يجاروا اصغرهنَّ واحدثهنَّ عمراناً في غير المواد الطبيعية فاين نظام المدارس في بلادنا العثمانية الذي يقابل بنظامها في بلاد يابان بل اين جرائدها التي تقابل بجرائد فنلندا اصغر ممالك روسيا واين شركاتها التجارية والصناعية التي تطمع في مزاحمة غيرها لعرض بضاعتها وترويج تجارتها

وكما عرَّج الدكتور نمر على القصر العثماني عند اول دخولهِ المعرض عرَّجت انا على القصر المصري فرأيت ان الشركة المصرية فعلت اكثر مما يطلب منها وبالغت في الكرم كما بالغت الحكومة المصرية في البخل فاضرَّت نفسها وكل المشتركين معها لانها شادت بناء مصرياً عربياً من اعظم المباني التي شادتها الدول العظمى واجملها لكنها وقفت عند هذا الحد من حيث حقيقة المعرض وكيف لا تقف عندهُ فليس في القطر المصري شركات صناعية حتى تعرض فيهِ مصنوعاتها من الآلات البخارية والكهربائية والهندسية والبصرية ترغيباً للناس في ابتياعها ولا فيهِ معامل كبيرة تستطيع ان تنفق الوف الجنيهات على عرض بضائعها طمعاً بالربح الكثير من وراء ما يطلَب منها لان كل ما في القطر المصري من الانوال والمصابن والمسابك وما اشبه لا يفي بالجزء الصغير من حاجة سكانهِ . وحاصلاتهُ التي تصدر منهُ وهي القطن والسكر والبصل والفول معروفة مشهورة في كل الاسواق التي تُتجر بها. نعم لو ارادت الحكومة المصرية ان تجامل الحكومة الفرنسوية وتجود بقدر من المال تشبهاً بغيرها من البلدان لوجدت في بلادها ما لا تخجل من عرضهِ في كثير من اقسام المعرض فان في مدرسة قصر العيني الطبية من المجاميع الجمادية والنباتية والحيوانية والجراحية وفي دار المساحة الجيولوجية من الحجارة والمعادن والجواهر وفي حكمدارية مصر من الحقائق الاحصائية وفي مدرسة الصناعة من الاشغال والمصنوعات وفي مدرسة الزراعة من الحبوب والبزور وفي سائر مدارس الحكومة من اشغال التلامذة والاحصاءات وعند النسَّاجين في المحلة وغيرها وعند الخراطين وعمَّال المشربيَّة في القاهرة واسيوط ما لا تخجل مصر بعرضهِ وفي متاحفها ما لا مثيل لهُ في الخافقين من آثار المصريين واليونانيين والعرب حتى

لو عرضت جزءا صغيرًا منهُ لاستوقف الابصار ورأيت الوفًا من الناس يتقاطرون الى القطر المصري بعد ذلك يطلبون المزيد من رؤْية ما رأَوا بعضهُ في معرض باريس

ولا بدَّ من ان تعتذر الحكومة المصرية عن بخلها هذا بان في متاحف اوربا من الآثار المصرية اكثر كثيرًا مما يمكنها ان تعرضهُ في هذا المعرض فيراهُ الاوربيون كل يوم وان ما سوى ذلك من مصنوعات البلاد لا يقاس بمصنوعات غيرها من البلدان ولا هو زائد عن حاجة اهلها وان حاصلاتها الزراعية قليلة الانواع يعرفها كل من يتعاطى الاتجار بها كما سبق بيانهُ فلا داعي لانفاق النفقات الطائلة على ما لا فائدة كبيرة منهُ وان اظهار عظمة البلاد ومجدها من الكماليات والقطر المصري لم يكتفِ من الحاجيات حتى الآن فلا يليق بهِ ان يثب الى الكماليات وثوبًا . هذا عذر الحكومة المصرية في ما نظن وهو احفظ لكرامتها مما فعلتهُ الحكومة العثمانية التي انفقت خمسين الف ليرة لكي تقنع الملا ان ليس في بلادها شيء يستحق العرض غير القهاوي والراقصات

ومساحة ارض المعرض ١٠٨٠٠٠٠ متر مربع او نحو ٢٦٠ فدانًا اقيم في نصفها مبانٍ فخيمة بديعة بعضها طبقة واحدة وبعضها طبقتان او ثلاث وترك النصف الآخر طرقًا ومسالك وحدائق وخمائل . ولما تعذر وجود بقعة واحدة في باريس تكفي هذه المباني كلها شادوها في بقعتين كبيرتين الواحدة في الروض المعروف بشان دو مارس (روض المريخ) والثانية في الساحة الكبيرة المعروفة بساحة الانفاليد التي امام مدفن بونابرت وملجإِ الجنود المصابة واضافوا اليهما ضفتي نهر السين اللتين بينهما وقصر التروكادرو وما حولهُ وحول برج ايفل من البقاع وجانبًا مما يلي ساحة الكونكورد بنوا فيهِ قصرين ثابتين للفنون. ثم رأَوا ان هذه البقاع كلها لا تكفي لعرض المعروضات ولا تشبع مطامع العارضين فاضافوا اليها جنان فانسان حيث اقترح البعض ان ينشأ المعرض كلهُ . وحوَّطوا البقاع الاولى بدرابزين من الخشب فتحوا فيهِ ٣٦ بابًا في جهات مختلفة منهُ حتى يسهل البلوغ اليهِ من كل انحاء المدينة لا يدخل منها احد الاَّ وفي يدهِ ورقة للدخول وثمن الورقة اصلاً فرنك ولكنهُ هبط في اثناء المعرض حتى بلغ اربعين سنتيمًا او ثلاثين عدا ما يدفعهُ الزائر للدخول الى الملاهي ونحوها كقصر الازياء والكرة الفلكية وقصر البصريات وقصر الزجاج ومناجم المعادن . واختلف عدد الداخلين من هذه الابواب فصعد في بعض الايام الى ستمئة الف نفس وهبط في غيرها الى مئتي الف او اقل . وكان الازدحام يشتدُّ في بعض الاوقات وبعض الاماكن حتى يضطر المرء ان يقف في مكانهِ دقائق كثيرة لا يستطيع ان يخطو فيها خطوة واحدة لكننا لم نرَ ولم نسمع ان احدًا اصيب

بكروهٍ من جراء ذلك لان لجنة المعرض عنيت بكل ما يحفظ نظامهُ ويجعلهُ مثالاً في الراحة والنظافة والاتقان فاولاً وضعت فيهِ اكثر من الفين من الحرَّاس ورجال البوليس لحفظ الامن والنظام فيهِ ومنع كل اعتداء واختلاس وعينت جماعة من ركَّاب الدرَّاجات ليطوفوا حولهُ ليلاً ويغيثوا كل من يستغيث او يقع في ضيق . ولما كان نهر السين يخترق المعرض عينت جماعة من الغواصين لينتشلوا من يقع فيهِ

ثانياً . عينت ادارة طبيَّة خاصَّة بالمعرض واقامت فيها كثيرين من الاطباء والجرَّاحين وعينت لها ثلاثة اماكن فيهِ وجعلت لكل نقطة من نقط البوليس نقطة طبيَّة ايضاً وذلك للمبادرة الى اغاثة كل من يصاب بآفة

ثالثاً . فتحت فيهِ سبعة مكاتب للبوسطة والتلغراف والتلفون وخمسين مكتباً عمومياً للتلفون متفرقة في جوانبهِ عدا بعض المكاتب الخصوصية للبوسطة والتلغراف والتلفون لكي يسهل على زوارهِ والعارضين فيهِ ان يتكاتبوا ويتخاطبوا ويكاتبوا غيرهم او يخاطبوهُ من غير ان يتجشموا مشقة الخروج منهُ الى اماكن البوسطة والتلغراف والتلفون

رابعاً . جعلت وسائط الانتقال فيهِ من احدث المخترعات او اعظمها اتقاناً فمنها الروافع التي يرتفع بها الناس في المباني العالية كما في بعض الفنادق الكبيرة في مصر ومنها السيور المتحركة على سطح مائل فيقف الانسان على السير منها في الطبقة السفلى فيرتفع بهِ الى الطبقة العليا ويغنيهِ عن الصعود على الدرج . وفي المعرض ٢٨ سيراً من هذه السيور المتحركة متفرقة في جهاتهِ المختلفة . ومنها السكة الحديدية الكهربائية ولها قطرات عديدة تتوالى كل دقيقتين او ثلاث فتسير بالراكب داخل المعرض من القسم المسمَّى اسبلاناد الانفاليد الى القسم المسمي شان دو مارس ثم تدور من عند برج ايفل وقصور الدول الى ان ترجع الى اسبلاناد الانفاليد بعد ان تقف قليلاً في محطاتها الخمس داخل المعرض . ومنها المساطب الدوَّارة وهي ثلاث مماشٍ من الخشب موضوعة احدها الى جانب الآخر الاول منها ثابت والثاني بطيء السير والثالث سريع والممشيان الاخيران يدوران بالكهربائية . ويوصل الى هذه المماشي من احدى عشرة محطة وجعل الدخول اليها نصف فرنك فاذا صعد الانسان اليها فاما ان يقف على الممشى الثابت منها او ينتقل الى الممشى البطيء الحركة فيدور بهِ بسرعة اربعة كيلو مترات وربع كيلو متر في الساعة او الى الممشى السريع فيسير بهِ بسرعة ثمانية كيلو مترات في الساعة . ولو لم يكن هذا الاسلوب جديداً ما ظهرت لهُ مزية على غيرهِ من طرق الانتقال لاسيما في ايام الحر واوقات شروق الشمس اذ يضطر السائر بهِ ان يقف على قصب رجليهِ في عين الشمس الى ان يصل الى الباب الذي يريد الخروج

منهُ واذا لم يسرع الى الخروج حالاً اضطرَّ ان ينزل بعيداً عنهُ ويعود اليهِ ماشياً ولذلك قلَّ استعمالهُ وافلس اصحابهُ مراراً . وفي المعرض مركبات صغيرة مثل مركبات العجزة والمفلوجين يركبها التعابى والطاعنون في السن ويذهب بهم الذين يجرُّونها الى حيث شاؤُوا داخل قصور المعرض ومتاحفهِ او خارجها واجرة الساعة في المركبة منها فرنكان ونصف فرنك·

خامساً . انشأ الصيارفة في المعرض مصارف عديدة وفتحت البنوك فروعاً لها فيهِ لقضاء الاشغال المالية التي تقضيها المصارف والبنوك في سائر المدن ولا غرابة في ذلك لانهُ مدينة كبيرة قلما يكون الذين فيها اقل من مئتي الف نفس

سادساً . اتقنت لجنتهُ اسباب النظافة من كنس ورش واقامت في جهات عديدة منهُ مباول مجانية يجري الماء دائماً فيها فيغسلها وبنت مراحيض كثيرة محكمة الصنع والوضع في كل ناحية منهُ واتبعت بعضها بمغاسل فيها ماء بارد وحارٌّ وجعلت اجرة الدخول اليها من عشر الفرنك الى ثلاثة ارباعهِ وجعلت لها كلها مصارف تنزح اليها فتبقى نظيفة لا رائحة لها يختلف الناس اليها رجالاً او نساء على غاية الحشمة والوقار كانهم اخوة واخوات اولاد عائلة واحدة. او كأَن كلاً منهم مشغول بمطالب عقلية سامية فلا يلتفت الى ما سواها

وقد أُنشئ فيهِ كثير من المطاعم تطبخ كل يوم ما يقوت مئتي الف نفس . ويجلس فقراء الزوَّار على الكراسي المبثوثة في عرصاتهِ يفتحون مزاودهم ويأكلون مما معهم من خبز ولحم وفاكهة . ومع ذلك كلهِ لا ترى اثراً لفضلات الطعام وقشور الفاكهة ولا لنفاية الآلات الكثيرة الدائرة فيهِ حتى الذبان الذي يعمي عيوننا في القطر المصري لم نرَ شيئاً منهُ في هذا المعرض ولا في باريس كلها . ويقال ان لجنة المعرض حظرت على الناس البصق في ساحاتهِ ومسالكهِ فاستهجنوا ذلك منها لكنهم عملوا بهِ على ما يظهر . وكثيراً ما كنا نقف في مكان يشرف على جماهير كثيرة من الزوار نرقب حركاتهم وسكناتهم فنراهم يموجون كالبحر الزاخر واذا زحم احد غيرهُ التفت اليهِ واعتذر بكل ادب ووقار. ولم نرَ احداً لابساً ملابس وسخة او رثة ولا احداً تأنف من الوقوف معهُ او الجلوس اليهِ . وكأَن الناس فقدوا قوة النطق فلا تسمع الاَّ صوت انفاسهم ووقع خطاهم واذا كلَّم احد غيرهُ كلمهُ همساً حتى لا يزعج غيرهُ بصوتهِ

والحرَّاس غاية في اللطف والدعة والتيقظ رآني احدهم مرةً اتطالُّ الى قراءة ما كُتب تحت صورة في قصر مدينة باريس وهو احد ابنية المعرض كما سيجيء وانا لا استطيع قراءتهُ لبعد الصورة ودقة الخط فدنا مني واعطاني كتاباً فيهِ اسماء المعروضات في ذلك القصر ولما التفتُّ اليهِ لاشكرهُ رأيتهُ عاد الى مكانهِ بين الحراس كأَنهُ لا ينتظر اجراً ولا شكوراً . ورآني

حارس آخر انعب في البحث عن معروضات مدغسكر فدنا مني وقال إن تسمح شرحتها لك كلها فقلت حسناً فقال أبالفرنسوية ام بالانكليزية قلت الانكليزية اسهل عليَّ فهماً فاخذ يشرح لي معروضاتها ومناظرها واحداً واحداً وبقي نحو ساعة على هذا النمط

والخلاصة ان المعرض وما فيهِ آية في الجمال والاتقان والنظافة وكل ما يفيد ويسرُّ ويبهج. وعسى ان يكون هذا رأي كل اخواني الشرقيين الذين زاروهُ وان يبثوا ذلك بين قومهم لكي نقتدي بالاوربيين في اتقان اعمالنا ونجتنب كل ما يُعدُّ من الشوائب في مرائع العمران

(٣) اقسام المعروضات

ان اللجنة التي تولَّت انشاء هذا المعرض وتنظيمهُ قسمت الاشياء التي اريد عرضها فيهِ الى ١٨ باباً وقسمت هذه الابواب الى ١٢١ فصلاً وعينت لهذه الابواب والفصول اماكن خاصة في اقسامهِ المختلفة وتركت جانباً كبيرًا منهُ لبقية الدول لجاريتها في تقسيم معروضاتهنَّ على قدر الامكان فعرضت بريطانيا العظمى معروضاتها في ٢١ مكاناً من امكنة المعرض والولايات المتحدة الاميركية في عشرين مكاناً والنمسا والمانيا كلٌّ منهما في ١٩ مكاناً وبلجكا في ١٧ مكاناً وايطاليا في ١٥ مكاناً واسبانيا في ١٣ مكاناً واسوج في ١٢ مكاناً ونروج في ثمانية امكنة واليونان في مكان واحد

والباب الاول من الابواب المشار اليها يشمل كل ما يختص بالتعليم والتهذيب وفصولهُ ستة وهي التعليم الابتدائي والتعليم الثانوي والتعليم العالي وتعليم الفنون كالتصوير والنقش والموسيقى وتعليم الزراعة وتعليم الصناعة والتجارة

والمعروضات الفرنسوية التي من هذا الباب تشغل مكاناً واسعاً جدًّا من الجناح الايسر من معرض شان دو مارس ومن قصر مدينة باريس. ومن معارض بعض المستعمرات الفرنسوية. وفي جملة ذلك ما عرضتهُ نظارة المعارف الفرنسوية من الاوراق والدفاتر والرسوم ونحوها مما يستعمل في تعليم الاطفال وعرضت مثال مدرسة من مدارس الاطفال مستوفياً كل ما يكون فيها من كرسي المعلم ومقاعد التلامذة التي يجلسون عليها والالواح الحجرية والخشبية والصور والخرائط المعلقة على جدرانها ومكتبتها وكتبها الى غير ذلك. ودفاتر التلامذة حاوية خطوطهم وانشاءهم وما يرسمونهُ وما يصورونهُ وهلمَّ جرًّا . ثم ما يعملهُ تلامذة المدارس الابتدائية والعليا مثل المصنوعات الخشبية والحديدية في مدارس الصبيان واعمال الابرة والصنارة والوشي والتطريز وما اشبه في مدارس البنات . ويتلو ذلك معروضات مدارس المعلمين والمعلمات مثل رسوم تلك المدارس وصورها وصور فرق التلامذة فيها وتقارير مفتشيها عنها. وتتلوها معروضات

المدارس الليلية مثل صورها ورسومها ومكاتبها وما يشترك فيه تلامذتها كبنوك الاقتصاد الخاصة بها وجمعيات التعاون وجمعيات التلامذة الذين تخرَّجوا فيها . وبجانب معروضات نظارة المعارف الفرنسوية معروضات المدارس المستقلَّة عن الحكومة وهي كثيرة مثلها ومعروضات المدارس القديمة مثل الكتب التي كانت تُدرَّس فيها والاشغال التي كان التلامذة يشتغلونها فيها وطرق تعليمها وامثلة تُظهر شكل بنائها وكيفية ترتيبها والملابس التي كان التلامذة يلبسونها ونحو ذلك

هذا بعض ما عرضتهُ فرنسا في شان دومارس ممَّا يتعلَّق بالتعليم الابتدائي اي بالفصل الاول من الفصول الستة المدرجة في الباب الاول " . وقد جرت هذا المجرى في سائر فصول هذا الباب وجارتها الدول الاوربية بنوع عام والولايات المتحدة الاميركية بنوع خاص. ولم تكتفِ الولايات المتحدة بوصف مدارسها وطرق التدريس فيها وعرض اشغال التلامذة ومصنوعاتهم بل اقترحت على علمائها انشاء تسعة عشر تقريرًا مسهبًا عن مدارسها المختلفة الانواع واحوال التعليم فيها كمدارس الاطفال والمدارس الابتدائية والمدارس العالية والمدارس الكلية والمدارس الجامعة ومدارس الزراعة ومدارس الصناعة ومدارس المعتوهين ومدارس الصيف والجمعيات العلمية ومدارس السود ومدارس تعليم هنود اميركا. وطبعت من كل تقرير الوفًا والوف الوف من النسخ وهي توزّع مجانًا على من يطلبها ليقف كل احد على احوال التعليم في اميركا. ولابدَّ من ان تكون قد انفقت نفقات طائلة على انشاء هذه التقارير وطبعها ونشرها لان بعضها اكبر من المقتطف . وقد لخصتُ واحدًا منها في باب الزراعة في هذا الجزء

ولم أُطل الوقوف في القسم الفرنسوي الخاص بهذا الباب ولا في اقسام الدول الاوربية الكبرى لعلمي ان التعليم فيها كلها قد بلغ من الدرجات اسماها لكني اطلت الوقوف في قسم روسيا لانها دولة اسيوية كما هي اوربية ولأن الشائع بين ظهرانينا ان شعوبها لا يزالون في حالة الهمجية والجهل وان مدارسها مقيدة بقيود من حديد حتى يضطر تلامذتها ان يجاهروا بالعصيان من وقت الى آخر فلما نظرت الى معروضات مدارسها وما يتعلَّق بها اتضح لي انها سائرة سيرًا حثيثًا في سبيل الارتقاء سيرًا يدهش الشرقي الذي اعتاد بطء الحركة وبطء السعي وبطء الارتقاء . أوَ يُصدَّق انهُ لم يكن في روسيا سنة ١٨٨٩ سوى خمس مدارس للتجارة مثلاً فصار فيها سنة ١٨٩٩ خمس وستون مدرسة اي زاد عددها ثلاثة عشر ضعفًا في عشر سنوات وكان عدد تلامذتها الفًا فصار اربعة عشر الفًا اي زاد اربعة عشر ضعفًا في عشر سنوات. فاذا

جرت بلاد الروس كلها على هذا النمط من الارتقاء مع ما هو معلوم من نمو شعوبها وازدياد فتوحها حقَّ للانكليز ولدول اوربا واسيا ان توجس خيفةً من تقدمها وحقَّ لعلماء الاجتماع ان يقولوا انهُ ان لم يكن مستقبل الارض للانكليز ولغتهم فهو للروس ولغتهم. وقس على مدارس التجارة مدارس الزراعة والصناعة والعلوم والفنون . والظاهر ان الروسيين قصدوا ان لا يبقوا مزية لجيرانهم الاَّ اقتبسوها منهم وزاحموهم عليها فترى السجاجيد العجمية بين مصنوعات بناتهم والشرانق والحرير والقطن مما يُجنى في مدارسهم الزراعية . واشغال البنات في التصوير والرسم والتطريز والخياطة والحبك بالغة غاية الاتقان وعلماء الجيولوجيا والمعادن والحشرات لم تثبط همتهم سعة البلاد فرادوها ودرسوا طبائعها وطبائع ما فيها وعرضوا مجموعات كثيرة منها

ثم انتقلتُ من معرض بلاد الروس الى معرض بلاد اليابان وقلت هذه دولة شرقية محضة وقد ولجت ربوع العمران الاوربي حديثاً بعد ما ولجهُ اهالي مصر والشام فلما وقع نظري على احصاء مدارسها واعمال تلامذتها اطرقت خجلاً وحياء فقد كان عدد المدرسين في مدارسها الابتدائية ١٥٧٤٩١ سنة ١٨٨٢ فصار ١٤٣ ٦٢٦ سنة ١٨٩٨ وكان عدد تلامذتها ٣٠٨٩١٠٠ فصار ٤٣٤٧٣٤١ واعمال التلامذة في الرسم والتصوير والنقش واعمال مدارس الصناعة ومدارس الزراعة ومدارس البنات ومجموعات الباحثين عن جغرافية البلاد وجيولوجيتها ومعادنها وحشراتها وحيواناتها واسماكها والآلات العلمية التي صنعت فيها ولاسيما مقاييس الزلازل والآلات الكهربائية كل ذلك مما يقضي بالعجب العجاب ويوقف الاوربيين موقف الحيرة مخافة ان تنهض امم المشرق كلها نهضة اليابان فتزاحمهم في اسواق التجارة وتحرمهم من الربح الكثير الذي يربحونهُ الآن منها ومن غيرها . ولا يبعد ان يكون هذا من جملة الاسباب التي حرَّكت الامم الاوربية او بعض زعمائها لمعاجلة الصين قبلما تستتمُّ نهضتها وتتسنَّم غارب العمران

والباب الثاني في الفنون الجميلة وفصولهُ اربعة وهي (١) التصوير والتمثيل والرسم (٢) الحفر وطبع الحجر (٣) عمل التماثيل ونقش النياشين والنقش على الحجارة الكريمة (٤) صناعة البناء

ومعروضات هذا الباب متفرقة في اماكن كثيرة من المعرض واكثرها مجموع في قصرين كبيرين شادتهما فرنسا من الحجر والمرمر وقد رأيت ان اسهب الكلام عليهما هنا فاقول

قصرا الفنون

كلما انشئَ معرض عامٌّ في باريس بقي منهُ اثر راسخ يدلُّ عليهِ والاثر الباقي من المعرض السابق برج ايفل وهو كالشهرة واسع المدى قليل النفع فراد الفرنسويون ان يبقوا لهذا المعرض اثرًا يليق بهِ من حيث المهارة في اتقان الصناعة ويكون منهُ نفع دائم فاقاموا جسر الاسكندر

وسيأتي وصفهُ في الكلام على ابنية المعرض وانشأوا هذين القصرين ووثَّقوا اركانهما واحكموا بنيانهما وزينوهما بمنتهى ما وصلت اليهِ صناعة البناء والنقش . احدهما اكبر من اخيهِ كثيرًا وبينهما شارع كبير وخمائل نضرة واتموا بناءهما في سنتين من الزمان وانفقوا عليهما مليونًا من الجنيهات. والصغير منهما جُمعت فيهِ بقايا الفنون الفرنسوية من اقدم عهدها الى سنة ١٨٠٠ وهو مثلَّث الشكل واجهتهُ مزدانة بالاعمدة الكبيرة ذات التيجان الايونية وبابهُ الكبير شاهق فوقهُ قناطر متراكزة ونقوش بارزة وتماثيل قائمة على اوضاع شتَّى وعلى جانبيهِ مجموعان من التماثيل البديعة وغلقا الباب من النحاس المشبك كأنهُ اغصان واوراق وازهار نظمت بعضها مع بعض على اشكال جميلة. والداخل من هذا الباب يرى اولاً بهوًا كبيرًا فوقهُ قبَّة شاهقة والجدران التي حول هذا البهو اسفلها من المرمر الاصفر وفوقها صفائح من المرمر المعرَّق الذي يغلب فيهِ اللون الاحمر . والى اليمين واليسار سلَّمان عريضان يوصل منهما الى غرف ومقاصير كبيرة تدور حول القصر ورواقين امامها ووراءها وفي هذه الغرف والمقاصير ورواقيها بدائع الصور والتماثيل والخزائن والموائد والكراسي والمقاعد والبسط والستائر والساعات والصحاف والاسلحة وكتب الخط والموشيات والمطرَّزات وآنية الكنائس كالصلبان والكؤوس والمذابح والاشعة وذلك كلهُ من اقدم عهد الحضارة في فرنسا من عهد الرومان الى سنة ١٨٠٠. وممَّا يستوقف النظر بنوع خاص الاسلحة القديمة وصور ملوك فرنسا وملكاتها وربات الجمال فيها والحلى القديمة والساعات والمراوح والآنية الذهبية والفضية ومنسوجات الغوبلين وانواع الخزف المشهور مثل خزف بالسي وخزف سفر وخزف مرسيليا . والمصنوعات التي صُنعت بين سنة ١٦٠٠ و ١٨٠٠ من اجمل ما رأتهُ عيني حتى لا اكاد اصدّق ان صنَّاع القرن التاسع عشر فاقوا صنَّاع القرن الثامن عشر والسابع عشر في شيءٍ من ذلك

وسيُعطى هذا القصر لمدينة باريس بعد انتهاء المعرض فتبقيهِ دارًا للتحف بدل العشرين مليونًا من الفرنكات التي ساعدت بها لجنة المعرض . ومن العجب ان مدينة فيها متحف اللوفر ومتحف لكسمبرج والتروكادرو ومتاحف اخرى غيرها لا تكتفي بها بل تطلب المزيد دوامًا لكي يرتقي الذوق الصناعي في اهلها و يرغب الغرباء في المجيء اليها وإنفاق الاموال فيها . فكأنها تتاجر بمعارضها لتربح تقدُّم اهلها وازدياد ثروتهم وهذا هو الاتجار النافع والسعي الحميد

والقصر الكبير الى الغرب من القصر الصغير وهو معرض لما صنعهُ ارباب الفنون في العشر السنوات الاخيرة مساحتهُ ٤٠٠٠٠ متر مربع اي نحو عشرة افدنة وهو جامع بين فخامة البناء ودقَّة الصناعة وكثرة الزخرفة . ولم ينهج مهندسوهُ منهجًا واحدًا في بنائهِ بل جمعوا فيهِ بين

الاساليب اليونانية والرنسنس (التجديدية) التي من عهد لويس الثالث عشر ولويس الرابع عشر ولم يكتفِ الصنّاع بتضليع الاعمدة المحيطة بهِ وزخرفة تيجانها بل ادخلوا بين اضلاعها اوراق السنديان وثمرهُ لزيادة الزخرفة والتفنُّن في النقش

ومدخل هذا القصر من الجهة الغربية قائم بين اعمدة مزدوجة داخلها كوًى كبيرة فوقها صور بارزة من الخزف المدهون الملوَّن تمثل تاريخ الفرنسويين وطرقهم المعاشية من اقدم عهدهم الى الآن وهي محيطة بالقصر كلهِ تحت افريز سطحهِ . وعند الزاوية اليمنى امام الداخل تمثال الصناعة وهو رجل في يدهِ اكليل وفوقهُ ملائكة تتوّجهُ والى اليسار تمثال العلم وهو امرأة على جواد في يدها مصباح المعرفة (والصناعة مذكر في اللغة الفرنسوية والعلم مؤنث ولذلك تمثَّل الصناعة بصورة رجل والعلم بصورة امرأة) وفوق الباب امرأة عارية خارجة من صدفة وتماثيل كثيرة من البرنز . وغلقا الباب كانهما غاب من الاغصان والازهار وداخلهُ بهو كبير على هذا النمط من النقش والزخرفة وعلى عضائدهِ صفائح من حجر السليماني عليها رسوم من النحاس

ولما كان هذا القصر معرضاً لما صُنع في العشر السنوات الاخيرة من الصور والتماثيل والرسوم والنقوش وكل ما تفنَّن الصنّاع في عملهِ ونقشهِ كالبسط والستائر والكراسي والموائد والمقاعد والخزائن والكؤوس وآنية الزجاج والخزف والخشب ترى غرفهُ ومقاصيرهُ واروقتهُ ودارهُ الكبيرة مشحونة بهذه المعروضات وترى الناس يموجون فيهِ افواجاً افواجاً ذهاباً واياباً رجالاً ونساء من كل اقطار المسكونة كما ان ما هو معروض فيهِ منتقًى من كل البلدان والممالك من فرنسا والمانيا وبريطانيا واسبانيا وايطاليا وروسيا واميركا وسائر الممالك الاوربية

وتبلغ المعروضات الفرنسوية فيهِ	٢٦١٢
والاميركية	٠٤٢١
والروسية	٠٤٢٠
والبريطانية	٠٣٤١
والالمانية	٠٢٤٠
والسويسرية	٠٢٣٥
والنمسوية	٠٢٢١
والايطالية	٠٢١٦
والدنمركية	٠١٨٦
والاسبانية	٠١٦٣

والبرتغالية ١٦١.

والبلجية ١٥٤.

وقس على ذلك معروضات سائر الممالك حتى تركيا عرضت ١٣ صورة لمصوّرة وستة مصورين . والمصورة اجنبية كما يظهر من اسمها والمصورون الستة تدل اسماؤهم على ان ثلاثة منهم ارمن وواحداً ايطالي وواحداً اسرائيلي والسادس اسمهُ ادغار شاهين . اما البلدان التي انفصلت عنا فقد عرضت اكثر منا كثيراً فالسرب عرضت ٤٦ صورة و ٩ تماثيل واليونان عرضت ٥ صور و ٢٦ تمثالاً والبلغار عرضت ٢٥ صورة و ١٨ تمثالاً

وقد تفنّن النقاشون في نحت بعض التماثيل فنحتوا بدن التمثال من رخام ابيض وشعرهُ من رخام اشقر وثيابهُ من رخام ملوّن مثال ذلك تمثال الطبيعة وهي كاشفة ستارها وسافرة عن وجهها بدنها من الرخام الابيض وثوبها من الرخام المعرّق بالاحمر والاصفر وشعرها من الرخام الاشقر الذهبي ورداؤها من المرمر الضارب الى الصفرة

ووصف ما في هذا القصر من الصور والتماثيل يملأ مجلداً كبيراً ولا يستطيعهُ الا المصور الماهر والنحات البارع اذا امتلكا ناصية الانشاء وأُعطيا موهبة الاجادة في الوصف ولذلك لم احاول الجري في هذا المضمار

ولا يسع الشرقي الا ان يندهش من تطرّف الاوربيين في تصوير النساء وتمثيلهن عاريات على اوضاع مختلفة لا لان جسم الانسان قبيح يجب سترهُ كما يزعم الجمهور بل لان بعض تلك الصور والتماثيل لا يقتضي ان يكون عارياً . فاي امرأة تلاعب طفلها وهي عارية او تقيم في الفلاة ولا ثوب يسترها او يقيها من الحر والبرد واي غانية تقابل حبيبها عارية . فلو اكتفى الصناع بتعرية ابدان المستحمات والمغتسلات والسابحات والتماثيل المراد بها تمثيل معنى من المعاني كالفضيلة والحقيقة والمحبة لالتمس لهم عذر اما مبالغتهم في تعرية صور النساء والرجال ايضاً فيما تصلح التعرية لهُ وما لا تصلح فغلوٌّ لا مسوّغ لهُ . وقد ألفت عيون اكثر الاوربيين ذلك فترى نساءهم يقفنَ امام صور الرجال العراة والنساء العاريات غير مباليات الا الانكليزيات والاميركيات فاني رأيت بعضهنَّ يغضضن الطرف اذا رأينَ صورة عارية و يتجاوزنها مسرعات

ودار هذا القصر فسيحة جداً على شكل صليب وهي مسقوفة بالزجاج و بعض الواحه كبير طولهُ ثلاثة امتار ونصف متر وعرضهُ متر وسمكهُ سنتيمتر وهو محنٍ حسب شكل السقف المحدب ومنظر هذا السقف من الخارج غير جميل يكاد يشوّه منظر القصر كلهِ ولكن الضرورة دعت اليهِ والضرورة احكام . وستكون هذه الدار معرضاً للتماثيل والخيل والحاصلات الزراعية

اما الآن فهي مملوءة بالتماثيل تراها فيها كغاب من الاشجار يحار المرء امام ايها يقف وفي ايها يمعن نظره ولاسيما اذا كان وقتهُ محدوداً مثلنا . وهي مختلفة الاقدار والاشكال والاوضاع من الرخام الابيض الناصع البياض الذي يكاد يشف عما وراءهُ الى الرمادي فالضارب الى الصفرة فالضارب الى الزرقة فالاسود ومن البرنز والجبس وهلمَّ جرّا . وكثيرًا ما ترى تمثالاً من اجمل انواع المرمر او البرنز ولم ينل الاَّ نشان النحاس والى جانبهِ تمثال من الجبس وقد نال الجائزة العظمى او نشان الذهب لان العبرة في اتقان الصنعة لا في نوع المادة

ولقد كنا نودُّ ان نرى مصوّرينا البارعين من مصر والشام يتبارون مع غيرهم من المصورين ويعرضون بعض صورهم في هذا القصر ولكن أنَّى يكون لهم ذلك وهم يعجزون في الغالب عن دفع نفقات السفر واموال الحكومة التي هي اموال الامة يُبخل عليهم بها

وما كنت اشعر بهِ من الكآبة حينما ارى بقية مباني المعرض وافكر في انها زائلة كلها مع ما فيها من الجمال وحسن الصنعة ومع ما أُنفق عليها من النفقات الطائلة لم اشعر بشيءٍ منهُ لما رأيت هذين القصرين لانهما مبنيان من الحجر والمرمر والمعدن فلا تزيدهما الايام الاَّ جمالاً ومهابةً ولا يضيع درهم انفق على تشييدهما

وقد رأت فرنسا ان تعرض بعض ما صنعهُ مصوروها ونحاتوها بين سنة ١٨٠٠ وسنة ١٨٩٠ فعرضتهُ في جانب من القصر الكبير فملأَ القسم الغربيَّ منهُ من ذلك تمثال بونابرت والنحل على حلتهِ وهي مبطَّنة بالفرو لكن مادتها ومادة فروها من الرخام الابيض . وتمثال ايوب الصديق وكثير من الصور الصغيرة والكراسي والمقاعد والاسرَّة وسرير ابن بونابرت وخزانة جواهر جوزفين ومصنوعات كثيرة من الزجاج الملوَّن والخشب المرصَّع والخزف المنقوش . وترى على بعض الصور شيئاً كالضباب كأنها تُرى من وراء زجاج يغشيها او كأنها ترى في الليل

ولم تكتفِ فرنسا ولا الدول العارضات معها بما عرضتهُ في هذا القصر بل عرضنَ معروضات كثيرة من هذا القبيل في شان دو مارس والاتاليد وقصور الدول بعضها قديم جدًّا وبعضها حديث حتى لم يخلُ قصر من قصور الدول من الصور والتماثيل وما اشبه من المصنوعات الفنيَّة واكثرها ثمين جدًّا مما يفاخر بهِ الملوك كاسلحة بعض سلاطين العرب وكالصور التي عرضها امبراطور المانيا وكالتحف الكثيرة التي عُرضت في قصر مدينة باريس وقصر اسبانيا والمجر والبجيكا واليونان

وقد فتشتُ بنوعٍ خاص عما عرضتهُ الدول الشرقية كالصين واليابان وبعض الممالك الاوربية الصغيرة وبعض البلدان الاميركية القاصية فرأيتها كلها تفوقنا في تفنُّن صنَّاعها ولا

تحجم عن عرض صورها وتماثيلها ازاء المصنوعات الفرنسوية . وقد فاق الهنود والصينيون واليابانيون امم الارض في نقش العاج والخشب كما يظهر مما عرضوهُ في معارضهم المختلفة وبلغ اليابانيون حدًّا يندر ان يفوقهم فيهِ احد في عمل التماثيل وسبكها حتى كأنَّ صناعهم قد اتقنوا علم التشريح تمام الاتقان قبلما حاولوا تمثيل جسد الانسان . وجاروا الاوربيين في تصوير الناس عراةً ان لم يكونوا قد سبقوهم الى ذلك لان بعض صورهم قديم من القرن السابع عشر

ومن ينظر الى الصور المختلفة المعروضة في القصر الكبير من قصري الفنون وفي اماكن مختلفة من المعرض يجد بينها صورًا كثيرة شاذة عما اعتاد رؤْيتهُ واوجه شذوذها في الخطوط الغليظة التي تفصل بين الصورة وما حولها وفي قلة الظلال اللازمة لتجسيم الصورة وفي اطلاق العنان للقلم ليتصرَّف في ما يمكنهُ التصرُّف فيهِ كغدائر الشعر وذيول الاثواب حتى كأنَّ المصور شاعرٌ يرسم صوَر الخيال على القرطاس لا صوَر ما يراهُ بعينيهِ. وهذا النوع من التصوير قديم جدًّا جرى عليهِ المصريون القدماء كما يظهر من الصور التي اكتشفها الدكتور بتري بين الآثار المصرية القديمة . وبقي المصورون يلجأُون اليهِ كلما ارادوا الاستعاضة عن الحقيقة بالمجاز إما تخلُّصاً من قيود التدقيق او مجاراةً لصور الخيال الى ان قام المصور موخا التمسوي حديثًا فاحياهُ وعزَّز شأنهُ بالصور الكثيرة التي ابتدعها فشاع اسلوبهُ حالاً وجاراهُ كثيرون من المصورين . ومن صورهِ البديعة التي يغالى بها وقد كثر عرضها في المعرض صورة الريشة وصورة الزهرة وصورة الرقص وصورة الغناء وصورة الشعر وصورة التصوير وصورة الزنبق وصورة الورد

وصورة الريشة فتاة مسكت ريشة زرقاء بيسارها ووقفت حتى تُرى من جانبها وعقصت شعرها في اعلى رأسها وهو غدائر ملتفة بعضها على بعض كالافاعي والاهلَّة تجمعها عصابة من الذهب مرصَّعة بالحجارة الكريمة وصفيحتان مرصعتان تغطيان اذنيها كما في بعض الصور المصرية القديمة وهي لابسة قميصاً يغطي بدنها ومنكبيها . وعلى وسطها منطقة تتدلى منها حمائل كثيرة وحول رأسها دائرة كبيرة كانها اعلى كوَّة عربية

وصورة الزهرة فتاة عقصت شعرها فوق قذالها وانسدلت بعض غدائرهِ على جبينها ووجهها وعنقها حتى غطت اذنيها ملتفة تحتهما وامسكت بيمينها عرقاً فيهِ ازهار جميلة تشمُّ رائحتها وحول رأسها دائرة من الازهار والرياحين

وصورة الرقص غانية التحفت بازار طويل الاذيال يشفُّ عن بدنها امسكت بهِ وهي تدور راقصةً فطار حولها كذنب الطاووس وعبث النسيم بشعرها فتموَّج وابعد عنها ثم التفَّ ودار اليها . وحولها هلال بديع النقش يكاد يلتف عليها . وقس على ذلك باقي الصور

والوانها كلها من ازهى ما صنعهُ المصورون او استنبطهُ الكيماويون ولا ارى وصفاً لها اقرب من القول بان نسبتها الى الصوَر العادية نسبة الشعر الى النثر فكما تسرُّ النفس باكتشاف معاني الشعر المخبوءة تحت الفاظهِ واستعاراتهِ سرور مَن ظفر بشيءٍ بعد البحث عنهُ تسرُّ ايضاً برؤية هذه الصور واكتشافها اشكال الاعضاء ومعاني الوجه من بين قليل من الخطوط . وكما يتصرف الشاعر في معاني الالفاظ ويحوّلها عمّا وضعت لهُ يتصرَّف مصور هذه الصور في الخطوط والاشكال على حسب ما يرشدهُ الخيال . ومع ذلك لا يفسَّر تهافت الاوربيين على استحسان هذا التصوير وتفضيلهم اياهُ على التصوير الطبيعي الذي تماثل صورهُ الحقيقة تماماً الاَّ على مبدإ اندفاعهم وراء كل جديد وحبهم للتغيير والتبديل على ما ترى في تغييرهم لازياء النساء

وتفنَّن الفرنسيون هم وغيرهم في ما عرضوهُ من الطبع على الحجر موضحين بهِ تاريخ هذه الصناعة من اول عهدها الى الآن ودرجات ارتقائها وما يُصنع بها من الصور الملوَّنة التي تحاكي الصور الزيتية في امتزاج الوانها

اما صناعة البناء فالمعرض كلهُ باقسامهِ المختلفة خير معرض لها فانك ترى فيهِ اشكال البناء المختلفة من عهد المصريين القدماء فاليونان فالرومان فالفرس فالعرب فالقوط فعصر التجديد فالعصر الحاضر . واشكالهُ المختلفة في ممالك اوربا واسيا وافريقية واميركا فيستغني بهِ زائرهُ عن تطواف المسكونة كلها اذا اراد مشاهدة مبانيها واساليب بنائها الشائعة فيها من هياكل المصريين والصينيين واليابانيين والهنود الى كنائس المسيحيين ومساجد المسلمين الى قصور الاوربيين والاميركيين . ومن اكواخ الاسكيمو واللابنديين والتركمان في اقاصي الشمال الى اكواخ الافريقيين وخصاص الاستراليين في اقاصي الجنوب . وقد مثلوا فيهِ مدناً وقرى كاملة فترى فيهِ مدينة باريس القديمة بقصورها وحصونها وابراجها وكنائسها وشوارعها والناس فيها يجولون يبيعون و يشترون وهم بازيائهم القديمة التي كانوا يلبسونها منذ مئات من السنين . وترى فيهِ قرية من قرى بلاد سويسرا بجبالها وصخورها وبيوتها وشوارعها وابراجها ومذاودها وحظائرها وبقرها ودوابها ورعاتها وملابس اهلها . ومساكن اهالي الترنسفال فقرائهم واغنيائهم ومساكن اهالي مدغسكر وبلدان اخرى كثيرة في اسيا وافريقية . وما لم يعرضوهُ بنفسهِ عرضوا صورهُ اما رسوماً صغيرة لهُ او صوراً كبيرة يقع النور عليها في مكان يحجب ما حولها فترى كأنها اماكن حقيقية وهو ما يسمى بالبانوراما وقد شاهدناهُ في المكان المعروف بالطوفان حول الارض وفي بناء مدغسكر وفي رحلة مرشان وسنأتي على وصفهِ في فصل آخر

ومما يستوقف النظر في فصل البناء رسوم المباني الاميركية الحديثة التي اعلوها حتى بلغوا

اعالي السحاب . وترى امثلتها من قضبان الحديد قائمة كالاقفاص وبجانبها قطع الاجر التي يملأ ما بين القضبان بها كأن القضبان هيكل العظام في جسم الحيوان والاجر لحمهُ واعصابهُ . وقد بلغوا في بعض هذه المباني عشرين طبقة او اكثر حتى بلغ ارتفاعها اكثر من مئة متر اقتصاداً في الارض حيث الارض ثمينة . ويصعد اليها كلها بالروافع فلا يشكو سكانها من مشقة الصعود على السلالم . وهناك قطع من الحديد الذي تبنى منهُ تلك المباني وهي كروافد الخشب التي تسقف بها البيوت عندنا او اغلظ منها لكنها من الصلب (الفولاذ) المتين فلا تنكسر ولا يختل وضعها مها علا البناء وزاد ثقلهُ وضغطهُ

وللبناء العربي حظٌّ وافر من هذا المعرض وشأن عظيم فيهِ فتراهُ ممثَّلاً في قصر مصر وقصر تركيا وقصر ايران وقصر تونس وقصر الجزائر وقصر تركستان واجلهُ في قسم اسبانيا داخل معرض شان دومارس فترى هناك الاروقة والمقاصير والابواب والكوى والشرفات والحنايا والاعمدة وهي مختلفة الاشكال بديعة النقش زاهية الالوان كأن صورها منقولة عن الحمراء والزهراء وكل قصور الاندلس الفاخرة

ذهب المُلك من العرب وزال جاههُ من بلادهم ولم يبقَ من تلك الامة العظيمة مَن يعنى بحفظ معالمها لكن الاوربيين لم ينسوا فضلها عليهم فتراهم يذكرون جميلها ويحيون آثارها ومآثرها ولولاهم لضاع اكثر ما بقي الى الآن من كتب العرب ومصنوعاتهم ولجهلنا قدرهم وكل ما يعرف عن عمرانهم

ويدخل في هذا الباب نقش المعادن وعمل النياشين والوسامات ونقش الحجارة الكريمة وقد عرضت نياشين الدول والجمعيات العلمية والادبية والصناعية ونحوها في اماكن مختلفة من المعرض وقصور الدول التي فيهِ فيقف الرجال المتباهون بالنياشين امامها كما يقف النساء امام الحلى والمجوهرات الاَّ ان الرجال يقفون لحظة ثم ينصرفون كأنهم يخشون ان يرام احد معارفهم فيلومهم على اضاعة الوقت في النظر الى زخارف يترفع عقل الرجل عنها . واما النساء فيقفنَ هنَّ ورجالهنَّ امام الحلى يقدرنَ اثمانها ويعجبنَ من بديع اشكالها ولا يلومهنَّ احد كأنَّ الحلي خُلقت لهنَّ وخلقنَ لها . ولا مشاحة في ان صنَّاعها بلغوا حد الاعجاز في رسم اشكالها ولم يتركوا جوهراً في جوف البحر وقلب الارض ولا حجراً كريماً الاَّ جلبوهُ وقطعوهُ وصقلوهُ وصاغوهُ . وكأن كلَّ جوهري منهم ظنَّ نفسهُ وحيداً في المعرض فعرض فيهِ شيئاً كثيراً من افخر الحلي واثمنها حتى ان من عقود اللؤلؤ ما يساوي مئة الف جنيه

وفي المعرض آلات فرنسوية واميركية لضرب النقود والنياشين والوسامات تمرُّ فيها قدد

المعدن فتقطع منها قطعاً مستديرة وتسكّها في طرفة عين وكأن لسان حالها يقول ان كل شيء صار يعمل بالآلات حتى وسامات الشرف والمجد . اما الجواهر فلا تجلب الاَّ بالغوص في لجج البحر والتعمق في طبقات الارض. وقد عرضت فرنسا والولايات المتحدة الاميركية مجموعات كاملة من الحجارة الكريمة والمجموع الاميركي بن محل تفني الجوهري الاميركي المشهور وفيهِ الحجارة الكريمة في حالتها الطبيعية وفي اشكالها بعد قطعها وصقلها فالصفير مثلاً ازرق او اخضر او اصفر والطبيعي منهُ بلورات متفرقة في حجر اصفر . والياقوت احمر والطبيعي منهُ احمر ايضاً ولكنهُ كحصى العقيق وقد يكون في حجارة رمادية محمرة او مصفرَّة . والماس الطبيعي مدملك الحروف والزوايا كحصى البلور الابيض . وقس على ذلك سائر الحجارة الكريمة وسأعود الى الكلام عليها وعلى الحلى في فصل آخر

الباب الثالث في ما يستعمل في العلوم والفنون من الصناعات والادوات وفصولهُ ثمانية وهي (١) الطباعة على اختلاف طرقها واساليبها . و (٢) التصوير الشمسي. و (٣) طبع الكتب وتجليدها والصحافة والاعلانات وكتب الموسيقى. و (٤) عمل الخرائط والكرات والآلات التي تستعمل في الجغرافيا والكوسموغرافيا والطوبوغرافيا . و (٥) الآلات الرياضية والعلمية والنقود والمداليات . و (٦) الطب والجراحة. و (٧) الآلات الموسيقية . و (٨) الآلات والرسوم التي تستعمل في المراسح

"وكل فصل من هذه الفصول معرض عظيم في بابهِ ففصل الطباعة مؤلف من معروضات ٤٠٠ عارض منهم اصحاب المطابع الكبرى ومعروضاتهم تشغل اكثر من ٢٠ قاعة واسعة ومنهم اصحاب المحلات الشهيرة التي تصنع آلات الطباعة في فرنسا وغيرها ومن جملة معروضاتهم آلات تطبع سبعين الف نسخة في الساعة الواحدة وآلات تصف الحروف وآلات تطبع باحبار مختلفة الالوان الى حد مبعة في وقت واحد وآلات تطبع ورق الجرائد وتقصهُ وتلصق بعضهُ داخل بعض وتطويهِ من نفسها وهناك مساكب كثيرة لمحلات سكب الحروف المشهورة ومعروضات مطبعة الحكومة الفرنسوية بانواع حروفها العديدة من قديمة وحديثة غربية وشرقية "

ولا ادري اي فصول هذا الباب احق بالوصف من غيرهِ ولا كيف اوفي هذا الفصل حقهُ من الوصف فان المطابع الكبيرة بلغت حد الاعجاز حتى صارت نسبة مطابعنا الشرقية اليها نسبة العربة التي يجرها الثور الى قواطر سكك الحديد او نسبة اكواخ السودانيين الى قصور الملوك . توضع لفة من الورق كالبرميل الكبير في المطبعة من هذه المطابع وتدار آلاتها بالكهربائية فينفك الورق من نفسهِ ويجري بين اساطين الآلة صاعداً نازلاً جارياً ملتفاً وتنهال الصحف

منها كالماء الجاري مطبوعة مطوية ثلاثين الفاً او اربعين الفاً او خمسين الفاً او ستين الفاً او سبعين الفاً في الساعة الواحدة ولا يشعر المرء بحركة المطبعة الاَّ من صوتها لان دوران اساطينها اسرع من ان تثبتهُ العين

ومن اغرب هذه المطابع مطبعة البتي جُرْنال وهي صغيرة جداً طولها اقل من مترين وعرضها اقل من متر ونصف وعلوها نحو متر ونصف لكنها تطبع نحو خمسة عشر الف نسخة من تلك الجريدة في الساعة الواحدة وبجانبها مطبعة اخرى وهي آ بر منها قليلاً لكنها تطبع ٣٦ الف نسخة في الساعة من جريدة فيها ست صفحات وتقص الورق وتلصق الورقة المفردة بالورقة المزدوجة وتطوي الاثنتين معاً ولا وقت لها لتخرج النسخ نسخة نسخة فتخرجها عشرات عشرات باسرع من لمح البصر

وتجمع حروف هذه الصحف الآن بآلة لها مفاتيح كآلة الخط يضرب عليها جامع الحروف باصابعهِ فتجمع فيها الامهات بعضها بجانب بعض الى ان يصير منها سطر فيصب الرصاص عليهِ من الآلة نفسها ويرفع ويوضع مع السطور التي سبكت قبلهُ وتتفرق الامهات في اماكنها ثم يجمع سطر آخر وهلمَّ جرًّا وهذه الاعمال كلها تعملها الآلة من نفسها ومتى تمَّ جمع الصفحة الواحدة تبلُّ وتوضع عليها صفيحة من القرطاس وتضرب حتى تنطبع الحروف فيها طبعاً غائراً ثم توضع في قالب كنصف الاسطوانة ويصب عليها الرصاص المصهور فيكون من ذلك نصف اسطوانة مجوَّفة والحروف على ظاهرهِ ثم يسبك نصف اسطوانة أُخرى من الصفحة الثانية ويجمع بين الاثنين بعد ان تهذَّب حواشيهما فيكون من ذلك اسطوانة كاملة عليها صفحتان من صفحات الجريدة. وقد اتموا هذا كلهُ امامي في مطبعة البتي جرنال في اقل من ربع ساعة. ولا يمكن طبع نسخ كثيرة من ستة آلاف فصاعداً في الساعة الاَّ اذا كانت الحروف مسبوكة على اساطين كما تقدَّم اما المطابع التي تطبع عن الحروف رأساً وهي مجموعة على سطح مستوٍ فاكثرها اتقاناً لا يطبع اكثر من خمسة آلاف نسخة في الساعة

ومن المطابع المعروضة هناك مطبعة اورلوف التي تطبع سبعة الوان دفعةً واحدةً ومطابع مرينوني والبزه ومطبعة تيمس نيويورك وهي تطبعهُ وتوزعهُ مجاناً وكذلك مطبعة البتي جرنال تطبعهُ وتوزعهُ مجاناً

وعرضت اميركا والمانيا وانكلترا مطابع مختلفة وشاركنَ فرنسا هنَّ وغيرهن في عرض الكتب القديمة والحديثة المصورة وغير المصورة لاظهار اشكال طبعها وتجليدها . والكتب المصورة المطبوعة منذ القرن الخامس عشر تفوق صورها صور الكتب التي تطبع الآن في مصر

والشام اي اننا متأخرون عن اوربا من هذا القبيل نحو اربع مئة سنة . ومن الكتب القديمة المعروضة نسخة من جغرافية بطليموس طبعت في نورنبرج سنة ١٥٢٤ وكتاب جغرافي طبع في تورين سنة ١٦٤٩

اما الكتب الحديثة فلا تسأل عن انواعها واشكالها وطرق تجليدها واتقان تصويرها لان ذلك يفوق كل حصر ويقصر عنهُ كل وصف . وقد بلغ التصوير في جرائد الازياء جدًّا يفوق التصوُّر ولا يفوقهُ في دقة النقش الا نقش اوراق البنوك وطوابع البريد واسهم الشركات. وهناك معروضات كثيرة من هذا القبيل ومنها مجموعة انكليزية كبيرة رأيتُ فيها اوراق البنك الاهلي المصري واسهمهُ واسهم شركة الدلتا وميناء البصل والاسواق واوراق البنوك من كل اقطار المسكونة من اوربا واميركا واسيا وافريقية واستراليا . ومجموعة اميركية لاوراق البنوك نالت الجائزة الكبرى لاتساعها واتقانها. ومن الممالك الصغيرة التي ابدعت في ماعرضتهُ في هذا الباب هولندا وبلجكا فترى في معرض هولندا مجموعة كبيرة من الكتب والخرائط والآلات الموسيقية وخريطة كبيرة لجزيرة جاوى مقاسها $\frac{1}{100000}$ ومطبوعات مصورة بصور ليثوغرافية كانها فوتوغرافية لدقتها . وفي معرض بلجكا مطبوعات كثيرة قديمة وحديثة وكرات ارضية وخرائط وصور فوتوغرافية كبيرة بالقطع الطبيعي علو الصورة منها متران

اما الصور الشمسية التي عرضتها فرنسا وكل دولة من دول الارض وآلات التصوير الشمسي وما يتعلق بهِ فالقول بانها كثيرة متنوعة تحصيل حاصل لانها تعد بالالوف والوف الوف وغاية ما يقال فيها ان الفوتوغرافيين صاروا يستطيعون الآن ان يصوّروا الانسان بحجمهِ الطبيعي ويتصرفوا في لون صورتهِ على ضروب شتى لا حصر لها . ولكنني لم أَرَ لهم صورة فوتوغرافية مختلفة الالوان من اصلها وبلغني بعد مغادرتي باريس انهُ عُرضت فيهِ صور فوتوغرافية ملونة من اصلها بالوان الجسم الطبيعي اما انا فلم أرها . ولا تقتصر المهارة في الفوتوغرافيا على مصوري فرنسا وما جاورها من الممالك والولايات المتحدة الاميركية بل جاراهم فيها مصورو بعض البلدان الصغيرة النائية كبلاد بيرو فان صورها الفوتوغرافية بالغة حد الدقة والجمال وقد نال مصوروها نياشين الذهب

وامثلة الجرائد السياسية والعلمية والادبية القديمة والحديثة كثيرة في قصر النمسا وحدهُ الف ومئتا جريدة مختلفة فكم تكون معروضات فرنسا وانكلترا واميركا وكذلك الخرائط والكرات الارضية والسموية . ومن الكرات الارضية التي عرضتها فرنسا كرة قطرها نحو مترين تظهر فيها جبال الارض كالتضاريس على سطحها ليظهر ارتفاع اعلى جبال حملايا نحو ثلاثة مليمترات

وارتفاع اعلى جبال الالب نحو مليمتر ونصف وقس على ذلك الخرائط البارزة وهي كثيرة في فرنسا واقسام سائر الدول . والخرائط الجيولوجية والمعدنية كثيرة في اقسام كل مملكة من الممالك حتى في قسم يابان

وآلات الرياضية والعلمية تعدّ بالالوف الكثيرة من البياكير والمساطر والزوايا والاقواس والارباع وكل آلات الرسم والمساحة والتسهيل وقياس الابعاد كالاسطرلاب والسدس والثيودوليت وآلات قياس الجاذبية والموازين الكيماوية ومفرّغات الهواء وكل الآلات الميكانيكية والهوائية والمائية والصوتية والكهربائية والمغنطيسية والبصرية والنظارات على اختلاف انواعها واشكالها واقدارها ومنها نظارة فلكية قطر بلورتها ٤٠ سنتيمتراً وبعد محترقها خمسة اقدام ونظارة اخرى كبيرة لتصوير النجوم بالفوتوغرافيا (استرو فوتوغرافيا) . وبين معروضات المانيا بلورة قطرها متر و٢٥ سنتيمترًا وبين معروضات فرنسا بلورة محدبة مقعرة واخرى محدبة الوجهين قطر كلّ منهما متر ووزن الاولى ٥٢٠ كيلوغراماً ووزن الثانية ٣٨١ كيلو غراماً . وهناك الآلات الحاسبة وآلات اشعة رنتجن وآلات الفونوغراف والميكروسكوب والپكولارسكوب والسپكتروسكوب والسكريمتر والبولاريمتر والخرونومتر وآلات اخرى كثيرة من هذا القبيل . ولا اظن انهُ توجد آلة رياضية او علمية لا يوجد منها في هذا المعرض حتى الآلات الحديثة التي لم تتقن الى الآن كالتليفون الذي يكتب الالفاظ ويبقيها على اسطوانة او قدَّة معدنية في غيبة صاحبهِ حتى اذا عاد قرأها ثم ازالها عن الاسطوانة او القدة بازالة الاثر المغنيسطي عنها فانهُ قد عُرض في باب الكهربائية من هذا المعرض وتكلمت فيهِ كلاماً عربياً ثم اعادهُ على مسمعي كما نطقتُ بهِ تقريباً . ومن ذلك محالة اتفاق الانغام التي اكتشفها اساتذة مدرسة شيكاغو سنة ١٨٩٧ . ولو وسعني الوقت لاري انواع هذه الآلات العلمية كلها واشرحها الشرح الوافي لملأتُ بشرحها مجلداً كبيراً مثل المقتطف

ومن فصول هذا الباب مجموعات النقود والمداليات واول ما يدخل الزائر الجناح الايمن من الشان دومارس يرى جمهوراً غفيراً من الناس رجالاً ونساء مجتمعين حول آلة كبيرة تسك النقود وآلة أُخرى تسك المداليات فيقع من كل واحدة قطعة مسكوكة في اقل من ثانية من الزمان . واذا كان سك النقود سهلاً بهذا المقدار فلا ادري لماذا لا تسكّ النقود المصرية في مصر بل تسك في بلاد النمسا وقد اشرت الى مجموعات النقود والمداليات في الكلام على الباب السابق

وكما تبارت الدول الكبرى في ما تقدَّم ذكرهُ من المعروضات تبارت في عرض الآلات الجراحية والوسائل الطبية وكل ما يتعلق بفن الطب والجراحة من اقدم الآلات التي استعملها

الاطباء والجراحون الى احدثها فترى هناك بعض الآلات المصرية القديمة المستخرجة من مدافن مصر وخرائب مبانيها وبعض الآلات الرومانية المستخرجة من خرائب هركولانيوم التي طمرها بركان بزوف في القرن الاول المسيحي وما لا يحصى من الآلات الجراحية الحديثة التي تستعمل في البتر والشق والسبر واستخراج الحصى والاورام وجبر العظام واصلاح العاهات كاصلاح الاقدام الفدعاء وتقويم الاظهر المنحنية وآلات التعقيم والغسل والتصوير باشعة رنتجن وقلع الاسنان وحشوها واصلاحها وعمل الاسنان واللثث الصناعية وكل ما يتعلق بامراض العين وآفاتها وعملياتها . ولا اظن ان طبيباً دخل هذا المعرض الا وقف ساعات كثيرة امام المعروضات الطبية والجراحية يتفحصها ويعجب بمهارة الفرنسويين والاميركيين والالمانيين والانكليز وغيرهم من الامم في اتقان الوسائل التي تزيل الآفات والآلام . ومن هذه المعروضات ما يفيد الناظر اليهِ فوائد علمية جمة ولو لم يكن طبيباً كالامثلة التشريحية والباثولوجية والجراحية واطوار تكوُّن الاجنة وما اشبه مما يطول شرحهُ ويشعر الناظر اليهِ انهُ في مدرسة يدرس فيها طبائع الاجسام الحية وكيفية بنائها ونموها والعوارض التي تعرض لها والاساليب التي تستعمل لحفظ صحتها موجودة وردها مفقودة وهي الاساليب التي قلَّت بها وفيات الاوربيين وزاد عددهم رغماً عن قلة مواليدهم

ومن فصول هذا الباب الآلات الموسيقية ووجهُ وضعها هنا في ما نظن ان الموسيقى قسم من العلوم الرياضية . والآلات الموسيقية الكبيرة والصغيرة من ذوات الاوتار وذوات النفخ وذوات الصفائح من اعظم ما عرض في هذا المعرض ولاسيما البيانات منها وقد تبارت معاملها الكبيرة في فرنسا وانكلترا والمانيا واميركا وروسيا وايطاليا وحاول كل معمل منها ان يفوق غيرهُ في تفخيم معروضاته وتنويعها واتقانها علماً ان الاوربيين يؤلمون الموسيقى كما يؤلمون التصوير وان اغنياء الارض واهل الجاه فيها لا يبخلون بثمن على آلة موسيقية مهما كانت ثمينة وان هذه الآلات قد صارت الآن من الحاجيات في البلدان الاوربية والاميركية فلا تجد بيتاً من بيوت الاغنياء والاواسط خالياً منها حتى الملوك الذين لم يذهبوا الى هذا المعرض ارسلوا نوَّابهم يبتاعون لهم من آلاته الموسيقية التي حكم المحكمون انها تفوق غيرها كما فعل مولانا السلطان فقد رأينا واحداً من البيانات كتب عليهِ ان جلالة السلطان اشتراهُ . ولم يقتصر الصناع على اجادة آلات هذه المعروضات حتى تكون اصواتها على اصحها واشدها إطراباً بل بالغوا في دهن خشبها حتى صار كالمرآة في صقله وكطاقات الازهار في نقشهِ . وقس على ذلك الآلات الموسيقية الصغيرة كالكمنجا والفلوت والمزمار . واستنبط الاميركيون آلة ذات اصابع توضع على

البيانو وتدار فتضرب عليهِ الانغام من نفسها باصابعها . وعرض واحد آلة موسيقية كالارغن الصغير يديرها بدولاب فتخرج منها اصوات موسيقية مختلفة متفقة كأنها اوركسترا او موسيقى عسكرية كثيرة الآلات فيها من ذوات الاوتار وذوات النفخ والصنوج والطبول وما اشبه

اما رسوم التمثيل ويراد بها الرسوم التي تنصب في اماكن التمثيل كأنها صور الاماكن التي جرت فيها حوادث الروايات فقد ابدع الفرنسويون في عرضها مصغَّرة وعرضوا معها مشاهير الممثلين والممثلات بالثياب التي يلبسونها وقت التمثيل حتى اذا نظرت اليها حسبت نفسك جالساً في اوبرا باريس او مرسح آخر من مراسحها ترى الروايات الشهيرة تمثل فيها

ولما رأيت الخرائط والكرات والآلات الجراحية والموسيقية والفلكية قلت هذا ميدان جرى فيهِ علماء العرب ومن انضمَّ اليهم من الروم والفرس والسريان وكان لهم فيهِ الباع الاطول والقدح المعلَّى فعلى مَ لم يعرَض لهم شيء فيهِ . اين خريطة الشريف الادريسي وكرة هرون الرشيد ومشارط الامام الرازي وعود ابرهيم الموصلي ومزولة ابن الهيثم وزيج ابي عبد الله البتَّاني واين كتبهم في الطب والتعاليم في الطبيعيات والرياضيات والبصريات . اين الموازين التي عرفوا بها الثقل النوعي والآلات التي قاسوا بها علوَّ الهواء ومحيط الارض وانكسار النور بل اين الامم التي سكنت مصر والشام والعراق منذ اربعة آلاف سنة فما فوقها الى سبعة آلاف سنة. لو بعثت الآن كما كانت في عهدها او لو انشئ هذا المعرض في عصرها لاشتركت فيهِ ولم تخجل وعرضت من آلاتها الهندسيَّة والفلكية ما تفاخر بهِ غيرها من امم هذا العصر. اما نحن ابناء مصر والشام والعراق ابناء هذا العصر خاتمة القرن التاسع عشر فليس عندنا شيء نستطيع عرضهُ في هذا الباب غير ما نجدهُ في مدافن اسلافنا وخرائب مدائنهم ومتاحف الممالك الاوربية ومكاتبها مما اكتشفهُ علماء اوربا في انقاض الهياكل وخزائن الجوامع والكنائس من التحف والنفائس . وقد بلغ من انحطاطنا اننا لم نعد نفهم كتب اسلافنا ولا نعنى بحفظ شيء من آثارهم فنبيعها لاول طالب من الاوربيين او نذيبها اذا كانت من الذهب والفضة ولو فاقت قيمتها ما فيها من المعدن الف ضعف. ولا اقول ان الكتب القديمة والادوات القديمة تغني عن شيء جديدة ولكن لو احتفظنا بذلك القديم منذ الف سنة او الفي سنة واتَّبعنا سنَّة الارتقاء التي اتبعها الاوربيون لكنَّا نفضلهم الآن اكثر مما يفضلوننا والاَّ ففي عقولنا نقص وفي اجسامنا خلل وهذا ما لانسلم بهِ ولو جدلاً ولا دليل على صحتهِ بل الادلة متوفرة على ضدهِ لان ابناءنا الذين يدرسون في مدارس الاوربيين يساوونهم او يفوقونهم فلا بدَّ من عوارض اخرى عرضت على البلدان الشرقية محقت عمرانها ومنعت شعبها من الارتقاء

وجملة القول اني خرجت من هذا الباب كئيباً كاسف البال كما خرجت من اكثر ابواب المعرض لما رأيتهُ من الفرق الكبير بيننا وبين غيرنا من امم الارض

والباب الرابع في الهندسة الميكانيكية وهو اربعة فصول (١) فصل الآلات البخارية و (٢) فصل الآلات المحركة بقوة طبيعية مثل مطاحن الهواء والماء والآلات التي تدار بالهواء السخن والغاز والنشادر والحامض الكربونيك والدوالب والاثقال وما شاكل ذلك و(٣) الآلات التي يحركها غيرها كالسيور والسلاسل والطلمبات والمطافيء والمضاغط والمخارط

وغنيٌّ عن البيان ان هذا الباب من اوسع ابواب المعرض لاننا في عصر الآلات من بخارية وغير بخارية وللآلات البخارية الشأن الاكبر فيهِ وهي قوة المحركة لآلاتهِ المختلفة إما مباشرة وإما بعد تحويل قوتها الى كهربائية . وكانت قوّة البخار الذي ادار آلات معرض باريس السابق خمسة آلاف حصان فوضع في هذا المعرض آلات قوتها عشرون الف حصان واذا دعت الضرورة اداروها بقوة اربعين الف حصان . ومن هذه العشرين الف حصان خمسة عشر الفاً تستعمل في توليد النور الكهربائي لانارة المعرض وخمسة آلاف حصان لادارة آلاتهِ

ومراجل الآلات البخارية منتظمة في بنائين كبيرين داخل المعرض طول كلٍّ منهما ١١٧ متراً وعرضهُ ٤٠ متراً الايسر منها لادارة الآلات الفرنسوية والايمن لادارة الآلات الاجنبية وفيهما المراجل الكبيرة لتوليد البخار والى جانبيهما مدخنتان كبيرتان شاهقتان مزخرفتا البناء صُنعتا لتكونا مثل سائر ما في المعرض آية في الجمال والاتقان لكنك ترى قتام الدخان يتفجر منهما في اكثر ساعات النهار و يسردق فوق المعرض والمدينة فيكمد لهُ قلب مَن اعتاد صفاء الجو في بلاد النور والصفاء . وقد أُنفق على بناء كل مدخنة منهما اكثر من مئتي الف فرنك . وهناك سكة حديد يجري امام المراجل كلها لجلب الوقود اليها

وقوة هذه الآلات البخارية تحوَّل الى قوَّة كهربائية قبل توزيعها على آلات المعرض المختلفة لادارتها بها فتراها تدور كلها بالكهربائية من مطابع ومخارط ومغازل وانوال وآلات لسك النقود وضرب النياشين وعمل الريش والبرانيط والجزم وما اشبه ولولا ذلك لتعذَّر وضع هذه الآلات كلها في المعرض وادارتها بالبخار فيهِ وهذا لا ينفي ان بعض آلاتهِ يدار بالهواء المتضغط او غاز النشادر او غاز الحامض الكربونيك او زيت البترول

ومن المغرب ان الدول الصغيرة مثل سويسرا و بلجكا ناظرت الدول الكبيرة في هذا الباب فترى في قسم سويسرا آلة بخارية صغيرة طولها نحو متر وعلوها متر ونصف وعرضها اقل

من متر وقوتها مئة وثلاثون حصاناً . ولم اكن اتصوَّر انهُ يمكن عمل آلة قوية بهذا المقدار وهي صغيرة الى هذا الحد . وفيهِ آلة بخارية كبيرة قوتها ١٧٠٠ حصان وأُخرى قوتها ١٢٠٠ حصان وقطر دولابها ستة امتار وهو يدور مئة دورة في الدقيقة فيقطع محيطهُ اكثر من ميل كل دقيقة من الزمان . ومن الآلات البخارية الكبيرة التي عرضتها بلجكا آلة رابضة في قسمها كالجبل قوتها الفا حصان وقطر دولابها سبعة امتار وآلات كثيرة من انواع مختلفة

والظاهر من هذا الباب ان الاوربيين لا يقصرون صنائعهم على ما تنتجهُ ارضهم بل يجلبون اليها الحديد والوقود اذا لم يكونا فيها ويصنعون كل ما يصنعهُ غيرهم من الآلات والادوات . والادوات المصنوعة في البلاد لاهلها تفضل الادوات التي تجلب اليها من بلاد أُخرى لان التجارة تتلف الصناعة غالباً اي ان التجار يطلبون البضائع الرخيصة الثمن لكي يسهل عليهم بيعها ويكثر ربحهم منها . وقد اذهلني الفرق الكبير بين الادوات التي يستعملها الاوربيون في بيوتهم والادوات التي يجلبها تجارنا من بلادهم فان الاولى تفضل الثانية من كل وجهٍ كأَنَّ التجار لا يجلبون الاَّ اخس المصنوعات او كأَنَّ المعامل تستخف بالبلدان الشرقية فترسل اليها نفاية مصنوعاتها او تصنع لها ما يسرع تلفهُ وبذلك تُستَنزَف ثروة البلاد فاذا لم يكن لإِدخال المعامل الصناعية الى بلاد المشرق غير هذا السبب فكفى بهِ سبباً ليحمل فضلاء بلادنا على الاهتمام بامر الصناعة ويحمل الحكومة على تسهيل انشاء المعامل الصناعية ولو اضطرت ان تعفيها من الرسوم وتساعدها بالاموال

والباب الخامس في الكهربائية وفيهِ خمسة فصول وهي (١) فصل الآلات المولدة للكهربائية والدائرة بها و (٢) فصل استعمال الكهربائية في الكيمياء و(٣) فصل النور الكهربائي و(٤) فصل التلغراف والتلفون و(٥) فصل بقية ما تستعمل فيهِ الكهربائية

واذا كان البخار اقوى قوات الطبيعة فالكهربائية اعجبها واعظمها نفعاً وقد تفنن الاوربيون في طرق استعمالها على حداثة عهدهم بها حتى بلغوا شأْواً يدهش كل من ينظر الى اعمال الناس بالامعان ويقدرها قدرها . فمن حك قطعة الكهرباء على ثوب من الصوف واظهار قوة تكفي لجذب قصاصة الورق ومن وضع صفيحتين صغيرتين من المعدن في سائل حامض واظهار قوة تكفي لتوليد شرارة صغيرة انصل الاوربيون والاميركيون الى عمل آلات تحوّل قوة البخار بل قوة الشمس العظيمة الى قوة كهربائية. واذا لم يكن من هذه الآلات غير ما عرض منها في هذا المعرض فكفى بها دليلاً على مقدرة الاوربيين وعلو همتهم كما ترى في هذا الجدول

عرضت فرنسا	١٧	آلة	مجموع قواتها	١٤٥٠٠	حصان
وعرضت المانيا	٤	آلات	"	٠٧٥٠٠	"
" النمسا	٤	"	"	٠٤٧٠٠	"
" انكلترا	٣	"	"	٠٣٥٠٠	"
" بلجكا	آلتين		"	٠٢٢٠٠	"
" ايطاليا	"		"	٠١٨٠٠	"
" سويسرا	٣	آلات	"	٠١٧٠٠	"

لكنهم لم يقفوا عند هذا الحد بل استخدموا مجاري الانهار ومحادر الشلالات وحوّلوا قوة جري الانهار ومدّ البحار الى كهربائية فاداروا بها المعامل وولدوا النور الكهربائي واستفادوا مما كان يذهب هدراً

وقد تقدم ان كل الآلات والادوات التي في هذا المعرض من مطابع ومساكب ومخارط ومغازل وانوال وما اشبه تدار بالكهربائية اي بقوة البخار التي تحول الى كهربائية في الآلات الكهربائية المغنطيسية وتجري على الاسلاك المعدنية ومعلوم ان قوة البخار تحصل من احتراق الفحم الحجري في الآلات البخارية وقد وصلت القوة الى الفحم من نور الشمس الذي اجتمعت بهِ دقائقهُ في خشب النباتات القديمة التي نمت على وجه الارض في العصور الجيولوجية . نور الشمس الذي بزغ منها منذ ملايين من السنين ووصل الى الارض مع حرارتهِ خُزنت قوتهُ في الفحم الحجري وهي تظهر الآن في تمديد بخار الماء وتحريك الآلات المختلفة وانارة مقاصير هذا المعرض وابراجهِ بشموس كهربائية تماثل شمس السماء سطاناً

ومما يستوقف النظر ويدعو الى الاستعبار في هذا الباب الآلات القديمة التي استنبطها كبار العلماء لاكتشاف نواميس الكهربائية والآلات الكهربائية التي صنعت اولاً ثم تدرجت في الاتقان حتى بلغت ما بلغتهُ الآن فيرى منها تاريخ ارتقاء هذا العلم في مراقي الكمال من آلات تلغرافية قديمة من ذوات العقارب ومصابيح كهربائية صنعت سنة ١٨٧٤ وآلة تلغرافية تكتب الاشارات كتابة على ورق كيماوي صنعت سنة ١٨٥٢ وآلات لتوليد الكهربائية بالفرك ونحو ذلك من الآلات التي صنعها علماء الكهربائية انفسهم مثل امبر ورمكرف والكتب القديمة في الكهربائية والمغنطيسية مثل مقالات جلبرت على المغنطيس باللاتينية وتاريخ طبعها ١٦٠٠ وهي اقدمها ومقالات كرخر وهي من اواسط القرن السابع عشر وترجمة كتب فرنكلين العالم الاميركي وهي من القرن الثامن عشر فانها طبعت في باريس سنة ١٧٥٢

وكتب ارستد وبكرل وده لاريف واراغو واوم وكلها من هذا القرن

تاريخ حديث جدًّا لكنهُ مشحون بالعجائب واعجب ما فيهِ ما حدث في النصف الاخير من هذا القرن ولم تزل عجائبهُ تتوالى واحدثها الفونوغراف او التلفون الذي اشرتُ اليهِ سابقًا وهو من مخترعات مهندس دنمركي اسمهُ فلدمار بولسن . والدنمرك من اصغر ممالك اوربا واضعفها لكن العلم مستقلٌّ عن قوَّة الملك وسعة المالك ورجالهُ ينبغون من كل البلدان ولكنهم لا يستطيعون ان يظهروا قواهم ويبرزوها وينفعوا بها الا حيث كثرت المعدَّات وعرف الناس فوائد المخترعات

وقد عرضت الآلات التي تستعمل فيها الكهربائية للاعمال الكيماوية كاستخراج الاليومنوم من مركباته على اسلوب رخص بهِ ثمنهُ وكثرت الآنية والادوات المصنوعة منهُ حتى ان آنيتهُ تباع الآن في اسواق القاهرة ارخص ممَّا يساوي حجمها من الآنية النحاسية وهي تفضل الآنية النحاسية في انها لا تحتاج الى تبييض ولا تتولَّد منها املاح سامَّة . وكتطهير الماء بالاوزون المتولد من الشرار الكهربائي وكاستحضار الفلور وبعض العناصر النادرة . كما عرضت اساليب التنوير الكهربائي وانواع التلغراف والتلفون وكل ما تستعمل الكهربائية فيهِ كالطبخ والتدفئة والتطبيب والتطهير . ويكاد المعرض كلهُ يكون معرضًا لكهربائية وآلاتها وما تستخدم فيهِ كما هو معرض للبناء والنقش . فان كل ما فيهِ من الآلات والادوات يدار بالكهربائية ومصابيحهُ تنار بالكهربائية والناس ينتقلون فيهِ من جهة الى اخرى بالسكة الكهربائية او بالمصاطب التي تدور بالكهربائية ويصعدون على طبقاتهِ بالروافع والسيور الكهربائية ويجولون في شوارع باريس حولهُ بمركبات يسير الكثير منها بالكهربائية. وقد كان لالمانيا النصيب الاوفر من المعروضات الكهربائية كما لها النصيب الاوفر في سائر الابواب والربح الاكبر من هذا المعرض حتى يقال انها ربحت منهُ كما ربحت فرنسا او اكثر

وليس لمملكة من الممالك الشرقية نصيب من هذا الباب الا اليابان فانها عرضت بعض الآلات الكهربائية وهي تدلُّ على براعة مطلع تنبئ بحسن الختام . وقد رأيتُ قُبيل ذهابي الى المعرض آلة كهربائية استنبطها احد المستخدمين في التلغراف المصري لاقفال الابواب وفتحها وكنت اود ان اراها معروضةً ولو في زاوية من زواياهُ حتى يقال ان لابناء الشرق شيئًا يستحق العرض فيهِ لكن الرجل ايطالي الاصل مولود في هذا القطر فيتبرأُ الوطنيون منهُ ولو حازت آلتهُ اسمى وسامات الشرف

والباب السادس في الهندسة المدنيَّة والنقل وفصولهُ سبعة الاول في المواد والرسوم والاساليب المتعلقة بالهندسة المدنيَّة . والثاني في الرسوم والامثلة المتعلقة بالمباني العمومية .

والثالث في العربات والمركبات غير مركبات سكك الحديد. والرابع في العدد والسروج وما يتعلق بها . والخامس في سكك الحديد والترامواي . والسادس في الوسائل اللازمة للتجارة البحرية والسابع في البالونات وطرق السير في الهواء

وقد ضاق المعرض عن هذا الباب فعُرض جانب كبير منهُ في اماكن اخرى كما سيجيء.
قال الدكتور نمر في ما كتب بهِ الى المقتطم " اماَّ القصر الذي في شان دومارس(لمعروضات هذا الباب) فقد رأيت على واجهتهِ افريزًا من ابدع ما صنع الصنَّاع زانهُ مزخرفهُ بنقوش وصور كثيرة نافرة منسوقة عليهِ نسقًا واحدًا يصوّر للرائي جميع الصور والاطوار التي تقلبت وسائط النقل عليها من اول تاريخ الانسان الى الآن فهناك صورة رجال من المصريين القدماء ينقلون تمثالاً لابي الهول بجانب الاهرام وصور الجمال والهجن تضرب في الصحراء. وصور الفيَلة تحمل الجنود على ظهورها وتسير بها من مكان الى مكان . وصور حيوان الرنة يجرُّ المركبات التي يركبها اهالي الاصقاع الشمالية . وصورة اول راكب للماء فيزورق وصورة اول هودج تحملهُ الدواب وصورة اول مركبة تسير بالبخار "

وكل فصل من فصول هذا الباب معرض كبير اشتركت فيهِ ممالك الارض وفاقتهنَّ روسيا في رسوم سكتها الحديدية التي خرقت بها بلاد سيبيريا من طرف الى طرف ووصلت الى آخر بلاد الصين مما يلي المشرق حتى يتيسَّر لها ارسال جنودها اليها ونشر تجارتها فيها . ومن يمعن نظرهُ في رسوم هذه السكة وامثلتها في قصر روسيا الخاص باملاكها الاسيوية يقف مدهوشاً من مهارة الروس وعلو همتهم فان الجبال والاودية والانهار والبحيرات والثلوج والرمال لم تثبط عزائمهم ولا وقفت في سبيل تقدُّمهم

وفصل العربات والمركبات حافل بما تفنن الصناع في عملهِ وزخرفتهِ لان ما يستعمل مراكب للملوك والامراء والاغنياء لا يضنُّ بشيءٍ على اتقانهِ . ففيهِ بعض المركبات القديمة مما كان يركبهُ ملوك اوربا وهي مطلية بالذهب مشمولة بالنقوش والزخارف على ما فيها من ضخامة العجل وخشونة المحاور . ولا تظن ان ملكاً من ملوك هذا الزمان يفضل ركوبها على ركوب مركبة ساذجة عجلها من الكاوتشوك ومحاورها تدور على الكرات لان وجهة الناس الآن نحو الراحة والرفاهة كما كانت منذ مئة سنة نحو العظمة والابهة . وقد يركب الملوك والعظماء المركبات المزخرفة الآن لكنهم يفعلون ذلك في اوقات خاصة جريًا على العوائد القديمة واتباعًا للتقاليد المرعية التي يحتفر اهمالها دفعة واحدة

وقد عرض ٤٠٠ عارض ما لا يوصف من مركبات الركوب وعربات النقل وانواع

الدرّاجات والمركبات التي تجري بقوة الحرارة او الكهربائية والمركبات الكبيرة المعروفة بالامنيبوس مما تجرُّهُ الخيل او يساق بقوة الحرارة . ولكثرة ما عُرض في هذا الفصل أُلحق بهِ فصل اضافي في جنان فنسان حيث يجد الانسان معرضاً عظيماً من الدراجات والمركبات المتحركة بقوة الحرارة او الكهربائية من فرنسوية وغير فرنسوية "

وفصل السروج والعدد وكل يلزم للخيل والمركبات جميل بديع يريك غرام الاوربيين بالصافنات الجياد حتى كأنهم ولدوا على صهواتها . وقد رأيت في رحلتي الماضية الى باريس بعض السروج التي كان امراءُ المماليك يسرجون جيادهم بها واخذها الفرنسويون من مصر وكنت احسبها من افخر ما صنعهُ الصناع فاذا في هذا المعرض ما هو افخر منها واثمن ولا تندر العدد الذهبية فيهِ. وغرض الناس الآن في ما يصنعون من العدد والمركبات راحة الراكب وركوبتهِ كما تقدم وقد بلغوا الغايتين معاً في العجل الذي يحيط بهِ اطار من الكاوتشوك وبمحورهِ كرات صغيرة او اساطين دقيقة يدور عليها فتزيل الفرك ولم يقفوا عند هذا الحد بل رأوا ان يريحوا الخيل من خدمة الانسان بعد ان حملتهُ وحملت امتعتهُ منذ الوف من الاعوام فصنعوا المركبات التي تسير بالبخار او بالكهربائية وهم يفكرون الآن في استخدامها في ساحات القتال كما تستخدم في شوارع المدن

ومعروضات السكك الحديدية ملأَت جانباً كبيرًا من شان دومارس والمباني المتصلة بقصر التروكادرو ومن جنان فنسان . ومن اول ما يستوقف النظر منها القاطرة البخارية التي صنعها جورج ستفنصن سنة ١٨٣٠ وهي اول قاطرة بخارية سارت على سكة حديدية عمومية وفي الخط الذي صنعت لهُ سنة ١٨٣١ تراها صغيرة بسيطة وقد عرضها السر دافد سالومنص وعرضت بجانبها قاطرة اخرى صنعت سنة ١٨٤٤ وهي اكبر منها واصلح كثيرًا . ومن ثم والقواطر تزيد حجماً واتقاناً حتى بلغت ما بلغتهُ في قاطرة اميركية كبيرة جدًّا عرضت في جنان فنسان قطر العجلة من عجلها اسبع اقدام . وهناك مركبات تسير بالكهربائية وتقطع نحو مئة ميل في الساعة وقطرات لشركات عديدية وكلها فاخرة الاثاث والرياش وبينها مركبات نقل لسكة الحديد المصرية صُنعت في اميركا وروعيت فيها المتانة لاغير لانها من الصلب وهي مزدوجة العجل ثقيلة جدًّا لا ندري ما وجه تفضيلها على غيرها من المركبات

اذا اعتبر المرء ان قوَّة البخار عُرفت من ايام هيرون الاسكندري الذي نشأ في القرن الثالث قبل المسيح فبقي اكتشافهُ مدفوناً في بطون الاوراق اكثر من الفي عام ولم يُستفد منهُ الاَّ في اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن عجب من التقدُّم السريع الذي تقدمهُ البشر في

القرن التاسع عشر ورأى انهُ يفوق تقدُّمهم في خمسين قرناً قبلهُ .

والفصل المتعلق بالتجارة البحرية " أُفرد لهُ قصر عظيم قائم برأسهِ على ضفة نهر السين يعرف بقصر الملاحة وفيهِ ما يفوق الحصر من المواد والعدد التي تبنى بها السفن وتجهز والآلات والعدد المستعملة في الترسانات والحياض التي تبنى السفن فيها والمستعملة لصنع عدد البواخر وما لا يحصى من مثُل السفن الصغيرة والكبيرة على اختلاف انواعها من تجارية وشراعية وقوارب تسير بالمجاذيف . ومن المثل التي يرى بها الناظر تركيب تلك السفن وترتيب داخلها بما فيهِ من الآلات والادوات والاثاث والرياش وهلمَّ جرًّا . وهناك ايضاً كثير من الكراكات والمراجل والآنية التي يسخن الماء ويبخر فيها والمرشحات والمصافي والرواويق والمقطرات والمكثفات (ككندنسر) والطلمبات والعدَّادات والزناجير والمراسي والروافع والاعلام والرايات وآلات التنوير والتهوية والتسخين والتجميد والكهربائية والساعات والحكوك والاسطرلابات وسائر الآلات الفلكية والجوية التي تستعمل في الملاحة . وقس على ذلك كثيراً من سفن النزهة كاليخوت والزوارق التجارية والقوارب التي تساق بالمجاذيف ومنها ما يدهش العقول بحسن ترتيبهِ ونفيس اثاثهِ ولطف منظرهِ . وماذا اقول عما هناك من اجهزة الغوص والعوم وانقاذ الغرق وانتشال ما يغوص الى قعر الماء واغاثة السفن المشرفة على الغرق وآنية صب الزيت على الامواج الهائجة لتسكينها ورفع السفن التي غرقت من تحت الماء والرسوم والجداول والخرائط والمطبوعات المختصة بالملاحة . فانهُ ان كان الناظر يمل والباصرة تكل من رؤيتها فكيف يستطيع القلم وصفها . ولذلك اختم كلامي عنها بذكر خريطة نافرة رأيتها هناك لتمثيل ترعة السويس ومعها رسوم والمقاسات التي كان دولسبس يتبعها في حفر تلك الترعة وكذلك كراكات وسفن صغيرة على مثال الكراكات التي تطهر الترعة الآن ومثال السفن التي تسير فيها

وفصل الطيران في الهواء ومعروضاتهُ تهم المشتغلين بهذه الصناعة على الخصوص ويرى الناظر هناك آلة على صورة خفاش كبير طولهُ من طرف جناحهِ الايمن الى طرف جناحهِ الايسر ١٥ متراً يجلس الانسان في قفص داخل بدنهِ ويطير بقوة آلة تدور في اعلاهُ وقد جرب هذا الخفاش سنة ١٨٩٧ فبدا فيهِ نقص أُخر تجربتهُ بعد ذلك ولكن مخترعهُ الموسيو آدر لا يزال يزيدهُ اتقاناً واحكاماً . وهناك صور آلات اخرى للطيران ومجموعة تمثل تاريخ الطيران من عهد اكتشاف البلون وصور جماعة من الذين اشتهروا في ركوب الهواء . ويذكرني هذا الفصل ببلونين مقيدين بحبال يطيران كل يوم من جوار المعرض ويركبهما من شاء بالاجرة . ولا اظنهما يعلوان عن برج ايفل الا نادراً "

وفصل الطيران من اخف الفصول واقلها جدوى لان الطيران غاية لا ينالها الانسان وقد عاد طلاَّبهُ بخفي حنين حتى اضطرَّ المخترع مكسيم ان يهملهُ بعد ان انفق عليهِ ستة عشر الفاً من الجنيهات ولكن سائر فصول هذا الباب من اهم ما اشتغل بهِ البشر كما هو من اقدم ما استعملوهُ . ولو بُعث الاشوريون والمصريون والفينيقيون ورأَوا هذا المعرض ولم يروا فيهِ شيئاً لابنائهم لا عَرَبةً ولا مركبةً ولا مركباً ولا اسلوباً من الاساليب التي استعملوها في نقل المسلاَّت من اصوان الى الاسكندرية والارز من لبنان الى اشور والذهب من اوفير الى اورشليم والطرق الهندسية التي بنوا بها اهرام مصر وقصور بابل وهيكل سليمان وايوان كسرى — لو بُعثوا ورأَوا ان العمران الذي وضعوا اركانهُ وشادوا بنيانهُ بقي حيث تركوهُ ثم عاد القهقرى الى ان اضمحلَّ ولم تبقَ الاَّ آثارهُ وابناؤُهم لا يفقهون لها معنًى ولا يدركون لها مغزًى — لو بُعثوا ورأَوا ذلك لفاضت عيونهم دماً وفضَّلوا سكنى القبور على مشاهدة ما اصاب ابناءهم من الذل والصغار وما حلَّ ببلادهم من البوار والدمار . هذا وقد ملَّ القارئُ من الاطالة في وصف هذه الابواب فارجئُ الكلام على باقيها الى الاجزاء التالية

مستقبل الصين

لجناب الامير شكيب ارسلان

الزراعة في الصين

العضو الثاني من الاعضاء الرئيسة الممثلة سلامةً وحياةً من جسم هذه المملكة هو الزراعة ولعمري مهما علا كعب الصينيين في الصناعة وفضلوا فيها سواهم واطاعتهم اياديهم في تذليل الجماد لخواطرهم وتسخيرهم المعادن لتصوراتهم فان اياديهم في حراثة الارض اطول وملكتهم في الزراعة لا تقل رسوخاً عن ملكتهم الصناعية وبالاجمال فان لم تتجاوز الزراعة عندهم شأو الصناعة فانهما في وزن واحد من الاتقان وتقدير واحد من الايفاء وعليهما معول سكان هاتيك المملكة في معايشهم وبهما قوام وجودهم. والزراعة محترمة جداً عند الصينيين يشوبها لديهم شيء من التقديس ويمازج اكرامها عندهم ذروٌ من الاعتقاد اجتهاداً بان الزارع عندهم هو الذي يغذي الناس ويكفل لهم اقواتهم حتى ان السلطان نفسهُ ليسمونهُ بالزارع الاكبر لانهُ هو العائل الاعظم للمملكة والمملكة معولة بهِ.وكان من جملة عوائدهم التي نسخت ان يحرث الارض بيدهِ ثلاثة ايام متوالية في اواخر شهر آذار وهو مرتدٍ ثوب اكَّار وكفى بذلك حرمة لمقام الزراعة واكباراً لقدرها في اعينهم

وما زالت تروى في هذا الموضوع عن سلاطينهم النكات حتى لقد تناقل الخلف عن السلف منهم انهُ في جوار مدينة (نينغبو) حذاء الجبال المسماة بالجبال الزرق في سهل الفيح هناك كان السلطان (تشين) منذ اربعين قرناً ماسكاً بسكة حراثة يحرث الارض على فيل

ومما فرضهُ القانون الصيني قيام صاحب الملك دائباً بحراثة ارضهِ واصلاحها فاذا اهملها مدة ثلاث سنين فقط حق للحكومة نزعها من يدهِ وتسليمها لآخر. واغرب من ذلك ان شيخ القرية ولقرام شيوخ كما في سائر البلاد مسؤول هو نفسهُ عن اراضي قريتهِ مطالب بتطبيقها بالعمل فاذا وُجدت مهملة او وُجد بعضها مهملاً جوزي الشيخ على ذلك بجلدهِ مائة سوط وبالجملة فاهمال الارض عندهم حوب كبير وهو منكر في جميع البلدان الا ان ربط هذا الانكار في الصين بمادة قانونية وتحقيقهُ بجزاء لما يدل على غلو تلك الامة بحب الزراعة وانهم يقدرونها قدرها ويعرفون مكانها من عمارة البلاد وما غنت امة احتاطت بالقوانين لتوثيق اسباب المعيشة وتأمين دعائم العمران

وقد ساعد الصينيين في اتقان زراعتهم فضلاً عن قوانينهم ومشرب حكومتهم خلقهم المشهور في الصبر وسجيتهم المعروفة في الثبات مع بصرهم النافذ بهذا الفن وممارستهم الطويلة لهُ وان كان الصبر رائد كل نجاح وطليعة كل نصر فهو لهذا الامر الزم وبهِ اخلق والصيني يسقي اشجارهُ وبقولهُ بيدهِ كما يسقي البستاني حديقة نضر ويدلل ازاهر روض وهو يحنو على اغراسهِ ونبات ارضهِ حنو الظئر على الفطيم. ومع الثبات وطول الاناة وتكرر التجربة صار الصيني يستثمر من ارضهِ اضعاف ما يستثمر سواهُ ويستدر من مزارعها ما لا يستدرهُ الفلاح الاوربي لو قام مقامهُ وناهيك انهم بلغوا من درجة الاستثمار ان العشرين شخصاً من الصينيين يعيشون طول السنة بمحصول هكتار واحد من الارض في بعض الاماكن كذا رواهُ الثقات من سياح الافرنج فكأن الفدان الواحد يقوم بمؤونة ثمانية اشخاص تقريباً وهذا شأوٌ متناهٍ. وقد روى ابو القاسم بن حوقل في المسالك والممالك عن عمارة صقع بخارا ان الرجل ربما قام على الجريب الواحد فيكون منهُ معاشهُ . وقد اختُلف في الجريب فعلى روايةٍ هو اربعة اقفزة والقفيز ستة عشر رطلاً وعلى روايةٍ هو عشرة اقفزة وربما وقع الاختلاف باختلاف البلدان كما هو في سائر المكاييل والمقاييس لكن ذكر قدامة في كتاب الخراج ان الاسهل اذا ضرب في مثلهِ فهو الجريب والاسهل طول ستين ذراعاً فاذا ضربنا ستين في ستين حصل معنا ثلاثة آلاف وستمائة ذراع هذا هو الاصح في الجريب وهو منقول عن المكيال وكيف كان الامر فما ذكر عن الصين ابلغ لأن ما ذكرهُ ابن حوقل عن الجريب البخاري وان كان غايةً في العمارة

فهو دون ما يرويهِ بعض جغرافيي الافرنجة عن بعض اراضي شنغاي مثلاً كما ترى من نسبة الجريب الى الفدان ونسبة الواحد الى الثمانية

نعم ان الفلاح الصيني لا يعرف تحليل الارض كيماويًّا معرفة الفلاح الاوربي ولم يأخذ علم خواص الاتربة عن كتب الفن ولكن التجربة كفتهُ مؤونة النظريات فصار يعرف خاصة كل تربة وماذا يجب ان يعاقب على ارضهِ من الزروع واصناف البذور وماذا يلزمها من السماد وهو بيدهِ يحرثها ويكروها و يزرعها وينقيها من الاعشاب وبيدهِ يفتّت ما غلظ وما تلع من التراب ولهُ معرفة بتربية الحيوانات وتدجينها تأنيس شواردها وتذليلها لخدمتهِ ولهُ مسكة ايضاً في تربية الطير. ومن غريب ما يحكى من عناية الصينيين بذلك انهم يضعون بين اجنحة الحمام صفّارة صغيرة من قشر البامبو في لطافة الورقة بحيث تحتملها الحمائم بين ريشها فتقيها بصفيرها من انقضاض الجوارح عليها وانهم يعلّمون بعض الطيور الصياح في ساعات معينات من النهار فاذا شاهدوا اغتنام الطائر عن الساعة المعلقة.وقد بلغ من شدة حذقهم وحيلتهم انهم يصيدون احيانًا بايديهم الاسماك التي تعصي على الشباك والخطاطيف ومن كانت هذه حالهم في الصبر على الطبيعة فلا غرو اذا جاؤوا زرّاعًا ماهرين وأكرةً حاذقين

وقلّ ان يوجد في الصين اراضٍ غفلاً من وسم الزراعة فان الارض عندهم محروثة مغروسة مذللة للسكك غورًا ونجدًا حتى انك لتجد الغراس والحرث فيها على علو ثلاثة آلاف متر من سطح البحر وهذا نادر او غير معهود في غير بلادهم ولذلك قامت تلك البلاد بميرة اربعمائة مليون من الآدميين واحسنت بفضلة فان قيل ان مساحتها متسعة فهي وان اتسعت ضيقة بهذه الاعداد الهائلة ولولا حسن استثمار الارض ما كفتهم مؤونتهم بل كانت المساغب والمجاعات عندهم اكثر مرارًا مما هي الآن واغرب من كون محاصيلهم كافية لهم وانهم لا يجلبون الا ما ندر من الخارج ان الفاضل فوق كفايتهم قد يبنى عليهِ تجارة مهمة مع الغريب واهم زراعة عندهم هي زراعة الارز فالارز سيد طعامهم والارض المزروعة ارزًا هي ثمن مجموع اراضي الصين على الاطلاق

ومن اهم محاصيل الصين الشاي والقطن وقصب السكر والقنب وعندهم انواع من الفاكهة وقد دخلت بلادهم الذرة والبطاطة .ومحصول الحرير من الصين يزيد على نصف محصول الدنيا بامرها

واقوم اهل الصين على الزراعة والصناعة هم سكان ايالات سانشوان وفوكيين كما ان اقدرهم على التجارة هم اهل شانسي

التجارة في الصين

اما التجارة في الصين فهي غير متناسبة مع الزراعة والصناعة وشأنها عند الصينيين دون

شأنهما وقد اتسعت مؤخراً بدخول الاجانب ولكنها لا تزال دون جسامة هاتيك المملكة وقد عدلت قيمة البضائع التي تدخل وتخرج في موانئ الصين سنوياً وذلك منذ سنوات فبلغت ثلاثة مليارات من الفرنكات والزيادة واقعة سنة فسنة. وقد كانت واردات كانتون سنة ١٨٧٩ نحو ٠٠٠ ٩٥١ ٦٣ فرنكاً وصادراتها ٩٧٥ ٣١٥ ١٢١ فرنكاً فبلغت الواردات والصادرات سنة ١٨٨٢ نحو ٠٠٠ ٠٠٠ ٢٤٨ فرنك وهي زيادة ثلاث سنوات فقط(١)

واهم تجارة الصين الى الخارج بصنف الشاي لكن المقطوع من الشاي في داخل الصين اكثر منهُ في سائر المعمور وقد ادخل الاوربيون سلعهم و بضائعهم في الصين رغماً عن اهلها وقسروهم على التجارة معهم قسراً واعتساراً فزادوهم بذلك كراهية لهم ونفوراً منهم مع ان الصينيين لم يكونوا يكرهون الغريب في بادىء الامر وقد اقرَّ مؤرخو الافرنج انهُ لما دخل العرب والهنود الى الصين في اوائل ظهور الاسلام بقصد التجارة تلقاهم الصينيون بالترحاب ولم يروهم ادنى شيء يريبهم كذلك البرتغال في اوائل سلطانهم في البحار لم يلاقوا اقل جفاء من الصينيين وما زال الامر كذلك حتى ازدحم الاوربيون من كل الاصناف على ابواب المملكة الوسطى وجاءوها بالمدافع والاسلحة والمحرقات وقامت المنازعات فيما بينهم فنظر اليهم الصينيون نظرهم الى قوم برابرة سفاكين للدماء ثم انهم داخلوهم في بعض المتاجر والجالب خصوصاً الافيون فلم يقبلوا بدخولها فغزوا فتاتهم او يستفيؤا معهم على قبول الافيون فشهرت انكلترا عليهم حرب الافيون سنة ١٨٤١ ووضعت الحرب اوزارها عن فتح خمس موانئ للتجارة وهي كانتون واموای وفوتشو ونينغبو وشنغاي

ثم اختلّت المعاهدة فجرت حرب ثانية اشتركت فيها انكلترا وفرنسا وذلك سنة ١٨٥٧ واحتل الاوربيون كانتون وعقدت السلم ثم انتكثت عقدتها وتجددت الحرب ثالثة سنة ١٨٦٠ ودخل الانكليز والفرنسيس باكين عاصمة الصين في بضعة عشر الفاً وانتهبوا قصر الصيف الشهير واحتووا على ما فيهِ وفي هيمة ذلك ثار ثائر (التايبينغ) فاضطرت الحكومة الصينية ان تستعين بالاجانب على الثوار ثم ما زالت تنفتح الثغور للتجارة والصينيون ينفرون من هتك هذه الحجب والدول تتمادى في الامر شيئاً فشيئاً حتى اصطلت الحرب بين الصين واليابان فافتضح نقص الدولة الصينية وظهر عجزها ظهوراً بيناً هفا اليها بالاطماع واماال نحوها الرقاب وقيل لها حينئذٍ «الباب المفتوح» فتسارعت الدول الغربية للولوج منهُ وخشية ان يبعث الفتوح بالسيف بينها الى النزاع عمدت الى طريقة استئجار الاراضي على مدات طويلة وتهافت القوم على البلاد من

(١) (المقتطف) وبلغت قيمة كل الواردات والصادرات سنة ١٨٩٨ نحو ١٢٠٠ مليون من الفرنكات.

كل جهة فكانت الثورة الحالية المعروفة بثورة (البوكسر) وظهر ان للامبراطورة الكافلة يدًا فيها

واعظم التجارة في الصين هي طبعاً بيد الانكليز من الاجانب ثم الاميركان ثم الالمان فالفرنسيس فاليابان الا ان اليابانيين في السنين الاخيرة قد سبقوا الفرنسيس كما ان الصينيين منذ دخول الاجانب قد اقتدوا بهم في حب التجارة واخذوا يزاحمونهم مزاحمة الثائر خصوصاً وان الصينيّ غير موصوف بالشره ورغابة البطن بل هو قانع راضٍ بما قسم له والقناعة مع الثبات اجمع من الاقدام مع المخاطرة. وقد ذكر بعض كتاب الافرنجة ان التاجر الصينيّ اعظم امانةً واشد محافظة على القول من التاجر الاوربي وعنده من الروية وطول الاناة في الاشغال ما ليس عند هذا ولذلك كان الاجانب قد افادوا الصين في ادخال التجارة بينهم لأن عدد التجار منهم قد ازداد جدًّا بعد قدوم الغربيين ديارهم حتى لم يبقَ في بعض الموانئ تجارة الاَّ في ايدي الصينيين

وبسبب مزاحمة الاجانب التجارية ازدادت عناية الصين بالملاحة وبناء السفن البخارية وانت ادرى ان الصينيين يرجعون في هذا الامر الى نصاب صدق وانهم هم الذين اخترعوا ابرة المغنطيس (البوصلة) لهداية السفن بعد ان كانت تهتدي بنجوم السماء وقد شاهد السياح الذين دخلوا الى الصين في القرون الوسطى من احتفالهم بالملاحة ما ادهشهم قال السائح الشهير ماركو بولو: " ان في مياه كيان من الصين في نهر واحد من السفن والمراكب الحاملة للمتاجر والبضائع اكثر مما يخفق في بحار وانهار النصرانية مجتمعة ". ولم يزل هذا النهر مرسى ومجالاً للالوف من السفن والزوارق الى يومنا هذا. وفي سنة ١٨٥٠ حدث حريق هائل في ثغر او تشانغ فاتلف سبعمائة سفينة كبيرة وبضعة آلاف من الزوارق دفعة واحدة فهلك خمسون الف نوتيّ بين الحرق والغرق وان تاجرًا فردًا من اهل البلدة اوصى بعمل عشرة آلاف تابوت من ماله الخاص يومئذٍ وورد في جغرافية اليزه ركلوس الفرنسوي قوله " فكان في حريق ميناء واحد من موانئ الصين قد هلك من النواتية اكثر ممن يوجد من النواتية في موانئ فرنسا كلها "

الا ان هناك عائقاً مهمًا في طريق تقدم التجارة الى الغاية التي بلغتها في بلاد الغرب ألا وهو اعواز السكك الحديدية التي لا تزال في الصين نادرة مع وجود الطرق العادية خربة والمواصلات صعبة نعم في الصين ٢١ طريقاً سلطانياً من بقايا الاولين قد تأنقوا فيها وحفروا لها الانفاق في بطون الانجاد وعقدوا الحنايا بين الوهاد واشتقوا لها المخالص من مكان الى آخر ورصفوها بالبلاط ونظموا بلبأتها الاشجار وجعلوها في عرض كافٍ من ٢٠٠ الى ٢٥ مترًا

واقاموا عند نهاية كل خمسة آلاف متر ابراجاً للاشارات وبنوا فنادق للنزول والتعريس وحياضاً للورود ومخافر للجند تأميناً لابناء السبيل وتسهيلاً للسفر فكانت الطرق عندهم آمن مما هي في سائر البلاد والصينيون لهم الحرية التامة يسافرون في كل انحاء المملكة بدون حرج ولا تذاكر للجواز عندهم ويحترفون بكل حرفة بدون رسم تمتع . ولما دخل ابن بطوطة الصين رأى من الأمنة في السوابل وراحة المسافر ما قضي بعجبهِ كذلك سياح الافرنج من اهل القرون الماضية قالوا مثل قولهِ. ومما تحدثوا بهِ عن اقتدار الصين ولا يزال الى الآن قائماً جسر في (شاوهنيغ) بناهُ الصينيون منذ نحو الف سنة طولهُ مائة واربعة واربعون كيلو متراً ممتد فوق مخفضات من الارض ومسايل مياه وفيهِ اربعون الف عقد وعرضهُ متر ونصف متر ولهُ رصيف : وهو جسر لم يبن بطولهِ الاوربيون الى الآن . الا ان اكثر تلك الطرق قد تعطل ولم يجدد مكانهُ فقصر الصينيون عن شأو آبائهم ولم يشاؤوا الاقتداء بالاوربيين فكانت طرقهم الحديثة صعبة السلوك واضرَّ ذلك بتقدم التجارة . ويقال ان الصينيين يدركون فوائد السكك ولكنهم آثروا بقاءها على حالها من الخراب ونفروا من مدّ قضبان الحديد في بلادهم فراراً من نفوذ الاوربيين وقصراً من مداخلتهم فزاد ذلك في اسباب ضعفهم ولم يجدهم في دفع الاجانب فتيلاً واذا سألت رجال الحكومة عن اغفالها هذا الامر الجليل اجابوك انهُ رحمة بالفقراء من المكارين والصحيح ما قدمناه لك

بقي علينا ان نتكلم في باب التجارة عن تجارة الافيون التي هي من اهم ما يرد الى الصين والتي لاجلها صارت الحرب فقد كانت واردات الافيون من الهند على الصين منذ سنوات من ١٥٠ مليوناً الى ٢٠٠ مليون ولا شك ان الافيون هذا مضر جداً باهل الصين لكن الناس يبالغون في درجة مضرتهِ بهم وينسبون كل تأخر في احوالهم وقعود في عزائمهم الى تأثيرهِ فيتجاوزون بذلك حدود الحقائق وليس كل ما يقولونهُ صحيحاً وذلك لان الاذكياء والمتعلمين من اهل الصين لا يتناولون منهُ الاَّ قليلاً ولا يظهر انهُ يؤثر في حالتهم العقلية كما يقال والتأثير انما هو في المدمنين وهؤلاء ليسوا من الزراع ولا من الصنَّاع الذين منهم سواد الامة واكثر الذين يتعاطون الافيون يأخذون منهُ نتفاً وفي الاحايين. ومن الغريب ان الولاية التي يمتاز اهلها بشرب الافيون وهي ولاية (ستشوان) تجد اهاليها احد اذهاناً واعظم اقداماً من اهالي سائر البلاد واذا وزعت الحشيشة على الاهالي لم يصب الواحد اكثر من ٢٠ غراماً طول السنة والبلدي من الافيون اقل فعلاً من الهندي والتبغ هناك على رواية لهُ نتائج ليست نتائج الافيون باعظم منها ويقال ان اليسوعيين هم الذين علموا اهل الصين فتَّه ثم قالـــ

بعض علماء الافرنج اما السكر الذي يسكره الاوربيون بالخمر ويضيعون به رشدهم فهو غير معروف في الصين بل قلما تجد هناك رجلاً سكران

المؤتمر الطبي الدولي الثالث عشر

بقلم سعادة الدكتور حسن باشا محمود

اجتمع في باريز عاصمة فرنسا في يونيو ويوليه واغسطس وسبتمبر من هذه السنة مائة وسبعة وعشرون مؤتمراً في أوقات مختلفة والقصد من اجتماع أعضاء كل مؤتمر عرض ما اشتغل به كل عضو في العلوم والاكتشافات في فن الطب والزراعة والتجارة والصنائع المختلفة وكافة ما تعمله الانسان

وقد تقرر في سنة ٩٧ في المؤتمر الطبي الدولي الثاني عشر الذي عقد في موسكو احدى المدن الروسية ان يجتمع المؤتمر الطبي في باريس سنة ١٩٠٠ وبناء على ذلك تألفت لجنة من مشاهير اطباء باريز يبلغ عدد اعضائها اثني عشر عضواً وانتخبت جناب الدكتور لا نيلونج رئيساً لها وجناب الدكتور شوفار كاتباً لاعمالها مع كتاب آخرين وامين صندوق ومن هؤلاء شكلت لجنة ادارة المؤتمر وقد اعتمدتها حكومة فرنسا ثم كاتبت حكومات الدول المختلفة وفي جملتها الحكومة المصرية وارسلت خطابات الى مشاهير اطباء الدنيا وانتخبت منهم رؤساء لجان الاطباء بلادهم وبالجملة انتخبت كاتب هذه السطور رئيساً للجنة الطبية المصرية وانتخبت حضرة الدكتور عيد كتب سر لها فقياماً بخدمة الوطن والانسانية قبلنا هذه المأمورية وارسل لنا رئيس لجنة ادارة المؤتمر اللوائح ودفتر القسائم المتعلق بالمؤتمر واعلنا عن ذلك في الجرائد العربية والافرنكية فاشترك في هذا المؤتمر من اطباء مصر ستة وثلاثون عضواً خمسة عشر من المصريين أو المستوطنين والباقون من الاجانب المقيمين في القطر المصري ودفع كل واحد منهم ٢٥ فرنكاً قيمة رسم الاشتراك

وفي ٣٠ يوليه وزعت أوراق المؤتمر والمدالية على الاعضاء ثم وزعت اوراق الدعوات وعلمت محلات اجتماع اعضاء كل قسم ومحلات اجتماع اعضاء كل لجنة وكان محل اللجنة الطبية المصرية والتركية في قاعة واحدة نظراً لعدم وجود محلات كافية لكل لجنة وحدها وكان محل لجنة الادارة في المدرسة العملية

وقد انتخب رؤساء شرف للمؤتمر وكان انتخابهم من اطباء الممالك المختلفة وبلغ عددهم مائة وثمانين رئيساً واما عدد المشتركين في المؤتمر فبلغ ستة آلاف ومائة وسبعين ومنهم رؤساء الشرف ومندوبو الدول . وهاك بيان الدول التي اشتركت في المؤتمر مرتبة على حروف الهجاء

الارجنتين	بولونيا	فنزويلا
اسبانيا	بوهيميا	كندا
المانيا وتوابعها	البويرو	كولومبيا
استراليا	تركيا	لكسمبورج
اميركا	جمهوريات اميركا الوسطى	المجر
ايطاليا	الدنمارك	مصر
البرازيل	الروسيا	المكسيك
البرتغال	رومانيا	هولانده
بريطانيا العظمى	السويد والنروج	اليابان
البلجيك	السويسرا	اليونان
بلغاريا	الصرب	
البوسنه والهرسك	فرنسا وتوابعها	

وكانت الاجتماعات عمومية وخصوصية واول الاجتماعات العمومية كان في ٢ اغسطس في قاعة اعياد المعرض العمومي تحت رئاسة جناب المسيو لوبيه رئيس جمهورية فرنسا وكان ثانيها في مدرسة السربون في ٦ اغسطس والثالث فيها ايضاً في ٩ منهُ وكانا برئاسة رئيس المؤتمر وتليت فيها خطب ومقالات طبية سننشرها في وقت آخر

اما الاجتماعات الخصوصية فكانت كثيرة العدد ولذلك قسموها الى اقسام اصلية وفرعية وكانت تجتمع قبل وبعد ظهر كل يوم من ايام المؤتمر في محلات مختلفة وهي كما يأتي

(١) قسم التشريح وفروعهِ (٢) قسم الفسيولوجيا والطبيعة والكيميا الطبيعية (٣) قسم الباثولوجيا العمومية الامتحانية (٤) قسم التشريح المرضي (٥) قسم طب الاطفال (٦) قسم فن العلاج والمادة الطبية (٧) قسم الامراض العصبية (٨) امراض الجلد والداء الزهري (٩) قسم الجراحة العامة وفروع الجراحة (١٠) قسم الرمد (١١) قسم امراض الانف والحلق والاذن (١٢) قسم الامراض الباطنية وفروعها (وكنت من اعضاء هذا القسم وقدمت فيهِ مقالة في معالجة الرمل والحصاوات الكلوية) (١٣) قسم الحمل والولادة وفروعهما (١٤) الطب الشرعي (١٥) قانون الصحة ومتعلقاتهُ

وقد تقرر اجتماع المؤتمر الطبي الدولي الرابع عشر في مدينة مدريد عاصمة اسبانيا سنة ١٩٠٣ افرنكية اي بعد ثلاث سنوات .

رواية تنكرد

للوزير الشهير اللورد بيكنسفيلد

الفصل الخامس

لما وقعت عين حواء على هذين الضيفين وعرفت من هما ابتعدت عن ابيها وعادت الى مكانها الاول فلم تسمع ما دار بينهُ وبينهما من الحديث . اما ابوها فرحَّب بتنكرد وقال لهُ اهلاً وسهلاً بضيفنا الكريم فقد اخبرني الامير فخر الدين انك لا تأنف من مشاركتنا في هذا العيد فدعوناك اليهِ فقال تنكرد اني اودُّ ان اغتنم كل فرصة لتقديم احترامي لكم وهذه خير الفرص واسرُّها لي . فقال بسو متى قدمت ايها الامير الى الشام

فاجاب تنكرد هذا الصباح اتيناها من حاصبيا .

ثم سأَلهُ عن حواء فامسك بيدهِ وسار بهِ الى حيث كانت . وكان الحضور قد عرفوا بقدوم الاميرين وسروا بذلك ولا سيما ابنتا لورلاً فانهما كانتا تودَّان ان تريا اميرًا من بيت شهاب وتحسبان رؤْية امير اوروبي مسيحي بارع في كل اساليب التمدن التي ربيتا عليها غاية في البهجة . فلما وقع نظرهما عليهِ ورأَتا ربطة عنقهِ البيضاء وحذاءهُ اللامع شعرتا كمن رأَى ينبوع ماء قراح في قفر قاحل

ونظرت حواء الى تنكرد وسعف النخل في يدها وقالت لهُ " هذا عيد من اعيادنا عيد المظال المشهور وقت الاحتفال بنتاج الكروم "

زالت كروم بني اسرائيل لكن الشريعة التي تفرض عليهم عيد الكروم لم تزل حيةً وهم لها خاضعون . شريعة لاتنقض وشعب لا يعرف الارتداد عن شريعتهِ وقد يسهل على الذين لم يزالوا في فلسطين والبلاد المجاورة لها ان يعيدوا هذا العيد ولو لم تبق لهم كروم فيها ولكن القاطنين منهم في مدن الشمال في شوارع علاها الدخان والقتام لا ترى الشمس الاَّ نادرًا ولا شمس فيها لانضاج الكروم لا يزالون مضطرين الى اقامة هذا العيد والقيام في المظال سبعة ايام كانهم في مدن المشرق وكان ما حولهم من الاشجار الغبياء نخيل وآس وصفصاف . فقدوا بلاد كنعان منذ ثلاثة آلاف عام ولا يزالون الى الآن يعيدون عيد فتحها واجتنائهم باكورة ثمارها ولو شطَّت بهم النوى الى اطراف بلاد السلاف والسكسون . شريعة ابدية واجبة الرعاية في كل زمان ومكان

مثّل لنفسك رجلاً وُلد في حيٍّ من احياء اليهود في مدينة همبرج او فرنكفورت او لندن

او غيرها من المدن الشمالية . ولد للاهانة والازدراء لا تعليم ولا تهذيب ولا شيء يحيي الاخلاق ويهذّب الاذواق لا يرى حولهُ الاّ المرابين او المتعاطين ادنى الحرف . رجلاً تكرهُ وتزدريهِ وتجنبهُ يأتي عيد المظال فتسعو نفسهُ ويتلئ فؤادهُ من امجد الآمال واسماها واسرها وابهاها الآمال التي اوقدت نار الذكاء في قرائح الشعراء وأرت النفوس بهاء الآلهة ينهض في الصباح ويمضي الى سوق الخضر ويبتاع اغصاناً من الصفصاف اوصي بها منذ ايام ويعود بها الى بيتهِ ويكنس ساحتهُ وينصب فيها خيمة يحففها بالازهار والاثمار ويضع فيها الآس والنارنج ويعلق المصابيح ويتمشى فيها مع زوجتهِ واولادهِ كانهُ في قرية من قرى الجليل . ولا يندر انهُ وهو يبارك الخبز حسب عادة اليهود ويكسرهُ ويفرقهُ على اولادهِ ويصلي على كاس الخمر كما فعل الملك الذي جاء من نسل داود منذ نحو الفي سنة وقت اكبر عيد من اعياد اليهود او وهو يشكر الله على تاج الكرمة الذي لم يعد يقطفهُ ولكنهُ موعود بقطفهِ يوماً ما ولا يخلف الله وعدهُ وزوجتهُ واولادهُ يشاركونهُ فالأمين اوصناً يمرُّ جماعة من الانكليز بقرب بيتهِ فيقول احدهم للآخر ما هذا الصوت وهذه الجلبة فيقول الآخر هذه جلبة هؤلاء اليهود الملاعين عندنا كثير منهم وهم الآن في عيد من اعيادهم القبيحة يجب على والي المدينة ان يمنع مثل هذه الضوضاء ولكن الحال الآن اصلح كثيراً مما كانت قبلاً فانهم كانوا يخطفون الاولاد ويصلبونهم . اما الآن فصاروا يكتفون باكل المقانق المصنوعة من لحم الخنزير . فيقول الاول اصبت والدنيا كلها سائرة نحو الاصلاح

هذا ولنعد الى بيت بسو فنقول انهُ لم يكد تنكرد يرى حواء حتى صدحت الموسيقى وتقدم بسو الى تنكرد والامير فخر الدين واشار اليهما ليتبعاهُ فتبعهُ الرجال اولاً وسار النساء وراءهم وخرجوا الى الحديقة المحدقة بالبيت وهي فسيحة جداً لا يرى لها آخر والبيت قائم في وسطها وهو طبقة واحدة لكنهُ كثير الارتفاع وامامهُ سلم مزدوج يصعد بهِ الى سطحهِ وطاف الجمع في الحديقة اولاً ثم عادوا الى السلم وصعدوا عليهِ الى السطح فرأوا انفسهم في جنة أُخرى يحيط بها الآس والياسمين في زواياها الاربع اروقة قائمة على اعمدة من المرمر نظمت حولها الازهار والرياحين وهي تطلُّ على احياء دمشق والبساتين المحدقة بها وما وراءها من الصحاري والجبال. وكان في وسط السطح خيمة غريبة الشكل طولها اربعون قدماً وعرضها عشرون قائمة على اثنتي عشرة نخلة تدلت القنوان منها واحاطت الرياحين بها وامتدت بينها اغصان تدلَّت منها قطوف الاثمار الشهية من العنب والليمون والرمان والتين والموز والبلح وبين النخل اشجار صغيرة من البرتقال دانية القطوف امتزج زهرها بثمرها وبين الاشجار ابواب قوائمها من ابهى الازهار

واطيبها ارجاً . وفي وسط الخيمة مائدة كبيرة عليها سماط من الدمقس حواشيهِ من الذهب ونوفهُ آثار الغنى والمجد صحاف من افخر انواع الخزف الفرنسي وكؤوس من الذهب الابريز منقوشة في بلاد الانكليز واباريق من البلور البوهيمي وسكاكين من افخر ما صنعهُ صنّاع شفيلد تبرق في المدينة التي تضرب الامثال بلمعان سيوفها . وحول المائدة ارائك من الدمقس الاصفر . هذه خيمة بسو اقامها للاحتفال باليوم السابع من عيد المظال

الفصل السادس

جلس تنكرد عن يمين بسو وجلس سائر الضيوف حولها ولما استقرّ بهم المجلس قال تنكرد لبسو كان يجب ان نلتقي في القدس ولكن قدّر ان اقوم بالشكر لك في دمشق

بسو — اخبرتني ابنتي انك لا تكره شعبنا ولهذا تجاسرت ودعوتك الينا

تنكرد — لا استطيع ان افهم كيف يكره النصارى شعباً تسلموا منهُ الكتاب المقدّس

بسو — ليس كل الناس مثلك ايها الامير الكريم يعترفون بالفضل لذويهِ

تنكرد — ولكن مَن هم الناس اهم سكان اوربا وهي غياض لا يزال اكثرها موحشاً ام سكان اسيا وهي خراب ودمار

بسو — ولكن سكك الحديد تقطع الاشجار من الغياض وتجعل الموحش آنساً

تنكرد — وما تفعل بالخراب

بسو — لا ينبي الله ارضهُ

تنكرد — اصبتَ والمُلك لله . من اسيا خرجت الشريعة ومنها يخرج الحق

وسمع القنصل لورلاً بعض ما دار من الحديث بين بسو وتنكرد وكان جالساً امامهما على المائدة فقال لتنكرد آه لو كانت بلادك تفهم المسألة الشرقية كما يجب وهي ابسط مما تظنون ولا بدّ لي من ان اراك قبلما تعود الى بلادك وابسط لك ما اعرفهُ من هذا القبيل . فاحنى تنكرد لهُ رأسهُ ولم يقل شيئاً . فالتفت هلال بسو الى القنصل وقال لهُ ان مسألتك الشرقية وهمٌ لا وجود لهُ الاَّ في المجالس السياسية . ما لهم وللشرق لا اظن انهم يفيدوننا شيئاً والراجح عندي انهم يضروننا بتعرّضهم لشؤوننا

والتفت فخر الدين الى مدام مراد فارحي وكانت جالسة بجانبهِ وقال لها ما احسن ان يكون الانسان بين اهلهِ واصدقائهِ فاني احسب بسو مثل ابي واعدّكم كلكم مثل اهلي ثم سألها عن زوجها وقال انهُ يحبهُ ويحترمهُ وطلب منها ان تخبرهُ بذلك

وقالت ترازه لورلاً لاختها (مشيرة الى تنكرد) ما اجمل هذا اللبس وهذه القامة فقد

تعبنا من رؤية القفاطين والعمائم . هذا هو اللبس الذي يليق بالرجال واما اللبس الذي نراهُ حولنا فمثل ثياب الممثلين في المراسح

وقال موسى لورلاً لاختها صوفيا انا احب الافرنج واودُّ ان يقتدي بهم اهالي بلادنا في امور كثيرة ولكن لا اظن ان لبسهم احسن من لبسنا . فاجابتهُ تريزا قائلة كيف تقابل لبسنا بلبس الافرنج يا عمي أعندنا شيء مثل هذه الربطة البيضاء وهل تقابل بوابيجنا ولو كانت مزركشة بالقصب باحذيتهم اللامعة . ثم التفتت الى اختها وقالت لها لا بدَّ من ان يكون هذا الامير قد سئم الاقامة في هذه البلاد . فاجابتها نعم فانهُ لا بالآت عندنا ولا مراسح للتمثيل ولا ادري ما حملهُ على المجيء الى هذه البلاد

تريزا — اظنهُ يحب واحدةً لانني اراهُ كاسف البال

صوفيا — كاسف البال لانهُ لا يرى احدًا يقدر ان يكلمهُ كلمة

تريزا — لا احد يستطيع الكلام معهُ الاَّ هلال بسو فانهُ رجل مفنَّع وقد تكلمت معهُ قبل العشاء فاخبرني انهُ قضى فصل الشتاء في بيزا ومضى الى كل البالات

القنصل لورلاً — ان اللورد بامرستون يعرف المسألة الشرقية الى حد محدود ولو كنت في خدمة الملكة لاخبرتهُ اموراً أُخزى عنها

فخر الدين — انا لا اطيق ان يذكر احد اسم بامرستون أليس في الدنيا وزير غيرهُ . وماذا يعرف عن المسألة الشرقية وهو لم يأتِ قط الى بلاد الشرق

القنصل — لا يخفى عليك ايها الامير ان الوزراء يعرفون كثيرًا عن المسائل الهامة مثل المسألة الشرقية ولكنهم لا يتذاكرون فيها الاَّ في مجالسهم الخاصة

فخر الدين — يمكنني ان احلَّ المسألة الشرقية في شبر من الزمان اذا اردت

فضحك القنصل لورلاً وقال " ولكن ما هي المسألة الشرقية "

وقال هلال بسو انا ارى انهُ الافضل لنا ان لا يحلَّ شيء بل تبقى الامور على حالها

فخر الدين — يراد بالمسألة الشرقية مَن يستولي على البحر المتوسط وهناك بلادان فقط تستطيعان ذلك سورية ومصر . اما الانكليز والروس والفرنسويون والنمسويون فكلهم غرباء عن هذه البلاد يأتون ويمضون . وسورية ومصر باقيتان في مكانهما

القنصل — ولكن مصر جرَّبت فما نجحت

فخر الدين — والآن دور سورية ولا بد من النجاح

فالتفت بسو الى تنكرد وقال لهُ هل تزور مصر بعد عودتك من الارض المقدسة

تنكرد — لست عازماً على العودة من هذه البلاد ولكنني اريد ان ازور مصر فانها بلاد حيّرتنا في اوربا وقد تغيرت كثيرًا منذ عهد قريب

فهزّ بسو رأسهُ وقال ان مصر لا تتغير ابدًا وهي الآن كما كانت في ايام الفراعنة في ادارتها واحكامها ووزيرها من اليهود

تنكرد — أفيها وزير يهودي

بسو — نعم وهو ارتبين بك الوزير الحالي وقد كان سفيرًا لمحمد علي في باريس وهو امهر رجال السياسة في بلاد المشرق واشدهم دهاء هذا الرجل خلف يوسف وهو من ذريتهِ

تنكرد — اذًا هو من جملة الوزراء الذين يعدّهم صاحبك الصيدوني من اليهود

بسو — نعم ولسنا غرباء عن حكومات العالم بل لنا نصيبنا منها

تنكرد — يظهر لي انكم تحكمون الدنيا كلها ما عدا بلادكم

بسو — وكان يمكننا ان نحكمها منذ سنتين ولكن ما لنا ولهذا الموضوع وهو ليس مما يهمك

تنكرد — مَن قال انهُ لا يهمني واي موضوع يهمني اكثر منهُ فان حكومة هذه البلاد همّت واحدًا من اسلافي منذ ستمئة سنة حتى استلّ سيفهُ واتاها

وكانت الكواكب تتلألأ فلا يرى بريقها بين مئات المصابيح المتألقة في الخيمة والاروقة التي حولها واتكأ الضيوف على البسط بعد الطعام وجعلوا يدخنون التنباك المطيَّب بالندّ والعود وتقدَّم القنصل لورلاً الى تنكرد وعرَّفهُ بابنتيهِ فجعلتا تكلمانهِ عن المراقص والمراسح لكي لا يحسب ان دمشق خالية من كل آثار التمدُّن وقبل ان يُحصر عن مجاراتهما في الحديث طُلب منهما ان يتحفا الجمع بشيءٍ من غنائهما فاعتذرتا اولاً بانهما لم تغنيا قط خارج البيت ثم اجابتا الطلب واغتنم تنكرد هذه الفرصة ودنا من حواء فرآها تتكلم مع اخت هلال ومدام نسيم فارحي فقال لمن ان ابنتي لورلاً على غاية من الظرف والتهذيب ولكنني افضل سماع التراتيل والتسابيح في دمشق على سماع الاغاني

حواء — وفي اوربا ايضًا افضل غنائكم متعلق بتاريخنا

تنكرد — نعم ولا شيء يُعبَّر بهِ عن تلك المواضيع السامية غير الشعر ولا قلم يصفها ما لم يؤيد بالالهام

مداموازل فارحي — عندنا صلاة اسمها صلاة موسى في مصر سمعتُ بنتي لورلاً تنشدانها مرةً ولا احلى منها

حواء — يا حبذا لو اتحفتانا بها ساقول لهلال لكي يطلب ذلك منهما . ثم اشارت اليهِ

فدنا منها ولما سمع ما قالت ضحك وقال انهما ستجمانا الآن بدور بديع من دون بأس كل . ولا بأس بالصلاة ولكن الغناء المعروف بالسريناد اليق بنا الآن

والتفتت حواء الى تنكرد بعد حين وقالت له كيف رأيت ابي فقال لها هو عين الرجل الذي وصفهُ لي الصيدوني يستحق ان يكون ابا لكِ بل ابا للناس كلهم

حواء — ودّ كثيراً ان يراك وقد سرّ برؤيتك سروراً عظيماً

تنكرد — كان يجب ان اتعرّف به قبل الآن وان امضي الى بيتكم حالما وصلت الى القدس واتعرّف بكم ولكن اللوم عليَّ لانني لم افعل ذلك

حواء — نشكر الله لاننا التقينا كلنا الآن ولانك سررت تعرفنا ولو قليلاً حتى اذا رجعت الى بلادك تستطيع ان تدافع عنا اذا اساء الناس ظنهم بنا واضطهدونا زاعمين اننا نصلب اولادهم في عيد الفصح كما فعلوا منذ سنين قليلة

تنكرد — لستُ عازماً على الرجوع الى بلادي واذا اضطهدوكم فارجو انني استطيع الدفاع عنكم ولو كنتُ هنا

جوٌّ صافٍ ونسيم بليل وازهار زاهرة وثياب فاخرة وجواهر متألقة ووجوه متأنقة وكل مجالي العظمة والجلال والتيه والدلال كل ذلك ادهش تنكرد فوقف مبهوتاً ثم التفت الى اخت هلال وقال لا ينقصنا لاتمام بهجة هذه الليلة الاَّ جمال اولادكِ فاين هم

قالت هم نيام ولم يفقدوا شيئاً لانهم يحلمون الآن بالاغاني والازهار كما كانت ملكة سبا تحلم بها

وقالت حواء يقال ان اولادنا يكونون في صغرهم من اجمل الناس ولكنهم متى كبروا فقدوا كثيراً من جمال الصبا لاننا نرسخ في اذهانهم انهم شعب مهان فتظلم عيونهم ويتعاضون عن البهجة والحبور بالهموم والغموم لعلمهم انهم مطرودون من بلادهم مشتتون في اقطار المسكونة مضطهدون من كل الشعوب ولكن لو رفعنا قلوبهم عن حطام هذه الدنيا وعلمناهم ان يحترموا انفسهم لبقيت وجوههم طالقة عليها سيماء البشر والسرور

خرج هذا الكلام الفريد بلى هذا الدر النضيد من فم زانهُ محياً كلهُ بشر وسهابة فنظر تنكرد اليها وقد جمعت افكارهُ حولها كل ما رآهُ منها من اول ساعة اكتحلت عينهُ بمرآها الى الآن في بيت عنيا وفي قفار بلاد العرب لما وقفت امامهُ تنظر اليهِ نظر الحنو والشفقة بعد ان شفتهُ بدوائها واعتنائها وكلمتهُ في اسمى المواضيع واقربها الى فؤادهِ . نظر اليها الآن فصعد الدم الى رأسهِ وحصر عن الكلام ولكنهُ تنهد من كبد حرّى

وحينئذٍ جاء هلال وفخر الدين وهما يكادان يرقصان طرباً ومدَّ هلال يدهُ الى حواء وقال اذا اردتنَّ ايتها السيدات ان ترينَ سلّة العرس التي وصلت الآن من مرسيليا فاتبعننا فقد اختارتها لي زوجة سفير النمسا المقيم الآن في باريس وما هو نفع السفراء اذا كانوا لا يقضون حوائجنا

وسار هلال مع حواء وتبعتهما الخالة ومدام نسيم وبقي تنكرد وفخر الدين وراءها فقال تنكرد مَن هذا الشاب . فاجابهُ فخر الدين هو خطيب حواء الذي سلبني اياها ولكني ارجو ان يتبناني ابوها بعد زواجها وانا ابنهُ على نوع ما لان زوجتهُ رضعتني وربتني . واذا لم يتبنَّني فلا اقلّ من ان يبقي ديوني . ولما قال ذلك سمعوا ضحكاً وقهقهة في الجانب الآخر من الخيمة فقال فخر الدين لتنكرد انظر كيف اجتمعوا حول سلة العرس حتى نسيم فارحي اجتمع معهم ولا بدَّ لي من ان اكلم هذا الرجل فانهُ ليس مثل اخيهِ مراد الذي لا يفرق عن الحجر ولا نقدر ان نقنعهُ بشيء ولا اتخذتَ زوجتهُ واسطة لاقناعهِ . تعال معي

تنكرد — اذهب وسأتبعك . قال تنكرد ذلك وخرج الى رواق من الاروقة القائمة فوق زوايا السطح ونظر الى ما حولهُ وكان القمر قد صعد من الافق واستطارت اشعتهُ على رؤوس المآذن وقباب الجوامع فشملت بعضها بوشاح من لجين وبقي البعض الآخر ملتحفاً بدياجير الدجى ووراء المدينة غوطة الشام باشجارها البواسق وقصورها الشواهق ووراء الكل بادية الشام منبسطة كمجهول اول وليس لهُ آخر

وقف تنكرد هناك وقد علت جبينهُ سحابة من كآبة فاستند الى عمود من اعمدة الرواق وتنفس الصعداء وهو يقول في نفسهِ اواهُ يا دمشق لو كنتُ مكانكِ ما تركت حلب تسلبني هذه الجوهرة ولكن لا بدَّ من انزع ذلك من قلبي لانني مخلوق لامور أُخرى

الفصل السابع

لما وصل باروني الى دمشق اغتسل وهذَّب حيتهُ واعتمَّ بعمامة بيضاء واستأجر حماراً وسار في اسواق المدينة من سوق الى آخر كأنهُ سائر في طريق بيتهِ . والاسواق ضيقة مزدحمة باقدام المارَّة ودكاكينها مشحونة بالبضائع الشرقية والغربية من الاسلحة والاقمشة الحريرية والقطنية من الهند ومنشستر عدا البضائع الشامية مختلفة . وما زال يسير الى ان بلغ سوق قليلة الازدحام عالية السقف وهي سوق العطَّارين حيث تباع العقاقير والطيوب والاصباغ وهناك رجل لابس ثوباً احمر عنابياً اطرافهُ مبطنة بفرو وعلى رأسهِ عامة قاتمة اللون وهو اقنى الانف ازرق العينين . فلمَّا وقعت عينهُ على باروني سلَّم عليهِ ورحَّب بهِ واجلسهُ معهُ وسألهُ عن

سلامتهِ وعمّا اذا كان قد عاد الى الشام منذ زمن طويل . فقال باروني كلاَّ وهل انت باقٍ هنا منذ افترقنا آخر مرة فقال كلاَّ ولكنني كنت اتردد على الشام . فقال باروني وكيف اصحابك في الجبال . فقال بين بين . فقال باروني اذًا الحال ليست على ما يرام . فقال وانتَ هل مضيت الى بلاد الافرنج . فقال باروني انا دائمًا في بلاد الافرنج وماذا تريد من ذلك فقال الرجل أَلاَ تعرف احدًا يشتري مني رزمة من اجود انواع السقمونيا[1] فقال باروني أليس فيها نشاولا مرٌّ . فقال الرجل اتظن انني يهودي . فقال باروني اني لا اعرف من اي امةٍ انت يا صاحبي دركوش اما من جهة السقمونيا فاظن انني اجد من يشتريها منك ويشتري ايضًا كل ما عندك من الكثيراء والعفص . فقال دركوش اما الكثيراء فلا احد في الشام عندهُ كثيراء نقية غيري واما العفص فكل احد يظن انهُ تاجر عفص ولكن هل عفصهم من حلب مثل عفصي

باروني — اصبت يا دركوش وانا اعلم انك لا تتكلم الاَّ الصدق ويمكنني ان اشير على كل احد أن يبتاع البضائع منك بضمير صالح وقد حلمتُ امس اننا سنتعامل معاملة ماليَّة اليوم

دركوش — وانفع الاصدقاء اذا كانوا لا ينفعون بعضهم بعضاً فقد قيل ان الصديق لوقت الضيق

باروني — لا فُضَّ فوك وانا الآن في اشد الضيق فاني مسافر مع امير انكليزي وقد اقسم ان يمحوا اثري ما لم اجد لهُ سبيلاً لزيارة بلاد النصيرية

دركوش — دعهُ يزرْ سليمان الحكيم في بلاد الجان قبلما يزور بلادنا

باروني — اظن انهُ يزورهُ ويزورها لانهُ رجل عنيد يفعل كل ما يريد ولكن لنرجع الى السقمونيا اظن ان اجود انواعها في بلادكم ويمكننا ان نستبضع منها قدر ما نريد ولكن اذا كانت زيارتها غير ممكنة فما في اليد حيلة

دركوش — غير ممكنة

باروني — لنرجع الى السقمونيا أَلاَ تتذكر سيدي القديم يادركوش

دركوش — نعم اتذكرهُ مع انني كثير النسيان

باروني — وهذا الامير الذي انا مسافر معهُ الآن هو صديق لسيدي القديم فاذا كنت تخدم هذا فكأنك خدمتَ ذاك

دركوش — من الامور ما يمكن ومنها ما لا يمكن

باروني — لنرجع الى السقمونيا ولكن لما كان سيدي ذاك عازمًا على زيارة بلادكم منذ

(١) السقمونيا نوع من النبات المقيّء

خمس عشرة سنة لم تكن تقول لا. ولولا الطاعون لزارها

دركوش — سبحان من يغيّر ولا يتغير

باروني — سبحانهُ على كل حال . فلنرجع الى السقمونيا ان النصيرية اصدقاء كثيرين في غير هذه البلاد فاذا لم تسمعوا لهم خسرتم كثيرًا ومهما يكن الحال فانا مضطر ان اسهّل لهُ هذه الزيارة ولو دفعتُ الف غرش والاَّ قطع رأسي

دركوش — امراء الافرنج لا يقطعون الرؤوس بل ينفون اعداءهم الى الجزائر التي تسكنها الشياطين

باروني — ولكن هذا الامير هو اخو ملكة الانكليز على ما يقال

دركوش — فاذًا انت من خدّام الملكة

باروني — نعم وانت ايضاً من خدّام ملكة على ما اسمع

دركوش — نعم وهذا هو السبب في امتناعي عن اعطائكم الجواز الذي لم امتنع عن اعطائهِ في عهد ابيها

باروني — وهل هي صارمة الى هذا الحد

دركوش — نعم ولا تريد ان ترى المسلمين ولا النصارى وهي الآن في حرب مع الاثنين وستبقى في حرب مدى العمر لان هذه الحرب لا يستطيع احد ان يزيل اسبابها

باروني — وما هي هذه الاسباب

دركوش — انما تعلّها في جبال النصيرية

فاخذ باروني يفكر في الامر ثم قال لهُ الآن فهمتُ ما لم افهمهُ قبلاً فان الامير الذي انا في خدمتهِ صديق لقومك و يعلم لماذا انتم في حرب مع المسلمين والنصارى وهو قليل الكلام غامض الافكار صعب المراس جدًّا لم اتجاسر ان اسألهُ لماذا يريد ان يزور بلادكم ولكن الآن فهمتُ مما سقط منك انهُ واحد منكم وقد جاء من بلاد بعيدة ليزور ابناء جنسهِ .وهو عظيم بين قومهِ ترى الدنانير في يدهِ كالماء ولا شبهة عندي في ان لهُ شأنًا كبيرًا مع ملكتكم ولكن اذا كانت زيارتهُ غير ممكنة فما في اليد حيلة فلنتركها ونرجع الى السقمونيا

فقال دركوش بصوت منخفض اتظن انهُ واحد منا . فقال باروني نعم هذا ظني .فقال دركوش لا سبيل الى الجواز ولكن اذا كان هذا الرجل واحدًا منا فلا بدَّ لي من ان اراهُ فاين يمكنني ان اقابلهُ

باروني — هذا كلام لا يمكنني ان اقولهُ لهُ . فقد اشرتُ اشارة خفيفة الى المجيء الى

هنا قطب جبينهُ وعبس كأَنهُ ابليس اللعين وكاد الشرر يتطاير من عينيهِ . ولكن اذا كانت زيارتهُ غير ممكنة فما في اليد حيلة ولا بدَّ لهُ من العودة الى بلادهِ من غير ان يرى ملكتكم مع انهُ قد يكون اخاها وسيبقى عمرهُ كلهُ كارهاً للمسلمين والنصارى ولكن لا بدَّ لهُ من ان ينفيني الى جزيرة تسكنها الابالسة

دركوش — لا بدَّ من اطلاع الملكة على هذه الامور كلها وانتظار اوامرها

باروني — انتظار اوامرها ماذا تعني يا رجل انت لاَ تعرف طبع سيدي فانهُ حمي من النار ولذلك قلت انهُ منكم فكيف يصبر حتى يمضي الرسول و يرجع مسافة ثلاث مئة ميل فضلاً عن التأخر الذي يتأَتى من تردُّد امرأَة وملكة

دركوش — غداً اخبرك باوامرها قبلما تغيب الشمس والآن هات اخبرني كم اقة تريد من السقمونيا

باروني — كل ما تقدر ان تبيعني اياهُ والثمن نقداً ادفعهُ لك غداً وابقِ البرش عندك الى ان ازور الشام مرةً اخرى

فوضع دركوش النارجيلة جانباً واخرج حمامة من جيبهِ واوقفها على يدهِ وقال لباروني غداً يأتينا الجواب من الملكة وسارسل اليك الجواب الى الخان عند غروب الشمس

القسم الخامس

الفصل الاول

فارسان في شعب بين الجبال لابسان لباس الاكراد مع كلٍّ منهما رمح طويل وسيف احدب وفي منطقتهِ فردان وامامهما سهل ضيق ووراءهما نجود فسيحة تصل الى جبال شاهقة. البلاد كلها موحشة لا انيس فيها غير الصخور السوداء والتلال الجدباء تطل عليها قنن شاهقة كلل الثلج هاماتها فزاد منظرها رهبةً ووقاراً . لكنَّ الموغل في هذه البلاد يرى فيها اودية كثيرة الجداول حولها الحدائق والبساتين وهي كثيرة الزرع والضرع حتى جوانب الجبال والآكام لا تخلو من اغراس الزيتون والعنب والتين وفيها القرى الكثيرة السكان وهم اهل زراعة يزرعون القطن ويحلجونهُ ويغزلونهُ وينسجونهُ و يصنعون ثيابهم منهُ و يصدرون من بلادهم كثيراً من الحبوب والصموغ والشمع والصوف . دار بين هذين الفارسين الحديث الآتي قال احدهما " رأيت نسرين على جبل كفلس هذا الصباح فما مفاد ذلك " فاجابهُ الآخر

" مفاده' الفوز لملكتنا فان كان هؤلاء الافرنج يدفعون الاموال الطائلة لمن يريهم بعض الاعمدة في برية تدمر فلا يبعد ان يعطونا مفاتيح خزائنهم اذا ادخلناهم بلاداً لم يدخلها احد قبلهم "

" ولكن يقال ان احدهما واحد منا "

" لم يقلْ احد قبل الآن انهُ يوجد احد منا في بلاد الافرنج لان الافرنج كلهم نصارى وكانوا متوحشين قبلما تنصروا "

" ولكن الوزير كفرنيس امر بان يحرَس هذان الرجلان كأنهما الملكة نفسها وقال ان احدهما امير افرنجي وانهُ واحد منا "

" عاش ابي مئة سنة وعشر سنوات وكان لهُ اربعة وعشرون ولداً ولما حضرتهُ الوفاة قال لنا شيئين الاول ان لا ننسى اصلنا والثاني انهُ لم يدخل بلادنا اجنبي في زمانهِ "

" هوذا النسران طائران فوق جبل كفلس فلا بد من ان يكون هذان الغريبان قد صارا قريبين منا "

" عسى ان لا يلحق بنا ضرر من زيارتهما "

" هل ترتاب فيهما "

" نعم وقد كنا وحدنا وخير لنا ان نبقى وحدنا "

" صدقتَ وقد ذهبتُ مرةً الى حلب ولا اريد الذهاب اليها مرةً اخرى "

لا شيء مثل الجبال جبال آبائنا واجدادنا وما فيها من الطيبات لا مثيل لها في اسواق حلب ولا في جنائن الشام

" نعم ولا مثل ملكتنا ولا شبيه لها الا . . . لكنني لا اسميهِ وانت تعرفهُ "

" نعم وعندنا اشياء لا تُعرَف في اسواق حلب ولا توجد في جنائن الشام "

وكانت الحمامة قد وصلت الى ملكة النصيرية ببطاقة من دركوش يقول لها فيها انهُ رأى اميرين احدهما من لبنان والآخر من بلاد الافرنج وهما يرغبان في دخول بلادها والمذاكرة معها في بعض المهام وانهُ يعتقد ان الافرنجي منهما واحد من النصيرية انفسهم. وفي مساء اليوم التالي عادت حمامة اخرى بجواب الملكة وهي تأمر دركوش ان يجيز لهما الدخول الى بلادها ومعهما اثنان من اتباعهما لا غير . فقاما من دمشق ومضى معهما باروني وسارا نحو جبال النصيرية وعرَّجا على حماه وحلب اولاً لان تنكرد كان يريد مشاهدتها قبل ان يضطر الى مغادرة البلاد . ثم سارا من حلب وعبرا نهر الكويك . وكان الجفاء مستحكماً بين والي حلب وملكة النصيرية لان الوالي طلب الجزية من بعض القرى التي يدَّعي النصيرية انها من قراهم وانها

داخلة في المهدة التي عفي النصيرية بموجبها من دفع الجزية للحكومة العثمانية لجعل النصيرية يشنون الغارة على مهول حلب واتحدوا مع الاكراد على مناوأة الاتراك لكن دركوش اعطى باروني رسالة الى عميل النصيرية في حلب وهو رجل داهية فسهّل لتنكرد ورفاقهِ الوصول الى جبال النصيرية فوصلوها سالمين بعد أن لقوا في طريقهم من المخاطر ما ايقظ نخوتهم وبسالتهم وزاد بهجتهم وطلاقتهم . وهذا شأن اولي الهمم والعزائم فان سيف العزيمة يصدأ ان لم يجرَّد من غمدهِ . وكان تنكرد وفخر الدين راكبين جوادين كريمين يخطران بهما تيهاً ودلالاً وقد لعبت برأسيهما نخوة الشباب فلما دخلا الشعب قال تنكرد ما احصن هذا الموقع فقال فخر الدين نعم ولا تدري ما وراءهُ . وكان الشعب قصيرًا فقطعاهُ سريعاً وبلغا نجداً تحدق بهِ الجبال الصخرية من كل ناحية وعلى واحد منها حصن كبير وكانت طريقهما توصل اليهِ كما قربا منهُ وجدا اكثرهُ منقورًا في الصخر حتى ابراجهُ ومتاريسهُ والطريق اليهِ متعرجة فوصلا اولاً الى باب كبير غلقاهُ من الحديد ففتح لهما ودخلا منهُ الى سرداب طويل مظلم لا يسع الاَّ فارسين يمران فيهِ وسار امامهما اناس بالمشاعل الى ان بلغا ساحة كبيرة مكشوفة تنصب عليها اشعة الشمس وحولها ابنية كثيرة مختلفة الاشكال والاقدار والمقابل منها للسرداب برج رفيع . وكان في الساحة قليل من الفرسان وكثير من الخدم والحشم فاقبلوا على تنكرد وفخر الدين وساعدوهما على الترجل . وداخل تنكرد بعض الشك ونظر الى فخر الدين فرآهُ مرتاباً مثلهُ لكنهما سلَّما امرهما الاقدار وسار بهما الخدم من غرفة الى اخرى ومن رواق الى آخر الى ان بلغا دارًا داخلية غرس فيها شجر السنط وادخلوهما مقصورة تطل عليها وقدَّموا لهما الشبقات والقهوة وبقي باروني مع الاتباع في الدار الخارجية . وجاءهما رجل طويل القامة نحيف الجسم يمشي الهوينا فدخل المقصورة وحياهما ورحَّب بهما وجلس معهما . وكانت لوائح العظمة والمهابة تلوح على وجههِ وتظهر من كلامهِ كأنهُ ربُّ المكان . فقال لهُ تنكرد " اظن انني انا والامير فخر الدين متشرفان الآن بالكلام مع الوزير كفرنيس " . فاحنى لهما رأسهُ وقال " عسى ان لا ينتظر امير انكلترا في هذه الجبال شيئاً من الملاذ التي يراها في بلادهِ حيث يكثر العبيد فيقضون الاعمال كلها على اتم المراد وهذا امر تمتازون بهِ علينا نحن سكان هذه الجبال ولا سيما بعد ان حُرِمنا من الموانئ البحرية ولم نعد نستطيع ابتياع العبيد من التركمان والاكراد . فقال فخر الدين " اظن ان الروس ناظروكم في ذلك وغلبوكم " . فقال كفرنيس لقد اصاب الامير في ما قال فان الروس ملأوا دورهم الآن بالعبيد والجواري من شمالي اسيا

تنكرد — يظهر ان الوزير كفرنيس سافر اسفارًا طويلة

كفرنيس — لقد اصاب الامير الانكليزي في ما قال فاني قد زرت كل مدن الشام ما عدا القدس التي لا اريد ان اراها ولا تصلح الاَّ ان تكون مزرباً للخنزير

فاضطرب تنكرد من هذا الكلام ولكنهُ ملك نفسهُ ولم يفه بكلمة

فخر الدين — وهل اتيتَ جبل لبنان

كفرنيس — نعم ايها الامير وكنت ضيفاً على الامير بشير وتذاكرنا في امور ذات شأن ولو تمَّ ما كنَّا ننوي بهِ ما كان الامير اسيرًا الآن في استانبول

فخر الدين — ولماذا لم يتم الاتفاق بينكم فانكم لو اتفقتم لملكتم اسيا كلها

كفرنيس — لقد اصاب الامير الكريم في ما قال فان قوة النصيرية عظيمة جدًّا

تنكرد — يقال ان عند ملكتكم خمسة وعشرين الف فارس فهل ذلك صحيح

كفرنيس — نعم خمسة وعشرون الف فارس وكل واحد منهم بمقام ثلاثة من الدروز او تسعة من الموارنة

فاستشاط فخر الدين غضباً من هذه المفاخرة وقال لهُ ان رجالكم لا يساوون قشرة بصلة ولكن دخل حينئذٍ اربعة عبيد واربع جواري ومعهم كؤُوس الشراب من عند الملكة فلم يسمع كفرنيس ما قالهُ فخر الدين وتقدم العبيد والجواري وقدموا كؤُوس الشراب وهو مبرَّد بالثلج ثم عادوا من حيث اتوا . وذُكرت الملكة فقال كفرنيس انها لا تراها ذلك اليوم وقد لا تراها في ذلك الاسبوع بل في الاسبوع التالي . فقال تنكرد أهي اول ملكة ملكت على النصيرية . فاجابهُ كفرنيس نعم هي اول ملكة بعد احتلالنا هذه الجبال . فقال فخر الدين واين كنتم قبل ذلك . فقال كفرنيس كنا في مدن لا يمكن ان ننساها ولذلك لا يمكننا ان نذكر اسماءها

وكان تنكرد وفخر الدين يودَّان ان يعرفا اسم الملكة ولكنهما لم يريا من الكياسة ان يسألا وزيرها عنهُ . وحاولا وهما آتيان الى جبال النصيرية ان يعرفا اخبارهم فكان كل احد يقصُّ عليهما من الاخبار ما يناقض ما قصهُ غيرهُ حتى تتعذَّر عليهما معرفة الحقيقة وقد كلَّمها الوزير كفرنيس كلاماً طويلاً ولكنهُ حشاهُ بالتجمُّل والتفخيم حتى لم يفهما شيئاً منهُ ولم يعرفا من امر النصيرية شيئاً

الفصل الثاني

" قومي نذهب من هنا يا شيرا فقد ضاق صدري واضطرب فؤادي "

" لا بأس عليكِ يا مولاتي فما هي الاَّ بغتة ثمَّ تمضي "

" بغتة اهكذا تكون البغتة اذًا لم أُبغت في حياتي "

" ويظهر لي انها انبغتت كما انبغتنا "

" اصمت يا شبرا ولا اضحك لئلا يسمعا صوتك "

" اتسمين هذا ضحكاً يا مولاتي اذاً لم اضحك في حياتي "

" عسى ان لا يريانا ولا يسمعانا "

كانت المتكلمة ملكة النصيرية نفسها وهي فتاة في الثامنة عشرة من عمرها اسيلة الخد واضحة الجبين سوداء الشعر بعينين مكحولتين كالبنفسج . وقد سدلت على وجهها نقاباً يحجبهُ عن الانظار . تكلمت بذلك وهي سائرة مع واحدة من جواريها بعد ان اطلتا على المقصورة التي فيها تنكرد وفخر الدين من حيث تريان ولا تُريان . واتفق ان فخر الدين نهض من مجلسهِ فذعرتا وهربتا وسارتا في رواق طويل يؤدي الى غرف كثيرة ومنها الى رواق آخر يطل على حديقة غناء زرع فيها الآس والياسمين فلما بلغتاهُ جلست الملكة على ديوان فيهِ وتنفست الصعداء وهي تقول لا بدَّ من انهم رأونا يا شبرا. فقالت شبرا كلاَّ مولاتي ولا يمكن ان يكون قد رآنا احد . فقالت الملكة ولكن لا بدَّ لهما من ان يريانا ولا ادري كيف اقابلهما اذا كان فؤادي يضطرب كذلك . فقالت شبرا دعيهما ينتظرا بضعة ايام حتى تألفي منظرها . فقالت لا يمكن ان آلف منظرها ولا يليق ان ندعهما ينتظران طويلاً . وقد كان عذرنا أمس انهما متعبان من وعثاء السفر ولكن اي عذر نجدهُ اليوم يا شبرا

شبرا — اذا كنتِ اليوم تعينين الوقت الذي تقابلينهم فيهِ فلا اظنهما يكونان غير راضيين

الملكة — ولكنني انا لا اكون راضية لانني لم اعُد استطيع صبرًا بل لا بدَّ لي من رؤيتهما

شبرا . اذاً مُري كنفريس باحضارهما

الملكة — اسمعي ما هذا الصوت

شبرا — هذا صوت الغزال في الحديقة فلا تجزعي

الملكة — يا حبذا لو كنتُ اياكِ ولكن هاتِ اخبريني مَن منهما تظنين انهُ منا

شبرا — كلاهما غاية في الجمال والظرف ولكن الاشقر منهما يشبهكِ يا مولاتي في ملامحهِ

الملكة — ولذلك تظنين انهُ هو الذي منا

شبرا — اود ان يكون كلاهما منا يا مولاتي

الملكة — ولكن ألا يخطر لكِ يا شبرا انكِ رأيتِ صورة هذا الشاب قبلاً . راجعي فكركِ

شبرا — بلى يا مولاتي

الملكة — مَن هو اذكري اسمهُ في اذني

فتقدمت شبرا الى مولاتها واسرّت في اذنها . فعلت وجه الملكة حمرة الخجل وتبسمت وقالت نعم فهو اذاً واحد منا

الفصل الثالث

بينا كان تنكرد وفخر الدين يفكّران في ما يفعلان مدة اسبوع الى ان تأذن لهما الملكة في مقابلتها اتاهما الوزير كفرنيس وقال لهما ان الملكة اذنت في ان يقابلاها ظهر اليوم التالي . وفي الوقت المعين جاء بهما ومعهُ بعض الحاشية وصعدوا بهما على سلّم رفيع وساروا في رواق من الخشب ثم نزلوا على سلّم آخر ودخلوا مقصورة كبيرة فلقيهم الغلمان ودخلوا بهما مقصورة أُخرى اكبر من الاولى انتظرا فيها مدة وجيزة ثم أُذن لهما في الدخول الى حضرة الملكة

وكانت جالسةً في ديوانها لابسةً حلة من الارجوان وشعرها الاسود الطويل مسدول على كتفيها وفوق جبينها اكليل من الذهب وكان عن يمينها وزيرها كفرنيس ورئيس الحرس الخاص ورجل آخر طويل اللحية ابيضها كانهُ كاهن عظيم الشان ووراءهم كثير من رجال الحاشية وعن يسارها ثلاث من جواريها ووراءهنّ كثيرات من الجواري الحسان ووراء الجميع جمهور من الرجال بالعمائم البيضاء والثياب السوداء

ولما مثل تنكرد وفخر الدين في حضرة الملكة خاطبهما الوزير كفرنيس قائلاً " ان جلالة الملكة العظيمة الشان تطلب من حضرة الزائرين الكريمين ان يجلسا في المجلسين المعدين لهما " وللحال اشير الى تنكرد فتقدم الى مجلس عن يمين الملكة مقابل لها وجلس فيهِ وتقدم فخر الدين الى مجلس آخر عن يسارها وجلس فيهِ وكان فخر الدين لابساً ثيابهُ الشامية المقصبة ومتقلداً اسلحتهُ المذهبة وتنكرد لابساً ثياباً اوربية مقصبة ايضاً وعلى رأسهِ الريشة الكبيرة التي يلبسها فرسان اليومنري

والتفتت الملكة الى تنكرد وقالت لهُ انت من امراء الانكليز فقال نعم انا من الانكليز ومن رعايا الملكة لاننا نحن خاضعون للملكة مثل جلالتك

ثم التفتت الى الامير فخر الدين وقالت ان آبائي وبيت شهاب كانوا دائماً اصدقاء فقال فخر الدين وعسى ان تدوم هذه الصداقة ابد الدهر لانهُ اذا اتفق الشهابيون والنصيرية صارت بلادنا جنة من الجنان

والتفتت الى تنكرد وقالت انتم تقضون جانباً من العمر في السفن . فقال نعم نحن نسكن جزيرة وحصر عن الكلام فقال الوزير ان الانكليز يقيمون في السفن ستة اشهر فقط من السنة

ولا سيما حينما يمضون الى الهند واما بقية شهور السنة فيقضونها في بيوتهم

فقالت الملكة اذًا انتم تمضون الى الهند في السفن . فاحنى تنكرد رأسهُ فقالت وهل ملكتكم من عمري . فقال كانت من عمر جلالتك لما ملكت. فقالت وكم مضى عليها مالكة . فقال سبع سنوات . فقالت وهل تسكن في قلعة فقال نعم ان جلالتها تقيم غالبًا في قلعة شهيرة . فقالت ولا بدَّ من ان تكون منيعة فقال نعم

والتفتت الى فخر الدين وقالت لا يزال الامير بشير في استانبول فقال اظنهُ الآن في بورصة . فقالت وهل هو مبسوط هناك . فقال ليس كما كان في استانبول. فقالت وهل استانبول اكبر المدن فقال لا اظن . فقالت اي مدينة اكبر منها . فقال مدينة لندرا اكبر منها وهي عاصمة الانكليز وتتلوها مدينة باريس عاصمة الفرنسويين . فقالت كم عدد سكان استانبول فقال خمس مئة الف

والتفتت الى تنكرد وقالت لهُ هل رأيت انطاكية فقال لم أرها حتى الآن . فقالت وهل رأيت بيروت . فقال نعم . فقالت ان انطاكية تظهر الآن اصغر من بيروت ولكنها كانت قديمًا اكبر من استانبول ولا يبعد انها كانت اكبر من عاصمتكم الآن . فقال نعم وكانت اجمل منها كثيرًا . فتنهدت وقالت اذًا انت عارف بهذه الامور فاخبرني لماذا لم تبقَ انطاكية كما كانت كبيرة مثل استانبول ولندرا واجمل منها كثيرًا . فقال هذه مسألة يحار في حلها الحكماء . فقالت انا لست من الحكماء ولكني اعرف حلها . فقال حبذا لو تكرمت جلالتك بحلها لنا . فقالت ما كل ما يُعلَم يُقال . ونظرت الى كفرنيس كأنها تطلب منهُ ان يصدق لكلامها فقال كفرنيس لقد اصابت جلالتها في ما قالت ونطقت بالحق والصواب

وصمتت الملكة مدة وجيزة ثم اشارت بيدها فخرج الجميع من المقصورة ولم يبقَ فيها غير الوزير وتنكرد وفخر الدين وكان الوزير واقفًا فامرتهُ بالجلوس فجلس امامها متربعًا . فنظرت الى الاميرين وقالت لهما اهلاً وسهلاً بكما ايها الاميران فقد دخلتما حصنًا لم يدخلهُ احد قبلكما من غير شعبنا لاننا قوم نحب الانفراد نحن لا نُرى ولا نرى ولا مطمع لنا في شيء وغاية ما نطلبهُ ان نبقى مستقلين ونعيش كما عاش آباؤنا من قبلنا . جبالنا وعرة قاحلة واوديتنا لا تنبت شيئًا الاَّ بعد التعب الشديد ولا ذهب عندنا ولا فضة ولا جواهر ولكن عندنا اشياء تعزينا وتسلينا وهي امور يشترك فيها كل واحد منا . ولما بعث الينا دركوش خادمنا الامين يقول ان اميرين من الامراء يرغبان في المجيء الينا والتكلم معنا في بعض المهام كان يعلم اننا لا نسمح بدخول احد بكمًا في امر الانكليز والمصريين والترك والافرنج لانهُ لا قيمة عندنا لشيء من

ذلك . ونحن النصيرية كنا قبل ان عُرف اسم الاتراك والافرنج في بلاد الشام وسنبقى كما نحن ولذلك اقول لكما صريحاً ان دركوش خادمنا الامين اخبرنا انكما لا تطلبان الكلام معنا في المهام السياسية ولا في الامور التجارية ونحوها من حطام الدنيا الفانية بل في امور اخرى اسمى منها بما لا يقدر فبعثنا اليهِ نسمح لكما بالمجيء الينا راجين ان لا تذكرا لنا شيئاً من امور السياسة والتجارة لانها محتقرة في اعيننا ولا قيمة عندنا الاَّ لكلام الحق

ولما اتمت كلامها نظرت الى كفرنيس فاحنى لها رأسهُ كأنهُ يؤَمن على كل كلمة قالتها ونظر فخر الدين الى تنكرد يطلب منهُ ان يجيبها على كلامها فتردَّد تنكرد عن الجواب اولاً ثم قال

يظهر لي ولصديقي امير لبنان اننا كنا نصغي الآن الى كلام كلهُ حكمة ونحن نعرف دركوش ولكن الذي اخبرهُ عنا اخبرهُ الصدق فصدق في ما بعث بهِ الى جلالتكِ وهو ان ليس لنا مقاصد سياسية ولا تجارية ولا نحن آتون الى هذه البلاد لمجرد رؤيتها كما يفعل اهل السياحة وانما لنا غرض في الدنيا ونحن نسعى وراءهُ فان العالم استنار من اسيا منذ اول وجودهِ ولا غرابة في ذلك لان الخالق سبحانهُ حلَّ فيها وكلم اهلها لكنها وا اسفاهُ قد ضعف يقينها الآن بتلك الحقائق السامية التي خضع لها نوع الانسان ولذلك نظن انهُ قد حان الوقت لتنهض من سباتها وتثبت سلطانها على المسكونة ونحن واثقون اننا نعلم ما نفعل بالارشاد الالهي ولكن لا بدَّ لنا من اختيار اصلح الناس لهذا العمل السموي وقد ظننا ان سورية وبلاد العرب البلادين اللتين حلَّ الله فيهما وكلم اهلهما من قديم الزمان تأخذان في هذا العمل المجيد وتقومان بهِ فان فيهما امتين لم تزالا على بساطة الفطرة اهالي القفر واهالي الجبال لم تخالطهم شرور الحضارة ولا افسدت عقولهم مفاسد المدن . في الامة الواحدة فرسان لا يشق لهم غبار وفي الثانية مشاة لا تضنيهم المشاق وذلك دليل على ان غلاَّب العالم يكونون من هاتين الامتين معاً . ونودُّ ان نغلب العالم وقوَّادنا الملائكة لكي يخضع الناس للسلطة الالهية فتستتبُّ لهم السعادة ويمحق الالحاد السيامي الذي خرب الدنيا "

وأصغت الملكة الى تنكرد وقد كاد الوجد يغلبها الى ان اتمَّ كلامهُ فاجابتهُ قائلة " وانا اعتقدُ مثلك بانهُ لا بدَّ من ان تسمو اسيا على غيرها روحياً لانها من حين انحطَّت عن مرتبتها لم تعُد الحياة نبيلة ولا جميلة كما كانت . وقد ثبت لي مما قلتهُ انكما اخطأتما بمجيئكما الى هنا ولكن من تعني بالله وانتَ تتكلم عن بلاد العرب " . فقال " اعني بهِ الاله الحي القيُّوم الذي كلم موسى عن جبل سينا في بلاد العرب وتعا آثام الناس على جبل الجلجلة في بلاد الشام "

فقالت وعندنا جبل آخر جبل اولمبس في بر الاناطول هناك اقامت الآلهة وقتاً ما . فقال

اولئك آلهة الشعراء . فقالت كلاَّ بل آلهة الشعب الذين احبوا الشعب واحبهم الشعب

وصمت الجميع برهةً ثم التفتت الى وزيرها وقالت لهُ ان افكار هذين الاميرين دينية طاهرة أفلا يجوز لنا ان نفتح لهما ابواب هيكلنا الجليل الطاهر . فقال بلى ايتها الملكة العظيمة يجوز لنا ان نفتح لهما ابواب هيكلنا . فقالت ليأتونا اذاً بالاكاليل والآن ستريان ايها الاميران ما لم يرَهُ اجنبي قبلكما وهذا ايضاً من اسيا وهو روحي الهي

ولما قالت ذلك نهضت فنهض الاميران وجاءت الجواري بالاكاليل ووضعنَ اكليلاً على رأسها واكاليل على رأس تنكرد وفخر الدين وكفرنيس وبعض الخواص ومشت شبرا ورفيقاتها اولاً ثم كفرنيس ورجل آخر ثم الملكة وتنكرد وفخر الدين عن يمينها وعن يسارها ووراءهم جمهور من الحاشية وساروا على هذا النمط الى ان وصلوا الى باب نحاسي قديم الصنعة فانفتح لهم واذا امامهُ سرداب طويل مثل السرداب الذي دخلوا منهُ الى الحصن . ووصلوا من السرداب الى ساحة كبيرة منقورة في الصخر تحيط بها صخور شاهقة من الجهات الاربع ومشوا في هذه الساحة الى ان وصلوا الى رواق قائم على اعمدة ايونية وسلَّم منقور في الصخر فصعدوا عليهِ واذا امامهم كهوف كبيرة هذَّبتها يد الصناعة فصارت منها مقاصير رحيبة ولما بلغوا اعلى السلم رفعت الملكة ومن معها الاكاليل الى السماء واشترك الجميع في الترنيم بصوت رخيم وكانهم كانوا يلفظون الفاظاً تخالف اللغات السورية المعروفة ثم ساروا في الرواق الذي فوق السلم فبلغوا بهواً كبيراً فيهِ من الصور والتماثيل ما يدهش العقول

. رأى تنكرد هناك التماثيل البديعة التي قرأَ عنها منذ طفوليتهِ في تواريخ اليونان والرومان رأى تمثال المشتري ولحيتهُ البيضاء منبسطة على صدرهِ وقصائب شعرهِ مسدولة على كتفيهِ وهو جالس على عرش من العاج ويمسك صاعقةً باحدى يديهِ وصولجاناً بالاخرى والنسر عند قدميهِ باسط جناحيهِ . وهناك تماثيل الاهات الجمال وعرائس البحر وكل ما تفننت في صنعهِ يد النقاشين والممثلين واخترعتهُ مخيلة العبَّاد والمتزهدين عباد الفضيلة والجمال . فلما امعن نظرهُ فيها صرخ قائلاً "آلهة اليونان" . فقالت الملكة آلهة النصيرية آلهة اجدادي . ثم قال تنكرد لقد ادهشتني ايتها الملكة حقاً ان في الدنيا غرائب عجائب لا ابدع من هذه المناظر ولا اجمل منها

الملكة — انت تعرف انها آلهة واما رفيقكَ فلا يعرف ذلك

فخر الدين — اني اشعر الآن كأنها آلهة

الملكة — كيف تعرف ايها الامير انها آلهة وقد ولدتَ في جزيرة بعيدة في اقصى بلاد الشمال

تكرد — لقد تعلمت ذلك منذ صغوليتي

الملكة — اذاً اصاب دركوش بقولهِ انك واحد منا . هذا كل ما بقي من انطاكية العظيمة من ابراجها الشاهقة وحراجها المقدسة وجمالها الباهر فانهُ لما ابطل الشعب تقديم الذبائح للآلهة اغتاظت الآلهة منهم وتركت الارض وبقيت بقية منهم على ولاء آلهتها فلجأت الى هذه الجبال وتماثيلها المقدسة معها وهي هنا الى الآن . هذه هي الاشياء التي تعزينا وتسلينا كما قلت لكما قبلاً . وقد فقدنا كل شيء سواها الغنى والمجد والعلوم والفنون زالت كلها من بلادنا ولا تكاد الارض تنبت ما يقوم بمعيشتنا . نلبس لبس الاكراد ولا نكاد نشبع الطعام مثلهم . ولكن اذا تركنا هذه الجبال وضربنا في السهول مثلهم فقدنا هذه الصور والتماثيل وخسرنا كل ما يرفع نفوسنا الى مصدر الخير والسعادة ويحيي فيها روح الامل باننا سنعود يوماً ما الى مجدنا السابق ويقيننا انهُ متى تمّ انحطاط اسيا ومُلئت كأس مصائبها واستوفت ما تستحقهُ من القصاص والنقمة يعود الناس الى هذه الآلهة التي جملت الارض واسعدتها . ولا بدّ من ان ترجع العباد ثانيةً وتعود الى الارض التي امست بدونها خراباً . ثم التفتت الى تكرد وقالت لهُ بصوت رخيم هلمّ معي ودخلت امامهُ الى غرفة فيها تمثالان صغيران قامتهما كقامة الانسان ووقفت امام واحد منهما وهو مصنوع من العاج والذهب وقالت لهُ أتعرف من هذا . فتفرّس فيهِ وقال هذا اله الشعر والنور ابلّوس فيبوس . فقالت هذا تمثال الهنا اله انطاكية اله الحراج المقدسة من يستطيع ان ينظر اليهِ ويرتاب في الوهيتهِ

فقال نعم هذا تمثال ابلو الذي كنت تُذبح لهُ الذبائح من الثيران وتسكب السكائب من الخمر والعسل وتقرّب القرابين من المرّ واللبان . فقالت نعم وانت عارف بذلك كلهِ . ثم قال ومن هذه . فقالت تمثال الهة السوريين تمثال الزهرة المجيدة المعروفة في بلادنا باسم استرتي (عشتروث) وباسمها سموني تبركاً (ستأتي البقية)

نظرٌ

في عناية الأعاجم باللسان العربي

لحضرة الاستاذ سعيد الشرتوني صاحب قاموس اقرب الموارد

هذا بحثٌ لا أتذكَّر أني رأيت احداً قد نحا نحوهُ او فتح بابهُ في الصحف السيَّارة والمجلاَّت الجوَّالة على ما لهُ من خطارة الشان وما وراءهُ للقارىء من الفائدة واللذَّة وما فيهِ

من زحزحة الستار عن حقيقة تاريخيَّة لغويَّة تخفى على معظم الناشئة فوجَّهت النظر صوبهُ فرأيت فاذا الأعاجم الأُلى خدموا هذا اللسان الشريف خدمة تضيق عنها وُسعى عبارات الشاكرين ويقصر عن وفاء حقها أبلغ كلام المقرّظين فريقان اقدمهما خدمةً وأعلاها صنعاً وأشرفهما يداً العجم المسلمون الذين ربوا في اللسان العربيّ من مثل سيبويه وابي عليّ الفارسيّ وابي اسحق الزجّاج من اهل النحو والازهريّ والجوهريّ من اهل اللغة الذين عنُوا بالتدوين والتأليف لما طرأ على اللغة الفساد كما سترى

واعلم ان الذي دفعهم الى بذل هذا الجهد وحملهم على هذا الصنع الحافظ لسلامة اللسان العربي يدَ الدهر انما هو الحرص على كتاب الديانة الاسلامية ان ينغلق على المفهوم. ومن هنا يعلم ان ليس في اللسان العربيّ من علم الأ وللقرآن فضل في استنباطهِ واجتلابهِ

والفريق الآخر الافرنج فهؤُلاء وان كانوا بعداء عن العرب وطناً ومنفصلين عنهم لغةً وليس الاسلام دينهم فقد قلّدوا جيد هذه اللغة بقلائد العوارف الغالية

على ان خدمتهم ليست من جنس خدمة اولئك والاختلاف بينهما بالغ حدّاً لا تصح عندهُ مفاضلة ولا موازنة فهذه الخدمة وان جلت لا تتعدّى أن تكون عملاً احتفاظيّاً كل فائدتهِ حفظ اجلّ ما في العربية من التصانيف وافضل ما فيها من التآليف التي أُسهرت في تسويدها النواظر وأُفنيت في انشائها جياد الخواطر وذلك بنشرها مطبوعةً مستوفيةً من التدقيق في التطبيق على الاصل جهد ما عندهم من الامكان فيتنزّل صنيع الافرنج من صنيع العجم في في هذا الباب منزلة القشر من اللباب فلوما القشر ما حُفظ اللباب ولوما الافرنج لفُقد كثير من نفائس المصنّفات ولأَصبح اللسان العربيّ من بعد تلك الثروة العلمية مُعدماً أولا ترى أت مخبوءة فيبعض الخزائن عرضةً لأن يلحسها العثّ . فأتاح الله لها هؤُلاء المتطالين للاطلاع على تواريخ الأمم وأخلاقهم وعاداتهم وعلومهم فوقوها عوادي الزمان ودواهي الحدثان

وأما اشتغال الافرنج بالعربية فقد ابتدأ في أوائل القرن السادس عشر للميلاد . وأوّل كتاب عربيّ طُبع في الديار الأُوربية لا يتقدّم تاريخ طبعهِ سنة ١٥١٤ . واعلم أن للأَحبار الرومانيين في ادخال العربية الى الديار الافرنجيَّة أو في تكثير سواد المُقبلين عليها من الافرنج يداً لا تنكر وذلك أن البابا غريغوريوس الثالث عشر أنشأ مدرسةً للموارنة في مدينة رومة سنة ١٥٨٤ للميلاد وقد خرج من تلك المدرسة خلقٌ كثير من اهل العلم وأرباب القلم فألفوا وترجموا وعلّموا في اوربا وفي هؤُلاء جبرائيل الصهيوني الإهدني الذي اقرأ العربية والسريانية في مدرسة باريز الملكية وطبع ثمة كتاب قواعد العربية سنة ١٦١٦ وفي رواية

سنة ١٦١٣ وكان هو احد العلماء الموارنة الثلاثة الذين مالأُوا ميخائيل لاجي الكاهن الفرنسوي على عمل البوليكوتا الباريزية (اي الكتاب المقدَّس بعدَّة لغات). وفيهم ايضاً نادرة الزمان الملقب بأمير العلماء يوسف سمعان السمعاني صاحب التآليف الممتعة الضخمة الذي عاد الى الشرق وضرب في آفاقهِ وأخذ من نفائس تصانيف علمائهِ ما أخذ ونشر بين ظهراني الافرنج تواريخ الأُمم الشرقية كافةً باللغة اللاتينية

وأن البابا غريغوريوس الخامس عشر احدث الجمعية المعروفة بمجمع نشر الايمان سنة ١٦٢٢ وانشأ لها البابا أوربانوس الثامن الذي جلس على الكرسي الروماني سنة ١٦٢٧ مدرسةً لتعليم اللغات الشرقية لمن يترشحون رعاةَ دينٍ في الاطراف المشرقية . وجعل فيها من المشارقة اساتذةً للعربية والسريانية . والراجح النازل منزلة اليقين أن اولئك الاساتذة لم يكونوا الاَّ من تلاميذ مدرسة الموارنة المشار اليها العارفين بهاتين اللغتين الشرقيتين وباللغة الطليانية المحتاج اليها وصلةً بين المعلم والتلميذ اذ لم يكن بين يدي الحبر المومإ اليهِ من المضطلعين بتأدية هذه الخدمة الاَّ تلاميذ مدرسة الموارنة . فذلك كلهُ قد استاق الافرنج للجدّ في تعلُّم العربية وغيرها من لغات الشرقيين فأقبلوا منذ حينئذٍ على درس العربية وكان هذا الشيء اوَّل الأمر حبة خردلٍ اخذ ينمو شيئاً فشيئاً ويتزايد عدد طلابها ويتمدَّد ظهراؤُها وأنصارها في تلك الأُمم الافرنجية وقد اشتهر فيهم جماعة من المحصلين من مثل ارپنوس الذي وضع كتاباً في صرف العربية ونحوها وطبعهُ سنة ١٦١٣ للميلاد بمدينة ليدن ولم يفتإِ الاشتغال متواصلاً حتى نفقت سوق العربية في أُوربا واستفحل امرها وصارت حبة الخردل شجرةً تستظلُّ طير السماء في اغصانها وذلك حين جاء سلفستر دي ساسي الفرنسوي وهو صاحب كتاب جليل في صرف العربية ونحوها طبعهُ في باريز اول مرَّة سنة ١٨١٠ فهذا آتاها من القوَّة ما لم تؤتهُ من قبل ورفعها الى رتبةٍ لم تكن مع تقدُّمها قد ترقَّت اليها . ثم جاء تلميذهُ فليشر الالماني وفريتغ الذي ترجم المعجم العربي باللاتينية وطبعهُ بمدينة هلي سنة ١٨٣٠ للميلاد . وكازيميرسكي الذي ترجمهُ بالفرنسوية واتمَّ طبعهُ سنة ١٨٦٠ للميلاد وقد قام بعدئذٍ في الممالك الاوربية خلقٌ من المغرمين بالعربية المنادين بعلمها أنهم من حماة ذمارها وأشدَّاء أنصارها . ووضعوا عدَّة تصانيف في صرف العربية ونحوها وجعلوا لها مدرّسين وسعوا في نشرها ونشر من كتبها وتحرَّوا الضبط والاتقان سنَّة العلماء في اعمالهم ولا يزال امر العربية عندهم يعظم سنةً فسنةً .

والحاصل من كل ما مرَّ أن القرآن هو الذي ساق العجم المسلمين لخدمة اللغة العربية . وأن حبَّ الاطلاع هو الذي بعث الافرنج على تجشُّم دراستها والضرب في الآفاق لاشتراء

كتبها وطبعها بعد تكرار المراجعة وإحكام المقابلة . ولتفصيل هذا الاجمال تأتي بفصلين نستطرد منهما الى خاتمة تناسب هذا البحث الجليل الفائدة

الفصل الاول

في أخصّ من خدم العربية من العجم

ان الذين استأثروا بالامامة في علم العربية وذهبوا بفضل السبق في التأليف هم العجم فقد أجمع المؤرخون من افاضل علماء المسلمين واكابرهم على أن هذا اللسان العربيّ قد استمرَّ مع كرور الدهور على صحة اوضاعهِ وفصاحة تراكيبهِ وبلاغة اساليبهِ بريئاً من آفة العُجْمة واللحن سليماً من الفساد من لدن جرت بهِ الالسنة الى ما قبل ظهور الاسلام بمدةٍ ثمَّ تزايد انتشار الفساد فيهِ وذلك أن العرب الخُلَّص كانوا الى ذلك اليوم بمعزل عن مخالطة المتعرّبين لاتقرع آذان صبيانهم الاَّ اللغة الفصحى فتنغرس الفصاحة بالسمع ملكةً في ألسنتهم. والسمع أبو الملكات اللسانية . فقد كان الصبيُّ في الحجاز يسمع اهل بلاده كلهم أجمع ينطقون بالفصيح فيقولون في هذهِ الالفاظ التي ينطق بها البيروتيون واهل بعض الجهات اللبنانية (إجَا وإجِتْ وكِيفْ ومِينْ وهيكْ) مثلاً (جاءَ وجاءت وكَيْفَ ومَنْ وهكذا) واما صور هذه الالفاظ من كسروان الى آخر شمالي لبنان فهي كما ترى (جَا وجَتْ ومَانْ وهَيْكذ) فلا ريب ان كلاً من الصبيان يأخذ لغة ابيهِ وعصرهِ وبلدهِ كما يأخذ دين والدهِ وعادات اهلهِ ووطنهِ . و يصير السمع على تلك الكيفية حائلاً يمنع اللسان عن الخروج بتلك الكلمات عن الصيغ التي تلقَّاها منذ حداثتهِ فما باحدٍ من صبيان الحجاز وبيروت وكسروان مثلاً حاجةٌ الى علم يستعين بهِ على اتباع لغة بلدهِ بل ذلك ملكةٌ ربي عليها كما هو مشاهدٌ لكل احدٍ وليس واحد منهم يطاوعهُ لسانهُ ان ينطق بتلك الكلمات بغير الصورة التي تعوَّدها الاَّ عند إرادة المحاكاة والتقليد .

ولما خرج العرب من الحجاز في طلب ما في أيدي الامم من الملك ودوَّخوهم ونزعوا الملك من ايديهم وتوالت لهم الفتوح ومصَّروا الإمصار ومدَّنوا المدائن وخالطت الأمة الغالبة الامم المغلوبة استشرى الفساد في العربية وكانت المخالطة مدبَّةً اليها فصار الصبيان يسمعون الفصيح والمستهجن واخذت الملكة اللسانية تضعف فيهم وخُشي أن يُغلَق دون أفهامهم باب القرآن والحديث فعندئذٍ استنبطت العلوم اللغوية وكان العجم هم المشتغلين بتدوينها وتقييدها وتهذيبها وتقريبها دون العرب . ولم تقف بهم تلك الهمة العالية عند علوم الادب بل سمت بهم الى ما هو اعلى وأبعد حتى نصبوا عَلَمَ اللسان العربيّ فوق كل علمٍ استنبطهُ بشرٌ وادارو سورهُ بكل فنٍ اخترعهُ انسان الى ذلك العهد بحيث أضحى الناطق بالضاد وما يحتاج في

الوصول الى علمٍ من العلوم الى ان يتكلف تعلُّم لغةٍ أعجمية

واذ علمت ان الفساد قد أصاب اللسان العربيّ قبل استنباط علومهِ التي أركانها اللغة والنحو والبيان والأدب صرتَ تتشوّف الى معرفة القبائل التي اتخذت لغتها قاعدةً يبنى عليها . فاعلم ان هذا الوباء اللغويّ كان عند استنباط النحو وجمع اللغة وتفسيرها قد وقف دون قيس وتميم وأسد ولم يصل الى هُذَيلٍ وبعض كنانة وبعض الطائيين فكانت عربيتهم حين ذلك على سلامتها فعنهم اكثر ما أُخذ ومعظمهُ . وعليهم اتكل في الغريب وفي الاعراب والتصريف . ولم يُؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم ولم يؤخذ عن حَضَريّ قطّ ولم يُؤخذ من لخم ولا من جذام لمجاورتهم اهل مصر والقبط ولا من قضاعة وغسَّان وإياد لمجاورتهم اهل الشام ولا من تغلب واليمن فانهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ولا من بكر لمجاورتهم للقبط والفرس ولا من عبد القيس وازد عمان لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس ولا من اهل اليمن لمخالطتهم الهند والحبشة ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم ولا من حاضرة الحجاز لأنّ الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت السنتهم . والذي نقل اللغة واللسان العربيّ عن هؤلاء وأثبتها في كتابٍ فصيرها علماً وصناعةً هم أهل البصرة والكوفة فقط من بين امصار العرب (عن المزهر ببعض حذفٍ)

قلت ومن لا يلتفت الى ان الأمية كانت يوم ذاك فاشية في العرب بل يقصر النظر على ما في اوضاع هذه اللغة من الشواهد الناطقة بما فُطروا عليهِ من الحذق والادلّة المصرِّحة بما رزقوهُ من ثقابة الفهم يتولاهُ العجب من اقبال العجم على خدمتها واعراض العرب عنها لكن من يعطف نظرهُ الى هذه الحيثية يظهر لهُ السببُ فيبطل عندهُ العجب

واما البحث في خصائصها التي اذا قُوبلت اللغات وعُورِضت محاسن الواحدة بمحاسن الاخرى فلا أقلّ من ان تكون بينها في الطبقة الاولى فمن اشرف المباحث النظرية لكنهُ بحث لا يوفيهِ حقهُ من اقامة الدليل الاّ مضطلعٌ منها ومن لغات شتى شرقية وغربية او لجنةٌ من العلماء الاذكياء كلٌّ منهم متبحر فيها وفي لغة من اللغات الاعجمية ولا يخفي ما وراء ذلك من سَبْر الطبائع وكشف الغرائز ولو كنت ممن يستطيعهُ خارجاً على مثل ما أشرت اليهِ لأقبلت عليهِ لفائدتهِ تلك وان كان ليس من مذهبي في اللغة الاّ الاشتغال بما يسهل سبيل القلم ويوفر دواعي البلاغة

ذلك ولنرجع الى سرد اسماء أخصّ اولئك العجم ذوي الهمم القعساء والبصائر المتألقة

الضياء الذين لولاهم لهُدِمت اركان العربية وضاعت اوضاعها وفسدت احكامها وتشوَّه جمالها وترامى الى النقص كالها مقتصرين على ذكر اعيان اهل النحو واللغة والبيان واما اهل الفقه والتفسير والعلوم العقلية فنعرض عن ذكرهم خوفَ التطويل

المؤلفون في النحو

أخص المؤلفين في النحو بين الاوائل والاواخر واعلام كعباً في هذه الصناعة في الغابر والحاضر ومُصنّفهُ بحر هذا العلم الزاخر رجلٌ فارسيٌّ يقال لهُ سيبويه نشأ في البصرة وأقام ببغداد وعاش اربعين سنةً . وُلد سنة ١٢١ هجرية وقُبض بقرية من قرى شيراز سنة ١٦١ هجرية

وأبو عليّ الفارسيّ ألف كتباً مختصرة للمتعلمين اقتصَّ فيها اثر سيبويه امام النحاة ومن كتبهِ في النحو (الايضاح والتكملة) ألفهُ لعضد الدولة وهو من معاصري المتنبي وجرت بينهما مجالس ايام اقامتهِ عند سيف الدولة بحلب

وابو اسحق الزجاج صنف في النحو عدَّة مختصرات نهج فيها منهج الامام . وكانت ولادتهُ سنة ٢٣٠ هجرية ووفاتهُ سنة ٣١١ هجرية

والسيرافيُّ وهو مولود في سيراف سنة ٢٨٤ هـ لهُ شرح جيد على كتاب سيبويه

والزمخشريّ مؤلف المفصل والأنموذج في النحو وُلد بزمخشر قريةٍ بخوارزم سنة ٤٦٧ هـ وقُبض بجرجانية خوارزم سنة ٥٣٨ هـ فرثاهُ بعضهم بابيات منها

فأرضُ مكةَ تذري الدمعَ مُقلتُها حزناً لفرقة جار الله محمودِ

وابن الحاجب وهو ابو عمرو عثمان كرديٌّ كان ابوهُ حاجب الامير عزّ الدين الصلاحي توفي في الاسكندرية سنة ٦٤٦ هـ ألف في النحو الكافية وصنف في الصرف الشافية وشرحهما

والرضي الاستراباديّ المتوفى سنة ٦٨٦ هـ شرح الكافية شرحاً مطولاً

اخصُّ المؤلفين في اللغة

الخليل بن احمد الفراهيدي البصريّ الازديّ هذا اول من جمع اللغة في كتاب سماهُ كتاب العين ولد سنة ١٠٠ هـ وتوفي سنة ١٧٤ هـ وهو فيما ارى عجميٌّ في مرباهُ عربيٌّ في نسبهِ وحملة العلم في الاسلام اكثرهم العجم الاَّ في القليل النادر وان كان منهم العربيّ في نسبتهِ فهو عجميٌّ في لغتهِ ومرباهُ ومشيختهِ كما جاء في مقدمة ابن خلدون . وكتاب العين فُقد قبل ان تبلُغ بهِ ايدي الافرنج فتحفظهُ من آفات الدهر

والازهريّ المتوفى سنة ٣٧٠ هـ بمدينة هراة هو صاحب التهذيب الذي ادخلهُ ابن

منظور فيما ادخل من المعجمات التي جعلها قوام تأليفهِ الكبير المسمى لسان العرب

والصاحب بن عباد وهو مؤلف المحيط في اللغة وُلد في اصطخر سنة ٣٢٤ هـ وتوفي في الري سنة ٣٨٥ هـ ومن صفات محيطهِ انهُ غزير المواد قليل الشواهد

والجوهريّ وهو ابو النصر اسماعيل بن حماد من مدينة فاراب من عشيرة تركية ساح رغبة في العربية وهياماً بمحاسن اوضاعها بين البدو في جزيرة العرب وشافههم ووقف على لغتهم ثم عاد الى وطنهِ ووضع كتاب الصحاح وقال خذوا لغتكم من رجلٍ اعجميّ وكانت وفاتهُ سنة ٣٩٣ هـ وقد قيل في صحاحهِ

من قال قد بطلت صحاحُ الجوهري لمَّا اتى القاموسُ فهو المفتري
قلتُ اسمهُ القاموس وهو البحر إن يفخر فمعظمُ فخرهِ بالجوهرِ

وابن فارس بن زكريا الرازي صاحب المجمل في اللغة وُلد سنة ٣٢٩ هـ وتوفي سنة ٣٩٠ هـ وكان مقيماً بهمذان . وعليهِ اشتغل بديع الزمان

والثعالبيُّ النيسابوري وُلد في نيسابور سنة ٣٥٠ هـ وتوفي سنة ٤٢٩ هـ ولهُ كتاب فقه اللغة وهو متداول لوقتنا بين طلبة العلم والخاصة من اهل البلاد

والزمخشري وهو من أشهر كتَّاب العربية ولهُ الطبقة العالية بين أئمتها في التحقيق وجودة التأليف واناقة الترصيف وضع في متن اللغة الاساس وهو انفع المعجمات للمنشيء بحيث أكثر فيهِ من الامثلة المبينة لوجوه الاستعمال وقد مرَّ ذكرهُ بين مؤلفي النحو

والفيروزابادي وهو اشهر من ان يعرَّف ولد سنة ٧٣٠ هـ في فارسين وهي كازرون قرب شيراز وتوفي سنة ٨٢٠ هـ لهُ في اللغة القاموس المحيط والقابوس الوسيط واسم الفيروزابادي في بلاد الشام مرادف لاسم القاموس عند علماء العربية وقد شاع على الالسنة في بلادنا اسم هذا الكتاب حتى صار اسماً لكل معجم من معجمات اللغة يقال هذا قاموس فلان وهذا قاموس فلان وقواميس اللغة كثيرة ومما امتاز بهِ هذا الكتاب الضبط بالنص والمثال وهو في تقويم النطق امرٌ جليل ذو بال

المؤلفون في البيان

ابو يعقوب يوسف السكاكي المتوفى بخوارزم سنة ٦٢٦ هـ هو الذي لخص زبدة البيان وهذَّب مسائلهُ ورتب ابوابهُ وألَّف كتابهُ المفتوح في النحو والتصريف والبيان فجعل هذا الفن من بعض أجزائهِ

وجلال الدين محمود القزويني المتوفى سنة ٧٣٩ اختصر جزء البيان من كتاب المفتاح وسمي مختصره تلخيص المفتاح

والتفتازاني المتوفى سنة ٧٩٢ هـ لهُ شرح التلخيص

والسيد الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ هـ لهُ حواشي على شرح التفتازاني

هذا وتفادياً من الاطالة نأْثر ما قالهُ المؤرخ الفيلسوف والكاتب الموصوف العلاَّمة ابن خلدون الحضرمي في مقدمتهِ المشهورة فقد أُجمل هذا البحث واتى على اطرافهِ مع البيان الكافي والتعليل الوافي قال " فصارت العلوم حضرية وبعد عنها العرب وعن سوقها والحضر لذلك العهد هم العجم اومن في معناهم من الموالي واهل الحواضر الذين هم يومئذٍ تبعٌ للعجم في الحضارة واحوالها من الصنائع والحرف لانهم اقوم على ذلك للحضارة الراسخة فيهم منذ دولة الفرس" الى ان يقول " وكذا حملة الحديث الذين حفظوهُ عن اهل الاسلام اكثرهم عجم او مستعجمون باللغة والمربى. وكان علماء اصول الفقه كلهم عجماً كما يعرف وكذا حملة علم الكلام وكذا اكثر المفسرين ولم يقم بحفظ العلم وتدوينهِ الاَّ الاعاجم وظهر مصداق قولهِ صلى الله عليهِ وسلم لو تعلق العلم باكناف السماء لنالهُ قوم من فارس . واما العرب الذين ادركوا هذه الحضارة وسوقها وخرجوا اليها عن البداوة فشغلتهم الرئاسة في الدولة العباسية وما دفعوا اليهِ من القيام بالملك عن القيام بالعلم والنظر فيهِ فانهم كانوا اهل الدولة وحاميتها واولي سياستها مع ما يلحقهم من الانفة عن انتحال العلم حينئذٍ بما صار من جملة الصنائع والرؤساء ابداً يستنكفون عن الصنائع والمهن وما يجرُّ اليها ودفعوا ذلك الى من قام بهِ من العجم والمولدين " الى ان يقول " واما العلوم العقلية ايضاً فلم تظهر في الملة الاَّ بعد ان تميز حملة العلم ومؤلفوهُ واستقرَّ العلم كلهُ صناعةً فاختصت بالعجم وتركتها العرب وانصرفوا عن انتحالها فلم يحملها الاَّ المعربون من العجم شأن الصنائع كما قلناهُ اولاً فلم يزل ذلك في الامصار ما دامت الحضارة في العجم. وبلادهم من العراق وخراسان وما وراء النهر . ولما خربت تلك الامصار وذهبت منها الحضارة التي هي سرُّ الله في حصول العلم والصنائع ذهب العلم من العجم جملةً لما شملهم من البداوة واختصَّ العلم بالامصار الموفورة الحضارة ولا أوفر اليوم في الحضارة من مصر فهي أمُّ العالم وايوان الاسلام وينبوع العلم والصنائع . وبقي بعض الحضارة فيما وراء النهر لما هناك من الحضارة بالدولة التي فيها . فلهم بذلك حصةٌ من العلوم والصنائع لا تُنكر وقد دلنا على ذلك كلام بعض علمائهم في تآليف وصلت الينا الى هذه البلاد وهو سعد الدين التفتازاني . واما غيرهُ من العجم فلم نرَ لهم من بعد الإمام ابن الخطيب ونصير الدين الطوسي كلاماً يعوَّل على نهايتهِ في الإصابة "

قلت ليت شعري ما كان يقول هذا المؤرخ الفيلسوف في مصر لو قدمها في مثل هذا العهد وفيها المطابع التي اخصّها مطبعة بولاق الشهيرة مطلع انوار العلوم اللسانيّة والشرعيّة والتاريخيّة والرياضية والطبية وقد بلغ ما طُبع فيها من نفائس المصنَّفات العربية مائةً وستين مصنفاً وبلغ ما طبع في سائر مطابع القاهرة من تلك الكتب القديمة مائتين وواحداً وعشرين كتاباً على ان بعض ما طُبع في بولاق قد تكرَّر طبعهُ في بعض مطابع القاهرة وذلك من لدن أُنشئت تلك المطابع الى سنة ١٨٩٧ م

بل ليت شعري الى ايّما حدٍّ كان يبلغ في تقريظها لو وطىء أرضها اليوم ورأى ما حدث فيها من المدارس ولا سيما المدرسة الطبية المعروفة بمدرسة القصر العيني التي أحيت الطبّ والحساب والجبر والهندسة والمساحة وعلم النبات والصيدليّة وعلم الفلك وملأَ اساتذتها الارض كتباً في تلك العلوم الجزيلة الفوائد الملازمة لاتساع العمران وانبساط الحضارة ثم رأى ما يُنشَر فيها من الجرائد الموزَّعة الجوائب في الارجاء والمجلاَّت العلمية المرسلة من سواد سطورها الضياء وماذا كان يقول في بعض الجرائد والمجلاَّت التي بلغت من تحرّي الصواب والحرص على صحة الآداب وتوفير الفوائد وتخيُّر المباحث ما جعل اقوالها كالاحكام المبرمة متانةً والانهار المتدفقة فائدةً

الفصل الثاني

في خدمة الافرنج العربية

قد تقدَّم لنا كلام مجملٌ في هذا الشأن وقبل ان نأتي بتفصيلهِ يقضي علينا اشباع البيان ان نذكر داعية هذه الخدمة فنقول

ما ضربت الحضارة اطنابها في أُمة الأُمم حتى همّ علماؤها الى الوقوف على ما عند سائر الأُمم من العلوم والصنائع واشتدَّت رغبتهم في كشف الغطاء عن تواريخهم واستطلاع احوالهم في مبادئهم ومصايرهم وتقلّب الدهر عليهم عابساً وضاحكاً ولو كانت آجال مجدهم قد انقضت بل ولو كانوا هم قد انقرضوا وبادوا واصبحوا وليس لهم من الوجود الاَّ قدر ما أَبقت لهم أقلام المؤرخين من الذكر اذ لا يخفى على عاقلٍ ما غبَّ ذلك الاطلاع من الفوائد التي ترخص في جنبها قلائد الدرّ والياقوت . وما ينقع للراغبين غليلاً ولا يبرّد لهم شوقاً كمعرفة لغات تلك الأُمم وقراءة كتبهم وهذا هو الذي بعث الافرنج للاقبال على العربية والتجوُّل في الآفاق لجمع كتبها وطبعها وبذل الكلف الطائلة في اظهار تلك الكنوز المدفونة وهنذا اذكر لك بعض ما طبعوا من كتب النحو واللغة ودواوين الشعر وكتب الدين والفقه والطبّ والجبر

والهندسة والجغرافية لتعلم ان تلك التآليف التي نفضت الايام على الشرقيين ان يحرموا الانتفاع بها مع انها من ثمرات رياضهم وغلاّت ضياعهم وقد حُفظت في لغتهم حفظ الدرّ في صدفهِ قد بعث الله لها من يقيها الهلاك وينشرها في الآفاق فلوانها واليك من ذوات الحسّ والنطق لذاقت لذّةَ اطلاق السبيل بعد الحبس الطويل بل لذاقت حلاوة النجاة بعد مشارفة البوار

مطبوعات نحوية

من مطبوعات النحو كتاب سيبويهِ طبعهُ في باريز سنة ١٨٨٩ م الفاضل درانبورغ وبذل ما في طوقهِ في معارضة هذه النسخة بخمس نسخ مخطوطة واحدة في فيانَّا وواحدة في بطرسبورج وواحدة في باريز وواحدة في اكسفورد وواحدة في الاسكوريال باسبانيا فجاءت الطبعة على ما يرام من الاتقان والضبط ونظافة الطبع حتى كانما راعى في ذلك كلهِ قدر الكتاب والمدينة التي طبع فيها ومقام طابعهِ. وقد طبعت الكتاب ايضاً جريدة الجمعية الشرقية الالمانية

والمفصل للزمخشريّ في صناعة الاعراب طبعهُ في كريستيانا سنة ١٨٥٩ وسنة ١٨٨٩م الفاضل بروخ والانموذج في النحو للزمخشري طُبع في كريستيانا سنة ١٨٥٩ م

وشرح ابن يعيش الحلبيّ المعروف بابن الصائغ على مفصل الزمخشريّ طبعهُ في ليبسك سنة ١٨٨٦ م الفاضل ياهل ولم يألُ جهداً في تطبيقهِ على الاصل . وتوفيّ ابن يعيش هذا سنة ٦٤٣ ه وألفية ابن مالك المتوفى في دمشق سنة ٦٧٢ ه المولود في جيّان الحرير من اعمال الأندلس سنة ٦٠٠ ه طبعها في باريز الفاضل سلفستر دي ساسي سنة ١٨٣٣ م الى كتب أُخرى كثيرة نضرب عن ذكرها اختصاراً

مطبوعات لغوية

من مطبوعات كتب اللغة مثلّثات قطرب المتوفى سنة ٢٠٩ ه طبعها في ماربورغ الفاضل فلار وكتاب الفروق للاصمعيّ المتوفى سنة ٢١٦ ه طبع في قاعدة مملكة النمسا فيانَّا سنة ١٨٧٦ م وضمّ اليهِ فهرس على ترتيب حروف المعجم

وكتاب الأضداد لأبي بكر محمد بن الأنباري المتوفى ببغداد سنة ٣٢٨ ه طُبع في ليدن سنة ١٨٨١ م

مطبوعات من دواوين الشعر العربي

من الكتب الشعرية المطبوعة في بلاد الافرنج شرح الحماسة مع فهرست على ترتيب حروف الهجاء للاعلام وسائر الألفاظ طبعهُ الفاضل فريتغ صاحب المعجم العربي اللاتيني المشهور في مدينة بون مرتين سنة ١٨٤٧ و ١٨٥١ م

والمعلّقات السبع . طبعها في ليبك الفاضل ارنولد سنة ١٨٥٠ م وافرغ كنانة الجهد في تطبيقها على الاصل ثم طبعها الفاضل آبل في برلين سنة ١٨٩١ م

وديوان لبيد . طُبع في مدينة فيانّا سنة ١٨٨٠ م . وطُبعت معلَّقتهُ مع شرح الزوزنيّ في مدينة برسلاو سنة ١٨٢٨ م

وديوان عنترة . طبعهُ الفاضل آهلوارت في لندن سنة ١٨٧٠ م

ومعلَّقتهُ . طُبعت في ليدن مع شرح الزوزني لها سنة ١٨١٦ م

وديوان طرفة ابن العبد. طبع سنة ١٨٦٩ في مدينة غريفا سوالد

ومعلَّقتهُ . طُبعت سنة ١٨٢٩ م في مدينة بون مع شرح عليها للزوزنيّ

وديوان زُهَير. طبع في ليدن سنة ١٨٨٩ . ومعلَّقتهُ وهذه طُبعت سنة ١٧٩٢ في ليبسك مذيلة بشروح وضمّ اليها ترجمتها باللاتينية

وديوان امرىء القيس طُبع سنة ١٨٣٧ م في مدينة باريس مشروحاً وملحقةً بهِ ترجمتهُ بالفرنسوية

وديوان النابغة الذبياني طبعهُ في باريز سنة ١٨٦٩ م الفاضل درانبورغ ومعلَّقة عمرو بن كلثوم طبعها في مدينة يانا سنة ١٨١٩ م الفاضل كوزغارتن

ومنها ديوان الشعراء الهذَليين وقد طبعهُ سنة ١٨٥٤ الفاضل كورغارتن في مدينة لندن

وديوان عروة بن الورد وقد طبعهُ سنة ١٨٦٣ الفاضل نولدكي في مدينة غوتنغن

الى دواوين وقصائد مشهورة وفي اطايب الشعر معدودة نعرض عن ذكرها اختصاراً

مطبوعاتٌ دينية وفقهية

من هذه المطبوعات القرآن فقد طبع طبعات كثيرة اولها في هامبورغ سنة ١٦٤٩ م وطُبع في ليبسك ثلاث مرّات ما بين سنة ١٨٣٤ وسنة ١٨٧٠ م وقد ضُمَّ اليهِ فهرست مرتب على حروف المعجم يُقال لهُ نجوم الفرقان

والكشَّاف عن حقائق التنزيل للزمخشري طبعهُ الفاضل لي الانكليزي في كلكته سنة ١٢٨١ هـ قبل ان يُطبع في بولاق بخمس سنين

وانوار التنزيل واسرار التأويل البيضاويّ طبعهُ الفاضل فليشر الألماني في ليبسك سنة ١٨٤٨ م وقد خدم هذا التفسير بفهارس مستوفية تجعل فوائدهُ للمطالع على طرف التمام الفاضل فل الالماني وطبعها في ليبسك

والمختصر في الفقه لأبي الضياء خليل بن اسحق المالكي المتوفى سنة ٧٦٧ هـ . طبع في باريز اربع طبعات افضلهن الاخيرة

وكتاب المنقذ في التوحيد للغزالي طبعهُ في باريز الفاضل شمولدرس سنة ١٨٤٢ م

والأحكام السلطانية والولايات الدينية . طبع في بون سنة ١٨٥٣ م

مطبوعات من كتب الطب والجبر والهندسة والجغرافية والفلاحة

من تلك المطبوعات القانون لابن سينا طُبع مع كتاب النجاة لهُ في رومة سنة ١٥٩٣

وتذكرة الكحالين وهو مختصرٌ في علاج امراض العين . طُبع سنة ١٨٤٥ في مدينة درسدن على يد الفاضل هل . وطبعت معهُ ترجمتهُ باللاتينية

وكتاب الفلاحة لابن العوّام الاندلسي الاشبيلي من اهل المائة السادسة للهجرة طبعهُ في مادريد سنة ١٨٠٢ م الفاضل بنكويري

وكتاب في الجبر لأبي عبد الله محمد بن موسى بن شاكر طبعهُ في لندن سنة ١٨٣١ الفاضل روزن . وكتابٌ آخر في الجبر لعمر بن ابرهيم الخيّالي النيسابوري طبعهُ في باريز سنة ١٨٥١ م الفاضل ووبكه

وتحرير اصول اقليدس . وهو تعريب هندسة اقليدس لنصير الدين الطوسي المتوفى ببغداد سنة ٦٧٢ هـ طُبع في رومة سنة ١٥٩٤ م وطبع في لندن سنة ١٦٥٧ م

والمسالك والممالك لابن خردازبه المتوفى سنة ٣٠٠ هـ طُبع في ليدن سنة ١٨٨٩ في المجموعة المسماة الجغرافيةَ العربية

ومعجم البلدان لياقوت الرومي الجنس الحموي المولد البغدادي الدار المتوفى سنة ٦٢٧ م على مقربة من حلب اعظم كتاب في الجغرافية عند العرب طبعهُ الفاضل ووستنفلد الألماني سنة ١٨٧٣ في ليبسك

والمشترك وضعاً والمفترق صقعاً لياقوت ايضاً طبعهُ الفاضل ووستنفلد المشار اليهِ في مدينة غوتنغن

والمسالك والممالك والمفاوز والمهالك لابن حوقل الرحّالة الشهير طُبعت منهُ عدَّة أجزاء في ليدن وبون سنة ١٨٧١ م

وأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي طُبع في ليدن في جملة المجموعة المسمّاة المكتبة الجغرافية

وعجائب الهند البيروني الخوارزمي الحكيم المشهور المتوفى سنة ١٣٠٨ م طبعهُ الفاضل ساخاو الألماني في لندن سنة ١٨٨٨ م

وكتاب الجبال والأمكنة والمياه للزمخشري طُبع في ليدن سنة ١٨٥٦ م
وكتاب الشريف الادرسي في وصف افريقية واسبانيا طبعهُ الفاضلان دوزي ودي جويه في ليدن مع ترجمة فرنسوية وشروح سنة ١٨٦٦ . الى غير ذلك من الكتب النفيسة مما لا يسمح الغرض من هذه المقالة باثبات اسمائها فنجتزئ عنهُ بذكر اسماء المدن الافرنجية وعدد ما طبع فيها من الاسفار العربية العتيقة الى تاريخ سنة ١٨٩٧ بقدر ما وصل اليهِ استقصاؤنا كما ترى في هذا الجدول

اسم المدينة	عدد المطبوع	اسم المدينة	عدد المطبوع	اسم المدينة	عدد المطبوع
أُبسالا	٣	جوجنفيا	١	كنتفور	١٠
استراسبورج	٢	جوتا	٣	كوبنهاغن	٥
ادنبرغ	١	الجزائر	٤	لكناهور	١٧
أُكسفُرد	١٣	درسدن	٣	ليسبون	١
امستردام	١	دلهي	١١	ليبسك	٥١
أُوترخت	١	رومة	٧	ليدن	٧٥
باسل	٣	طهران	٦	لاهور	٢
باريز	٤٨	غرايفوالد	٤	لودبنج	١
برلين	١١	غوتنغن	٦	لندن	١٤
بادوا	١	فرانكفورت	١	مادريد	٤
برسلاو	٤	فرايبورغ	١	مونيخ	٣
بطرسبورج	٦	فلورنسا	٢	ميلان	١
بمباي	١٨	فيانا	١٢	ماربورغ	١
بتافيا	١	قازان	٢٢	مرسيليا	١
بهوبال	٢	قسطنطينية	٨٩	نورمبورج	١
بون	١٦	كامبردج	١	هلي	٤
البندقية	٩	كريستيانا	١	هايدلبرغ	١
بيزا	١	كونغزبورج	١	داميار	١
تبريز	٣	كلستان كشمير	١	يانا	٢
تونس	٥	كلكته	٥٨	ومجموع ذلك ٥٧٨ كتاباً	

قلت من يرى تلك الكتب العربية مطبوعة في رومة وباريز وليدن ولندن وليبسك وبرلين وجوتا وكوبنهاغن وغوتنغن وغيرها مما اثبتناه في هذا الجدول فيكون مثله مثل من يرى السمك يعيش في القفر . او الطير تطير تحت لجج البحر او مثل من ينظر الضرير يهدي البصير اذ يُخيَّل اليهِ ان البصرة والكوفة قد ظهرتا في هذا العصر باسم هولاندا والمانيا وان ابن عقيل وابن مالك وابن هشام قد عادوا الى الدنيا باسم سلفستر دي ساسي الفرنسوي وفليشر وفريتغ فيكاد يُدخل عليهِ ولا يزال في بيداء تحيرهِ حتى يتراءى لهُ من التاريخ بنادٍ يقول لهُ أفق واسمع يرتفع عن بصيرتك برقع الجهل واعلم أن الامم التي نفقت اسواق العلم عندها واستبحر العمران فيها تمتلئ حياةً ونوراً فتجلو آثار العلم وتتطلبها في كل لغةٍ وتنشدها عند كل أمةٍ . والاَّ فاين ما عانتهُ اوربا وانفقتهُ في سبيل العربية مما قاستهُ وتكلفتهُ في حلّ الكتابات المسمارية والخطوط الهيروغليفية واعادتها الى الحياة بعد موتها

الخاتمة

قد عرفتَ مما ذكرت لك ان العربية قد ضربت خيامها في الممالك الاوربية ونُصبت لاساتذتها المنابر في المدارس الكلية وسُبك لها حروف في المطابع العظيمة البهية وسعا أنصارها الافرنج على نشر ما كان مخبوءا في الخزائن من النفائس التي جعلها حوّل الدهر كالدفائن فلو انتصب العدل يوزّع الجوائز على من خدموا العربية لاصاب العجم جائزة الايجاد والافرنج جائزة الحراسة والحفظ

هذا ولا يخفى على عاقلٍ مهما ضعفت بصيرتهُ ان شجرة اللغة لا تستوفي حقها من الاخضرار والايراق وبسوق الافنان وتفتح الازهار واستواء الاثمار ولا يخدم لها رونق الحياة والنضارة ما لم تكن لغة المخاطبة والمكاتبة في الشؤون الانسانية ولغة العلوم البشرية قاطبةً تلقيناً وتدويناً . والاَّ فان الاقتصار على تعلم اصول النحو والبيان وطبع الكتب القديمة كما هو دأب علماء المشرقيات من الافرنج لهذا الوقت جزاهم الله خيراً واقتصار المدارس في الديار السورية وغيرها من البلاد العربية اللغة على تعليم النحو والبيان والعروض ومطالعة بعض كتب الادب من نظم ونثرٍ مع كثرة نفعهِ لأقلُّ من ان يكون الغذاء الذي تنمو عليهِ وتبسق أغصانها بهِ وتكثر ثمارها . فلو تمثلت اللغة فتاةً ما صبرت عن أن تطلب طعاماً يشبعها من جوعٍ . ويحفظها من شحوب ولا أغفلت المطالبة بأن تكون لغة العلوم الرياضية والطبية والفلسفية كما هي الفرنسوية عند الفرنسويين والانكليزية عند الانكليز ولعاتبت الكلية الانجيلية البيروتية على الاعراض بعد الاقبال . والهجر بعد الوصال فقد كانت لغة الطب فيها الى سنة ١٨٨٤ ولقالت لذويها

ما عهدت المرسلين الا ذوي برٍّ بي وحفاوةٍ ألا وهم الذين انشأُوا لخدمتي سنة ١٨٣٤م مطبعة موفورة الآلات متينة الأدوات ناصعة المطبوعات واستعملوني في العلوم الرياضية في مدارسهم كافةً وأذاعوا كتباً في تلك العلوم لابسةً حلتي الجميلة البهية فعلى مَ قاطعوني وقد عاودتني سعةٌ من نضارتي ولقالت ليتني اكون عند هذه الكلية العامرة كالتقاويم عند القائل

لم يرقَ لي منزلٌ بعدَ النقا لا ولا مستحسَنٌ من بعد مي

وما احسبها كانت تعفي الطبية الفرنسوية البيروتية من معاتبة تسلّط على قلبها ما يأخذ المعاتب وقد غلبتهُ الحجة . واما الكليتان فتتلقيان ذلك العتاب باعتذارٍ لا إخالهُ يضعف الحكم عليهما بجفائها او يصرفها عن أن تنشدهما

تمرُّونَ الديارَ ولم تعوجوا كلامكمُ عليَّ اذن حرامُ

فاذا لاحظتَ ذلك كلهُ علمت ان انجع ما تغتذي بهِ العربية اليوم انما هو المجلاَّت الجوّالة والصحف السيّارة وذلك انها تستعمل اللغة في كل مطلب وبحث. وقد شعر كلٌّ من المصريين والسوريين والعراقيين وغيرهم ان الجرائد العربية قد بثّت اللغة الفصيحة في كل طرفٍ من الأطراف وعلّمت العامة كثيرًا من فوائد العربية مما لم يكن يعرفهُ الا الخاصة وفتحت باب الكتابة انشاءً وترجمةً وردّت الى اللسان العربيّ من قديم رونقهِ فكلٌّ منها حريٌّ بأن ينال من الثناء ما هو كفاء خدمتهِ وجزاء فائدتهِ

فيا ايها الناطقون بالضاد كرّموا الجرائد والمجلاّت وعظّموها بالاقبال عليها فهي اعظم الاركان في حياة لسانكم وحياة الانشاء بينكم فلم يبقَ لاعتزاز العربية ونضارتها سندٌ اقوى منها فهي بغزارة موادّها ووفارة أبحاثها وتعدد مطالبها وتشعب ابوابها تعزّز العلم واللغة معاً بما تبثُّ من الأنوار العلمية وتذيع من الكلمات العرفية مما لا سبيل الى الوصول اليهِ بدونها

اوهام الخواص

تمهيد

قد يظن قارئٌ هذا العنوان اننا نقصد مجاراة الحريري في البحث عن اوهام الخاصة من حيث اللغة والانشاء . وهذا ليس من غرضنا في شيء وانما غرضنا البحث عن بعض الاوهام التي وجدناها متسلطة على عقول بعض الخاصة في عاصمة العلم والعمران في مدينة باريس التي نشأ منها مثل ده كارت وبسكال وكونت وڤولتير ولاڤوازيه وباستور. نعم ان الذين لقيناهم

وحادثناهم في مثل هذه المواضيع اكثرهم من غير الفرنسويين ولكنهم مقيمون في فرنسا وهم من شعوب مرتقية مثل الشعب الفرنسوي ان لم تكن ارقى منهُ . والامور التي رأيناهم يعتقدونها هي التناسخ والوهية المعبودات القديمة وصحة الاحلام والطب الروحاني ومناجاة الارواح . وهاك بعض ما سمعناهُ منهم وما دار بيننا وبينهم من الحديث في كل هذه المواضيع

(١) التناسخ — هذا ابعد ما كنا ننتظر ان احداً من خواص الاوربيين يعتقدهُ لكننا لقينا غير واحد منهم يعتقد التناسخ ويدَّعي انهُ يتذكر الحالة التي كان فيها منذ الوف من السنين قالت لنا سيدة مشهورة بالعلم والفضل والجمال انها تتذكر الحالة التي كانت فيها منذ نحو ثلاثة آلاف سنة لما كانت كاهنة في مصر على عهد الفراعنة. وقوي اعتقاد هذه الجماعة بامر غريب حدث في اجتماع مؤتمر المباحث النفسية . ذلك ان الاستاذ شارل ريشه الشهير عرض في هذا المؤتمر طفلاً اسبانياً عمرهُ ثلاث سنوات ونصف سنة لا غير اسمهُ بيترو ؤذريغوس اريولا لا يزال يلبس لبس البنات لصغر سنهِ حتى ظنهُ كثيرون بنتاً وهو مع ذلك يلعب على البيانو مثل كبار الموسيقيين ويؤلّف الانغام الموسيقية ويوقّع الانغام الجديدة التي يسمعها ويتصرف فيها

لما كان عمر هذا الطفل سنتين ونصف سنة مارست امهُ ذات يوم قطعةً من الموسيقى القديمة (الكلاسيك) على البيانو ثم اغلقتهُ وخرجت الى غرفة أُخرى لبعض امرها فسمعت واحداً يلعب على البيانو القطعة التي كانت تمارسها فاسرعت اليهِ فوجدت طفلها هذا جالساً امامهُ يلعب عليهِ تلك القطعة من غير كتاب يلعبها بيدهِ اليمنى ويرفقها باليسرى . ومن ثمَّ عكف هذا الطفل على ذلك البيانو من غير معلم فبرع في اللعب عليهِ براعةً تذهل العقول

وقد جلس امام هذا البيانو عينهِ في مؤتمر العلوم النفسية في محفل حافل بكثيرين من اشهر علماء الارض واكبر موسيقييها ولعب امامهم ادواراً كثيرة معروفة وادواراً أُخرى مما الفهُ ارتجالاً وكفاهُ صغيرتان فلا تصل اصابعهُ الى اكثر من خمسة مفاتيح لكنهُ كان ينقلها بسرعة فائقة حتى تصل الى مفاتيحهِ السلم كلها وكان لعبهُ غاية في الصحة والدقة وحركاتهُ مطابقةً للعبهِ كأن الانغام الموسيقية خارجة من اعراق نفسهِ وهو لا يكتفي بلعب الانغام التي سمعها او مارسها او نظمها بل اذا سمع نغماً جديداً لعبهُ ايضاً ونوَّعهُ وقت ايقاعهِ وحسَّنهُ كثيراً . واذا ارتجل صوتاً جديداً ضمنهُ من الانغام ما يحرك الشجون ويأخذ بمجامع القلوب كانهُ سالك مسالك العشاق وذاق تباريح الوجد والفراق او كانهُ حلب اشطر الدهر وذاق ما فيهِ من الخل والخمر. وقد اخترع اسلوباً (تكنيك) خاصاً بهِ لم يجد فيهِ امهر علماء التوقيع الاَّ مواقع قليلة للانتقاد

وكان اذا اتمَّ اللعب يشارك الجمهور في تصفيقهِ لهُ ويضحك ويقهقه ويمدُّ لسانهُ كما يفعل الاطفال عادةً . فهو طفل في كل شيء الاَّ في الموسيقى ولا يستطيع اللعب الاَّ على البيانو الذي لعب عليهِ اول مرة . وهو قديم لم يُدَوَّزن منذ زمن طويل ولم يستطع احد ان يدوزنهُ ولكنهُ يلعب عليهِ اجود لعب ولا يستطيع ان يلعب على غيرهِ

هذا الطفل قوَّى حجة اصحاب التناسخ كما تقدَّم فقالوا ان نفسهُ نفس موسيقي ماهر تقمصت فيهِ ولا يفسَّر اتقانهُ للموسيقى على صغر سنهِ بغير ذلك . وفاتهم ان نفس ذلك الموسيقي الماهر اكتسبت امورًا أُخرى غير البراعة في الموسيقى فلماذا تركتها كلها وابقت على الموسيقى وحدها . فهذا التفسير يخلصهم من مشكل ويوقعهم في ما هو اشدُّ اشكالاً منهُ

ولا ينكر ان امر هذا الطفل غريب جدًّا لا يفسر بحقائق العلم المعروفة كما قال الاستاذ ريشه ولكن قد يمكن تفسيرهُ بالوراثة من امهِ او احد اسلافهِ فان للموسيقى مركزًا خاصًا في الدماغ ينمو ويرتقي بالممارسة ولا يبعد ان يكون هذا المركز قد وُلد فيهِ ناميًا مرتقيًا من اصلهِ كما يولد بعض الاطفال وفي افواههم اسنان ظاهرة او تظهر اسنانهم وهم في الشهر الثالث او الرابع. واذا صحَّ ما نقلناهُ غير مرة وهو ان المرأة اذا اهتمت بموضوع ما وهي حامل فقد يولد طفلها شديد الميل الى ذلك الموضوع كان دمها الذي يغذي المركز الدماغي المتعلق بهِ وينميهِ يغذي ما يقابلهُ في دماغ الطفل وينميهِ ايضًا ساعد ذلك على هذا التفسير ولكنهُ لا يكون قاطعًا لان هذا الطفل وحيد في بابهِ

وغاية ما يقال في هذا الموضوع وامثالهِ ان انتظار المكتشفات العلمية التي تفسرهُ خير من تحمّل تفسير لم يقم دليل علمي على صحتهِ

وكان في المؤتمر عالم هندي فاطنب في الكلام على التناسخ لما رأَى هذا الطفل وافعالهُ. وهو معذور لانهُ ألِفَ هذا المعتقد منذ نعومة اظفارهِ اما الاوربيون والاميركيون فلا ندري كيف يبنون معتقدًا كبيرًا على اساس واهن مثل هذا . ومن غريب امرهم انك تجد اخوين منهم على طرفي نقيض الواحد يعتقد بالتناسخ والآخر يعتقد بالفناء ويقول مع ابي العلاء

تحطمنا الايامُ حتى كأننا زجاجٌ ولكن لا يعادُ لهُ سَبْكُ

(٢) الوهيَّة المعبودات القديمة — قرأْنا ونحن في مصر ان الكونت ماكريجور الاسكتلندي الاصل اعاد عبادة ايسس الهة المصريين القدماء وبنى لها هيكلاً في مدينة باريس . وقد زارنا هو والكونتس زوجتهُ وزرناها فوجدناها على غاية الرقة والظرف وسألانا عما ذكرهُ اللورد بيكنسفيلد في رواية تتكرد عن النصيرية وعبادتهم لالهة اليونانيين القدماء فاخبرناهم اننا زرنا

بلادهم ولم نرَ فيها شيئًا يدلُّ على صحة ما ذكرهُ اللورد بيكنسفيلد . والراجح في ذهننا انهُ اخترعهُ اختراعًا فابدع فيهِ ثم ارانا غرفة في منزلها وضعا فيها تمثالاً لايسس داخل محراب واوقدا امامهُ مصباحًا صغيرًا وهما يحتفلان بعبادتها فيلبس الكونت لبس كاهن مصري ويضع جلد النمر على ظهرهِ وتلبس زوجتهُ لبس كاهنة مصرية ويلتفُّ حولها بعض المعتقدين اعتقادهما

ويذكر الذين سمعوا رواية عايدة تمثَّل في الاوبرا الخديوية ان العذارى الكاهنات اذا قمنَ بالعبادة والرقص والانشاد تمثل للمرء انهُ في هيكل ديني يعبد من فيهِ معبودهم على غاية الوقار والورع وعاد بهِ ائتلاف الافكار الى تلك العصور المتوالية التي سادت فيها الديانة المصرية القديمة على اخلاق اهلها وآدابهم فأبلغتهم اعلى مدارج العمران وطبعت في نفوسهم اسمى الآداب واكلها كما يظهر من اجوبة النفس المسطورة في كتاب الاموات لكن الرجوع الى عبادة الله بالتماثيل من اغرب ما كنا ننتظرهُ من خاصة الاوربيين واغرب منهُ حسبانهم المعبود اثنين ذكرًا يعبد باسم اوسيرس وانثى باسم ايسس ولله في خلقهِ شؤُون

(٣) صحة الاحلام — الاعتقاد بصحة الاحلام قديم جدًّا والذين يعتقدون صحتها يعبّرونها على اساليب شتى لا ضابط لها فاذا حدث ما يطابق تعبيرهم ولو قليلاً حفظوهُ ونسوا كل ما سواهُ طبَّقوا الحلم على ما حدث فحذفوا منهُ وزادوا عليهِ ما تقوى بهِ المطابقة . وقد كنا نظن ان اهل العلم والعرفان الذين درسوا العلوم الطبيعية وعرفوا ان الاحلام لا تفرق من الخواطر التي تخطر على بال الانسان في اليقظة الاَّ في كونها اضغاثًا غير منتظمة وما يصدق عنها لا يخرج عن حد النتائج العقلية التي يستنتجها المرء في يقظتهِ والافكار التي يفكر فيها وهو يقظان او هاجس بين النوم واليقظة بل هذه اقرب الى الحقيقة من كل الاحلام — كنا نظن ان هؤُلاء لا يلتفتون الى الاحلام ولا يثقون بشيءٍ مما تشير اليهِ حتى لقينا بعضهم في اثناء سياحتنا في الشهر الماضي ومنهم كاتب شهير يحسب ان ارلندا ستستقلُّ قريبًا طبقًا لحلم تمَّ بعضهُ وسيتمُّ البعض الآخر . والظاهر ان هذا الحلم مشهور عند المحتمين باستقلال ارلندا حتى قالت لنا سيدة منهم ان الزوبعة التي حدثت حديثًا في اميركا وخرَّبت مدينة جالفستون يُشار اليها في هذا الحلم. ولما قلنا لها ان الزوابع تحدث كل عام في اميركا وبعضها اشد فتكًا واوسع نطاقًا من هذه الزوبعة اسفت لاننا لا نصدّق ما صدقهُ ظاهر وحجتهُ قاطعة

واذا سألتَ مصدقي الاحلام لماذا يكاشف بعض الناس بما لا طائل تحتهُ من حوادث المستقبل ولا يكاشفون بالامور الهامَّة العامة مثل حدوث الحروب والاوبئة والمجاعات حتى يتقوها ويأمنوا غوائلها. لماذا لم يكاشف احد من الفرنسويين بان حربهم مع المانيا تُفقدهم الالزاس

والاورين ولماذا لم يكاشف احد من الاسبانيين بان حربهم مع الولايات المتحدة تُفقدهم اسطولهم ومستعمراتهم كلها. ولماذا لم يكاشف احد من الانكليز بان البوير مستعدون لهذه الحرب اكثر منهم . ولماذا لم يكاشف البوير بان حربهم مع انكلترا تنزع استقلالهم. ولماذا لم يكاشف احد من قديم الزمان الى الآن بعلاج يشفي من الطاعون والمواء الاصفر والسل. ولماذا لا يكاشف احد بما سيحدث من الزوابع والعواصف والانواء التي تخرب البلدان وتكسر السفن وتهلك الالوف اجابوك عن ذلك ان الارواح التي تسبب الاحلام غير خاضعة لارادتنا ولا لارادة مخلوق فتفعل ما تشاء من غير حساب . هذا ولا ندري كيف تسلّم عقولهم بوجود ارواح عاقلة متسلطة على عقول الناس تهتمّ بإخبار واحد من الف عما يحدث لكلب في دارهِ ولا تهتم باخبارهِ عن باقي ما يحدث لهُ مدى عمرهِ ولا عما يحدث لالوف والوف الوف من الناس ولكن

سبحان من قسمَ العقولَ فلا عتابَ ولا ملامَة

(٤) الطب الروحاني — ذكرنا في الجزء الماضي من المقتطف ان في مدارس الطب الروحاني باميركا من التلامذة اكثر مما في مدارس الطب القانوني وان اطباء الطب الروحاني يعالجون المرضى بالصلاة او بالتدجيل على صور شتّى فيشفون كل الامراض التي تشفى من نفسها من غير علاج واما الامراض التي لا تشفى من غير علاج فتسير سيرها الى ان تقتل اصحابها. ومتى اختلط الجهل بالدعوى والحمق بالتعصب نتج من خليطها نوع من الجنون المستعصي لا اشدّ منهُ ضررًا بنوع الانسان. ولم يخطر لنا لما كتبنا تلك السطور اننا نلقى بعض المعتقدين صحة الطب الروحاني في عاصمة البلاد الفرنسوية قبلما يمضي شهر على كتابتها . قالت لنا سيدة راسخة في هذا الاعتقاد انها تعرف مسلولاً قطع الاطباء الامل من شفائهِ ثم شفي بالطب الروحاني فقلنا لها ونحن نعرف مسلولاً آخر كان في الدرجة الثالثة وقطع الاطباء الامل من شفائهِ وانذرهُ المرحوم الدكتور فان ديك بالموت القريب وذلك منذ نحو ثلاثين سنة لكن رئتهُ تكلست وشفي ولم يزل حيًّا يرزق ولذلك نرجح ان المسلول الذي تشيرين اليهِ شفي من غير علاج كما شفي هذا واذا استنبط احد طريقة جديدة لعلاج مرض من الامراض لا يحكم بصحتها وتفضيلها على غيرها الاَّ اذا امتحنت مرارًا كثيرة فوُجد انها تشفي اكثر من غيرها من الطرق لنفرض ان خير الطرق المعروفة لعلاج الطاعون يشفى بها ستون في المئة من المطعونين ويموت اربعون فاذا اكتشفت طريقة جديدة روحية كانت او مادية يشفى بها سبعون في المئة من المطعونين ويموت ثلاثون فقط فهي خير من غيرها من الطرق المعروفة على شرط ان يثبت فعلها في مئات من المطعونين . ولكن اذا كان ثلاثون في المئة من المطعونين يشفون من غير

علاج فكل الوسائل التي يشفى بها ثلاثون في المئة او اقل هي كالعدم لا تفيد شيئًا . ومعلوم ان الامراض لا تميت كلها فاذا تُركت من غير علاج مطلقًا او اذا استعملت فيها الراحة والحمية والنظافة فالغالب ان كثيرًا منها يشفى من نفسهِ فان كان اهل المريض قد استشاروا طبيبًا من الاطباء الروحانيين توهموا ان الشفاء من علاجهِ وهو ليس كذلك . ولا تثبت فائدة الطب الروحاني الا اذا قام اناس من العلماء الاكفاء ورأوا جمهورًا من المرضى وفحصوا امراضهم جيدًا ثم ترقبوا فعل الطب الروحاني بهم فوجدوهُ مفيدًا لهم . ويحدث احيانًا كثيرة ان يكون المرض وهميًّا فيزول بالوهم ايضًا وهنا يكون مجال الطب الروحاني واسعًا وقد يلجأُ الاطباء الى ما يماثلهُ في معالجتهم المصابين بامراض وهمية

قالت السيدة المشار اليها ان نجاح الطب الروحاني لا يقتصر على الامراض الباطنة بل يتناول الامراض الجراحية الظاهرة وذكرت لنا امرأة اصيبت بخرّاج كبير في احد ثدييها اشار الطبيب ببطهِ لكنها شُفيت منهُ بالطب الروحاني من غير بطٍ . فقلنا ونحن نعرف امرأة اصيبت بخرّاج في ثدييها معًا وشُفيا كلاهما من غير بطٍ ولا علاج روحي بل نعرف نساء كثيرات أُصبنَ بخراجات في ثديهنَّ وشفين منها من غير بط ولا علاج آخر غير الوسائط العادية التي يستعملها العجائز والقوابل في بلاد الشام ولو كان الطب الروحاني خاليًا من الضرر كما هو خالٍ من النفع لتركنا اصحابهُ وشأنهم ولكنهُ كثير المضار كما لا يخفى وكما سنبينهُ في فرصة اخرى

(٥) مناجاة الارواح — يزعم المعتقدون مناجاة الارواح ان ارواح الموتى تبقى حول الاحياء ولكنها لا تؤَثر الا في القليلين منهم. والذي تؤَثر فيهِ يسمى واسطة وهو مثل المستخدِم الذي يستخدم الجان في اقاصيص الاولين .حكى لنا بعضهم وهو من خاصة الانكليز انهُ يعرف سيدة مشهورة في باريس جلست معهُ مرةً في غرفة واستدعت هذه الارواح فحضرت جماعة كبيرة حتى ملأَت الغرفة وهو لا يراها . اما هي فضاقت بها ذرعًا من كثرتها واضطرَّت ان تخرج من الغرفة . فاذكرنا قولهُ قصة سمعناها في حداثتنا وهي . ان رجلاً مستخدمًا للجان استدعاهنَّ ذات ليلة فحضرنَ جمًّا غفيرًا جدًّا حتى امتلأَت بهنَّ غرفتهُ ولم يرَ سبيلاً لصرفهنَّ الا أن اعطاهنَّ بلاسة سوداء وقال لهنَّ امضينَ واغسلنها حتى تبيض فمضينَ ولم يعدنَ . فقصصنا عليهِ هذه القصة وقلنا لهُ ان المستخدمين عندنا امهر من المستخدمين عندكم فصدق القصة واطفالنا يعدونها من الخرافات ويزعم معتقدو المناجاة ان هذه الارواح تنبئ بالمستقبلات بواسطة القرع على الباب او النقر على المائدة . وان غالبها ارواح شريرة ولذلك تكذب على الناس وتسخر بهم

قلنا لواحد منهم على م لا تستخدم هذه الارواح للانباء بالمستقبلات فتخبر مثلاً عما يبلغهُ ثمن القطن بعد شهر او شهرين او ما تأول اليهِ حرب الترنسفال واسهم مناجم الذهب فيصير الواسطة من اغنى اهل الارض واقدرهم على اذاعة مذهبهِ وآرائهِ بواسطة الكتب والجرائد فقال لاننا لا نعرف حتى الآن نواميس العالم الروحي ولا نعلم حدَّ علم الارواح ولا متى تصدق ولا متى تكذب

واتفق ان كان في معرض باريس مشعوذ يدَّعي انهُ يوصل افكارهُ بقوَّة روحية الى ذهن فتاة مغمضة العينين وكان المدَّعون مناجاة الارواح يحسبونهُ من الادلة على صدق دعواهم مع انهُ هو لا يدَّعي ذلك فذهبنا الى حيث يظهر قوتهُ في المكان المعروف " بالطواف حول العالم " فحضر مع فتاة اوقفها امامنا وادَّعى انهُ نوَّمها النوم المغنطيسي وعصب عينيها بعصابة سوداء ثم دار على الحضور يسألهم عما يريدون ان تعرفهُ فكان الواحد منهم يخبرهُ باسمهِ همساً في اذنهِ فيلتفت اليها فتلفظ الاسم حالاً من غير تردُّد. ويريهِ آخر عدداً فيهِ كثير من الارقام فيلتفت اليها فتنطق بهِ كأنها رأتهُ مكتوباً امام عينيها . ولما وصل الدور الينا أريناهُ ورقة بنك فيها عددان الواحد فيهِ اربعة ارقام والثاني فيهِ ثلاثة فالتفت اليها ثم التفت اليها فنطقت بالعددين حالاً

وهذه الفتاة تستخدم قوتها في قراءة افكار الغير لا للشهرة بل للكسب . ولكن أيصدّق احد انها تقف ساعة زمانية امام عشرة من الناس ليعطيها كلٌّ منهم عشرة سنتيمات او عشرين سنتيماً فلا يزيد المجموع على خمسة غروش الى ثمانية تقتسمها هي والرجل . فلو كانت تستطيع ان تقرأ الافكار حقيقة لاستخدمها ملوك الارض ووزراؤها وعظماؤها واعطوها الف جنيه كل يوم على الاقل . ثم ان اختبار الناس في هذا العصر والعصور الغابرة كلها ينفي انتقال الافكار على هذه الصورة . أفننقض اختبار ألوف من السنين وملايين الملايين من الناس بقول رجل يتسوَّل غرشاً من زيد ونصف غرش من عمرو وهو لو اراد لملك كنوز الدنيا

قبل ان وصل المشعوذ الينا كنا نظن انهُ يفعل ما يفعل بتواطوء مع بعض الحضور ولكننا لما رأينا الفتاة عرفت ما في الورقة التي أريناهُ اياها جعلنا نتفرَّس فيهِ ولم نعد نلتفت الى الحضور فاكتشفنا حالاً سرَّ صناعتهِ وهو انهُ يشير باصابعهِ وعينيهِ وحاجبيهِ اشارات تدلُّ على الحروف والارقام فكأنهُ يتكلم مع الفتاة بلغة الخرس . والظاهر ان في العصابة السوداء زجاجتين سوداوين شفافتين تراهُ الفتاة منهما وترى اشاراتهِ فتفهمها ولا غرابة في ذلك . وطلبنا منهُ ان يبطل الاشارات المذكورة فابى ثم صرَّح لنا على انفراد ان كل ما يفعلهُ آليٌّ

(ميكانيكي) لا واسطة روحية فيهِ . وكان واحد من المعتقدين مناجاة الارواح يتخذهُ دليلاً لهُ على صدق اعتقادهِ فلما كشف لهُ مرةً قال ما يقولهُ غيرهُ من اهل هذه البدعة وهو ان كذب شاهد واحد لا يثبت كذب الشهود كلهم . ومن الغريب اننا رأينا المعتقدين مناجاة الارواح يجرون في اعمالهم كلها كما يجري سائر الناس لا يعتمدون الا على شهادة مشاعرهم واختبارهم الآتي عن طريق الحس المادي واختبار غيرهم من الماديين فهم ماديون فعلاً ولو كانوا روحيين قولاً



باب الزراعة

كيف ترتقي الزراعة

تمهيد

اذا لاق باهالي القطر المصري ان يتمثلوا بامة من الامم الراقية مراقي الفلاح تمثلاً تجيزهُ احوال بلادهم وطبيعة ارضهم فلا اصلح لذلك من الأمة الاميركية فان بلادها زراعية مثل القطر المصري وحاصلات القطر المصري التي يعتمد اهلهُ عليها وهي القطن والحبوب تنتج من اميركا ايضاً وارتقاء الامة الاميركية حديث اخذت فيهِ منذ نحو مئة سنة اي حين ابتدأت ولاية العائلة العلوية على القطر المصري ولكن شتان بين ارتقاء تلك الأمة الاميركية وارتقاء الامة المصرية في هذه المدة

وارتقاء الامة الاميركية عامٌّ شامل كل شيءٍ ولكن ينبوع ثروتها الاوسع الزراعة وعليها اكثر اعتمادها ومنها اكثر ربحها . وقد وزّعت في معرض باريس كراريس مختلفة شرحت فيها تاريخ ارتقائها في العلوم والفنون والصنائع ومنها كراسة في ارتقاء التعليم الزراعي وما يتعلق بهِ للاستاذ دابني رئيس مدرسة تنسي الجامعة فرأينا ان نلخص منها ما تفيد معرفتهُ ابناء هذا القطر وسائر الاقطار الشرقية الزراعية وما يكون عبرةً لهم وذكرى فنقول

لما هاجر الاوربيون الى الولايات المتحدة الاميركية بعد اكتشافها كانت حراجاً غبياء كثيرة الوحوش يسكنها اقوام همج ناصبوا الاوربيين العداوة وفتكوا بكل من وصلوا اليهِ منهم ولم يكن عند هؤلاء المهاجرين ادوات للزراعة غير ما صنعوهُ بايديهم من المحاريث الخشبية

فكانهم كانوا على الفطرة الاولى . وكانوا يجهلون قواعد الزراعة والتسميد فيحرثون الارض الواحدة ويزرعونها سنة بعد سنة الى ان تمحل ولا تعود تأتي بغلة فينتقلون الى غيرها و يزرعونها وهلمَّ جرًّا

ولم يهتمّ احد من سكان اميركا بعلم الزراعة والقواعد الزراعية الاَّ في اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن وكان السابق الى هذا الاهتمام وشنطون محرر اميركا . قال في رسالة بعث بها الى مجلس الامة في ٨ يناير سنة ١٧٩٠ ان ترقية الزراعة والتجارة والصناعة بالوسائل الصالحة لذلك مما لا حاجة بي الى الحث عليهِ لاني واثق انكم توافقونني على انهُ لاشيء اجدر باهتمامكم من ترقية العلوم والفنون إما بمد يد المساعدة للمدارس العالية الموجودة الآن في البلاد او بانشاء مدرسة جامعة وطنية او بما يماثل ذلك مما يليق ان تبحثوا فيهِ . ثم عاد الى هذا الموضوع مرارًا وقال في رسالتهِ الثامنة التي بعث بها الى مجلس الامة " لا يرتاب احدٌ في ما للزراعة من الاهمية الكبرى من حيث مصلحة الافراد ومن حيث مصلحة الامة وتزيد هذه الحقيقة ظهورًا بارتقاء الامة وازدياد عددها فتصير الزراعة من اهم ما تبحث فيهِ وتنشيء لهُ ما يرقيهِ واي شيء اجدر من ذلك لتنفق عليهِ اموال الامة . ولا شيء مما ينشأُ لترقية الزراعة اقرب الى النجاح من المجالس الزراعية التي تجمع المعارف وتنشرها وتعطي الجوائز المالية لتساعد وتقوي الميل الى الاكتشاف والاصلاح . وقد دلَّ الاختبار على انها من اقل الوسائل نفقةً بالنسبة الى كثرة فوائدها اللامة . فاتبع مجلس الامة مشورة رئيسها الاول وانشأ مجلسًا للزراعة

جمعية الزراعة ومعارضها

والظاهر ان وشنطون انتبه الى فائدة المجالس الزراعية من رواية الجمعيات الزراعية التي انشئت قبيل ذلك في البلاد فقد أُنشئت اول جمعية زراعية فيها في غرة مارس سنة ١٧٨٥ في مدينة فيلادلفيا وانتخب وشنطون وفرنكلين عضوين فيها . وكذلك انشئت جمعية زراعية مثلها في كرولينا الجنوبية واهتمت بانشاء مكان للتجارب الزراعية . ثم انشئت جمعية نيويورك الزراعية سنة ١٧٩١ ونشرت كتاب اعمالها في السنة التالية . وانشئت جمعية مستشوستس الزراعية سنة ١٧٩٢ وابتدأت في نشر اعمالها سنة ١٨٠٢ و يراد بالاعمال الكتاب الذي تنشر فيهِ خلاصة اعمال الجمعية والمقالات التي تتلى فيها ونحو ذلك . وكان وشنطون عارفًا بهذه الجمعيات وبالجمعيات الانكليزية التي أُنشئت في ذلك الحين لترقية علم الزراعة وما يتعلق بهِ

ثم ان الجمعيات الزراعية دعت الى اقامة المعارض الزراعية فانشئ اول معرض وجمع المال لاعطاء الجوائز للعارضين فيهِ . واول مال جمع لتعطي منهُ الجوائز كان خمسين ريالاً اي

عشرة جنيهات مصرية لا غير وذلك سنة ١٨٠٥ . وهي بداءة صغيرة جدًّا ولكنها نمت لان اخلاق الامة وعاداتها تساعد على نموها فانشئت الجمعيات الزراعية في كل الولايات الاميركية وصارت المعارض الزراعية وسيلة لنشر المعارف فيها وانشئت فيها مجالس للزراعة تهتم بجمع الاحصاءات الزراعية وامتحان انواع العلف والسماد وما اشبه وبعضها يدير المدارس الزراعية وينشئ المعارض ويعطي الجوائز وينشر المعارف والفوائد الزراعية في البلاد

ثم تنوَّعت الجمعيات الزراعية حسب فروع الزراعة المختلفة فاختصَّ بعضها بتربية البقر وبعضها بتربية الغنم وبعضها بتربية الخيل وبعضها بعمل الجبن والزبدة . فلعمل الجبن والزبدة ٥٦ جمعية ولتربية البقر ١٤ جمعية ولتربية الخيل ١٨ جمعية ولتربية الغنم ٢٩ جمعية ولتربية الخنازير ١٧ جمعية . وفي كل ولاية مجلس يهتم بامراض المواشي ومعالجتها هذا عدا ما في البلاد من الجمعيات لاصلاح الطرق ووقاية الغابات وزرع البساتين والجنائن

ولا بدَّ من ان يقف القارئ هنا ويقول كيف اهتمَّ الاميركيون بانشاء الجمعيات الزراعية منذ نحو مئة سنة فزاد عددها وتنوَّعت اشكالها عاماً بعد عام على حداثة عمرانهم ونحن سكان هذا القطر اهتمَّ والينا الطيب الذكر محمد علي باشا بترقية الزراعة في بلادنا كما اهتمَّ وشنطون بترقية الزراعة في بلادهِ لكن اهتمامهُ لم يثمر فينا كما اثمر اهتمام وشنطون في بلادهِ . والجواب ان الجمهور الاكبر من الاميركيين متعلم يعرف القراءة والكتابة ومبادئ العلوم الطبيعية والادبية فيقرأ ما يكتب في المواضيع الزراعية ويفهمهُ لانهُ تعلم مبادئ العلوم والفنون. امانحن فالذين يعرفون القراءة منا قلال جدًّا كما ظهر من الاحصاء الاخير والذين يفهمون ما يقرأُون في المواضيع العلمية لا يبلغون واحداً في الالف من السكان كلهم هذا في آخر القرن التاسع عشر فكم كانوا اقل من ذلك في غرتهِ ولذلك ضاعت كل الوسائل التي بُذلت في اوائل هذا القرن لنشر المعارف الزراعية حتى ان الكتاب الزراعي الذي ترجم الى العربية وطبع في القطر المصري منذ ستين كثيرة لم نرَ منهُ نسخةً في بلاد الشام ولم نرَ منهُ الاَّ نسخةً واحدةً في القطر المصري ولم نرَ احداً عارفاً بهِ غير واحد . ولا تزال الرغبة في العلوم والمعارف قليلة جدًّا عندنا حتى ان كثيرين من تلامذة المدارس الاميرية يبيعون الكتب التي يُعطَونها من نظارة المعارف بابخس ثمن كأنهم يحسبون العلم والكتب العلمية من سقط المتاع . وقد انشئت جمعية زراعية في القطر المصري منذ اكثر من عشرين سنة فلم تعش طويلاً لانها كانت كالحب الذي يبذر في ارض غير معدة لهُ او لأن الذين انشأُوها كانوا طامعين بمساعدة الحكومة المالية فلما انقطعت هذه المساعدة او لم تنل حسب المنتظر ملت الجمعية وعفي اثرها

المدارس الزراعية

لما قام ليبغ الكيماوي في المانيا ونشر رسائلهُ المتعلقة بالكيمياء والزراعة تلقفها القراء في اميركا من المشتغلين بالزراعة تلقُّف العطاش للماء . وكانت الامة الاميركية قد شعرت بحاجتها الى العلوم العالية التي تستخدم في الصنائع والاعمال كالكيمياء والمساحة وعلم المعادن والآلات والى تعليم العلوم الزراعية فعينت مدرسة كولمبيا واحداً من اساتذتها استاذاً للتاريخ الطبيعي والكيمياء والزراعة . وبعد سنتين عينت جمعية فيلادلفيا الزراعية لجنة للبحث عن اسلوب لتعليم الشبان علم الزراعة وتخريجهم فيهِ فاشارت هذه اللجنة باساليب مختلفة لذلك وفي جملتها انشاء فروع لتعليم الزراعة في بعض المدارس الجامعة او تعليم معلمي المدارس الابتدائية العلوم الزراعية وجعلهم يعلمونها للفلاحين لكن تعليمهم اياها قسم مما يُطلب منهم

وزاد شعور الناس بالحاجة الى المدارس الزراعية رويداً رويداً وكثر الحث على انشائها سنة بعد سنة ولكن على غير طائل الى ان قام ستة آلاف نفس سنة ١٨٣٨ وقدَّموا عريضة الى الحكومة طلبوا منها ان تعين المال اللازم لمساعدة المدارس الزراعية فاحالت الحكومة هذه العريضة على لجنة تنظر فيها فنظرت مليًّا وقرَّرت انهُ ليس في البلاد كلها مدرسة تُعلَّم فيها العلوم الزراعية ولكن الحكومة لم تفعل شيئاً آخر وبقي امر المدارس الزراعية مهملاً الى سنة ١٨٥٠ وما بعدها حتى ان اول مدرسة زراعية في ولاية نيويورك لم تنشأ الاَّ سنة ١٨٦٠ . ثم نشبت الحرب الاهلية فذهب رئيس المدرسة وتلامذتهُ الى الحرب فأُقفلت المدرسة ولم تفتح بعد ذلك . ولم ترَ الحكومة الاميركية سبيلاً الى انشاء المدارس الزراعية والانفاق عليها مع حاجة البلاد اليها وشدَّة طلبها لها الاَّ سنة ١٨٦٢ حين اقرَّ مجلس النواب ومجلس الشيوخ والرئيس لنكان على ان يوهب كل عضو من النواب والشيوخ ثلاثين الف فدان من الاراضي الاميرية لمدرسة زراعية في بلادهِ فالولاية التي منها خمسة اعضاء توهب مئة وخمسين الف فدان هبة لمدرسة زراعية تنشأ فيها فبلغت مساحة الاراضي الاميرية التي وهبتها الحكومة الاميركية لانشاء المدارس الزراعية ثلاثة عشر مليون فدان اي اكثر من مضاعف كل الاراضي الزراعية في القطر المصري الاَّ ان قرار الحكومة الاميركية لم يجعل تلك المدارس تقتصر على تعليم الزراعة دون غيرها بل اباحت لها تعليم كل العلوم الصناعية

لكن المهتمين بامر التعليم الزراعي لم يكتفوا بذلك بل طلبوا من الحكومة ان تساعد المدارس الزراعية بالمال ايضاً وما زالوا يلحون في الطلب حتى اجابت طلبهم سنة ١٨٩٠ واقرَّت على ان تعطي كل ولاية خمسة عشر الف ريال من ثمن الاراضي الاميرية التي تبيعها

ثم تزيد هذا المبلغ الف ريال كل سنة حتى يصير في مدة عشر سنوات ٢٥ الف ريال وذلك لتعليم الزراعة والعلوم الميكانيكية والطبيعية والرياضية والاقتصادية التي تُعِدُّ الانسان لتعاطي الاعمال المختلفة

وهذان القراران اي سماح الحكومة لكل ولاية بمقدار كبير من الاطيان لمدارسها الزراعية او التي تعلم الزراعة وغيرها من العلوم العملية . وسماحها لكل ولاية بمبلغ طائل من المال عززا المدارس الموجودة في البلاد وساعدا الاهالي على انشاء مدارس جديدة فبلغ عدد المدارس الكلية الزراعية المحضة ٢٧ مدرسة . وعدد المدارس الكلية التي تعلم الزراعة بين علومها ٣٤ وعدد المدارس الجامعة التي تعلم الزراعة ايضاً ١٩ . وهاك اسماء بعض هذه المدارس ودخلها السنوي وعدد تلامذتها

المدرسة	الارض الموهوبة لها	قيمة ممتلكاتها	دخلها السنوي	عدد تلامذتها
مدرسة كليفورنيا	١٥٠٠٠٠ فدان	٥٠٢٤٧٧٠ ريالاً	٥٣٤٢٠٧	١٩١٧
« ايلينويز	« ٤٨٠٠٠٠	« ١٧٨٩٠٨٣	٢٨٢٩١٢	٠٦٩٦
« انوبانا	« ٣٩٠٠٠٠	« ١٠٣٠٠٠٠	١٥١٥٢٢	٠٦٩٢
« ايوي	« ٢٠٤٠٠٠	« ١٣٢٧١٨٥	١١٨٥١٦	٠٥٦٠
« مشيغان	« ٢٣٥٦٨٢	« ١٢٢٥٠٨٣	٠٩٩٦٧١	٠٤٧٠
« منيسوتا	« ٠٩٤٠٠٠	« ٣٠٢٧٤٣٩	٣٠٥٤٩٣	٢٥٥١
« نبرسكا	« ٠٩٠٠٠٠	« ١٠٤٤١٣٥	٣٥٢٠٠٠	٠٣٤٥
« نيويورك	« ٩٩٠٠٠٠	« ٩٢٣٢٢٥٧	٥٦٩٣٠٧	١٦٦٩
« اوهيو	« ٦٣٠٠٠٠	« ٣٢٢٠٤٦٩	٤٦٢١٧٥	١١٢٥
« بنسلفانيا	٧٨٠٠٠٠	« ١٣٨٧٠٠٠	٠٩٨٩٤٥	٠٣٠٤
« سكونسين	« ٢٤٠٠٠٠	« ٢٤٢٢٠٠٠	٣٨٠٠٧٨	١٤٦٦

ويبلغ دخل هذه المدارس سنوياً اكثر من ستة ملايين ريال اي نحو مليون وربع من الجنيهات . وهي تختلف في العلوم التي تفرضها على طالب الانتظام فيها والغالب ان شهادة الدراسة الابتدائية تكفي الطالب

الدروس ومدة التدريس

مدة التدريس في المدارس الزراعية اربع سنوات اثنتان منها للدروس العلمية الاستعدادية واثنتان للدروس الزراعية العالية والتمرُّن في الاعمال الزراعية . وقد اقرَّت لجنة طُلب منها

البحث عن العلوم التي يجب ان تعلّم والساعات التي يعلّم كل علم منها سواء كانت من العلوم الاستعدادية او العلوم العالية على ان يخصّص الطالب ١٥ ساعة كل اسبوع للدرس اي لاستماع الخطب والتسميع وعشر ساعات للاعمال المختلفة ليقرن العلم بالعمل فتقسم الساعات في الدروس الاستعدادية هكذا

	٧٥	ساعة	لعلم الجبر والمقابلة
	٤٠	«	للهندسة
	٤٠	«	لحساب المثلثات
	٧٥	«	لعلم الطبيعة
	٧٥	«	للعمل بعلم الطبيعة
	٧٥	«	لعلم الكيمياء
	٧٥	«	للعمل بالكيمياء
	٢٠٠	«	لتعلم اللغة الانكليزية وآدابها
	٣٤٠	«	لتعلم لغة حديثة
	٦٠	«	للعلوم العقلية
	٤٠	«	لعلم المنطق
	٦٠	«	لعلم الاقتصاد
	٨٠	«	لعلم التاريخ العام
	٥٠	«	لعلم دستور البلاد
١٢٨٥		ساعة	والجملة وهي الدروس الاستعدادية
	٤٨٦	ساعة	لعلم الزراعة
	١٨٠	«	لعلم البساتين والحراج
	١٨٠	«	لعلم التشريح وامراض الحيوان
	١٨٠	«	لعلم الكيمياء الزراعية
	١٨٠	«	لعلم النبات والفزيولوجيا النباتية وامراض النبات
	١٢٠	«	لعلم الحيوان والحشرات
	١٨٠	«	لعلم الفزيولوجيا
	١٢٠	«	لعلم الجيولوجيا

	٠٦٠ ساعة	لعلم المتيورولوجيا
١٧٤٦	٠٦٠ «	لعلم الرسم
٣٠٣١		والمجموع الكلي

فاذا كانت السنة المدرسية ٣٦ اسبوعاً فقط وحُسبت ساعات العمل العشر بمقام خمس ساعات من ساعات التعلم بلغت الساعات في الاسبوع عشرين ساعة فقط وفي السنة المدرسية ٧٢٠ ساعة وفي السنوات الاربع ٢٨٨٠ اي ما يقارب مجموع الساعات في الجدولين السابقين والساعات المعينة لعلم الزراعة وهي ٤٨٦ ساعة تقسم هكذا

١٣٢ ساعة	لعلم الاستنبات (اغرونوميا)
١٦٢ «	لعلم تربية المواشي (زوتكنيا)
٠٧٢ «	لعلم الصناعة الزراعية (اغروتكنيا)
٠٦٠ «	لعلم الهندسة الزراعية
٠٦٠ «	لعلم الاقتصاد الزراعي او تدبير الاباعد
٤٨٦	

ويتضمن علم الاستنبات علم الاقليم وعلم التربة وعلم الحرث والصرف والري وعلم التسميد وعلم الزرع وعلم الحصد والجني . ويتضمن علم تربية المواشي مبادئ تأصيل الحيوانات وتجنيسها وعلم تعليفها وتدبيرها . ويتضمن علم الصناعة الزراعية استخراج الزبدة وعمل الجبن وعصر الزيت والخمر واستخراج السكر . وتتضمن الهندسة الزراعية عمل الطرق والمصارف والترع واساليب الري وبناء العزب وتركيب الآلات الزراعية . ويتضمن الاقتصاد الزراعي تاريخ الزراعة وتدبير الاباعد وقوانين الزراعة وحساب الزراعة

هذا وسنستطرد الكلام في الجزء التالي الى نفقات التلامذة في المدارس الزراعية وادخال العلوم الزراعية الى المدارس الابتدائية وانشاء ديوان خاص بالزراعة الى غير ذلك مما نرى تفصيله مفيداً لنا لعلنا نقتفي الخطوات الاميركية في نشر العلوم الزراعية في هذا القطر وحث الحكومة على مساعدتنا في ذلك

زراعة النيل في الهند

يعلم المشتغلون بالزراعة في القطر المصري ان زراعة القطن فيه بلغت حدها من الاتساع فاذا زاد اتساعها حتى بلغ محصول القطن سبعة ملايين قنطار او ثمانية ملايين هبط سعر

القطن المصري حتى كاد يساوي سعر القطن الاميركاني فلم يعُد منهُ ربح كاف بل ان ربح القطن من موسم جيد لا يزيد على خمسة ملايين قنطار قد يكون اكثر من ربحهِ من موسم غير جيد يبلغ سبعة ملايين قنطار فيجب ان يبذل الاهتمام من الآن فصاعداً في اجادة نوع القطن لا في توسيع زراعتهِ

ومعلوم ان الاراضي الزراعية آخذة في الاتساع عاماً بعد عام ومتى تمَّ الخزان زاد اتساعها كثيرًا فضلاً عما يصير يزرع زراعة صيفية مما لا يزرع الآن الاَّ زراعة شتوية فما هي المزروعات التي تزرع فيهِ غير القطن وتكون سوقها رائجة في اوربا . ويظهر لنا ان لزراعة النيلة مستقبلاً في بعض اراضيهِ الرخيصة وقد اطلعنا الآن على مقالة في الجزء الاخير من جريدة بيرمن الشهرية توصف فيها طريقة زرع النيلة في بلاد الهند واستخراجها فرأينا ان نلخصها عنها فنقول : كان اليونان والرومان يجلبون النيلة من بلاد الهند ولا يزال اهالي اوربا يجلبون النيلة من الهند حتى الآن لصبغ ثياب الجنود البرية والبحرية وثياب رجال البوليس والبوسطة لان صبغها ثابت لا ينفض بالهواء والمطر ولا يؤثر فيهِ ماء البحر مثل غيرهِ من الاصباغ وهي مستعملة لذلك في انكلترا وفرنسا والمانيا وايطاليا وروسيا

ولا يُنتظر ان تنتشر زراعة النيلة في القطر المصري انتشاراً كبيرًا لغلاء اطيانهِ وكثرة ضرائبها ولكن يمكن ان تزرع منها الوف من الفدادين لان زراعتها منتشرة في كل بلاد الهند يشتغل بها ملايين من الاهالي وللانكليز في ثلاث ولايات منها ما مساحتهُ ٣٧٠ الف فدان يعمل فيها مليون ونصف من الاهالي وسبع مئة نفس من الانكليز ورأس المال الذي يُنفق في زراعة هذه الارض وحدها ومعامل استخراج النيلة منها خمسة ملايين من الجنيهات . فاذا ثبت ان زراعة النيلة رابحة في القطر المصري كما اكدلنا بعض الثقات الذين يزرعونها حتى الآن في مديرية الفيوم وانتشرت زراعتها في خمسين الف فدان لم يؤثر ذلك في سوقها تأثيرًا يذكر فيستخدم في زراعتها مئتا الف نفس من الاهالي

وتقسم الاراضي التي يزرعها الانكليز نيلة في بلاد الهند الى اقسام كبيرة في القسم منها من الف فدان الى عشرة آلاف وتبلغ غلة الفدان منها من ١٥ رطلاً الى ٢٠ رطلاً

ولا بدَّ من ان تحرث جيداً كانها معدَّة لزرع الازهار وذلك بان تعزق اولاً عزقاً عميقاً باداة كالرفش ثم تحرث ثلاث مرات او اربعاً وتمهد جيداً حتى يصير ترابها ناعماً وتخطط ويزرع بزر النيلة فيها كما يزرع بزر اللفت فتظهر اوراقها الاولى بعد يومين او ثلاثة وتنمو رويداً رويداً الى ان يبلغ ارتفاعها من ثلاث اقدام الى خمس. ومادة الصبغ موجودة في الاوراق وتكون فيها

على أكثرها حينما تظهر الازهار وتكاد تتفتح . ولون الاوراق اخضر ضارب الى الصفرة ولكن يُستخرج منها الصبغ الازرق

ونبات النيلة سريع العطب فاذا كثر المطر وهو صغير تلف واذا قلَّ المطر مدة نموهِ تلف ايضاً واذا بلغ جذره ارضاً جافة ذوى ويبس . وكذلك يتلفهُ الدود والجراد والعشب فلا بدَّ من مقاومتها كلها

ويزرع نبات النيلة في كل بلاد الهند تقريباً ولذلك تختلف طرق زرعهِ واوقاتها باختلاف الاماكن التي يزرع فيها ففي ولاية بهار يزرع في فبراير ومارس حتى اذا اشتدَّ الحرّ في مايو ويونيو ويبست الاعشاب كلها بقيت مزارع النيلة خضراء كاجود ما يكون واما في بنغالا السفلى حيث تغمر مياه نهر الكنك الارض سنوياً فلا تزرع الارض الا بعد ان تنضب المياه عنها وتزرع الارض حينئذٍ ملقاً اي تبذر بزور النيلة فيها من غير حرث بل تمزج بالطين بواسطة الحوض فيهِ ولكن تنبت الحشائش الكثيرة مع نبات النيلة فلا بدَّ من استئصالها بالتعب الكثير والاَّ اماتتهُ

ومعامل استخراج النيلة متفرقة بين مزارعهِ حتى لا تدعو الحال الى نقل النبات مسافات طويلة . ويقطع النبات في اواخر شهر يونيو في بلاد بهار او حالما تبتدئ ريح الموسم الحارَّة تهبُّ على الارض ويشرع حالاً في استخراج النيلة وحينما يتمُّ استخراجها في اواسط اغسطس يكون النبات قد نما وبلغ ثانيةً فيقطع في اوائل سبتمبر وقد ينمو ويقطع ثالثةً بعد ذلك

وفي معامل النيلة حياض واسعة توضع حزم النبات فيها واقفةً لكي يتخللها الهواء بسهولة ثم يجري الماء اليها ولا تملأ بالنبات لانهُ يتشرَّب الماء وينتفخ كثيراً فيشقق جوانب الحوض اذا كان مملوًّا بهِ . ولا تمضي ثلاث ساعات حتى يبتلَّ ورق النبات بالماء ويطفو الزبد على وجههِ وبعد سبع ساعات اخرى تكون المادة النيلية قد خرجت من الورق وامتزجت بالماء . واذا أُشعلت شمعة حينئذٍ وأُدنيت من الحوض التهبت الغازات الخارجة منهُ وامتدَّ لهيبها اذرعاً كثيرة

ويصب الماء من هذا الحوض الى حوض آخر تحتهُ ويستخرج النبات منهُ ويحفظ ليستعمل سماداً للارض التي تزرع نيلةً ويختلف لون الماء من البرتقالي القاتم الى الاخضر الزيتوني ولا بدَّ من تحريكهِ تحريكاً دائماً حينئذٍ لكي تتعرَّض كل دقيقة للهواء . والهنود يضربونهُ بعصي من القنا الهندي ساعتين او ثلاثاً ثم يدورون حولهُ سريعاً حتى يتحرَّك حركة رحوية وترسب الرواسب منهُ هذا حيث الاعمال باقية على كيفيتها القديمة واما المعامل الحديثة ففيها دولابب

كدواليب السفن تدور في الحياض فتغني عن خبطها بالخابيط ولكن لا بدَّ من رجل يلقي ملاءة على الزبد الذي يطفو على الماء ويغوص بهِ الى اسفل الحوض لكي يمتزج بسائر الماء

ويكون الزبد ازرق في اول الامر ثم يصير ابيض ثم يزول . ويتغيرلون السائل كثيرًا الى ان يصير ازرق غامقًا . ويُعلَم ما اذا كان خبط الماء كافيًا بصب قليل منهُ في صحفة فاذا رسبت النيلة منهُ حالاً وصار الماء صافيًا فالخبط صار كافيًا وحينئذٍ يخرج الخابطون من الحوض او يقف الدولاب عن الدوران . ثم يترك الماء في الحوض ساعتين او ثلاثًا فترسب النيلة منهُ ويصب في حوض آخر وتصفَّى النيلة في مصافٍ مختلفة ثم توضع في اناء من الحديد وتغلى حتى يقف الاختمار وتصفى ثانيةً الى ان تصير كالزبدة قوامًا ثم تضغط وتقطع وتلقى على اطباق من القنا لكي تجف

وقد هبط ثمن النيلة كثيرًا بسبب استعمال النيل الصناعي لكن النيل الصناعي لا يقوم مقام النيل الطبيعي ولا هو ثابت مثلهُ وهو يصنع في المانيا لكن الحكومة الالمانية منعت صبغ ثياب جنودها وبحارتها بالنيل الصناعي لانهُ غير ثابت واوجبت صبغها بالنيل الطبيعي لان لونهُ ثابت

القطن

عاد ثمن القطن الى الارتفاع فبعد ان بلغ ثمن القنطار في القونترانات نحو عشرة ريالات ارتفع الى خمسة عشر ريالاً لان موسم القطن الاميركي يقل عن المتوسط نحو مليون ونصف مليون بالة ولان موسم القطن المصري لا يظهر انهُ يبلغ خمسة ملايين قنطار فقلة الموسم في اميركا ومصر وقلة المتأخرات من العام الماضي توجب ارتفاع ثمن القطن كما ارتفع او اكثر ولذلك لا نعجب اذا زاد ارتفاعهُ في الشهور التالية الاَّ اذا قضت المضاربات بهبوط ثمنهِ

اثمن الازهار

لا اجمل من الازهار البرية ولا اكثر منها انتشارًا ولا ارخص منها ثمنًا . ترى قطعان الغنم واسراب البقر تسرح في المروج والرياض ترعاها او تدوسها بارجلها من غير حساب لكن اغنياء الافرنج حاروا في ايجاد شيء نادر يغالون بهِ فرأوا ازهار النباتات السحلبية تتغير على صور شتى وتتلوَّن بالوان مختلفة فاخذوا النادر منها شكلاً ولونًا وغالوا فيهِ حتى صاروا يبيعون الواحدة منهُ بألف جنيه وأمثلة ذلك كثيرة عندهم . وقد جلبوا نوعًا نادرًا من السحالب من بلاد الهند سنة ١٨٥٧ ثم يبس عندهم ولم يعودوا يعثرون على مثلهِ . وقد انفقوا حتى الآن الفين وخمس مئة جنيه وهم يفتشون عن نبات مثلهُ فلم يجدوا . ولا تقتصر المغالاة على السحالب بل تتناول نباتات

كثيرة فقد رأينا صورة نبات من الزنجبيل ثمنهُ خمس مئة جنيه وصورة نبات آخر فيهِ ثلاث اوراق لا غير ثمنهُ مئة جنيه وصورة نخلة صغيرة دقيقة الخوص ثمنها اربعون جنيهاً

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الاعتناء بالعين

يجب الاعتناء بالعين من حين ولادة الطفل فانهُ قد يصيب عينيهِ في الاسبوع الاول بعد ولادتهِ مرض يعميهما . وهو يظهر باحمرار الجفنين وافراز مادَّة قيحية غزيرة . ولا بدَّ من المبادرة الى علاجهِ حالاً والاَّ ذهب بالبصر . ولا تفيد فيهِ الوسائط البسيطة التي يصفها العجائز مثل لبن الام ومغلي البابونج بل انها قد تضرُّ كثيرًا لانها تؤخر استعمال الوسائط الفعَّالة التي يشير بها الطبيب . ويجب على من يلمس عيني الطفل حينئذٍ او ثديًا كان ملامسًا لها ان يغسل يديهِ جيدًا بالماء السخن والصابون والاَّ نقل العدوى الى نفسهِ وغيرهِ فان نقطة صغيرة من القيح الذي تفرزهُ العين المصابة اذا دخلت عين انسان عمتها . وكل نزيف دموي ينزف من البدن مهما كان نوعهُ يجب ان توقى العين منهُ فلا يجوز لاحد ان يلمس نزيفًا بيدهِ ثم يلمس عينيهِ بها قبل غسلها

وتوقى عيون الاطفال من النور الساطع في البيت وخارج البيت . وحينما يراد ادخالهم المدرسة تفحص عيونهم لئلا يكون فيها خلل فاذا وُجد فيها خلل تفحص من وقت الى آخر ليرى ما اذا كان خللها آخذًا في الزيادة او في النقصان . وقد يتقاعس الصغار لانهم يكرهون الدرس ويكون سبب كراهتهم لهُ خلل في عيونهم يجعل الدرس متعبًا لهم . واذا وجد خلل في العين وجب ان يعالج بالنظارات التي تصلحهُ . وهاك بعض القوانين التي يجب اتباعها في كل المدارس من قبيل صحة العيون

اولاً لا بدَّ من ان يكون النور كافيًا في غرف الدرس وان يدخل عن يسار التلميذ وان لا تكون مساحة الشبابيك اقل من خمس مساحة ارض الغرفة اي ان الغرفة التي مساحة ارضها خمسون مترًا مربعًا يجب ان تكون مساحة شبابيكها عشرة امتار مربعة على الاقل . واذا

كان اكثر الشبابيك الى الجهة الشمالية وجب ان تكون مساحتها اكثر من خمس مساحة ارض الغرفة لان النور الداخل من الجهة الشمالية لا يكون ساطعاً

ثانياً يجب ان تكون المكاتب مما يمكن ان يرتفع وينخفض حسب علو التلميذ لكي يبقى منتصباً ولا يلتزم ان ينحني

ثالثاً يجب ان يتم التدريس بواسطة الالواح السوداء والخرائط الكبيرة والكلام الشفاهي لا بواسطة القلم والقرطاس . واذا كان لا بدَّ من استعمال القلم والقرطاس وجب ان يعتمد على الحبر الاسود لا على قلم الرصاص ولا على لوح الحجر لان كتابة لوح الحجر وكتابة اقلام الرصاص غير ظاهرة جيداً فتتعب العين باستجلائها

رابعاً يجب ان لا يعطى التلامذة دروساً يضطرون الى تحضيرها في بيوتهم او ان يقلل منها على قدر الامكان لان الدرس ليلاً يتعب العينين كثيراً

خامساً اذا كانت عينا الولد ضعيفتين وجب ان تقلل دروسهُ كثيراً وكذا اذا كان نحيف البدن

سادساً لا يجوز ان تطبع كتب التدريس الاَّ بحروف كبيرة واضحة من الجنس الاول وعلى ورق جيد . ويكون في الصفحة الواحدة حقلان بدلاً من حقل واحد حتى تكون السطور قصيرة فلا تتعب العين بانتقالها من سطر الى الذي تحتهُ كما اذا كان السطر طويلاً ويجب ان تكون السطور بعيدة بعضها عن بعض فيكون بين السطر والذي تحتهُ مليمتران

اما الكتب التي تطبع في المطبعة الاميرية المصرية فلا تصلح مطلقاً للتعليم ولعلها العلة الكبرى لما يرى من قصر البصر وضعف العيون في القطر المصري

واذا اصيب الطفل بالحوَل امكن اصلاح خلل عينيهِ الحولاء احياناً كثيرة بنظارة يلبسها لان الحوَل ينتج غالباً من خطإ يُصلَح بالنظارات (العوينات) . واذا ازمن فلا بدَّ لاصلاحهِ من عملية جراحية وهي بسيطة جداً لا يجوز اهمالها لان الحوَل عيب كبير قبيح والعملية بسيطة لا ضرر منها

اذا وقعت القذى في العين استقرَّت غالباً تحت الجفن الاعلى ويمكن ان تزال بسهولة بان يُقلَب جفن العين الاعلى وتمسح القذى مسحاً بمنديل ناعم فتزول واذا لم تزُل فالغالب ان العين تدفعها الى الموق الذي يلي الانف فلا تعود العين تشعر بها وتزول من نفسها مع الرمص واما اذا غرزت القذى في العين فلا بدَّ من الاستعانة بالطبيب على ازالتها

مقام المرأة

دخلنا امس الدار التي اقامت فيها مدام ده ستايل في ضواحي جنيفا ورأينا المكتبة الكبيرة التي كانت تجلس فيها وتنظم عقود البيان . تؤلف الكتب والروايات وتكاتب الجرائد بمقالات

تقيم الامبراطور بونابرت وتقعده' وما نكد نصل الى تلك الدار حتى تقاطر وراءنا الزوار واكثرهم من الاميركيين والانكليز الذين قرأوا كتب هذه المرأة الشهيرة واتوا لزيارة الدار التي سكنتها والتطواف في الغاب الذي كانت تمشي فيهِ . ورأينا هناك صور كثيرين من الملوك والعظماء ولكن ما منهم من يذكر اسمهُ الآن كما يذكر اسمها او لهُ مقام في اندية الادب ودواوين الانشاء كما لها. ولم تزل هذه الدار على اتساعها مفروشة محفوظة معتنى بها كما كانت في عهد تلك الكاتبة الشهيرة خزائن كتب مملوءة بنفائس الكتب وفاخر التحف والهدايا وكرسيها والمكتبة التي كانت عليها والغرفة التي كانت تقيم فيها وسريرها الذي كانت تنام فيهِ وصورها وصور زوجها وابنتها وابيها وامها ووصيفتها. وقفنا في تلك الدار ساعة زمانية ونحن نفكر في ما يولي الانسان العظمة الحقيقية سواء كان رجلاً او امرأة فقلنا كما قال غيرنا انما هو العلم والفضل ولكن لا يعرف الفضل الاَّ ذووهُ فلو لم تكن مدام ده ستايل في بلاد المشرق لنسي اسمها الآن وعفي اثرها

الاثاث الغالي هو الرخيص

من يزر معارض اوربا يعجب من اعتناء الاوربيين باقتناء الاثاث الثمين الذي يفني الدهر ولا يفنى من الخزائن والموائد والكراسي والاسرة وما اشبه . فلا يندر ان تجد في معارضهم وبيوتهم اثاثاً مضى عليهِ مئة سنة او مئتا سنة وهو على حالهِ من المتانة والبهاء كأنهُ صنع امس لان صنّاعهُ صنعوهُ من خشب يابس متين واتقنوا صنعهُ حتى لا يستطيع احد اتلافهُ . ولم يبخل اصحابهُ على الصانع بدفع الثمن الذي يستحقهُ فاستخدموهُ هم ولادهم واولاد اولادهم ولم يزل محفوظاً بين التحف التي تتنافس بها البلاد وكل من ينظر اليهِ يقول الغالي هو الرخيص

خبز الزنجبيل

خذ ثلاثة دراهم من كبش قرنفل وثلاثة دراهم من البهارات (وهي تكون مجموعة ومدقوقة وتباع كذلك في قناني صغيرة باسم Allspice.) وملعقة من الزنجبيل ودق الجميع معاً في هاون واضف اليهِ عصارة نصف ليمونة حامضة وقشرها بعد تقطيعهِ قطعاً صغيرة وربع ليبرة من الزبدة واخلطها جيداً واضف اليها نصف ليبرة من السكر المدقوق ونصف ليبرة من الدقيق ثم نصف ليبرة من الشراب وصب مزيجها في اناء من الصفيح واخبزهُ عشر دقائق ثم قطعهُ بسكين سيوراً دقيقة ولفّهُ حتى يصير كانبوب



التلغراف الاثيري

لما استنبط مركوني تلغرافهُ الاثيري اي الذي تصل بهِ الاشارات التلغرافية من مكان الى آخر من غير اسلاك معدنية قلنا ان لا بدَّ لهُ ان يتعرَّف في عمل آلاتهِ على طريقة تمتنع بها سرقة اخبارها بآلات توضع بينها . وقد نجح الآن في ذلك على ما قالهُ الاستاذ فلمنغ فقد صنع آلات توقَّع كما توقَّع الآلات الموسيقية حتى فلا يمكن لآلات غيرها ان تتأثر باشاراتها . وزاد على ذلك انهُ صار يرسل رسالتين بآلة واحدة في وقت واحد فتصلان معاً . وقد امتحن الاستاذ فلمنغ هذه الآلة فطلب ان ترسل بها رسالتان واحدة انكليزية وواحدة فرنسوية فارسلتا مسافة ثلاثين ميلاً ووصلتا معاً

تجارة البلاد العثمانية

نشرت ادارة الجمارك العثمانية تقريرها عن الصادرات من البلاد العثمانية والواردات اليها من اول شهر مارس سنة ١٨٩٦ الى ٢٨ فبراير سنة ١٨٩٧ فاذا قيمة الصادرات منها والواردات اليها على ما في هذين الجدولين

الى انكلترا	٦٣١٣١٥٨٨٨	غرشاً
» فرنسا	٤٦٠٦٦٤٥٥٦	»
الى النمسا	١٤٩٩٦٧٧٧٧٦	غرشاً
» ايطاليا	٠٤٦٩١٦٣٣١	»
» روسيا	٠٣٨٢٧٧٢٢٢	»
» هولندا	٠٣٧٤٦١٢٢٧	»
» بلغاريا	٠٣٦٩٢٨٠٠١	»
» اليونان	٠٣٢٩٣٠٢٢٢	»
» الولايات المتحدة	٠٢٨٩٢٢١١٠	»
» المانيا	٠٢٦٩٦٤٤٤٣	»
» بلجكا	٠٢٢٩٠٣٤٤٤	»
» رومانيا	٠٢٢٠٩٣٤٤٤	»
بلدان أخرى	٠٠٧٧٩٠٥٨٠	»
والجملة	١٥٤٢٨٤٥٧٩٤	

وهي تساوي ١٣ ٥٣٨ ٤١٢ جنيهاً مصرياً اي انها اقل من قيمة الصادرات من القطر المصري وحدهُ

وقيمة الواردات

من انكلترا	٨٥٦٢٧٣٨٨٤	غرشاً
» النمسا	٤٢٠٢٩٩٠٨٢	»
» فرنسا	٢١٠٠٩٣٩٥٩	»
» روسيا	١٧٥٢٢٩٩٥٨	»
» ايطاليا	٠٦٩٨٨٢٩١٧	»
» رومانيا	٠٦٧٥٥٣٩١٧	»
» بلغاريا	٠٦٧٢٦٧٦٦٧	»
» مصر	٠٦٤٩١٧٣٣١	»

من ايران	٠٥٨١٧١٧٩٣٠ غرشاً
" بلجكا	٠٤٩٣٥٧١٦٧ "
" اليونان	٠٣٩٣٠١٩٨٧ "
" المانيا	٠٢٠٩١٤٢٦٣ "
" هولندا	٠١٧٥٠٤١١١ "
" بلدان اخرى	٠١٨٧٠٢٥٩٥ "
والجملة	٢١٣٥٩٧٠٦٣١

وهي تعادل ١٨ ٧٤٣ ٠٥٠ جنيهاً مصريا اي انها اكثر من قيمة الصادرات بنحو ثلاثة ملايين وثلث من الجنيهات المصرية فكيف لا تستنزف ثروة البلاد وقيمة الواردات اليها تزيد على قيمة الصادرات منها

غلات اميركا

قدرت غلات الولايات المتحدة الاميركية الآن هكذا

	هذا العام	العام الماضي
القمح	٤٩٠ مليون بشل	٥٥٠ مليون بشل
الذرة	١٩٩٨ " "	٢١٠٠ " "
الاوت	٠٧٢٠ " "	٠٧٩٦ " "

ولذلك فوسم الحبوب في محل هذا العام بالنسبة الى ما كان عليهِ في العام الماضي وهذا يقتضي ان ترتفع اسعارها

فنون السفر الى المعرض

للافرنج فنون من الجنون يستغربها المرء ولو لم يحكم على صاحبها بالجنون المطبق . من ذلك تباريهم في الذهاب الى معرض باريس على اساليب كثيرة المشقة قليلة النفع فان فتاة نروجية اخذت على نفسها ان تمضي الى المعرض من غير ان تأخذ معها زاداً او نقوداً فكانت تخدم في اثناء الطريق وتغسل الثياب وتكاتب الجرائد لكي تكتسب ما يقوم بنفقاتها لا عن حاجة بل لانها اخذت على نفسها ان تفعل ذلك

ومن ذلك ان عائلة من امين رجلاً وامرأتهُ وابنيهِ وابنتيهِ ساروا الى المعرض لابسين في ارجلهم قباقيب ذات بكرات فوصلوا ماشين على هذه الصورة

ومنهُ . ان رجلاً انكليزيًّا ساكنًا في اوبرتو قصد المعرض دبًّا على يديهِ ورجليهِ فوصل الى باب المدينة على هذه الصورة وهناك لقيهُ رجال البوليس ومنعوهُ عن السير كذلك

ومن هذا القبيل رجل من فينا قصد المعرض ماشيًا الى الوراء فلما سار ٢٥ ميلاً التقى بهِ رجال البوليس وحسبوهُ مختل الشعور فقبضوا عليهِ .

ومنهُ . رجل حداد من برلين قصد المعرض محجلاً على احدى رجليهِ فسار خمسين ميلاً كذلك لكنهُ عثر حينئذٍ ووقع فكسر رجلهُ . والجنون فنون

الاوتوموبيل

قرب الزمن الذي يحرَّر فيهِ الفرس من استعبادهِ للانسان فقد رأينا مركبات الاوتوموبيل شائعة في اوربا حتى في البلدان

الجبلية منها . و يراد الآن استعمالها في الحرب بدل المركبات التي تجرها الخيل والبغال لنقل الزاد للجنود . وسيزيد استعمالها كثيرًا متى رخص ثمنها لان ثمن المركبة الكبيرة التي تسع اربعة لا يزال كثيرًا نحو مئتي جنيه والكثير الاتقان منها غالٍ جدًّا

فالمركبة التي سارت من باريس الى بردو ونالت قصب السبق بلغ ثمنها الفًا وخمس مئة جنيه ودُفع لصاحبها فيها الف جنيه فلم يبعها . وعند اول كرنارفون مركبة ثمنها ١٢٠٠ جنيه وعند المستر لوسن الانكليزي مركبة دفع ثمنها الف جنيه . ولكن الثمن يرخص بكثرة الاستعمال كما يكثر الاستعمال برخص الثمن. ولا يبعد ان نرى مركبة الاوتوموبيل تباع بمئة جنيه او حواليها كما تباع مركبة الخيل العادية

القياس الاطول

ينوي المستر داود جل مدير المرصد الفلكي في رأس الرجاء الصالح ان يقيس خط الهاجرة من القاهرة الى رأس الرجاء الصالح وطولهُ ١٠٤ درجات فاذا علم قياسهُ حلَّت مسائل كثيرة في جغرافية افريقية

الروافع وفرش الريش

شاعت الروافع في كل المباني العالية فتغني الناس عن السلالم وما يجدونهُ من المشقة في الصعود عليها . ويخشى على الروافع ان تنقطع حبالها وتقع بمن فيها وذلك نادر جدًّا ولا نظنهُ ممكنًا لمتن الحبال التي تعلق بها ولكن الاميركيين تلافوا ضرر سقوطها بان وضعوا فرشًا من الريش في البئر التي تحتها حتى اذا انقطعت حبالها ووقعت لم يُصَبْ مَن فيها بمكروه

الازهار العطرية

في اوربا ٤٢٠٠ نوعًا من الازهار التي تقطف وتستعمل في التجارة اكثرها ابيض اللون وبعضها اصفر وبعضها احمر . ومنها ما رائحتهُ عطرية ومنها ما لا رائحة طيبة لهُ كما ترى في هذا الجدول

الابيض	١١٢٤	نوعًا والعطري منها	١٨٧
الاصفر	٠٩٥١	" " "	٠٧٧
الاحمر	٠٨٢٣	" " "	٠٨٤
الازرق	٠٥٩٤	" " "	٠٣٤
البنفسجي	٠٣٠٨	" " "	٠١٣
الوان اخرى	٠٤٠٠	" " "	٠٢٥
والجملة	٤٢٠٠		٤٢٠

فعشر الازهار الاوربية طيب الرائحة وكلها تستعمل و يستفاد منها

ربح المصورين

لما شرع ميلايز المصور الانكليزي في تصوير الاشخاص كان يأخذ اجرة الصورة ثلاثة جنيهات ثم اشتهر امرهُ رويدًا رويدًا فارتفع ثمن صوره حتى صار يأخذ اجرة الصورة الواحدة من صور الاشخاص ثلاثة

آلاف جنيه. وتوفي المصور لندسير الانكليزي سنة ١٨٧٣ فبلغت قيمة ما تركهُ مما اكتسبهُ بالتصوير ١٦٠ الف جنيه وبيعت الصور الباقية عندهُ من تصويرهِ بسبعين الف جنيه. وقد اشترى المصور الفرنسوي ميسونية صوَّر صورة مسز ماكي الغني الاميركي فاخذ ثمنها عشرة آلاف جنيه. ونظرت مسز ماكي الى الصورة فلم تعجبها فمزقتها فاغتاظ ميسونيه منها ومزَّق السفتجة التي اعطتهُ اياها وقيمتها عشرة آلاف جنيه. ودُفع الى المصور اميل ديران الفرنسوي اربعة آلاف جنيه ليذهب الى اميركا ويصور المستر فندربلت ودُفعت اليهِ ايضاً نفقات سفرهِ ذهاباً واياباً

قلب كبير

توفي رجل بالامس في بلاد الانكليز من مرض قلبي وفحص جرَّاح رمتهُ فوجد قلبهُ كبيراً جداً مثل قلب الثور فان ثقل قلب الانسان عادةً احدى عشرة اوقية اي نحو رطل مصري واما قلب هذا الرجل فكان ٣٢ اوقية اي نحو اقة

فهرس الجزء الرابع من المجلد الخامس والعشرين

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الخامس والعشرين

١ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٠٠ — الموافق ٨ رجب سنة ١٣١٨

السر جون لوز
Sir JOHN LAWES.

طالما ذكرنا اسم هذا الرجل العظيم مقروناً بمباحثهِ الزراعية والنفع الكبير الذي جناهُ ارباب الزراعة من تجاربهِ الكثيرة . وقد نعاهُ البرق ونحن مسافرون في اوربا ليس لدينا شيء من الكتب والجرائد فاضطررنا ان نؤخر ترجمتهُ الى الآن

ولد سنة ١٨١٤ فعاش الجانب الاكبر من القرن التاسع عشر قرن العلوم والفنون قرن التقدم والارتقاء . واذا عدَّ عظماءُ هذا القرن الذين نفعوا نوع الانسان بعلمهم وفضلهم فصاحب الترجمة في مقدمتهم. كان وحيداً لوالديهِ وتوفي ابوهُ وعمرهُ ثماني سنوات فقامت امهُ على تربيتهِ وعلمتهُ في مدرسة ايتن ومدرسة اكسفرد . وخلَّف لهُ ابوهُ املاكاً واسعةً نحو خمس مئة فدان وهي ليست شيئاً يذكر في جانب ما يخلِّفهُ اغنياء مصر لاولادهم ولا ريع الفدان هناك مثل ريعهِ في الديار المصرية لكن ريع هذه الارض كان كافياً لهُ ليعيش في الراحة والرفاهة. ولو جرى مجرى الكثيرين من ابناء اغنيائنا لاقتصر عليها او لاضاعها في سنوات قلائل لكنهُ لم يفعل هذا ولا ذاك بل عكف على تدبير هذه الارض وهو في العشرين من عمرهِ

وكان مغرماً بعلم الكيمياء فجعل يزرع بعض النباتات الطبية كالخشخاش والشوكران والبنج ويستخرج الاصول الفعَّالة منها وانشأ معملاً كيماوياً لهذا الغرض . ثم جعل يمتحن فعل الاسمدة المختلفة بالمزروعات فرأى ان العظام تفيد اللفت اذا كان مزروعاً في ارض ضعيفة ولكنها لا تفيدهُ اذا كان مزروعاً في ارض قوية فعالج العظام بزيت الزاج (الحامض الكبريتيك) فزادت فائدتها للارض ثم عالج الاتربة الفصفورية بزيت الزاج فصارت سماداً كبير الفائدة . ولما ثبت

له هذا الامر بالتجارب المتوالية انشأ معملاً كبيراً لمعالجة الاتربة الفصفورية بزيت الزاج وعمل السماد الصناعي منها واخذ امتيازاً من الحكومة بذلك سنة ١٨٤٢ ونجح هذا العمل نجاحاً عظيماً جداً حتى بلغ ما يصنع من السماد الآن في البلاد الانكليزية وحدها تسع مئة الف طن في السنة وفي غيرها من البلدان اضعاف اضعاف ذلك . ولا تسل عن النفع العظيم الذي جناه اهالي اوربا واميركا من السماد الصناعي والفضل فيه لصاحب الترجمة. وبقيت ادارة هذا المعمل في يده الى سنة ١٨٧٢ فباعهُ حينئذٍ بثلاثمئة الف جنيه اي ان عقلهُ الراجح واجتهادهُ الكثير اكسباهُ ثلثمئة الف جنيه في ثلاثين سنة فوق نفقاتهِ .

لكن عمل السماد الصناعي والمتاجرة بهِ لم يصرفاهُ عن اعمال اخرى لا يقل نفعها لنوع الانسان عن نفع السماد للمزروعات فانهُ انشأ معملاً آخر سنة ١٨٦٧ لاستخراج الحامض الطرطريك والحامض الليمونيك فصار في مقدمة صنَّاع العقاقير الطبية وبقي عمرهُ كلهُ مشتغلاً بالصناعة والتجارة ناجحاً فيهما كليهما وهذا لا يكاد يُذكر مع اعمالهِ لان نفعهُ الاكبر لنوع الانسان لم يكن متعلقاً به بل بامر آخر يعلمهُ كل قرَّاء المقتطف وهو تجاربهُ الزراعية التي اشتغل بها نحو ستين سنة متوالية

نشأ وولد في نعمة وافرة فلم يبطر ولم يكسل بل اشتغل بالصناعة والتجارة وعكف عليهما كليهما فجمع ثروة طائلة ولم يصرفهُ اشتغالهُ بهما عن الاشتغال بغيرهما مما منهُ نفع كبير لوطنهِ وابناء نوعهِ ولا انفق ثروتهُ الطائلة في ملذاتهِ بل انفقها في ما يفيد ويخلد الذكر فانهُ انشأ داراً للامتحان الزراعي قبل كل دار أُنشئت لهذا الغرض في المسكونة انشأها منذ سنة ١٨٤٣ واستخدم على الامتحانات الكيماوية فيها بشابٍ نابغ في علم الكيمياء اسمهُ غلبرت وبقي الى آخر سنة من عمرهِ يشتغل معهُ فيها كالمتفرغ من اشغالهِ الصناعية والتجارية ثم وهب هذه الدار مئة الف جنيه لتكون نفقاتها من ريعها . ولننظر كيف جازتهُ البلاد الانكليزية على هذا الكرم الحاتمي على ما هو مذكور في المجلد السابع عشر من المقتطف فقد قلنا هناك انهُ اجتمع جمهور عظيم من نخبة رجال العلم ورجال السياسة في البلاد الانكليزية في غرة مارس (سنة ١٨٩٣) برئاسة ولي العهد (برنس اوف ويلس) لكي يتذاكروا في انشاء تذكار لهذا الرجل الفاضل والفوائد الجزيلة التي افاد بها علم الزراعة وعملها . فوقف سمو ولي العهد وخطب فيهم قائلاً

قد اجتمعنا اليوم لكي نُعدَّ المعدَّات اللازمة لاظهار الاكرام الواجب علينا لاعظم رجل بين ارباب الزراعة والباحثين فيها . ويعلم كل الراغبين في تقدم هذه الصناعة ولا سيما في تطبيق علم الكيمياء على زراعة المزروعات وتربية المواشي ما هي فائدة التجارب التي جربها السرجون

لوز مدة سنين كثيرة فانهُ شرع في ذلك منذ سنة ١٨٤٣ وقد مضى عليهِ الآن خمسون سنة منذ اخذ في هذه التجارب . وكان الدكتور غلبرت مساعداً لهُ فيها كل هذه المدة ولا يخفى عليكم ان هذه التجارب مستقلة تمام الاستقلال عن كل الدوائر العلمية والسياسية ونفقاتها كلها من السرجون لوز نفسهِ وقد وقف مئة الف جنيه لينفق ريعها على هذه التجارب بعد وفاتهِ عدا معملهُ الشهير والارض التي تجري التجارب فيها . وعيَّن اناساً من اشهر علماء العصر ليقوموا



السرجون لوز

بشروط هذا الوقف بعد وفاتهِ . فمن الواجب على البلاد الانكليزية ان تعترف علناً بالفوائد الجلَّى التي استفادها علم الزراعة من هذا الرجل الفاضل ومساعدهِ الشهير الدكتور غلبرت لما لهذه الفوائد من النفع العام للبلاد كلها . ولا تدعو الاحوال الحاضرة لاقامة تذكار غالي الثمن وانما يجب على اهل العلم واهل الزراعة ان يبدوا علامةً ظاهرة تدلُّ على اعترافهم بفائدة هذه التجارب . وعندي ان ذلك يجب ان يكون على اسلوب موافق للاحوال الحاضرة ومرضٍ للسر

جون لوز نفسهِ . واني اجتزي بما تقدَّم واطلب من دوق وستمنستر ان يقدّم الطلب الاول

فقام دوق وستمنستر وقال انهُ يتمنى للسرجون لوز عمرًا طويلاً لكي يواظب على هذه التجارب افادةً للزراعة ويسرُّهُ ان يعرض الطلب الآتي وهو

انهُ نظرًا الى ما التجارب المتوالية التي قام بها السرجون لوز مدة خمسين سنة من عظيم الفائدة لدى الامة كلها رغبنا في الاعتراف بالمنافع الفائقة القيمة التي نالتها صناعة الزراعة منهُ ومن الدكتور غلبرت الذي كان مساعدًا لهُ في هذه التجارب كل هذه المدة ولذلك فكل من يهمهُ نجاح الزراعة علمًا او عملاً مدعوٌّ للاكتتاب بمبلغ لا يزيد على جنيهين لانشاء شيء يقام تذكارًا لذلك

ثم قام احد العلماء (المستر دير) وصادق على هذا الطلب وقال انهُ يصادق عليهِ لا لانهُ من ارباب الزراعة بل لانهُ قد اهتمَّ كل حياتهِ بعلم النبات ومتعلقاتهِ . ثم وصف التجارب المشار اليها وعدَّد منافعها وقال انهُ لا يعرف شيئًا في تاريخ المعارف يعود بالفخر على البلاد الانكليزية اكثر من هذه التجارب التي توالت خمسين سنة بهمة لا تعرف الملل

وقام السرجون اڤانس وقال ان التذكار يكون اولاً نصبًا من الحجر المحبب (الغرانيت) تكتب عليهِ كتابة مناسبة المقام وينصب في الاراضي التي جرت فيها هذه التجارب . ثانيًا خطبًا تقدَّم للسرجون لوز والدكتور غلبرت مصحوبة بشيء من الآنية الفضية

وشكر دوق وستمنستر سموَّ ولي العهد لانهُ رأس هذا الاجتماع فاجابهُ وليُّ العهد انهُ قد سرَّ جدًّا برئاسة هذا الاجتماع لانهُ اتاح لهُ ان يبدي ما يكنّهُ ضميرهُ من الشكر للسرجون لوز على ما افاد الزراعة بهِ . انتهى

وتم الاكتتاب واقيم النصب وصنعت الصورة واجتمع خلق كثير امام هذه الدار في التاسع والعشرين من شهر يوليو سنة ١٨٩٣ برئاسة وزير الزراعة وقدموا للسرجون لوز كتابًا من ولي العهد يقول فيهِ ما ترجمتهُ

" انني اهنئك من صميم الفؤاد بالنيابة عن اللجنة التي قامت بهذا اليوبيل وعن الذين اكتتبوا فيهِ في اقطار المسكونة باتمامك خمسين سنة في التجارب الزراعية الفائقة النفع

وهذه التجارب لا تقتصر على زرع الحبوب وغيرها من المزروعات في احوال مختلفة جدًّا بل تتناول ايضًا فائدة العلف للمواشي وتأثيرهُ في نموها ومباحث اخرى جمة من حيث تركيب الارض الكيماوي ومقدار المطر وانشاء المصارف والمصادر التي يستمد النبات نيتروجينهُ منها

ولقد شاركك في هذه التجارب صديقك الدكتور غلبرت الذي يبقى اسمهُ مقترنًا باسمك ونودُّ ان نقدّم لهُ التهاني معك

ولم نقتصر على الانفاق على هذه التجارب مدة الخمسين سنة الماضية بل وقفت لها من كرمك مالاً كافياً للانفاق عليها حتى يستفيد خلفاؤنا منها كما استفدنا نحن واكثر

وانا لنرجو ان التذكار الذي اقمناهُ الآن لك ولشريكك يخلد اسميكما مدى الادهار والصورة التي اهديناها اليك تبقى لعائلتك من بعدك تذكاراً لرجل من اكرم رجال عصرنا واوسعهم علماً "

وكما اكرمتهُ الامة الانكليزية بنوع عام اكرمهُ علماؤها بنوع خاص فمنحتهُ مدارسها الجامعة رتبها العلية واهدت اليهِ جمعياتها نياشينها وبقي الى آخر عمرهِ بشوش الوجه انيس المحضر يقابل زوارهُ بوجه طلق ويشرح لهم اعمالهُ وتجاربهُ ونتائجها بعبارة منسجمة مملحة بالنكت الادبية. وكتب مقالات شتّى وتقارير عديدة عن تجاربهِ الزراعية لخصنا كثيراً منها في المقتطف. وقد جمع هذه المقالات والتقارير في تسعة مجلدات كبيرة واهدى نسخها الى المدارس والمكاتب في المسكونة كلها. وتوفاهُ الله في الحادي والثلاثين من اغسطس الماضي وهو في السادسة والثمانين من عمرهِ

هذا واذا اراد الباحث ان يعرف سبب تقدم الممالك الاوربية بنوع عام والمملكة الانكليزية بنوع خاص رأى ان من الاسباب الكثيرة لذلك بل من اعظمها رفع الملوك والامراء لقدر رجال العلم والمشتغلين بنفع العباد واهتمام الامة كلها باحياء ذكر علمائها وعظمائها. فكيفما جال الانسان في مدينة لندن او غيرها من عواصم اوربا وامهات مدنها رأى الانصاب الباذخة والتماثيل العظيمة والمدافن الفخيمة المقامة تذكاراً لرجال العلم والعرفان وقوّاد الامة وعظمائها الذين رفعوا شأنها واعلوا كلمتها

العلاَّمة اللغوي مكس مُلر

Prof. MAX-MULLER.

لم تكد تتم السطور المتقدمة عن السر جون لوز حتى نعت الينا الصحف الاوربية عالماً آخر من شيوخ العلماء واستاذاً جليل الشأن طبقت شهرتهُ الخافقين وكان لهُ اليد الطولى في وضع علم اللغات وتسهيل الاطلاع على عقائد الامم الشرقية . وهو الماني المولد انكليزي الموطن وُلد بدساو من دوقية انهلت سنة ١٨٢٣ وابوهُ شاعر الماني اورثهُ قريحتهُ ومخيلتهُ فامتاز من صغرهِ بالنباهة وسرعة الخاطر وقوَّة الخيال حتى يكاد نثرهُ يكون شعراً لما فيهِ من الصور الخيالية . وقد قال في هذا الصدد " اني ابن شاعر وقد بذلتُ جهدي العمر كلهُ لكي لا اكون شاعراً " لكن الطبيعة لا تغلب ولله درّ من قال

واسرعُ مفعولٍ فعلتَ تغيّرًا تكلُّف شيءٍ في طباعكَ ضدهُ

وكيف تُغلب. وقد ربي على ما ينميها ويقويها فقد كان بيت ابيهِ ناديًا لرجال الادب من الشعراء والمغنين حتى انهُ علق صناعة الغناء وصار غرضهُ الاكبر ان يصير من كبار الموسيقيين وبقي على حبهِ لها العمر كلهُ

درس في ليبسك وبرلين وباريس وامتاز وهو في كلية برلين بالاجتهاد وسرعة التحصيل وذهب مذهب كنت الفيلسوف الالماني ولم يحِل عنهُ . ثم مال الى درس اللغات الشرقية فنال منها النصيب الاوفر وبرع في السنسكريتية والفارسية وترجم الهيتوبادسا (كتاب قصص الهنود) من السنسكريتية ونشرها وهو في العشرين من عمرهِ ثم انتقل الى باريس ودرس على العلاَّمة المستشرق الاستاذ اوجين برنوف ولم يكن على سعة من العيش لكن كان من حسن بختهِ ان صادقهُ البارون بنصن العالم الكبير فمدَّ اليهِ يد المساعدة وكتب عنهُ الى الارنشديكن كارل الانكليزي يقول " لقد اوصاني بعض ذوي المقامات العليا بشاب عمرهُ اثنتان وعشرون سنة لهُ مقام كبير في عيني شلنغ (فيلسوف الماني) اشهر نفسهُ بترجمتهِ الهيتوبادسا من السنسكريت وهو واسع الاطلاع بارع في كل شيءٍ ويود ان يقيم في انكلترا بضع سنوات .. وهو ابن الشاعر اللغوي المشهور وليم ملر والذي اعلمهُ من امرهِ انهُ رائع الآداب رزين العقل "

ويقال ان اعظم اكتشاف اكتشفهُ البارون بنصن لفائدة اللغات الشرقية هو اكتشافهُ مكس ملر. وقد ساعدهُ البارون بنصن والاستاذ ولسن على الشروع في العمل الذي بقي عاكفًا عليهِ الى ان ادركتهُ الوفاة فوكلت اليهِ شركة الهند الشرقية ترجمة الرغ فيدا كتاب ترانيم البراهمة وهو اساس الآداب السنسكريتية وقال لهُ بنصن حينئذٍ لقد وكلت بعمل يكفيك العمر كلهُ قطعةٍ كبيرة لا تُنحت ولا تصقل الاَّ في سنوات كثيرة لكن لا بدَّ لك من ان تعطينا نتفًا منها من وقت الى آخر " فجعلت هذه النتف تنهال من قلمهِ كالمطر . وبقي عشرين سنة في تحرير الرغ فيدا لكنهُ لم يقتصر عليهِ بل اشتغل بمواضيع كثيرة وبرع فيها كلها فدرس اللغة الانكليزية وصار من البلغاء فيها كلامًا وانشاء ولهُ الخطب الرنانة التي كان الناس يتقاطرون لاستماعها ولو كانت في اعوص المواضيع اللغوية والفلسفية لبلاغة عباراتها وسهولة مأخذها والكتب الكثيرة التي اعيد طبعها مرارًا لرغبة الناس فيها ومن هذه الكتب لغات دار الحرب (اي بلاد الهند) طبعهُ سنة ١٨٥٤ . وعقائد الامم طبعهُ سنة ١٨٥٦ وتاريخ الآداب السنسكريتية طبعهُ سنة ١٨٥٩ وخطب في علم اللغات طبعها بين سنة ١٨٦١ و١٨٦٣ وخطب في علم الدين طبعها سنة ١٨٧٠ وكتاب النتف في اربعة مجلدات طبعت بين سنة ١٨٦٨ و١٨٧٥ وخطب

في اصل الدين ونحوهِ طبعت سنة ١٨٧٨ ومقالات مختارة طبعت سنة ١٨٨١ . ومقالات في ترجمات المشاهير من اصدقائهِ ومن معلّمي بلاد الهند طبعت سنة ١٨٨٣ وكتاب في الدين الطبيعي طبع سنة ١٨٨٩ وحرَّر الرغ فيدا في ستة مجلدات كبيرة فيها ثمانية الاف صفحة متناً وشرحاً وقد فحصهُ سبع مئة من البراهمة فحكموا انهُ افضل نسخة واصلحوا نسخهم عليهِ. وحرر كتب المشرق الدينية وهي خمسون مجلداً. ولهُ غير ذلك من الكتب والمقالات . ومن آخر مقالاتهِ



العلامة اللغوي مكس ملر

مقالة في اديان اهالي الصين نشرت في جزء هذا الشهر (نوفمبر) من مجلة القرن التاسع عشر

وحالما ظهرت مقدرتهُ في علم اللغات اختير استاذاً فيهِ في مدرسة اكسفورد الجامعة فظلَّ فيها نحو خمسين سنة. ولبعض العلماء مثل هكسلي وتندل وفوستر مقدرة فائقة على بسط المواضيع العلمية وهم يخطبون فيها حتى ترى الناس يتقاطرون الى نوادي الخطابة عن طيب نفس ولو

كان الموضوع من المسائل الطبيعية العويصة بجرى مكس ملر مجراهم وبلغ الطبقة العليا بينهم فكان يخطب في علم اللغات وقد لا يقول شيئاً جديداً او شيئاً لم يذكرهُ احد قبلهُ ولكنهُ كان يعبّر عنهُ على اساوب يخلب الالباب لم يسبقهُ احد اليهِ حتى ذاع اسمهُ في البلاد الانكليزية كلها وصارت خطبهُ من المواضيع التي يتحدث الناس بها في مجتمعاتهم وولائمهم وذهب كثير من اقوالهِ امثالاً

ولم تكن آراؤهُ كلها مما يقوى على النقد والتمحيص ولا لقي الطاعة العمياء في معاصريهِ والتسليم التام لمقدماتهِ ونتائجهِ بل لقي من علماء عصرهِ كل منتقد عنيد كما ترى في ما ذكرناهُ في المجلد السادس عن رأيهِ في اصل اللغات وانتقاد الاستاذ هوتني عليهِ . وكذا مذهبهُ في اشتقاق الشعوب الاوربية من الشعوب الآرية وتولد الاوربيين والهنود من اصل واحد ومهاجرة الاوربيين الى اوربا من قلب اسيا فان كثيرين من نخبة العلماء يخالفونهُ الآن في هذا المذهب . ويقال بنوع عام انهُ كان متطرفاً في مذاهبهِ متسرعاً في احكامهِ لكن لا ينكر احد ان علم اللغات (الفيلولوجيا) الذي وضعهُ الاستاذ بوب سنة ١٨٣٥ لم يوسعهُ احد مثل تلميذهِ مكس ملر . وكتابهُ في عقائد الامم لا يخلو من آراء غير سديدة ولكنهُ هدى العلماء الى مكتشفات عديدة في هذا الموضوع واوضح كثيراً من الغوامض بذكاء عقلهِ وقوة بداهتهِ ٠

ولا شبهة عندنا في انهُ وسَّع نطاق علم اللغات ورغَّب الناس في درسهِ وعلَّم الاوربيين والمشارقة انفسهم كثيراً مما لم يكونوا يعلمونهُ من تاريخ لغاتهم ومعتقداتهم ولكننا نرتاب كثيراً في ان ذلك افاد منكان المشرق سياسياً فقد بذل جهدهُ مدة خمسين سنة ليقنع الانكليز ان الهنود ابناء اعمامهم لكن هذا لم يغير رأي الانكليز في الهنود ولا افاد الهنود مثقال ذرَّة . ومن لا يقنعهُ قول الكتاب ان الناس كلهم من اب واحد وام واحدة لا تقنعهُ آراء العلماء واقوال الفلاسفة ٠

وكان رضيَّ الاخلاق كثير الاصدقاء يقصدهُ الزوار من اقطار المسكونة ويكاتبهُ الناس بلغات شتَّى . اختار انكلترا وطناً لهُ لكن حب المانيا وطنهِ الاصلي لم يهجر فؤادهُ فلما نشبت الحرب بين فرنسا والمانيا سنة ١٨٧٠ نشر خمس مقالات في جريدة التيمس دافع فيها عن سياسة بسمارك واقام الادلة على انهُ كان يقصد بها السلم لا الحرب وبقي العمر كلهُ عالماً المانياً بين العلماء الانكليز وقد بذل الانكليز جهدهم في اكرام مثواهُ وخلقوا لهُ منصب استاذية اللغات الاجنبية خلقةً لكي لا يحرموا فوائدهُ ولا يدعوهُ يهجر بلادهم ثم ابدلوها باستاذية علم اللغات (الفيلولوجيا) ولما كثرت اشغالهُ ودَّ ان يعفى من هذا المنصب لانهُ لم يعد قادراً

على القيام بهِ عينت المدرسة استاذاً آخر نائباً عنهُ يقوم باعبائهِ وابقت الاستاذية لهُ ولكن لما خلت كرسي استاذ السنسكريت وترشح لها هو والاستاذ الانكليزي مونير وليمس فضَّل المنتخبون الاستاذ مونير وليمس عليهِ لا لانهُ اكفى منهُ لهذا المنصب بل لانهُ انكليزي ومكس ملر الماني فاستاء من ذلك لكنهُ لم يحقد على الذين فضلوا غيرهُ عليهِ . وودَّ مراراً ان يترك اكسفرد واما اكسفرد فلم تتركهُ وقد اكرمتهُ كما اكرمت اشهر تلامذتها واعظم اساتذتها وكانت الصلة المتينة بينها وبين علماء اوربا ولاسيما علماء المانيا حتى ان امبراطور المانيا كان يبعث اليهِ بتلغراف التهنئة كلما فازت اكسفرد في سباق او نحوهِ

توفي في الثامن والعشرين من اكتوبر في بيتهِ باكسفرد على اثر مرض عقام في كبدهِ واحتُفل بدفنهِ في غرة نوفمبر وحضر الاحتفال الجنرال غودفراي كلارك من قبل جلالة الملكة والهر شلز-ستينورتز من قبل جلالة امبراطور المانيا وبعث الامبراطور باكليل فاخر من الازهار البيضاء وضع على النعش وقد كتب عليهِ " لصديقي العزيز " وبعث ملك اسوج اكليلاً من الزنابق . وحضر الاحتفال ايضاً ولي عهد سيام ونواب المدارس الجامعة والجمعيات العلمية

معرض باريس العام

سنة ١٩٠٠

(تابع ما قبلهُ)

وصفنا في الجزء الماضي ستة ابواب من ابواب المعروضات موجزين فيها على ما يقتضيهِ ضيق المقام اذ ليس غرضنا انشاء كتاب عن المعرض وما فيهِ لان الفرنسويين سبقوا كل احد الى ذلك ووضعوا كتاباً كبيراً في ثلاثة مجلدات ضخمة وصفوا فيهِ كل ما في المعرض . وانما غرضنا ان نصف ما نرى في وصفهِ فائدة لابناء المشرق اما لانهُ جديد في بابهِ او لان في الكلام عنهُ حثاً لهم وتحريضاً على انفاذ عزيمتهم نحو مراقي الفلاح مجاراة للامم التي لم نكن نتوقع انها تفضلنا في امر من الامور . هذا هو الغرض الاول الذي نرمي اليهِ كما ظهر للقارىء الكريم مما تقدَّم في الجزء الماضي . والكلام على سائر ابواب المعرض لا يخرج عن مثل ذلك كما سيجيء

" الباب السابع يشمل كل ما يختص بالزراعة وفيهِ ثمانية فصول (من ٣٥ الى ٤٢) وهي فصل في الآلات الزراعية وما يتعلق بالفلح والحرث والزرع وتجفيف الاراضي ونزح الماء عنها والسماد والطب البيطري . ومن جملة معروضاتهِ اشكال كثيرة للعزب والاباعد وحظائر الغنم

والبقر وغيرها من المواشي وصيرٍ ومذاود لتوليد المواشي وتربية نتاجها وطرق تسمينها. واشكال عديدة من السكك والمحاريث وآلات البذر والغرس والحصاد والدرس وغيرها من الآلات الزراعية التي تديرها المواشي والدواب او تدار بالريح او بالماء او بالبخار او بالكهربائية . ومن معروضاتهِ ايضاً اشكال كثيرة من الاصطبلات والمخازن وعدد الدواب وادوات البيطرة وغير ذلك من وسائط العناية بالدواب والمواشي ومما يستعملهُ الطبيب البيطري في علاجها وطرق تدبير السماد وحفظهِ والسماد الصناعي وتسميد الارض بما ينزح من المراحيض والمصارف الى غير ذلك

وفصل في ما يختص بزراعة الكرم مثل نصب الدقران لتعريش الكرم عليها والمحاريث التي يحرث بها الاوربيون اراضي كرمهم والآلات التي يطعّمون بها الكرم و يقضبونهُ ويقطفونهُ وطرق عصر العنب وعمل الخمر وحفظهِ والآفات التي تصيب الكرم وطرق وقايتهِ منها. ومواد هذا الفصل معروضة مع مواد فصل الخمر من فصول الباب العاشر

وفصل يختص بالآلات والمعامل والطرق التي تصنع بها الزبدة والجبن والقشدة والنشا ونحوها والمعاصر ومعامل التقطير والاستخراج وما شا كلها فهناك يرى الانسان امثلة احدث المعامل المختصة بصنع المصنوعات من الالبان كالجبن والزبدة الخ ويرى ايضاً اقنان الدجاج واوكار الحمام ومآوي الطير والمفارخ الصناعية وطرق تسمين الفراخ وما شابه ذلك

وفصل يختص بعلم الزراعة والاحصاء الزراعي . ومعروضاتهُ خرائط واوراق يبحث فيها عن التربة والماء وتقلبات المواء وجداول لاحصاء الاراضي الزراعية والبائرة وتعداد المواشي وتقلبات اجارة الاراضي واثمانها واجرة العمال والجمعيات الزراعية والبنوك الزراعية والمطبوعات الزراعية وعملات التجارب الزراعية والمعامل الزراعية ونحو ذلك

وفصل يختص بما يؤكل من الحاصلات النباتية ومعروضاتهُ الحبوب والقطاني بانواعها والنباتات السكرية كقصب السكر والبنجر ونحوها والزيتون والزيوت والبن الخ . وفصل يختص بما يؤكل من الحاصلات الحيوانية مثل اللبن والزبدة والجبن والبيض والدهن الخ . وفصل يختص بما لا يؤكل من الحاصلات الزراعية كالياف النباتات التي تنسج مثل القطن والقنب والكتان ونحوها. والزيوت التي تعصر ولا تؤكل والدخان والتنباك والاصباغ ويتبع هذا الفصل الصوف بانواعهِ والشعر والهلب والوبر بانواعها والريش بانواعهِ

وفصل يختص بالحشرات النافعة وجناها والحشرات الضارة والنباتات الطفيلية ويرى الانسان بين معروضاتهِ كثيرًا من النحل وخلاياهُ ودود القز ودودة القرمز والطرق المستعملة

لتربية النحل ودودة القز وكثيراً من العسل والشمع والفيالج (الشرانق) . وتفنن العارضون تفنناً عظيماً في عرض معروضاتهم هنا كما في سائر اقسام المعرض حتى ان بعض الشركات التي تربي هذه الحشرات كتب اسمها بشهد العسل وبفيالج دود الحرير وبالحشرات ايضاً "

وقد تبارت الدول الاوربية ومستعمراتها في هذا الباب وجارتهنّ او فاقتهنّ فيهِ الولايات المتحدة الاميركية بلاد الزراعة والصناعة وغرضها من ذلك ليس اظهار عظمتها الزراعية وعرض ما تفاخر بهِ حكومتها حكومات الارض بل ترويج آلاتها وادواتها الزراعية في اقطار المسكونة فعرضت في بناء المعرض امثلة آلات الحرث والزرع والحصد والدرس والنقل — امثلة صغيرة مختلفة الاشكال والاقدار تدور بالكهربائية امام عين الرائي فيرى كيف تدور في الحقل وتُعمَل بها اعمال الزراعة المختلفة . وعرضت جانباً من هذه الآلات نفسها في ملحق يلي المعرض وجانباً آخر كبيراً في فنسان وما لم تستطع عرضهُ كبيراً وهو يدار في موضعهِ كالمحاريث الكهربائية والروافع ونحوها عرضتهُ صغيراً ومثلت لهُ الاراضي سهولها وآكامها تمثيلاً فتراهُ يجري فيها من جهة الى أُخرى يعمل ما تعملهُ الآلات الكبيرة في الاراضي الزراعية

لكن ما يصلح في البلاد الاميركية لا يصلح كلهُ في بلادنا لان اجرة العامل فيها تساوي اجرة عشرة عمال عندنا فاذا استنبط الاميركيون آلة زراعية بخارية او كهربائية نفقاتها في اليوم مئة غرش وهي تغنيهم عن عشرة عمال ربحوا بها مئة غرش في اليوم اما نحو فالعشرة العمال لا تبلغ اجرتهم عندنا اكثر من عشرين او ثلاثين غرشاً فنخسر بهذه الآلة سبعين او ثمانين غرشاً في اليوم ولذلك ترى الاراضي التي لا تبعد نصف مرحلة عن المعرض تحرث حتى هذه الساعة كما تحرث الارض في القطر المصري مع اصلاح قليل في المحراث

ولو ارادت تركيا ومصر ان تباريا غيرهما في هذا الباب لفازتا بكثير من الجوائز والنياشين ولا سيما في الفصول الاربعة الاخيرة منهُ ولفاقتا مدغسكر على الاقل تلك الجزيرة النائية التي ارتفع فيها العلَم الفرنسوي منذ عهد قريب فنزلها نفر قليل من الفرنسويين واستغلوا خيراتها واستخرجوا الحرير من عناكبها . أفلم يكن في الامكان عرض التبغ والحرير والقطن والقنّب والرامي والقرمز والعفص والعسل والشمع والزيتون والزبيب والقشمش والحبوب على انواعها . لماذا تعرض اسبانيا الوفاً من قناني الزيتون المملح والمخلل واليابان ابنة امس الوفاً من قناني المربيات والاثمار المخللة ونحن لا نعرض شيئاً من ذلك لترويج بضائعنا في الاسواق الاوربية . لكن وا حسرتاه لقد اضعنا كل شيء حتى التجارة التي وضع اساسها اسلافنا

" والباب الثامن يشمل كل ما ينشرح لهُ الصدر وتقرُّ برؤيتهِ العين في المعرض من

الاشجار والرياحين والازهار والرياض الغنَّاء والحدائق الخضراء والجنات الفيحاء وفصولهُ ستة فحالما يدخل الانسان الى المعرض من الباب الكبير يجد عن جانبيهِ ما لا يوصف من اشكال الرياحين والانوار والاعشاب والازهار تدبج الارض بالوانها وتعطر الارجاء بشذاها . وكيف اتجه في المعرض يجد كل ارض خلت من البناء قد تحوَّلت الى رياض نضرة وجنات غناء منظمة ابدع تنظيم ومنسقة الطف تنسيق مساحتها تزيد على ٢٧ فداناً وعدد اشجارها يفوق اربعة آلاف شجرة وانجمها ٢٨ الف نجم وباقي رياحينها وانبتتها ١٠٠ الف نبت حتى استغرق ما بينها من الطرق والماشي ٢٠٠٠ متر مكعب من الحصى و٧ آلاف متر مكعب من الرمل وهي لا تُروى باقل من ٣٠٠ متر مكعب من الماء كل يوم . وكل فصل من فصول هذا الباب معرض يساوي اضعاف اضعاف معرض الازهار والمعرض الزراعي معاً من معارض مصر القاهرة ففصل الازهار والرياحين ونحوها من نبات التزيين يعم اراضي مساحتها ١٧ الف متر مربع (٤ افدنة) منها ٣ آلاف متر مربع للورود وحدها على اختلاف اصنافها واشكالها . ولم ترَ عيني منظراً الطف من منظر الرياض التي يراها الانسان من برج ايفل مبسوطة في الشان دومارس وامام قصر التروكاديرو فانها تحكي باشكالها الهندسية والوانها البهية واواسطها المنمقة وحواشيها المدبجة المنسَّقة اجمل ما صنع الصناع من البسط والطنافس وابهج ما يباهى بهِ من الطراز والنمارق . وقد شعرت بما لا يوصف من البسط والانشراح لما سرَّحت نظري في الحدائق المجاورة لقصري الفنون الجميلة وجسر (كبري) اسكندر الثاني ورأيت ما هناك من الاشجار النادرة المثال الغريبة الاشكال بعضها يحكي الاشكال الهندسية وبعضها يحكي المظال الى غير ذلك من فنون البستانيين

هذا ولم يقتصروا في عرض فصول هذا الباب على رياض المعرض وجنانهِ فحسب بل انهم اقاموا لها قصرين عظيمين على الضفة الشمالية من نهر السين معقودين بالزجاج طول كلٍّ منهما ٨٣ متراً وعرضهُ ٣٢ وعلوهُ ٢١ تفصل بينهما جنة بديعة مقطعة على اشكال هندسية وخصوا احدهما بالمعروضات الفرنسوية والآخر بالمعروضات الاجنبية . فالداخل الى قصر فرنسا يجد فيهِ ما لا يأخذهُ عدٌّ ولا يحيط بهِ وصف من الرياحين والازهار والانجم والاشجار ذات الاوراق وذات الانوار مصفوفة ومرتبة في جوانبهِ ترتيباً يزينهُ اجمل زينة . ويجد فيهِ ايضاً الخضر المزروعة والاثمار المجموعة على وجه يشهد لبستانيي فرنسا بحسن الذوق والسبق في ميدان البستنة . والداخل الى قصر المعروضات الاجنبية يجدهُ مقسماً اقساماً على عدد الامم العارضة رياحينها وازهارها واثمارها فيها . واعظم ما يستوقف بصرهُ منها فواكه الولايات المتحدة الاميركية واثمارها الرطبة والمخللة وقد اطلت نظري فيها فوجدتها كثيرة المشابهة لفواكه سورية والثمار

المصرية غير انها تفوقها جودةً في تفاحها وكمثراها وبرقوقها (خوخها) وخوخها (دراقها) ولكن ثمار سورية ومصر تفوقها في البواقي كالبرتقال والليمون والنارنج بانواعها والعنب والرمان باصنافها. ولاشك عندي انهُ لو احسن بستانيو مصر وسورية العناية باشجارهم المثمرة كالاميركيين والاوربيين لكانت اثمارهم وفواكههم تفوق اثمار سائر البلدان جودة وطعماً ولذة . ورأيي هذا مبنيٌّ على ما رأيت وعرفت بعد الاختبار والمقابلة . ويرى الانسان في هذا القصر كثيرًا من الاثمار الفاخرة والخضر النضرة عرضتها المانيا والمجر وغيرهما ولكنها امثلة صناعية لاثمار وخضر طبيعية . وهناك نباتات وازهار مكسيكية من الفصيلة المعروفة عند النباتيين بالفصيلة الصحلبية جاؤوا بها حية من بلاد المكسيك . ورأيت كثيرًا من هذه الانبتة والازهار الصحلبية معروضاً في بيوت حارة وبيوت زجاجية متفرقة في جهات شتى من المعرض وهي تدهش الابصار بجمالها وتحير العقول باشكالها . وفي اسفل هذين القصرين شيءٌ كثيرٌ من ادوات السقي والتسخين والسلالم والمواد التي تصنع منها مسآكات الماء الى غير ذلك ووراءها بناء عرضت فيهِ ادوات البستاني القاطعة والحبوب والاعشاب والحشائش مصفوفة على اشكال جميلة وصور الحبوب والازهار والخضر وغيرها مما لا يستوفي وصفهُ قلم ولا لسان . فحسبي ان اقول ان معروضات هذا الباب لاتترك حاجة في النفس الاَّ تفيتها من حيث الرياحين والاشجار والازهار والاثمار "

هذا ما قالهُ الدكتور نمر في هذا الباب وغنيٌّ عن البيان ان الاثمار كانت بريّة كلها وكان غالبها صغيرًا دميمًا ثم نقلها الانسان الى بساتينهِ واعتنى بها عامًا بعد عام وقرنًا بعد آخر فكبرت اثمارها وجادت انواعها وتنوَّعت اصنافها حتى لقد اخبرنا بستاني في سويسرا ان عندهُ اكثر من مئة صنف منها واراانا بعض هذه الاصناف فاذا هي تختلف حجمًا من الجوزة الى ما يبلغ وزنهُ رطلاً مصريًا ولونًا من الابيض اليقق الى الاحمر القانئ . ويقول الثقات ان في البلاد الانكليزية وحدها اكثر من الفي صنف من التفاح

ولقد اعتنى اهالي الشام والعراق من قديم الزمان بنقل الفاكهة من الحالة البرية الى الحالة البستانية واستثمروا على ذلك اعقابًا كثيرة فجاد عندهم العنب والتين والرمان والكمثرى (الاجاص) والخوخ (الدراقن) والمشمش وتنوَّعت اصنافها كثيرًا حتى انهُ ينبت منها الآن في بساتين دمشق ما لا مثيل لهُ الاَّ في ما بقي من البساتين في العراق . واخبرنا شاهد عدل انهُ رأى هناك عنقود العنب يحمل بالعتل كما حملهُ الجواسيس في ايام موسى

فانواع الفاكهة التي تزرع الآن في الشام من اجود ما في المسكونة كلها دلالةً على ان ترابهُ واقليمهُ صالحان لذلك وهو على مقربة من اوربا ومصر ومع ذلك لا ترى لاهلهِ همةً في

مناظرة غيرهم حتى ان اهالي كاليفورنيا في الطرف الاقصى من اميركا الشمالية سبقونا الى الاسواق الاوربية ولا يبعد ان نصير نبتاع منهم التين والزبيب وسائر الفواكه المقدَّدة لانهم اهل سعي وإقدام ونحن اهل كسل واحجام. ولقد خرجنا من هذا المعرض مقتنعين ان بلادنا من اطيب البلدان تربةً واحسنها اقليمًا كما يظهر من مقابلة الاثمار المعروضة فيهِ باثمار بلادنا وان اسلافنا الذين ربّوا الاثمار ونقلوها من الحالة البرية الى الحالة البستانية كانوا من اكبر الناس همةً واشدهم اعتناء فلا لوم عليها ولا عليهم وانما اللوم علينا لاننا لم نقم بما ورثناهُ حق القيام

" الباب التاسع يشمل المعروضات المتعلقة بالحراج والآجام والصيد والقنص والحاصلات البرية وفصولهُ ستة معروضة كلها في قصر عظيم على ضفة نهر السين الجنوبية طولهُ مما يلي السين ١٨٠ مترًا وامامهُ ووراءهُ قطع كثيرة من الاشجار الكبيرة بعضها يكاد قطرهُ يبلغ مترين وطولهُ بضعة امتار وهو رزين لا شق فيهِ ولا نخر

وفصل من معروضات هذا الباب خاص بانشاء الحراج والغياض وبحفظها بعد انشائها مثل بزور الاشجار التي تنمو في حراج كل قطر من الاقطار. والآلات والادوات والامتعة والآنية التي تجمع بها تلك البزور وتجفف وتحفظ من التلف والبيوت التي تجفف فيها. والمغارس التي تبذر فيها البزور وتغرس فيها الفسائل ثم تنقل منها وتغرس في الحراج والغياض بدلاً من الاشجار التي تقطع منها . وامثلة كثبان الرمال التي تغرس فيها الاشجار لتمسك رمالها فلا تسفيها الرياح على ما يليها من الاراضي الزراعية . وامثلة سدود وجسور لمنع مياه البحر وامواجهِ عن الطغيان على الارض التي بجانبها . وامثلة المناشير المختلفة التي ينشر بها الخشب والمناظر التي يسكن نواطير الحراج فيها . وبين معروضات هذا الفصل صورة بديعة كبيرة للاعمال المتعلقة بغرس الحراج على بعض مسايل الماء في سافوى ببلاد فرنسا

وفصل يشمل حاصلات اشجار الحراج مثل الخشب على اختلاف انواعهِ من خشب النجارة وخشب الخراطة وخشب البراميل وخشب الصباغة والدباغة والقشور المستعملة في الدباغة والالياف التي تستخرج منها والفلين والصموغ والعطور . وكذلك ما يصنع من خشب الشجر وقضبانهِ كالاشياء المخروطة على اختلاف اشكالها واحذية الخشب والسلال والفحم الى غير ذلك

وفصل يشمل جميع العدد والآلات والاجهزة المستعملة في صيد الوحش والطير والآلات والادوات التي تصنع تلك العدد بها . اما عدد الصيد فكالاسلحة على اختلاف انواعها واشكالها من قديمة وحديثة وهي معروضة على وجه يعلم منهُ الناظر كيف ارتقى السلاح وتفنن الانسان في صنعهِ من المقلاع والقوس والنبل والمجانيق والبندق الذي يرمى بهِ الى عهد البنادق والبارود

حتى يصل الى البندقية الكثيرة الطلقات . وكذلك انواع السلاح الابيض وانواع رصاص البنادق من مصمت يبقى على شكلهِ او يتسع وينبسط بعد اطلاقهِ ومجوف يفرقع وينتشر بعد اطلاقهِ وكبسول وذخيرة وخرطوش الى غير ذلك

واما الآلات والادوات التي تصنع بها عدد الصيد فكالمخارط التي تخرط خشب البنادق بسرعة عظيمة والآلات التي تسوي حدائد البنادق من داخلها وتحكم صنعها وآلات ثقب الاسلحة وآلات نشر ما ينشر منها وآلات صقلها وتقويمها وآلات صنع الكبسول والذخيرة وهلم جرًّا ويتلو ذلك الالعاب النارية على اختلاف الوانها واشكالها واسلحة المتبارزين بانواعها

وفصل يشمل حاصلات الصيد والقنص واعني بذلك ما يصاد من الوحش والطير وما ينتفع بهِ من صيدها . وهذا معرض يبهج المولعين بالصيد وبعلم الحيوان ايضاً لما حوى من الوحوش والطيور المصبرة وابواثها اي جلودها المحشوة بحيث يشبه منظرها منظر تلك الحيوانات وهي حية في البرية . وقد تفننوا في حشوها وعرضها حتى يتوهم الناظر اليها انهُ يرى ضواريها وكواسرها تطارد فرائسها او تتنازع وتتصارع وسط الاجام وعلى قنن المعاقل الى غير ذلك من المناظر التي يصفها الصيادون او تركبها مخيلات المصورين . وهناك كثير من جلود هذه الحيوانات بين اديم ودبيغ ومن شعرها وهلبها ووبرها وريشها وعظامها وقرونها الكبيرة والصغيرة ومن الفيل وبيض الطيور والزباد والمسك . وقد ابدعوا في عرض المسك فعرضوا بجانب نوافجهِ بوَّ ظبي من ظباء المسك الصيني ومثال رجل من الشمع يستخرج نافجة المسك من بطن ذلك الظبي بحيث يعلم الناظر كيف يستخرج المسك على اسهل سبيل

ولعل اثمن ما بين هذه المعروضات ان لم يكن اجملها ايضاً معرض الفراء ولا سيما الفراء التي يصنعها الفرّاؤون الفرنسويون من جلود الحيوانات التي تقطن الاصقاع الشمالية كروسيا وكندا وغيرها . وقد ابدعوا في عرضها فصنعوا لها اشخاص الناس من رجال ونساء والبسوها الفراء مفصلة على اختلاف الازياء. فترى بينها اشخاص الرجال والنساء لابسة ملابس الركوب والخروج للنزهة في الفضاء وكلها من الفراء وكذلك ملابس الجلوس في البيوت للاستقبال من الفراء ورأيت شخص امرأة لابسة الرداء الذي يلبس حين الخروج من حفلات الرقص وهو رداء ضافي الاذيال يمتد وراء لابستهِ ذراعاً ويثمن باضعاف وزنهِ من الذهب

وكنت قد قرأت قبل ذهابي الى المعرض ان فيهِ جلد ثعلب اسود يثمن بالف جنيه فاستعظمت قيمتهُ وبينما انا أبحث عنهُ في خزائن الفراء الروسية حيث عرضوا اندر الجلود واثمنها مثل جلود الثعالب وكلاب الماء التي تعيش في شمال سيبيريا ويصنع الافرنج منها البرانيط التي

يتنافسون في لبسها وقعت عيني على فروة سمور سوداء لم ارَ احلك من سوادها او انعم من وبرها او اجمل من لمانها وبينا انا اقلب طرفي فيها وجدت عارضها قد كتب عليها " ٧٥٠٠٠ فرنك " يعني انهُ يبيعها بثلثة آلاف جنيه . ولم أَبعد الاَّ قليلاً حتى استوقفت صورةٌ بصري وهي معلقة فوق خزانة من خزانات الفراء التي عرضها محل باريزي يُسمى جنجانس فتوسمتها فاذا هي صورة المسيو لوبه رئيس الجمهورية الفرنسوية من رأسهِ الى وسطهِ . سترتهُ سوداء وقميصهُ ابيض وحول طوقهِ ربطة بيضاء وشعر رأسهِ اشمط وكذلك لحيتهُ شمطاء وعيناهُ وحاجباهُ ولون وجههِ كلها طبيعية وحولهُ شبه اكليل مضفور من الاوراق والرياحين وفوق رأسهِ شعارهُ وتحتهُ في اسفل الصورة " ١٩٠٠ " وعن جانبيهِ الحرفان R.F وهما الحرفان الاولان في كلمتي الجمهورية الفرنسوية ثم امعنت نظري في هذه الصورة فوجدتها مصنوعة كلها من الفراء صنعاً يزري بالصور الزيتية . ويطول بي المقام لو شئت استيفاء الكلام على ما في هذا الفصل من جلود الاوبار البيضاء القطبية وغيرها مما لا يستوفى وصفهُ الاَّ في مجلد كبير

وفصل الآلات والادوات المستعملة في صيد السمك وتربيتهِ وتربية الصدف والتراق في الماء فتجد بينها جميع اشكال قصب الصيد من القصبة التي تباع بغرش الى القصبة التي لاتباع بالف ومئتي غرش لدقة صنعتها وحسن زخرفتها . وهناك ما لا يحصى من الصنانير والشباك والشراك والادوات التي يصاد بها السمك من البحر او من الماء العذب . وامثلة الاماكن التي يبنونها ليبيض السمك فيها والوسائط التي يستعملونها لتفقيس بيضهِ ولتربية صغارهِ حتى تكبر . ومن اغرب ما هو معروض بينها امثلة السلالم التي ينصبونها في الماء فيصعد السمك عليها ويجتاز الشلالات وينتقل من المياه الواطئة الى المياه العالية واشكال عديدة من الحياض داخلها سمك حيٌّ من الانواع النادرة او المجلوبة من الاقطار البعيدة . ومكان واسع يربُّون فيهِ التراق (البطلينس) ومكان آخر يربون فيهِ العلق (الدود) . وما لا يوصف من انواع السمك المصبر او من امثلة السمك الصناعيَّة وامثلة طعومهِ ايضاً ومن انواع الصدف وعرق اللؤلؤ واللؤلؤ وهناك اصداف كثيرة لا تزال اللآلئ داخلها في درجات مختلفة من درجات تكوُّنها وبين اللآلئ المعروضة فرائد كثيرة بيضاء وسوداء لم ارَ اعظم منها الاَّ بين الفرائد المعروضة مع الحلى والجواهر وسيأتي الكلام عليها في محلها . واشكال كثيرة من المرجان والاسفنج والذبل (جلد السلحفاة) والمادة القرنية التي تستخرج من فم الحوت وتصنع منها الامشاط ونحوها والكهرباء وزيت السمك ودهنهِ " . وسيأتي الكلام على تتمة هذا الباب في الجزء التالي

مستقبل الصين

لجناب الامير شكيب ارسلان

الحكومة في الصين

الصينيون يسمون بلادهم "المملكة الوسطى" لانهم يعتقدون انها وسط الارض ويقولون لها ايضاً "المملكة الزاهرة" وقول الاوربيين "المملكة السماوية" وهو ما يكررونهُ ابداً غلط مشهور مشوا عليهِ ولم يتأملوا في اصلهِ والحال ان قول شعراء الصين عن البلاد "تيان هيا" اي ما تحت السماء يشمل عندهم الصين وغير الصين

والسلطة كلها في يد الامبراطور او السلطان ولهُ عندهم اسماء والقاب متعددة فيقال لهُ احياناً هوانغ تي (Houang-ti) واحياناً (Houang-tchang) هوانغ تشانغ او تشانغ فقط وقولهم (تيان تسيو) اي ابن السماء لقب تعظيم ولهُ لقب يتخذهُ عند ولايتهِ وهو نيان هاو (Nien-Hau) وللامبراطورة القاب ايضاً فمنها هوانغ هيو (Houang-Héou) وكوو مو (Koo-mou) ومعناهُ ام المملكة. والعامة تقول لها تشونغ كونغ (Tchong-Kong)

وذات السلطان عندهم مقدسة وغير مسئولة حتى لو كان سلطانهم غشوماً او فاجراً لوجبت عليهم طاعتهُ وتعظيمهُ. قال كنفوشيوس: مهما تكن القلنسوة بالية فمكانها الراس ومهما تكن الاحذية نظيفة فمكانها الارجل

والسلطان هو ابو الامة بل هو ابوها وامها والامة كلها عيالهُ وهو سلطان الابحر الاربعة وسلطان العشرة آلاف امة ولهُ وحدهُ حق القربان لعاقي السماء والارض معبودي الصينيين وللارواح. وتعظيم هؤلاء الاقوام لهُ نوع من العبادة فانهم يسجدون لهُ ويسجدون لكرسيهِ ولو كان غائباً عنهُ ويجثون لقصرهِ ولو لم يكن فيهِ واذا ولوا وجوههم شطره باكين ركعوا اجلالاً وتكرمةً واذا ورد امرهُ على احد الوزراء او الولاة احرق لهُ البخور. والاحرف التي يتركب منها اسمهُ لا يجوز ان يركب منها اسم آخر. وتفرق عن غيرها بحركات فاسمهُ ايضاً حرَم على الالفاظ وطاعتهُ من طاعة الآلهة والامة جميعها عبيدهُ واحترام الابناء لآبائهم انما هو لنيابتهم عنهُ في ابوّة العيال الجزئية التي تتألف منها العائلة الكبرى الصينية فطاعة الرعية للسلطان تسمى بالطاعة البنوية. واكثر الكتابات المحفورة على ابواب المدن والابنية العمومية والكلم الجوامع التي تتداولها الالسن تشير الى هذا المعنى وناهيك ان في الصين اشتراكيين وان الاشتراكيين انفسهم لم يجسروا ان يخلّوا بمبدإ ابوّة الامبراطور وبنوّة الرعية لهُ

واذا مات الامبراطور عمَّ الحداد جميع المملكة ومدة الحداد الرسمي سنة واحدة وتبطل حينئذٍ الاعراس والافراح والولائم والمواسم وتبطل حرفة المزينين لاعفاء الناس جميعاً شعورهم مدة الحداد فتلتزم الدولة ان تقوم بمعاشهم. وام الامبراطور محترمة كالامبراطور لأن مبدأ الحرمة كما قلنا هو الاب والام ولا بد من ان يزورها الامبراطور كل خمسة ايام مرةً ويجثو امامها. وكما كان الامبراطور صاحب هذه الحقوق العظيمة كلها على رعيتهِ كانت عليهِ واجبات نظيرها لهم وهو مسؤول عن رضاهم وسعادة احوالهم. قال كنفوشيوس : اكسب قلوب الامة تنل السلطنة . اخسر محاب الامة تخسر السلطنة . ولكنفوشيوس وصايا تسع على السلطان اتباعها وهي : احترام الحكماء ورعاية ذوي الارحام واكرام العمال وتوقير القضاة وحب الرعية محبة الاب وتعاهد العلماء والبحث عن الصناع وايناس الغرباء ومكارمة الحلفاء

وهذه القواعد لا بد للسلطان من اناس يذكرونهُ بها ويتلونها عليهِ واحدة بعد اخرى ويتلون عليهِ اصولاً اخرى وآداباً وحكماً وربما استغرقت المجلدات ويقيّدون لهُ جميع حركاتهِ وسكناتهِ لتكون محفوظة على الاحقاب ويطلع عليها الاعقاب واعقاب الاعقاب. ومن هذه الجهة تراهُ شخصاً غير مستقل بل هو آلة في يد الامة وانهُ لكونهِ يمثّل الامة يُسأَل عندهم عن سعادتها وشقائها وسرورها وغمها ورخائها وشدتها ولو لم يكن هو سبباً في شيء من ذلك. قال الامبراطور ياو· ان اصاب الشعب برد فانا السبب فيهِ وان مسهُ جوع فانا المخطئ ومهما يمسهُ من ضرر فعليَّ التبعة وحدي . وكان الامبراطور تشينغ تانغ يقول عند حصول بعض الشدائد : المجرم الوحيد انا لا يستحق الموت سواي . وكان منغتز يقول : لا فرق بين قتل بالسيف وقتلٍ بادارة ظالمة . ولهم كلمات في معنى الابوة والحنان على الرعية من اعلى ما روي عن الملوك . وجدير بملوك قرنوا هذه الاقوال بالافعال ان تتعلق بهم قلوب رعيتهم

والسلطان مطلق السلطة ولكنهُ يعتضد في حكومتهِ بجملة دواوين اهمها المجلس الاعظم (Kioum-Kitchou) وعدد اعضائهِ غير معين وكان تأسيسهُ سنة ١٧٣٠ والتئامهُ يقع كل يوم وفيهِ ستون كاتباً للضبط. ثم قلم كتابة السرّ السلطاني (Nei-kou) وكان لهُ شأن خطير في السابق قد زال الآن. وللسلطان اربعة كتبة اسرار اثنان من الصينيين واثنان من المنشوريين وتكون رتبة كاتب السلطان على احد الوزراء او الولاة تشريفاً لهُ باللقب ولو لم يستعمل في هذه الخدمة مثال ذلك لي هنغ تشنغ بسمارك الصين الذي اشتهر ذكرهُ هذه المدة خصوصاً فانهُ وهو والي ايالة " تشيلي " صاحب رتبة باشكاتب السلطنة . وفي المملكة ست نظارات وهي الداخلية وفيها اربعة اقلام واليها مرجع امور الولاة والعمال والمأمورين. والمالية

وهي مرجع الضرائب والجبايات والمكوس. ونظارة الطرق والاحتفالات الدينية وتنطوي تحتها الموسيقى السلطانية. ونظارة الحرب وهي تشمل البرية والبحرية. ونظارة العدلية او العقوبات ونظارة الاشغال العمومية. وسنة ١٨٦١ انشأت دولة الصين نظارة الخارجية المسماة تسونغ لي يامن (Tsong-li-Yamen) وذلك لمعاطاة اشغال الاجانب حين كثرت علائقهم بها و يضاف الى الخارجية نظارة اخرى هي من نوع الخارجية لكنها مستقلة عنها وهي ادارة مغوليا واليها رجوع المخاطبات مع الروسية واسم النظارة عندهم بو (pou) ولكل منها ناظران احدهما صيني والآخر منشوري واربعة معاونين هم من الفريقين كذلك. وهناك قلم مراقبة لاعمال جميع العمال وقد تترقى خدمته حتى تتناول اشغال الامبراطور نفسه في الجملة. وللعمال سلطة عظيمة في تلك البلاد فالعامل هو المدير وهو القائد وهو القاضي وهو مأمور السياسة مع الاجانب وهم معتبرون بحسب نيابتهم عن السلطان آباء وامهات للرعية ابوتهم وامومتهم مستمدتان من ابوة السلطان وامومته وقد يسمونهم "الغمام" لانهم بمثابة الغمام الذي يمطر الارض رحمة. وكما كانت لهم هذه الحقوق الكبيرة والالقاب الطنانة فعليهم ايضاً مسؤولية ثقيلة عامة في جميع ما يقع في عملهم. وقد خف نفوذ العمال اليوم بسبب رفض الاجانب المفاوضة في الامور الا مع مركز السلطنة. والاوربيون يسمون العامل "مندارين" (Mandarin) من كلمة (Mandar) بالبرتغالي وحقيقة اسمه "كوانغ"

والعمال تسع طبقات لا فارق بينها بغير الزر الموضوع على القبعة وحلية القصب على الصدر وعروة النطاق. وهم الى حد رتبة (tao-tai) "تاوتاي" يخاطبون بلقب السعادة (ta-jen) ومن جملة القابهم "تشيغو" و"تشيهيان" و"تالاويي" ومن علاماتهم الرسمية ريشة الطاووس يجعلونها في اعلى قبعاتهم بعين واحدة او عينين او ثلاث اعين والجناح الازرق من الغراب هذا في الملكية واما العسكرية فعلاماتهم ذيول الثعالب وهي اشبه بذيول البراذين المستعملة في بلادنا قبلاً فكان هذا الباشا ذا طوخ وهذا ذا طوخين وهذا ذا ثلاثة اطواخ. وعندهم تسعة القاب تشريفية هي بمقام الدوق والكونت والمركيس والبارون الخ وهي "كونغ" و"هيو" و"يي" و"تسو" و"نان" وجميع الأسر الشريفة ذات الامارة موروثة عندهم ثمان وبقية من بقي تشرفهم بالعلم ليس الا. وما عدا اسرة السلطان فاشرف الشرف عندهم سلالة حكيمهم الاكبر كنفوشيوس ولكن لا ذرية السلاطين ولا سلالة كنفوشيوس ينالون شيئاً من الحكم الا بعد التعلم والامتحان. وجميع امتيازات ابناء السلاطين عبارة عن رواتب تؤدى لهم من الدولة ونطق حمراء وصفراء يشدون بها اوساطهم وزينة قلانسهم بريشة الطاووس المار ذكرها

واذا خرجوا خرجوا في محفَّة تحملها ثمانية اشخاص ومع هذه الحفة وسائر الاعتبار الذي يحفهم فالعمال اذا اذنبوا ان يعزروهم ويجازوهم بل يضربوهم بالمقرعة كسائر الناس

وقد يتقادم الشرف العلي في بيت فيخرج منهُ رجال قلم على عدة اجيال فيعد البيت شريفاً جدًّا ويبلغ من حرمة اهل الصين له انهم يقدسونهُ وان المذنب من ابنائهِ لا يؤَدبهُ الاَّ حاكم من انفسهم واحياناً يحضر ذلك الشريف المذنب من تلقاء نفسهِ لدى الحاكم ويطلب منهُ قصاص نفسهِ وقد تجد امامهُ منتظرًا امرهُ فيقول لهُ الحاكم: اصنع ما يوافق. فيقتل الرجل نفسهُ ويمضي قصاص ذاتهِ بيدهِ

وقد يتناول الشرف عندهم ما خلفهُ بمعنى ان حائز الشرف الجديد تُشرَّف بهِ اجدادهُ خلافاً للمعهود من ان الذي يحصل على لقب شرف او رتبة سنية يترك من ذلك لذريتهِ. وممن حصل على هذا النوع من التشريف الى الوراء السير روبرت هارت الانكليزي مدير الجمارك الصينية

اما الاحكام في الصين فناطها العلم وحدهُ ولا ينال احد عملاً في الحكومة من كلي وجزئي الاَّ بالامتحان واخذ الشهادة. ومكتوب على باب مدرسة "دار العلوم" الكبرى في باكين "هنا علم حكومة البلاد" وكل ارتقاء في المناصب لا بدَّ لهُ من امتحان جديد فكلما ازداد العامل علماً أُوتي حكماً. وفي جميع المدن الكبرى تجد بناءً كبيرًا هي دار الامتحان مركبة من غرف صغار متحاذية يدخل اليها طلاب الامتحان ليس معهم غير الدواة والقرطاس والقلم ويمنع الخفراء بينهم كل اتصال فيبقون هناك اياماً في كتابة الاجوبة على ما يلقى اليهم من الاسئلة حتى ربما مات الواحد منهم وهو على هذه الحالة حيث يودي بهِ التعب وحبس النفس فيخرقون لهُ حائط الغرفة ويخرجون منها جثتهُ كيلا يشعر رفاقهُ بموتهِ فينذعروا. و للامتحان شاق معضل يكاد يكون محنة بالنمل ولذلك فالفائزون بالشهادة غالباً اقل من العشر ممن يتقدم للامتحان واسم الشهادة "سيوتساي" ومعناهُ "البراعة المزيَّنة" ومن هؤُلاء من يتقدم كل ثلاث سنوات لامتحان اصعب واوسع فيحبس ثانيةً ويبقى اياماً عديدة في كتابة القضايا الفلسفية والتاريخية والادبية الخ فاذا نفذ من امتحانهِ كان لذلك طنطنة ورنَّة وتقدمت لهُ التهاني وقيل لهُ "كيوجن" اي الرجل المترقي وليس من طبقة كيوجن هذه في جميع الصين الا الف وثلاثمائة شخص وبعد ثلاث سنوات من نيل هذه الرتبة يحضر الى امتحان اعلى يجرى في قصر السلطان نفسهِ وهو آخر الامتحانات فاذا نفذ فيهِ حصل على لقب "العلاَّمة الواصل" وهذا الاصطلاح في نيل الدنيا بالعلم والامتحان على العلوم اولاً وثانياً وثالثاً على هذا النمط

معروف في الصين منذ اكثر من الف سنة حال كونهِ في اوربا حديث العهد.

فقد تقرر ان العلم هو سلم الترقي ومفتاح الحكومة وعليهِ فقد يوجد العامل العالم ولا رأي لهُ ولا حزم عندهُ ويفضل على العامل غير العالم ولو ملك الصواب باجمعهِ والسداد بحذافيرهِ بصفاء طبعهِ وقوة عقلهِ وذلك لأن هذا غير حاصل على الشهادة وذاك حاصل عليها . والملكية اصحاب القلم مكانهم على اليمين حال كون العسكرية او رجال السيف مقعدهم على الشمال واكثر العسكريين من امة المندشو وهؤلاء ولو كانوا هم الغالبين على الصين والسلطان منهم فانهم يعظمون الصينيين اكثر من انفسهم ويقولون ان آلات السلم مقدَّمة على آلات الحرب. وكلام الصينيين على السلم كثير مستفيض وحيث تطلعت وجدت مكتوبًا على الابواب عبارات تشير الى هذا المعنى مثل قولهم : للمملكة التي تحت السماء سلام . وما اشبه ذلك

الاَّ ان العقوبات في الصين صارمة والتدقيق والدرء بالشبهات مفقودان فيها وقد تقبل الشهادة جزافًا ولا يقام وكلاء عن المتهم وقد يوكل القاضي في الحكم و يُعذَّب الشهود والمتهمون بقلع الاظفار والجلد والضرب وانواع اخرى من التعذيب مثل كشط الجلد وسلخهِ وهم يتفننون في هذه الفظائع تفننًا ولكن يظهر ان الجهاز العصبيّ عند الصينيين اقل احساسًا مما هو عندنا بكثير والاطباء الاوربيون في مستشفيات شنغاي وهونكونغ يذكرون مع التعجب البليغ عدم تأثر الصينيين تحت آلات الجراحة

اما القتل فيقع بالخنق وضربًا بالسيف بعد التعذيب الذي ذكرناهُ وانما الغت المحاكم المختلطة في شنغاي تعذيب المجرمين وخف استعمال هذه الامور في جميع الجهات شيئًا فشيئًا واما الضرب فكان جزاء اصغر الجرائم ومثلهُ الحبس والسجون هناك ظلمات بعضها فوق بعض

وقانون الجزاء عند الصينيين العين بالعين والاذن بالاذن ولكن يُقبل التوكيل في تلقي القصاص فالغنيّ يستأجر من يحتمل عنهُ العذاب بمالهِ والفقراء يتراكضون عند وقوع الفُرَص لاجل ان يتوكلوا عن المحكوم عليهم فهم يؤجرون اجسادهم وجلودهم بدنانير معدودات حتى قال لويس لكونت في كلامهِ على الصين الحاضرة ان كثيرًا من اهل الصين عائشون من ضرب العصي . والمرأة لا تُجزى وانما يجزى ولدها او زوجها عنها ولذلك فالاصل الشريف الذي تمتاز بهِ الشريعة المحمدية وهو "ولا تزر وازرةٌ وزر أُخرى" غير مجزوم بهِ في الصين. وقد ترى اثر ذلك في جميع سياستهم فهم يقتلون الوالي اذا حدثت في ايالتهِ فتنة ولو كان طاهر اليد منها وهم يجزون رئيس العائلة عن وزر اقترفهُ احد ابنائها ولو بدون علمهِ وهم يهلكون قائد جيش انهزم ولو لم تكن عليهِ تبعة تلك الهزيمة وهلم جرًّا. واذا اختصم اثنان وقتل احدهما نفسهُ انقضت

صواعق الغضب كلها على قمة رأس خصمهِ مسبب هذا اليأس ولو صادف ان قاتل نفسهِ هو المخطئ. ولا يزال الناس بالخصم الباقي حيًّا حتى يهلكوهُ. ومن عادتهم انهم يضعون في يد قاتل نفسهِ بسبب الخصومة مكنسةً ويحركونها يمنةً ويسرةً كانها تومي الى كنس مادة خصمهِ كنساً ولهم في هذا الباب غرائب

على ان اجراء القصاص (القتل) كما في سائر البلدان لا بد لهُ من امر السلطان وانما يمتاز سلطان الصين عن غيرهِ بانهُ يوقع انفاذ اكثر هذه الاوامر في فصل الخريف فهو عندهُ موسم حصد الرقاب

وقد ساءت احوال العمال والقضاة في بلاد الصين فلا تنظرنَّ الى تدقيقهم فيما قدمنا من بعض الاصول الكافلة للعدل فمن يسمع يخلْ وانما احوالهم احوال اكثر البلاد الشرقية والظلم فاشٍ عندهم والرشوة افشى ومجالس الحكام مآسد يخاف انتيابها الناس ولا تطمئن اليها القلوب وانما أوَّلَ هذه الحال الامبراطور "كانغي" سلطان الصين تأويلاً لا بأس بهِ على علاَّتهِ فقال: لا يضر خوف العامة من القضاة وود لو ان جميع المتقاضين يعاملون بالقسوة كي يخاف الكل غشيان مجالس الحكم ويضطر ابناء الوطن الى انصاف بعضهم بعضاً وتحكيم شيوخهم فاما المتمتون اللداد والمشغوفون بالخصومات فليستبد بهم القضاة ما شاءُوا. كانهُ يقول انهُ يلزم تأديب الظالم بالظلم وفيهِ شيء مما كان يقولهُ السيد علي بن ميمون المغربي الولي من ان العامة فيران والحكام سنانير ولا بدَّ لهذا من هذا

الجيش في الصين

اما الجيش في الصين فهو قاصر جدًّا عن حاجة المملكة سواء في العدد او في العدد او في العلم او في الاقدام وخلَّق الله للحروب رجالاً. وهو عندهم جيشان احدهما الجيش المندشوري القديم وهو المعروف بالرايات الثمان ومؤلف من المندشوريين والمغول ومن بعض الصينيين وكل راية منها تنقسم الى ثلاثة الوية فتصير الجملة اربعة وعشرين لواء وكل لواء منها يقودهُ قائد اسمهُ (توتونغ) وهذا هو جيش العاصمة

واما الجيش المنتشر في الولايات فيعرف بالراية الزرقاء (لوينغ) وينقسم الى قسمين برّي وبحري واسم البرّي (لولو) والبحريّ (شويش) وكبار القواد فيهِ من اصحاب رتبة فريق يقال لهم (تيتو) او (تيتاي) ثم يأتي بعدهم امراء الالوية ويقال لهم (تسونغ بينغ) وامراء الآلايات يواسمهم (فوتسيانغ) وهلمَّ جرًّا الى رتبة جاويش وكلها القاب مملكيَّة في غير موضعها لانهم لا يتعلمون ولا يتدربون ولا يعرفون التمرينات الحربية وانما يشتغلون اوقات السلم باصلاح الانهار

وسد التوع وهم موزعون على ولايات المملكة وكل فرقة منهم لا تخرج من الولاية التي هي فيها ومع ذلك فجميع عددهم لا يتجاوز خمسمائة الف على رأي الانسيكلوبيديا الفرنسوية الكبرى وركلوس في جغرافيته يقول ستمائة الف وانهُ مقسوم الى ثمانية عشر معسكرًا وان الجيش الاول المعروف بالرايات الثمان عددهُ مائتان وثلثون ألفًا . ولقد كان هذا الجيش في الماضي عمدة الصين فاصبح الآن كلاًّ على عاتقها وفقدت من المنشوريين والمغول الحماسة القديمة فضلاً عن كون الحرب اصبح بالعلم وصارت لا تنفع معهُ الحماسة على فرض وجودها

اما القوة البحرية فهي وان تكن غير كافية ايضاً اوفى جداً من القوة البرية وملاَّحة الصين مدربون قوامون على البحر ولا يهزأ بهم في القتال وقد كان عند الصين سنة ١٨٨٠ اسطول مؤلف من ٤٠ بارجة محمولها ٢٠ الف طن وفيها ٢٣٨ مدفعاً وعلى سواحل الصين حصون عديدة مثل حصون كنتون وشنغاي وتاكو التي استولى عليها الجيش الاوربي المتحد هذه المرة وعندهم دار صناعة بحرية في فوتشو ودار اخرى في كاوتشانغ ولو كان الصينيون معتنين بامور الحرب لابقوا القبطان لانغ الانكليزي الذي كان عندهم في خدمة الاسطول اذ افادهم فيه فائدة عظيمة لكنهُ من كثرة ما كان يلقى من المقاومة في ادخال الاصلاحات استعفى من منصبهِ فقبلوا استعفاءهُ وحرموا بلادهم فوائدهُ كذلك لا تجد لهم عناية كافية في اصلاح جيشهم البريّ فهو باقٍ على اصول الحرب القديمة التي نسخها هذا العصر كما ينسخ الظلام الضياء. وبهذا صارت الشرذمة من الجنود الغربية تني بالجيش الكثيف من رجالهم ولم يكن ذلك لخاصة نزلت في دماء الغربيين وانما هي نتيجة العلم وهؤلاء اليابانيون شرقيون كالصينيين واعرق منهم في التشريق اصبح لهم جيش يباري جميع الجيوش الاوربية صولةً وبطشاً مع صغر اجسامهم ودقة عضلهم وقد ظهر اثر ذلك في حرب الصين مع اليابان اذ والوا عليهم الهزائم واحدة بعد اخرى ولم يقف الصينيون في وجههم ولا في موقفٍ وذلك لان الجهل لا يثبت لحظة في وجه العلم. وقد تحققت مباراة اليابانيين الاوربيين في الحرب الحاضرة فلم يكن من اصناف الجيش المتحد من فاق اليابانيين في اقدام ولا في حسن تدريب وكانت لهم اليد الطولى في استفتاح مغالق تاكو والكفة الراجحة في دخول باكين . والصينيون انفسهم الذين صاروا مثلاً في الجبن وخوَر العزيمة لو نظموا جيشهم على نمط جيوش اوربا لحرروا بلادهم بل ربما اندفقوا على بلاد غيرهم والتزمت سائر الدول ان تتحد عصبة لترد عاديتهم. وانت ترى الآن الفرق الشاسع بين حربهم سنة ١٨٦٠ مع الاوربيين وحربهم اليوم اذ اشتروا عدة من الاسلحة الجديدة والمدافع بل حربهم الاخيرة مع اليابان فانهم هذه المرة ثبتوا ثباتاً غير معهود لهم من

قبل هذه المدة . او ليس المغول الذين تراهم الآن راتمين الذل هم ابناء المغول الذين دوخوا الارض وملكوا نصف المعمور ولم يقف احد امامهم او ليست دماء اولئك الابطال من قوم جنكيز تجري في عروق هؤلاء الانذال من قوم السلطانة شي ؟ بلى وانما ولد اولئك على صهوات الخيول وعاشوا تحت ظلال السيوف فعظمت ملكتهم في القتال واعانهم عديدهم فسحقوا كل قوة صادمتهم وانغمس هؤلاء في الدعة واسترسلوا الى السلام وظنت الصين منذ قرون انها اكتفت قوةً ومجداً وبسطة في العلم والجسم فالفت الحرب ونوت ان لا تقاتل غريباً ودرج على ذلك الصينيون مدة اجيال حتى نسوا معنى الحرب وحتى صارت دولتهم تقاتل في عُقر دارها وتستباح قاعدة سلطانها وهم لا يهتزّون ولا يكادون يشعرون ومن شدة ميلهم الى السلم وقعوا في الحرب فهم هؤلاء ابناء اولئك ولكن الناس بزمانهم اشبه منهم بآبائهم . واخذُ الصين بمبادىء السلام واعتمادها على ما يقوّي جسم المملكة من اركان العمارة من نحو صناعة وزراعة وتجارة مما لا ينكر في حياة الممالك ولكن ذلك لا يغني عن ارهاف الحدّ . والجسم الانسانيّ لا تغنيهِ الكريّات الحمراء التي في الدم وبها قوام الجسم عن الكريّات البيضاء التي تقاوم الميكروب العادي عليهِ فالمملكة الصينية غير قليلة الكريّات الحمر ولكنها تقريباً معدومة الكريّات البيض ومعها تناهى العمران وعظمت الثروة وتوفرت الاعداد واتسعت البلاد فلا يغني ذلك عن السيف وانما يُدرأُ الشرّ بالشر ويصان الدم بالدم ورحم الله القائل الذي لا تخلق ديباجتهُ

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبهِ الدمُ

تيقُّظ اليابان

يعجبنا من اليابانيين تيقظهم واعتبارهم بكل شيء واستفادتهم من كل حادثة مثال ذلك انهم يطعمون جنودهم الارزَّ مطبوخاً فلما اعوزهم الماء للشرب في حربهم الاخيرة مع الصين ولم يجدوا ماء لطبخ الارز اضطروا ان يحاربوا على الطوى ولذلك عزمت حكومتهم ان تغير جرايتهم وتبدل الارز بغيرهِ من الاطعمة التي لا تحتاج في طبخها الى كثير من الماء . ويلبسون جنودهم ثياباً بيضاء فرأوا انهم يرَون بها عن بُعدٍ فتسهل اصابتهم بالرصاص ولذلك عزموا ان يجعلوا لون ثياب الجنود اصفر ترابياً حتى لا يظهروا بهِ عن بُعد وان يغيروا لبس الرأس حتى يقيهُ من الشمس . ويقال انهم لما هجموا على بكين وفتحوا احد ابوابها بالديناميت كان مع قوادهم قناديل كهربائية يحملونها بايديهم

جون هوَرْد واصلاح السجون

بقلم جناب ديمتري افندي قندلفت

لا شيء ادعى الى اطمئنان قلب العاقل وانشراح صدره من نظره الى عالَمي الطبيعة والادب نظر المتأمل البصير فيجمع بين شرائعهما بجامعة الاخاء والاتحاد ويربطهما برابطة الوفاق والوئام حتى تتطابق الدائرتان ويتحد المركزان فيدوران على نقطة واحدة هي وحدة الوضع الازليّ مع خير الانسان .

ومن اوضح الادلة على وحدة الاصول والمبادىء في العالمَين ان ناموس تشابه الاسباب والنتائج وتناسب العلل والمعلولات واحدٌ فيهما بلا تخلُّف ولا انثلام فالنتيجة مجانسةٌ لقوتها ابدًا . وما ناموس ردّ الفعل في الطبيعيات باجلى حقيقةً منهُ في الادبيات . فان قوَّة العنف والقسوة لا تنتج الاَّ مثيلها من العناد والاصرار والعسف لا يولد غير الصلف والتمادي في ميدان العصيان . وقس على ذلك ناموس تنازع البقاء او بقاء الانسب وما شاكلهُ مما قد تكون حقيقتهُ في عالم الادب اوطد ركنًا واجلّ شأنًا واوضح برهانًا

وكما كان من شأن الشرائع الطبيعية ان تُكتشَف حقائقها تدريجًا على تراخي الايام وبعد طول التجربة والاختبار كذلك كان من نصيب المبادىء الادبية العائدة على صلاح هيئة الاجتماع ان لا تظهر كواكبها اللأَّمعة لاهل السيادة والاحكام الاَّ بعد ان مرَّت شعوب المعمور في اطوار من ظلمة الجهل والوحشية وبعد ان أنَّت الارض من ظلم ساكنيها قرونًا مديدةً حتى لم تعد تُطيق الاحتمال

وغير خافٍ ان اكثر الناس يزعمون لاول نظرةٍ ان غرض الشرع من فرض العقاب والحدّ على المجرم مجرَّد ايقاع الاذى عليهِ من طريق الاقتصاص والانتقام محتجين بأن الإرهاب هو الذي يُلزم المذنب جادَّة العدل وحسن المسلك وان القوَّة القاهرة هي التي تقف بهِ عند حدود الاستقامة وتردُّهُ الى سبيل الصواب وان بذلك يُصان نظام عقد الاجتماع وتحفظ الحقوق المتبادلة بين افراد الأُمة والقبيل . وقد غفل ارباب هذا المذهب على كثرة عديدهم عن أنَّ اصلاح الجاني وردَّهُ الى سواء السبيل بالتي هي اقرب الى شرعة الحكمة والخير العام من اجلّ غايات العقاب المقصودة بالذات . فاذا صحب عقاب المجرم ما يدلُّ على رجاء الخير فيهِ كان ذلك أضمن لتلافي شرّهِ وأعون على راحة العباد والبلاد بما يهيج في صدرهِ حينئذٍ من بقية الشهامة التي تحيا في الرجاء وحسن الثقة وتموتُ في اليأس ومطلق الخذلان

ومن الغريب ان البشر لم يتنبّهوا الى ما في رأي القهر والانتقام من النقص والتقصير عن ادراك الغاية القصوى من القصاص الاّ لعهد قريب من ادوار المدنية والعمران . هذه اوروبا التي طلعت عليها انوار المدنيّة منذ اربعة قرون فاضحت قرّةَ عين التمدُّن وغرّة جبين الانسانية كانت سجونها لاواخر القرن الثامن عشر من شرّ ما بقي فيها من آثار الهمجية واقبح ما خلّفت لها عصور البربرية وقرون الظلام

ومع ما بلغت شرائعها واحكامُها لذلك العهد القريب من مراقي العدل والرحمة ومحاسن الانصاف والاشفاق وما تجلّى لحكّامها من آثار العلم الكاشفة للحقوق الفردية والاجتماعية كانوا في معاملتهم للمجرمين والمذنبين كأنهم لم يعرفوا للحق دستوراً ولا شاموا للانسانية نوراً. ولو لم يقم من افراد الامة الانكليزية من تنبه لويلات اهل السجون حتى وقف الذات والحياة على تبصير الحكام بشقاء احوالهم واستصراخ الشعب استنجاداً لكشف ذلك الضرّ لظلّت السجون الى ما شاء الله مدافن سكّانها هم في عالم الظلام والشقاء والناس فوقهم في عالم النور والنعيم لا يعلمون من امرهم شيئاً كأنهم عميٌ صمٌّ لا يبصرون ولا يسمعون

وان كان العقلاء من عشّاق التاريخ تروق لهم اساطير السلف من اخبار الحروب الصادعة للقلوب ويُعجبون بابطال الفتوح والغزوات التي راح فيها ما لا يحصى من النفوس البشرية على مذابح الاطماع السافلة فما أمثل بهم ان يطربوا لسِيَر ابطال الاصلاح الانساني الذين تفانوا في احياء العدل والحق العامّ واختطفوا بني التعاسة والويل من مخالب الظلم بما قاسوا من ذلّ الجهاد والعناء وما رفعوا منار الانسانية الاّ بما كابدوا من ضروب الخسف وجهد البلاء

فما اخلق بمثل المقتطف الاغرّ كوكب الشرق الساري ان يضمّ في صفحاته الى ما سبق من تراجم عظماء الارض من فلاسفة وعلماء وقوّاد وفاتحين ومكتشفين ومخترعين ومحسنين سِيَر اخوانهم المصلحين كافة الانسانية الذين احسنوا اليها بما هو ابقى ذكراً واطيب نشراً واعظم فخراً وأجراً

ونحن الآن موردون خلاصةً تاريخية لما كان من سوء حال السجون الاوروبية وتعاسة حظّ سكانها من بني الانسان مع الالماع الى بداية اصلاح الحالتين تبصرةً لقوم وتذكرةً لآخرين . اوّل من تنبَّه لحال السجون وشقاء المسجونين جون هَوَرْد الانكليزي من نوابغ المحسنين المصلحين في اواخر القرن الثامن عشر ذلك انهُ فيما كان مسافراً بحراً من انكلترا الى البورتغال داهمتهُ سفينةٌ للقرصان الفرنساويين فأُخذ اسيراً مع رفاقهِ فيها ونالهم من ضروب القهر والإعنات والتعذيب الشيء الوافر حتى انهم حرموا الخبز والماء ثمانياً واربعين ساعةً . ولما اوصلهم نكد الطالع الى احدى المدن سجنوا هناك في احدى سجون القلعة الطافحة بالاقذار زمناً غير يسير

لم يدخل اجوافهم فيهِ طعام الى ان أُلقي لهم ذات يوم قطعةٌ من اللحم النيء فتكالبوا عليها نهشاً كجياع الذئاب . ولم يكن يقي ابدانهم في تلك الزريبة الوحشية من رطوبة الارض ووبالة الاقذار سوى شيءٍ قليل من القش . ولما نال هورد صاحب الترجمة رحمة الاطلاق اسرع الى انكلترا ولم يهدأ لهُ بال حتى فاز بنعمة الإفراج لرفاقهِ الاسرى المساكين

فتنبَّه من ذلك السجن وعقد النفس على اصلاح سجون الارض حتى صار قُبلة آمالهِ وكعبة مساعيهِ واعمالهِ بل غرض حياتهِ الوحيد العزيز . فشرع اولاً يكاتب سجناء الانكليز في قلاع اوروبا وسجونها وقوفاً على احوالهم . فوجد انهم كانوا اسوأ حالاً من حالهِ في ذلك السجن فلاح لهُ ان يبتدئ باصلاح سجون بلادهِ الانكليزية فوُفّق الى استطلاع احوال سجونها وساكنيها بما كان لهُ من وجاهة المنصب في عضوية بعض المجالس فكان يقف على دعوى المجرمين بعين المفتش الرقيب ويرافقهم بعد صدور الاحكام عليهم الى سجونهم فبدا لهُ من احوال تلك السجون ما يفتت الاكباد ويثير الشجون

فان السجناء في سجون انكلترا وغيرها من ممالك اوربا لذلك العهد كانوا يُزجُّون في اقبيتها المظلمة جماعات مزدحمة الصفوف بجانب الصفوف لا يفرّق بينهم اختلاف الجرائم والذنوب من الجائع الملهوف خاطف الرغيف الى قاطع الطريق وسفّاك الدماء . وقد تبين لهُ بعد البحث انهُ كان في جملة اولئك الاشقياء من ظهرت براءة ساحتهِ بعد ان سجن زمناً طويلاً وان بعضهم لم تظهر عليهِ اقل شبهة لقيام الدعوى عليهِ وان غيرهم لم يبرز لهم خصوم بعد ان سجنوا شهوراً فردُّوا الى السجن حتى يوفوا آخر فلس للسجان ولمجلس القضاء عدا من اكلت ابدانهم الامراض المختلفة الناشئة من رطوبة السجون وقذارتها ومن راحوا على المشنقة ضحايا الظلم ومن ماتوا فرائس الجوع

ولما كانت رواتب السجَّانين والحراس تستوفى من المتَّهمين والابرياء لا من الحكومة قام هوَرْد والتمس اولاً ان تُقضى من صندوق العدلية فعاد بخيبة الامل ولكنهُ ازداد حميةً وعزماً في مسعاهُ الجليل اريد بهِ اصلاح السجون في جميع ممالك الارض

فانهُ وجد بازدياد البحث في بعض الاماكن ان قلاع السجون على اسوإِ ما يتصوَّر الخيال من سوء الحال . وكانت توضع النساء والرجال في قبوٍ واحدٍ ولم يكن لبعض الغُرَف منافذ للهواء والضياء حتى كانت الحمى تجرف من جموعهم العشرات بعد العشرات ولم يكن للمديون البائس ما يسدُّ بهِ الرمق او يبلُّ الريق واما عن المكبلين بالقيود والاغلال فحدّث ولا حرج بعد ان تطلق لخيالك السراح

وبعد ان تيسر لهذا الانسان العظيم الوقوف على مساوىء السجون وتخازيها في بعض بلادهِ

جعل يطوف انحاء انكلترا تفقدًا لشؤُون السجون لا يثنيهِ عنهُ الاسفار ولا اهوال الاخطار وقصدًا لتفريج الكروب عن بنيها فتسنَّى لهُ الافراج عن كثيرين من الابرياء واخراجهم من مدافن الاحياء. وعند ما تمَّ لهُ الفحص عن سجون بلادهِ وشاع امرهُ وذاع قرَّر مجلس العموم ان تعين لجنة لتحقيق الواقع فقصدهوَرْد بذاتهِ تلك اللجنة حاملاً رزم التقارير والاحصاءات الناطقة بصدق ابحاثهِ وتحقيقاتهِ ولما سألهُ عضو من اللجنة على نفقة مَن قام بهذا العمل العظيم خنقتهُ العبرات

على ان هذه اللجنة أَلْبَسَتْ همتهُ نشاطاً بشكرها والالتفات الى بيانهِ والعناية بمطالبهِ فاصدرت الاوامر اولاً بالغاء نقد الجزاء او جزاء النقد الجائر وتعيين رواتب ضباط السجون من صندوق الدولة مع السرعة باطلاق المتهمين الابرياء ثم الحقت ذلك بتطهير السجون وتبييضها وفتح منافذ للهواء والنور. وقرّرت ان تبنى ملاجيء ومستشفيات للعجزة والمرضى من المساجين

وكان هورْد اثناء انفاذ هذه الاوامر طريح الفراش من مشاق ذلك السفر الشاق على انهُ لما تعافى قام يطوف اسكوتلاندا وايرلاندا يتفقد سجونها وشؤُونها فوجد في البلادين ما وصفنا من احوال سجون انكلترا فنشر نتائج ابحاثهِ فيهما فنالت من النجاح ما نالت منشوراتهُ في اختهما انكلترا

وبعد ان تمَّ لهُ ما سبق من بلوغ الاماني في اصلاح سجون بلادهِ على قدر ما أَذنت بهِ الاحوال وجَّه زمام العزيمة الى سائر ممالك اوربا في ذلك المقصد النبيل فقصد اولاً فرنسا ولما دخل باريس وطلب الدخول الى سجن الباستيل المشهور أُغلقت في وجههِ ابوابهُ ولكنهُ وُفق الى دخول بعض السجون غيرهِ فوجدها على فسادها احسن حالاً من سجون الانكليز غير انهُ لما اتصل بالحكومة انهُ طلب دخول الباستيل اصدرت الامر بالقاء القبض عليهِ وطرحهِ في السجن لكنهُ ركن الى الفرار وكان من جراء ذلك الحكم انهُ نشر تقريرًا في حالة سجون فرنسا بعد ان لقي في ذلك البلد الثقيل .

ولما نال بغيتهُ من فرنسا قصد بلاد البلجيك وهولاندا والمانيا يغشى السجون ويستطلع طلع احوالها حتى تجمَّع لديهِ من القوائم والتقارير مجموع ثقيل الحمل . وبعد ان عاد الى انكلترا ليشاهد ما جدَّ فيها من الاصلاح توجه الى سويسرا فوجد ان مسأَلة السجون شاغلة للمجالس والدوائر وان الاوامر قد صدرت بتشغيل السجناء معاونةً على نفقاتهم وتخفيفاً لحمل الضرائب التي كانوا يغرمون بها ارغاماً مدة الاقامة في السجون

وبعد ان نقضي عليهِ ثلاثة اعوام سافر فيها ثلاثة عشر الف ميل نشر مؤلَّفاً ضخماً في حالة السجون كانت لهُ هزة في انحاء البلاد وكان من نتائجهِ ان مجلس العموم استدعاهُ ثانية واستأنف المفاوضة معهُ وعاود النظر وبحث في احوال السجون بغية الزيادة في الاصلاح

ين . فاشار هوَرد بان تبنى دارٌ للاصلاح (اصلاحخانه) لتشغيل المساجين على مثل ما رأى في امستردام ولما آنس من المجلس قبولاً لمشورتهِ خفَّ الى تلك المدينة ثانية اتماماً لوقوفهِ على طريقة تلك الدار

ولما قضى الوطر من تلك الزيارة القصيرة سافر الى بروسيا والنمسا ملاقياً في طريقهِ معارضات جمة من جندية المملكتين . وبعد ان انفق مدة يسيرة في فينَّا عرَّج على ايطاليا ولما بلغ رومية التمس الدخول الى سجون ديوان التفتيش فاخفق مسعاهُ كما رُدَّ في باريس فعاد الى انكلترا وطنهِ وقطع في طريقهِ هذا اربعة آلاف وستمائة ميل وكان حيثما حلَّت ركابهُ وأُلقي خطابهُ يلقى جزيل الترحيب والاكرام ويطرب للاذعان الى مشوراتهِ باصلاح السجون واسعاد سكانها . وكان مع بذل اتعابهِ في الاسفار والبحث والتقرير والتحرير يبسط كفهُ في اسعاف المحتاجين واغاثة الملهوفين وينهض بهذه المكارم الرائعة همم ذوي الاريحية والسخاء فتلفت ابصار المبصرين من اهل الاحسان في جميع البلدان وتشوفوا الى حديث سكان السجون وكان مدُّ الاكف يتبع سماع الآذان

على ان هذا البطل الهمام والاسد الضرغام لم تقعد بهِ الهمة عند هذا الحد من السعي والجد بل عاد ثالثةً الى زيارة سجون بريطانيا العظمى وقطع هذه المرة زهاء سبعة آلاف ميل فقرَّت عينهُ بما شاهدت من مستحدثات الاصلاح الناجمة عن مساعيهِ السابقة من تحسين بناء السجون على مقتضيات الصحة

ولما اطمأن خاطرهُ تمام الاطمئنان من امر سجون بلادهِ وما جاورها من ممالك جنوبي اوربا نهضت بهِ العزيمة الى زيارة شمالي اوربا فقصد بلاد روسيا ودخل بطرسبرج منفرداً سعياً على الاقدام . ولما ابصر بهِ البوليس واوصل خبرهُ الى الامبراطورة كاترينا استدعتهُ الى مقابلتها في بلاطها الباذخ الشان فرد دعوتها متلطفاً بقولهِ انهُ اتى روسيا لا لمشاهدة صروح الملوك والملكات بل لزيارة السجون وسكانها التعساء . وبعد ان فاز باجازة زيارة السجون مصحوباً بقوة عسكرية شاهد في جملة ما وقع لنظرهِ من احوال اولئك السجناء بني الذل والشقاء ما يبكي الحجر الاصم . وتحرير الحكاية

انهُ أُخرج يوماً في حضرتهِ من بعض السجون رجلٌ وامرأة ليجلدا بالسوط الروسي المشهور بثقلهِ وشدتهِ فأطعم الرجل من ذلك السوط الحلو المذاق ستاً وعشرين جلدةً شهية الطعم والمرأة خمساً وعشرين اوهت منها الجلد والعظم . ولشدة انفعالهِ من تلك القسوة البربرية رام الوقوف على مصير هذين الشقيين فزار الجلاَّد بعد بضعة ايام وسألهُ "هل يمكنك ان تضرب

بالسوط ضرباً يزور المضروب بهِ القبر" اجاب "نعم" قال هورد "بعد كم يوم يموت المجلود السعيد الحظ" أجاب الجلاد "في يوم واحد ان لم يكن في يومين" قال هورد "وهل سبق لك مثل هذا الضرب" أجاب "نعم . والرجل الذي جلدتهُ منذ وقتٍ قصير مات من ذلك الضرب" فسألهُ هورد ايضاً "وكيف يمكنك ذلك" اجاب "اهوي بالسوط على جانبيهِ بضربة او ضربتين فيفترق اللحم عن العظم". ومن آخر سؤالاتهِ تحقق ان الجلاد انما يفعل ذلك الفعل الشيطاني بامر الآمرين . وقد كتب من موسكو انهُ قد مات في المستشفيات العسكرية من جرَّاء القسوة والظلم لا اقل من سبعين الف جنديّ في سنة واحدة

وبعد ان قضى زيارتهُ الى روسيا عاد الى انكلترا رابعةً مارًّا في بولاندا فاستريا. وفي سنة ١٧٨٣ سافر لاجل هذا المأرب الشريف الى اسبانيا والبورتغال ونشر نتائج مشاهداتهِ في ملحقٍ لذلك المجلد الكبير الآنف الذكر

هذا وبعد ان تقضى على هورد اثنا عشر عاماً في الاسفار البحرية والبرية يتفقد سجون اوربا قطع في مداها اثنين واربعين الف ميل وانفق من جيبهِ الخاص في اغاثة المكروبين والمعوزين ثلاثين الف ليرة انكليزية لم يكتفِ باصلاح السجون بل سمت همتهُ بعد ذلك الى ان يطوف الاماكن التي تفشت فيها يومئذ الاوباء طلباً لتخفيف بلايا الموبوئين وسعيًّا في ايجاد علاج لتلك العلل التي فنيت فيها حيل رجال العلم والطب منذ عرف معنى الطب

فقصد سنة ١٧٨٥ باريس ولتذكرهِ ما جرى لهُ في زيارتهِ الاولى لما عند ما طلب الدخول الى الباستيل دخل الآن باريس متنكراً غير انهُ ليلة وصولهِ اليها اهتدى البوليس الى منزلهِ ففتشت لهُ حيلة الخوف ان نهض وسط الليل وفرَّ من المنزل ولما بلغ مرسيليا اتاح لهُ الحظ الدخول الى احد السجون فادرك بغيتهُ من نيل المعلومات التي اراد ومن هناك قصد ازمير حيث كان الوباء على اشد حالهِ ومنها ركب باخرةً موبوءَة قاصداً قضاء مدة الحجر واختبار احوالهِ . ولما منَّ الله عليهِ بالشفاء عاد الى انكلترا وطنهِ المحبوب يطوف مزارعها وقراها يسعف المسكين ويرد لهفة الملهوف . وكان ابتعادهُ هذا عن اهل السجون ابتعاد الوالد عن اولادهِ ساكني فؤادهِ

وبعد ان لبث مدةً غير يسيرة على تلك الحال جدَّ بهِ الشوق الى اتمام مقصدهِ من زيارة اماكن الوباء . فقصد سنة ١٧٨٩ بلاد هولاندا والمانيا وروسيا وفي نفسهِ ان يوصل سفراتهِ هذه الى تركيا ومصر وتونس وملحقاتها من ولايات بلاد المغرب الآن آمالهُ هذه انقطعت بانصرام حبل الاجل في خراسان من بلاد التتر الروسية . فانهُ في زيارتهِ السجون على عادتهِ

علقت بهِ الحمى فمرض غريباً وهناك ارسل انفاسهُ الاخيرة واسلم تلك الروح الطاهرة لتنال جزاءها الخلد وعزاءها المقيم وقد اوصى ان يدفن هناك في مقبرة لاحدى الكنائس وقال واروا جسدي البالي تحت اطباق من التراب وانصبوا فوق لحدي ساعةً شمسية فالحق تبن طوى ذكرهم الزمان غير ان اسم مثل هذا المحسن العظيم والمصلح الكريم لن تقوى على محوهِ الايام وكيف ينسى ذكر من احسن الى الانسانية وكان خليل البائس المظلوم ونصير اهل التعاسة والذل والبلاء وهو الذي لولاهُ لغلّت السجون قبور سكانها الى يوم يبعثون . اجل انهُ مات بعد ان ادرك بعض مناهُ غير ان مقصدهُ النبيل لم يمت معهُ شأن كل مقاصد الاصلاح والصلاح . بل ما انفكت آثارهُ لتنطق عنهُ بافصح لسان تنهض بذوي الهمم وتحيي موات الشهامة والنخوة والكرم في جميع الامم المتمدنة الى اليوم فبمثالهِ ليقتدِ المحسنون وعلى منوالهِ فلينسج المصلحون

رواية تنكرد

للوزير الشهير اللورد بيكنسفيلد

الفصل الرابع

فخر الدين — متى بطل الناس عبادة هذه الاوثان

تنكرد — لما اعلن الله دين الحق بيسوع المسيح

فخر الدين — ولكن الله اعلن دين الحق قبل المسيح لما كلّم موسى على جبل سينا وكلّم الانبياء وملوك اسرائيل بعدهُ

تنكرد — والمسيح واحدٌ منهم وهو آخر ملك قام من بيت داود وقد شاء الله ان تخضع لهُ امم الارض وهذا هو الفرق بينهُ وبين من تقدّمهُ من الانبياء . والديانة المسيحية هي الديانة اليهودية بعد ما جُعلت عامة لجميع الامم فظهورها امات الاديان الوثنية

فخر الدين — ومن هم الامم ألست انت منهم

تنكرد — نعم انا منهم من قبائل القرصان الذين مرّت القرون الكثيرة ولم يسمع احد عنهم شيئاً . ولا اعلم ماذا كان حالنا الآن لو لم تترعرع عقولنا بتعاليم الديانة العربية السورية . لكن هذه الديانة بلغتنا حديثاً فعلا بها شأننا وصار منا الملوك والامراء

فخر الدين — ما اعجب التاريخ وما اكبر فوائدهُ لو تعلمتهُ لتمّت معارفي . ولكن هل أُعدُّ انا ايضاً من الامم

تنكرد — انا مرتاب في ذلك والراجح عندي ان نسل اسمعيل من شعب الله الخاص وهذا امر كبير لا يستهان به

فخر الدين — وهل كان يوليوس قيصر من الام .

تنكرد — بلا ريب

فخر الدين — والاسكندر المكدوني

تنكرد — نعم الاثنان من الام واعظم قوّاد الام وهما يمثلان الامتين العظيمتين اللتين اهتمّ الرسل بتنصيرها اولاً

فخر الدين — وقد انشأا الممالك العظيمة ولو كانا من الام

تنكرد — غير ان ممالكهما لا تقاس بممالك المسيح . اين نسلهما الآن واين رعاياها . من يوقد لها البخور . كل نسل الرومان واليونان خضع لابن داود وهو يُعبَد الآن في مدينة رومية كرسي القياصرة وفي لندن وبطرس برج ونيويورك . ولا يجهل احمد الآ في اسيا مسقط رأسه التي اجتاحها الترك والتتار واستعبدوا اهلها منذ سبعمئة سنة الى الآن فقيدوا العقل الشرقي بقيود الاستعباد ولم يُفلت من يدهم الآ بلاد العرب فبقي العقل فيها حرًّا مطلقاً . فمنها يُنتظر ان يقوم من يعفي آثار من نصرّ اسيا ويعيد الى الشرق حرية العقل وحينئذٍ يعود الملائكة الى مخالطة الناس وتعود الى البلاد طهارتها الاولى فيمتد تأثيرها الى ممالك اوربا وتصلح معتقداتها التي اصبحت كالخرق البالية

فخر الدين — وما قولك لو زالت سلطة التتار وعادت اسيا الى عبادة المعبودات الجميلة التي رأيناها هذا الصباح

جرى هذا الحديث بين تنكرد وفخر الدين بعد ان عادا من زيارة الهيكل ورأيا ما فيه من التماثيل البديعة. وقد عادا من هذه الزيارة مدهوشَيْن قليلي الكلام كأن كلاً منهما يفكر في موضوع غير ما يفكر فيه الآخر فلم يتذاكرا كثيرًا في ما رأياه ولم يشيرا في حديثهما الى الملكة . وتغدّيا ذلك اليوم مع كفرنيس ولم يكن الطعام مما يلذّ اكله ولكنهما لم يكونا متأنقين في طعامهما يأكلان مما حضر من غير سؤال . وقدّم لهما كفرنيس شيئاً من الخمر فابى فخر الدين شربها لانهُ كان يتظاهر بالاسلام حينئذٍ واما تنكرد فشرب على ذكر الملكة . وقال لهُ كفرنيس بلغني ان الرجال عندكم يشربون دائماً على ذكر النساء وفي سائر بلاد الافرنج يشربون على ذكر الرجال لما نحن فنكره ادبائكم للمسكرات على كل حال . فقال لهُ تنكرد ولكنني رأيتكم تعبدون باخوس اله الخمر وهوذا تمثالهُ في هيكلكم فضحك كفرنيس وقال اني

لم اسمع هذا الاسم قبلاً وكل الهتنا كانت في انطاكية قبل ان وجد الترك والانكليز . واسماؤها سرٌ مكتوم عندنا لا يمكننا ان نبوح بهِ لاحد من الغرباء فمن اين اتيت بهذا الاسم . فلم يجبهُ تنكرد عالماً انهُ يجهل ما يقول ويجهل جهلهُ

واتفقوا على ان يمضوا الى الصيد بعد الغداء وكان فخر الدين اشد الاثنين اندهاشاً لانهُ لم يكن قد سمع شيئاً عن آلهة اليونان وحراج دفنة . اما تنكرد فاستغرب ما رآهُ من الملكة لكنهُ سرَّ بما بدا منها من الشعور بانها تخدم الآلهة وقال في نفسهِ انها تساعدهُ على ما ينحوهُ من الدعوة الدينية حاسباً ان النساء اليد الطولى في نشر الاديان وبث الحقائق الدينية فان الممالك المسيحية الثلاث فرنسا وانكلترا وروسيا تنصرت بواسطة النساء بواسطة كلوتلدا وبرتا واخت الامبراطور باسيليوس وكذلك بلاد المجر وبولندا . اما فخر الدين الامير العربي الاصلي فلم يكن يعتقد ان ديانة عربية الاصل تقدر ان تتسلط على ملكة النصيرية ولم يخطر لهُ ان يصيرها مثلهُ بل مال الى اتباع مذهبها لانهُ احبها ونما حبها في قلبهِ سريعاً حتى تيمهُ . وكان قلبهُ خالياً لم يدخلهُ حبٌ فتاة الا حبٌ حواء لكنهُ كان ينظر اليها كما ينظر الاخ الى اختهِ اما ملكة النصيرية فاحبها من حين رآها ثم لما تجلَّت لهُ بجمالي الآلهة سلبت لبهُ فلم يعد يفكر الاَّ بها وبآلهتها التي علم من تنكرد انها آلهة اليونانيين والرومانيين آلهة الملوك والقياصرة الآلهة التي عززت اسيا واغدقت لها ينابيع السعادة فاتسعت مدنها وكثر شعبها ووفرت لهم الخيرات فقال في نفسهِ لا عجب اذا بقي النصيرية امناء لها بل العجب من ان الناس ارتدُّوا عن عبادتها وهجروا هياكلها ولذلك خربت البلاد وساء حال العباد . ثم قال هذا سرُّ ما اراهُ من الكآبة المستولية على اهالي الشام حتى اليهود ولا يستثنى الاوربيون من ذلك لان هذا الامير الانكليزي جاء يخبرنا ان الافرنج ليسوا اسعد حالاً منا فلا يبعد ان يكون ذلك ناتجاً عن هجرهم هذه الآلهة وابتعادهم عنها . وان كانت نجاة العالم متوقفة على الديانة فلماذا لا نجرّب الرجوع الى هذه الديانة القديمة الديانة التي كانت شائعة في بلاد الشام . وهوذا ملكة النصيرية تعقد لواءها على خمسة وعشرين الفاً من الابطال وانا استطيع ان أُخرج اضعافهم من جبل لبنان فعلى مَ لا ننشئ مملكة جديدة عظيمة الشان ونعيد الديانة اليونانية الى ما كانت عليهِ . وكان يحسب ان الدروز يوافقونهُ ويشدون ازرهُ حالاً فيجعل بطريرك الموارنة حبرًا اعظم على انطاكية اما اليهود فلا يحولون عن ديانتهم ولكنهُ اذا استدان منهم مبلغاً طائلاً من المال واغراهم بالربا الفاحش لم يحركوا ساكناً بل ظاهروهُ وشدوا ازرهُ فينشئ في البلاد السورية دولة جديدة

الفصل الخامس

لما ودَّع فخر الدين تنكرد في المساء ومضى لينام لم تكن نغمة صوتهِ كما كانت من قبلُ وكأنهُ سُرَّ بابتعادهِ عن تنكرد اما تنكرد فلم ينتبه لذلك ولا انتبه الى ان فخر الدين كان قليل الكلام ذلك اليوم على خلاف عادتهِ لانهُ هو نفسهُ كان قليل الكلام كثير الصمت والتفكير وكان على غاية الوداعة والبساطة لا يسيء الظن باحد ولا يؤلم احداً بكلمة واذا فعل ذلك سهواً عاد على نفسهِ بالملامة. وكان شديد الفراسة لكن اشتغالهُ بامر نفسهِ كان يصرفهُ عن النظر في امر غيرهِ واذا احبَّ انساناً حسب انهُ مثلهُ كريم الاخلاق سليم النية ولذلك لم يخطر على بالهِ انهُ يمكن فخر الدين ان يضمر لهُ شرًّا او ان تفتر محبتهُ لهُ فلم ينتبه لما بدا منهُ من التغير

ودَّعتهما الملكة في اليوم التالي للذهاب الى الصيد وخرجت معهما ببزاتها فنزلوا الى سهل كثير الزرع وجدوا فيهِ صيداً كثيراً وكان فخر الدين امهر من تنكرد في الصيد بالبزاة وارادت الملكة ان يمرَّن تنكرد مثلهُ فغار فخر الدين منهُ وكانت تعامل فخر الدين بالمجاملة التامة كما يليق بامير كريم ولم يبدُ منها اقل شيء يغيظهُ من حيث اكرامها لهُ ولكنهُ رآها تنظر الى تنكرد بعين اخرى تنظر اليهِ بعين الحب مع الاكرام على ان تنكرد لم يلتفت الى ذلك لان افكارهُ كانت مشغولة بامور اخرى ولا يئس فخر الدين من اجتذاب قلبها لانهُ كان يرى اكرامها لهُ ويعتقد انهُ قادر على اجتذاب القلوب ولان خصمهُ لم يكن يعبأ بمن عليها المخاصمة او لم يكن يهمهُ امتلاك قلبها وزد على ذلك انهُ هو (اي فخر الدين) لم يكن يأنف من استعمال اية حيلة كانت لنيل غرضهِ.

وصادق فخر الدين كفرنيس وتملَّقهُ كثيراً واطنب في مدح سياستهِ وحكمتهِ واستشارهُ في حل مشاكل كثيرة اخترعها اختراعاً او فرض حدوثها وهي من بنات افكارهِ وقال لهُ ان الامير بشيراً اوصاهُ في صباهُ ان يحالف وزير النصيرية ويظاهرهُ ويستعين بهِ ثم اعطاهُ ما معهُ من الجواهر ووعدهُ باكثر منها.

وفي اليوم الرابع كان فخر الدين ذاهباً الى ديوان الملكة مع كفرنيس فتأخر كفرنيس لبعض امرهِ فدخل فخر الدين وحدهُ ولما استقرَّ بهِ الجلوس جعل يشرح للملكة احوال لبنان ويصف لها قصرهُ في قنوبين وقال لها انهُ يتمنى ان تشرفهُ بزيارتها يوماً من الايام فاصغت اليهِ ثم قالت بصوت منخفض أني مستغربة جدًّا كيف ان خادمنا دركوش بعث الينا يقول ان واحداً من الاميرين على ديننا فان الامير الانكليزي قد اكد لي ان اهل بلادهِ لم يدينوا بديننا قط وانهُ هو يعرف ما يعرفهُ عنهُ لان اهل بلادهِ اعتادوا ان يعلموا اولادهم اشعار

اليونان الاشعار التي نجهلها نحن ولكن فيها كل اخبار ديننا وتعاليمهُ . وهذا من اعجب العجب

فقال فخر الدين لا تستغربي شيئًا يفعلهُ الانكليز لان كل افعالهم في حد الغرابة وهم قوم همج وبلادهم جزيرة قاحلة لا تنبت شيئًا ولذلك يجلبون طعامهم من سواها يأخذون القمح من اوديسا والخمر من اسبانيا وقد علمت في بيروت انهم لا يزرعون القطن الذي ينسجونهُ وهذا لا اكاد اصدقهُ . ودينهم غريب عنهم اخذوهُ من السوريين ولذلك لا يبعد ان يكونوا قد اقتبسوا علومهم من اليونان

الملكة — وهم مع ذلك يحبون الاسفار ويهتمون بما يرقي بلادهم

فخر الدين — ولكن دركوش كان مصيبًا فان احد الاميرين يدين بدين النصيرية ولو لم يكن الامير الانكليزي

الملكة — ما معنى هذا الكلام

فخر الدين — لو عرفتِ امي ايتها الملكة البديعة الجمال ما استغربت كلامي

الملكة — كيف اعرف امك وانا لم اخرج من هذه الجبال ولم ارَ في حياتي امرأة من الموارنة ولا من الدروز

فخر الدين — اسألي كفرنيس فانهُ ذهب الى بيت الدين قصر الامير بشير فهو يعرف امي ولو بالاسم لانها كانت من النصيرية

الملكة — أحقيق ذلك أكانت امك من النصيرية ابنة من هي

فخر الدين — اواهُ ايتها الملكة هذا هو السؤَال الذي لا استطيع عنهُ جوابًا فان ابي وامي ماتا وانا طفل صغير وقد اتيت الى هنا لاكتشف ابنة من كانت ولقد طالما حلمت بشعبها ودينها ووددتُ ان اعود اليهما

الملكة — هذا من اغرب ما طرق مسامعي

فخر الدين — لا تستغربي ذلك ايتها الملكة البديعة الجمال. ولو كنتِ تدرين كم تحسَّرتُ لانني ربيت بعيدًا عن آلهة امي لرثيتِ لحالي . قال ذلك وجالت الدموع في عينيهِ

الملكة — ومع ذلك اراك قد اتيت الى هنا لتدعونا الى ديانة أُخرى

فخر الدين — مَن أَأَنا معاذ الله . هذا الانكليزي المجنون اتى ليدعوكم الى ديانة اخرى وهو من ابعد الناس عنكم كما ان الانكليز من ابعد الناس عن الديانة التي يتظاهرون بها . وهم يعترفون ان الله لم يحلّ في ارضهم ولم يكلم احدًا من قومهم .

الملكة — لقد كنتُ اظن انكما على رأي واحد ومذهب واحد

فخر الدين — اظن انك علمتِ ذلك من دركوش اما انا فلم أرَ ذلك الرجل والذي رآهُ خادم رفيقي ومنهُ علم ما علم عنَّا وما نقلهُ اليكِ. ورفيقي هو الذي سعى في هذه الزيارة فلما رأيتُ انهُ نال ما لم استطع نيلهُ غنمت الفرصة واتيت معهُ ولم اتعرَّض لمخالفتهِ في آرائهِ لانني حسبت ان هذه الزيارة قد تحوِّلهُ عن امر قصدهُ وانا اخاف ان يعود عليهِ بالعار والخذلان

الملكة — مهما كان قصدهُ فلا يظهر انهُ من الناس الذين يفعلون فعلاً يعود عليهم بالعار

فخر الدين — كلاَّ كلاَّ لم اقصد ذلك فانهُ شاب ابيُّ النفس كاملُ المروءة لا يفعل شيئاً يستحق ان يعاب عليهِ كلاَّ وانما اعني انهُ مشتبك مع اناس قد يضرونهُ ويتلفون صيتهُ . مثال ذلك ان اليهود ممنوعون من الدخول الى بلاد الانكليز ولو جازت لهم الاقامة في جبل طارق. ومن المقرَّر الآن ان هذا الامير ساح هذه السياحة الدينية السياسية لانهُ عشق فتاة يهودية في الشام وهو لا يستطيع ان يعود بها الى بلادهِ زوجةً لهُ

الملكة — "أعشق فتاة يهودية ماذا تقول" قالت ذلك وعلتها صفرة الوجل

فخر الدين — نعم فتاة يهودية وقد استهوتهُ ووضعت في عقلهِ انهُ يستطيع ان يتغلَّب على قارَّة اسيا كلها بسيوف اهل الشام

الملكة — ولكن اتسمح ملكة الانكليز لواحد من رعاياها ان يتزوج بيهودية .

فخر الدين — كلاَّ وان تزوَّجها قطعت رأسهُ وحرقت زوجتهُ حية ولكن قد يمكننا ان نداوي العلة قبل تمكنها

الملكة — نعم لا بد لنا من ذلك

فخر الدين — والذي يذهلني من امر هذا الرجل انهُ يكلمني ويكلمكِ كأَنهُ يريد ان يستعملنا آلة لاغراضهِ وكأَن سورية صفرٌ في عينيهِ مع ان سورية هي الاصل ونحن يمكننا ان نفعل كثيراً اذا اتحدنا . اذا اتحد اهالي جبل لبنان واهالي جبال النصيرية كسروا نير الاتراك ولم يقف أحد في وجههم ولا ملوك الافرنج . ولا شيء اشتهاهُ مثل ان اقهر غيزو وزير فرنسا وابردين وزير انكلترا . وقد بعث اليهما بالاسقف عزراد في العام الماضي فلعبهما لعب السعادين وكادا يملكاني جبل لبنان لأزيل القلاقل منهُ وهي لا وجود لها الاَّ في التلفيقات التي سمعاها

الملكة — ما اغرب هذه الامور ولكن لا بدَّ من ان تكون هذه اليهودية جميلة جداً

فخر الدين — كذا يقول وهو هائم بها ويتكلم عنها في نومهِ

الملكة — اصبتَ في انهُ لا يليق بنا ان نستلَّ سيوفنا لاجل يهودية . ولكن أَمِنَ امراء هي ام من بسطاء

فخر الدين — قرأت بعض الاشعار التي نظمها متغزلاً بها فرأيته يشبهها بالبدر والنجم من كواكب الليل وهذا يدل على انها سمراء

الملكة — اني اكره اليهود جداً ولكنني اسمع ان نساءهم جميلات

فخر الدين — متى ملكنا سورية ننفيهم كلهم منها

الملكة — نعم كانت سورية مملكة بل كانت ممالك

فخر الدين — وستعود مملكة وتملكين عليها ايتها الملكة ويتم ما اتمناه وهو غرض حياتي

الملكة — وما هو

فخر الدين — هو وصية امي التي اوصتني بها قبل موتها ولم ابح بها الى مخلوق قبل الآن

الملكة — اذاً انت تتذكر امك

فخر الدين — كلاً ولكنها تركت وصيتها مع مرضعتي وهي اخبرتني بها لما بلغت سن التمييز

الملكة — وما هي وصيتها

فخر الدين — ان ابني هيكلاً من الرخام في دير القمر لالهة السوريين

فتهلل وجه الملكة وقالت ما اجمل ذلك

فخر الدين — فيعود اهالي لبنان الى دينهم القديم

الملكة — وما يفعل بك الكهنة الذين كنت تعتمد عليهم

فخر الدين — ماذا فعل الكهنة والكاهنات لما تنصّر اهالي سورية . صاروا قسوساً وراهبات فيعودون الآن الى ما كانوا عليهِ

الفصل السادس

مضى تنكرد وفخر الدين وطافا في البلاد المجاورة وتعرّفا بامرائها ومشايخها لكي يكونوا ظهراء لها . وكأنّ هواء الجبال اعاد البهجة والسرور الى نفس فخر الدين فعاد ينظر الى تنكرد نظر الصداقة والوداد. وقضيا في التطواف ثلاثة ايام ثم عادا الى الحصن حيث تقيم الملكة ولما بلغا دارهُ الخارجية رأيا فيها جنوداً من الاتراك مجرّدين من سلاحهم وجمالا وامتعة مختلفة وكثيرين من النصيرية بالاسلحة الكاملة . فسأل فخر الدين ما هذا فقيل لهُ انهم اسروا حريم والي حلب . فنظر الى تنكرد وقد ابرقت اسرّتهُ وقال لهُ لقد نشبت نار الحرب

وما كادا يستريحان من وعثاء السفر حتى اتاهما الوزير كفرنيس وسلّم عليهما وحدثهما حديثاً طويلاً مبهماً لم يفهما منهُ غير ان رجالهُ اسروا حريم والي حلب . فقال لهُ فخر الدين ان اسر حريم الوالي ليس بالامر السهل ولا بدَّ من مشاكل كثيرة تتلوهُ فقال الوزير ان علم المستقبل

ليس في يدنا حتى علم الماضي يجهلهُ اكثر الناس فكيف يعلمون المستقبل. ثم سألهُ فخر الدين عن صحة الملكة فقال انها كثيرة المشاغل في هذه الايام فقال فخر الدين اذا احتجتم الى نجدة فكل اهالي لبنان تحت امركم

فاحنى كفرنيس رأسهُ وقال. لا شك ان من المشاكل ما لا يفضُّ الا بالسيف ولقد احسن الامير الكريم في ما قال واصاب كبد الصواب ولكن من المشاكل ما يفضُّ بالكلام وحسن السياسة. ولا يظهر مما حدث حتى الآن انهُ لا بدَّ من امتشاق الحسام وايقاد نار الحرب بين رعيَّة مملكتنا المجيدة وسكان مدن الساحل كما انهُ لا ينكر ان الحرب تكون احياناً كثيرة احسن فيصل في حل المشاكل. ولا تخلو المجاملة من الفائدة ولو مع الاتراك كما انهُ لا ينكر ان باشوات الاتراك من اكره الناس الينا

فقال فخر الدين لو كنتُ مكان الملكة ما ارجعت حريم الباشا اليهِ بل كنت اضرم نار هذه الحرب حالاً لان حامية حلب ضعيفة جداً وقد اضطرَّت الدولة ان ترسل ست اورط منها الى دير القمر. والناس في لبنان خالدون الى السكينة ولكن اذا ارسلتُ رسالة واحدة الى الشيخ فرنسيس الخازن قام اهل الجبل واضرموا خمسين ناراً حوالي بيروت فيبعث الكولونل روز الى السر كنننغ يقول لهُ ان الجبل قد ثار كلهُ ويبعث رسالة الى الوزير ابودين يملأها باخبار حرق القرى وذبح النساء

وعند الغروب ارسلت الملكة الى الاميرين تقول انها تسمح لهما بمقابلتها ولما مثلا بين يديها هنأتهما برجوعهما سالمين وسألتهما عما رأيا في سياحتهما وعما فعلا وعمَّن شاهدا واشارت في اثناء الحديث الى ما حدث عندها وان رجالها اسروا حريم والي حلب فقال فخر الدين اني كنتُ اتكلم الآن مع حضرة الوزير وقلتُ لهُ ان كل رجال لبنان تحت امر جلالتك

فقالت عندنا العدد الكافي من الرجال ايها الامير الكريم وهذا ليس مرادي ولا غرض لي بالحرب فان كان الوالي يتنازل عن خراج القرى التي طلب خراجها فانا ارد اليهِ حريمهُ عن طيب نفس وان ابي عدنا الى البحث في هذا الموضوع. واكره ان تمتزج مسألة الحريم بالمسائل السابقة لها. ومع الحريم امرأة بارعة الجمال وهي ليست تركية واظنها نصرانية من سكان المدن لكنها غائصة في بحار الحزن ولا تجف لها دمعة حتى كنتُ اشاركها في حزنها. وهي لا تبكي لانها اسيرة بل لان عزيزاً لها قتل. وقد زرتها وحاولتُ تعزيتها وطلبتُ منها ان تنسى حزنها وتبقى عندي رفيقةً لي ولكن لم يفد الكلام معها شيئاً ولا تزال تسكب العبرات من عينين لم ارَ احلى منهما

وحينئذٍ دخلت شبرا وعلى وجهها علامات الاضطراب ودنت من الملكة وكلمتها بصوت منخفض وظهر من كلامها ان الاسيرة طلبت ان ترى الملكة وخافت شبرا ان تدخلها الى مولاتها في حضرة الاميرين لانها كانت تعلم ان نساء الدروز والموارنة لا يدخلون مجالس الرجال مثل نساء النصيرية فقالت لها الاسيرة انها لا تأنف من دخول مجالس الرجال فاتت لتخبر مولاتها وتستأذنها . فكلمت الملكة كفرنيس في ذلك فقال انهُ لا يرى مانعاً من دخولها فاذنت لها في الدخول . وكان كفرنيس جالساً الى جانب الامير فخر الدين فاغتنم فرصة كلام الملكة مع شبرا وجعل يكلم فخر الدين في امر آخر وكان قد ملأ اذن الملكة من مدحهِ والاطناب في شهامتهِ وبسالتهِ وفائدة المحالفة معهُ لانهُ اذا تحالف النصيرية واهالي لبنان وكانوا يداً واحدة فلا يبعد ان تنحل مملكة آل عثمان قريباً فيسهل عليهم انشاء مملكة قوية في بلاد الشام . فاخبر فخر الدين بما دار بينهُ وبين الملكة من الحديث فابرقت اسرَّة فخر الدين وجعل يمنّيهِ ويقول لهُ اننا نبني هيكلاً لالهة سورية في دير القمر ونخلص من الاساقفة والرهبان الذين يشربون خمري ويدخنون تبغي ولا يفيدونني شيئاً. وانت ذهبت الى بيت الدين ولم تذهب الى قنوبين ولكن نسبة بيت الدين الى قنوبين كنسبة السعي الى القمر فان الرخام الذي فيها وحدهُ كلف عشرة آلاف كيس فتم لي هذا الامر وقصر قنوبين لك

ولما كان كفرنيس يتكلم مع فخر الدين اشارت الملكة الى تنكرد ليدنو منها فدنا فقالت لهُ أتحلم وانت نائم . فقال ان الحياة كلها حلم في ما يقال . فقالت يا حبذا لو كانت حلماً ولكني ارى فيها من الالم ما لا يكون في الحلم . فقد حلمتُ منذ ليلتين ان اليهود استولوا على هذا الحصن واظن انك ذكرتهم لي كثيراً حتى صرتُ احلم بهم في نومي . فقال ان ذكرهم امر لا بدَّ منهُ لان الشريعة التي سنها واحد منهم لا بدَّ من ان تشمل العالم . فقالت ولكن ذلك لا يسرُّني وامثاله كثيراً اذا تمَّ الحلم الذي حلمتهُ . فقال لتكن احلامكِ كلها فرحاً وسروراً ايتها الملكة الجليلة . فقالت كنتُ احسب الحياة فرحاً وسروراً ولكنني لا اجدها كذلك الآن . فقال ولماذا . فقالت يا حبذا لو كنت تحلم حلماً مثلي فتعلم لماذا ولكن الحياة كلها بافراحها واتراحها ظل زائل تأتي وتمضي كالطيور القواطع . فقال كالحمامة التي بعثتِ بها الى خادمكِ في دمشق . فقالت يا حبذا لو لم ارسلها . فقال متى تمت الاعمال العظيمة المترتبة على زيارتنا لا تعودين تندمين على ارسالها . فقالت انا امرأة والنساء لم يُخلقن للاعمال العظيمة بل للاعمال الجميلة . فقال اظنكِ لا تزالين تفكرين بالهة السوريين . فقالت كلاً ولكن هات أخبرني أصحيح ما يقال من ان النساء اليهوديات جميلات جداً . فقال كذا يقال عنهنَّ. فقالت ولكن ماذا تقول انت .

فقال اني رأيت منهن نساء جميلات جداً . فقالت ايشبهن التماثيل التي في هيكلنا . فقال كلاَّ لان الشكل اليهودي غير الشكل اليوناني ولكن الفريقين من اجمل طوائف الناس . فقالت ولكني اراك تفضل الجمال اليهودي على اليوناني . فقال انا لستُ ثقةً في هذا الموضوع مع اني احب رؤية الجمال . ولما قال ذلك سمعت الملكة صوت شبرا داخلة فقالت لهُ هذه اسيرتنا آتية ولك ان تطلق سبيلها اذا اردت اظنها شركسية ولم أرَ اجمل منها في حياتي واظنها اجمل من تلك اليهودية التي بلغني انك مغرَم بها . ولما قالت ذلك اضطرب تنكرد وقبل ان يجيبها بكلمة دخلت شبرا ومعها الاسيرة فازاحت النقاب عن وجهها فاذا هي حواء

الفصل السابع

يتصلُ بحصن ملكة النصيرية غُرف كثيرة قديمة العهد منقورة في الصخر الاصم تحفظ فيها الكنوز او يسجن الاسرى . في غرفة منها باردة مظلمة لا يصل اليها النور الاَّ من ثقب صغير في سقفها فتاة بديعة الجمال ملقاة على فراش من القش . حواء بنت بسو فتاة ربيت في الرفاهة والنعيم مطلقة القياد تفعل ما تشاء وتعمل ما تريد متمتعة بحرية لم يتمتع بها بنات المشرق ولا بنات المغرب طُرحت في هذا السجن السحيق في حالة يرثي لها الجماد

توالت الكوارث عليها في اسبوع من الزمان على اسلوب ادهشها غرابتهُ فانهُ منذ اقل من عشرة ايام قام بها ابوها من دمشق ذاهباً الى حلب لتنزفَّ فيها الى خطيبها فلما وصلا الى حمص لقيتهما فرقة من الجنود التركية ارسلها والي حلب بطلب خطيبها هلال بسو تخرسهما في الطريق خوفاً من النصيرية لكنَّ هذا الحذر لم يجدِ نفعاً لان النصيرية باغتوا الجنود على نصف مرحلة من حلب واثخنوا فيهم وجرح ابو حواء وهو يدافع عن ابنتهِ وأُسرت هي وجواريها وأُتي بهنَّ الى حصن ملكة النصيرية

وظنَّت حواء ان اباها وقع قتيلاً فشغلها حزنها عليهِ عن امر نفسها حتى فقدت صوابها وبقيت مدَّة لا تعي شيئاً . ثم لما افاقت من دهشتها واخذت تفكر في امر نفسها سمعت من شبرا ان تنكرد وفخر الدين في ذلك الحصن وتذكرت ما ابدتهُ لها الملكة من دلائل الحب والوداد لما عرفتهُ غليها من ان تكون رفيقة لها لا اسيرة عندها فطلبت من شبرا ان تستأذن لها في مقابلتها عساها تجد سبيلاً للكلام مع صديقيها تنكرد وفخر الدين فتستشيرهما في البحث عن ابيها وعما يجب عليها فعلهُ لكن جاء الامر على ضدّ ما تريد لانهُ لما رأت الملكة ان تنكرد وفخر الدين عرفا اسيرتها واندهشا من رؤيتها واظهرا العطف عليها والحب لها غارت منها واغتاظت واشارت الى فخر الدين فدنا منها وسألتهُ بعض المسائل ثم نهضت من مجلسها وانصرفت

من غير ان تحييها تحيَّة الوداع على جاري عادتها . وكانت حواء نازلة في غرفة من غرف الملكة أما الآن فقادوها الى السجن فباتت فيهِ تلك الليلة وجانباً من النهار التالي وهي لا ترى احداً الاَّ شبرا وكانت تسألها عن سبب غيظ الملكة فلا تجيبها بشيء بل تشير اليها بانها ممنوعة من الكلام معها

حالة تحار فيها الافهام ويهجر المرء ذكاؤُهُ . ومن لا يحار بنيَّة تقع بهِ بغتةً وهو لا يدري لها سبباً ولا يجد من يرشده الى مغزاها . مصاب عظيم وسرٌّ غامض ضاقت بهما ذرعاً فغاصت في بحار الحزن والهم ولم تعُد ترى امام عينيها الاَّ النظرة الاخيرة من ابيها وهو على الارض متمرغ بدمائهِ . وبينما هي على هذه الحال واذا بصوت يناديها باسمها ويقول حواء حواء فقالت من انت ولما قالت ذلك رأت شبحاً يتقدَّم منها ثم طرح عنهُ عباءة كبيرة كان متحفاً بها فصرخت فخر الدين ما هذا وماذا جرى . وكان فخر الدين مضطرباً فقال لها هلمَّ معي حالاً ولا يمكنك ان تتأخر دقيقةً واحدةً

حواء — لماذا والى اين فقد كان قصدهم السلب لا غير وقد سلبونا فماذا غيَّر افكارهم الآن وامس اظهرت الملكة لي مزيد الحب والاكرام ولم ارتضِ بما فعلتهُ معي حينئذٍ لان الحزن على ابي كان غالباً عليَّ . ثم لما رأيت انني صرت بين اعز اصدقائي الذين يحق في ان اعتمد عليهم في الشدَّة وكنتُ اتمنى ان يتصل بهم خبري تغيرت الحال بغتةً والآن انا سجينة في هذا السجن المظلم وانت تكلمني كأَن حياتي في خطر

فخر الدين — نعم في اشد الخطر

حواء — ولماذا

فحرك كتفيهِ وقال في اشد الخطر قومي حالاً واتبعيني

حواء — انا لا يهمني امر نفسي ولا امشي خطوة من هنا ما لم تخبرني عن سبب هذا الانقلاب

فخر الدين — الملكة غيرى منكِ لانها تحب الامير الانكليزي وهو سبب كل ما جرى

حواء — أهو سبب كل ما جرى والملكة غيرى مني كيف تغار مني وانا لم اكلمها عشر كلمات وامس طلبت مني ان اكون رفيقةً لها. هذا امر لا اصدقهُ يا فخر الدين

فخر الدين — ولكنهُ صدق فانها غيرى منكِ وهي تحبهُ لعنة الله عليهِ وعليها وقد أُخبرت انهُ يحبك

حواء — من اخبرها ومتى كان ذلك

فخر الدين — أُخبرت انهُ يحبُّ ابنة رجل يهودي من دمشق اسمهُ بسو فلما تقابلتا واظهر انهُ يعرفكِ جرى ما جرى وقد بذلتُ جهدي لكي اقنعها انكِ لست الابنة التي يحبها بل ابنة عمها فلم تقتنع وبذلتُ جهدي لكي انجيك فلم افلح والآن انتِ في اشد الخطر

فاطرقت حواء قليلاً ثم التفتت اليهِ وقالت انتَ الذي اخبر الملكة بهذه القصة الملفقة انت اخترعتها واخبرتها بها وليس غيرك ولا يهمني ان اعرف ما هو الحامل لك على ذلك لانني اعلم انك تستحلُّ كل شيء في سبيل اغراضك . اليكَ عني ولا بدَّ لي من ان اقابل الملكة بنفسي واقص عليها واقعة الحال كما هي وانا واثقة انها تصدقني وان الصدق يغلب الكذب وان لم يغلبهُ فلا مأرب لي في الحياة . ولا بدَّ من ان افعل ذلك بنفسي لانني لا اقدر ان أأتمنك على شيء

ولمَّا قالت ذلك اخذ فخر الدين يبكي وينتحب ويتوسل اليها ويقول — يا حواء يا اختي يا حبيبتي انا اخبرتها بذلك نعم انا اخبرتها بجهلي وطيشي وقد نلتُ جزاء ما فعلتُ وخربت مستقبلي بيدي فان هذا الافرنجي كان الحاجز الوحيد بيني وبين الاقتران بهذه الملكة وهي على ما ترين من الجمال وعلو الشان ولو اقترنتُ بها وانضمت بلادها الى بلادي لصار منهما مملكة قوية منيعة وذلك غرضي من الدنيا . نعم انني احببتها واردتُ ان اقترن بها ولا اخالك تلومينني على ذلك يا حواء لانكِ تعلمين انكِ لو رضيتِ ان تقترني بي انتِ ما كنا وصلنا الى ما وصلنا اليهِ الآن وكنا الآن عائشين في اتم الرفاهة لكن مضى ما مضى وانا اتعس خلق الله.

ولما رأيتُ انها تحب هذا الامير الانكليزي اردت ان اقنعها بانهُ يحب غيرها فذكرتُ اسمكِ لها إما لانهُ اول اسم خطر ببالي او لانني اظن انهُ يحبكِ حقيقة فنجحتُ في ذلك ورشيتُ وزيرها فجعل يحسّن اموري في عينيها . فكيف كان يمكن ان يخطر ببالي انكِ تأتين الى هنا . ولما رأيتكِ في مجلسها شعرت ان كل ما بنيتهُ هُدِم وبذلتُ جهدي لاصلح الامور فلم افلح لان تنكرد ارعن لا يعرف كيف يداري والملكة فتية قليلة الخبرة وهي الآن كاللبوة الفاقدة اشبالها

حواء — لا يزال النحس طالعك وطالع كل من يصاحبك فكيف اتبعك الآن

فخر الدين — أكفي اني ما عدتُ اهتمُّ بامر نفسي مطلقاً ولا يهمني الاَّ نجاتكِ فسامحيني عمَّا مضى كما سامحتني مراراً كثيرة من قبل . وانا ليس لي الآن صديق في الدنيا غيركِ ولا يهمني الاَّ نجاتكِ

حواء — أصحيح ان حياتي في خطر أكيد او انتَ تبالغ في ذلك

فخر — نعم في خطر اكيد

حواء — انتَ لا تعرف قيمة الصدق ولم تجرب مايفعلهُ دعني أرَ الملكة واخبرها بواقعة الحال

فخر الدين — يستحيل ذلك لانها الآن كالمجنونة حتى ان الوزير كفرنيس اخبرني هذه الدقيقة انهُ لا يستطيع ان يقف امامها من شدَّة غيظها . ولا فائدة من ذهابكِ اليها لانها ولا اخفي عليكِ تحسبكِ الآن في عداد الاموات

حواء — في عداد الاموات كيف ذلك واين صديقك وهل يعرف هو ذلك

فخر الدين — كلاَّ لا احد يعرف ذلك غيري فان الملكة استدعتني البارحة فرأيت انهُ من المحال ان احاول صرفها عن عزمها لئلا تظن السوءَ فينا كلنا ولا تصدقني لو صدقتُها ورأيت انها صممت النية على قتالكِ فلم أرَ لي سبيلاً الاَّ تصويب رأيها ومجاراتها على عزمها وقلتُ لها ان اباك خرب بيتي وان هذه هي اول فرصة لاحتْ لي لانتقم منهُ وقد مضت السنون وانا في انتظار هذه الفرصة وطلبت منها ان تكل قتالكِ اليَّ لاشفي غليلي ولو لم اطلب منها ذلك لوكلت غيري بقتالكِ وقضي الامر

حواء — أ إليكَ وكلت امر قتلي

فخر الدين — نعم وقد طلبتُ ذلك منها لكي اتمكن من انقاذك

حواء — لا تنقذني فاني صرتُ اكره الحياة بعد ان فقدت من اعطاني الحياة

فخر الدين — ما هذا الجنون أهلكتُ نفسي لكي اخلصكِ واغضيت عن مملكة لكي اردك الى ابيكِ سالمة وانت تعاملينني هذه المعاملة . وقد رشيت كفرنيس واخذتُ منهُ جوازًا لفتح الباب وثوبين من اثواب المماليك لي ولكِ واعددتُ جوادين لنا وهما امام الباب الآن وفي اقل من يومين نصير في بلاد الامان

حواء — لا اهرب هربًا ولا يحل لك ان تهرب وتترك رفيقك الذي قدتهُ الى هذه التهلكة

فخر الدين — هو ادرى منكِ ومني بامر نفسهِ وقد تبقيهِ الملكة اسيرًا عندها ولكن لا يمكن ان تقتلهُ لانها تحبهُ ولا تُمتلك القلوب بقطع الرؤوس . والآن فات الوقت علينا فقومي معي يا حواء قومي يا اختي والاَّ فات الوقت ولم استطع تخليصكِ . قومي وافتكري بابيك وبجزعهِ عليكِ وشوقهِ اليكِ . ولما قال ذلك اعولت حواء في البكاء وقالت اواه فتولوهُ فاين اراهُ . فقال لها كلاَّ بل هو حي وقد اخبرني واحد من الجنود انهُ جُرح جرحًا طفيفًا وحملوهُ وساروا بهِ وهو الآن في حلب من غير شك

حواء — حملوهُ حيًّا من قال ذلك

فخر الدين — نعم حملوهُ حيًّا وقد اخبرني واحد من الجنود المأسورين هنا ان جرحهُ غير ذي خطر وانهُ تكلم معهُ

فركعت حواء على ركبتيها ورفعت يديها الى السماء وقالت ياالله آبائي الجالس على عرش الرحمة

فقال فخر الدين نعم ليس غير اله آبائك ولو كنتِ تعرفين ماذا يعبدون في هذه المغاير لهربتِ منها من نفسكِ فانهم يعبدون الاصنام والملكة عشقت هذا الامير الانكليزي لانهُ يشبه صنماً من اصنامها فقومي بنا قبل فوات الفرصة .

حواء — وكيف عرف هذا الرجل ان جرح ابي غير ذي خطر

فخر الدين — سترينهُ بنفسكِ وهو يخبركِ لانهُ مع خيلنا الآن فقومي والبسي هذه الثياب وكل دقيقة تمضي لا يمكننا التعويض عنها

حواء — ألا ترى انهُ من العار علينا ان نترك هذا الامير هنا بعد ان اكل معنا الخبز والملح فيكون دمهُ على رؤوسنا

فخر الدين — ان كان امرهُ يهمكِ بهذا المقدار فاهربي لاجلهِ لانكِ اذا هربتِ تصيرين قادرة على مساعدتهِ بالف طريقة كأن اعود انا مثلاً وانقذهُ او ندبر طريقة اخرى لانقاذهِ واما ما دمتِ هنا فانت وهو تحت الخطر

حواء — اتقسم لي بشرفك اننا اذا اجتزنا حدود هذه البلاد تعود الى هذا الامير وتنقذهُ

فخر الدين — نعم اقسم بشرفي وديني وكل عزيز لديَّ

الفصل الثامن

لما رأى تنكرد حواء في مجلس الملكة على ما تقدَّم وعلم انها اسيرةٌ في قبضة يدها طار صوابهُ واقبل على فخر الدين بعد خروجهما من مجلسها يسأَلهُ عما يعلمهُ من امرها وعن الوسائل التي يجب ان يستعملاها لنجاتها فرآهُ اسيفاً مضطرب الافكار غائصاً في بحار اليأس لا يدري ما يقول ولا بما يشير. فعزا اسفهُ وحزنهُ الى رؤيتهِ حواء في الاسر ولكنهُ لم يفهم سبب اضطرابهِ لانهُ كان يعلمهُ واسع الحيلة لا تصدهُ المصاعب ولا تقعدهُ المتاعب . حتى اذا بلغا غرفتيهما انطرح فخر الدين على سريرهِ وهو يتأوَّه ويتململ كمن ضاقت الدنيا في عينيهِ ثم نهض وجعل يمشي في غرفتهِ ذهاباً واياباً ويفرك كفيهِ . ولم يجب تنكرد الاَّ بما يشف عن خوفهِ على حواء لانها وقعت في يد اناس لا يشفقون ولا يرحمون

وحاول تنكرد ان يقابل كفرنيس و يسأَلهُ عن جلية الامر فلم يحظَ بهِ ومضى ذلك الليل ولم يغمض لهُ جفن ونهض في الصباح باكرًا وجاء الى غرفة فخر الدين فلم يجدهُ فيها وكان من

عادة كفرنيس ان يزورها في الصباح فلم يزرها ذلك اليوم ومضى باروني ليسأل عن حواء ويقف على ما يمكنهُ الوقوف عليهِ من امرها فشعر تنكرد كأنهُ صار وحيدًا في هذه الدنيا وعزم ان يقابل الملكة ويسألها عن حواء ويطلب منها ان تطلق سبيلها بناء على بينها وبين الامير فخر من رابطة القرابة وعلى فضلها عليهِ نفسهِ وعلى آدابها وفضائلها لكنهُ لم يجد من يستأذن لهُ في الدخول على الملكة

وقبل الظهر بساعتين جاءهُ باروني يقول لهُ ان الملكة دخلت الى الهيكل الاعظم هيكل الآلهة . فعزم ان يتبعها اليهِ وسار من ساعتهِ من غرفة الى أُخرى الى ان وصل الى باب النحاس فوجدهُ مقفلاً فوقف لا يدري ما يفعل وبينما هو واقف سمع صوت المرنمين في الدهليز ثم انفتح الباب في وجههِ فحجبهُ احد مصراعيهِ عن الانظار وخرج منهُ موكب عظيم من الغلمان والجواري والكهان وهم ينشدون نشيدًا رخيمًا ولم تكن الملكة معهم ولما خرجوا كلهم دخل من الباب فلم يلتفت اليهِ احد وأُقفل الباب وراءهُ فامسى في ظلام دامس لكن الظلام قلَّ رويدًا رويدًا فسار في السرداب والنور يزيد اشراقًا الى ان دخل الى الدكة المكشوفة التي امام باب الهيكل آخر ملجإٍ لجأت اليهِ الهة اليونان بنات عقولهم ونتائج فنونهم الراسخة في الرخام والمرمر في جوف الارض وصلد الصخر . فدخل كمن يدخل هيكلاً قدسيًا بالرهبة والوقار ومشى رويدًا رويدًا الى دنا من تمثال ابلُّو معبود اهالي انطاكية فرأى الملكة جاثية امامهُ على ركبتيها شاخصة اليهِ لا حراك بها كأنها في حلم او ذهول

وكانت الشمس قد تكبدت السماء والقت اشعتها على هذا التمثال فجللتهُ بالبهاء وحوَّطتهُ بهالة ذهبية من الضياء فلما وقعت عينهُ عليها احجم الى الوراء فوقع خيالهُ على الجدار امامها كأنهُ تمثال آخر تجلَّى لها فذعرت ونهضت على قدميها والتفتت الى ما وراءها حتى اذا وقعت عينها على عينيهِ اطرقت الى الارض وقد علت وجنتيها حمرة الخجل

فقال بصوت منخفض كنتُ عازمًا على الرجوع من حيث اتيت

فنظرت اليهِ بانكسار وقالت بصوت رخيم ولماذا ترجع

فقال لاني لم اكن اعلم انكِ وحدكِ في هذا المكان

فقالت نعم انا وحدي وقد طالت وحدتي حتى كرهتُ الوحدة . ثم مشت في الهيكل ومشى تنكرد معها الى ان وصلت الى الرواق المكشوف فوقفت . ورأى تنكرد انها لا تنوي التقدم الى الامام فقال هذه فرصة للكلام معها في امر حواء فابتدرها بالكلام عنها وافاض في وصف فضائل ابيها بسو ومكارم اخلاقهِ ثم استطرد الى حواء وبالغ في اطرائها حسبما املى

عليهِ قلبهُ فذكر ادبها ولطفها وشهامتها وشجاعتها الى ان قال ومن ثمَّ لا تستغربين ما اصابني من الدهشة لما رأيتها امس اسيرة ولكنني تعزيت لانها في امركِ لا في امر سواكِ ولذلك بادرت لاعرض امرها على جلالتكِ واتوسَّل اليكِ لتطلقي سبيلها وتعامليها بما تستحق من الاكرام

فقالت نعم اني لا استغرب شيئاً من ذلك

فنظر اليها لانها قالت ما قالت بصوت الغيظ فرأى وجهها قد تغير من السكينة والبشاشة الى الاضطراب والعبوسة . ثم قالت اني لا استغرب ذلك ولكني لا اساعدك على العبث بشرائع بلادك وقوانين امتك

فقال لها ما معنى ذلك

فقالت أَوَيخفى عليَّ امرك فانك تريد ان تستخدمنا آلة لاغراضك حتى تنصب على عرش بلاد الشام فتاة لا تجوز لها السكنى في بلادك

فقال لها مَن تعنين

فقالت اعني هذه اليهودية التي مرادك ان تتزوج بها رغماً من كل الشرائع والقوانين الارضية والسموية

فقال . أصحيح انك تظنين ذلك أتصدقين اني انا الذي اتيت الى هذه البلاد باسم ديني ولا غرض لي غير دعوة الناس الى دين الحق اقصد من وراء ذلك ان اقترن بابنة بسو ولكن هي اني معجبٌ بمحاسنها وفضائلها فكيف اطمع بالاقتران بها وهي مخطوبة لابن عمها وليس عندي اقل دليل على انها لا تحبهُ

أمخطوبة هي

نعم مخطوبة وكانت ذاهبة الى حلب مع ابيها لما التقى بها رجالك لكي تزف الى خطيبها

فتغير وجه الملكة وصمتت برهة ثم قالت أصحيح ذلك

فقال نعم وهل اخبرك احد بما يخالفهُ

فقالت ان عدوًّا لها وليت ابيها اخبرني عنها ما ينافي ذلك . قالت هذا ونظرت الى تنكرد بملء عينيها كأنها تريد ان تستطلع ما في قلبهِ . ثم قالت ومع هذا لا أرى في وجهك غير سمات الصدق

فقال وعلى مَ لا اصدقك الخبر واي علاقة لي بهذه الامور كلها

فقالت اصبت لا علاقة لك بها ولا يهمك شيء من امرنا. ولما قالت ذلك جالت الدموع في عينيها

فقال انهُ ليسوءُني ايتها الملكة المجيدة ان اراك حزينة

فقالت اني حزينة جدًّا لان هذه الفتاة المسكينة — ثم خنقتها العبرات فلم تعد تستطيع الكلام

فقال لا اسهل من اصلاح ما مضى اذا ارسلتها مكرمةً الى اهلها فقد بلغني ان اباها لم يزل في قيد الحياة فاذا رآها زال ما حلَّ بهم من الكرب ونسوهُ سريعاً وسررتِ انتِ بانكِ فعلت ما امتزتِ بهِ من كرم الاخلاق وطيب الاعراق وهي تنسى ما حلَّ بها سريعاً حالما تعود الى ابيها وعريسها

فقالت هيهات ثم هيهات فقد نفذ المقدور

فقال ما تقولين

فقالت قضي عليها وصارت في عداد الاموات

فذعر تنكرد وقال معاذ الله معاذ الله

فقالت قضي عليها ولا شبهة عندي الان في انك كنت تحبها

فتأوَّه من كبد حرَّى وقال وا حسرتاهُ وا مصيبتاهُ نعم كنتُ احبها كنتُ احبها كما احبُّ كواكب السماء وشعاع الشمس لعنة الله على هذا المكان وعلى الساعة التي دخلتهُ فيها

فامسكت بيدهِ وقالت لا تلعن. فقال اذًا لم تزل حية ولا يمكن ان تكوني قد امرتِ بقتلها

فقالت يا حبذا ذلك ان كان قتلها يجلب علينا اللعنات

فقال . متى حدث ذلك

فقالت منذ ساعة من الزمان

فقال لا اصدّق ولا يجسر احد ان يمد اليها يدًا. هلمي نذهب اليها

فقالت هيهات فان الموكل بقتلها عدو الدُّ لها

فقال عدوٌّ الدُّ . من يمكن ان يكون عدوًّا لها بين قومك

فقالت عدوٌّ الد كان يتوقع الانتقام منها ومن اهلها منذ سنين كثيرة

فقال هذا من اغرب ما طرق مسامعي ومن هو هذا العدو

فقالت هو صاحبك الامير الشهابي

فصرخ قائلاً "أَالقاتل سفاك الدماء عدو حواء . ولكني لا اصدّق . لا بدَّ من سرّ غامض في هذا الامر هلمَّ بنا هلمَّ نسرع لانقاذها

فقالت هو طلب مني ان يقتلها بيدهِ اخذًا بثأرهِ من عائلتها

فقال تنكرد أيقتل بيدهِ اختهُ في الرضاع وصديقتهُ الوحيدة التي رضع معها ثديًا واحدًا

وكان يود الاقتران بها ولولا الاختلاف الديني بينهُ وبينها لاقترنت بهِ

فقالت الملكة أتقول انها اختهُ في الرضاع . وقبل ان تتم كلامها دخلت شبرا وعلى وجهها امارات الاضطراب الشديد وقالت مضيت لارى الامير فخر الدين كما امرتني يا مولاتي فوجدتُ انهُ خرج من الحصن ثم مضيت لارى الاسيرة فوجدت انها هربت وثيابها التي كانت عليها ملقاة في ارض سجنها

فقالت الملكة اذاً هربت مع هذا الرجل الذي غشنا كلنا الذي اخبرني منذ ساعة من الزمان انها مخطوبة لك وحذرني منك ومنها لئلا تستعينا بنا على امر تحظرهُ عليك شرائع بلادك .

فقال تنكرد قبحهُ الله ما اعظم دهاءهُ واكثر دسائسهُ

فقالت الملكة لا بأس بما جرى فقد اطمأن بالي الآن

فقال يا حبذا لو كانت مع رجل آخر غيرهُ ايًّا كان

فقال اراك تود ان تكون انت معها وترجعها الى اهلها

فنظر اليها واذا على وجهها علامات الاسف ممزوجة بالحنو والشفقة فقال نعم لقد حان لي ان اختم هذه الزيارة التي كدرت صفو عيشك ايتها الملكة

فاجهشت بالبكاء ثم قالت بصوت متقطع انت تطلب عرشاً تملك عليهِ فلمَ لا تقبل هذا العرش وتطلب انصاراً تحارب بهم والنصيرية اشد الناس بأساً وحصني هذا ليس مثل قصور انطاكية التي تعرف تاريخها ولكنهُ حصين جداً لا ينالهُ طالب فتستطيع ان تجعلهُ مباءةً لك تجري منهُ اعمالك وتصدر منهُ اوامرك

فقال اراني كنتُ سبباً في امور لا يد لي فيها ولا بدَّ لي من العود الى القفار الى قفار بلاد العرب استنشق نسيمها النقي فاجلي بهِ هذا الصدأ من نفسي

وكانت شبرا واقفةً تنظر الى السماء فصرخت قائلة ها رسولنا الامين فالتفتت الملكة وتنكرد الى حيث اشارت واذا بقعة صغيرة في السماء ثم اخذت تزيد شيئاً فشيئاً الى ان انجلت عن حمامة من حمام الزاجل فوقعت على يد الملكة ففتشت تحت جناحها واذا بطاقة صغيرة يقال فيها

" يقوم الوالي غداً بخمسة آلاف من النظام قاصداً بلادنا "

ولما قرأتها التفتت الى تنكرد وقالت لهُ امضِ بسلام لان بقاءك هنا الآن لا يخلو من الخطر عليك ولم يزل لك وقت للخروج من البلاد التي احببتك فاحتقرتها

فقال معاذ الله ان اتركها في ساعة الخطر ولا بدَّ لي من الخروج الى لقاء الاعداء في مقدمة جنودك

(البقية في الجزء التالي)

بناء الاجسام الحية

خطبة الرئاسة للسر وليم ترنر رئيس مجمع ترقية العلوم البريطاني

التأم مجمع ترقية العلوم البريطاني في مدينة برادفورد ببلاد الانكليز في ٥ سبتمبر الماضي برئاسة السر وليم ترنر استاذ التشريح في مدرسة ادنبرج الجامعة فخطب فيهِ خطبة الرئاسة وقال فيها بعد ديباجة وجيزة ما ترجمتهُ

الاسلوب العلمي

قال ادورد غبن المؤرخ ان الاجتهاد والتدقيق هما الصفتان اللتان يودّ المؤرخ ان يُوصف بهما . ولا شبهة في انهما مزيتان لازمتان للبحث التاريخي ولكن لا تنتج منهما النتائج المطلوبة ما لم يكن لصاحبهما عقل راجح يؤهلهُ للبحث في المسائل التي يجمعها باجتهادهِ والتمييز بين صحيحها وفاسدها وادراك الاميال التي تتسلط على افعال الناس ومعرفة الامور التي تؤثر في احوال الامم تأثيرًا جوهريًّا او ثانويًّا

والاجتهاد والتدقيق صفتان جوهريتان في البحث العلمي ايضاً بهما تكشف امور جديدة وتُبوَّب وتُعلَم نسبتها بعضها الى بعض فتزيد معرفتنا بافعال الطبيعة . ولكن لا بدَّ من عقل راجح لمعرفة قيمة هذه الامور ودلالتها . اخبرنا وليم هارفي ابو المباحث الدقيقة في علم الفسيولوجيا في رسالة نشرها منذ اكثر من مئتي سنة عما كان يبذلهُ من الجهد يوماً بعد يوم مدة بحثهِ وعن التجارب الكثيرة التي جرَّبها واعاد تجربتها مرارًا . وقد اشار تكرارًا الى تفكيرهِ في مفاد ما كان يراهُ و يراقبهُ وبغير ذلك ما كان تسنَّى لهُ ان يعرف حركات القلب المختلفة و يثبت دورة الدم في الجسم كلهِ . وقد ابان كارل ارنست فون بير ابو علم الاجنة ضرورة قرن المشاهدة بالتبصُّر حينما قرن بين هاتين الكلمتين في فاتحة كتابهِ المشهور

وقرن المشاهدة بالتبصر واجب في كل العلوم كما هو واجب في علم الاحياء . واذا قُرنا ايضاً بشيء من التصوُّر والفراسة وحسن النظر في العواقب قادا الى اكتشاف حقائق جديدة ونواميس جديدة

فمدار الاسلوب العلمي على المشاهدة الدقيقة التي تتكرَّر مرارًا حتى لا يبقى فيها محل للخطإِ وعلى التجارب التي تُنفى منها كل ما يمكن ان يقع فيهِ خطأ وعلى التبصُّر واعمال النظر للوصول الى النتائج المنطقية المترتبة على المشاهدات . ولو جرى كل الباحثين هذا المجرى لكنا في غنى عن اضاعة الوقت والتعب لاصلاح ما يقع في مباحثهم من الخطإِ ولكانت الكتب التي تؤلف

سنوياً في تاريخ العلم اصغر مما هي الآن . ولو جرينا هذا المجرى في امورنا المعاشية ايضاً لنجونا من كثير من المشاكل فقد علمتنا التجارب الحديثة ان الحكمة والنظر في العواقب لازمان في تدبير امور العباد كما هما لازمان في المباحث العلمية واذا جرينا عليهما بلغنا الغاية التي نتوخاها

اصلاح وسائل البحث

ان بعض الوسائل لازم للبحث في كل العلوم على حدٍ سوى ولكن لا بدَّ لكل فرع كبير من فروع العلم من وسائل خاصة للبحث فيهِ . ولا شيء تتقدم بهِ المعارف مثل اصلاح منهاج الفحص إما باكتشاف وسائل جديدة للبحث واما باستعمال الوسائل القديمة على اساليب جديدة. فالصنائع مثلاً يتسع نطاقها ويعتز شأنها باكتشاف مواد جديدة لها وتركيب مركبات لم تكن تستعمل من قبل واستنباط اساليب جديدة لمعالجة المواد التي تستعمل في الصنائع واختراع آلات جديدة . وكذلك العلم يتسع نطاقهُ ويزيد ايضاحهُ لاسرار الطبيعة باختراع الآلات والادوات الجديدة التي تكتشف بها حقائق جديدة لم تكن مكشوفة من قبلُ او توضح بها حقائق كانت غامضة فيتجه تاريخ العلم وجهة جديدة ويصير لهُ سند جديد يستند اليهِ في تقدمهِ وارتقائهِ

وليس من قصدي ان اشرح لكم الآن تاريخ تقدم العلوم التي يبحث فيها المجمع البريطاني ولا انا استطيع ذلك لو قصدتهُ . غير ان عملي الذي اشتغلت بهِ العمر كلهُ دعاني للبحث في العلم المتعلق ببناء الاعضاء التي في جسم الانسان واجسام الحيوانات وهذا العلم يشمل تشريح المقابلة وعلم الاجنة وعلم بناء الاجسام وعلم الحيوان وعلم الفسيولوجيا وعلم الانثروبولوجيا . وسأحاول ان القي على مسامعكم بعض الامور الجوهرية والنتائج المهمة التي عُرفت في هذا الموضوع . ولما كانت هذه السنة هي خاتمة القرن التاسع عشر رأيتُ انهُ يليق بنا ان ننظر الى التغير الجوهري الذي حدث في ما نعرفهُ عن بناء الحيوان مدة هذا القرن لانهُ يخلق باهل العلم ان يقتدوا بالتجار في مراجعة اعمالهم وحساباتهم في ختام كل مدة ليروا مبلغ ما كسبوهُ وما خسروهُ.

علم من ايام اليونان القدماء ان جسم الانسان واجسام الحيوانات العليا مؤلفة من اعضاء مختلفة شكلاً ولوناً وبناء وقواماً وخواص وهي العظام والعضلات والاوتار والاوعية الدموية والغدد والدماغ والاعصاب وهلم جرًّا . ومع تراخي العصور وتكاثر الباحثين زادت معارف الناس بهذه الاعضاء وحاول البعض تقسيم الحيوانات حسب اختلاف اعضائها. وقام في اواخر القرن الماضي واوائل القرن الحاضر وليم هنتر وجون هنتر في هذه البلاد وعائلة مكل في المانيا وكيفيه وسنت هيلر في فرنسا ووسعوا نطاق علم التشريح واضافوا كثيراً الى ما يعرف من بناء

اجسام الحيوانات لكنهم هم وغيرهم قصروا بحثهم على الاعضاء الكبيرة من جسم الحيوان واما بناء هذه الاعضاء فقلما نظروا فيهِ لانهم لم يستطيعوا ان يبحثوا في غير ما يُرى بالعين اوبالبلورة المكبرة فعرفوا ان العضلات والاعصاب والاوتار مؤلفة كلها من خيوط او الياف وان الاوعية الدموية واللمفاوية انابيب وان الاجزاء التي تُسمّى صفاقات ولفائف اغشيةٌ رقيقة وهلمَّ جرًّا

وقام في اوائل هذا القرن العلاّمة بيشات الذي اشتهر في عصر بونابرت والّف كتابهُ في التشريح العام ووضع فيهِ بعض المبادىء العمومية الجوهرية مثل ان كل حيوان مجموع من اعضاء مختلفة ولكل عضو منها وظيفة خاصة بهِ وهي تعمل معًا لحفظ ذلك الحيوان . وهذه الاعضاء آلات خاصةٌ يتألف منها بناء الجسم العام . وكل عضوٍ منها مؤلف من انسجة لها صفات خاصة مختلفة. بعضها منتشر في الجسم كلهِ كالاوعية الدموية والشرايين والانسجة الليفية. وبعضها محصور في اماكن محدودة كالعظام والعضلات والغضاريف. فَعرفَ المبدأ العام في بناء جسم الحيوان ولكنهُ لم يعرف هو ولا تلميذهُ بكلار ماهية المواد التي تتألف منها اجزاء الجسم لان الوسائل التي كانت معروفة عندهما وعند غيرهما من العلماء لم تكن تكفي للوصول الى ذلك

وفي العقد الثالث من هذا القرن (اي بين سنة ١٨٢٠ وسنة ١٨٣٠) حاول البعض اصلاح طرق البحث عن دقائق الجسم الحي بعمل البلورات المركبة واصلاح ما فيها من الخطإ الكروي واللوني لكي تكبّر بها صور الاجسام ولا يكون في رؤيتها خطأٌ بل ترى واضحة جلية . ولمّا قرأ جوزف جكسن لستر (ابو لورد لستر) مقالتهُ عن البلورات المركبة الخالية من الخطإ اللوني في الجمعية الملكية في شهر ينايرسنة ١٨٣٠ ابان المبدأ الذي تتركّب عليهِ هذه البلورات. وأُصلح الميكرسكوب بحذق صنّاعهِ وتقدمت بهِ العلوم البيولوجية كما تقدّم علم الفلك بواسطة اصلاح التلسكوب .

ثم ان درس الدقائق التي في بناء النبات والحيوان يقتضي درس انسجةٍ واعضاء دقيقة لطيفة جدًّا يعسر الفرق بينها وتمييزها بعضها من بعض ولو كان الميكرسكوب بالغًا غاية الاتقان ولذلك اقتضت الحال ان توجد وسائل اخرى يسهل بها درس ابنية الاجسام الحية بالدقة التامة . ومن كان من ابناء هذا العصر وهو يرى نفسهُ في معمل بيولوجي كثير الادوات ومعهُ استاذ يرشدهُ في عملهِ وكتب توصف فيها اساليب البحث بالتدقيق والتوضيح — مَن كان كذلك يصعب عليهِ ان يتصوَّر ما كان يجدهُ سلفاؤهُ من المشقة في مثل هذا البحث منذ خمسين عامًا فلم يكن عندهم معامل مجهزة للبحث البيولوجي الدقيق ولا كان احد يعلم علم الانسجة وعلم الاجنة بالعمل ولا كانت التجارب كثيرة بل كان كل احد متروكًا لسعيهِ واجتهادهِ يتلمّس في

ظلام دامس . ولم تكن وسائل التلوين والتصليب معروفة . وكان العلماء يقطعون الرواميز الميكروسكوبية الدقيقة بالموسى ثم استنبط ڤالنتين السكين ذات الحدين فعُدَّ استنباطهُ من اعظم المسهِّلات للبحث الميكرسكوبي اما آلات القطع المستعملة الآن فلم تكن معروفة حينئذٍ. وكل آلات البحث كانت محصورة في السكاكين والملاقط والمقاريض والابر مع الغليسرين وبلسم كندا . لكن الميكروسكوب المركَّب الخالي من الخطإِ اللوني (اكرومتيك) كان في يد علماء التشريح آلة جزيلة الفائدة رغماً عن هذه المصاعب كلها فاستعملهُ كثيرون منهم بين سنة ١٨٣٠ وسنة ١٨٥٠ للبحث عن دقائق الاجسام الحية في النبات والحيوان

الرأي الخلوي

وقد عُرِف منذ زمن طويل ان ابنية النبات مؤلف اكثرها من اجسام خلوية صغيرة سمّيت خلايا او حويصلات . واكتشف روبرت برون النباتي المشهور سنة ١٨٢١ ان في كل خلية من خلايا النبات نقطة صغيرة مستديرة سماها نواةً . ثم اكتشف شليدن ان هذه النواة عضو عام في النبات ورأى العلماء في انسجة الحيوان ما يشبه الخلية والنواة. ثم ابان العالم شوان سنة ١٨٣٩ ان اجزاء الحي الاصلية تجري في نموها على اسلوب واحد مهما اختلف شكلها الظاهر وهذا الاسلوب هو تكوُّن الخلايا فيها. واكتشاف هذا الامر اي ان الانسجة الاصلية مؤلفة من خلايا مزيةٌ كبيرة لهذا العصر مثل اعظم المكتشفات في العلوم الطبيعية لانهُ ارى علماء البيولوجيا الدقائق التشريحية التي هي ميدان الفواعل الخارجية الفاعلة بالاجسام الحية ونفى الاوهام السابقة التي تنسب انفعال الاجسام الحية الى الابخرة والارواح وارى علماء الفسيولوجيا والباثولوجيا الابنية الخاصة التي تتم فيها وظائف الاعضاء في الصحة والمرض. فتقدمت بهِ صناعة الطب تقدماً عظيماً ولذلك يليق بي ان اراجع لكم تلويحاً ما نعرفهُ من امر هذه الخلايا

بناء الخلايا

الخليَّة دقيقة حية صغيرة جدًّا لا تُستوضَح الاَّ بالميكرسكوب . تكبر حجماً وتفعل وتنفعل بالفواعل القوية وتولِّد خلايا من نوعها ثم تضعف مع الزمان وتموت

ولا بدَّ من النظر الى بنائها لمعرفة اجزائها وما يفعلهُ كل جزء منها في اتمام وظيفتها فقد ظُنَّ اولاً بناء على ما شوهد في خلايا النبات ان الخلية زق صغير مختوم جدارهُ المحيط بهِ فَعَلَ افعالاً كياوية وحيوية بالمواد التي حولهُ وافرز ما في الخلية . ولكن ظهر بتوالي البحث ان كثيرًا من الدقائق الاصلية كان خلايا ولم يكن لهُ جدار يحيط بهِ ولذلك لم يعد الجدار شيئًا جوهريًّا في بناء الخليَّة

ومن اجزاء الخلية الجوهرية السائل الذي فيها والنواة التي فيهِ . والنواة صغيرة جدًّا لا يزيد قطرها في اكبر الخلايا على جزء من خمس مئة جزء من العقدة وشكلها واحد في الغالب ولا تنفعل بها الفواعل الكيماوية حتى اقواها لكن علماء الانسجة لم يمنعهم صغرها عن البحث فيها من ايام مكتشفها روبرت برون فبحثوا عن بنائها وتركيبها الكيماوي وتكوُّنها وما تفعلهُ في تكوُّن الخلايا الجديدة ووظيفتها في التغذية والافراز

واذا نُظر الى النواة وهي في حالة السكون ظهرت مشمولة بغشاء يفصل بينها وبين السائل الذي في الخلية . وفي هذا الغشاء مادة فيها نويَّة او نويتان او اكثر وخطوط او الياف دقيقة جدًّا لها شأن في تكوين النويَّات الجديدة داخل النواة . والمادة التي في النواة مركبة كيماويًّا من سائل زلالي ومادة حُبيبية ومادة اخرى خاصة تسمَّى بالنكلين كثيرة الفصفور تفعل فعل الحوامض . والظاهر ان الخيوط المذكورة مؤلفة من النكلين ايضاً وهذا النكلين يتلوَّن بالقرمز ونحوهِ من الاصباغ فيظهر ما يحدث فيهِ من التغيرات وقت تكوُّن الخلايا الجديدة

وقد كثر الخلاف في اصل النويَّات وما تفعلهُ في تكوين الخلايا الجديدة فان العالم شليدن الذي نشر مباحثهُ سنة ١٨٣٨ بحث في خلايا النبات وقال ان النويَّة لا تتكون الاَّ في قلب الخلية واما العالم شوان الذي بحث في خلايا الحيوان فقال انهُ توجد في الاجسام العصبية مادة لاشكل خاص لها تسمى ميتوبلازتيا ومنها ما في الخلايا ولكنها قد تكون خارج الخلايا وقد شبهها بسائل الام الذي تتولد فيهِ البلورات . وان النويَّات تتكوَّن في هذه المادة اما في الخلايا او خارجاً عنها ومتى تكوَّنت النوية انضمت اليها الدقائق النووية وتألفت منها خلية جديدة . فاعتبر ان النويَّات والخلايا تتكوَّن إما داخل الخلايا او خارجاً عنها والاول قليل في الحيوان والثاني كثير فيهِ . وقد اتفق شليدن وشوان على انهُ ليس للنوية فعل دائم فتختفي غالباً بعد تكوُّن الخلية

وذاع القول بان الخلايا تتولد في السوائل من نفسها بمباحث هنل استاذ التشريح في مدرسة غوتنجن الجامعة حتى غُضَّ الطرف عن تولدها من الخلايا السابقة لها . وهذا سبب ما اعتقدهُ كثيرون ولا يزال البعض يعتقدونهُ من ان الخلايا الحية قد تتولد من غير خلايا حية سابقة لها اي ان الحي يتولد من غير الحي . ولا يمكن ان يقام دليل على فساد هذا المعتقد ولكن لم يقم دليل حتى الآن على صحتهِ فالدليل العقلي مؤيد لهُ ولكن الشواهد العملية تخالفهُ

(ستأتي البقية)

ميشال بسترس



لما انشبت المنية اظفارها بالحميد الذكر المرحوم ميشيل بسترس في الربيع الماضي اقترحنا على احد اصدقائهِ في بيروت الدكتور نقولا فياض ان يوافينا بشيءٍ من ترجمتهِ لما اشتهر عنهُ من اكرامهِ لرجال العلم وسعيهِ في اغاثة الفقراء والمساكين . وكتبنا الى وكيلنا فيها ان يبعث الينا برسم واضح لهُ لكن سفرنا الى اوربا منعنا من نشر الترجمة والرسم حينئذٍ فنشرناهما الآن لان الترجمات لا تعتق والفوائد لا تخلق ديباجتها . قال كاتب الترجمة

في ٢١ نيسان (ابريل) من هذا العام حدث في بيروت حادث مفجع مات فيهِ البعض من وجهاء البلدة وشبانها. وقد ذكرت الجرائد اليومية ذلك الحادث في حينهِ واظهرت كلها شديد

الاسف الذي اخلفهُ في القلوب انفجار البارجة سهام وما نسي الناس اسماء اولئك الشهداء الذين ذهبت ارواحهم ضحايا بين الماء والنار ولا سيما الشاب الرطب العود وجيه قومهِ وبلادهِ المرحوم ميشال حبيب بسترس

ولد الفقيد في مدينة بيروت سنة ١٨٦٥ وجلس للتعلُّم في التاسعة من عمرهِ فدخل مدارس مختلفة وزار عواصم اوربا مراراً واتى الاسكندرية وهو لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمرهِ فأسس محلاً تجارياً بعنوان ميشال بسترس وشركائهِ ثم عاد الى بيروت لاشغال لهُ فيها وهناك انتخب عضواً في جمعية المستشفى الارثوذكسي ثم رئيساً لها وكان عمرهُ اذ ذاك ٣١ سنة فما مضى مدة على توليهِ الرئاسة حتى تبدلت احوال المستشفى التي كانت لا ترضي الصديق ونجح نجاحاً بيناً فصارت غرفهُ على ازدياد ومرضاهُ على ازدياد ودخلهُ على ازدياد واصبح عدد اسرَّتهِ اربعين بعد ان كان ١٢ وبنيت فيهِ قاعتان كبيرتان الواحدة للعمليات الجراحية والثانية للاستقبال وصار لهُ املاك في الخارج منها بيتان في حي مار نقولا لا يقل ريعهما عن اثني عشر الف غرش. وقد بلغ مجموع ما دخل صندوق المستشفى في ايامهِ ٦ آلاف ليرة كل ذلك بسعيهِ وهمتهِ وحسن ادارتهِ. ولم يحصر سعيهُ في مساعدة ابناء ملتهِ بل كان يمتد الى غيرها . وكثيراً ما سمعنا الغرباء يذكرون احسانهُ و يشكرون حنانهُ . وكم من الاعمال الحميدة التي اتاها مما بقي مجهولاً الى يوم وفاتهِ حتى من اقربائهِ الادنين فكنا نسمع عنها من افواه الناس الذين احسن اليهم ولولاهم لبقيت مخفية عنا

وقد تقلَّب الفقيد في خدمة وطنهِ فكان عضواً في المجلس البلدي ثم في الادارة الى ساعة موتهِ وكان في كل اعمالهِ مثال النشاط والنجدة التي قلما نجدها في الاوساط من قومنا فكيف بمن تغنيهم احوالهم المالية عن الافتكار بالغير . ولم يكن من اهل العلم ولكنهُ كان يكرم ذويهِ ويحترم المشتغلين بهِ ويسعى في خدمة من يتعرف بهم منهم. ويكفيهِ ذكراً حسناً انهُ اول رجل في الشرق اظهر للعيان فضل اهل الاحسان وسعى في تشييد اثر خالد لرجل غريب فضلهُ كبير على سورية وهو نصب تمثال للمرحوم كرنيليوس فان ديك في حديقة المستشفى في يوم مشهود حضرهُ رؤساء الاديان والعلماء والوجهاء وخطب فيهِ كثيرون من الاطباء والادباء. وقد كان في المدة الاخيرة محط الانظار وموضوع آمال الارثوذكس خصوصاً والبيروتيين عموماً ففاجأهُ القضاء نهار السبت المسمى سبت النور ليلة عيد الفصح اذ خرج صباحاً من البيت وزار المستشفى كعادتهِ واشترى كتباً وصوراً لكنيسة عاليه التي قامت بسعيهِ ثم سار الى البحر في شغل لهُ وهناك حدث حادث غريب اودى بحياتهِ كما هو معلوم

هذه نتف من ترجمة هذا الرجل القصير العمر الكبير القدر الكثير النفع يظهر من خلالها النفس الكبيرة التي كانت بين جنبيهِ ويستشف من ورائها مقدار النفع الذي كان ينتظر منهُ لو فسح الله في اجلهِ ويبكي من بعدها على هيكل شريف كان متقداً بنار الغيرة ونار النجدة ونار الشباب

وقد كان مأتمهُ عظيماً لم تشهد مثلهُ بيروت في ما سلف من الازمان وللآن لا تزال ترد على أُسرتهِ رسائل التعزية من اقطار البلاد وكلها مشحون بالاسف الحي الصادق وهذا اكبر دليل على واسع شهرتهِ مع حداثة سنهِ وامتلاكهِ القلوب باعمالهِ الكريمة. عزى الله آلهُ وانسباءهُ وجعل مثالهُ قدوة لسواهُ

الحب يغلبُ الملك

جرت عادة بعض الكتّاب في القطر المصري ان يتهموا الاوربيين بانهم هتكوا حرمة العفة ولم يعد للزواج الشرعي شأن عندهم بانين حكمهم هذا على ما يرونهُ في شوارع بعض المدن الاوربية الكبيرة من دلائل التهتك. ويظهر لنا بما عرفناهُ بالخُبْر والخبَر أن شروط العفة والصيانة والحب العائلي مرعية عند الاوربيين كما هي مرعية عند غيرهم او اكثر حتى ان ابناء الملوك يتركون احياناً حقهم في عرش الملك ليتزوجوا نساء لسنَ من بنات الملوك ويعيشوا معهن عيشة الصيانة والعفاف. مثال ذلك ان الارشدوق فرنز فرديننذ النمسوي وريث عرش النمسا والمجر اقترن بالكونتس صوفيا فون تشوتك وهي من رعايا عمهِ امبراطور النمسا. التقى بها في قصر الارشدوق فردرك فأحبها وكانت من نساء الشرف في ذلك القصر فلما درت بحبهِ لها تركت المنصب الذي كانت فيهِ ومضت الى بيت اختها. وفي الخريف الماضي طلب الارشدوق من عمهِ الامبراطور ان يأذن لهُ في الاقتران بها فاستصعب الامبراطور ذلك لان اقترانهُ بها يحرم نسلهُ من وراثة الملك حسب شريعة البلاد وقال لهُ امهلني ستة اشهر فاذا بقيت مصراً على عزمك نظرتُ في الامر حينئذٍ. ولما مضت الستة الاشهر عاود عمهُ فاذن لهُ مشترطاً عليهِ ان نسلهُ منها لا يرث الملك بعدهُ وانهُ يقسم الايمان المغلظة بانهُ اذا رقي الى سدة الملك لا يرقي زوجتهُ الى رتبة الامبراطورية ولا الى رتبة الملكية وان الاولاد الذين يولدون لها تكون رتبتهم مثل رتبتها فقط ولا يكون لهم حق بالملك مثل غيرهم من اولاد العائلة الامبراطورية. فاقسم حسب طلب عمهِ واقترن بهذه الاميرة في غرة يوليو الماضي. ولما تمت صلاة الاكليل تقدم

احد القباط واعطاها هدية الامبراطور لها وهي لقب برنس هوهنبرج. ويقال انها من اجمل النساء واكثرهنَّ ادباً . واذا توفي زوجها بعد ارتقائهِ الى عرش الملك خلفهُ اخوهُ واولاد اخيهِ لان اخاهُ مقترن باميرة من عائلة مالكة

ومن قبيل ذلك ان البرنس اوسكار ابن ملك اسوج وتروج احبَّ فتاةً من نساء الشرف اللواتي كنَّ في خدمة امهِ احبها لما رآهُ من ادبها وبراعتها في فن الموسيقى واطلع امهُ على ذلك فصوَّبت رأيهُ لانها هي ايضاً كانت تحب تلك الفتاة وتكرمها لادبها وظرفها وتعقُّلها واخبرت اباهُ الملك بذلك فلم يرضَ بهِ حاسباً ان ابنهُ يعدل عن عزمهِ بعد حين ويقترن باميرة من مرتبتهِ . ثم مرضت الملكة واشتدَّ المرض عليها حتى خيف انها لا تقوم منهُ فعاودت زوجها في امر ابنها فاجاب طلبها على غير رضاهُ. واقترن البرنس اوسكار بهذه الفتاة في ١٥ مارس سنة ١٨٨٨ بعد ان تخلى عن حقهِ في الملك لاخيهِ وعاش معها عيشة يحسدهُ عليها الملوك . وهما يقضيان اكثر اوقاتهما في مساعدة الفقراء وحضور الجمعيات الادبية والدينية والبرنس يخطب فيها ويعظ كانهُ من خدمة الدين . وقد اعطاهُ عمهُ غران دوق لكسمبرج لقب كونت وسبورج فصارت زوجتهُ تلقب بهذا اللقب ولها الآن المكانة الاولى في بلاط حميها وفي عائلتهِ كما لها المكانة الاولى في قلوب الفقراء والمساكين حتى يقال انهم يعبدونها عبادةً

ومن هذا القبيل ايضاً اقتران الغران دوق ميخائيل الروسي بالكونتس توربي وهي ابنة امير ولكن امها ليست من بيت الملك فلا يحسب اولادها من بيت الملك . التقى بها الغران دوق في مدينة كان بفرنسا فاحبها وكان يعلم ان القيصر لا يأذن لهُ في الاقتران بها فاقترن بها من غير ان يستشيرهُ فاغتاظ القيصر من ذلك وحتى الآن لم يؤذَن لها في الدخول رسمياً الى بلاط روسيا ولا الى بلاط دولة اخرى غيرها لكنها قابلت ملكة انكلترا على طريقة غير رسمية فانست بها واكرمت مثواها . ويقول كل من رأى جمالها وعطفها على اولادها وحبها لزوجها انهُ احسن في ما فعل وان الزوجة الفاضلة خير من سرير الملك

ومما يُذكر في هذا الصدد اقتران ملك السرب حديثاً بامرأة ارملة تكبرهُ تسع سنوات فان عمرهُ ٢٤ سنة وعمرها ٣٣ سنة كانت عند امهِ فاحبها لما رآهُ من حسن ادبها وفرط ذكائها واخبر امهُ بذلك فاغتاظت منها وابعدتها عنها فعادت الى بلغراد وصارت مشيرة لهُ يعتمد عليها في اموره ثم اعلن انهُ عازم على الاقتران بها فاستعفى وزراؤهُ حالاً دلالةً على انهم غير راضين بهذا الاقتران اما هو فلم يعبأ باستعفائهم بل اقترن بها وسرَّ قيصر الروس بهذا الاقتران وبعث اليهِ يهنئهُ وبعث الى زوجتهِ هدية نفيسة . ولا تقضي شريعة السرب بحرمان اولاد الملك من

الملك اذا اقترن بواحدة من رعاياهُ ولذلك صارت هذه المرأة ملكة واذا رزقت اولاداً ورثوا اباهم
فيرى القارئ من هذه الامثلة الوجيزة ان الملوك وابناء الملوك الذين قلَّما ينتظر منهم ان يراعوا شروط الصيانة والعفاف قد يفضّلون الحب العائلي على سرير الملك لعفتهم وصيانتهم

باب الزراعة

المواشي في القطر المصري

لا شبهة في ان المواشي قليلة جداً في هذا القطر بالنسبة الى عدد سكانهِ والسبب الاكبر لذلك قلة المراعي فيهِ وغلاء الاراضي الزراعية وكثرة ضرائبها حتى لا يرى ارباب الزراعة من الحكمة زرع اطيانهم علفاً لها وهم يستطيعون ان يزرعوها حنطة وقطناً . لكنَّ الغزير اللبن من البقر والجيد اللحم من العجول والناعم الصوف من الغنم والقوي الجسم من الثيران كل هذه من تربيتها ربح وافر . وقد احسن ارباب الدوائر الكبيرة كدائرة الخاصة الخديوية ودائرة القصر العالي والمدرسة الزراعية بجلبها البقر من اوربا وتجنيس البقر المصرية بها كما ترى في الشكل الاول والثاني والثالث والرابع المرسومة هنا فان الشكل الاول صورة ثور من بقر سويسرا للخاصة الخديوية وهو من البقر المشهورة في تلك البلاد وفي اوربا كلها بغزارة لبنها وطيب لحمها لكنها ليست اكبر من البقر المنوفية ولا اقوى منها على اعمال الزراعة . وهذه البقر أنيسة جداً في بلادها تذهب اسراباً كبيرة في الجبال ترعى نبات الصيف وتنام في المراعي وقد لا يكون معها احد مطلقاً فيمضي عليها بضعة اشهر على هذه الصورة حتى اذا توسط شهر سبتمبر وبرد الهواء ذهب الرعاة وعادوا بها الى منازل اصحابها فتنزل من المراعي اسراباً وقد علقوا لها اجراساً كبيرة في اعناقها حتى اذا وصلت ساحة البلد تقاطر حولها باعة المواشي من المدن المختلفة يبتاعون البقرة منها بعشرة جنيهات الى خمسين جنيهاً حسب شكلها وغزارة لبنها . وقلَّما تجد بينها بقرة عجفاء ولكن عيونها شهلاء او برصاء في الغالب ليس فيها شيء من ملاحة عيون البقر في هذا القطر والقطر الشامي . وقد نال الثور المرسوم في الشكل الاول الجائزة الاولى في المعرض الزراعي المصري الاخير

والشكل الثاني صورة بقرة من البقر الانكليزية المعروفة بقصيرة القرن (شورت هورن) .

وهي اشهر اصناف البقر الانكليزية واكثرها وجوداً وانتشاراً في بلاد الانكليز وهي قديمة فيها وقد أُصلحت حديثاً بالتربية اصلحها تشارلس كولنج واخوهُ فزاد اتساع صدرها واعتدال قوامها وقصر قوائمها وصغر حجمها قليلاً وزاد لحمها وصارت تبلغ باكراً وتسمن سريعاً. وقد رسَّخا فيها هذه الاوصاف بانتقاء الثيران والبقر التي ظهرت فيها على اتمها والاقتصار على نتاجها . واشتهر ما فعلهُ هذان الرجلان حالاً حتى صارا يبيعان البقرة او الثور باكثر من مئة جنيه وصارا يؤجران الثور للضراب بخمسين جنيهاً الى مئة جنيه في السنة . وباع تشارلس كولنج ٢٩ بقرة سنة ١٨١٠ بالمزاد فبلغ متوسط ثمن البقرة منها ١٤٠ جنيهاً ونحو ٥ شلنات وباع ١٨ ثوراً فبلغ متوسط ثمن الثور منها ١٦٩ جنيهاً و ٨ شلنات . وبعد ثماني سنوات اشتدَّ الضيق في انكلترا وقلت النقود في ايدي الناس فباع ٦١ بقرة بلغ متوسط ثمن البقرة منها ١٢٨ جنيهاً ونحو ١٠ شلنات . ثم بيع ثور واحد من هذه الثيران بالف جنيه والف شلن

ويقال انهُ ليس بين اصناف البقر ما هو اسرع بلوغاً من هذا الصنف ولا اكثر منهُ لحماً ولا اوفر منهُ نفعاً . وقد انتشر الآن في اوربا واميركا الشمالية والجنوبية واستراليا وزيلندا الجديدة واصلح اصناف البقر الوطنية فيها بالتجنيس . والبقرة الحلوب من هذا البقر تحلب في السنة من ٧٠٠ جالون الى ١٠٠٠ جالون وقد بلغ متوسط وزن العجل منها الذي عمرهُ ٦٧٠ يوماً نحو ١٣٩٦ رطلاً (ليبرة) والذي عمرهُ ٩٨٨ يوماً ١٨٧٠ رطلاً والذي عمرهُ ١٣٢١ يوماً ٢١١٦ رطلاً

ومن يعتبر هذه المزايا كلها لا بدَّ وان ينطلق لسانهُ بالشكر للجناب الخديوي لانهُ ادخل هذا الصنف والصنف الاول من البقر الى القطر المصري لتصلح بهما بقرهُ . والبقرة المرسومة هنا نالت الجائزة الاولى في المعرض الزراعي المصري الاخير

والشكل الثالث صورة ثور مجنس بين الصنف السويسري والصنف الوطني وهو لدائرة القصر العالي وقد نال الجائزة الاولى في المعرض الزراعي الاخير .

والشكل الرابع صورة بقرة مجنسة للمدرسة الزراعية بين البقر الوطنية والصنف الانكليزي المعروف بالانجس نالت الجائزة الاولى في المعرض الزراعي الاخير . والانجس بقر اسكتلندي مشهور بكثرة لحمهِ وقد نال الجائزة الاولى في معرض باريس سنة ١٨٧٨ حيث عُرض ستون صنفاً مختلفاً من البقر . ومن ثم اشتهر بغزارة لحمهِ ثم نال الجوائز في انكلترا سنة ١٨٨١ و١٨٨٥ و١٨٨٧ لغزارة لحمهِ وطيب طعمهِ . وكانت اناث هذا الصنف تدرُّ لبناً غزيراً لكن اقتصار المربين على ما يجيد اللحم قلَّل لبنها فصار معتدلاً في كميتهِ . اما لحمها فيزيد وزناً ويجود طعماً

عاماً بعد عام وقد وجد سنة ١٨٨٧ ان العجل الذي متوسط عمرهِ ٦٦٧ يوماً يبلغ متوسط ثقلهِ ١٤٧٥ رطلاً والعجل الذي متوسط عمرهِ ٩٨٤ يوماً يبلغ متوسط ثقلهِ ١٨٧٤ رطلاً. واللون الغالب فيها الاسود وهي جمّاء اي لا قرون لها . فيجب ان يكثر تجنيس البقر المصرية بهذا الجنس اذا اريد ان يكثر اللحم الجيد في هذا القطر كما يجب ان يكثر التجنيس بالقصيرة القرون اذا اريد غزارة اللبن

وقد استعرنا هذه الصور الاربع من جناب المستر فودن مدير مجلة الشركة الزراعية الخديوية

كيف ترتقي الزراعة

ذكرنا في الجزء الماضي كلاماً عاماً عن الاهتمام بالزراعة في الولايات المتحدة الاميركية وعن جمعياتها الزراعية ومدارسها الزراعية ملخصين ذلك من رسالة وضعها بعض علمائها في هذا الموضوع . وفي هذه الرسالة فوائد اخرى مما يحسن سوقهُ هنا فلخصنا بعضهُ في ما يلي

نفقات التعليم الزراعي — التعليم الزراعي مجانيّ في الولايات المتحدة الاميركية فلا يُطلب من التلميذ الاَّ ثمن بعض المواد التي يستعملها في المعامل الكيماوية والزراعية . اما نفقات اكلهِ وشربهِ ومنامتهِ فمن جيبهِ . وكثيراً ان يعطى مكاناً ينام فيهِ ولا يطلب منهُ الاَّ دفع ثمن النور والفحم . وبعض المدارس يدفع للتلميذ اجرة ما يعملهُ فيكتسب من ذلك ما يفي بطعامهِ . والمعيشة غالية جداً في البلدان الاميركية فلا تقل نفقة التلميذ عن ثلاثين جنيهاً في السنة المدرسية وهي تسعة اشهر وقد تبلغ مئة جنيه حسب البلد الذي فيهِ المدرسة . لكن تلامذة المدارس الزراعية يجدون ابواباً كثيرة للكسب فيكسبون ما يقوم بنفقاتهم كلها او اكثرها . وحبذا لو فعلت الحكومة المصرية مثل ذلك بمدرستها الزراعية فجعلت التعليم فيها مجانياً وقدَّمت الطعام والمنام مجاناً لفقراء التلامذة . لان التلميذ الفقير المجتهد النابغ قد يفيد بلادهُ وامتهُ اكثر من مئة تلميذ من الاغنياء

اندية الزراعة — وفي البلاد الاميركية اندية يجتمع فيها الفلاحون وارباب الزراعة عموماً ويُجتمع معهم جمهور من علماء الزراعة يبحثون في المسائل الزراعية . وهذه الاندية لهم مثل المدارس للتلامذة فيستفيد الزارع من علم العالم ويستفيد العالم من اختبار الزارع . وهي مختلفة جداً فبعضها يديرهُ مندوبون من قبل الحكومة او من قبل مجالس للزراعة فيها او من قبل مدارس الزراعة وبعضها مستقلٌّ قائم بنفسهِ . وبعض الولايات يعين مالاً مخصوصاً في ميزانيتهِ للانفاق على هذه الاندية وبعضها ينفق عليهِ من مال المجالس الزراعية او المدارس الزراعية

وتجتمع هذه الاندية في الشتاء او بعد الحصاد حينما يكون الفلاح قادرًا على ترك اعماله . ومدة الاجتماع من ثلاثة ايام الى اربعة يدور البحث فيها على كل المواضيع الزراعية فيتلو العلماء والباحثون خطبًا مختلفة ثم يفتح باب البحث والجدال فيها بين الحضور ويبدي كلٌّ ما عنده من الاقوال والاراء ويُعرب عما عملهُ بالاختبار . ولا تقتصر الخطب على المواضيع الزراعية البحتة بل تتناول كل ما لهُ علاقة بالزراعة كاصلاح الطرق ونشر التعليم وتدبير المنزل

توسيع المعارف الزراعية — عند الاميركيين والاوربيين اسلوب يسمونهُ توسيع نطاق التعلم وهم يريدون بهِ الوسائل التي يستعملها الناس لهذا الغرض غير المدارس كفتح مكاتب القراءة وتاليف جمعيات المطالعة . ومن اغرب هذه الوسائل التعلّم بالمكاتبة كأن يتفق اثنان في بلدين مختلفين احدهما يعرف الفرنسوية والآخر يعرف الالمانية على ان كلاًّ منهما يعلّم الآخر اللغة التي يعرفها بالمكاتبة فيكتب الاول الى الثاني باللغة الالمانية وهو لا يعرفها جيدًا كما يعرفها الثاني فيصلح هذا مكتوب الاول ويبين لهُ ما فيهِ من الخطإ وقواعد اصلاحهِ . ويكتب اليهِ مكتوبًا آخر باللغة الفرنسوية وهو لا يعرفها جيدًا كما يعرفها الاول فيصلح لهُ الاول المكتوب ويبين اوجه الخطإ فيهِ وهلمَّ جرًّا فيستفيد الاثنان فائدة متبادلة

ومن طرق توسيع المعارف الزراعية عندهم اجراء التجارب الزراعية التي يطلب اساتذة المدارس اجراءها مثال ذلك ان يطلب استاذ امتحان نوع جديد من السماد في زرع القطن فيحضر السماد ويكتب الارشادات اللازمة لاستعمالهِ ويوزعها على الفلاحين الذين يريدون ان يشاركوهُ في هذا الامتحان فيزرع كلٌّ منهم جانبًا من القطن يسمدهُ بهذا السماد ويخدمهُ على الاسلوب الذي عينهُ الاستاذ لهُ ومتى جناهُ يكتب اليهِ يخبرهُ عن مقدار ما جناهُ منهُ وسائر احوالهِ حسب المسائل التي سألهُ اياها فيجتمع عند الاستاذ اختبار الوف من الفلاحين كأنهُ جرَّب السماد المشار اليهِ في الف قطعة من الارض وتحقق المعارف الزراعية بالاستقراء الواسع. وقس على ذلك التجارب في الانواع الجديدة من النبات وفي قاتلات الحشرات . وقد اتسع علم الزراعة بهذا الاسلوب وزادت معارف الفلاحين وقويت فيهم قوة الملاحظة والانتباه

ومن هذا القبيل نشر الكتب الزراعية وترخيص ثمنها حتى يستطيع كل احد ان يشتريها والقامة اناس مثل اساتذة يسألهم الفلاحون كتابة عمَّا غمض عنهم وعسر عليهم فهمهُ منها ومتى اتموا درسها يمتحنون فيها ويُعطَون شهادات حسب درجتهم فيها . وتشمل هذه الكتب الآن خمسة مواضيع الاول زرع المزروعات التي منها مواسم البلاد كالقمح والذرة والقطن . والثاني تربية المواشي . والثالث زرع الجنائن . والرابع عمل الجبن والزبدة . والخامس تدبير المنزل.

ولهذه المواضيع الخمسة خمسة كتب تبحث فيها بالتفصيل فيطالعها الفلاحون ويقرنون العلم بالعمل واذا غمض عليهم شيء سألوا الاستاذ عنهُ ثم يمتحنون فيها كأنهم درسوها في المدرسة . ويرشدهم الاساتذة الى كتب اخرى يطالعونها لتوسيع معارفهم الزراعية . وقد تختار الدروس يوماً بعد يوم وتطبع على اوراق منفصلة وترسل مجاناً الى الفلاحين الذين يطلبونها ومع كل درس ورقة فيها مسائل فيجيب عنها الفلاح بعد ان يدرس الدرس ويتعلمهُ جيداً ويرسل ورقة الاجوبة الى الاستاذ

المدارس الطوَّافة - ومن الاساليب الاميركية الجديدة لتوسيع نطاق المعارف الزراعية اسلوب يسمونهُ المدارس الطوَّافة نشأ في نيويورك حديثاً وخصصت لهُ حكومة نيويورك سبعة آلاف جنيه لتنفق عليهِ في العام الماضي وفي هذا العام والمراد بهِ ان ينتقل اساتذة المدارس الزراعية من مكان الى آخر لالقاء الخطب والمباحثة في المواضيع الزراعية

وسيأتي الكلام على بقية ما في هذه الرسالة من الفوائد الزراعية عسى ان يستفيد القراء من مطالعتها

البيطرة عند العرب

لداود الضرير الانطاكي الذي نشأ في القرن العاشر للهجرة كتاب كبير اسمهُ "تذكرة اولي الالباب" وهو المعروف بتذكرة داود البصير جمع فيهِ اكثر ما كان يعرف في عصرهِ من الامور الطبية لكنهُ خلط بين الغث والسمين والصحيح والفاسد من غير تمحيص . ولهُ كلام حسن جدًّا في البيطرة رأينا ان ننقلهُ عنهُ بعد تجريدهِ مما لا فائدة كبيرة بذكرهِ

قال " البيطرة علم باحوال بدن المواشي من جهة ما يصلحها وما يحفظ عليها الصحة . وهي من العلوم المحتاجة الى الطب قطعاً والكلام فيها يستدعي فصولاً"

الاول في صفة البيطار — ويجب ان يكون صحيح النظر مطلقاً قوي الذراعين عبل البدن (اي ضخمهُ) خفيف الحركة نصوحاً صدوقاً وان تكون آلتهُ نقية محكمة وان يتعاهد الكفة والمباضع بالتنظيف والدهن لئلاً يصدي بها . وان تكون نفسهُ قوية على الاقدام غير نفورة من القاذورات شفوقاً بالطبع او التطبُّع عالماً بان الحيوانات تتألم كالانسان فيتقي الله فيها

الثاني في آلتهِ — اقل ما يجب ان يكون عندهُ ثلاث مطارق كبرى زنة سبعمائة وخمسين درهماً يقوّم بها ما اعوجَّ من المسامير والتطابيق (النعال) وسائر الآلات . ووسطى للدقوقات الاوائل وبعض التقويم وبها تُعدَّل غالب الآلات . وصغرى لاجل التبشيم وتقويم المباضع

واقل ما تكون زنتها مئة درهم. ولا يجوز التبشيم بالوسطى فضلاً عن الكبرى فانهُ يفضي الى خرق الحافر وفساد الظفر. واقل ما يكون عندهُ من المباضع تسعة واحد للعين وهو ادقها والطفها. وثانٍ للراس. وثالث للسان وحدُّهُ يقارب مبضع العين. ورابع لما تحت اللحيين املأ من الذي قبلهُ. وخامس للمنخرين ونحو الظفر. وسادس لفصد الذراع عند ثقلهِ كما في الحمر ويجب ان يكون هذا احدها. وسابع للكشط يكون فيهِ عرض ما. وثامن يسمى المسبر يختبر بهِ عمق الجروح وكيفية غورها. وبعض البياطرة يكتفي عن هذا بالميل وهو خطأ لانهُ يؤول الى فساد العين. وتاسع يرفع بهِ الاوساخ وبقايا اللبوص ويجب كونهُ غير محدد الرأس. وثلاث كفات واحدة لذوات الاخفاف واخرى للخيل خاصةً واخرى لباقي المواشي تكون اصغر الكل. ومن الماسك كذلك لقلع ما تفاوت تمكناً وحجماً. والمبارد لم تحصر في ماعرفناهُ. وكذا المسنّات والطرايق. ومن السنادين اربعة تختلف بالثقل والطول وضدها وكذا القرّم والشخ والمكاوي والكلبات والاميال. ويستصحب مقراضين كبيراً للشعر وصغيراً للجلد واللحم الواجي القص وموسى لحلق ما على نحو السلع. ومن الآتهِ ايضاً الابر والسلوكات المختلفة والمنصة وهي آلة صغيرة معوجة حادَّة نحو نصف شبر لتقطيع الفلو الميت في بطن امهِ

الثالث في موضوع هذه الصناعة ومباديها وما يجب ان يعرفهُ حتى يتأهل لتعاطيها — لا شبهة في ان موضوعها ابدان الحيوانات من جهة ما تصح وتمرض. ومباديها الامور الطبيعية والاسباب الضرورية كالمأكول والمشروب والهواء خاصةً وغير الضرورية كالنوم واليقظة. اما الصحة والمرض فيعرفان بالافعال والاكل والشرب وصقالة الجلد وحال ما يثبت عليهِ قلةً ورونقاً وثبوتاً ونحوها. وللسحنة هنا دخل عظيم وكذا حركة المشي وجس عرقي اللبة (النحر) والاكتاد (بين الكتفين) وما يلي الحرقفة (رأس الورك). ومن اجلّ العلامات في ذوات الاظلاف البراز وكذا ذوات الخف. فان سلحت الغنم والجمال (اي كان برازها رخواً) ولم يتقدم اكل نبات اخضر فمشوشة البطون قطعاً. فان كان الخارج كريه الرائحة فعن حرارة او كان الى الخضرة فعن ضعف الكبد او البياض فالامعاء او معهُ ريح فعن مغلة (وجع البطن). او بعرّ البقر (اي كان برازها بعراً) ولم يتقدمهُ اكل نحو البلوط فكذلك اي ان في بطونها اختلالاً. وقد يستدلُّ من اللبن فان كان احمر او ممزوجاً بالدم فعن فرط حرارة وفساد في الكلي او اصفر فعن استيلاء فساد في الكبد والدماغ او لم يرب فلضعف الهضم. او قلّت مائيتهُ ومجبنتهُ فلفرط البرد هذا بعد اعتبار الغذاء اذ قد تكون الدابَّة لا تعتلف الاَّ التبن وحدهُ فلا يكون قلة السمن حينئذٍ دليل البرد *

هذا ويرى القارئ في ما تقدَّم ان الكاتب كان على معرفة تامَّة بما كتب وانهُ لم يكن مقيدًا بقيود اللغة على بلاغتهِ فيها فيستعمل الكلمات الفارسية مثل التبشيم واللاتينية مثل النعصة وسنجد في ما سننقلهُ عنهُ فوائد كثيرة في تربية المواشي ومعالجة امراضها

بساتين المدارس

نشرنا مقالة مسهبة في هذا الموضوع في المجلد الثاني والعشرين من المقتطف كان لها احسن وقع عند نظار المدارس ولا نزال نرغب اليهم في مطالعتها والعمل بما فيها . وكنا نودُّ ان نرى الحكومة المصرية مهتمة بهذا الموضوع اهتمام غيرها من الحكومات التي بلدانها زراعية لكن ما كل يتمنى المرء يدركهُ

ومن اشد البلدان اهتمامًا بالزراعة الولايات المتحدة الاميركية وقد طلبت من سفرائها وقناصلها في اوربا بالامس ان يخبروها عن بساتين الزراعة فيها وكيفية ادارتها ومقدار نجاحها حتى اذا رأت شيئًا منها يفوق ما عندها نسجت على منوالهِ . ويظهر من تقاريرهم ان بلاد اسوج تفوق غيرها في بساتين المدارس وفيها الفا بستان منها . وان فرنسا مهتمة اهتمامًا شديدًا بها وقد اخذت تهتم بمسألة التعليم الزراعي من ايام الثورة ولم تساعدها احوال البلاد على ذلك حينئذٍ ولكن بعض فضلائها انشأوا المدارس الزراعية ودور الامتحان الزراعي من ذلك الحين من غير مساعدة الحكومة . وسنة ١٨٤٨ اقرَّت الجمهورية الفرنسوية على جعل التعليم الزراعي جزءا من التعليم العام وبلغت حقول المدارس سبعين سنة ١٨٥٢ وهو غاية ما أُريد ايصالها اليهِ . ثم اخذت تنحطُّ من ذلك الحين الى ايام الحرب الاخيرة بين فرنسا وروسيا . ولما قامت الجمهورية الثالثة عادت الى الاهتمام بالتعليم الزراعي . والآن يوجد في المدارس الابتدائية والثانوية ١٧٢ استاذًا للزراعة ٩٠ استاذًا منهم لتعليم الزراعة و٤٢ استاذًا لادارة حقول الامتحان والمعامل الكيماوية الزراعية . عدا مدارس الطب البيطري ومدارس الحراج والمدارس الزراعية الوطنية ومدارس اللبن والجبن ومدارس الزراعة العملية البالغة ٣٤ ومدارس الري والصرف ومدارس علم زراعة الكرم وزراعة الجنائن ومدارس تربية الغنم ومدارس تربية دود الحرير ومدارس زرع الفاكهة والاماكن التي تدرس فيها طبائع البذور وعلم الحشرات والفسيولوجيا النباتية والباثولوجيا النباتية والمعامل التي يدرس فيها الاختمار وهلمَّ جرًّا . وقد انفقت الحكومة الفرنسوية سنة ١٨٩٣ نحو ١٦٦٠٠٠ جنيه على التعليم الزراعي . وفي مدرسة باريس الزراعية ٢٢ استاذًا ومدة التدريس سنتان والاجانب يتعلمون فيها كما يتعلم الوطنيون

والاهتمام في المانيا بالتعليم الزراعي غير قليل ولاسيما بزرع الخضر. وقد شاعت فيها بساتين المدارس اكثر مما شاعت في غيرها من البلدان وفي جوار درسون مدرسة يتعلم فيها التلامذة غرس الحراج والاشجار المثمرة التي تنمو في مملكة سكسونيا ويتعلم التلميذات زرع الخضر. ويراد ببساتين المدارس في المانيا مساعدة التلامذة على فهم العلوم النباتية التي يدرسونها. وينشر ديوان المدارس نشرة مرتين في الاسبوع يذكر فيها اسماء النباتات المزهرة ويُرغّب التلامذة في زرع المزروعات في بيوتهم. وترى البساتين ملحقة بنصف المدارس في المانيا

وحكومة سويسرا تهب مئة جنيه في السنة لكل بستان من بساتين مدارسها وتعطي جوائز لكل امرأة تعتني بتربية الازهار امام شبابيك بيتها



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

نظر ثانٍ

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

طالعت ما خطهُ يراع الاستاذ الفاضل سعيد الشرتوني وادرجتموهُ في مقتطفكم الاغر عن عناية الاعاجم باللسان العربي. وقد كنت احسب قبل مطالعتهِ ان اكثر اشتغال الاعاجم كان بنقل العلوم والفنون الى اللسان العربي والتأليف في هذه المواضيع فاذا الاستاذ ينبئنا ان الاعاجم اشتغلوا بعلوم اللسان العربي نفسهِ ونشر كتبهِ كما اشتغل اهلهُ بهِ او اكثر فصحَّ فيَّ قول الشاعر

قد كنتُ قبلكَ من دهري على حنقٍ فزاد ما بك في غيظي على الزمنِ

اما الاعاجم الذين لهم الفضل الاكبر على العربية لنقلهم العلوم اليها وتأليفهم الكتب فيها

فاكثر من ان يذكروا ومنهم البتّاني شيخ علماء العرب في القرن التاسع الّف اربعة ارصاد في الشمس والقمر ورسالةً في الفلك ورصد السماء بالرقة سنة ٨٨٠ للميلاد وجمع كليات المعارف المكتسبة في عصره . وقالت الافرنج عنهُ انهُ بين المسلمين كبطليموس بين اليونان . ومحمد بن محمد يوسف السمرقندي وابن اماجور واخوهُ اللذان رصدا السماء من سنة ٨٨٥ الى سنة ٩٣٣ ودوَّنا زيجاً عجيباً واكتشفا فروقاً جديدة في حركات القمر . وابو الوفاء المتبحر في علم الميكانيكا الذي رصد ميل دائرة البروج سنة ٩٩٥ ميلادية والف معادلة المركز والاختلاف القمري الذي يحصل كل سنة في سيرهِ واظهر في حساب سير القمر اختلافاً ثالثاً وهو ما حسبهُ تيخو براهي الفلكي بعدهُ بستمئة سنة . وابن الشاطر الذي خلف الطوسي في الشهرة بعلم الفلك . وابو موسى جعفر الكوفي المشهور بعلم الكيمياء والقزويني صاحب كتاب عجائب المخلوقات وابن عباس الفارسي المجوسي الطبيب المشهور وابو تمام النيسابوري وشمس الدين الاصفهاني واحمد ابن حسين الهمذاني المتوفى سنة ١٠٠٧ للميلاد وغيرهم كثير

اما الامر الذي اريدهُ بالذات من هذه السطور فهو مقابلة ما يفعلهُ الاعاجم لابناء اللغة العربية بما يفعلهُ ابناؤُها فقد اخذت منذ مدة في جمع كتاب مسهب عن احوال هذا القطر وانتشار المعارف فيهِ واسباب تأخر اهلهِ واردت ان اعرف عدد الكتب التي أُلفت وطبعت فيهِ في خلال السنوات الخمس الاخيرة فجمعتها وبوَّبتها حسب ابوابها فكانت كما ترون في هذا الجدول

عدد الكتب	
٧٥	روايات وقصص مختلفة
١٩	كتب تاريخية واكثرها من موضوع واحد
١٥	كتب ادبية
٩	كتب مجون ونفاق مثل كتاب المسامير وسهام التدمير وانقاذ الاخوان
٤	كتب سياسية
٣	كتب حساب بسيطة
٢	في التربية
٢	في الامثال واصل الكلمات العامية
٣	في العلوم الفنية
٦	في المواضيع الدينية
٤	في اللغة القبطية والهيروجليف

٢	في الزراعة
٦	في الرثاء
٤	دواوين
٢	في الانشاء
٣	في التراجم
٢	في الحقوق
٢	في الطب
٢	في علم الآثار

ويظهر من ذلك باجلى بيان ان الكتب المفيدة قليلة جداً واكثر ما يُطبع ويروج في القطر المصري هو الروايات القليلة النفع . ولعلّ الحال في بلاد الشام اصلح منها عندنا ولكنها لا ترضي من يغار على امتهِ ووطنهِ. فما اعظم الفرق بيننا وبين الاوربيين الذين طبعوا لنا اكثر كتب اسلافنا العلمية والادبية مصر محمد عمر

دعاة الدين

حضرات الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

سألكم احد الافاضل في مقتطف الشهر الماضي (سبتمبر) عن سبب اهتمام المسيحيين بنشر دينهم اذ قال " ثم ارجو من فضلكم ان تخبروني ما هو السبب الحقيقي لان علماء المسيحيين لا يفترون عن الاهتمام بنشر الدين المسيحي واما علماؤنا فلا يهتمون الا بمثل صرف عمر وتحقيق معاني بعض الابيات الشعرية "

فذكرتم في عرض جوابكم هذه العبارة " واهتمام المسلمين بنشر الاسلام اشد من اهتمام المسيحيين بنشر الديانة المسيحية ونجاحهم اكثر من نجاح المسيحيين " الخ

ولكننا نرى ان التاريخ (لاسيما تاريخ الارساليات وتاريخ الكنيسة) والمجلات والجرائد الدينية والادبية والعلمية تبين اهتمام المسيحيين بنشر دينهم اهتماماً زائداً وتثبت نجاحهم المتواصل الذي يفوق نجاح اي امة اخرى بنشر دينها . وكثيراً ما ذكرتم في مقتطفكم الاغر ومقطمكم الزاهر طرفاً من اعمال المرسلين واظهرتم اهتمامهم ونجاحهم ولذلك اتيتكم الان راجياً من افضالكم ان تزيدوا هذا الموضوع ايضاحاً لكي ينكشف اللثام من محيا الحقيقة

اننا نرى المرسلين المسيحيين انتشروا في العالم كلهِ ذهبوا الى اليابان والهند والصين واوستراليا

وافريقية وجزائر الاوقيانوس واغلب اجزاء المعمورة واسسوا هناك المدارس والكنائس والمستشفيات والبيمارستانات وبنوا بيوتاً للعجزة والايتام والمساكين وهدوا الالوف والملايين الى الدين المسيحي فزاد عدد المسيحيين كل جيل زيادة واضحة وهاكم جدولاً يبين ذلك

كان عدد المسيحيين سنة	١٠٠٠	ب . م .	٥٠	مليون نفس
" " "	١٥٠٠	" "	١٠٠	" "
" " "	١٨٠٠	" "	٢٠٠	" "
" " "	١٨٨٠	" "	٤١٥	" "

اعني ان عدد المسيحيين تضاعف اولاً في ٥٠٠ سنة ثم في ٣٠٠ سنة ثم في ٨٠ سنة وما هذا الا من اهتمام المسيحيين بنشر دينهم اهتماماً عظيماً وملازمة الارساليات للفتوحات . فهل تضاعف عدد المسلمين هكذا وهل ازدادوا من جيل الى جيل بهذه الكيفية . ارجوكم ان تخبرونا كم عدد الارساليات الاسلامية في البلاد الوثنية . وكم عدد المرسلين المسلمين في بلاد الانكليز . وكم عدد المرسلات منهم . وكم عدد مدارسهم وجوامعهم ومستشفياتهم في جزائر الاوقيانوس وفي الاقطار المتوحشة فان " الاهتمام " " والنجاح " يظهران من هذه الامور. نعم لا انكر ان المسلمين اهتموا كثيراً بنشر دينهم في عصر الخلفاء الراشدين ولكن ارجوكم ان تبينوا لنا اهتمامهم الآن. ولقد صدق حضرة محمد افندي عمر اذ قال " ان علماء المسيحيين لا يفترون عن الاهتمام بنشر الدين المسيحي " فان التاريخ والاستقراء والمشاهدة تثبت ذلك جلياً

قلتم ايضاً " وعندنا انهُ لو اهتمت الجمعيات الدينية المسيحية بنشر الانجيل في اللغة الانكليزية وعلمت الناس لغتها كما يفعل المسلمون بنشر القرآن باللغة العربية من غير أن يترجموهُ لكان نجاحهم اتم "

فلماذا فضلتم اللغة الانكليزية على سائر اللغات لنشر الدين المسيحي والانجيل هل لانها اكثر انتشاراً عن غيرها او لانها غنية في العلوم والفنون والآداب (literature) كما يظهر من جوابكم. ان كان هذا يجعلها انسب وافضل لغة لنشر الدين المسيحي يجعلها ايضاً انسب وافضل لغة لنشر الدين الاسلامي

وهناك صعوبات كثيرة تصادف المسيحيين في نشر دينهم وانجيلهم باللغة الانكليزية . فكيف يتسنى للمرسلين الفرنساويين والالمانيين مثلاً ان ينشروا دينهم باللغة الانكليزية .عليهم اولاً ان يصرفوا وقتاً طويلاً في تعلم هذه اللغة وعليهم ايضاً ان يصرفوا وقتاً اطول في تعليم

الناس اياها فيكون المرسل والحالة هذه صرف اغلب ايامهِ ولم يعمل عملاً يذكر

ولنفرض ان عدد المرسلين الانكليز في الصين مئة وان عدد سكان الصين اربعمئة مليون افليس الانسب والاسهل ان يتعلم المئة مرسل لغة الصينيين ثم يترجموا الانجيل الى لغتهم فيمكن لكل صيني ان يدرسهُ ويستطيع كلٌّ من المرسلين المئة ان يشتغل في جهة وان يكلم كل صيني ويعلمهُ ويهذبهُ . واما اذا اراد هؤلاء المرسلون ان ينشروا انجيلهم في اللغة الانكليزية فعليهم اولاً ان يعلموا الصينيين هذه اللغة . فكم من الصينيين يريد ان يتعلمها . وكم منهم ينجح في تعلمها . وكم من الزمن يكفي لتعليمهم اياها . وكم من المرسلين يحتاجهم هذا العمل . وكم من النفقات والمدارس تلزم لذلك . ان تعلم المئة مرسل اللغة الصينية بمثابة تعلم الاربعمئة مليون صيني اللغة الانكليزية . وزيادة على ذلك ان الصينيين والهنود والمصريين والانكليز يفهمون الحقائق في لغاتهم اكثر مما يفهمونها في اللغات الاجنبية . وهناك صعوبات سياسية اخرى تقف في طريق نشر الانجيل والدين المسيحي في اللغة الانكليزية

. قلتم ايضاً " ان علماء الدين المسيحي يتجادلون ويتناقشون في امور لا طائل تحتها واذا اراد الله بقوم شرًّا اعطاهم الجدل ومنعهم عن العمل "

فهل هذه " المناقشات " " والمجادلات " بين طوائف المسيحيين منعتهم او اخرتهم عن نشر دينهم والحال اننا نرى ان كل طائفة تسعى من جهة في نشر الدين وتوزيع الكتاب وتأسيس المدارس والمستشفيات واماكن الخير والاحسان كما يفعل المرسلون الامريكان واليسوعيون في الديار الشامية . فان المرحوم الدكتور فان ديك لما كان يقصد فتح مدرسة كان يقول " سأفتح مدرستين " لعلمهِ ان الاباء اليسوعيين لا بدَّ ان يفتحوا مدرسة نظير مدرستهِ وهكذا كان يقول رئيس الاباء اليسوعيين كما ذكر حضرة الفاضل صاحب " الجامعة "

هذا وارجو لطفكم المعذرة على هذا الانتقاد فان لطفكم نحو القراء جرَّأني على كتابة ما كتبت واني اشارك الجميع في تقديم الشكر والممنونية لكم لاجل الخِدَم الجليلة التي خدمتم بها البلاد ولاجل الفوائد العديدة التي جنيناها من مطالعة مقتطفكم

مصر . جبرا حنا

[المقتطف] نشكر فضلكم على هذا الانتقاد وعلى انكم طرقتم فيهِ مسائل كثيرة حرية بالبحث والشرح

. المسألة الاولى . قولنا ان اهتمام المسلمين بنشر الاسلام اشد من اهتمام المسيحيين بنشر الديانة المسيحية ونجاحهم اكثر من نجاح المسيحيين . وهذا القول لا ينفي اهتمام المسيحيين بنشر دينهم

ولا نجاحهم في نشره بل يؤيد الاثنين . اما كون اهتمام المسلمين اشد فمن ادلتهِ الكثيرة انهم نشروا دينهم في قلب بلاد الصين والهند وجزائر الهند الشرقية وقلب افريقية قبل المسيحيين مع انهم جاؤوا بعدهم . واما كون نجاحهم اكثر فمن ادلتهِ الجدول الذي ذكرتموهُ وهو ان عدد المسيحيين لم يبلغ سوى مئة مليون في القرن الخامس عشر بعد المسيح ونحن الآن في بداءة القرن الرابع عشر بعد الهجرة او اواسط القرن الثالث عشر اذا حسبنا السنين شمسية ومع ذلك بلغ عدد المسلمين اكثر من مئتي مليون . وقد اهتم المسيحيون بتنصير اهالي افريقية والهند والصين منذ مئة سنة او اكثر فلم يفلحوا الاَّ في تنصير عدد قليل منهم لاسباب ليس من شأننا البحث فيها . اما تضاعف عدد المسيحيين الآن كل نحو مئة سنة فمن نموهم الطبيعي بزيادة المواليد على الوفيات فقد كان عدد الانكليز منذ خمسين سنة ٢٧ مليوناً وهم الآن اربعون مليوناً عدا من هاجر منهم الى اميركا واستراليا وكان عدد اهالي روسيا في اوربا ٦٠ مليوناً وهم الآن اكثر من مئة مليون وكان عدد الولايات المتحدة الاميركية ٢٣ مليوناً وهم الآن نحو ٧٦ مليوناً اي انهم زادوا اكثر من ضعفين في خمسين سنة . ويظهر من تقدير عدد المواليد والوفيات انهُ من الآن الى مئة سنة يبلغ اهالي الولايات المتحدة الاميركية نحو ٣٨٦ مليوناً واهالي اوربا اكثر من الف مليون . ولا ينمو هذا النمو الاَّ الامم التي توفرت لها اسباب الحضارة واستتبَّ لها الامن مثلهم . وقد كان المسيحيون في القرون السالفة اوفر همة في نشر دينهم منهم الآن مع ما كان ينالهم من الاضطهاد وهذا لا ينفي اهتمام المرسلين من كل المذاهب المسيحية في هذا العصر بنشر الدين المسيحي كما تقدَّم

المسألة الثانية تفضيلنا اللغة الانكليزية . والجواب عن ذلك اننا لم نفضل اللغة الانكليزية على غيرها ولكننا خصصناها بالذكر لان الكلام كان على جمعية نشر التوراة الانكليزية فجاء كلامنا استطراداً وكان يجب ان نقول " في اللغة الانكليزية مثلاً " . ولا ننكر ان في تعليم الوثنيين لغةً اوربية مشقة كبيرة ولكن العرب نشروا لغتهم في كل البلدان التي دخلوها فما كان ميسوراً لهم لا يستحيل على غيرهم . والنفع الذي تنالهُ الامم الوثنية من لغة واسعة كثيرة الكتب والجرائد والعلماء كاللغة الانكليزية كبير جداً يستحق عناية المرسلين وقد اهتمت بهِ الدول الاوربية الآن وحبذا لو اهتمت بهِ منذ مئة سنة فان كل من يعرف منا لغة اوربية كالانكليزية او الفرنسوية او الالمانية يشكر الله على ما يجدهُ فيها من الكتب والجرائد ووسائل التعليم والتهذيب ويحسب معرفتهُ لها نعمةً أُنعم عليهِ بها فلِمَ لا يشترك فيها جميع اخوتنا بني البشر. وعدد الذين يمكن تعليمهم من الوثنيين في وقت معلوم لا يقلُّ عن عدد الذين يمكن تنصيرهم منهم

في ذلك الوقت كما تدلُّ التجارب فان الذين تنصَّروا من الهنود مثلاً منذ ابتدأ التبشير في بلادهم الى الآن لا يزيد على عدد الذين تعلَّموا اللغة الانكليزية منهم مع ان الاهتمام بالتبشير ابتدأ قبل الاهتمام بتعليم اللغة الانكليزية . اما فهم الحقائق بلغة اجنبية فاذا تعذر على المرء لا يتعذَّر على اولادهِ لانهم يولدون فيها فتكون الفائدة التامَّة قد تأخرت جيلاً واحداً

واما المناقشات والمجادلات فلم نذكرها لنستدلَّ منها على انها منعت المسيحيين او اخَّرتهم عن نشر دينهم بل لكي نبين ان عند علماء المسيحيين ما عند علماء المسلمين من هذا القبيل . ولا نعلم كم عدد الارساليات الاسلامية في البلاد الوثنية ولا نظن انهم ارسلوا دعاة الى بلاد الانكليز . ولم نذكر قط ان نجاحهم كان بالارساليات ولكننا نعلم ان سكان افريقية من البحر الاحمر شرقاً الى الاوقيانوس الاتلنتيكي غرباً ومن بحر الروم شمالاً الى خط الاستواء جنوباً كل هذه البلاد الواسعة الارجاء اسلامية ولا يستثنى منها الا بلاد الحبشة وبلاد الكنغو . والاسلام في بعضها قديم منذ الفتح الاول كما في مصر وتونس ولكنهُ في اكثرها حديث لا يمتدُّ تاريخهُ الى اكثر من مئة سنة الى مئتي سنة وقد انتشر فيها بالفتح وانتشرت معهُ اللغة العربية

الحركة الدائمة

حضرة منشئي المقتطف الاغر

اطلعتُ على نبذ في باب المراسلة والمناظرة اضعفتم بها همم الساعين في الوصول الى الحركة الدائمة بقولكم انهُ يستحيل الوصول اليها . وقد جئتكم الآن برسم آلة نفقاتها قليلة جدًّا تغني عن البخار ونفقاتهِ الكثيرة وهي عمود مجوف مثل قب الميزان راكز على نقطة في وسطهِ وفي طرفيهِ كرتان مجوفتان ايضاً من الصلب وتحت الكرتين عمودان في اعلى كل عمود صفيحتان من الصلب المرن على هيئة قوسين . فاذا ملئ ثلث فراغ الكرتين بالزيبق وفرّغتا من الهواء واميلت احدى الكرتين حتى تضرب على القوس الذي تحتها ارتدَّت بالمرونة ووقع الزيبق منها الى الكرة الاخرى فسقطت على القوس الذي تحتها ثم ترتدُّ عنهُ بالمرونة وهلمَّ جرًّا فتتحرك حركة دائمة . فما قولكم في ذلك

مصر حسين فهمي

[المقتطف] لو جربتم هذه الآلة ما اتعبتم نفسكم بكتابة هذه السطور لانكم معها اتقنتموها لا تكون حركتها دائمة ولا تدوم الاَّ دقيقة او اقل وهي تضعف رويداً رويداً الى ان تنقطع . واذا حاولتم ادارة آلة بها وقفت عن الحركة سريعاً . ولو تمعنتم في قراءة ما كتبناهُ عن استحالة الحركة الدائمة لاقتنعتم باستحالتها ولم تعودوا تفكرون بإمكانها . والمبدأُ العام الذي تبنى عليهِ

استحالة الحركة الدائمة ان الجسم المحرك يخسر شيئاً من حركته فتقل الى ان تزول فاذا حركنا قب الميزان بقوة ما فالقوَّة التي حركناهُ بها شيء لهُ مقدار محدود ولنفرض انها عشرة ارطال مترية اي قوة ترفع عشرة ارطال مسافة متر واحد في الثانية من الزمان فالقبُّ الذي حركناهُ بهذه القوة يتحرك بها ولا يقدر من نفسهِ ان يزيدها او ينقصها لانهُ جماد لا حياة فيهِ ولا يولّد قوَّة من نفسهِ. ولنفرض ان وقوع الزيبق من كرة الى اخرى بقوة الجاذبية عند ميل القب يساوي خمسة ارطال مترية فمجموع القوة التي تقع بها احدى الكرتين ١٥ رطلاً ولنفرض ان مرونة القوس تامة فترتد الكرة عنهُ بقوة ١٥ رطلاً فيذهب ٥ ارطال منها في رفع الزيبق الى النقطة العليا التي سقط منها ولا يبقى من القوة الاَّ عشرة ارطال يزول قليل منها بمقاومة الهواء للكرة من الخارج و بفرك مركز القب على النقطة التي تحتهُ ولنفرض ان الذي يزول منها هو نصف رطل فقط فيقع الزيبق الى الكرة الثانية عند ارتفاع الكرة الاولى بقوة خمسة ارطال ونقع الكرة الثانية بما بقي من القوة وهو تسعة ارطال ونصف رطل ثم ترتدُّ بمرونة القوس بقوة اربعة عشر رطلاً ونصف رطل يضيع خمسة ارطال منها برفع الزيبق ونصف رطل بمقاومة الهواء والفرك فيبقى من القوة الاصلية التي حركنا القب بها تسعة ارطال فقط و يضيع منها نصف رطل تقريباً في كل حركة فتضيع كلها بعد ان يتحرك القب صعوداً ونزولاً عشرين مرة. وقيسوا على ذلك سائر الآلات التي لا تتجدَّد القوة المحركة لها . اما اذا تجددت القوة المحركة فليس من الصعب ان تدور الآلة مئات من السنين على التوالي ففي مدينة روان ساعة دقاقة صنعت سنة ١٣٨٩ ولا تزال تسير حتى الآن لانها تدوَّر كل اسبوع او اكثر اي تعطى قوة جديدة بدل القوة التي ضاعت منها

كتابة الكلمات الاعجمية

حضرة الافاضل منشئي المقتطف

نرى الانكليز وغيرهم من الاوربيين يكتبون الاعلام العربية على صورة ما تلفظ بهِ فيكتبون بدر الدين هكذا Bedr Eddeen كما تلفظ في العربية اما نحن فاذا اردنا كتابة علم اوربي حرَّفناهُ او كتبناهُ على صورة تلفظ على غير لفظهِ الاصلي مثال ذلك اسم القائد Gordon والقائد Gatacre فان الانكليز يلفظونهما كوردن وكاتاكر واما نحن فنكتبهما غوردون وجاتاكر بالغين والواو بعد الدال في الاسم الاول والجيم في الاسم الثاني وحرف G يلفظ في الكلمتين كما يلفظ حرف ك التركية لا كما تلفظ الغين ولا كما تلفظ الجيم . نعم ان

المصريين يلفظون الجيم كما تلفظ الكاف التركية ولكن لفظهم هذا غير شائع في الشام والعراق وبلاد العرب وتونس والجزائر ومراكش فكان الاولى بالكتّاب ان يستعيروا حرف الكاف من اللغة التركية وان يسمعوا لفظ الاعلام من اصحابها ويكتبوها حسب ذلك

سدني باستراليا وديع ابو رزق



السيارات وحركاتها في شهر نوفمبر ١٩٠٠

لحضرة الاستاذ وست مدير مرصد المدرسة الكلية الاميركية في بيروت واستاذ الفلك فيها

عطارد

يكون عطارد نجم المساء حتى العشرين من الشهر الساعة ٢ صباحاً ويمرُّ حينئذٍ باقترانهِ الاسفل ثم يصير سيرهُ شرقاً. وطريقهُ بين الميزان والعقرب وتبقى حركتهُ مستقيمة حتى التاسع عشر من الشهر الساعة ٦ صباحاً ثم يثبت وتصير حركتهُ متقهقرة الى التاسع والعشرين الساعة ٩ مساء ثم يثبت. ويبقى في عقدتهِ الصاعدة حتى ١٨ الشهر الساعة ٩ مساء ويقطع نقطة الراس في ٢٣ الساعة ١١ صباحاً ويجب ان يظهر في الشفق في اوائل الشهر واطئاً في الجنوب الغربي

الزهرة

الزهرة نجم الصباح الشهر كلهُ وسيرها في برج السنبلة شرقاً وتقطع نقطة الراس في ١٣ الشهر الساعة ٨ صباحاً ويستنير بثلاثة ارباع قرصها في الخامس عشر من الشهر

المريخ

المريخ نجم الصباح وسيرهُ شرقاً في برج الاسد ويمرُّ على درجة ونصف من قلب الاسد شمالاً في ١٨ منهُ ويستنير ٩ اعشار قرصهِ في ١٥ من الشهر

المشتري

المشتري نجم المساء ولكنهُ يقرب كثيراً من الشمس في اواخر الشهر وسيرهُ شرقاً بين العقرب والرامي

زحل

زحل نجم المساء وحركتهُ مستقيمة في برج الرامي

اقترانات القمر بالسيارات

يوم	ساعة					
في ١٤	٧	مساء يقترن بالمريخ فيقع	٧°	٣٩َ	شمالاً
١٩	٣	صباحاً « بالزهرة فتقع	٥°	٥١َ	«
٢٢	٣	« « بعطارد فيقع	١	٣٩	«
٢٣	٧	مساء « بالمشتري «	١°	٣َ	جنوباً
٢٥	٢	صباحاً « بزحل «	٢°	٨َ	«

اوجه القمر

	يوم	ساعة	دقيقة	
البدر	٧	١	٠	صباحاً
الربع الاخير	١٤	٤	٣٧	«
الهلال	٢٢	٩	١٧	«
الربع الاول	٢٩	٧	٣٥	مساء
في الاوج	٥		٦,٢	
« الحضيض	١٧		٨,٦	

تنبيه . الوقت المستعمل هنا هو وقت سكة الحديد المصرية وهو يتقدم وقت غرينوج بساعتين تماماً لا بساعتين وخمس دقائق كما كان قبلاً

الآلات الرياضية

لا نكتب في موضوع من مواضيع المقتطف الآن ويخطر ببالنا معرض باريس وما فيهِ مما يتعلق بذلك الموضوع . فكلمة رياضيات تذكرنا بقسم كبير من المعرض عرضت فيهِ الآلات الرياضية آلات القياس الدقيق التي لولاها ما تقدمت الصنائع الاوربية وآلات البحث والتحقيق التي لولاها ما تقدمت العلوم الطبيعية وما يبنى عليها — تذكرنا ذلك القسم الكبير من المعرض وفيهِ ما يقوي العزائم وهو ان الامة التي فاقت فيهِ غيرها واستحقت ان تأخذ نشان الامتياز على كل الامم العارضات فيهِ على فرنسا وانكلترا وايطاليا واميركا هي المانيا التي لم تهتم بعمل هذه الآلات الا منذ خمس وعشرين سنة وقبل ذلك كان الالمانيون يمضون الى انكلترا وفرنسا لكي يتعلموا فيها عمل الآلات الرياضية فصاروا الآن في مقدمة الامم كلها كما يظهر مما عرضوهُ ويقال انهُ

كان يصدر من بلادهم سنويًّا من هذه الآلات منذ عشر سنوات ما ثمنهُ مئتا الف جنيه فصار يصدر منها الآن ما ثمنهُ سبع مئة الف جنيه . عشرون سنة كفت الأُمة الالمانية لتفوق غيرها في عمل من ادق الاعمال كلها فلا يعجز ابناء المشرق عن مجاراة الاوربيين اذا اجتهدوا اجتهادهم عشرين سنة او ثلاثين سنة وكان لهم من حكوماتهم ورؤَسائهم منشط كما كان للالمانيين

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحًا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعيّن حروفًا تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤَال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) برودة الماء

دمشق . محمد افندي عبد الرؤوف الرفاعي المصري . ما الحكمة في برودة ماء بعض الانهار نهارًا وسخونتها ليلًا وانما قلنا بعض الانهار بناء على تجربتنا

ج لو قستم حرارة ماء النهر بمقياس الحرارة (الترمومتر) لوجدتموها واحدة في النهار وليلتهِ او تكون في الليل ابرد منها في النهار . وما تشعرون بهِ من سخونتها ليلًا وبرودتها نهارًا ناتج عن ان الهواء يكون باردًا في الليل وحارًّا في النهار فاذا كان الجسم باردًا من اتصالهِ بهواء الليل وغطس في الماء شعر بهِ حارًّا واذا كان حارًّا من اتصالهِ بهواء النهار وغطس في الماء شعر بهِ باردًا ولو كانت حرارة الماء واحدة في الحالين . ويمكن تجربة ما يماثل ذلك هكذا : ضعوا ماء سخنًا في اناء وماء باردًا في اناء آخر وماء فاترًا في اناء ثالث ثم غطسوا كفكم اليمنى في اناء السخن واليسرى في الماء البارد نحو نصف دقيقة وارفعوها كلتيهما معًا وغطسوها في الماء الفاتر فتشعر بهِ الكف اليمنى باردًا واليسرى حارًّا وما ذلك الا لان الشعور نسبي لا مطلق فاعتياد الكف اليمنى الماء السخن جعلها تشعر بما هو احر منهُ باردًا جدًّا واعتياد الكف اليسرى الماء البارد جعلها تشعر بما هو احر منهُ حارًّا جدًّا وهو واحد في الحالين . ومن هذا القبيل الشعور بالطعوم فاذا اكلتم تفاحة بعد اكل العسل شعرتم بها

حامضة واذا اكلتموها بعد اكلكم ليموناً حامضاً شعرتم بها حلوة

(٢) العقل في الانسان والحيوان

ومنهُ . هل العقل الغريزي في الانسان ارقى منهُ في الحيوان ام هما متساويان

ج عقل الانسان ارقى من عقل الحيوان كثيراً . وقوة الادراك هذه التي تسمى عقلاً تتفاوت كثيراً في انواع الحيوان وفي افراد النوع الواحد وقد بلغت ارقاها في الطوائف المرتقية من نوع الانسان كاليهود والعرب والفرس والاوربيين بنوع عام ولم تزل منحطة جدًّا في بعض طوائف الناس كسكان استراليا الاصليين

(٣) الكحول الخشب

ومنهُ . بلغنا ان الالكحول (السبيرتو) يحضَّر من ورق الذرة والتبن والنشارة كما يحضر من العنب والسكر فكيف يحضر منها

ج ان الالكحول يحضر من كل المواد الخشبية ولكنهُ لا يكون مثل الكحول العنب ويستحضر منها بالاستقطار في آنية من الحديد فيخرج منها سائل فيهِ مواد مختلفة اهمها الحامض الخليك والالكحول المثيلي (اي الخشبي) ويختلف مقدار الالكحول الخشبي حسب نوع الخشب ومقدار الحرارة من خمسة اعشار الخشب الجاف الى جزء من المئة منهُ . ثم يعدَّل السائل بلبن الكلس وتستقطر المواد القابلة التبخر منهُ او تستقطر السوائل راساً في آنية من النحاس فيخرج الالكحول اولاً ولا يكون نقياً فيضاف اليهِ لبن الكلس ويترك معهُ عدة ساعات لتنقيتهِ من الحوامض و يستقطر ثانية فيخرج منهُ اولاً سائل خفيف لا لون لهُ ثقلهُ النوعي ٨١٦ر٠ فيضاف اليهِ ماء حتى يصير ثقلهُ النوعي ٩٣٥ر٠ فيطفو ما فيهِ من الزيوت والشوائب فتخرج منهُ ثم يستقطر ايضاً وقد يعاد استقطارهُ مراراً حتى يتنقى جيدًا . و يستحيل اتمام هذه الاعمال الآن ومناظرة الاوربيين بغير الآلات المتقنة التي تستعمل لها في اوربا

---

(٤) نور الاستيلين

مصر . عبد الكريم افندي فهمي . هل من خطر في جهازات النور بالاستيلين وان كان كذلك فكيف يحدث الخطر وما هي الطرق الواقية منهُ

ج لا يخلو استعمال الاستيلين من الخطر لانهُ يتفرقع احياناً من نفسهِ اذا اشتدَّ عليهِ الضغط . وقد ابنَّا في المجلد الحادي والعشرين من المقتطف ان المسيو برتلو والمسيو فيل وجدا بالامتحان انهُ اذا مزج غاز الاستيلين بالاسيتون صار سليم العاقبة جدًّا بالنسبة الى ما كان قبل مزجهِ فبعد ان كان يتفرقع اذا بلغ الضغط على السنتيمتر المربع منهُ كيلوغرامين يصير لا يتفرقع الاَّ اذا بلغ الضغط عشرة كيلوغرامات

(٥) تليين قرن الجاموس

بغداد . داود افندي فتو الصيدلاني . كيف يذاب قرن الجاموس ثم يعود صلباً بعد ذوبانهِ

ج لا يذاب ولكن يلين حتى يلين جدًّا و يصير يضغط في المضاغط وذلك بالتسخين في ماء غالٍ أُضيف اليهِ مادة قلوية او بتسخينهِ على النار بعد تقطيعهِ قطعاً رقيقة ومتى برد يعود اليهِ صلابتهِ و يتخذ الصورة التي تعطى لهُ حين ضغطهِ

---

(٦) العلاج بالعنب

الاسكندرية . س . س . ما هي فائدة استعمال كورة العنب وما هي شروطها والمقدار الكافي منها

ج بقينا نحو ربع ساعة نفكر في معنى قولكم كورة العنب حتى خطر لنا اخيرًا انكم تريدون بالكورة الكلمة الفرنسوية او الانكليزية التي معنا الشفاء او العلاج فان كان هذا مرادكم فالعلاج بالعنب يكاد يكون خرافة كالعلاج بالماء لا لان اكل العنب لا يفيد بل لانهُ لا يفيد كل الفوائد التي تنسب اليهِ. اما الامراض التي يقال انها شفيت باكل العنب فالغالب انها شفيت من الوقاية وتغيير المواء وفعل الوهم بالمجموع العصبي ونحو ذلك مما يجتمع في هذه المعالجة . واذا مصَّ الانسان العنب مصًّا ولم يبلع قشرهُ ولا عجمهُ (بزرهُ) امكنهُ ان ياكل منهُ ارطالاً كثيرة كل يوم و يستفيد من اكلهِ معنا كان حالهُ ولكنهُ لا يشفى من مرض فيهِ الاَّ اذا عالجهُ بعلاجهِ وكان اكل العنب مساعدًا للعلاج

---

(٧) تاثير الضباب

الاسكندرية . عبد الرحمن افندي جيبي . هل للضباب تأثير نافع في الصحة

ج كلاَّ . والهواء الجاف اصلح من الهواء الرطب دائماً الاَّ في احوال نادرة

(٨) الاميبا

ومنهُ . هل يوجد حيوان صغير لا امعاء لهُ ولا اعضاء . وان وجد فكيف يتركَّب وكيف يهضم غذاءهُ وكيف يعيش

ج ان الخلايا او الحويصلات الاولى التي تتركب منها الاجسام الحية حية بنفسها وتمتص الغذاء مما حولها وتغتذي بهِ وتكبر وتتكاثر ولا اعضاء لها ولا امعاء ويمكننا ان نسميها بالحيوان الاول او الحي الاول (راجعوا خطبة السر وليم ترنر المدرجة في هذا الجزء) والاميبا وهو من ابسط انواع الحيوان المعروفة يوجد في الماء العذب والطين والارض الرطبة وقد يكبر جرمهُ حتى يُرى بالعين المجرَّدة وهو زق مستدير تمتد منهُ نتوات مختلفة الاشكال كأَنها اعضاء لهُ ولكنها لا تبقى على حالة واحدة بل تتغير كثيرًا ولذلك سمي بالاميبا اي المتغير وبهذه النتوات ينتقل من

جهة الى اخرى واذا وصل الى دقائق الغذاء الذي يغتذي بها انعطف عليها وامتص منها ما فيها من الغذاء وطرح الفضول ومتى بلغ اشدَّهُ اتسع وانشق الى اثنين يسير كلٌّ منهما حيواناً قائماً بنفسهِ . وانواع الاميبا مختلفة وكذلك اوصافها واطوارها مختلفة وتشترك كلها في انها خالية من الامعاء والاعضاء حسب مفهومها العادي . هذا وانا نشكركم على كتابكم الذي صدَّرتم بهِ هذين السؤالين . وغاية ما نتمناهُ ان يطالع القراء المقتطف بالامعان ويستفيدوا مما فيهِ من الفوائد التي نلتقطها من موائد العلماء ونزفها الى قرائهِ شهراً بعد شهر

---

(٩) القصيدة المندية

سوق الغرب . نسيم افندي نقولا يارد. طالعت المجلد الحادي عشر من مقتطفكم الاغر فلم اعثر على القصيدة المندية التي اشرتم اليها في الجزء السادس من المجلد الرابع والعشرين فهل لكم ان تفيدونا في ايّ جزء واي مجلد هي

ج في الجزء العاشر من المجلد الثاني عشر ومطلعها

اراكِ في يقظة من لوعة الالم
اني شبيهكِ مكلوم فمي كلمي

---

(١٠) حقائق جيولوجية

امبابه . سمعان افندي عوض يقول الراسخون في علم الجيولوجيا ان الصحراء كانت في زمان سلف قاع بحر ونزحت عنها المياه على تمادي الايام وكرور السنين . ويقول آخرون ان جزائر البلاد الانكليزية كانت ملاصقة لقارَّة اوربا وان اوربا كانت متصلة بافريقية وافريقية كانت متصلة باميركا فكيف توفقون بين القولين وكيف نزحت المياه من الصحراء وجفت

ج القولان صحيحان معاً وعلى صحتهما ادلة كثيرة اقربها وجود عظام حيوانات قديمة في بلاد الانكليز لا تعيش فيها الآن ولا في اوربا كلها كالاسد والفيل . وقد وجدت فيها قبل وجود الانسان وهي تدل على اتصال قديم بين جزائر بريطانيا واوربا وافريقية . ووجود آثار بحرية من اصداف ونحوها في الصحراء تدل على انها كانت مغمورة بماء البحر. اما التغيُّر الذي يطرأُ على الارض فترتفع في جهة وتنخفض في اخرى فمن اسبابهِ ان الحرارة التي في جوف الارض ترفع قشرتها في بعض الاماكن رويداً رويداً فترتفع وتعلو عن سطح البحر اذا كان البحر غامراً لها . وان الامطار والانهر تفتت صخور الارض وتجرفها الى قاع البحر فتنخفض الاماكن العالية على مر الزمان وترتفع الاماكن المنخفضة التي يتجمع فيها ما تجرفهُ المياه اليها . ولا يسهل عليكم تصوُّر هذه الامور جيداً الاَّ اذا درستم كتاباً في مبادىء الجيولوجيا

(١١) اوجه القمر

ومنهُ . كيف يبدو الهلال دقيقاً ثم يزداد حتى يمسي بدراً كاملاً ثم يتناقص حتى يعود كما بدا

ج امسكوا برتقالة بيدكم اليسرى تمثل كرة الارض وشكوا في اعلاها دبوساً يمثل شخصاً واقفاً عليها وضعوا عند قدميكم قنديلاً يمثل الشمس وامسكوا في يدكم اليمنى تفاحةً تمثل القمر وادبروها حول البرتقالة من الغرب الى الشرق دورانا بطيئاً جداً فتروا انهُ حينئذ تكون في على نقطة من دائرتها يكون الجزء المتجه منها الى القنديل اي الجزء المستنير متجهاً كلهُ الى البرتقالة ايضاً فتكون التفاحة حينئذٍ بمثابة القمر وهو بدرٌ . ثم اذا تقدمت الى الامام في دائرتها لا يعود نصفها المستنير يرى كلهُ عند مقام الشخص الواقف على الارض بل يرى بعضهُ ويقل ما يرى منهُ رويداً رويداً الى ان يصير هلالاً ثم لا يعود يرى منها الا الجزء غير المستنير . ومتى عادت الى الجانب الآخر يظهر منها اولاً جزء صغير من الوجه المستنير وهو الهلال ثم جزء كبير منهُ وهلمَّ جرًّا الى ان يظهر وجهها المستنير كلهُ كما تقدم وهذا شأن القمر فانهُ يدور حول الارض فيرى من على الارض تارة كل وجهه المستنير وتارة نصفهُ وتارة ربعهُ وهلمَّ جرًّا

(١٢) واضع وجاق الانكشارية

ومنهُ . تضارب الرواة في الاهتداء الى من اختلق وجاق الانكشارية فذهب بعضهم ان السلطان اورخان الغازي اوجدهُ سنة ١٣٢٥ للميلاد وقال فريق بل السلطان مراد الاول سنة ١٣٦٠ فاي الروايتين اصح

ج القولان صحيحان فان السلطان اورخان اول من ابتدأ في جمع ابناء الاسرى المسيحيين وتعليمهم لتاليف وجاق الانكشارية (اي الجيش الجديد) منهم والسلطان مراد اول من نظَّم هذا الوجاق ووسع نطاقهُ

---

(١٣) موت النحلة

مبابه . اسكندر افندي نبيه . يقال ان النحلة عند ما تلدغ احداً تموت لوقتها فما فما سبب ذلك



ج الغالب ان حمتها تنزع منها مع جانب من احشائها وتبقى غارزة في جلد من تلدغهُ فيكون ذلك سبباً لموتها . اما بقاء الحمة في الجلد فسببهُ ان لها اسناناً متجهة الى الاعلى كما ترون في هذا الشكل (وهو صورة حمة مكبَّرة جداً) فتعلق بالجلد ويعسر خروجها منهُ

(١٤) الشعر المصري

ومنهُ . ألا يوجد شعر بالقلم الهيروغليفي وان كان فمن اول من نظمهُ ومن اشهر شعرائهم

ج رأينا ترجمة قصيدة بليغة لشاعر من شعرائهم اسمهُ بنتور كان في عهد رعمسيس الثاني وذلك يدل على ان الشعر كان مستعملاً عندهم اما التوصل الى اول من نظم الشعر والى اشعر الشعراء فليس من الممكنات في ما نظن

---

(١٥) سكان الجية

لبنان . الاميرة رشيدة شهاب . ان سكان الجيَّة (بلدة صغيرة على شاطىءِ البحر بلبنان) يموتون في سن اربعين الى خمس واربعين ويندر من يعمر منهم ستين سنة مع ان هواء الجية جيد البحر الى الغرب منها وتحيط بجهاتها الثلاث الباقية جبال مشجرة وكسل السكان يمنعهم من ممارسة الاعمال الشاقة غير انهم ممتازون بقلة النظافة وقلة اكل الاطعمة المغذية فهل هذا سبب كافٍ لقلة تعميرهم

ج نعم ان قلة الغذاء وقلة النظافة تعرّضان الجسم للضعف والمرض ولا تبقيان في دقائقهِ قوةً لمقاومة العوارض زمناً طويلاً حتى يعمر . واذا توالت اسباب قلة التعمير على قوم صارت قلة التعمير وراثية فيهم كما يكون التعمير وراثياً ايضاً فلا تفارقهم الا بعد ان يستمروا على منع اسبابها زمناً طويلاً . وحبذا لو اهتمت حكومة لبنان باحصاء المواليد والوفيات يومياً في كل انحاء الجبل واحصاء اعمار المتوفين فيصير الحكم في هذه المسألة وامثالها مبنياً على اسس وطيدة

---

(١٦) تاريخ السكك الحديدية المصرية

مصر . يعقوب افندي متى . ما هو تاريخ وجود السكك الحديدية في القطر المصري ومن منشئها والسبب فيها

ج حالما نجحت السكك الحديدية في انكلترا اهتمَّ الانكليز بانشاء سكة حديدية في القطر المصري تكون صلة بين البحر الاحمر وبحر الروم لاجل المتاجرة مع الهند وذاكروا محمد علي باشا في ذلك سنة ١٨٣٧ فاجابهم اليهِ وتم الاتفاق على احضار الادوات اللازمة وأُحضر نصفها لكن فرنسا اعترضت على ذلك ومنعت انشاء السكة فاستعملت القضبان التي احضرت في اعمال اخرى . ولما تولى عباس باشا سنة ١٨٤٨ عادت الحكومة الانكليزية تطلب انشاء هذه السكة وكانت فرنسا قد كفَّت عن المعارضة فأُذن للانكليز في انشائها بفرمان من الباب العالي وانشأُوا منها سبعين ميلاً في عهد عباس باشا و١٣٥ ميلاً في عهد سعيد باشا وتمَّ اكثرها في عهد اسمعيل باشا

(١٧) تنظيف الفضة

ومنهُ . كيف تنظف الآنية الفضية اذا وجدت عليها بقع من انصباب ماء الصودا عليها

ج تفرك بالاسبيداج جيداً فتعود الى لونها وجلائها

---

(١٨) استعمال المسكرات

مليج . حبيب افندي حنا . اصبح من المقرر ان المسكرات ممقوتة لدى رجال الصحة والادب فلماذا يستعملها الامراء والملوك على موائدهم وفي حفلاتهم الرسمية و يجعلون شربها دليلاً على ما يبديه بعضهم لبعض من الاكرام

ج اعتاد الناس شرب المسكرات منذ قرون كثيرة ولم يثبت لهم ضررها او عدم نفعها الأمنذ سنوات قليلة . وما رسخ استعماله مدة الوف من السنين لا يسهل ابطالهُ في بضع سنوات . ولا بدَّ من التمييز بين شرب المسكرات وبين السكر فان السكر ضار وضررهُ معروف منذ قرون كثيرة ولم يقل احد بجوازهِ واما الشرب القليل فكان المظنون انهُ نافع الى ان ثبت الآن انهُ لا ينفع الاَّ في بعض الاحوال المرضية

(١٩) ثدي الرجل

ومنهُ . لاي شيء وجد الثدي في الرجل

ج رجَّح الشهير داروين ان الرجال كانوا يرضعون الاطفال كالنساء ثم ابطلوا ذلك فضمرت ثديهم بقلة الاستعمال وصار ضمورها وراثياً فيهم ولكنها لا تزال تتأثر تأثر ثدي النساء فتكون في الطفلة كما تكون في الطفل وتتهيج قليلاً في مرض الحصبة وحينما يبلغ الصبي وقد تدرُّ شيئاً من اللبن حينئذٍ . وهناك فرض آخر فرضهُ داروين وهو ان الثدي مكتسب في الاناث غير اصلي فيهن فيرثهُ الذكور من نسلهن كما يرثهُ الاناث لكنهُ لا ينمو فيهم كما ينمو فيهن لان النساء اكتسبنهُ بعد ان انفصل جنس الذكور عن جنس الاناث . وقد رجَّح داروين الفرض الاول لاسباب لا محل لبسطها الآن . وعليهِ يكون الثدي قد وجد في الرجال اولاً لكي يرضعوا الاطفال بهِ ثم ضمر بقلة الاستعمال

(٢٠) تنازع البقاء

ومنهُ . ان ما يسمى بجهاد الحياة او تنازع البقاء يقضي على الانسان باستخدام كل ما يراه ممكناً لنيل ما يطلبهُ سواء عمد الى القوة او الى الحيلة . وترى المخادعة وهي اهم ما يعتمد عليهِ في هذا العصر لنيل غرضهِ ممقوتة في شرع الآداب فهل يجب على الانسان ان يتبع حكم الآداب والفضائل او ناموس الحياة الذي يقتضي الجهاد والتغلب على الغير بكل واسطة ممكنة

ج ان ناموس التنازع لا يوجب على المرء ان يتنازع ابناء نوعهِ بل يوجب عليهِ ان يستعين بابناء نوعهِ على اخذ لوازم المعيشة من الارض من جمادها ونباتها وحيوانها . وقد اخطأ الناس اولاً فهم هذا الناموس فحسبوا ان من مقتضاهُ ان يأكل بعضهم

بعضاً فلم يفلحوا الاَّ القليل ثم اهتدوا الى ناموس التعاون فاستفادوا منهُ كثيراً وتهذبت بهِ اخلاقهم الوحشية وقويت فيهم الغيرية وما يتصل بها من الآداب والفضائل فصار الفضلاء يؤثرون على انفسهم ولو بهم خصاصة او يساوون غيرهم بانفسهم وما احسن ما قالهُ الشاعر العربي في هذا المعنى

اذا ما رفيقي لم يكن خلف ناقتي
لهُ مركب فضل فلا حملت رحلي
ولم يكُ من زادي لهُ نصف مزودي
فلا كنت ذا زاد ولا كنت ما رحلي
شريكين في ما نحن فيهِ وقد ارى
عليَّ لهُ فضلاً بما نال من فضلي

وما قالهُ الآخر

فلا نزلت عليَّ ولا بارضي
سحائبُ ليس تنتظم البلادا

وجملة القول انهُ يجوز الانسان ان يخادع الحيوان ويحتال على النبات لاجل معيشتهِ ولكن لا يجوز لهُ ان يخادع ابناء نوعهِ بل يجب عليهِ ان يعاونهم ويستعين بهم

(٢١) مشابهة الاولاد لوالديهم

ومنهُ . هل من الضروري وجود بعض المشابهة بين الاولاد ووالديهم في الخلقة وعتاز الابن بمشابهتهِ اباهُ والبنت بمشابهتها امها او تنحصر هذه المشابهة في تركيب الجسم فقط

ج اذا كان في احد الوالدين او فيهما كليهما صفات قديمة راسخة ظهرت في نسلهما ايضاً من غير تمييز فقد يشبه الولد اباهُ اكثر مما يشبه امهُ او يشبه امهُ اكثر مما يشبه اباهُ او يشبه اباهُ في بعض الصفات وامهُ في البعض الآخر. واذا كانت صفات الاب او صفات الام حديثة غير راسخة فالغالب انها لا تنتقل الى النسل . وكما يرث الولد من والديهِ يرث من اسلافهما ايضاً لكن ما يصل اليهِ من صفات اسلافهِ يقل رويداً رويداً يبعدهِ عنهم على حسب الناموس الذي اكتشفهُ العالم فرنسيس غلتون وذكرناهُ غير مرة

(٢٢) تكلم الاصنام

ومنهُ . يظهر من مطالعة تواريخ القرون السالفة ان الناس كانوا يستشيرون اصنامهم في امورهم فهل كانت تلك الاصنام تتكلم او كان الكهنة يخدعونهم حتى يظنوا انها تتكلم وهي بكماء

ج اما كلامها فامر غير معقول لان الجماد لا يتكلم واما خداع الكهنة فامر يقيني ولا يزال كهنة الوثنيين يخدعونهم بمثل ذلك حتى الآن . وقد يكون الكاهن مخدوعاً لا خادعاً فيتوهم توهماً انهُ سمع صوت الصنم معبودهِ ويخبر الناس بما سمعهُ في وهمهِ

(٢٣) حقيقة الرباط

ومنهُ . أصحيح ما يقال في امر الرباط فان كثيرين يقولون انهُ مثبت بالامتحان

ج الصحيح منهُ ان وهم الانسان يؤثر في افعالهِ فاذا توهم انهُ مربوط فقد يؤثر هذا

الوهم في اعصابهِ واعضائهِ عموماً ويكون حالهُ حينئذٍ حال من نوّم التنويم المغنطيسي وقيل لهُ انك مقيد الرجلين فيصير يرسف رسفاً كالمقيد بقيد من حديد او قيل لهُ ان يدهُ عصاة يابسة لا تتحرك فيصير يحاول تحريكها وهي لا تتحرَّك . الاَّ ان هذا النوع من الوهم لا يؤثر الاَّ في البسطاء الجهلاء من يصدق الاوهام ولا يقدر على التمييز بينها وبين الحقائق

(٣٤) زوال المدنية الاوربية

ومنهُ . اينتظر ان تتحوَّل مدنية الغربيين الى همجية وهمجية الشرقيين الى مدنية وان كان الامر كذلك فماذا تعللونهُ

ج لا يظهر من سير التمدن الغربي انهُ يمكن ان يزول وتحل الهمجية محلهُ ولكن يحتمل او يرجح ان الاقطار الاوربية تبرد كثيراً لاسباب فلكية فلا يعود الانسان قادراً على السكن فيها فيهجرها فتخرب مدنها وتعفى آثار معالمها . اما الشرقيون او اهالي الاقاليم الحارَّة والقريبة منها فلابدَّ من ان يقتفوا خطوات الاوربيين في اقتباس اساليب العمران ويجاروهم فيها . هذا ما تدلُّ عليهِ الدلائل الحاضرة ولكن قد تطرأ على الارض ونوع الانسان طوارئ كثيرة تغير ما يرى من سير العمران وتفضي الى ما لا ينتظر من مصير الانسان



باب الاخبار العلمية

اتقاء الحمى الملارية

اذا قُدِر لمسألة علمية ان يكون لها نفع لدى الاغنياء ورجال السياسة فلا تسل عن مقدار اهتمامهم بها واتفاقهم على تحقيقها كما حدث في مسألة الملاريا اخيراً فانهُ لم يكد يتضح ان نوعاً من البعوض ينقل عدواها من شخص الى آخر وانهُ اذا استئصل هذا البعوض من مكان مشهور بانتشار الحمى الملارية فيهِ زالت تلك الحمى منهُ حتى قام تجار الانكليز الاغنياء وقالوا اذا وجدنا طريقاً لاستئصال الحيات من البلدان الاجمية في افريقية وغيرها صار السكن فيها ممكناً للاوربيين واستثمار خيراتها ميسوراً لهم وفي ذلك من الربح ما فيهِ وانشأوا مدرستين في لندن ولفربول لتعليم طب الامراض التي تفشو في البلدان الاستوائية واوفدوا وفدين الى غربي افريقية واواسطها ووفداً ثالثاً الى آجام رومية المشهورة بحمياتها

وبعثت المانيا بالدكتور كوخ الشهير الى اماكن مختلفة للبحث والتنقيب عن علة الحميات الملارية وعن طريقة اتقائها واقرّت على انشاء مدرسة في مدينة همبرج لتعليم طب الامراض التي تفشو في البلدان الحارَّة

ومهما يكن غرض الاوربيين من الاهتمام بالبحث عن هذه الامراض وطرق علاجها لا يسع احدًا منا انكار الفوائد التي تنالها نحن وكل سكان البلدان الحارَّة من هذا البحث . فقد ثبت الآن ان بعوض الحمى الملارية الذي رسمنا صورتهُ في جزء سبتمبر الماضي ينقل العدوى من المريض الى السليم. وآخر دليل على ذلك ان الاستاذ باستيانلي الايطالي بعث الى الدكتور مانسون الانكليزي بعوضاً من هذا البعوض من رومية بعد ان ثبت لهُ انهُ لسع انساناً مصاباً بالحمى الملارية فوصل البعوض الى مدينة لندن سالمًا في شهر يوليو الماضي وللدكتور مانسون ولد لم يمضِ الى بلاد ملارية في حياتهِ فعرَّض نفسهُ لهذا البعوض حتى لسعهُ والحال اصيب بالحمى الملارية وظهرت جراثيمها في دمهِ

وقد اختلفت آراء العلماء الباحثين في كيفية الوقاية من هذه الحمى فاشاروا اولاً بنزح المياه من المستنقعات التي يتولد فيها هذا البعوض او بطرح شيء فيها من قاتلات البعوض وآخر شيء قرأناهُ من هذا القبيل ان الدكتور كوخ صنع مادة مركبة من الكينا اذا طُرحت في الماء لم يعد بعوض الحمى يتولد فيهِ . اما هو فينكر ذلك ويقول ان استئصال البعوض من الآجام امر متعذر او ضرب من المحال

والمتفق عليهِ الآن عموماً استعمال الكلاَّت (الناموسيات) والمعالجة بالكينا زمناً طويلاً فاذا مرض احد بالحمى الملارية يحوَّط سريرهُ بناموسية تمنع دخول البعوض اليهِ لكي لا يمتص شيئًا من دمهِ فينقل العدوى منهُ الى غيرهِ ويعطى الكينا علاجًا لهُ. واذا نزل انسان بلاداً ملارية وجب عليهِ ان يضع حول فراشهِ ناموسية تمنع دخول البعوض اليهِ ليلاً فاذا وقى نفسهُ من البعوض ليلاً سلم من الحمى . ومما يؤيد ذلك ان الدكتور مانسون اشار منذ مدة ان يبنى بيت صغير في آجام رومية يسكنهُ اناس من شهر مايو الى شهر اكتوبر ويكون حول اسرتهِ ناموسيات تمنع دخول البعوض اليها ويجب على سكانهِ ان يدخلوا الناموسيات عند الغروب قبلما يطير البعوض فبني البيت ومضى اليهِ الدكتور لو والدكتور سامبون من مدينة لندن وسكناهُ من شهر يونيو الماضي وحتى الآن لم يصابا بالحمى الملارية وذلك يؤيد ما اثبتهُ عبد الله افندي جبور في صفحات المقتطف منذ نحو سبع عشرة سنة في الصفحة ٤٣٤ من المجلد الثامن حيث قال "من اراد ان يقي نفسهُ من الحمى الملارية فليضع لسريرهِ كلة (ناموسية)

تمنع دخول البعوض اليهِ في بلاد المستنقعات" وذلك بعد ان قال " انهُ شاهد امتداد الحمى الملاريةفي راشيا مرتين في خريف سنة ١٨٧٨ وسنة ١٨٨٢ وعلم ان من الاسباب الكبرى التي تحمل سم هذه الحمى من نبات المستنقعات البعوض فالشخص الذي تمكن البعوض من لسعهِ اصابتهُ الحمى الملارية ومن وقى نفسهُ من لسعهِ سلم من هذا الداء وهذا الامر لاينكره عاقل في قضاء راشيا "

هذا والظاهر ان الحمى الملارية افتك الامراض بنوع الانسان ولاسيما في البلدان الحارَّة حيث يموت اكثر الناس بها

ثروة ركفلر وملوك اوربا

يعلم قراء المقتطف اسم ركفلر الغني الاميركي الشهير من ذكرنا لكرمهِ الحاتمي والاموال الطائلة التي وهبها للمدارس . وثروة هذا الرجل من زيت البترول ويقدر دخلهُ السنوي بثلاثين مليونًا من الريالات او ستة ملايين من الجنيهات فهو يساوي راتب ملوك اوربا كلهم كما ترى مما يلي

(١) راتب قيصر روسيا	١٢٠٠٠٠٠٠	ريال
(٢) " " النمسا	٣٨٧٥٠٠٠	"
(٣) " امبراطور المانيا	٣٨٥٢٧٧٠	"
(٤) " ملك ايطاليا	٢٨٥٨٠٠٠	"
(٥) " " اسبانيا	٢٠٠٠٠٠٠	"
(٦) " ملكة الانكليز	١٩٢٥٠٠٠	"
(٧) " ملك سكسونيا	٠٠٧٣٥٠٠٠	"
(٨) " " بلجيكا	٠٠٦٦٠٠٠٠	"
(٩) " " البرتغال	٠٠٦٣٤٤٤٠	"
(١٠) " " اسوج ونروج	٠٠٥٧٥٥٢٥	"
(١١) " " ورتمبرج	٠٠٤٤٩٠٠٠	"
(١٢) " " اليونان	٠٠٢٥٠٠٠٠	"
(١٣) " " السرب	٠٠٢٤٠٠٠٠	"
(١٤) " " رومانيا	٠٠٢٣٧٠٠٠	"
(١٥) " " الدنمارك	٠٠٢٢٧٧٧٥	"
ومجموع ذلك	٣٠٥١٩٥١٠	"

هؤلاء خمسة عشر ملكًا يخضع لهم اكثر من ثلاثمئة مليون نفس في اوربا واكثر من اربع مئة مليون نفس في آسيا وافريقية ودخلهم السنوي لا يزيد على دخل رجل واحد من اغنياء اميركا. ولولا ثروة قيصر الروس الطائلة لقصر دخلهم السنوي عن دخل هذا الغني الاميركي كثيرًا وصار دخل المستر كارنجي السنوي وهو ٢٥ مليون ريال اكثر من دخلهم. ومعلوم ان كارنجي انشأ ثروتهُ بيدهِ ولم يرث منها غرشًا واحدًا

اكبر الحجارة المقطوعة

اكبرها حجر الحبلى في بعلبك طولهُ ٧١ قدمًا وعرضهُ ١٣ قدمًا وعلوهُ ١٤ قدمًا ومساحتهُ المكعبة ١٢٩٢٢ قدمًا ويتلوهُ الحجارة الثلاثة المبنية في قلعة بعلبك ثم حجر قطع في بلاد الانكليز طولهُ ٨٠ قدمًا

وثقلهُ ٥٠٠ طن ومساحتهُ المكعبة ٦٠٠٠ قدم . ثم حجر قطع في اميركا طولهُ ٦٤ قدماً وثقلهُ ٣١٠ اطنان ومساحتهُ المكعبة ٣٥٨٤ قدماً

البارلنت الانكليزي

ويؤلف البارلنت الانكليزي الآن من ٦٧٠ عضواً ٤٦٥ منهم من انكلترا و١٠٣ من ارلندا و٧٢ من اسكتلندا و٣٠ من وايلس . وكان في البارلنت الماضي ٤١١ من حزب الوزارة اي حزب المحافظين وهم ٣٤٩ من انكلترا و٣٣ من اسكتلندا و٢١ من ارلندا و٨ من وايلس وفيهِ الآن ٤٠٢ من حزب المحافظين و٢٦٨ من الاحزاب المضادة لهم. وقد تجدَّدت الانتخابات البارلنت في عهد جلالة الملكة ١٤ مرة قبل الآن وهذه هي المرة الخامسة عشرة وعدد الاهالي في البلاد الانكليزية الآن نحو اربعين مليوناً وعدد المنتخبين منهم نحو ٦٧٠٠٠٠٠ نفس اي ثلث الذكور كلهم فهم اكثر من نصف البالغين . واطول مدة بقي فيها البارلنت في عهد جلالة الملكة من غير ان يعاد انتخاب اعضائهِ كان في وزارة بامرستون فانهُ دام حينئذٍ ست سنوات و١٤١ يوماً. وقد بلغت اكثرية المحافظين الآن ١٣٤ وكانت في البارلنت الماضي ١٥٢ ولم تزد على ذلك في عهد جلالة الملكة الا سنة ١٨٨٠ حينما بلغت اكثرية الاحرار ١٨٦ . وبلغت الاكثرية مرة شخصاً واحداً وذلك في وزارة اللورد جون رسل سنة ١٨٤٧ ولكن وزارتهُ دامت خمس سنوات ونصف سنة . وقد تولى اللورد سلسبري رئاسة الوزارة اربع مرات فصار مثل غلادستون الذي تولاها اربع مرات ولم يتولَّ احد في هذا القرن رئاسة الوزارة الانكليزية اربع مرات غيرهما

فهرس المتحف البريطاني

تمَّ الآن فهرس التحف التي في المتحف البريطاني فبلغ اربع مئة مجلد وسبعين ملحقاً وبلغت نفقات جمعهِ اربعين الفاً من الجنيهات وقضى العلماء في كتابتهِ عشرين سنة

الطعام وهواء المناجم

ردِم نجم من المناجم ثم فتح ثانية بعد ان بقي مردوماً سنة وثلاثة اشهر فاذا ٨٤ في المئة من هوائهِ نيتروجين وما بقي اكسيد الكربون وهيدروجين مكربن . ولم تؤثر هذه الغازات بما ترك فيهِ من الطعام وسائر المواد فجف الخبز ولكنهُ بقي سليماً وكذلك بقي اللحم على حالهِ وبقي الماء في مساقي الدواب لم يتبخر منهُ شيء . وبقيت الثياب جافة سليمة والعلف بقي على حالهِ فاكلتهُ الدواب حالما قدّم لها. وترك هذا المنجم مفتوحاً ثلاثة اشهر فبلي مما فيهِ اكثر مما بلي منهُ في خمسة عشر شهراً وهو مسدود

المسير الى القطب الشمالي

عزم المستر وليم زجلر احد اغنياء نيويورك ان يرسل سفينتين ووفداً كبيراً الى القطب الشمالي وسيسير هذا الوفد في اوائل العام المقبل

الجبن والهضم

وضع احد علماء الالمان انواعاً مختلفة من الجبن في سائل هاضم مثل سائل المعدة فلزم لبعضها ثماني ساعات او اكثر حتى هضم ولذلك عدّ الجبن من اصعب المواد هضماً وفاته ان في المعدة والامعاء مواد حية تساعد السوائل الكيماوية على هضم الطعام وهي ليست موجودة في معمل الكيماوي

اسرَّة ثمينة

ذكرنا في بعض الاجزاء الماضية ما انفقهُ احد الامركيين على السرير الذي ينام فيهِ وقد قرأنا الآن ان احد ملوك الهند صنع سريرهُ من الذهب ورصعهُ بسبع مئة حجر من الحجارة الكريمة فبلغ ما انفقهُ عليهِ سبعين الف جنيه. ويقال ان السرير الذي تنام فيهِ ساره برنارد الممثلة الشهيرة في دارها بباريس يساوي اربع مئة جنيه

جزاء الشجاعة

لما علمت بسالة الجنرال بادن بول في الدفاع عن مدينة مفكن في حرب الترنسفال بعثت اليهِ اثنتان من السيدات الانكليزيات الغنيات تعرضان عليهِ ان يقبل بان يكون وريثاً لهما فتتركان لهُ كل اموالهما من غير شرط

زراعة الارزّ في ايطاليا

اتسعت زراعة الارز في ايطاليا فكانت غلتهُ سنة ١٨٩٦ اقل من اربعة ملايين هكتولتر (نحو مليوني اردب) فبلغت في العام الماضي اكثر من ستة ملايين ونصف مليون هكتولتر اي نحو ثلاثة ملايين ونصف مليون اردب

تلغراف مركوني

ثبت بالتجارب الحديثة انهُ يمكن وضع تلغراف مركوني في السفن فيخاطب بعضها بعضاً او تخاطب البر على بعد ستين ميلاً او اكثر قليلاً وعدد الكلمات التي يمكن ارسالها في الدقيقة نحو عشرين كلمة. فاذا لم تزد سرعة هذا التلغراف عن ذلك كثيراً بقي استعمالهُ محصوراً في السفن وميادين الحرب حيث يتعذّر مد الاسلاك المعدنية

المدافع والبرَد

شاع منذ مدة انهُ يمكن ان يمنع وقوع البرد باطلاق المدافع على السحب التي يقع البرد منها. وقد اهتمت وزارة الزراعة في بلاد النمسا بهذا الامر وامتحنتهُ فوجدت ان فعل هذه المدافع لا يعلو اكثر من اربع مئة متر في الجو فلا يؤَثر في السحب التي فيها برَد الاَّ اذا كانت اوطأ من ذلك وهذا نادر ووجدت ان البرَد سقط مراراً كثيرة رغماً

عن اطلاق المدافع متوالي عليهِ فان كانت قد منعت وقوعهُ او تكوُّنهُ مراراً قليلة فهي لم تمنع وقوعهُ مراراً كثيرة

دوق ابروزي ورحلتهُ

عاد دوق ابروزي الايطالي من رحلتهِ القطبية بعد ان بلغ في سفينتهِ الى ابعد مما وصلت اليهِ سفينة نَنسن وبلغ رجالهُ في سيرهم الى ابعد مما وصل اليهِ نَنسن ورجالهُ فان سفينتهُ بلغت الدرجة ٨٢ والدقيقة ٤ من العرض الشمالي ورجالهُ بلغوا الدرجة ٨٦ والدقيقة ١٤ من العرض . وسنصف ما لقيهُ من المشاق في الجزء التالي كما وصفنا ما لقيهُ نَنسن . اما نَنسن فرجع سالماً معافى واما دوق ابروزي فاضطر ان يقطع انملتين من انامله لان البرد هرأها

زلزلة قرقاس

حدثت زلزلة عنيفة في قرقاس عاصمة فنزويلا في الثلاثين من شهر اكتوبر فخربت مدينة غواروتاس

معادن الدنيا

الحديد ارخص المعادن كلها ولكن يستخرج منهُ كل سنة ما يكاد ثمنهُ يساوي ثمن كل المعادن الاخرى التي تستخرج سنوياً كما ترى من هذا الجدول وقد ذكر فيهِ ثمن كلٍ من المعادن التي استخرجت من الارض سنة ١٨٩٨

الحديد	١٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ جنيه
الذهب	٠٥٧ ٥٠٠ ٠٠٠ "
الفضة	٠٢٤ ٠٠٠ ٠٠٠ "
النحاس	٠٢١ ٧٥٠ ٠٠٠ "
الرصاص	٠١٠ ٠٠٠ ٠٠٠ "
التوتيا	٠٠٩ ٩٥٠ ٠٠٠ "
القصدير	٠٠٨ ٠٠٠ ٠٠٠ "
الانتيمون	٠٠١ ١٠٠ ٠٠٠ "
الزيبق	٠٠٠ ٨١٥ ٠٠٠ "
النكل	٠٠٠ ٧٢٥ ٠٠٠ "
الالومنيوم	٠٠٠ ٤٤٠ ٠٠٠ "

ومقدار المعادن التي تستخرج من الارض يزيد سنة بعد سنة وكاد يتضاعف في السنوات العشر الاخيرة كما ترى في هذا الجدول وقد ذكرنا فيهِ مقدارها سنة ١٨٨٩ وسنة ١٨٩٨ بالطن

	١٨٨٩	١٨٩٨
الحديد	٢٦٠٠٠٠٠٠	٣٦٠٠٠٠٠٠
الذهب	١٨٢	٤٣٠
الفضة	٣٩٠٠	٦٠٠٠
النحاس	٢٦٦٠٠٠	٤٣١٠٠٠
الرصاص	٥٤٩٠٠٠	٧٧٠٠٠٠
التوتيا	٣٣٥٠٠٠	٤٦٨٠٠٠
القصدير	٠٥٥٠٠٠	٠٧٧٠٠٠
الانتيمون	١١٠٠٠	٠٢٨٠٠٠
الزيبق	٣٨٣٨	٤١٠٠
النكل	١٨٣٠	٦٢٠٠
الالومنيوم	٧٠	٤٠٠٠

والانكليز اكثر الناس اشتغالاً باستخراج المعادن ولهم الجانب الاكبر من معادن الارض وقد بلغت قيمة المعادن المستخرجة من بلادهم في العام الماضي ثمانين مليوناً من الجنيهات . وبلغ عدد الشركات التي تألفت في بلادهم في العام الماضي ٥٥٩ شركة رأس مالها نحو ٧٢ مليون جنيه واكثرها لاستخراج المعادن من البلاد الانكليزية والبلدان التابعة لها

وكانت قيمة الذهب المستخرج من الدنيا بين سنة ١٨٦٠ وسنة ١٨٩٠ لا تزيد على ٢٥ مليون جنيه كل سنة وقد تبلغ عشرين مليوناً فقط ثم زاد الذهب المستخرج زيادة بالغة في السنوات العشر الاخيرة فبلغ سنة ١٨٩٨ سبعة وخمسين مليوناً ونصف مليون كما تقدم نصفها من الترنسفال واستراليا واكثر من خمسها من الولايات المتحدة الاميركية ونحو عشرها من روسيا . وبلغ الذهب المستخرج في العام الماضي ٦٢ مليوناً و ٧٠٠ الف جنيه مع توقف مناجم الترنسفال

اما الفضة التي استخرجت سنة ١٨٩٨ فاربعة وثلاثون في المئة منها من بلاد المكسيك و ٣٣ في المئة من الولايات المتحدة الاميركية

والظاهر ان اهتمام الناس باستخراج الحديد يفوق كل اهتمام فقد كان المستخرج منهُ سنة ١٨٥٤ نحو ستة ملايين طن نصفها من بلاد الانكليز وثمنها من فرنسا وثمنها من الولايات المتحدة الاميركية فبلغ المستخرج سنة ١٨٩٨ نحو ٣٦ مليون طن اي زاد ستة اضعاف في ٤٤ سنة ثلثها من الولايات المتحدة الاميركية وربعها من بلاد الانكليز وخمسها من المانيا وسبعة في المئة فقط من فرنسا

اما النحاس المستخرج سنة ١٨٩٨ فخمسة وخمسون في المئة منهُ من الولايات المتحدة الاميركية وثمنهُ من اسبانيا والبرتغال وستة في المئة منهُ من بلاد يابان ونحو ستة في المئة من شيلي وخمسة في المئة من المانيا

بالون زبلن

وصفنا هذا البالون في جزء يوليو الماضي قبل ان تم عملهُ . وقد تم بعد ذلك وجُرب فطار وسار في الهواء حسب مشيئة الذين فيه . قال ايجن ولف الذي طار فيهِ في ١٦ اكتوبر "انهُ دام في الجو ساعة وعشرين دقيقة وكان ارتفاعهُ عن الارض ثلثمئة متر وسار ضد الريح وبقي قاربهُ افقياً ثابتاً واذا مال الى جهة من الجهات امال من فيهِ ثقلاً فعاد الى الوضع الافقي وسرعتهُ في سيرهِ شديدة حتى انهُ سبق السفن الماخرة في البحيرة تحتهُ مع انهُ كان يسير ضد الريح . وبلغت سرعتهُ في الهواء الساكن ثمانية امتار في الثانية من الزمان . وكان ملك ورتمبرج والملكة يرقبان سيرهُ من سفينة بخارية"

عمر اشجار كليفورنيا

في بلاد كليفورنيا باميركا اشجار كبيرة

جدًّا ومنها شجرة قطر ساقها ثمانية امتار كان يجتمع جماعة كبيرة على ارومة ساقها بعد قطعها ويرقصون عليها لسعتها . وقد ظُنَّ قبلاً ان عمرها اربعة آلاف سنة او اكثر لكن جاء في جريدة العلم الاميركية الآن ان الاستاذ بسي عدَّ كل الحلقات التي في ساقها فوجدها ١١٤٧ حلقة وعليهِ فعمرها لا يزيد عن ١١٤٧ سنة مع ان ارتفاعها كان نحو مئة متر وقطرها ثمانية امتار

سفينة الارغنوت تحت الماء

ذكرنا هذه السفينة في بعض الاجزاء الماضية وقلنا انها تسير تحت الماء فيسهل استخدامها في الحروب البحرية وفي استخراج المواد والكنوز من قاع البحر وقد اطلعنا الآن على وصف تجربتها في اميركا بحضور احد ابناء وطننا سليم افندي حداد المصور المشهور . قالت الجريدة التي وصفت هذه التجربة ان المستر لايك مخترع هذه السفينة دعا جماعة لامتحانها في الرابع عشر من يوليو الماضي ومنهم المستر ستزنغ محافظ نيويورك والمستر سبيرس مدير شركة الاتوموبيل الاميركية والمستر هلس مدير المكتبة العمومية. وذكرت بين اسماء المدعوين اسم الخواجه سليم حداد وقالت انهُ صور السفينة والمدعوين مرارًا كثيرة صورًا فوتوغرافية. ولما بعدت السفينة عن البر ثلاثة اميال غاصت بمن فيها في قلب البحر وبقيت تحت الماء نحو ساعتين ثم عادت بهم الى سطح الماء وتناول المدعوون الغداء وهم في قلب البحر . وقد طلبنا من الخواجه حداد ان يصف لقراء المقتطف ما لقيهُ وهو في قلب البحر وما كان يشعر بهِ حينئذٍ وسننشر ذلك مع صورة هذه السفينة في الجزء التالي

التبغ في اميركا

جاء في كتاب ديوان الزراعة باميركا عن سنة ١٨٩٩ انهُ صُنع فيها تلك السنة اكثر من ٤٥٤٢ مليون سيكار واكثر من ٤٥٩٠ مليون سيكارة واستعمل فيها نحو ٢٦٧ مليون رطل من التبغ. وان دخل الحكومة الاميركية من ذلك بلغ ٥٢٠٤٣٨٠٩ ريالاً اي نحو عشرة ملايين ونصف مليون من الجنيهات

الطاعون في بلاد الانكليز

ظهر الطاعون في مدينة غلاسكو ببلاد الانكليز فمات بهِ ستة في مستشفاها حتى العاشر من اكتوبر

اسرع السفن البخارية

اسرع السفن البخارية التي تسير الآن بين اوربا واميركا السفينة المسماة دتشلند فهي اكبر السفن واسرعها واكثرها اقتصادًا في آلاتها فان طولها ٦٨٦ قدمًا وتفريغها ٢٣ الف طن وقوة آلاتها البخارية الاربع ٣٧ الف حصان وسرعتها ٢٣ ميلاً بحريًّا و٣٦ من مئة من الميل ويحرق فيها كل يوم ٥٧٢

طنًا من الفحم وتسع من ركاب الدرجة الاولى ٤٥٠ ومن ركاب الدرجة الثانية ٣٠٠ ومن ومن ركاب الدرجة الثالثة ٥٥٠ وتبلغ نفقاتها في كل سفرة بين اوربا واميركا ٥٠ الف ريال وقد بلغت نفقات عملها ٣ ملايين و٣٠٠ الف ريال ولا يمكن ان يشحن فيها اكثر من ٦٠٠ طن . وقد قدرت جريدة السينتفك اميركان انهُ اذا اريد قطع المسافة بين اوربا واميركا في اربعة ايام فقط بسفينة مثل هذه وجب ان يكون طولها ٩٥٠ قدماً وتفريغها ٤٠ الف طن وان يوضع فيها ست آلات بخارية قوتها معاً ١١٠ آلاف حصان فتكون سرعتها ٣٠ ميلاً بحريًا في الساعة وتبلغ نفقات عملها ٦ ملايين و٢٠٠ الف ريال ونفقات كل سفرة من سفراتها ٨٠ الف ريال ويحرق فيها كل يوم ١٧١٠ اطنان من الفحم ويكون فيها مكان لثانمئة في الدرجة الاولى و٤٥٠ في الدرجة الثانية و٢٥٠ في الدرجة الثالثة ولا يكون فيها مكان للشحن فيكون دخلها كلهُ من الركاب والبريد . ثم استنتجت انهُ يستحيل بناء سفينة مثل هذه ولذلك لا تقطع المسافة بين اوربا واميركا في اربعة ايام الاَّ اذا أُبدلت الآلات البخارية المستعملة الآن في السفن بآلات اخرى اشد منها فعلاً واعتمد على التربين بدل اللولب فان السفن الصغيرة التي وضع فيها التربين سارت اكثر من اربعين ميلاً في الساعة

سكان الولايات المتحدة

احصي سكان ولايات المتحدة الاميركية هذا الصيف فبلغ عددهم ٧٦٢٩٥٢٢٠ اي اكثر من ٧٦ مليونًا وربع مليون من النفوس وكانوا منذ عشر سنوات ٦٣٠٦٩٧٥٦ فيكونون قد زادوا في عشر سنوات ١٣ مليونًا ونحو ربع مليون او ٢١ في المئة فالزيادة السنوية اكثر من ٢ في المئة ولذلك سيتضاعف سكان هذه الولايات كل نحو خمسين سنة . والمدن الكبرى فيها ثلاث وهي نيويورك باضافة بركلن اليها وعدد سكانها ٣٤٣٧٢٠٢ فهي ثانية لندن وشيكاغو وعدد سكانها ١٦٩٨٥٧٥ وفيلادلفيا وعدد سكانها ١٢٩٣٦٩٧

وصل مراكش باوربا

اشار المسيو برينه المهندس الفرنسوي ان يحفر سرب تحت بوغاز جبل طارق يصل بين اسبانيا ومراكش . ولما لم يجد لهُ عضداً من الجمهورية الفرنسوية رأى ان يعرض هذا المشروع على الجمهور ويطلب الاكتتاب فيهِ وبعث الى سلطان مراكش يستميل به حاسبًا انهُ اذا مُدَّت سكك الحديد في مراكش صارت من اغنى الممالك . نقول وهذا صحيح ولكن لا يكون غناها لاهلها الاَّ اذا مدوا سكك الحديد من مالهم اما اذا استدانوا مالاً من اوربا ربحوا من جهة وخسروا من اخرى لان المديون عبد الدائن

اكتشاف صورتين

زار رئيس مدرسة التصوير في البندقية رجلاً فقيراً في بيتهِ فرأى عندهُ صورتين نسجت عليهما عناكب النسيان فنظر فيهما مليًّا فوجدها من تصوير المصورين الايطاليين فاشتراها من صاحبهما بعشرين جنيهاً ثم نظفهما مما عليهما من الاوساخ فاذا الواحدة منها من تصوير تشيان والثانية من تصوير بسانو ولا يبعد ان يبيعها بالفي جنيه او اكثر

العمى بالكهربائيَّة

ذكرت جريدة السينتفك اميركان ان صندوقاً من صناديق الحديد التي توضع فيها النقود أُقفل وتعذَّر على صاحبهِ فتحهُ فخطر لهُ ان يذيب مفصلاتهِ بالكهربائيَّة فاستعان برجل آخر ووصلا السلك الكهربائي بقطعتين من الكربون وجعلا يدنيانهما من مفاصل الصندوق حتى اذاباها وفجاءهُ لكن النور الكهربائي بهر اعينهما فشعرا بصداع شديد ثم ذهب بصرهما في وقت واحد . وظاهر اعينهما سليم ولكنهما لم يعودا يريان شيئاً .

ذهب المصريين القدماء

حلَّل المسيو برتلو الكيماوي الكبير شذوراً من الذهب اعطاهُ اياها المسيو مسبرو مما وجد في المدافن المصرية فوجد في الشذور التي من عهد الدولة السادسة من الدول المصرية ٣ر٩٢ في المئة من الذهب و ٢ر٣ في المئة من الفضة و ٥ر٤ في المئة من المواد الالية ونحوها . وفي الشذور التي من عهد الدولة الثانية عشرة ٥ر٩٠ في المئة من الذهب و٥ر٤ في المئة من الفضة و ٥ في المئة من المواد الآلية وغيرها . واما الشذور التي من عهد الفرس فذهب صرف والظاهر ان المصريين لم يعرفوا كيفية تخليص الذهب من الفضة الاَّ بعد ايام الدولة الثانية عشرة او في ايام الفرس

البن في افريقية

زرع احد المرسلين بزوراً قليلة من البن في بلاد اوغندا منذ بضع سنوات فوجد البلاد صالحة لهُ ومن ثم اخذت زراعتهُ تنتشر في تلك الديار حتى صدر منها في العام الماضي مئة طن من البن ويقال ان بنها جيد يضاهي بن مخا العربي او يفوقهُ

صمغ زنجبار

في بلاد زنجبار شجر لهُ ثمر كبير شكلهُ مثل الخوخ لكنهُ اكبر منهُ كثيراً يخرج من ساقهِ اذا جرحت عصار لبني اذا وضع في الماء الغالي جمد ثم اذا برد صار صلباً جداً كالكتابرخا ويقال انهُ يمكن استعمالهُ في ما يستعمل لهُ الكتابرخا وشجرهُ كثير جداً في زنجبار

انواع النبات

لما قام لينيوس النباتي الشهير ووضع علم النبات في اواخر القرن الثامن عشر كان عدد الانواع المعروفة من النبات عشرة آلاف نوع

ومن ثم الى الآن والعلماء يكتشفون انواعاً جديدة حتى بلغ عددها الآن ١٧٥٥٩٦ على ما قرَّرهُ الاستاذ ڤينس في مجمع ترقية العلوم البريطاني

سرطان كبير

وجد سرطان في مياه تسمانيا ثقلهُ ثلاثون رطلاً اي نحو ١١ اقة واكبر سرطان وجد هناك حتى الآن ثقلهُ ٢٢ رطلاً

غذاء القطن

حسب المستر فودن في مجلة الجمعية الزراعية ان غلة القطن في السنة تأخذ من الفدان الواحد نحو ٥٤ رطلاً من النيتروجين و١٩ رطلاً من الحامض الفصفوريك و٤٠ رطلاً من البوتاسا هذا اذا بلغت غلة القطن خمسة قناطير او ستة . وان في الفدان من الارض الى عمق ٢٥ سنتمترًا فقط ٣٠٠٠ رطل من النيتروجين و٣٠٠٠ من الحامض الفصفوريك و٦٠٠٠ رطل من البوتاسا . ولكن هذه المواد لا تكون كلها في حالة صالحة لان يتغذى النبات منها والصالح منها للتغذية قليل جدًّا لكنهُ يزيد بالحرث وحسن الخدمة

لبن الجاموس

وجد المسيو پاپل مدير المعمل الكيماوي الخديوي ان في لبن الجاموس نحو ١٠ في المئة من السمن وان السمن في لبن الصباح اكثر منهُ في لبن المساء . واقل مقدار من السمن في لبن الجاموس ٥ ونصف في المئة وهو اكثر من السمن الذي يكون في لبن البقر الاوربية . والجبن والسكر كثيران ايضاً في لبن الجاموس . الاَّ ان اللبن الذي يباع في الاسواق عادةً لا يحتوي الاَّ قليلاً من السمن لان الباعة يخرجون قشدتهُ قبل بيعهِ والغالب انهم لا يكتفون باستخراج القشدة بل يمزجونهُ بالماء وقد يبلغ الماء الذي يمزج بهِ من ثلاثين الى خمسين في المئة . ولا يقتصر الضرر على ذلك ولكن الماء الذي يمزج بهِ اللبن لا يكون نقياً بل يكون مشحوناً بالميكروبات حتى ان اغلاء اللبن لا يكفي لتنقيتهِ منها ولا سيما اذا سقي للاطفال

لون البذار ونوعهُ

حقق المستر لتنن من اساتذة المدرسة الزراعية المصرية ان اللون الاصفر في القمح رديء وكذلك الذهبي في الشعير والاسمر القاتم في الفول . وزرع البرسيم فوجد انهُ ينبت ٩٦ في المئة مما لونهُ اخضر ضارب الى الصفرة و٨٢ في المئة فقط مما لونهُ اسمر و٩٤ في المئة مما لونهُ متوسط بين هذين الاثنين . فكلما كان البزر ضارباً الى البياض كان اصلح للبذار

تراب القصفات في مصر

التراب الذي فيهِ فصفور سماد جيد للارض ولا سيما اذا كان مما يذوب . ويظهر

مما كتبهُ المستر بارون من قلم المساحة الجيولوجية ان بين اسنا وقنا ارضاً غنية بالمواد الفصفورية من عظام الحيوانات القديمة الباقية فيها وقد حللت عينات أُخذت من شرقي قفط فوجد فيها ٢٢ ونصف في المئة من الحامض الفصفوريك وذلك بمثابة ٤٩ في المئة من فصفات الكلسيوم الثالث . وقد ابان الدكتور هيوم ان هذه الاتربة الفصفورية تمتد الى عشرين ميلاً من قنا وهي موجودة ايضاً في كل السهل من اقصر الى دراو وتمتد حتى الواحات الداخلة وعليهِ ففي القطر المصري سماد فصفوري لا يقدَّر وليس من الحكمة ان يعالج بزيت الزاج حسب طريقة السرجون لوز التي اشرنا اليها في ترجمتهِ في هذا الجزء لان الفصفور فيهِ غير كثير بل يكفي ان يسحق سحقاً ناعماً ويضاف الى الارض كما هو فيكون منهُ سماد جيد لها ولا سيما اذا اريد زرع الحنطة فيها

القطن المصري

يختلف المقدرون في تقدير موسم هذا العام بين اربعة ملايين ونصف مليون قنطار وخمسة ملايين وربع . والظاهر ان موسم اميركا لا يزيد على تسعة ملايين بالة ونصف مليون الى عشرة ملايين بالة على الاكثر ولذلك ارتفعت اسعار القطن المصري بعد هبوطها ومضى اكثر نوفمبر وسعر القطن العفيفي من ٣٤٠ الى ٣٧٠ وسعر القطن العباسي من ٤٠٠ الى ٤٥٠ . والموسم غير جيد من حيث نوعهُ ولكن قلة محصولهِ ومحصول القطن الاميركي وقلة المتأخرات من العام الماضي دعت الى ارتفاع ثمنهِ الى هذا الحد

الوقت المصري

اقرَّت الحكومة المصرية على ان يكون الوقت فيها متبعاً على وقت غرينوتش ببلاد الانكليز ثلاثين درجة من الطول اي ساعتين فقط . وجرت على ذلك من اول سبتمبر الماضي فيعتبر الظهر في القاهرة والاسكندرية وكل مدن القطر المصري الآن قبل الظهر في مرصد غرينوتش بساعتين

النظارات الشهيرة

النظارات اما كاسرة فيها بلورة تجمع النور واما عاكسة تجمع النور بمرآة مقعرة واكبر النظارات الاولى

نظارة معرض باريس		قطر بلورتها	٥٠ عقدة
〃 باركس باميركا	〃 〃	٤٠	〃
〃 لك	〃 〃 〃	٣٦	〃
〃 بلكوى بروسيا	〃 〃	٣٠	〃
〃 نيس بفرنسا	〃 〃	٢٩,٩	〃
〃 باريس	〃 〃	٢٨,٩	〃
〃 كرينوتش بانكلترا	〃	٢٨	〃
〃 فينا بالنمسا	〃 〃	٢٧	〃

واكبر النظارات ذات المرآة العاكسة

نظارة الورد روص قطر مرآتها ٦ اقدام
" الدكتور كمون " " ٥ "
" ملبرن " " ٤ "
" باريس " " ٤ "

الجبن السليم

حاول كثيرون عمل الجبن من اللبن المعقم اي الذي ماتت منهُ كل الميكروبات التي فيهِ فلم يفلحوا ثم ان كيماويًا من اهالي استكهلم اكتشف مادة تجبن اللبن المعقم وسمي الجبن المصنوع بهذه المادة كسيولاً وهو طيب الطعم سهل الهضم خالٍ من جراثيم السل وغيرها من الجراثيم المرضية

جوائز علمية

اعطي الاستاذ غراسي جائزة بالي فاليه وهي ثلاثة آلاف فرنك جزاء اكتشافهِ علاقة البعوض بالحمى الملارية والدكتور يارسن جائزة اوديفرد وهي خمسة عشر الف فرنك لاكتشافهِ طعم الطاعون

النيل

اخذ ماء النيل يهبط كثيرًا في اعاليهِ واذا استمرَّ على ذلك خيف ان يكون العام المقبل مثل العام الماضي من حيث قلة الوفاء

ديوان الشهرة

وهبت مسز هيلانة غولد الاميركية مئة الف ريال لانشاء ديوان يسمى ديوان الشهرة تكتب على اعمدتهِ اسماء مئة من اشهر الاميركيين في السياسة والعلم والادب والاختراع فاختير من رجال السياسة كثيرون مثل وشنطون ولنكلن وغرانت وجفرسن ومن رجال العلم اوديبون وغراي وفرنكلين ومن رجال الادب وبستر وامرسن ولنغفلو ومن المخترعين مورس وهوتني وهو . وستزاد هذه الاسماء عشرين اسمًا سنة ١٨٠٢ وخمسة اسماء كل سنة بعدها تخليدًا لذكر العظماء

تلغراف مركوني

اتفقت شركة تلغراف مركوني مع نظارة البحرية الانكليزية على تقديم الآلات اللازمة لاثنتين وثلاثين سفينة ومحطة على شرط ان هذه الآلات تكفي لارسال الانباء البرقية مسافة ٦٥ ميلاً في البر وتسعين ميلاً في البحر. وقد جرب بعض هذه الآلات فوفى بالغرض

الصناعة في الصين واليابان

وصف بعضهم مصنوعات الصين في المجلة الشهرية الانكليزية فقال ان اليابانيين من امهر الناس في الفنون ولا يفوقهم الاَّ الصينيون فان تماثيلهم النحاسية تماثل ابدع الصور التي صوَّرها اشهر مصوري اوربا واجمل التماثيل التي صنعها نحَّاتوها ولم يفقهم احد من اهالي اوربا في سبك التماثيل حتى الآن . ومصنوعاتهم في الخزف الصيني تدلُّ على انهم كانوا ارباب صناعة التلوين والتزويق منذ قرون كثيرة حتى صار ذلك ملكة فيهم لا تماثلهم فيهِ امة من الامم ولا الامة اليابانية

فهرس الجزء الخامس من المجلد الخامس والعشرين

المقتطف

الجزء السادس من المجلد الخامس والعشرين

١ دسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٠٠ — الموافق ٩ شعبان سنة ١٣١٨

عشرون عاماً على مصر

زرنا الديار المصرية منذ عشرين عاماً فرأينا اهلها ينظرون الى الشام نظر المعجب بنجاحهِ المتقدّ رلهُ قيادة الامم الشرقية ويتمنّون ان يقتدوا بهِ وينسجوا على منوالهِ . ولم نكن اقل منهم اعجاباً ببلاد الشام ولا كنا رأينا بارقةً من بوارق الفشل التي توالت عليها بعد حين . ثم اصطدمت المصالح الوطنية بالمصالح الاجنبية في هذا القطر على ما اعتادهُ منهُ منذ الوف من الاعوام وتجسّمت السيادة المعنوية التي كانت لاوربا فيهِ بما اقرضتهُ اياهُ من الاموال فصارت حسيةً وحاول التملّص منها آونة بعد اخرى وهي تزيد استحكاماً الى ان قبض المصلحون على اداراتهِ كلها وادارروها بما يعهد فيهم من الحنكة واصالة الراي فارتقت ارتقاء قلّما يعهد لهُ مثيل في تواريخ الامم . وهاك خلاصة الدلائل الكثيرة على هذا الارتقاء

عدد السكان — أُحصي سكان القطر المصري سنة ١٨٨٢ فوجد عددهم ٦٨١٣٩١٩ نفساً وأُحصوا سنة ١٨٩٧ فوجد عددهم ٩٧٣٤٤٠٥ اي بلغت زيادتهم السنوية نحو ٣ في المئة . ولا مثيل لهذا النمو الاَّ في الولايات المتحدة الاميركية منذ مئة عام حينما كان سكانها يزيدون نحو ثلاثة في المئة كل سنة من المواليد والمهاجرة معاً . وعليهِ فقد كان عدد سكان هذا القطر منذ عشرين عاماً ستة ملايين وستمئة الف نفس وهو الآن في ختام القرن التاسع عشر عشرة ملايين وخمسمئة الف نفس واذا استمرت الزيادة على هذا النمط ضاق القطر بسكانهِ فاضطروا ان يعمروا رحاب السودان ايضاً

دخل الحكومة — للحكومة المصرية نوعان من الدخل الواحد دخلها كحكومة تدير شؤُون شعبها والثاني دخلها كشركة تجارية تدير بعض الاعمال الكبيرة التي تديرها الشركات التجارية

في البلدان الاخرى. ودخلها الآن كحكومة من الضرائب ونحوها ٩١٧ ٣٦٥ ٨ جنيهاً وكان منذ عشرين عاماً ٨٤٩ ١٧٩ ٧ جنيهاً اي ان الضرائب زادت نحو العشر فقط مع ان عدد السكان زاد اربعة اعشار وهذا دليل قاطع على ان الحكومة ساعية الى تخفيف وطأتها عن عاتق الاهالي. وقد كان ما يدفعهُ كل نفس من سكان القطر منذ عشرين عاماً مئة وعشرة غروش ونصف غرش اما الآن فما يدفعهُ كل نفس لا يبلغ ٨٢ غرشاً. واذا اضيف الى دخل الحكومة من الضرائب دخلها من مصالحها الاخرى كمصلحة سكة الحديد بلغ مجموع دخلها في السنة ١١ مليوناً و٢٠٠ الف من الجنيهات

واكثر دخلها من اموال الاطيان. وقد كانت مساحة الاطيان الزراعية منذ عشرين عاماً ٨٣٩ ٤٧١٥ فداناً وكانت اموالها ٢٧٠ ٤٩٨٩ جنيهاً اي كان متوسط ما تجبيهِ الحكومة عن كل فدان مئة وستة غروش. وتبلغ مساحتها الآن ٨٠٠ ٥٤٩٥ فدان. وتبلغ اموالها ٩٤٢ ٤٥٩٣ جنيهاً اي نحو ٨٣ غرشاً عن كل فدان. وكذلك قلَّ المال الذي تجبيهِ عن النخيل فكان ٧٢٧ ١١٤ جنيهاً منذ عشرين سنة وهو الآن نحو ١٠٣ آلاف جنيه فقط. اما عوائد المنازل فزادت بزيادة العمارة فقد كانت نحو ٥٨ الف جنيه وهي الآن نحو ١٣٨ الف جنيه. واكثر زيادة الدخل من الجمارك فقد كان دخلها نحو ٧٢٧ الف جنيه فصار الآن مليونين ونحو ٩٠ الف جنيه نصفها من رسوم الدخان والنصف الآخر من رسوم سائر البضائع الواردة الى القطر المصري والصادرة منهُ. وكانت رسوم الدخان منذ عشرين سنة نحو ٦١ الف جنيه فقط فصارت الآن مليوناً و٦٨ الف جنيه فكأن الحكومة فرضت ضريبة على شاربي الدخان لا تقلُّ على مليون جنيه في السنة. ومن شاء ان ينفق على ملذاتهِ لا تبهظهُ النفقات

نفقات الحكومة — زادت نفقات الحكومة المصرية كما زاد دخلها فهي الآن نحو عشرة ملايين من الجنيهات وكانت منذ عشرين عاماً نحو ثمانية ملايين ونصف مليون واكثر هذه الزيادة فيما ينفع البلاد ويعود على سكانها بالفوائد الجمة. اما ما لا فائدة لها منهُ كربا الدين والجزية التي تدفع الى الدولة العثمانية فقل بعض الشيء كانا سنة ١٨٨١ نحو اربعة ملايين وستمئة الف جنيه وبلغا سنة ١٨٨٠ خمسة ملايين و١٥٥ الف جنيه فصارا الآن اربعة ملايين و٣٦٥ الف جنيه اي نقص ربا الدين نحو ثمانمئة الف جنيه في ١٦ سنة وذلك بتحويل الديون وايفاء البعض منها. وهاك تفصيل الفروع التي زادت نفقاتها

المعارف العمومية — كان مربوط نظارة المعارف في العام الماضي ١٠٦ آلاف جنيه وكان منذ عشرين عاماً ٥٦١ ٥٣ جنيهاً ثم زيد سنة ١٨٨٣ وجعل ١٠٣ آلاف جنيه لكنهُ هبط

بعد ذلك حتى بلغ ٦٢٩٧١ جنيهاً فقط سنة ١٨٨٧ وليس العبرة بما تنفقهُ الحكومة على مدارسها بل بعدد التلامذة وما ينفقهُ اهلهم على تعليمهم فقد كان عددهم منذ عشرين سنة نحو خمسة آلاف تلميذ وهم الآن اكثر من عشرة آلاف ولم يكن اهاليهم يدفعون شيئاً من اجرة تعليمهم فصاروا يدفعون الآن ثلاثين الف جنيه في السنة وزاد عدد المعلمين من ثلاثمئة الى اكثر من سبع مئة . والرغبة في المدارس الخارجة عن ادارة الحكومة لا تقلُّ عن الرغبة في مدارس الحكومة والمرجَّح انها تزيد عليها

الاشغال العمومية — زادت نفقات نظارة الاشغال العمومية نحو مليون جنيه في السنة وهذا تفصيلها ٤٠٠ الف جنيه لالغاء العونة (السخرة) و٤٠٠ الف جنيه اخرى للترع والمصارف و١٦١ الف جنيه للمباني العمومية كالمستشفيات والمدارس و٣٠ الف جنيه للسكك الزراعية. والغاء السخرة وفتح الترع والمصارف من انفع الاعمال التي عملتها الحكومة المصرية لسكان هذا القطر ولا نبالغ اذا قلنا انهم يجنون منها سنوياً اضعاف ما تنفقهُ الحكومة عليها. اما السخرة فمن الغائها ربح مالي للسكان يقدَّر بثلاثة اضعاف ما تنفقهُ الحكومة على الغائها وربح ادبي لا يقدَّر بمال واما الترع والمصارف فيكفي لاظهار فوائدها ان مساحة الارض الزراعية زادت بها اكثر من سبع مئة الف فدان واطياناً كثيرة لم يكن الفدان منها يساوي عشرة جنيهات فصار يساوي الآن اربعين او خمسين جنيهاً

سكك الحديد — بلغ دخل سكك الحديد في العام الماضي ٢١١٢٠٦٥ جنيهاً ونفقاتها ٩٥٠٤٢٩ وكان دخلها منذ عشرين عاماً ١٢٠٤٩٨٢ ونفقاتها ٤٥٤٨٤٨ جنيهاً فزادت النفقات نحو خمس مئة الف جنيه ولكن الدخل زاد نحو تسع مئة الف جنيه. وبلغ عدد الركاب في العام الماضي احد عشر مليوناً و ٢٨٤ الف نفس وزنة البضائع المنقولة ثلاثة ملايين طن وكان عدد الركاب منذ عشرين سنة ثلاثة ملايين و ٨٦ الفاً وزنة البضائع مليوناً و١٤٣ الف طن فزاد عدد الركاب ثلاثة اضعاف وزنة البضائع نحو ضعفين واما النفقات فزادت ضعفاً واحداً

التلغراف — كانت اجرة كل عشر كلمات او كسر منها خمسة غروش بين الاسكندرية والقاهرة وعشرة غروش بين الاسكندرية واسيوط و ١٥ غرشاً بين الاسكندرية واصوان و٢٠ غرشاً بين الاسكندرية وحلفا و٢٥ غرشاً بين الاسكندرية ودنقلة و ٣٠ غرشاً بين الاسكندرية وبربر و ٣٥ غرشاً بين الاسكندرية والخرطوم . وعُمل بهذا النظام الى آخر سنة ١٨٨٧ ثم جُعلت اجرة الكلمات العشر الاولى خمسة غروش في القطر المصري كلهِ واجرة كل كلمة فوقها نصف غرش ومنذ سنة ١٨٩١ جعلت اجرة كل كلمتين نصف غرش حتى وادي

حلقا ثم تتضاعف الاجرة الى ما فوق حلقا . وكان دخل مصلحة التلغرافات منذ عشرين سنة ٤١٠٧١ جنيهاً ونفقاتها ٣٦٦٠٨ جنيهات وطول الخطوط التلغرافية ٥٤٢٩ جنيهاً وعدد التلغرافات المرسلة في السنة ٦٥٩١٢٦ فبلغ دخلها في العام الماضي ٥٩٤٤٨ جنيهاً ونفقاتها ٤٤٠٠٠ جنيه وطول الخطوط التلغرافية ٩٣٢٤ وعدد التلغرافات ٢٩٩٤٣٣٢ اي زاد عدد التلغرافات اربعة اضعاف ولم يزد المال الذي دفعهُ السكان اجرةً لها الاَّ اقل من خمسين في المئة

البريد — كان دخل مصلحة البريد منذ عشرين عاماً نحو ثمانين الف جنيه ونفقاتها نحو سبعين الف جنيه وعدد المراسلات الداخلية اقل من ثلاثة ملايين والخارجية ٨٣٧ الفاً فبلغ دخلها في العام الماضي ١٢٩٨٧٤ جنيهاً ونفقاتها ١٩٨٢٠٨ وعدد المراسلات الداخلية نحو ١٣ مليوناً والخارجية مليونين و٦٥٩ الفاً فزاد عدد المراسلات الداخلية اكثر من ثلاثة اضعاف والخارجية اكثر من ضعفين ولم تزد النفقات ضعفاً واحداً . ولم يزد الدخل كثيراً لان اجرة المراسلات الداخلية نقصت النصف منذ سنة ١٨٩٠

هذا بعض ما نسطرهُ بمداد الشكر للرجال الذي بذلوا الجهد في اصلاح ادارة هذا القطر ولكن اذا ذكرنا اسماءهم واحداً واحداً وتحققنا نصيب كلٍ منهم من هذا الاصلاح لنعلم مقدار الحياة القومية التي بدت من الامة المصرية في هذه الاعوام العشرين لم نجد ما يسرُّ الصديق . ولا تدلُّ دلائل الحال على ان الامة المصرية معتمة بفتح احضانها للذين يهاجرون الى بلادها من رجال الجد والاجتهاد اوربيين وغير اوربيين حتى يمتزجوا بها و يصيروا اعضاء حية في بنائها كما فعلت بجمهور الاتراك والشراكسة الذين هاجروا اليها منذ اربعين عاماً فاكثر. ولا هؤلاء المهاجرون من الاوربيين وغيرهم راغبون في هذا الامتزاج كما يرغب فيهِ امثالهم من نزلاء الولايات المتحدة الاميركية مثلاً وعليهِ فجمهور كبير من رجال هذا الاصلاح يحسبون اجانب عن القطر المصري ولو انتظموا في حكومتهِ واقاموا فيهِ السنين الطوال

لكن اذا لم يجد الصديق ما يسرُّهُ من هذا القبيل وجد من قبيل آخر من ارتقاء شؤون الامة بنوع عام فاصحاب الاطيان يجنون منها اليوم اكثر مما كانوا يجنون منذ عشرين عاماً او ثلاثين وجمهورهم وجمهور الفلاحين يعرف الآن ما لهُ فيتقاضاهُ وما عليهِ فيوفيهِ ولا يصبر على الضيم ولو من مدير او وزير . وقد شيدت اركان الامن وحفظت الصحة العمومية وارتفعت اثمان الاطيان لكثرة النقود في ايدي الناس . واهتمَّ الخاصة والعامة بتعليم ابنائهم بل بتعليم بناتهم ايضاً ودلائل الارتقاء بادية في كل انحاء هذا القطر

رحلة دوق ابروزي

كثيرًا ما تجشَّم اهل السياحة المشاق واقتحموا الاخطار وعرَّضوا انفسهم لموت الزؤام لاجل الوصول الى القطب الشمالي . ولهم من ذلك غرضان الواحد علمي والآخر تجاري . اما الغرض العلمي فمداره الوقوف على احوال تلك الاصقاع الجرداء التي كستها الثلوج فلم تبقِ فيها من انواع الحيوان غير ذوات الفرو الكثيف او الدهن الكثير حتى تجد من كسائها الطبيعي واقيًا يقيها صبارَّة القر . واما الغرض التجاري فاكتشاف طريق يصل بين شمالي اوربا واقاصي المشرق حتى ترسل المتاجر فيهِ بدلاً من ارسالها في طريق السويس او حول افريقية . والى الآن لم يبلغوا هذا الغرض ولن يبلغوهُ لانهم لم يجدوا بحرًا خاليًا من الجليد حول القطب كما ظنوا لكنهم بلغوا كل ما راموهُ علميًّا اي انهم عرفوا اكثر الظواهر الجوية والحوادث الطبيعية التي تحدث في الاقطار القطبية

واشهر الرحلات الحديثة التي قُصد بها البلوغ الى القطب الشمالي رحلة باير الذي تمكن هو ورجالهُ سنة ١٨٧٤ من الوصول الى الدرجة ٨٢ من العرض الشمالي اي بقي بينهم وبين القطب ثماني درجات او نحو ٤٥٠ ميلاً . وسنة ١٨٧٦ وصل ماركهام الى الدرجة ٨٣ والدقيقة ٢٥ . وسنة ١٨٩٥ وصل نانسن الى الدرجة ٨٦ والدقيقة ١٤ . وقد وصل رجال دوق ابروزي هذا العام الى الدرجة ٨٦ والدقيقة ٣٣ فلم يبقَ بينهم وبين القطب الشمالي سوى ثلاث درجات و ٢٧ دقيقة اي نحو مئتي ميل . وهاك تفصيل هذه الرحلة ملخصًا مما كتبهُ الدكتور اولندو ملاغودي في مجلة الستراند الانكليزية

كان للسفينة ستلاً بولاري (اي نجمة القطب وهي التي سار فيها دوق ابروزي) وداع حافل يوم ابحرت من مرفإِ كرستيانا عاصمة بلاد نروج في الثاني عشر من شهر يونيو سنة ١٨٩٩ قاصدةً اقاصي الشمال . ابحرت واعلام المدينة تخفق لها ومدافعها تدوي لوداعها والجماهير الكثيرة تدعو لها بالسفر الميمون والعود القريب . وكان بين المودّعين الدكتور نانسن الرحالة الشهير فوقف يزف الى الراحلين نصائح الخبير المجرّب ويقوي عزائمهم ويشجعهم على اقتحام الاهوال وكان يكلمهم كمن هو واثق بنجاح رحلتهم وعودهم سالمين غانمين

اما الخطة التي كان دوق ابروزي ينوي اتباعها فلم يكن احد يعرفها غير رجالهِ وقد اسرُّوها لكي لا تصل الى اصحاب الصحف السيارة فيكثر اللغط فيها والايهام بها . وكان معهُ عشرة من الايطاليين وعشرة من النروجيين الآن اعتادهُ كان على الايطاليين ولم يأخذ النروجيين معهُ

الاَّ لاعتيادهم السفر في البحار الشمالية . وهو ابن دوق اوستا الذي تولَّى عرش اسبانيا من سنة ١٨٧٠ الى سنة ١٨٧٥ وابن عم ملك ايطاليا الحالي . طويل القامة نحيف الجسم قليل الكلام لهُ ولع شديد باقتحام المخاطر اذا كان من اقتحامها نفع ما ولاسيما اذا كان النفع علميًّا . يلقبهُ اخوهُ بالعضو العلمي في آل سافوى . درس في مدرسة ليفورنو الحربية ولما اتمَّ دروسهُ طاف في البلدان يدرس اخلاق اهلها وعاداتهم واكثر من الصعود الى قمم الجبال العالية الى ان صعد الى قمة جبل مار الياس في اقاصي اميركا الشمالية بعد ان تعذَّر على غيره البلوغ اليها كما ذُكر في الصفحة ٧٩٤ من المجلد الحادي والعشرين من المقتطف

والسفينة من سفن الصيد استعملها نانسن في رحلتهِ الاولى الى غرينلندا وقد مضي عليها سبع عشرة سنة تمخر في البحار لصيد الحيتان الشمالية فابتاعها دوق ابروزي ووكل اصلاحها الى رجل ماهر ببناء السفن فاصلحها وقوَّاها على احتمال ضغط الجليد وسميت نجمة القطب . طولها ١٥٠ قدماً وعرضها ٣١ قدماً وعمقها ١٦ قدماً وحمولها ٤٩٥ طنًّا وفيها سوارٍ عالية وشراع واسع وآلة بخارية صغيرة تسير بها خمسة اميال في الساعة ولكنها لا تستعمل الاَّ عند الحاجة الشديدة اذ لاسعة فيها للفحم الكثير . وبني على ظهرها بيت كبير يسع ١٢٠ كلباً من الكلاب التي تجر المزالق على الجليد وغرف واسعة للضباط . وقد جمع فيها دوق ابروزي كل ما يحتاج اليهِ من الزاد والادوات اخذ الاطعمة والخمور من ايطاليا والآلات من المانيا والثياب المشمعة من انكلترا والفراء من روسيا ورأَى كل شيءٍ بنفسهِ حتى اذا رآهُ نانسن يفعل ذلك قال هذا شأْن من يفلح في امره ولا يكل اعمالهُ الى غيره . وكان الزاد كثيرًا يكفي من في السفينة اكثر من ثلاثة اعوام وهو وسائر المواد في الف وخمس مئة صندوق والصناديق صغيرة حتى يستسهل الرجل حمل الواحد منها . وهي اربعة انواع حسب المواد التي فيها تمتاز بما عليها من الخطوط فصناديق الزاد خطوطها سوداء وفي كل صندوق منها شيءٌ من كل انواع الزاد كالخبز واللحم والخضر والاشربة حتى اذا ضاع بعضها لا يكون فيهِ ما ليس في غيره . وقس على ذلك صناديق الثياب وصناديق الادوات وصناديق الالعاب . والغرض من الالعاب كالشطرنج والنرد ونحوهما تسلية البحارة في الشتاء حتى لا يملوا ولا يسأموا .

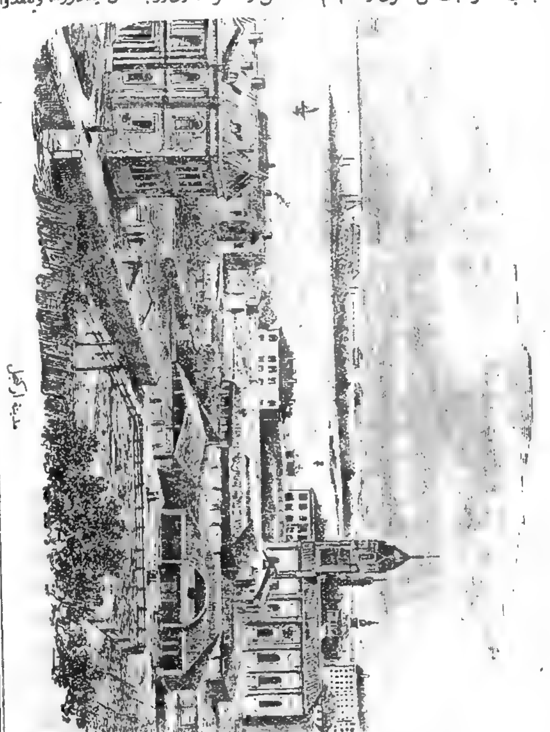
وكان غرض نانسن في رحلتهِ الاخيرة ان يصل الى القطب الشمالي بسفينتهِ معتمدًا على مجرى الجليد الذي اكتشفهُ وحسب انهُ يجري بسفينتهِ من سيبيريا الى غرينلندا فتمر على القطب الشمالي . فجرى الجليد بها كما قدَّر لكنهُ لم يمرَّ بها على القطب الشمالي بل بقيت بعيدة عنهُ فاضطرَّ ان يركب المزالق و يسير الى القطب على الجليد فبلغ الدرجة ٨٦ والدقيقة ١٤ من العرض

الشمالي كما تقدَّم. اما دوق ابروزي فلم يعتمد على مجرى الجليد بل عزم ان يصل الى القطب في المزالق واخذ السفينة معهُ ليصل بها الى ابعد ارض يسهل عليهِ الوصول اليها فيتركها هناك ويرسل منها بعثات الواحدة بعد الاخرى ويبعث معها زاداً تضعهُ في الطريق فكل بعثة تمهد السبيل للتي بعدها وتضع لها الزاد في طريقها الى ان تصل البعثة الاخيرة الى القطب. وتدرس كل بعثة احوال البلاد التي تصل اليها حتى يكون اختبارها مرشداً للبعثة التي تليها

وقامت نجمة القطب في الثاني عشر من شهر يونيو كما تقدم وبلغت مدينة اركنجل على سواحل روسيا في غرة يوليو ومن هناك اخذت المئة والعشرين كلباً المعدَّة لهذه الرحلة وكان الغران دوق فلادمير الروسي قد جاء الى اركنجل ليودع دوق ابروزي فودعهُ واقلعت السفينة من هناك في ١١ يوليو فبلغت راس فلورا في جزيرة فرنز جوزف بعد عشرة ايام ووجدت هناك كوخاً بنتهُ بعثة جكسن الرحالة وكتبت عليهِ ان كل المكاتيب التي توضع فيهِ تعود بها سفينة الصيد كابلاً الى اوربا حينما تمر من هناك في اواسط اغسطس. فوضع الدوق في ذلك الكوخ زاداً يكفي رجالهُ ثمانية اشهر حتى اذا اضطروا ان يعودوا من ذلك الطريق وجدوا فيهِ طعاماً لهم ثم سار بسفينتهِ قاصداً دخول الخليج القطبي الانكليزي وبعد عناء شديد خرقت السفينة الجليد وسمكهُ خمسة وسبعون سنتيمتراً ووصلت الى بحر لا جليد فيهِ. والتقت هناك بسفينة الصيد كابلاً وفيها ولمن الرحالة الاميركي وقد كسرت ساقهُ وفقد البعض من رفاقهِ. وبعث من في نجمة القطب مكاتيبهم مع الكابلاً وفي جملتها كتاب من دليل اسمهُ بتيغاس يقول فيهِ تمرُّ بنا الايام والاسابيع سراعاً والبرد معتدل فقلما يهبط الترمومتر تحت الصفر وامس اشرقت الشمس ببهائها فانعكس الجليد من اشعتها ما يبهر الابصار. وقد قويت سفينتنا على مقاومة هجمات الجليد وهي تمخر فيهِ وتشقهُ ولو كان ثخنهُ اربع اقدام واذا كان ثخنهُ اكثر من ذلك وعجزت عن شقهِ اطلقنا لها البخار فتثب فوقهُ وتكسرهُ كسراً مسافة اربعين متراً او خمسين ولا يفارق الدوق مرقب السفينة وقد لا ينزل لتناول الطعام ولا يدع فرصةً للتقدُّم الاَّ غنمها ونحن نسرُّ بذلك لانهُ على قدر تقدُّمنا هذا العام يقل تعبنا في العام المقبل"

وظلت نجمة القطب سائرة الى ان بلغت الدرجة ٨٢ والدقيقة ٥ من العرض ولم تبلغ سفينة اخرى هذا المدى في البحر وقد جازتهُ سفينة نانسن لكنها سارت محمولة بالجليد. ثم عادت نجمة القطب من هناك لانها لم تجد مرفأً تقيم فيهِ الى ان وصلت الى حيث الدرجة ٨١ والدقيقة ٤٧ وهناك توالت عليها الكوارث فاجتمع الجليد حولها وتكاثف وضغط عليها ضغطاً شديداً حتى كاد يسحقها ثم وقعت عليها قطعة كبيرة منهُ فكسرت جانبها وللحال جعل الماء

يدخل من الكسر حتى حسب من فيها انها غارقة لا محالة ثم تحرَّك الجليد فادارها واما لها على الجانب الآخر فنجت من الغرق ولكنها لم تعُد تسكن واضطرَّ الدوق ورجاله ان يغادروها ويفقدوا



مدينة اركنجل

كل ما اعدوهُ فيها من وسائل الراحة والدفء ويخيموا على الجليد في ذلك الزمهرير . وكان معهم خيمتان فنصبوهما وغطوهما بشراع السفينة ووضعوا بينهما موقداً يطبخون عليهِ ويستدفئون

منهُ وكان مع كلٍّ منهم دثار من جلد الذئب الطويل الصوف فلم يقرهم البرد مع انهُ كان قارساً جدًّا ولاسيما في الليلة الاولى فجلد بهِ كل شيءٍ حتى الجزم . وبنوا للكلاب زريبة من الخشب تقيها عصف الرياح . ومضى فصل الشتاء والضباط يبحثون عن مجاري الاوقيانوس والقطب المغنطيسي والنور القطبي وتكوُّن الجليد وامتداده وحرارة الهواء والبحر وسمك طبقة الارض وطبائع الحيوانات القطبية ونحو ذلك من المباحث العلمية . وداموا متمتعين بالصحة التامة الى يوم عيد الميلاد وحينئذٍ مضى الدوق وثانيه ليمتحنا المزالق فقرَّسهما البرد وهرأ ايديهما فابيضت اولاً ثم اسودَّت حتى ظنَّ الطبيب ان لا بدَّ من قطع احدى يدي الدوق ثم رأى انهُ يمكن الاكتفاء بقطع اصبعين من اصابعهِ فقطعهما ومن ثمَّ انحرفت صحتهُ ولم تعد الى حالها الاولى واضطرَّ ان يلازم خيمتهُ اربعة اشهر متوالية لكنهُ اعدَّ بعثات المزالق في غضونها وحاول ولاً ارسالها في آخر فبراير فلم تستطع الذهاب لان البرد كان شديداً جدًّا ٥٢ درجة تحت الصفر بميزان سنتغراد فماتت الكلاب من شدتهِ واضطرَّ الرجال ان يعودوا في اليوم الثاني

ثم ارسل بعثة أُخرى في ١١ مارس وفيها ثلاثة عشر رجلاً وثلاث عشرة مزلقة و١٠٨ كلاب فوجدت من المشاق في طريقها ما لا يوصف وكانت تضطر احياناً كثيرة ان تقطع جبال الثلج بالفؤوس لكي تسير بينها. ورأى رئيسها ان الزاد الذي اخذتهُ معها قد لا يكفيها لكثرة ما كان يأكلهُ رجالها فاعاد ثلاثة منهم في ٢١ مارس ومعهم زاد يكفيهم عشرة ايام فانقطع خبرهم من ذلك الحين ولم يُسمع عنهم شيءٌ حتى الآن. وفي الحادي والثلاثين من مارس ارجع ستة آخرين ومعهم زاد يكفيهم خمسة وعشرين يوماً فوصلوا الى المخيم سالمين . وبقي هو وثلاثة من الايطاليين سائرين في طريقهم والجليد كثير العراقيب متراكم القطع الى ان بلغوا الدرجة ٨٥ من العرض ومن ثمَّ صارت حقول الجليد منبسطة فسارت مزالقهم عليها سيراً حثيثاً وقل زادهم كثيراً فاقتصروا على اكل لحم الكلاب لكن عزائمهم لم تضعف لانهم كانوا عازمين ان يبلغوا الدرجة ٨٧ حتى يقال انهم فاقوا كل من تقدم من قصَّاد القطب الشمالي

وفي الرابع والعشرين من ابريل وصلوا الى الدرجة ٨٤ والدقيقة ٣٣ من العرض والدرجة ٦٥ من الطول ورأوا هناك انهُ لم يبقَ لهم سبيل للتقدم لانهُ لم يبقَ معهم زاد فاضطروا ان يعودوا ادراجهم فاقتضى ذهابهم خمسة واربعين يوماً وايابهم تسعة وخمسين يوماً ولم يجدوا ارضاً في طريقهم وكان الجليد يغطي البحر كلهُ في ذهابهم واما في ايابهم فوجدوهُ قد تقطع وصار جزائر طافية في البحر فصاروا يضطرون ان يثبوا من جزيرة الى اخرى او يقفوا على الجزيرة ويدفعوها حتى تسير بهم كالقارب الى ان تصل الى غيرها . وتخطوا رفاقهم في رجوعهم واوغلوا

جنوباً نحو ٤٤ دقيقة ثم عادوا ادراجهم لما اكتشفوا خطأهم ووصلوا سالمين ولكن على آخر رمق لانهم اضاعوا مزالقهم كلها ولم يبقَ معهم من الكلاب الاَّ سبعة

وبذل البحارون جهدهم في اصلاح السفينة فوجدوا انها لا تستطيع البقاء هناك شتاء آخر . وفي الثامن من اغسطس انفكَّ عنها قيد الجليد فقام الدوق ورجالهُ وتركوا جانباً كبيراً من الزاد هناك للرجال الذين ضلوا الطريق يكفيهم سنتين اذا عثروا عليهِ. وعادوا بالسفينة الى الخليج الانكليزي فوصلوهُ في يوم واحد لكنهم وجدوهُ مسدوداً بالجليد فبقيت السفينة تجاهد ستة عشر يوماً واشرفت على الغرق مراراً كثيرة واخيراً وصلوا الى بحر لا يغيطهِ الجليد وفي اليوم الاخير من اغسطس وصلوا الى راس فلورا فوجدوا فيهِ رسائل البريد وقد تركتها لهم سفينة الصيد كابلاً في ١٢ يوليو الماضي وفيها كتاب من الملك همبرت ملك ايطاليا . ولما اطلع الدوق عليهِ كان عمهُ قد قضي قتيلاً . ووصلت السفينة الى كرستيانا وحياها الرحالة نانسن وقال مخاطباً دوق ابرزوي . " لقد احييتم تاريخ ماركو بولو وخريستوفورس كولمبوس واوغلتم في الشمال يا ابناء الجنوب اكثر مما اوغل ابناء الشمال " . هذا ما يفعلهُ ابناء الملوك في اوربا لخدمة العلم والتجارة فكيف لا ترتقي بلادهم وتسود غيرها نجيب صروف

معرض باريس العام

سنة ١٩٠٠

(تابع ما قبلهُ)

ختمنا الكلام في الجزء الماضي بوصف قصر الحراج وقد فاتنا وصف كثير من المواد المعروضة فيهِ كالقطر وخشب الكينا وصمغ الكاوتشوك والبخور والاعشاب والاوراق والقشور والجذور والاثمار البرية التي تؤكل او تستخرج منها الاصباغ او تعصر الزيوت او يصنع الورق. فانواع القطر تعدُّ بالمئات واصنافهُ بالالوف والكاوتشوك قطعهُ في حجم البراميل الكبيرة والاعشاب والاوراق ونحوها شاملة كل ما يستعمل في الصناعة والطب وكل ما يؤكل وينتفع بهِ . وانواع الخشب والوانهُ تفوق الوصف من الاسود الى الابيض والاحمر والاصفر بكل درجاتهما وكثير منها من قلب افريقية من الكنغو الفرنسوي وغيرهِ

وقد عُرض في هذا القصر كثير من اسلحة مشاهير الرجال كاسلحة قيصر الروس والسيف الذي اهداهُ الامبراطور بونابرت الى القيصر اسكندر الاول سنة ١٨١٧ وفي صفيحة مقبضهِ

ثمانية حجارة كبيرة من الماس ومقبضهُ ذهب وغمدهُ عاج . ومن ذلك زوجا طبنجات من بونابرت ايضاً للقيصر اسكندر الاول احدها مقبضهُ عاج مرصع بالذهب والثاني مقبضهُ خشب مرصع بالفضة وبندقية للامبراطورة اليصابات بتروفنا مرصعة بالفضة صنعت سنة ١٧٥٠ وبندقية اخرى مرصعة بالذهب وفرد مرصع بالذهب والفضة. وفرود الامير عبد القادر الجزائري مقابضها من الذهب وخشبها مرصع معرّق وسبع من بنادق بونابرت

لو اردنا ان نباري الامم الاوربية والاميركية في القسم الطبيعي من هذا الباب لوجدنا السبيل الى ذلك سهلاً فعندنا من الاخشاب الارز والجوز والسنديان والزيتون والخرنوب. ومن الاصباغ النيل والفوة والقرظ والسماق. ومن الصموغ الصمغ العربي واللبان والكثيراء واللاذن. ومن العقاقير الصبر والحنظل وعرق السوس. ومن الياف النبات القطن والقنب والكتان . ومن نتاج الحشرات الحرير والعفص والقرمز. ومن نتاج البحر الاسفنج واللؤلؤ وعرقهُ. لكننا اذا جاوزنا ذلك الى ما هو صناعي قصرنا عن ادراك الاوربيين بل عن ادراك اسلافنا الاولين

"الباب العاشر — في الغذاء من طعام وشراب وهو ثمانية فصول اولها في الآنية والمعامل والطرق التي تصنع بها الاطعمة والاشربة كمطاحن الدقيق ومعامل النشا والمعاجن والافران وادوات العجن ومعامل الفطائر والبقسماط ومعامل الحلاوة ومعامل الثلج وحفظهِ وحفظ اللحوم والاسماك من الفساد وحفظها وحفظ الخضر والاثمار في العلب ومعامل السكر وتكرير السكر ومعامل الشكولاته والكوكو ومحمصات البن ومقالي الحبوب والانابيق وما يتبعها من آلات التقطير ومعامل الغازوزة والخمارات الى غير ذلك من معامل الطعام والشراب. والفصل الذي بعدهُ يشمل انواع الدقيق والحبوب المقشورة ونشا البطاطس ودقيق الارز وجريش العدس واللوبياء وغيرها من القطاني والشعيرية والماكروني والسميذ وطعام الاطفال ونحو ذلك

والفصل الذي يليهِ يشمل كل انواع الخبز والرقاق والفطائر وقد عرضت آلات هذا الفصل مع كثير من آلات الفصل الاوّل من فصول هذا الباب على ضفة السين الشمالية فراراً من دخان افرانها وحر نارها . فيرى الناظر هناك جميع ادوات الخبز وانواع المعاجن والافران التي تخبز الرغيف الذي يبلغ في الطول ثلاث اذرع او اربعاً من الارغفة الطويلة او يبلغ قطرهُ ذراعين من الارغفة المستديرة تارةً من العجين الخمير وطوراً من العجين الفطير . ويرى ما يفوق الوصف من اشكال الاقراص والفطائر والرقاق والطلم والبقسماط والكعك وسائر انواع الخبز التي بلغ خبازو باريس غاية التفنن فيها وفي عرضها داخل العلب المزوقة والسلال المنمقة. وقد رأيت قرب معرض " لولو " المشهور بجودة كعكهِ ولذة طعمهِ سلاً هائل الكبر يشبه

برانيط النساء العالية في شكلهِ مدلّى من سقف وتحتهُ صبرة بل رابية عظيمة مخروطية الشكل من انواع الكعك " والبسكويت " المختلف الاشكال والالوان كأن ذلك الكعك انهال كلهُ من السلّ وتراكم تحتهُ عالياً كالتل

والفصل الذي بعد هذا يشمل انواع الملبسات والمربيات والمعاجين والحبوب المطيبة والممسكة والملام فكل ما يباع في اسواق القطر المصري من الملبس الافرنجي داخل العلب وخارجها ومن المربيات والمعاجين الحلوة يصنع ويعرض في المعرض. وزد على ما تقدم مشروبات القهوة والشاي والهندباء (الشيكوريا) ونحوها والملح والبهارات والتوابل والافاويه والمواد الحريفة كالخردل والكري وجميع الامراق الحريفة . ويلي هذا فصل مختص بحفظ اللحوم من الفساد إما بالثلج او بمجاري الهواء الباردة او بغيرها من الوسائط وبصنع اقراص اللحم واقراص الشوربا وخلاصات اللحوم وحفظها. وبالسراطين وبالسمك المثلج والمقدد والمكبوس في البراميل او في الزيوت والعلب وبالثمار اليابسة وغيرها

واما الفصول الثلثة الباقية فتعم جميع انواع الخمور والعصير والمشروبات الروحية والمشروبات الحلوة وقد اشترك عارضو فصل الخمور والمسكرات مع عارضي فصل الكرم وعددهم سبعة آلاف عارض وانشأوا لمعروضاتهم مباني وحانات وخمارات تسمى بمدينة الخمور فالعارضون من جهات " بورجون " في فرنسا شادوا حانات بديعة على مثال المباني الفرنسوية القديمة منذ ٦٠٠ او ٧٠٠ سنة فيها خمور بورجون مثل خمر ديجون وغيرها من خمورهم الشهيرة وآخرون بنوا قبة بديعة الزخرفة وعرضوا فيها خمر " ارمنياك " . وخمارو جهات " شارنت " اختاروا بعض الابنية القديمة التاريخية في جهاتهم وبنوا حانات على شكلها عرضوا فيها خمور الكنياك التي طار صيتها في الآفاق كما يطير سمها بعقول مدمنيها . وعارضو جهات " الجيروند " شادوا قصراً بديعاً وعرضوا فيهِ خمورهم الشهيرة كخمر مدُوك وخمر جراف وخمر برساك وغيرها . وانشأ بعض عارضي الشمبانيا حانة ذات جنات معلقة تبهج الناظرين على ان كل تلك الحانات والقصور لا تكاد تذكر بجانب القصر الذي أنشأتهُ لجنة من تجار الشمبانيا وجعلتهُ آية في الجمال والزخرفة والاتقان يتهافت المصورون على تصويرهِ لحسنهِ كما يتهافت الشريبون على شرب خمورهِ . ففيهِ حانة يباع فيها كل يوم خمر من خمور الشمبانيا التي يصنعها محل من المحلات العارضة فيهِ . وفيهِ خمارة تصنع فيها الشمبانيا امام الناظرين ثم تصب في قناني وتحلى ويسد عليها بالفلين . ويلي هذه الخمارة مخزن تلصق فيهِ الاوراق على ٣٠٠٠ قنينة من تلك القناني باسم الشمبانيا وصانعيها وتلبس افواهها المسدودة ورق الزنك ثم توضع في الصناديق والسلال

لتصدر الى الاقطار. وفي الطبقة العلوية من هذا القصر قاعة للاستراحة ومحل لشرب الشمبانيا تعرض فيهِ خمور واحد وثلاثين من العارضين

ويطول بي الكلام جدًّا لو اردت استيفاء وصف هذا القصر وغيرهِ من البنايات والحانات الكثيرة التي اقامها العارضون في مدينة الخمور. فاقتصر على ذكر حانة بنتها لجنة من باعة الخمور تعرف "بسنديك سومور" على عجلات تدور بها من الصباح الى المساء فتري الناظرين كل ما هو معروض فيها. وقد صنع بعضهم دنًّا لم يسبق لهُ مثيل في الكبر والاتساع لو ملئ خمرًا لوسع ٣٦٠٠ متر مكعب منها اي ما يكفي نحو اربعة ملايين نفس او مضاعف اهل باريس على ان هذا الدن الذي يوهم ظاهرهُ بانهُ وعاء للخمر ليس كذلك في الحقيقة بل ان من يدخل اليهِ يجدهُ بناية فخيمة ذات اربع طبقات تحتوي اربعة وخمسين كشكًا او حانًا لبيع الخمور وفي الطبقة الرابعة منهُ خمارة وموسيقى تطرب الشاربين

على اني اذا اقتصرت على ذكر طرف مما صنعهُ باعة الخمور ولم اذكر بعض ما صنعهُ غيرهم فانا اؤدي الى ذهن القارئ صورة ناقصة التصور فان محل مينيه المشهور بالشكولاته التي يصنعها ويصدرها الى جميع اقطار المعمور جعل معرضها مما يخلب العقول فبنى بناء عظيمًا على مثال اول سفينة شراعية جاءت بحبوب الكاكاو التي تصنع الشكولاته منها الى فرنسا في عهد الملك لويس الخامس عشر وركّب عليهِ ما كان في تلك السفينة من الطبقات والسواري والدقل والحبال وما شاكل. وجعل اسفل هذه السفينة معملاً للشكولاته ركّب فيهِ عددهُ وآلاتهِ ووضع فيهِ عمالهُ يعملون الشكولاته امام عيون الناظرين ويوزعون شيئًا منها مجانًا على جماهيرهم من حين الى حين فلذلك تراها مزدحمة بالناس دائمًا ازدحامًا لا مثيل لهُ الاَّ حيث يوزع الطعام او ترى "الفُرَّج" مجانًا. وجعل ظهر السفينة والطبقات التي عليهِ حوانيت يبيع فيها البائعات ما يصنع من الشكولاته مغلية او مبردة بالثلج الى غير ذلك من المشروبات والمأكولات. ووضع في وسطها بين ظهرها وقعرها صور البلاد التي ينبت فيها الكاكاو وقصب السكر وغيرهما مما تصنع الشكولاته منهُ. وقد اذكرني توزيع الشكولاته مجانًا محلاً اميركيًّا يوزّع الطعام مجانًا على كل من يصعد اليهِ فوق معرض الآلات الزراعية الاميركية. واطعمةُ هذا الوان عديدة منها جامد ومنها سائل ومنها حلو ومنها مالح وكلها مصنوعة من الذرة الاميركية وقد ذقتها فاستطبت اكثرها وقصد طابخها وموزعها مجانًا على المئات والالوف التي تقصد محلهُ في المعرض يوميًّا ان يقنع الناس بانهم يستطيعون طبخ الذرة الوانًا عديدة مختلفة الطعوم بثمن بخس لا يذكر فيستغنون بها عن سواها من المآكل الثمينة. ولما كانت الذرة اشهر ما يقتات بهِ

الفلاح المصري فيخلق بالذين يهمهم امر راحتهِ ولذتهِ في معيشتهِ ان يوجهوا عنايتهم الى هذا المحل الاميركي وطبخهِ عساهم ان يهتدوا الى تحسين غذاء الفلاح المسكين بلا زيادة تذكر في نفقاتهِ

وقد نافس صانعو النبيذ من الاعشاب والحبوب كالبيرة والجعة والمزر وصانعو العصير من التفاح صانعي الخمور والارواح في خماراتهم فان صانعي البيرة من الفرنسويين اتفقوا وانشأُوا بناء حسناً جدًّا من احدث طراز لصنع البيرة يصنعونها في طبقتهِ السفلى ويعرضونها للمزر والذوق في طبقتهِ العليا وحذا صانعو نبيذ التفاح حذو صانعي البيرة فانشأُوا لهُ محلاً جميلاً كثير الزينة والزخرفة وعرضوا فيهِ نبيذًا معتقاً منذ عشرين وثلاثين سنة

اسلفت ان بابي الزراعة والغذاء معروضان في قصر فخيم خاص بهما يسمى باسمهما . ولكن في وسط هذا القصر قاعة تعدُّ من اعظم معجزات هذا المعرض وتسمى بقاعة الاعياد قائمة على ارض قائمة الزوايا طولها ١٦٥ مترًا وعرضها ١٤٢ مترًا وهي معقودة عقدًا مستديرًا قطرة دائرتهِ ٩٠ مترًا وتسع ٢٠ الف نفس . وهذا العقد قائم على ثمانية اركان عظيمة وثمانية اعمدة كلها من الحديد ووزنها ١٢٠ الف كيلوغرام (٢٦٤٠ قنطارًا مصريًّا) وفيها من النقش والزخرفة والصور والمنحوتات شيء كثير ولكن الكلام على ذلك يكون عند وصف جمال المعرض لا وصف عظمتهِ وكمالهِ فلا اتعرض لهُ هنا "

وقد اقتصرت على ما ذكرهُ اخي الدكتور نمر في هذا الباب لانهُ جمع فاوعى ولم يترك لي مجالاً لازيد عليهِ شيئاً يذكر الاَّ الالتفات الى ما عرضتهُ البلدان الأُخرى في هذه الفصول فانها كلها بارت فرنسا ولو لم تبلغ شأْوها وعرضت من الآلات والادوات والمصنوعات ما يفوق الوصف فترى المطاحن الالمانية تطحن الدقيق على درجات شتى من الخشونة والنعومة وتعجنهُ وتخبزهُ وآلات التبريد السويسرية تبرد الماء وتجمدهُ . ومن اغرب ما عُرض من هذا القبيل آلة اميركية تضغط الهواء حتى يسيل ويصير ماء فترى الآلة التي تضغطهُ تدور من غير ان تسمع لها صوتاً كأَنها جبار عظيم يعتمد على قوة ذراعيهِ لا على الصوت والجلبة والهواء ينضغط فيها فتتقارب دقائقهُ بعضها من بعض حتى تتغلب قوة الجذب التي بينها على قوة الدفع فتترك النفور والنشوز وتعود الى الوفاق والوئام فتتجاذب وتتماسك وتصير مثل الماء الذي نشربهُ وتجرى الى مستودع كبير وهناك رجل يقف كل يوم امام هذا المستودع ويفتح حنفية فيهِ امام الناظرين وهم مجتمعون حولهُ عشرات ومئات فينصبُّ الهواء السائل من الحنفية كأَنهُ ماء تحت ضغط شديد فيملأُ بهِ اناء كبيرًا وهو يرغي ويزبد اولاً ما دام الاناء حارًّا بالنسبة اليهِ ولكن الاناء يبرد حالاً فيقف السائل عن الارغاء والازباد ويصفو لونهُ فتراهُ ابيض شفافاً لا

يفرق عن الماء القراح واذا لمستهُ بيدك لم تشعر الاَّ كانك لمست ماء. واذا صُبَّ شيء منهُ في اناء آخر ارغى وازبد اولاً وصعد عنهُ بخار ابيض كثيف يملأُ الفضاء فوقهُ حتى اذا برد الاناء الذي صُبَّ فيهِ زال البخار والارغاء. وكان مع هذا الرجل ولد خبيث فجعل يأخذ الهواء السائل بيدهِ ويرمي بهِ الحضور فوقع بعضهُ في عيني واذني فذعرت من ذلك في اول الامر لا لانني خفت منهُ حقيقة بل لان اعصاب الخوف الموروث تفعل فعلاً غير خاضع للارادة. وقدَّمت اسمي الى الرجل فادخلني الى داخل الحاجز الذي بينهُ وبين الناس لكي أتمكن من استيضاح ما يفعلهُ بهذا الهواء فرأيتهُ يضع فيهِ سلك الحديد فيحترق بنور ساطع يبهر العيون ويضع فيهِ سلكين متصلين فيلتحمان معاً ويصبهُ في اناء ويضع الاناء في الماء فيجلد الماء على ظاهرهِ ثم يفرغهُ من الاناء فيقع الماء الجامد عنهُ وقد صار كاساً من الجليد. ويصبهُ في اناء لهُ ثقب ضيق يسدهُ بفلينة ويضعهُ في الماء فيتمدَّد بعضهُ داخل الاناء ويدفع الفلينة بعنف شديد فتصعد من الثقب كأنها رصاص البنادق. ويضع فيهِ طابة من الكاوتشوك فتصلب ويكسرها فتتكسر كالزجاج. واخذ برنيطتي وصبَّ فيها شيئاً منهُ فامتلأَت دخاناً ابيض كثيفاً ووضع قليلاً منهُ في برنيطة رجل آخر والبسهُ اياها فجعل الدخان يصعد من رأسهِ وحاول الرجل مسح السائل عن شعرهِ فجعل شعرهُ يتكسَّر كانهُ ابر الزجاج فتركهُ حتى طار الهواء السائل عنهُ فعاد الى حالهِ. وكان المراد اجراء مركبات الاتوموبيل بهذا الهواء السائل وامتحان ذلك في مدينة باريس بعد ايام لكنني اظن نفقاتهِ كثيرة تزيد على نفقات غيرهِ من المحرّكات

ولم يعرض من البلدان الشرقية في هذا الباب غير المالك الصغيرة التي انفصلت عن السلطنة العثمانية وبلاد يابان وقد اجادت كلها في عرض خمورها ومربياتها وحلاوياتها ومكبوساتها ونالت الجوائز عليها. ولم تُترَك مصر وسورية من غير ممثل في هذا الباب فعرض الخواجه سليم بولاد مجموعة بديعة من خمور لبنان شهد المحكمون انها من افخر الخمور المعروضة في المعرض واعطوهُ النشان الذهبي. وكنت اتمنى ان تناظر غيرنا في غير الخمور ايضاً ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركهُ

الباب الثامن — في المعادن والتعدين وقد وفاهُ اخي الدكتور نمر حقهُ من الوصف في رسالتهِ التي نشرت في المقطم فرأيت ان اثبتها برمتها هنا ثم اضيف اليها وصف ما منعهُ ضيق الوقت من رؤيتهِ او من وصفهِ قال: "لما دخلت قصر المعادن والتعدين في معرض باريس هذا الصيف ورأيت معجزات الافرنج في استخراج جواهر الارض وفلزّاتها من معادنها وفي صهرها واذابتها وسبكها وافراغها ودقها وتقسيتها وإلانتها وسائر اساليب صناعتها قلت ان اصلب المعادن

اضحى بيد هؤلاء الاوربيين ألين واطوع من العجين . فانهم يسحبون الحديد الذكر دقيقاً كالشعر ويفتلونهُ كالحبال ويجدلون القضبان الغليظة من الفولاذ الصلب ويضفرونها كقضبان الشجر او يعقدونها اناشيد كما يعقد الخيط او الشريط ويلوون خطوط السكك الحديدية ويمدونها كما تلوي " عصيدة " الدبس بيد الحلوانية . ويفرغون الحديد صفائح عظيمة ثخينة تزن من القناطير الوفاً كثيرة ويطبعونهُ او يطبعون الفولاذ منهُ لوالب ومسامير لا تكاد ترى بالعين لصغرها ودقتها ولا يزن الكثير منها درهماً . ويطرقون سبائك الذهب ورقاً حتى ينفذهُ شعاع الشمس لرقتهِ وتطير نسمات السحر بهِ لخفتهِ

وأعترف للقارىء الكريم اني قصدت قصر المعادن والتعدين وانا اقدم رجلاً واؤخر اخرى فاني كنت اعلم قبل دخولهِ ان الباب الحادي عشر معروض فيهِ وان فصولهُ ثلثة (٦٣ الى ٦٥) وهي حفر المعادن والمقالع وتعدينها اي اخراج فلزاتها وجواهرها وقلع صخورها . وصناعة تلك الجواهر (المعروفة عادة بالمعادن) الكبرى . وصناعتها الصغرى وسيتضح الفرق بينهما مما يلي . فكنت كلما فكرت في فصول هذا الباب اتصور الظلام والتراب والاتون والفحم والنار والكور والكير والدخان ونحو ذلك من وحشة المناجم العميقة المظلمة وسواد اماكن الفحامين ودكاكين الحدادين واقابلها بما كنت أراهُ من آيات الحسن والجمال والكمال في معارض الفصول الاخرى فأُحجم عن زيارتها مع علمي بعظم فائدتها وأُؤخر رؤيتها حتى افرغ من رؤية غيرها . ولم يدر في خلدي اني اجد فيها ما يسرُّ الخاطر او يقرُّ الناظر غير الاجراس المعلقة تحت قبة على قصرها وعددها ٣٢ جرساً اصغرها يزن ٤ كيلوغرامات وقطر دائرهِ ١٩ سنتمترًا واكبرها يزن ٨٤٠ كيلوغراماً وقطر دائرهِ مترو١٢ سنتمترًا . وهذه الاجراس تقرع كل هنيهة من الزمان قرعاً موقعاً على لحن من الالحان فتشنف باصواتها الآذان

ولكني لما دخلت قصر المعادن والتعدين من البوابة العظيمة التي تلي برج ايفل في " شان دومارس " واجلت طرفي فيهِ طولاً وعرضاً مسافة ٩٦ مترًا في ٧٦ لم اكد اصدق ما تراهُ عيناي في طبقتهِ السفلى من الدور والغرف والحجلات والمقاصير والصوامع والقباب والبوابات والارتاج والابواب والصفاح والعمد والسمك والدعائم والاقواس والقناطر وكلها من من الحديد والفولاذ والنحاس مزينة ومزخرفة بما يعجز القلم عن وصفهِ من المصنوعات المعدنية . فان الفرنسويين اقاموا بوابة عظيمة من القطع الحديدية في مدخل القصر وزينوها بالمراجل (الازانات) والصفائح الفولاذية . دخلت تحتها فاذا انا بمرأى من اعمدة عالية قائمة بعضها وراء بعض صدق من شبهها بغيضة كل جذوع اشجارها معادن لامعة . فصرت كيف اتجهت

فيها اجد امامي ابوابًا وارتاجًا من الحديد او الفولاذ او النحاس او غيره من المعادن قائمة على اعمدة واركان واساطين واتابيب غليظة ودقيقة فاقف امامها مذهولاً محتارًا لا ادري ايهما اشدُّ تأثيرًا في نفسي اجمال مناظرها ام قدرة صانعيها البادية دلائلها عليها

قلت ان فصول هذا الباب ثلثة اولها ما تعلق بتخطيط المعادن ومسحها وحفرها واستخراج جواهرها وبحفر المقالع وقلع حجارتها . وذلك يشمل كل ما عُرِض من انواع الحجارة والرخام والفحم الحجري والمعادن بانواعها والتراب بانواعهِ والرمل وسائر المواد التي تلزم للصناعة في كل زمان ومكان . وكذلك الادوات والآلات التي تحفر بها الارض وتستخرج تلك المواد بها منها كالآت السبر والثقب والقطع والقلع والدق والسحق والتفريق والجمع . ولما كان تعدين معادن فرنسا ومقالعها يكسبها اكثر من ٢٨ مليون جنيه في السنة عني الفرنسويون بعرض فصول هذا الباب عناية تحمد . ولم يقتصروا على عرضها في القصر المذكور بل ان بعضهم فتح شبه منجم قرب التروكاديرو وركب فيهِ العدد والآلات حتى يرى الناظرون كيف تستخرج بها المعادن . وحفر آخرون شبه مناجم للفحم الحجري والحديد والذهب والملح تحت التروكاديرو ايضًا فيرى النازل اليها كيف تكون طبقات هذه الجواهر وصخورها وكيف يستخرجها المعدنون من مناجمها . وقد منعني ضيق وقتي من رؤية هذه المناجم فاترك وصفها لمن رآها . على اني رأيت في قصر المعادن والتعدين امثلةً لمناجم الفحم الحجري وسائر ما يستعمل فيها لاستخراج الفحم منها وقيل لي ان رؤيتها تغني عن رؤية ما سواها

وقد تفنن اصحاب المقالع في عرض حجارتهم فقطعوها على اشكال شتى وصقلوا ما يصقل منها وتركوا غيره بلا صقل وصفُّوها او بنوها على اشكال غاية في الجمال في اماكن متعددة ليراها الناس ويعرفوا قيمتها وقد رأيت من جملة المعروض منها احجارًا كبيرة يزن الحجر منها من ٢٠ الى ٣٠ الف كيلو قطعها اهل نروج من مقالعهم وارسلوها الى المعرض ترويجًا لبضاعتهم وقد قطع اصحاب معادن الملح (الجبلي) القطع الهائلة الكبرى منهُ وعرضوها في هذا المعرض . وعرضت النمسا معبدًا او مذبحًا مصنوعًا كلهُ من الملح ببنائهِ ومصليهِ وهو على مثال معبد شهير فيها مصنوع من الملح وقد وصف في مقتطف هذه السنة بقلم الاديب الخواجه نجيب صروف . ومن معروضات هذا الفصل ايضًا ادوات حفر الآبار الارتوازية وآلات تهوية المعادن ومصابيح الامانة التي يستنير بها المعدنون وآلات استخراج زيت البترول والغاز والاسفلت والقار والكهرباء وزيوت البترول ومن جملتها زيت غير مكرَّر تزجهُ شركة اميركية (تسمى جالينا أويل كباني) باكسيد الزئبق وتبيعهُ لتزييت الآلات وعدد السكك الحديدية فاقبلت عليهِ السكك الحديدية

الاميركية اقبالاً عظيماً لمارأتهُ من مزاياه. وقد عرضت هذه الشركة زيتها في جنان فنسان قرب مركبات النقل التي صنعها الاميركيون لمصلحة السكة الحديد المصرية وعرضوها هناك وولت ادارة معرضها حضرة الاديب لويس افندي بدور فجعلت شركات السكك الحديدية الفرنسوية تبتاع زيتها لعددها وقطاراتها ولذلك رأيت ان انبه مصلحة السكك الحديدية المصرية وسائر شركات السكك الحديدية في القطر المصري الى هذا الزيت لعلها تجد فيهِ منفعة لها

ومن معروضات هذا الفصل ايضاً اللغوم والديناميت لنسف الصخور وقد عرضت في محل واسع يسير الانسان فيهِ وعيناه تنظران الى الديناميت وقدماه تسرعان للخروج فراراً من شرو. وقد ابدع معدنو الحجر في ما عرضوه اشارة الى الديناميت ونسفهِ فانهم بنوا حائطاً من اقراص الفحم وقطع من حجارة الحديد وصنعوا تمثال معدّن يوقد الفتيل وتمثال امرأة خارجة من بين قطع الفحم والحديد اشارة الى انفجار الديناميت . وعرضوا وراء هذا الحائط ما عندهم من الحجارة والفلزات ومن جملتها حجر ذهب قيمتهُ نحو ١٥٠٠ جنيه وحجر شمس (او بال) قيمتهُ نحو الف جنيه . واقاموا بجانب ذلك رتاجاً مصنوعاً كلهُ من ادوات وقطع صغيرة صقيلة من الفولاذ تعد بالالوف ومن مسامير صغيرة كثيرة مصفوفة ومجموعة على شكل الترس فيقف امامها كل مارّ بها لرؤية محاسنها

والفصل الثاني من فصول هذا الباب يختص بصناعة المعادن الكبرى فيشمل كل المصنوعات الضخمة الكبيرة من معروضاتها كالاعمدة والاساطين والقباب والارتاج والابواب الهائلة التي اشرت اليها آنفاً والآلات والادوات التي تصنع بها كالاتاتين التي تصهر المعادن فيها والمنافخ والاكيار وادوات صنع الفولاذ والآلات التي يشكَّل بها الحديد صباً ودقاً وسحباً بجميع اشكالهِ كالاطارات والقضبان وصفائح البوارج وصفائح البناء والحديد المجسَّد والمحاور والقنوات والانابيب وخزائن البنادق والمدافع والقنابل والانابيب على اختلاف اشكالها الى غير ذلك من مصنوعات الحديد. وقس على آلات صناعة الحديد آلات صناعة النحاس وغيرهما من المعادن. وقد بلغت المصنوعات الضخمة من المعادن غاية في الضخامة فالمجر عرضت مقدَّم سفينة كلهُ قطعة واحدة من الحديد افرغ في قالب واحد دفعة واحدة وعرضت قالبهُ بجانبهِ . وعرضت ايطاليا قطعاً عظيمة من صفائح الحديد التي تدرَّع بها البوارج طول بعضها ١٤ متراً وعلوه مِتْران و ٨ سنتمترات وثخانتهُ ٢/٣ سنتمتر وقد افرغت كل قطعة منها دفعة واحدة وعرضت صفائح من الحديد جربت عليها قنابل المدافع فعلم مقدار مقاومتها لها من اثر غرزها فيها . على ان اضخم واعظم ما عرض من هذا القبيل عرض مع مدافع شنيدر في المحل الخاص بمعروضات كروزو وسيذكر في بابهِ. وعرض

الفرنسويون صفائح من الفولاذ للابواب طولها ٩٦ مترًا وقد افرغت دفعة واحدة . وخطوطًا حديدية طولها ٥٢ مترًا قطعة واحدة وخطوطًا اخرى ملوية ومفتولة طولها ٢٠ مترًا قطعة واحدة . وقس على ذلك الاساطين العظيمة والانابيب الواسعة الطويلة. وعرض صناع البلجيك دولاب فراش قطرهُ سبعة امتار وقد صُبَّ كلهُ صبة واحدة . وعرض الروس والفرنسويون مرامي السفن الفخمة ودواليبها العظيمة الى غير ذلك مما يطول ذكرهُ و يتعذر وصفهُ

واما فصل صناعة المعادن الصغرى فيشمل معروضات ستين صناعة ونيف كالدبابيس والابر والمسامير وارياش الكتابة المعدنية والازرار على انواعها وقواعد العوينات واللوالب باشكالها والملاعق والآلات القاطعة بجميع انواعها ونعال الدواب والبقر . وقد رأيت محلًا اميركيًا يعرض نعالًا للخيل من الكاوتشوك و يقول انها اصلح من نعال الحديد كثيرًا وأحفظ للحوافر منها وربما ارسل منها الى القطر المصري اعتمادًا على مزاياها . وشريط الحديد الشائك الذي يتخذ سياجًا وجميع انواع الشريط وشباك الحديد والسلاسل والزناجير (الكساتك) التي تصنع الآن صنعًا ميكانيكيًا محضًا بلا لحام . وكل الامتعة والآنية التي تصنع من المعادن وتستعمل في المنازل والجنائن وغيرها وخزائن الحديد التي يحفظ فيها المال وغرف الحديد التي توضع خزائن المال فيها فتقيها من الحريق ويكون لها اقفال سرية لا يعلمها غير اصحابها وهي من احدث المخترعات . وابواب الحديد التي تتسع وتضيق حسب مراد صاحبها الى غير ذلك مما لا يأخذهُ عدٌّ ولا يحيط بهِ احصاء ويصنع كثير منهُ امام الناظرين

وماذا اقول عن معروضات البلدان الاجنبية والرتاج البديع الذي عرضتهُ الولايات المتحدة من البرونز وجعلت اعمدتهُ من الرخام والبرفير وعتبهُ من حبال الحديد ومصراعيهِ من صفائح الحديد وزينتهُ من اعلاهُ بأكر النحاس الخالص وعرضت وراءهُ معادنها . او القصر الذي صنعتهُ روسيا من الحديد وعرضت فيهِ معروضاتها الجميلة. ومعرض البلجيك العظيم والكور الذي عرضتهُ المجر وجعلت دخانهُ شرائط مشتبكة وملتفة من الحديد والقصدير والفولاذ والنحاس

وقد دخلتُ المنجم الذي لم يدخلهُ الدكتور نمر فنزلت اليهِ بغرفة تنزل وتصعد وسيرها بطيء ولكنَّ من فيها يظن انها سائرة بهِ بسرعة فائقة وانهُ قطع مئات من الامتار وهو لم يقطع الاَّ امتارًا قليلة وذلك بحيلة انتبه لها ابني قبلي وهي انهم جعلوا احد جوانب هذه الغرفة زجاجًا ووضعوا على جانب البئر التي امامها درجًا طويلًا صوَّروا عليهِ طبقات الارض حتى اذا اخذت الغرفة تنزل اخذ الدرج يصعد فتضاف سرعتها الى سرعتهِ فاذا كانت سرعتها مترين في الثانية وسرعتهُ خمسة امتار ظنَّ من فيها انهُ نزل بسرعة سبعة امتار لكي يحسب المنجم عميقًا

كما تكون المناجم عادةً وهي حيلة لطيفة ولو خدعت الرائي . وطفنا في المنجم فرأينا اماكن اقتلاع الفحم الحجري والحديد والملح كما تكون في مناجمها عادةً وتماثيل المعدّنين وادواتهم ووسائل الحفر والنسف والنقل والنزح والانارة والتهوية وكلها من احدث ما استنبطوهُ واكثره اتقاناً . وقد قصدوا بذلك كلهِ محاكاة الطبيعة حتى كأَنَّ من يشاهد هذا المنجم الصناعي قد شاهد المناجم الحقيقية والمعدّنين يعملون فيها . واسرعتُ من هناك الى حيث مُثّلت مناجم الذهب في الترنسفال وكليفورنيا باميركا . وقد ابدع ممثلو مناجم كليفورنيا فصنعوا لها امثلة صغيرة من المعدّنين والمركبات والطلمبات والروافع والخوافض وجداراً يمثل منجماً كبيراً قطع من اعلاهُ الى اسفلهِ لكي يظهر باطنهُ كلهُ ورسموا فيهِ مطحنة تطحن حجارة الصوان التي يشوبها الذهب ونقّالة تنقل المركبات التي فيها حجارة المعدن من جهة الى اخرى حتى تصل الى المطحنة . والمخازن التي يخزن فيها البارود ونحوهُ والطلمبات التي ينزح بها الماء من اسافل المناجم . والبيوت التي يأكل فيها المعدّنون والعروق التي يكون الذهب منتشراً فيها وقد وقف المعدنون امامها او تحتها يقتلعون الحجارة الذهبية منها بمعاولهم او يثقبون الارض بالمثاقب لاكتشاف عروق جديدة او لنسف الصخور . وكل ما في هذا المثال من الرجال والآلات والادوات يتحرك بقوة الكهربائية كأَنهُ في منجم حقيقي فيرى المرء بنظرة واحدة ما لا يراهُ في المنجم الحقيقي الاَّ اذا قضى فيهِ ساعات كثيرة . والمُثُل صغيرة جداً كما تقدَّم ولكن اذا امعن المرء نظرهُ في حركاتها ذهب عنهُ تقدير حجمها فحسب انها كبيرة وانهُ يراها عن بُعْد فتظهر كذلك لشدَّة انطباقها على الحقيقة . وخرجت من هذا المنجم وانا اودُّ ان ادخل منجماً مثلهُ في القطر المصري حيث مناجم الذهب القديمة التي كان المصريون الاقدمون والبطالسة من بعدهم يستخرجون منها ما يساوي اربعة ملايين من الجنيهات في السنة كما اوضحهُ الاستاذ سايس حديثاً

وممَّا التفتُّ اليهِ بنوع خاص من معروضات فرنسا في هذا الباب الحجارة الكريمة لارى اختلاف اشكالها والوانها وانطباقها على ما كتبتهُ عنها في فصول متوالية موضوعها الجواهر واقوال العرب فيها فرأيت الماس على ما يعلم من شكلهِ ولونهِ وتألقهِ والياقوت الاحمر والصفير او الياقوت الاسمانجوني وهو ازرق سماوي ولازوردي ونيلي وكحلي وسلقي . والبلخش (السبينال) وهو احمر مغلوق الى الاسود . والزمرد ومنهُ ذبابي مغلوق اللون وريحاني مفتوحهُ وسلقي وصابوني . والياقوت الاصفر (توباز) وهو ذهبي اللون او بنفسجيهُ . والبجادي وهو احمر كالياقوت . والزبرقون وهو اخضر واصفر واحمر . والترمالين وهو اخضر ووردي واصفر مغلوق . والفيناكيت وهو ابيض شفاف متألق كالماس . وعين الهر وهو مصفر ومخضر مخطط . والبلور وهو كالماس

لوناً وبريقاً . والكوارتس الروبامي وهو كالثلج الملون بالوان بديعة مبلور من الداخل وردي اللون واحمر وابيض واخضر ورمادي وبنفسجي واصفر . وحجر القمر وهو كالاوبال . وحجر لابرادور وهو كعرق اللؤلؤ الضارب الى الزرقة والخضرة . وعين الهر وهو ضارب الى الصفرة وفيه بقعة مستديرة تمتد منها اشعة تحيط بها . والخلكدوني وهو اصفر كهرماني واخضر فيروزي واحمر ورمادي ومعرّق . والعقيق وهو احمر مغلوق ومفتوح الى الاصفر ووردي وابيض. والجزع او السليماني وهو احمر واخضر مغلوق . والسردونكس وهو طبقة بيضاء تحتها طبقة محمرّة او مزرقة. واليشم وهو اخضر مغلوق او فيه شامات حمراء الى غير ذلك مما تعذَّرت عليَّ رؤيتهُ .

وبالت فرنسا في ما عرضتهُ من انابيب النحاس والصلب وانابيب المدافع فطول بعض انابيب النحاس عشرة امتار وقطره ٧٠ سنتيمترًا وثقلهُ ٢١٠٠ كيلومتر وطول انبوب آخر ١٠ امتار و ٥ سنتيمترات وقطرهُ ٧٠ سنتيمترًا وثقلهُ ٢٢٥٠ كيلوغراماً . وهناك حجر واحد من الحديد المعدني ثقلهُ ٤٥٠٠ كيلوغرام. وكثير من المصنوعات القديمة كالاقفال والمناشير والبياكير والابواب الحديدية ومنها قفل من القرن الخامس عشر ومزلاج من القرن الثاني عشر، وصناديق واجراس قديمة جداً . وكل ما يصنع من المعادن بالسبك والتطريق كالكؤوس والملاعق والقدور وما اشبه . وقطعة من مدفع صلب (فولاذ) سمك حديدها ٣٠ سنتيمترًا ونصف سنتيمتر وثقلها ٢٥ طنّاً وثقل الانبوب الذي قطعت ٦٦ طنّاً ولوح حديد سمكهُ نحو ٤٠ سنتيمترًا وقد دخلت فيهِ قنبلة وغارت نحو ٣٠ سنتيمترًا

واشتركت الدول المختلفة في معروضات هذا الباب كما تقدَّم . ومما استوقف نظري بنوع خاص معروضات الولايات المتحدة الاميركية واليابان ونروج. اما الولايات المتحدة فعرضت رسم استخراج الذهب في كليفورنيا وقد اشرتُ اليهِ سابقاً وما لا يقدر من الحجارة المعدنية وزُبَر الحديد والنحاس وغيرهما من المعادن ومن ذلك لوح من الصلب قطرهُ ثلاثة امتار و١٢ سنتيمترًا وسمكهُ سنتيمتر ومتانتهُ تفوق الوصف فانهُ يحتمل من الضغط ما يساوي ٦٢٢٦٠ رطلاً على كل عقدة مربعة. والحجارة الكريمة من محل تفني الجوهري وبينها كثير من حجارة الياقوت من وادي كوي بولاية كرولينا الشمالية . وكثير من الخشب الذي تحجّر وصار جزعاً اي انحلت دقائقهُ الخشبية رويداً رويداً وحلّت محلها دقائق من السلكا وتلوّنت بالاكاسيد المعدنية وهي مثل الاشجار المتحجرة شرقي القاهرة لكن الاميركيين اعتنوا بقطعها صفائح رقيقة مستديرة وجلوها حتى صارت صقيلة كالزجاج يبيعون القطعة منها بمئة ريال او اكثر

ومما يستوقف النظر ايضاً شذور الذهب الكبيرة التي وجدت في تلك البلاد فان بعضها

كبير صقيل كالجوز او اكبر وبعضها مخروب كالاسفنج ومن ذلك شذرة فيها من الذهب ما يساوي ٣٧٢٠ ريالاً . والشذور الصغيرة كثيرة جداً وهناك صندوق مملوءٌ بوريقات التبر . وحجارة معادن الذهب كثيرة الانواع والاشكال يظهر الذهب في بعضها ولا يظهر منهُ شيء في البعض الآخر . ومن الذهب اشكال متبلورة كسعوف النخل المتوالية او كالحبوب المنظومة

ولا يسعني المقام لوصف معروضات الفضة والحديد والفحم الحجري وزيت البترول ونحو ذلك مما يكثر استخراجهُ من الولايات المتحدة الاميركية وغيرها من البلدان . ولا لوصف الخرائط التي رسمت لمناجمها فانها كثيرة جدا بين معروضات الدول ومستعمراتها كأنَّ شركات استخراج المعادن ترمي بما تجشمتهُ من النفقات في ما عرضتهُ الى غرض تجاري غير الافادة وغير المباهاة وهو ترغيب الناس في ابتياع اسهمها ليغلو ثمنها فيعود ذلك عليها بالربح. وجارت اليابانُ الممالك الاوربية الكبرى في ما عرضتهُ من معادنها ومصنوعاتها المعدنية فعرضت مجموعة كبيرة شاملة كل ما عُرف حتى الآن من معادنها وهي كثيرة تشمل الذهب والفضة والبلاتين والحديد والنحاس والكبريت والمنغنيس والرصاص والانتيمون والزيبق والحجارة الكريمة على انواعها وقد نالت هذه المجموعة الجائزة الكبرى . وعرضت كثيراً من الخرائط الجيولوجية والمعدنية اظهاراً لكثرة الفلزات فيأرضها وتنوُّع بلاطها ومرمرها واخذت نشان الذهب على ما عرضتهُ من الكبريت وعلى ما عرضتهُ من الفحم الحجري وهو ممثل القوة الصناعية كما لا يخفى فاذا وُفقت بلاد الى كثرتهِ فيها وعرفت كيف تستخرجهُ وتستعملهُ كُفل لها النجاح والارتقاء

ومن البلدان الاوربية الصغيرة التي ابدعت في ما عرضتهُ في هذا الباب بلاد نروج فانها عرضت انواع رخامها ومرمرها ومنها نوع اسود كالسبج فيهِ قطع صغيرة تتألق بالوان مختلفة كعنق الحمام وقد عرضت منهُ عمودين كبيرين وصفائح كثيرة منهُ ومن غيرهِ وعرضت ايضاً انواع معادنها ومنها سبائك كبيرة من الفضة طول السبيكة منها نصف متر وعرضها نحو ١٥ سنتمتراً وشذور الفضة الطبيعية وهي كاسلاك الدمقس المفتل.

اما الآلات التي تصنع بها الادوات المعدنية الصغيرة كالملاعق والاقلام والحلى والازرار فحدّث عن سرعتها واتقانها ولا حرج لكنها لا تغني عن العمال ولا عمل هذه المصنوعات خالٍ من كل مشقة فقد رأيت زر النحاس الذي يباع بقرش او اقل يمرُّ على عمَّال كثيرين وآلاتٍ مختلفة قبلما يتمُّ عملهُ ويهذَّب ويذهَّب ويصقل . ولولا كثرة المصنوعات ورواج التجارة ما استطاع الاوربيون ان يرخصوا بضائعهم الى هذا الحد فاذا اردنا مجاراتهم في الصناعة وجب ان نقتصر على ما يكثر رواجهُ في بلادنا او نفتح اسواقاً لمصنوعاتنا حتى نناظر بها البلدان الصناعية

وصف مصر

للعالم العامل صاحب السماحة السيد توفيق البكري نظمها وهو في الاستانة العلية

أديارَ ميٍّ تنظرُ فدموعُ عينكَ تمطرُ
أم أبرق العلمين أم سفحَ اللوى تتذكرُ
أم نامَ قلبكَ جؤذرٌ أحوى المدامعِ أحورُ
أم هبَّ من مصر صبًا ام طارَ برقٌ أشقرُ
أم قد ذكرت بطاحها وهي البساطُ الاخضرُ
والنيلُ في لباتها عقدٌ يلوحُ بجوهرُ
والجوُّ صحوٌ مشرق وكأنما هو ممطرُ
والظلُّ من خلل الشمو س مدرهمٌ ومدنرُ
فكأنهُ جلدٌ من الن مرِ المرقشِ ينشرُ
وغصونها لدنٌ تمي دُ بما تقلُّ وتثمرُ
فكأنهن ولائدٌ في حليها أتبخترُ
في نسجِ وشي نيلها فيهِ الطرازُ الاحمرُ
هي مثلُ لوحٍ صورَ الف ردوسَ فيهِ مصوّرُ
يا جنةً يجنى الجنى فيها ويجري الكوثرُ
أنا شاعرٌ في وصفها لكنها هيَ أشعرُ
جسمي هنا والقلبُ في مصرٍ يغيبُ ويحضرُ
يا ماخرَ الفلك المسخ رِ في خضارة يمخرُ[1]
إقرَ التحية جيرةً حيثُ الكثيبُ الاعفرُ
فالنيلُ فالهرمانِ من غربيهِ فالازهرُ
فالروضة الغناءُ والـ مقياسُ فيها يشبرُ
فالقصر قصر الملكِ والـ أوهامُ عنهُ تقصرُ
فيهِ المقاصيرُ التي الواجهنَّ المرمرُ
حيطانها الذهبُ الصقي لُ وارضهنَّ العنبرُ
قد صوّرَ التاريخ في ارجائهنَّ مصوّرُ
فترى الوقائع منظرًا وكأنما هي مخبرُ
والجندُ تخطر في الحدي دِ فدارعون وحسرُ[2]
والخيلُ بين عجاجها تخفى وحينًا تظهرُ
وتظنُّ احياءً يمـ ـمُسُّ حكيها تخبرُ
قد حلهُ العباس يـ ـنهى في الانام ويأمرُ
فكأنهُ عرّيسةٌ[3] وبهِ المليكُ غضنفرُ
ملكٌ بضوءِ جبينهِ تسقى البلادُ وتمطرُ
السيدُ المحضُ العلي والجوهرُ المتخيرُ
العدلُ مما ينشرُ والمجدُ مما يذخرُ
خلق حوى كل الفضا ئل فهي عنهُ تؤثرُ
جودٌ وبأسٌ في الورى بهما يخصُّ ويشهرُ
مثلُ الصواعق والحيا في مزنةٍ تتحدرُ
ثمَّ الجزيرةُ تستبيـ ـك بها اوانسُ[4] تنفرُ
عجلاتها فلكٌ بأشـ ـباهِ النجومِ يدوّرُ
من كل خركاةٍ[5] بحسـ ـناه تضيءُ وتقمرُ
فكأنها المشكاةُ والـ مصباحُ فيها يزهرُ

(١) خضارة علم البحر . ومخرت السفينة اي جرت تشق الماء (٢) دارعون اي عليهم الدروع . وحسر اي لا مغافر لهم ولا دروع (٣) العرّيسة بيت الاسد (٤) الآنسة الطيبة النفس والجمع اوانس (٥) الخركاة مركبة النساء في المواكب وقد استعملت في الكتب القديمة قال المقريزي ان الملك الناصر محمد بن قلاوون لما اراد الزوج بواحدة من ذرية جنكيزخان وخطبت له طولباي فلما وصلت من بلاد التتار الى مصر حملت في خركاة من الذهب على عجل وجرها المماليك الى دار السلطنة

فالجيزة الخضراء يعـ … بق رندها والعبهر (٦)
فيها النعامة والحبا … رى ونيها والقسور
كسفين نوح أخرجت … ما كان فيها يضمر (٧)
فيها الغصون على الارا … ئك تلتوي فتشجر
وجداول كسبائك … بسني الاصيل تعصفر
ماء كبلور يذو … ب وأدمع تتقطر
يروى القطا الكدري منهُ ويحييه الجؤذر
في حافتيه الورد والنـ … سرين والنيلوفر
وعليه من نسج الصبا … درع هناك ومغفر
فالقصر وهو لمن مضى … من أهل مصر مقبر
نشرت به امواتهم … فكأنما هو محشر
رمسيس أين مطارف الـ … ديباج أين الجوهر
أين السرير وأين تا … ج امنحت أين العسكر
نم في رقاد ليس في … احلامه ما يذعر
فالموت نوم اكبر … والنوم موت أصغر
دنيا تشابه ملعباً … والليل ستر يستر
والفصل يضحك والثريـــا الشمس فيه تنوّر
جند هناك وسوقة … ومتوّج ومسخر
فاذا طرحت ثيابهم … ساوى الأعز الأحقر
فالأزهر الزاهي يدو … ي بالعلوم ويجأر
كدوي نحل وهو يجـ … مع شهده أو يذخر
فالازبكية حيث تطـ … وى بالعشي وتنشر
وتبيت تسجع في الدجى … ورقاؤها والمزهر
والبركة الفيحاء في … فضفضها تتزمر
ماء كعين الديك ينـ … ظم بالنجوم وينثر

وترى ضياء البدر فيـ … ـه كمثل عين تفجر
واذا تلوح الشمس في … لألائه أو تسفر
ألفيته المرآة والـ … حسناء فيها تنظر
فالقلعة العلياء تجـ … لى للعيان وتبصر
بمآذن كالحق لا … جنف ولا متأطر (٨)
قطر تمصّر بالورى … والارض برّ أقفر
وطن الغريب وداره … وقبيله والمعشر
ملك يحيط الارض يقـ … ـصر عن مداه ويكبر
في كل صرح مخبر … وبكل سفح منظر
ولكل لبنة غرفة … فيه حديث يذكر
فرعون والأنهار تجـ … ري واللوا والمنبر
ذهبوا فامسوا مثل رؤ … يا في المنام يعبر
هرمان فيه كشاهد … ين شهادة لا تنكر
وهياكل دثرت وذكـ … ـر حديثها لا يدثر
والمجد مثل الخمر يكـ … ـرم ما توالى الاعصر
كانت سلاطين الورى … فيه تشيد وتعمر
والغرب من اعماله … والقبلتان وتدمر
والخيل خيل الله تر … كب والهوائف تنصر
وفرنجة ومليكها … تعزى بمصر وتؤسر
هذي مناقب مصر تر … وى في الانام وتسطر
ولسوف يرجع ما مضى … ويعود ذاك المفخر
وكذا الزمان يدور والـ … ـقدر المغيب تغور
والبدر ان وافى السرا … ر فبعد ذلك يبدر (٩)
والعود ييبس برهة … فإذاه عود أخضر
عباس أنت لنا وأنـ … ـت لنا العميد الاكبر

(٦) الرند والعبهر نبتان طيبا الرائحة (٧) سفين نوح حمل فيها من كل حيوان زوجين (٨) يريد كالحق في الاستقامة. والجنف الميل. والمتأطر الانثناء (٩) السرار آخر الشهر. و يبدر اي يطلع بدرا

الغيريَّة

بقلم جناب فارس افندي الخوري

نعني بالغيرية كلَّ عملٍ من طبعهِ جرُّ المنافع او دَرْءُ المفاسد عن الغير . وهنا يتوجه منا السؤَال فيما اذا كانت الغيرية مطلباً من مطالب العمران او مقوّماً من مقومات الاجتماع وهل الانسان مطالَب بنفع غيرهِ او هو قوَّام على نفسهِ فقط لا يأتي عملاً الاَّ اذا كانت مغبَّتهُ لنفع ذاتهِ وثبات قدمهِ في حيّز التنازع . وفي الجواب عن ذلك نقول :

لو اعتبرنا اعمال الاحياء الظاهرة بقطع النظر عن المقاصد والمحرّكات الكامنة وراء تلك الاعمال والباعثة اليها نجد ان الغيرية تلعب دوراً جليلاً في تمثيل رواية الوجود الحيّ وذلك الدور يبتدئُ منذ انبلاج شفق الحياة وهي تقوم بالانانية كما ان الانانية لا تقوم الاَّ بها

بما ان كل حيٍّ من جميع الصنوف يهتمُّ بحفظ حياتهِ في الدرجة الاولى وبحفظ نوعهِ في الدرجة الثانية وبما ان السُّنة التي تجري الاحياء عليها لبلوغ هذه الأُمنية هي واحدة لجميعها يستحسن الآن ان لا نقيّد بحثنا في الانسان فقط بل نطلقهُ على الحيوانات لتتناول الادلة والامثلة من جميعها على اختلاف طبقاتها وتباين رتبها . وهذه خطة جرى عليها علماء الطبيعة في هذا القرن ان يرجعوا الى البسائط عند بحثهم عن المركبات سواءٌ كان البحث في المادَّة والاعضاء او في الحركات والانفعال خصوصاً عند تحقيقهم مبادىء الانسان وطباعهُ ذهاباً الى ان قواهُ منسلخة عن قوى الحيوان ومنتزعة منها وان جميع الطباع والاخلاق التي فيهِ موجودة في الحيوانات السافلة بكميَّات تنقص مع هبوط درجة الحيوان في سلم الارتقاء الى ان تصير في ادنى درجاتهِ قليلة صغيرة بحيث يكاد لا يشعر بها . وقوى الانسان تختلف عن قوى الحيوان بالكمية وليس بالكيفية وهذه القوى تكون في درجاتها الاولى بسيطة طبيعية لم يعتورها تغيير ولا تكييف ومنها يتطرقون الى ما تشعَّب تركيبهُ وتفرَّعت اعضاؤُهُ وكل ذلك وسيلة الى بلوغ الحقيقة التي هي محجتهم المقصودة وضالتهم المنشودة

الحيوان بطبعهِ ميَّال الى الخلود طامع بان تبقى لهُ حياتهُ ما دامت الارض والسماء . وكل حاجة للغذاء او تأَثر طبيعيّ بحرّ او برد او اقتحام من حيوان آخر او أيّ فاعلٍ يعمل على اضعاف قوتهِ وايقاف حركة الحياة فيهِ مكروهٌ عندهُ سواءٌ كان الحيوان ذا عقلٍ وارادةٍ او ذا طبيعةٍ وسليقة ولذلك تراهُ يعمل كلَّ ما في وسعهِ ويبذل الجهد المستطاع ليتخلص من الاخطار ويفرّ من المنية فهو اذن يحاول اول كلّ شيء ان يحافظ على حياتهِ بالتهالف عما يحمل

حبلها قصيرًا والاقدام على ما يمدُّ فيها عمرًا طويلاً . ولا شيء اكفل لتنويل هذه الغاية من الاقتصاد بالقوَّة التي يحرزها الحيوان وصرفها حيث تثوب اليهِ وينتفع بها. وكل عمل يبديهِ لهذه الغاية لتمهيد سبل الحياة امامهُ وتطويل المدَّة التي يعيش فيها هو مندرج ضمن الانانية ويُعدُّ من قبيل ايثار النفس

اذا قلبت حجرًا صغيرًا على ظهر دمنة وكان تحتهُ جماعة من الاجياز او الخنافس تجد تلك الحشرات تضطرب وتنزعج عند رفع الغطاء عنها وتعريضها للفواعل الطبيعية فتذعر وتهيم على وجوهها الى كل الجهات وواحدها يهمُّ مسرعًا لا يلوي على شيء الى ان يجد لنفسهِ موطنًا جديدًا ومحرزًا امينًا تحت حجرٍ او في ثغيرٍ من ثقوب الارض فيعتصم فيهِ ليقيهُ ما يمكن ان يقتحمهُ من الشرور والآفات . واذا كان وراءهُ رفقة واشتد عليهِ الخطر لا يعود يكترث لامرها بل لا يشغلهُ الاَّ ان ينجو بنفسهِ كما فعل الحرث بن هشام في وقعة بدر فانهُ

ترك الاحبة ان يقاتل عنهمُ ونجا برأس طمرَّةٍ ولجامِ

الاَّ ان هذا الحذر والتوقي لا يغني عن الفرد شيئًا فالكريات الحيوية التي يقوم بها استقلالهُ في قيد الوجود والشعور لها أجلٌ تبلغهُ وحدٌّ تقف عندهُ لا تستطيع بعدهُ الاستمرار في النمو والنشاط فيحل بالفرد الفساد ويقف فيهِ عمل الحياة رغمًا عن فرارهِ من الموت وتجافيهِ عن دعاوي الهلاك كما قال الشاعر

يوشك مَن فرَّ من منيتهِ في بعض غرَّاتهِ يصادفها

او كما قال الآخر

فمن لم يمت في اليوم لا بد انهُ سيعلقهُ حبل المنية في الغدِ

فهو اذن عاجز مهما بذل من الوسائل واستعد من الحبائل عن ان يستأخر اجلهُ الى الابد ومن ثمَّ يعود فيقنع ببقاءِ نوعهِ وتركهِ في الارض ذرية من شكلهِ يدوم بها النوع محفوظًا

وكما ان الفرد الحي يبذل من قوتهِ للمحافظة على نفسهِ وابعاد الموت عنها كذلك هو حري ان يبذل من قوتهِ مقدارًا كافيًا لاجل المحافظة على نوعهِ. وهذا الامر واقع ومرعي الاجراء في جميع طبقات الحيوان من ان كل فردٍ يدفع من قوتهِ جزءًا غير قليل لاجل اقامة النسل اولاً في عمل التوليد وثانيًا في تربية الصغار . فان كان التوليد بالانقسام كما هي الحال في الانفيوزوريا وغيرها من فصيلة البروتوزوى يكون الحيوان قد خسر وجودهُ مستقلاً بعدما يتجزأ ويصير منهُ عشرات او مئات من جنسهِ ويموت اكثرها او كلها بفقدان حاجاتها الى الحياة . واذا كان التوليد بالمزاوجة كما هي الحالة في ما فوق تلك من الفصائل يكون الحيوان قد اعطى جزءًا من

جسدهِ ليتكون منهُ النسل وهذا الجزء هو بعض قوتهِ التي يملكها بحق الاكتساب . وفي فصيلة الحشرات بعد ان تتمّ الحشرة عمل التوليد وتضع بيوضها بمكان أمين تنقضي حياتها وتستأسر الى الفناء كأنها لم تعش الاّ لتقوم بهذا الواجب وتحيي لنفسها ذكرًا يخلد الى الذرية فمتى اتمت عمل التناسل تموت غير مأسوف عليها

ولما كان سير الحركات الحيوية في الفصائل الآنفة الذكر طبيعيًّا انفعاليًّا اصبح فيها ما يجيز القول بضعف الاستقراء اذ انهُ لا دليل على ان افعال هاتيك الحيوانات السافلة مقرونة بالعقل والارادة او انهُ يصحبها شيء من القصد بل ان عدم التنويع في معيشتها يسوق الى القول انها مسيَّرةٌ في هذا السنن مضطرَّة الى تتبع تلك الخطة وهي لا تعي معنى ما تفعل فلنعبر عنها الى ما هو اعلى منها تاركين امر الغيرية في التناسل والتوليد اذ لا يُرتاب في ان الحيوان يبذل من جسمهِ قسمًا ولو صغيرًا يكون منهُ جرثومة او جنين لقيام النسل

جميع ذوات الثدي تهتمُّ بشان صغارها وتنقب في الارض باذلةً جزءًا كبيرًا من قوتها في التفتيش عن غذاء تنمو بهِ تلك الصغار . والطيور تحمل الطعام وتقطع بهِ المسافات البعيدة لتزقّ فراخها بهِ ولعلها تكون في حاجةٍ شديدة اليهِ . وكل ذوات الفقرات تظهر عليها علائم الاضطراب وتنبىء حركاتها بشدَّة الانزعاج الذي يأخذها عندما ترى صغارها في حالة الخطر اما في الانسان فالحقيقة اوضح من ان تجلى او تبسط وما يتجشمهُ الآباء والامهات من المشاق تربية اولادهم والحرص على رفاههم يزيد على نصف اعمال البشر

كل هذه الاعمال التي يقوم بها الحيوان الاعجم بطبعهِ والحيوان الناطق بطبعهِ وعقلهِ معًا حبًا باقامة النسل وحفظ النوع تقتضيهِ ان يبذل في سبيل غيرهِ من القوة التي كان يدخرها لمنفعة نفسهِ . وكلما زادت مقدرة الحيوان على خدمة نفسهِ تزداد مقدرتهُ على خدمة نسلهِ وتزداد اهليتهُ للتوليد وتربية الصغار وكلما ضعف عن خدمة نفسهِ ضعف عن خدمة ولدهِ ومن ثمَّ كانت الانانية والغيرية من هذه الجهة متلازمين لا يفترقان ورفيقين لا يختصمان . وكلُّ حيوان يتطرف في ايثار نفسهِ ويضنُّ بجزء من قوتهِ في التناسل والتربية يجازى بتناقص ولدهِ اولاً وبفناء نوعهِ اخيرًا وبذلك تكون الطبيعة عاملة على التخلص من كل من هو متطرف في الانانية وحبّ الذات كما انها عاملة على التخلص من كل من هو متطرّف في الغيرية وخدمة الجنس كما اثبتنا ذلك في المقالة السابقة

ينتج مما تقدَّم ان الغيرية تصاحب الانانية بين الفرد ونسلهِ وتشتد اواخيها وتتوثق عراها كلما دنت درجة القرابة حرصًا على بقاء النوع الذي يحنُّ اليهِ ويشتاقهُ كل حيوان . والحيوان

الذي لا ينفق عليهِ ابواهُ قوة كافية في تربيتهِ يشبّ ضعيفاً عاجزاً فلا ينفق هو في تربية ولدهِ الاَّ مثل المقدار الذي انفقهُ ابواهُ في تربيتهِ او اقل منهُ . وهذا الحفيد يكون بالولادة اضعف من ابيهِ لان اباهُ اضعف من جدهِ وهكذا يبقى معدل القوة آخذاً بالتناقص الى ان يتلاشى النوع . وبالعكس اذا اورث الفرد ابنهُ قوى شديدة وجهزهُ باعضاء كثيرة تشدُّ يدهُ في عمل الحياة فالابن اذ ذاك يورث ولدهُ مثل الذي ورثهُ من ابيهِ او اكثر منهُ وبها ترتقي سعادة المجتمع ويحسن حال الافراد

ان الغيرية تكون اولاً بين افراد العائلة الواحدة ثم تنتشر وتمتد بازدياد العلائق المدنية الى ان تصير بين العشائر ثم بين الفصائل ثم بين الافخاذ ثم بين البطون فبين العمائر فبين القبائل فبين الشعوب وهذا الامتداد لا يتمُّ ولا يكون وثيق العرى الاَّ اذا كان العمران سيَّراً على قواعد تصلح لانتشار الغيرية وتمالئهِ عقل الانسان على تمشي الميل الى خدمة الجنس . فان كانت الشرائع الادبية والدينية التي يخضع لها القبيل تمسك افرادهُ بربط الاتحاد والاخاء والحرية والمساواة وكانت مواثيق المزاوجة متينة العقد والحب بين الزوجين شديداً لم يشبهُ امر الضرار والمنازعات بين العصبيات قليلة ونظام الاعمال يُرصن بالعدل كانت اواخيّ الغيرية والميل لخدمة الجنس على اشدها والعكس بالعكس . وانت ترى اليوم ان الغيرية لا تقتصر على كونها في بيت واحد بين الاب وابنهِ بل تجاوزت هذا الحد وصارت تضمُّ كل الذين تجمعهم جامعة واحدة لمصلحة يستجرها احد الطرفين بحسن حال الآخر . كل البلاد المتمدنة تتأثر بسوء في تجارتها عند ما تنشب حرب بين امتين . واذا انحلت كورة يخسر كل من لهُ علاقة مع سكانها وهذا يظهر ان المصلحة المدنية عاملة على تعميم الغيرية بين الشعوب كلها

من هذا المقام تتدرج لاظهار المغانم التي يجرها المرء لنفسهِ والمغارم التي يدفعها عنها اذا كان في امة ينفق كلٌّ من افرادها شيئاً من قواهُ في اصلاح غيرهِ واجتذابهِ الى محجة الصواب . ولننظر اولاً في المنافع التي تنعكس على الافراد اذا كان العدل سائداً في الامة والتعدي والظلم ممنوعين على اعضائها . اذا كان الناس بدلاً ان يتفرقوا تحت كل كوكب قد اجتمعوا لاجل الحماية ومآرب اخرى يجب ان يكون الربح الذي يجنيهِ كل فردٍ من الاجتماع اكثر من الخسارة التي يتحملها بهِ وغنمهُ بالائتلاف اوفر من غرمهِ بزحامهِ مع مواطنيهِ . وتلك الزيادة من اللذة الشخصية لا تتوفر الاَّ بغيرية تجعل الفرد يعترف بحقوق الغير عليهِ مختاراً او مكرهاً. فان كان مكرهاً على هذا الاعتراف بما يتخوف من العقاب او الانتقام تكون منافع الاجتماع قليلة واذا كان اعترافهُ بها اختيارياً اي اقرب الى الغيرية وعرف كل حقوق غيرهِ فاداها بدون تقاض

تبلغ فوائد الاجتماع مبلغاً جليلاً . وحيث لا وازع يزع القوي عن الضعيف كما هي الحال بين بعض قبائل اوستراليا حيث يتنازل الرجل غيره لاجل احراز المرأة وحيث يتنازل نساء الرجل الواحد بعضهن بعضاً بالشفار والعصي لتستأثر الغالبة به ما دامت متغلبة لا يستطيع الفرد ان يتمتع بلذات حياته لان الحزازات الداخلية والعداوات الاهلية تجعله دائماً حذراً وجلاً على نفسه فيصرف قسماً من قواه بالخوف وقسماً آخر باخذ الاهبة والاستعداد للدفاع اذا دعت الحاجة ناهيك ما يحصل من التشويش في حركة الاعمال عندما يفقد الامن على الدم والمال. وكلما كثر خصوم المرء والطامعون بما عنده ساءت حاله لان اولئك الذين يضمرون له الشر يتربصون به الدوائر وينتظرون فيه الفرص ليوقعوا به ويأخذوا ما في يده من المال والمتاع وبذلك يلزمونه ان لا يخرج من منزله الا شاكي السلاح خفوق القلب

ولا يكتفي المجتمع من الفرد بان يراه قائماً بالقسط وحده بل يطالبه بان يجعل اصحابه وذويه ومن هم في حيزه يجرون على العدل في معاملاتهم لان احجام الكثيرين عن تأدية الحقوق يمنع الفرد ان يتمتع بنتيجة اتعابه ويجعل تلك النتيجة مشكوكاً ببلوغها . ومثل ذلك قل عند ما يعتاد الناس اخلاف المواعد والتملص من عقال الروابط في المساومات اذ كلما قلت امانة المشتري يرتفع ثمن السلعة وكلما نقصت الثقة بالمديون علا معدل الربا . وهذه وامثالها من النتائج المضرّة التي تترتب على غش المتعاملين واسترسالهم الى هضم الحقوق تعود على راحة المجتمع بالاقلاق وعلى بنيه بالخطر والازعاج ونظهر ان اللذة الشخصية التي يرجوها الفرد في حياته المدنية تتعلق على اهتمامه بامر الغير واجتهاده بان يصلح فاسدهم ويقوم مائلهم . ولا يليق بنا ان نتخطى هذه الفقرة المختصة بالعدل قبل ان نذكر شيئاً عن اختلال الادارة في القوة الحاكمة وما لذلك من اليد الطولى في تشويش اعمال الافراد وانتزاع راحة العباد فالرجل الذي يزعم انه لا يتحرش لاولياء الحل والعقد ولا يتتبع حركاتهم بالتصحيح او التجريح بل يقوم على شغله الخاص ويتركهم في طغيانهم يعمهون — من يزعم ذلك فقد غاب عنه ان شغله لا يستقيم امره الا باستقامة امر اولئك ولا يأمن على سلمه وديونه وبنيه وعقاره وحياته الا اذا كان في دولة مسيَّجة بالعدل وقائمة على الحق

اما اذا كان يجلس على كراسي الحكم قوم لاخلاق لهم همهم استنباط الحيل لابتزاز اموال الناس بالرشى والاغتصاب يفسدون في الارض ويقولون انما نحن مصلحون لا يصلون الى مناصبهم الا بتزلفهم الدنيء او ببذل المال او بقرابتهم لاحد الحاظين عند الملك . يتربعون في دست السيادة فيملأونه شحماً ولحماً وفوق الشحم واللحم رؤوس عشش فيها الجهل فانتج اوهاماً

وشروراً . اذا كان امثال هؤلاء يتولون امر الامة دبّ في عروقها الفساد واسرع اليها الفناء. اذاً على الفرد من هذه الجهة اولاً ان يكون هو نفسهُ عادلاً قوّاماً بالقسط ثانياً ان يكون داعياً الى العدل والاستقامة ثالثاً ان يساعد القوة الحاكمة في اجراء العدل ويبذل معها استطاع ليستأصل شأفة الظلم وينقي البلاد من كل عاطل معطل وفاسد مفسد. وهو ان فعل ذلك حقيق بان يتمتع براحة واقبال ويرتع في العيش الخُضال

ان رفاه الفرد لا يقوم بانتشار العدل فقط بين مساكنيهِ والمحافظة على تأدية الحقوق وسلامة الحياة بل ان الصحة الوطنية لها اثرٌ شديد على انبساط عيشهِ وحسن حالهِ

اذا سمينا المشتغلين في سبيل استثمار الارض وصناعة السلع موجدين والذين يأكلون الاثمار ويُخلقون السلع منفقين يكون كل افراد الامة منفقين والفريق الاعظم موجدين . وبديهيٌ ان كمية الاشياء التي يوجدها الموجدون توزع بين كل افراد الامة للانفاق . وكلما زادت تلك الكمية زادت الحصة التي تصيب كل واحد من المنفقين وزيادتها تتوقف على امرين عدد الموجدين وقدرتهم على الايجاد . اذاً كلما زاد عدد الاقوياء الذين يستطيعون العمل وزادت مهارتهم في طرق الايجاد وقوتهم على الاكثار منهُ تزيد حصة الفرد من المنفقين. ولا يزداد عدد الموجدين الاّ اذا قلّ الضعفاء الذين في بنيتهم نقص فطريٌ او طارئ يمنعهم استطاعة العمل في وظيفة يكون منها نفع لتكثير حاصلات البلاد. وكلما زاد عدد هؤلاء العجزة قل عدد الموجدين ومقدار الخيرات وبالنتيجة قلت الحصة التي تصيب الفرد الواحد لانهم عيال على المجتمع يأكلون ولا يشتغلون . اذن يجب على كل فردٍ ان يعمل ما استطاع ليقلل عدد هذه العالة لا قتلاً ولا اهمالاً بل بمداواتهم وتخفيف ويلاتهم وبالاهتمام باولادهم كي لا يشبُّوا مثلهم حملاً باهظاً لكاهل الانسانية وهم اذا تُركوا لانفسهم يزوجون ويتزوَّجون بدون عناية وتهذيب ينمو عددهم ويكثر سوادهم حتى يملأُوا الشوارع ويقطعوا الطرق على المارَّة ممدودي الايدي وهم يجأَرون بالدعاء الى الله ليدر عليهم صدقات المحسنين ولذلك تراهم في البلاد التي لا تصلح الحكومة فيها شأنهم اكثر عدداً وابين تفشياً مما هم في غيرها فلا تخلو منهم منعطفات الطرق وجوانب الجوادّ واذا عثروا على رجلٍ في قلبهِ شفقةٌ عليهم لا يفرجون عنهُ حتى يصير مثلهم . وليس العجزة فقط ينفقون ولا يوجدون بل لهم شركاء لا يمكن اصلاحهم واليهم اشار شلي (Shelley) الشاعر الانكليزي في قصيدةٍ نعربها هنا مثالاً من الشعر الافرنجي في باب الحماسة والاستنفار قال

يا رجال انكلترا على مَ تحرثون للشرفاء الذين يمتهنونكمُ والى مَ تحوكون الحلل الفاخرة

ليلبسها المستأثرون بأمركم ؟

على م تطعمونهم وتكسونهم وتحرسونهم من المهد الى اللحد وهم اشبه بذكور النحل لا يعرفون لكم فضلاً بل يستنزفون عرقكم و يشربون دماءكم ؟

الى م يا رجال انكلترا الامناء تطبعون السيوف وترهفون الحراب وتجيدون صنع الاسلحة ليستعين بها اولئك الخاملون الضعفاء على اغتصاب ما تكسبون بشق النفس ؟

اهو الرخاء ام العزاء ام الاطمئنان ام المأوى ام الطعام ام عصير الحب العطر او ما هو الذي تشرونهُ بهذه الاثمان الغوالي بآلامكم وبخوفكم ؟ تزرعون وغيركم يحصد توجدون وغيركم يذخر تنسجون وغيركم يلبس تصقلون وغيركم يتنضي

ازرعوا البزور ولا تدعوا المستبدين يجنون ثمارها . اوجدوا الثروة ولا تدعوا الماكرين يحشدونها. انسجوا الحلل ولا تدعوا الكسالى يلبسونها. اطبعوا السيوف وانتضوها للذود عن حوضكم

اقبروا الى اكواخكم واوكاركم وكهوفكم فالقصور الباذخة التي تشيدونها يتنعم فيها غيركم. لماذا تخوّفون بالاغلال التي صنعتم وبالشفار التي صقلتم ؟

بمعاولكم خطّوا رموسكم وبآلات بنائكم عمّروا قبوركم وعلى انوالكم انسجوا اكفانكم حتى تضمكم ترب انكلترا وتفنوا غير مأسوف عليكم . آه

ثم وان كان ضعف العجزة المعدمين واعتمادهم على غيرهم في تجهيز حاجاتهم ناجماً عن خلل في اجسامهم او انحطاط بنيتهم او خمول في عقولهم وزيادة عددهم تؤثر في كل فرد سواء بتراكمهم في دور العجزة والمستشفيات الاهلية وبازدحامهم في مفارق الطرق وعلى الابواب وان كان ذلك الضرر بيناً واضحاً الاّ ان الضرر الذي يلقاهُ الفرد باختلال امر الصحة الاهلية اوضح مما هو في تلك. فاذا كانت الاجسام ضعافاً والبنيات ضعيفة ووفد على الامة احد الامراض المعدية كالحمى التيفوئيدية او الهيضة او الطاعون او الجدري او الخناق تكون هذه الامراض سريعة التفشي بينهم وذريعة الفتك فيهم ولا يأمن ذلك الفرد ان يوقع بهِ المرض وهو يختطف جيرانهُ الواحد بعد الواحد وان سلم هو من بطشهِ فقد لا تسلم امرأتهُ او ابنهُ او ابنتهُ او خادمهُ او احد زُبُنهِ في المعاملة . وفي كل الاحوال يكون تشويش الصحة العامة عائداً عليهِ بالمضرة فهو اذا بذل جزءا من قوتهِ المالية في تنظيف الاغرفة وتنقية الهواء ومداواة المصابين المحاويج وتغذيتهم وتقوية اجسامهم ليتغلبوا على الامراض وينجوا من الادواء اذا نزلت بهم يكون بذلك خادماً نفسهُ باذلاً المال في سبيل مصلحتهِ الشخصية وجرّ السعادة والراحة الى ذاتهِ .

وليس الامر باقلّ خطارة في قوى الامة العاقلة فدرجة العقول العامة من الارتقاء ومنزلتها

من التهذيب والتثقيف لها يدٌ طويلة في تكييف حالة الفرد وتعيين مقدار سعادتهِ ونضارة عيشهِ. فان كان الجهل فاشياً في الامة يكون نظام التعليم قاصرًا ودوائر التلقين مختلة فلا يتمكن الفرد من تعليم اولادهِ والراجح انهم يشبون جهلاء اغمارًا مثل مواطنيهم المتقفين عليهم . واذا استأجر صانعًا يصنع لهُ سلعة او استبضع السلعة من السوق تكون تلك السلعة ناقصة الشروط رديئة الصنعة غير كافلةٍ لهُ كفاف الحاجة . واذا استخدم جاريةً تصلح لهُ شؤون بيتهِ وكانت الخوادم في بلدهِ قصار العقول عاريات عن المعرفة لا يأمن اذا خرج في الظلام مارًّا في بهو الدار او في الدهليز او في المطبخ ان يطأ صحون الطعام او يدوس في ماعون الطبخ او يعثر بدلو الماء فيخرّ على وجههِ ويسيل الدم من انفهِ . واذا جاء بطاهٍ واقترح عليهِ طعاماً يطبخهُ لهُ وكان الطاهي جاهلاً فالرجل عرضة لأن يصاب بسوءِ الهضم او مضطرٌ الى ان يترك الطعام المطبوخ لرداءتهِ ويأكل من حواضر البيت . وقس على هذه غيرها من جميع الحاجات التي يلتزم فيها الفرد الى التماس المساعدة من الناس . واذا كانت وسائل الايجاد غير مرتقية وعقول الامة مقيمة على التقليد لا قبل لها في التوليد وتحسين الطرق الصناعية تكون السلع قليلة المنفعة كثيرة النفقات غالية الاثمان. فمن ذلك ترى ان قصر عقول افراد الامة وانحصار افكارهم في دائرة ضيقة وقلة معارفهم بطبائع المادة وخواصّ الاجسام تجعلهم عاجزين عن اتقان وظائفهم قاصرين في مطالب صنائعهم وهذا العجز والقصور ينعكس ضررهُ على كل فردٍ من افراد الامة ويحصد عامتهم منهُ نكودًا تجعل العيش مرًّا والحياة جحيماً . فيستخرج من ذلك ان الفرد اذا ارخص في ترقية درجة العقل العام ونشر مبادىء العلوم التي تفيد الناس في اعمالهم يكون لهُ من ذلك نتيجة حسنة تجعل عيشهُ طيباً وحياتهُ نعيماً وذلك يكون بمساعدة المدارس وتنشيط الجرائد النافعة والمجلّة العلماء ومدّ اندية العلم ودور المطالعة بالإسعاف وحث الناس على الإقبال عليها والاسترشاد بنورها

اما الفوائد الناجمة لكل عضوٍ من اعضاء المجتمع عن حسن المبادىء الادبية المنتشرة في الامة فليست إقلّ اهمية مما تقدم. اذ ان الصدق وبراءة الذمة في المعاملات وعادة الاخلاص في الود والامانة في الاعمال واتباع صوت الضمير الصالح وحسن ذات النفس وصفاء النيات والسرائر توجب طمأنينة المرء وارتياحهُ الى صدق العلائق المدنية وثقتهُ بصحة ما ينقل اليهِ من الاخبار ويعرض لهُ من التقارير في ضروب المعاملات . ويكفيهِ عبء تعقب الحوادث التي تمسّ مصلحتهُ ليعرف صحيحها من فاسدها ويميز بين صادقها وكاذبها . ولكن إذا كان الضمير العام موسوماً وآداب القوم فاسدة وعقارب الكذب والمكر والغش والفسق والإختلاس

دائماً بينهم يبقى الفرد وقواهُ منصرفة الى توقي الشرّ وعيناهُ محدقتان يلتفت يمنةً ويسرةً و ثنى لولهُ عيون في ظهره لئلاّ يفاجئهُ شرُّ الناس على حين غرّة . واذا اشترى سلعةً ينقد ثمنها وقلبهُ يخفق ويدهُ ترتجف فيحمل السلعة الى منزلهِ ويحشد عليها رجال الحي من اهل الخبرة لاجل اعطاء القرار في ما اذا كان مغبونًا بالثمن دون وجد انهُ اشتراها بقيمتها ابرقت اسرتهُ وطار فرحًا وحسب الصفقة نصرًا عظيمًا وفتحًا مبينًا واحتفظ بالسلعة علامة للظفر واذا كان قد اشتراها حريرًا فاذا هي كتان او ذهبًا فاذا هي نحاس يصفق صفقة المغبون ويقرع سنّ النادم ويسوء عيشهُ بعدها اياماً كثيرة بل يزيد ذلك في حذره وتوقيه ويوطن النفس على انهُ لا يصدق بعد اليوم بائعًا مهما اغلظ الاقسام واحرج الأيمان . ولا يخفى ما لاستفحال المبادىء الرديئة بين الناس من سوء العاقبة والتدرج الى ارتباك حركة التجارة وعرقلة ايدي الصناعة فترتفع اسعار السلع وتقل متانة الادوات ويعلو معدل الربا ويبقى الناس لاهم لهم الاّ اختراع الوسائل ليوقعوا بعضهم ببعض ابتداء وانتقاماً وتنتشر بينهم العداوات وتتأصل في صدورهم الحزازات وتفقد المروءة والشهامة ويضيع حق الوفاء بين الطمع والحذر والغدر والخيانة

فالفرد اذا ضحى جزءًا من قواهُ المالية والادبية لاجل اصلاح آداب العامة والنزوع بالناس الى معارج الحق والفضيلة ترجع اليهِ قوتهُ المبذولة بفائدة ينعم بها بالهُ ويستقيم شأنهُ وحالهُ . وذلك يقوم اولاً بان يكون هو مثالاً صالحاً وقبساً نيرًا يمشو المدلجون الى ضوء نارهِ ويسعى المتناولون حلة الادب والفضل على منوالهِ بان يصلح ذات نفسهِ فلا يغشّ في المعاملات ولا يكذب في الحديث ولا يشتهي ما في يد الغير ليعمل على استلابهِ ولا يمالىء في عمل وضميرهُ يشعرهُ بان ذلك العمل يشوهُ وجه الآداب ويحط من قدر الفضيلة . ثانياً بان يجتهد في تربية اولادهِ واصلاح الفاسد من بيتهِ وتقويم منآد اصدقائهِ ومن لهم معهُ علاقة مادية او ادبية ويتجانف على الجلوس في مجالس الاستهزاء والمهاترة الاّ لغاية النصح والارشاد وان يعمل على نشر المبادىء القويمة ليعمّ الصلاح وتتوثق الفضيلة في النفوس وهو اذا فعل ذلك جديرٌ بان يعيش في امة تتنعم في الفردوس قبل عبور الصراط ومستحق ان يحيا خلياً من الاذى ذا حظ موفور وعرض صين

وفي غير ما تقدم نرى ان حالات الدس تمسّ مصلحة الفرد بحس المشاركة وهو شعور الانسان مع غيرهِ في الحزن والفرح . وبالحقيقة ان المرء يطلب السعادة ليس ليسرّ نفسهُ فقط بل ليسرّ ذويهِ واحباءهُ وما احسن قول المتنبي بهذا المعنى

لمن تطلب الدنيا اذا لم تُرِدْ بها   سرورَ محبٍّ او اساءة مجرمِ

وهو بطبعهِ الوف يحب الاجتماع و يصغي الود الى بعض شكولهِ ويتألم معهم اذا رآهم يتألمون فكثيرون يغمى عليهم اذا رأوا الدم يسيل في عملية جراحية ومنهم من لا يستطيع ان ينظر الى ولدٍ يبكي او الى مريضٍ يتوجع . وقوة هذا الحس لا عمل لها الاَّ بالملاقة مع الغير فهي غيرية محضة ومن كانت هذه القوة عظيمة فيهِ تراهُ محبوباً كثير الاصدقاء يشعر معهُ الكثيرون اذا نكب ويجد ايدياً عديدة تمدُّ لتنهضهُ اذا سقط. وقيل لبعض الحكماء ما العيش قال " اقبال الزمان وعزُّ السلطان وكثرة الاخوان ". ومن الاقوال المأثورة عن النبي العربي " المرء باخيهِ كثير " ولا يكثر اخوان المرء الاَّ اذا كان الوفاً يتوجع مع اصدقائهِ ويفرح اذا فرحوا . اما من كان قليل الاكتراث بالناس لا يهمهُ سقوطهم او نهوضهم فهو ابداً ممقوت لمن يحيط بهِ لا يجد من يشاركهُ في وقت حزنهِ او يفرح معهُ في فرحهِ . ومنها ترى ان افراح الآخرين واتراحهم تمسُّ حواسَّ الفرد راساً بتأثرهِ معهم في شعور المشاركة . وحب الذات من هذه الجهة متعلق على حب الاغيار وتحسين حالهم ليكثر سرورهم وتزداد بهجة الفرد بهم

وفي الختام نذكر مسألة الاعياء وهي ان الشهوة الحسية اذا اخمدت كما لمعت او أوقظت وعلقت زيادة عمَّا تطلب يكون هذا قاضياً عليها بالاعياء . والعمل اذا كثر تعهدهُ يصبح عادياً وتفقد اللذة بهِ فالذي يدخل محلَّ التمثيل المرة الاولى يشعر بلذةٍ عجيبة ولكن اذا اكثر التردد اليهِ اعياهُ الملل وصار يدخلهُ كانهُ غرفة عادية. والولد الصغير يبتهج كثيراً بسماع القصص التي لم يختبر مثلها في الطبيعة ولكنهُ متى نما وكثرت معارفهُ عن احوال المادَّة والناس لا يعود يلذهُ كل ما كان يلذُّ قبلاً ولذلك قالوا لكل جديدٍ طلاوة . فاذا كان الفرد لا يهتمُّ الاَّ بتجريد شهواتهِ والاكثار من الملاذّ الشخصية يفقد اخيراً الشعور باللذة او على الاقل تهبط درجة لذاتهِ بالمطربات اما اذا كان يتلهى حيناً من الدهر عن خدمة شهواتهِ وينبعث بعواطفهِ الى خدمة الجنس يكون هذا الحين فرصة لعصبيتهِ تستجمُّ فيها قواها وتثوب اليها نشاطها فيشعر عند كفايتها بلذة لم يكن لهُ بها عهد من قبل كالذي يضع على انفهِ زهرة ذات رائحة زكية فانهُ يشعر عند انتشاقها المرة الاولى بنكهة عطرة ولكنهُ اذا ابقاها على انفهِ واكثر من شمها يفقد الشعور برائحتها وهو اذا ابعدها عن خيشومهِ دقيقة من الزمان يستريح فيها عصب الشم ثم اعاد اشتمامها يعود الشعور بنكهتها كما كان . وهذه هي الحال في كل الحواس العصبية ينهكها الاكثار وتعود الى عملها بالراحة والتنويع . ان الشيوخ عند ما تضعف فيهم الشهوات الجسمية يحاولون تجديدها على طريق الغيرية فيبتهجون بان يروا اولادهم او احفادهم او سائر احبائهم يمارسون الاعمال اللاذة ويتمتعون بالعيش الطيب ولذلك تراهم في شيخوختهم ينصرفون الى عمل

الخير ومساعدتهم الناس توصلاً الى اللذة الشخصية

والخلاصة ان القول بالاثانية لاينفي العمل بالغيرية فقد اتضح جلياً ان تلك لا تقوم الاَّ بهذه فاذا كانت الاثانية جنساً تكون الغيرية نوعاً داخلاً في ذلك الجنس لان كل عمل غيري فيهِ منفعة شخصية والفرد اجتمع بالناس لانهُ عاجزٌ عن العيش بدونهم وربحهُ من الاجتماع هو كما قلنا سابقاً اكثر من خسارهِ بهِ . فالمبدأُ العام " ان تحب قريبك كنفسك " هو ركن العمران ومرجع لذة الفرد لان حب القريب مرجعهُ حب الذات . هذا وقد كتب علماء الافرنج مقالاتٍ ضافية في هذا الموضوع فمنهم من قال اعمل الخير لانهُ خير واتبع الحق لانهُ حق ومنهم من قال اعمل الخير لانهُ ينفعك واتبع الحق لانهُ يدلك على طرق النجاح وهؤلاء هم القائلون ان مبدأ الانتفاع مدار الاعمال والامانة خير سياسة . وقد استعنت في هذه المقالة بما كتبهُ الفيلسوف هربرت سبنسر الانكليزي واخذت عنهُ شيئاً كثيراً منها

الجغرافية عند المشارقة

بقلم جناب محمد افندي كرد علي

قضت سنة الوجود وطبائع العمران ان تنتقل العلوم من يدٍ الى أُخرى وتتناوبها امةٌ بعد امة جرياً على ناموس تنازع البقاء في جهاد هذه الدار وقضت ان يتخلَّف الشرق في الاعصر المتأخرة عن شقيقهِ الغرب في كل شيء بعد ان كان أَبا عذرة الكل وابن بجدة الكل تخلفاً يتوقف استبطان سرّهِ على النظر في التاريخ لتجلي الحوادث التي ساقت الى هذه الحال والمقدمات التي اعقبت تلك النتائج

وارحمتاه على المشرق اتت عليهِ ازمانٌ بارت في خلالها بضاعة العلم فاقفلت خزائنهُ وحوانيتهُ وتداعت اثابيرهُ ومستودعاتهُ وانقلب الشرقيُّ عقيب تلك الحضارة والنضارة وقد تنكرت في وجههِ معالم العلم وتخدشت ملكةٌ طالما رسخت في عقول الاجيال الغابرة الى ان بلغ انقلاب الحقائق في هذه الآونة ان فريقاً ممن تُتوقّع منهم نُصرةُ العلوم اصبحوا ينكرون جهاراً على غير استحياء تدريس علم تقويم البلدان او الجغرافية في احدى الكليات الاسلامية الشهيرة بعد ان كان لسلف هذه الامة في العصور التي يدعوها الغربيون بالمظلمة عنايةٌ بكل فن ومَطلب

كان من العرب الفلكيّ والرياضيّ والطبيعيّ والمهندس والجغرافيّ والمؤرخ والبيانيّ الخ ولكن ايام كان علماؤهم يطرقون كل موضوع ويمارسون كل فضيلة علماً وعملاً فيستعينون ببعض

العلوم على بعضها من غير نكير بخدموا من ثمَّ عامة العلوم والفنون التي انتقلت اليهم من الامم القديمة واجادوا في وضع ما وضعوهُ من عنديَّاتهم وبلغ بهم الولوع باكتشاف الجديد والتفنن في ادراك المفيد ان اتفق كثيرٌ منهم وُجِدَهُ لاستحضار الكيمياء واشتغل بالسحر والطلسمات على قلة الفائدة المترتبة عليها وما كان ينال مَن يخبط او يخلط من الاذى الاَّ ما كان من مناقشة الحساب والحكم في قوله لتلقينهِ فصل الخطاب

ولقد نشَّط الخلفاء والامراء كلَّ علم فكان من امير المؤمنين المأمون أن امر محمد بن موسى بن شاكر واخويه احمد والحسن بتحقيق طول خط نصف النهار لمعرفة محيط الكرة الارضية بالضبط فقاسوا احد خطوط الطول في سهل سنجار ثم اعادوا المقاس ثانياً في وطآت الكوفة فثبتت لديهم كروية الارض وعرفوا محيطها . وأن اقام مرصدين فلكيين في بلاده الاول بالشماسية ببغداد والثاني في جبل قاسيون بدمشق واقام عليهما جماعةً من علماء عصره يرقبون الاحداث الجوية والاجرام السماوية . وأن قال ايضاً رأيت فيما يرى النائم كأن رجلاً على كرسيٍّ جالساً في المجلس الذي اجلس فيهِ فتعاظمتهُ وتهيبتهُ وسألت عنهُ فقيل ارسطوطاليس فقلتُ اسأله عن شيءٍ فسألتهُ فقلتُ ما الحسن قال ما استحسنتهُ العقول فقلتُ ثم ماذا قال ما استحسنتهُ الشريعة قلت ثم ماذا قال ما استحسنهُ الجمهور قلت ثم ماذا قال ثم لا ثم . وكان ذلك على ما يقال من آكد الاسباب في إخراج الكتب الفلسفية والطبية والرياضية والطبيعية من اللغات الاعجمية الى اللسان العربي فبذل القناطير المقنطرة من الذهب والفضة لرجال المجمع العلمي المؤلف من ثلثمائة عالم حتى انهُ كان يعطي حُنين ابن اسحق وحدهُ من الذهب زنةَ ما ينقلهُ من الكتب مثلاً بمثل

وعلم الجغرافية ايضاً حاز نصيباً من خدمة العرب فما كانوا يفتحون كورةً ولا قطراً ولا يفتتحون كفراً ولا ثغراً ولا يستعمرون بلداً ولا مصراً الاَّ ويُعنى قوادهم باخذ المصوَّرات الجغرافيةً (الخرائط) استبقاء للنجح او استيفاء لشروط الفتح. وما كانوا يُدوّخون الامصار سقياً ورعياً وهم راكبون متن عمياء ومستسلمون للاقدار على علاتها . ذكر المؤرخون ان قتيبة بن مسلم لما اتاهُ سنة تسع وثمانين للهجرة كتابُ الحجاج بن يوسف يأمرهُ بقصد "وردان خذاه" عبر النهر من "زم" فلقيَ "الصغد" واهل "كش" و"نسف" في طريق المفازة فقاتلوهُ فظفر بهم ومضى الى "بخارى" فنزل "خرقانة السفلى" عن يمين وردان فلقوهُ في جمع كثير فقاتلهم يومين وليلتين فظفر بهم وغزا وردان خذاه ملكُ بخارى فلم يظفر بشيءٍ فرجع الى "مرو" فكتب الى الحجاج يخبرهُ فكتب اليهِ الحجاج ان صوّرها فبعث اليهِ بصورتها فكتب اليهِ

الحجاج ان تُبْ الى الله جل ثناؤهُ مما كان منك وائتها من مكان كذا وكذا وكتب اليهِ ان كس بكش وانْسُف نسَفَ وردْ وردان واياك والتحويط ودعني من ثنيّات الطريق. فعمل قتيبة بما امرهُ وافتتح البلد الذي كان تعصَّى عليهِ من قبل

هذه كانت العنايةُ باخذ المصوَّرات الجغرافية في الصدر الاول فما بالُك بعد ان استبحر العمران واتسعت مناحي الحضارة . وفي قيام اولئك الملاحين المدعوين بالمغرورين واقلاعهم من مدينة اشبونة في اقصى غربي اوربا بغية الوصول الى ما وراء بحر الظلمات من الاقطار الغربية وبعبارة اجلى لاكتشاف الجزائر الاميركية قبل قيام كولمبس باجيال وفي البعثات والحملات التي سيَّرها الخلفاء الى القاصية كبعثة الواثق العباسي لاكتشاف سواحل بحر الخزر وبعثة المقتدر بالله عام ٣٠٩ ﻫ الى البلغار للدعوة للاسلامية فيها واخذ احد اعضاء البعثة احمد بن فضلان معلومات مفيدة عن بلادهم وبلاد الروس وفي الحملة التي وصلت الى عاصمة الصين بعد فتح كاشغر سنة ست وتسعين للهجرة لدعوة الصين الى الاسلام وفي عشرات من امثال تلك الحملات اكبر دليل على تبريز العرب في مضامير الاكتشاف وارتياحهم لتجشم المصاعب من اجل افتتاح بقعة او ارتياد نُجعة . وما إخال التواريخ الشرقية والغربية على اختلاف لهجاتها ونزعاتها تضنُّ علينا بامثلة تبرهن على صحة هذه الدعوى

سار عن طريق القسطنطينية ايامَ حرب الصليب ملكُ فرنسا وعاهل انكلترا وامبراطور المانيا والنمسا بجيوش جاشت بالفرسان والرماة والمشاة لنجدة المستصرخين من اهل النصرانية في بيت المقدس وإحباط مساعي نور الدين زنكي صاحب مصر والشام وكان ملكُ الروم وهو اذ ذاك الشاب عمانوئيل بن الملك اليكسيوس الاول يخاف بادرتهم على ملكهِ فيما اذا انقلبوا ظافرين من حملتهم على فلسطين فاخذ يتربَّص بهم الدوائر لاهلاك جندهم فامر بخلط الدقيق المطحون وغشهُ بانكاس الابيض ليباع من الصليبيين وضرب نقوداً زائفةً تشبه الذهب والفضة وكان يتملق الصليبيين بعهودهِ ومواثيقهِ في الظاهر ويرسل سرًّا الى ملك قونية من آل سلجوق يحرضهُ عليهم مبيناً لهُ نيّات الصليبيين وانهم قادمون لاخذ باقي البلاد من المسلمين

ولما عزم كونراد امبراطور المانيا والنمسا على المسير في جيشهِ ومن صحبهُ من اهل الصليب استصحب من يدلهُ على الطريق في بلاد آسيا فسار الروم امامهم في جبال وعرة وتنكبوا بهم عن الجادَّة حتى اذا نفدت ازوادهم فرَّ الروم وتركوا الفرنجة قرب جبل طوروس فساروا بعد ثلاثة ايام بحالة يرثى لها وعندها طلعت عليهم العساكر الاسلامية فاشتجرَ القتال بين الفريقين فانهزم ملك الالمان والنمساويين وبقيةٌ من جندهِ ومَن سلم من الصليبيين الى مدينة نيقية

حيث قابلوا ملك فرنسا وبعد ذلك خاطر هذا الملك بجيشهِ فاجتاز شعاب جبل قدموس وجبالاً اخر مخوفة سموها جبال اللعنة واذ ذاك طلع عليهم ايضاً قسمٌ من جند السلجوقيين وقتلوهم فاندحرت عساكر الفرنسيس وركن لويس السابع الى الفرار مع من أفلت من ايدي المسلمين فانتهى بهم امدُ السير الى مدينة انطاليا وبعد مفاوضات طويلة مع واليها وكان رومياً تابعاً لملك القسطنطينية امرلهم بمراكب تقلهم الى انطاكية ولما لم تستوعبهم كلهم انقسموا الى شطرين بري وبحري وانضم الملك الى الشطر الاخير وبذل خمسين وزنة من الفضة لوالي تلك المدينة على ان يوصل العساكر المسافرة براً الى طرسوس فلم يوصِ احداً يدلهم على الطريق السهل فضلوا ايضاً كما ضلَّ اخوانهم من الانكليز والالمان والنمساويين على نحو ما ذكر في تواريخ الصليبيين وكم فيها من حوادث تنهض دليلاً على جهلهم اذ ذاك

وذكر ابن خلدون في رحلتهِ من مصر الى الشام لما غزاها تيمورلنك التتري [1] عام ٨٠٢ هجرية انهُ لما اجتمع بهِ للمرة الاولى سأَلهُ تيمورلنك اين بلدك فقال ابن خلدون بالمغرب الجواني فقال وما معنى الجواني في وصف المغرب فقلت هو في عرف خطابهم معناهُ الداخليّ اي الابعد لان المغرب كلهُ على ساحل البحر الشامي من جنوبهِ فالاقرب الى هنا برقة وافريقية والمغرب الاوسط تلمسان وبلاد زناتة والاقصى فاس ومراكش وهو معنى الجواني فقال لي واين مكان طنجة من ملك المغرب فقلت في الزاوية التي بين البحر المحيط والخليج المسمى بالزقاق وهو خليج البحر الشامي فقال وسبتة فقلت على مسافة يوم من طنجة على ساحل الزقاق ومنها التعدية الى الاندلس لقرب مسافتهِ لان هناك نحو العشرين ميلاً فقال وسجلماسة فقلت في الحد ما بين الارياف والرمال من جهة الجنوب فقال لايقنعني هذا واحب ان تكتب لي بلاد المغرب كلها اقاصيها وادانيها وجبالها وانهارها وقراها وامصارها فقلت لهُ يحصل ذلك بسعادتك وكتبت لهُ بعد انصرافي من المجلس ما طلب من ذلك واوعيتُ الغرض فيهِ في مختصر وجيز يكون في ثنتي عشرة من الكراريس المنصفة القطع الى ان قال: واقمت في كسر البيت واشتغلت بما طلب مني في وصف بلاد المغرب فكتبتهُ في ايام قليلة ودفعتهُ اليهِ فاخذهُ من يدي وامر موقّعهُ بترجمتهِ الى اللسان المغلي الى آخرهِ

(١) قرأت هذه القصة في رسالة خطية ذكر فيها ابن خلدون رحلتهُ الى الشام واجتماعاتهِ ومباحثاتهِ مع تيمور وهي منقولة بقلم احد اصدقائي عن رسالة قديمة كتبت بخط محمد بن احمد الزملكاني الانصاري من تلامذة ابن خلدون قال انهُ نقلها من تاريخ استاذهِ الكبير الموضوع في خزانة الكتب بالمؤيدية داخل باب زويلة بالقاهرة في مستهل سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة وهو مما يؤيد ان لابن خلدون تاريخاً مطولاً لم يعرف بعدُ وما التاريخ المنسوب اليهِ الآن الا مختصر تاريخهِ ليس الا ..

هكذا كان الفرق بين المشرق والمغرب – ملوك اوربا يضلهم الروم في بر الاناضول لجهلهم وجهل رجالهم بالجغرافية وابن خلدون يكتب في غربتهِ وكربتهِ ثنتي عشرة كرّاسًا في وصف المغرب في هنيهة من الزمن مع فقد اسباب التاليف واناسٌ في هذا الزمان يبلغ بهم الشطاط المدارك ان ينكروا تعلّم الجغرافية وغيرها من العلوم التي هي سبب ارتقاء اوربا واميركا كالطبيعيات والرياضيات . ويا ليتهم على الاقل يراجعون باب العشر والخراج في مطولات الفقه ليعلموا ما بينهُ وبين الجغرافية من التعلق بل ويا ليتهم يدرون ان معرفة سمت القبلة التي هي من اهم مسائل العبادة عند المسلمين تتوقف على الجغرافية

ولا مراء انهُ فات هؤلاء الجماعة ان عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ حين فتح الله البلاد على العرب من العراق والشام ومصر وغيرها كتب الى حكيم من حكماء عصره يقول إنا اناس عرب وقد فتح الله علينا البلاد ونريد ان نتبوأ الارض ونسكن البلاد والامصار فصف لي المدن واهويتها ومساكنها وما تؤثرهُ الترب والاهوية في سكانها فكتب اليهِ ذلك الحكيم بجغرافيتها الطبيعية . هذا كان عمل ابن الخطاب في عصره فكيف نكون نحن في هذا القرن

اصبح الخاصي منّا فضلاً عن العامي متى أُكره على تصفح صحيفة من صحف الاخبار يتلعثم ويتأفف ولا يعتم ان يحدد شفار مطاعنهِ بكاتبها ويرميهِ بالجهل المركب في معرفة السبك والربط وعدم الاجادة في انتقاء الالفاظ العربية الصحيحة وما دعاهُ الى هذا التجهيل الفاحش بل الجهل الواضح الأ ورود اسماء بعض البلدان والممالك اثناء العبارة ما طرقت مسامع صاحبنا من ذي قبل حال كون صغار اولاد السوقة من الفرنجة اليوم يحفظون من اسماء الامصار ما لا ينطق بهِ معظم خاصتنا عمرهم . وكبار الامراء في الشرق قلما يعرفون حدود بلادهم وعملهم ولا يحفظون اسماء البلدان التي ولاّهم مولاهم رقاب عبادهِ فيها

ويا ليت ابن خردادبه وابن واضح والجيهاني وابن خلدون وابن الفقيه وابا زيد البلخيّ وابا اسحاق الاصطخري وابن حوقل وابا عبد الله البشاري والحسن بن محمد المهلبي وابن ابي عون البغدادي وابا عبيد البكري والقزويني وياقوت الحمويّ والمقدسيّ وابا الحسن المرويّ والادريسي وابا الفداء وابا العباس السرخسيّ والمسعوديّ والمراكشيّ والباكوريّ وابا القاسم الشيرازيّ وازرى الاسفرايني والمقريزيّ والاصمعيّ والشكوني والحسن بن احمد الهمذانيّ وابا الاشعث الكنديّ وابا سعيد السيرافيّ وابا محمد الاسود الغندجانيّ وابا زياد الكلابيّ ومحمد بن ابي حفصه وهشام بن الكلبيّ وابا القاسم الزمخشري وابا الحسن العمرانيّ وابا عبيد البكري الاندلسي وابا بكر محمد بن موسى الحازميّ وابا الفتح نصر بن عبد الرحمن الاسكندري

وبرهان الدين ابرهيم البقاعي وابا الفتح محمد الهمذاني وابن الجوداني وعلي بن محمد الخوارزمي ومحمد بن اياس الحنفي وابا المجد اسمعيل بن هبة الله الموصلي وابا الفضل البقالي الخوارزمي وابا عمر محمد الكندي وابا عبد الله محمد القضاعي والظاهري وابا الحسن احمد الاشعري وابن بطوطه وابن سعيد وابن جبير وابن حبيب وابن رشيد وابن الصلاح وابا القاسم التجيبي والغزي والسيوطي والكناني ومحمد بن رشيد وعشرات غيرهم من رجال الجغرافية ممن ساحوا فافادوا وصنفوا فاجادوا وخلفوا لنا من وصف المسالك والممالك ما يبيض وجوه ازمانهم يا ليتهم ينشرون اليوم من اجداثهم لترى عيونهم ما حلَّ من الجهالة في بلاد انشأت امثالهم و يشاهدوها كيف اقفرت حتى من رجلٍ يحسن رسم مصوَّر جغرافيّ لبلدهِ بحيث اخذ الناشئة من ابناء هذه الاقطار يتنغارون ما يتكرم بهِ عليهم الغربيون ويخطئونهُ و يصفونهُ كأنَّ صاحب الدار ليس هو الاعلم بما فيها ولكن هي الامور اذا استقلَّ بها من لا يحسن الاضطلاع ولا يعرف الكاع من الباع

كان علماء الحديث في الاسلام من اشدِّ الناس عناية بالجغرافية لتمييز النسب الى البلدان والفرق بين الرجال ومساقط رؤوسهم ومنابت اسلافهم وهذا هو السبب الذي من اجلهِ عني اكثر ارباب المعاجم العربية بذكر اسماء الامصار. والقرى ولعمري ما قول المعترضين على تدريس هذا الفن اذا سألهم سائل عن المواطن التي ورد ذكرها في الكتاب العزيز كديار اقوام الانبياء لوط وهود وصالح وشعيب وابرهيم وموسى وعيسى صلوات الله عليهم وعن المواطن التي ورد ذكرها في احاديث الرسول واخبارهِ اذ لا يجهل احدٌ انهُ عليهِ الصلاة والسلام بعث بكتب عدة الى معاصريهِ من ملوك الامم وحكامها ككسرى الفرس وقيصر الروم ومقوقس مصر ونجاشي الحبشة وملك البحرين وامثالهم وعن مواطن غزواتهِ . وياليت شعري بماذا يجيبون اذا سألناهم عن موضع سد مأرب وعن الحكمة الجغرافية من بناء ذلك السد وما هي تلك الدول التي كانت معاصرة لنبيهم وكيف كانت احوال تلك الممالك وما مساحتها بل ما جغرافية البلاد التي قام منها العرب وعلى اي طريق سلك المهاجرة الأُوَل من مكة الى الحبشة. وهل الجغرافية الا عبارة عن تعليم احوال الممالك والطرق التي كان للعرب الصحابة فمن دونهم النصيب الاوفر من معرفتها سيما مجاوريهم من الامم فقد كان قريش يدأبون في السفر من مكة الى بلاد الفرس فبلاد اليمن فبلاد الشام فبلاد الروم وهكذا سما نظرهم بعد الاسلام لافتتاح تلك البلاد التي كانوا يعرفونها ايام تجارتهم وقد نجحوا بما رُزقوا من مضاء العزائم بعد ان كانوا درسوا احوال هذه البلاد العمرانية واخلاق مجتمعاتها واصول ادارتها وتبطنوا ما فيها من المسالك والمناهج

والمداخل والمخارج اي انهم بحثوا عنها بحثاً سياسياً وعسكرياً . فكانوا اذا فتحوا مصراً عرفوا ما وراءه والطرق المؤدية اليه كما انبأنا التاريخ بذلك على ان معرفة دار الاسلام من دار الحرب تتفرع عليها امور شرعية لا تتم الاّ بذلك العلم

اما وقد عرف هذا فلم يبقَ قول يقال الاّ ان الجغرافية شقيقة التاريخ موضوعها الاماكن والبلدان كما ان موضوعه الناس والازمان تشخص الجغرافية في مرآة قارّة ما تحرّك من الصور وترسم البقاع التي خُلقنا لنعمّرها ونكدح فيها كدحاً ترسمها لنا حافلةً بآثار الممالك الدائرة واخبار الامم البائدة البائرة . فالجغرافية اذاً تبحث في تخطيط الارض كما ان التاريخ يتقصى تخطيط سكانها وانت تعلم ان الارض لما كانت مأوًى عاماً للبشر فرض عليهم التحفي في السؤال عنها فقد تقضي الحال على من يريد السكنى في ضيعة من ضياع الارياف ان يسأل عما فيها من مرافق الحياة من ينابيع وجداول ومخاوض ومغايض وطرق نهجة وجوادّ قاصدة وحقول ورياض ومباقل ومخاضر وزرع وضرع ومراعي ومروج ومجاهل ومعالم وغابات وآجام وهضاب وآكام وعامر وغامر ومخصبة وسبخة ليتوفر على نيل ما يدفع حاجتهُ وحاجات ذويهِ ويقوم باودهم من غلات وثمار ولبن ومخيض وسمن وعسل . وزد على ذلك الا يحتاج بعد هذا الى تعرّف الطرق المفضية الى ما جاور بلده والاسواق القريبة ليبيع فيها ما يفيض عن عوزهِ ويبتاع بثمنهِ لباساً يقيهِ حمّارة القيظ وصبارّة القرّ وان يقف على الصلات التي تربطهُ مع غيرهِ من الخلائق والامصار

ومن ينكر ما يعتري المرء من الارتياح بتحديث من سافر عما شاهده في حلهِ وترحالهِ من اعاجيب الآثار وغرائب الامصار وما امتع بهِ النواظر من مدهشات المناظر واختبره من الاخلاق والعوائد والخصائص والفوائد فهلاّ عني المرء بقراءة ذلك في مصنف صادق الرواية واسع الدراية ليسيح بفكرهِ في ساعة ما يتعذر عليهِ تلقيهِ من افواه السياح في اعوام

هذا وقد قسم المتأخرون فن الجغرافية الى ثلاثة اقسام كبيرة وهي الجغرافية الرياضية والجغرافية الطبيعية والجغرافية السياسية. ولكل من هذه الاقسام في الغرب اليوم الوف من المؤلفات والمؤلفين فالجغرافية الرياضية او الفلكية تبحث في شكل الارض وحجمها وحركتها وعن تركيب الكرات وحل المسائل وتعيين مواقع الاماكن على سطح الارض ورسم قسم منهُ على صفيحة او ورقة. وتتعلق اكثر مواضيع هذا القسم بعلم الهيئة اكثر مما تتعلق بالجغرافية . واما الجغرافية الطبيعية فتبحث عن حالة الارض الطبيعية واوصافها وتصف علاقتها بالنظام الشمسي وتوضح انقسامها الى قسمين طبيعيين عظيمين وهما الماء واليابسة وتبين ماهية الهواء

الكروي والحركات الكبرى لحركات التيازات القمرية والهوائية مما يؤثر في هيئتها. ومن اخص مباحثها اشكال القارّات والبحار واقسام اليابسة والقمر وارتفاعات الجبال وسلاسلها وظواهر العجاري والسهول والخطوط والرسوم المختلفة من اعلى قمم الجبال الى اقصى اعماق البحر. ويبحث فيها عن بنية الارض الجيولوجية وعن جميع الظواهر المتيورولوجية وعن متحصلات الارض الطبيعية من نبات وحيوان ولكنها مع اتساع موضوعها لا يلتفت فيها الى وصف افراد الظواهر والاماكن والانواع فتقتصر على إيضاح النواميس والمبادئ العمومية في الامور الكلية وتبحث في المملكة العضوية عن وجود الاجناس وتوزعها في بعض المناطق او في بعض المواطن. ومن مباحثها المخصوصة نسبة المملكة العضوية في الطبيعة الى المملكة الغير عضوية وما بين المملكتين من العلاقة. واما الجغرافية السياسية فتبحث عن بلدان الارض واممها من حيث اقسامها السياسية وعن النوع البشري من حيث هيئتهُ الاجتماعية ونظامهُ الخاص. ومن الاسف ان سند هذه الفروع فقد اكثره من اصقاعنا حتى صرنا محتاجين في عصر كهذا العصر ان ننبه قومنا الى فائدة علم الجغرافية فنتكلف ايضاح الواضح وتعريف المعرَّف ان هذا لعجب عجاب

مدائح الشعراء وعطايا الامراء

بقلم جناب خليل افندي ثابت

كان لبني أُمية والعباسيين مُلك فخيم وجاه عريض رفعتهُ المواضي الى الذرى وتوطَّدت اركانهُ على العدل فامتدَّ سلطانهم في الآفاق وخضعت لهيبتهم الامم بما ذاقوا من مرارة بأسهم وسطوة جندهم وما استشعروا بهِ من طعم عدلهم وهم بين السيف والقلم يختلفون بين الغزوات واقامة المعاقل وبناء المدن وتمصير الامصار وتنظيم الجيوش وانشاء الدواوين حتى انبسط ظلهم الى ما وراء السند شرقاً والاندلس غرباً والناس راتعون في سعة من العيش ورخاء وبات الشام والعراق كعبة القاصدين والطالبين يشدُّون اليهما الرحال ويحملون اليهما نفيس المتاع والجوهر والبضائع والسلع والمتاجر ويصدرون عنهما وقد ملئت جيوبهم ذهباً

ولم يكن نصيب الشعراء من المكاسب (على ما يروى) باقل من نصيب التجار منها فقد اتصل بنا من التاريخ وسيَر الامراء والخلفاء اخبار اذا صدقت كان الشعراء في تلك العصور من انعم الناس بالاً واحسنهم حالاً واوفرهم ربحاً وكسباً. فقد روى الراوون ان الشاعر كان يدخل على الامير فيمتدحهُ بالقصيدة الواحدة فيصدر عنهُ وقد ضاق ذرعاً بنفيس الجوهر والحلل

والثياب والنوق والجمال واصبح المقرّب في الشفاعات يفزعون اليهِ في الشكايات يدخل على ممدوحهِ من امير او ملك فاذا رأى منهُ نشاطاً وخفة يميلان بهِ الى جانب الطرب انشدهُ فما هو الاَّ ساعة من الزمان ويخرج مثقلاً بالعطايا والهبات

وقد لا يستغرب ذلك في عصر اعتزَّ فيهِ شأن العرب وعظم امرهم وليس هو سوى بعض مآثر افاضل خلفائهم وامرائهم كمعاوية والرشيد والمأمون وامراء البرامكة ومعن بن زائدة ومن اشبههم (او كان مفرطاً في التبذير كالوليد) فقد كان من ذكرنا حمَى للآداب وسنداً لاهلها لم يخصوا الشعراء بالاكرام وانما والوا نعمهم على المتأدبين من الكتاب والمتخرجين في الصناعات الشريفة كالطب والنابغين في العلوم ولاسيما علوم الفقه والسياسات كما يعرف من مراجعة سيرهم واعمالهم

وقد اعتدنا تلقُّف كلام المؤرخين على علاَّتهِ وصدقناه فيما صدقنا من رواياتهم التي قد تطابق الواقع او لا تطابقهُ حتى نرآى لقوم النظر في هذه الاخبار وانتقادها وتمييز صحيحها من فاسدها فنسخوا كثيراً من الاقاصيص وازاحوا النقاب عن خطإها الفاحش وهو ما أُريدهُ في هذه الرسالة اذ يلوح لي ان في اخبار عطايا الامراء وصلاتهم شيئاً كثيراً من الغلو والمبالغة كان بعض الدافع اليهما فيما ارى ولع المؤرخين والكتَّاب باعظام شأن الادب والشعر واكرام من سبقهم من الشعراء او عاصرهم منهم. او ضربهم الى غاية اخرى كتحريض الامراء والمثرين من معاصريهم على الاقتداء بالسلف الصالح في الجود واكرام العلم واهلهِ فيصيبون بذلك بعض الكسب لنفوسهم. وانما يغلب ان تكون علة هذا الاغراق ما في الناس من حبّ المغالاة في احصاء الاموال وتكبير الاخبار اذا تناقلوها وانما هو كالذي نشاهدهُ في ايامنا هذه من هذا القبيل وكالمعروف في كل العصور من هذه المبالغة في نقل الاخبار. وقد اشار الى ذلك العلاَّمة ابن خلدون في مقدمتهِ الشهيرة في باب مؤاخذتهِ المؤرخين وتزييف ما ارتكبوهُ من الخطإ في تقدير عدد الجيوش والى ما يرتكبهُ عامة الناس من هذا القبيل في تقديرهم ثروة المثرين. ويردُّ هذا العلاَّمة تلك المبالغة الى خلقٍ في النفس وفطرة في الناس على ان الاقرب ان تكون من باب الاهتمام باحداث الاثر العظيم في نفس السامع او المخاطب بما يتولد في ذهنهِ من اعظام الامر واستغرابهِ اذا خالف المعروف والمعهود . ومثلهُ في الاطفال تفخيمهم الصوت في حكاية الوقائع اذا ارادوا احداث الهيبة في نفوس سامعيهم من اهلهم واصدقائهم لاسيما الاطفال من رفاقهم

ومن يمعن النظر في هذه الاقاصيص ويقارن بين البعض والبعض الآخر وينقب عن اصحاب القصائد المنسوبة الى جميع هؤلاء الشعراء يرَ في الحكايات نفسها ما يقنعهُ بان ناقليها

او واضعيها تجاوزوا بها حدَّ المبالغة كما سترى . ولا يستغرب ذلك في عصر كان الناس عامتهم يؤمنون بحكايات الف ليلة وليلة وهم من قوَّة التخيل بحيث يصدقون ان في العالم جبال الياقوت والزمرّد والحجارة الكريمة ويقدرون دخل الاقاليم بما يزيد كثيرًا عما يستطاع ان تجبى اذا اخصبت ونشت العمارة فيها على اعظم ما يمكن ان تكون عليهِ

فمن ذلك ان ابن الخياط المكي دخل على المهدي فانشده شيئًا من شعرهِ فامر له بخمسين الف درهم فطلب ان يقبل يده فأُذن فما خرج حتى فرَّق المال في الناس فلما عوتب على ذلك انشد

لمست بكفي كفهُ ابتغي الغنى ولم أدرِ انَّ الجود من كفهِ يُعدِي
فلا انا منهُ ما افاد ذوو الغنى أَفدت واعداني فاتلفت ما عندي

فعجب بهما المهدي وغنّى بهما المغنون وامر له بخمسين الف دينار[1] وهذا يزيد على دخل كبار امراء هذا الزمان.وامثال هذا الحديث كثيرة في تواريخهم (الاَّ ان يقال انهُ لم يكن في العطايا ما بلغ هذا المبلغ) فقد حكي عن معن بن زائدة انهُ وهب صاحب البيت المكتوب على الخشبة الف درهم في اليوم الاول ومثلها في اليوم الثاني وهكذا في الثالث واقسم ليوالي له العطاء حتى ينفد ما لديهِ من المال (او ما في بيت المال والاوّل اقرب الى الصواب) لكنَّ الشاعر خشي سوء العاقبة ففرَّ بما اصاب.وهذه قصة الفضل بن يحيى البرمكي وهب اعرابيًا من قضاعة مئة الف درهم لابيات من الشعر امتدحه بها (والابيات لشعراء متفرقين كما جاء في اعلام الناس) وامر له بمئة الف درهم اخرى لبيت واحد ردَّ بهِ سهمهُ. هذه عطيتهُ لاحد اجلاف العرب على كثرة الطامعين في جودهِ واقبال المؤملين عليهِ حتى بلغ ما قيل فيهِ وفي ذويهِ من الشعر عشرة آلاف بيت من الشعر الجيد ما عدا البارد المبذول

وامثال هذه الحكايات كثيرة تضيق بها بطون الاوراق بما وسمت على انها كلها على وتيرة واحدة فديح وعطاء وكلام منظوم حشوهُ التمليق يشترى بنفيس الجوهر وبُدر الاموال وعيشة هنيئة للشعراء يحسدهم عليها كتاب العصور الخالية والحاضرة حتى من منهم يكسب الوف الجنيهات من كتبة الاوربيين والاميركان البلغاء الذين يذيبون المهجة على مذابح البلاغة والشعر

في جبل لبنان من اعمال الشام عادة في الافراح يسمونها " الشوبشة " وذلك انهم يأتون برجل يجمع بين الغناء والمنادمة من المدح والوصف فيهدي اليهِ الحاضرون شيئًا زهيدًا من المال كلٌّ بحسب ما يريد فاذا رمى اليهِ واحد بقرشين قرع الطبل.ونادى في القوم ان فلانًا سيّد

(١) وفي رواية اخرى ان البيتين في الفضل بن يحيى وان الصلة عشرون الف درهم

الكرماء وهب مئتي قرش او قد يقول اكثر من ذلك يريد تعظيم شأن الواهب والافصاح عن فكره بما يزيده في مقدار العطية ولا يبعد ان الخلفاء والامراء كانوا يأمرون للشعراء بمئة الف درهم او نحوها يريدون العشر او ما هو اقل منهُ فيقبض الشاعر المبلغ ويعود مفاخرًا (او يتناقل القوم الحديث فيزيدون في مقدار الصلة ما يشاؤون) اذ في خبر كثرتهِ شرف لهُ ومبرّة على الاقران ودليل على مكانهِ في البلاغة ودالتهِ على ممدوحهِ وشدة تقربهِ منهُ (وكان لكل من هؤلاء الامراء في الغالب شاعر او نديم ينقطع اليهِ او يقول عامة شعرهِ فيهِ) والاَّ فعلامَ نرى هؤلاء الشعراء ممن كان يصيب الوف الدنانير في عامهِ فارغ الجيب يشكو الدهر ويتقلب في ابواب ممدوحيهِ علهُ يفوز بما يسدُّ بهِ رمقهُ فان قيل ان الشعراء لا يعرفون معنىً للاقتصاد ولا يتقيدون بالقواعد فهم يعيشون في عالم الخيال قلت ان هذا الحكم لا يسري عليهم اجمعين وفيهم الحريص والبخيل والشحيح وكانوا جميعًا في الحاجة شرعًا. ومن البديعيّ استغراب امرهم هذا وفي عصورهم امراء كيزيد بن مزيد يهب عليَّ بن الخليل سبعة آلاف دينار لسبعة ابيات من الشعر هنأهُ فيها بمولود مع ان الابيات باردة في بابها ولو عرضت في سوق الشعر لكسدت(٢)

وفي بعض هذه الحكايات من بُعد احتمال الواقع فيها ما يضعف اليقين بصحتها خذ مثلاً قصة الفضل بن يحيى والقضاعيّ فقد جاء في صدرها ان الفضل خرج بحاشيتهِ الى الصيد ولم يُسمَع في الدهر الحاضر ولا في غابر العصور ان ملكاً او اميرًا يخرج الى الصيد ويحمل خزينتهُ معهُ فمن اين لهُ مئتا الف درهم يهبها الاعرابيّ وينقدهُ اياها كما يفهم من ظاهر الحكاية (ويحملها هذا على ناقتهِ الوحيدة مع ان ثقلها خمس مئة اقة فلا يحملها ثلاثة جمال) ولنا من الشواهد على ان الامراء لم يحملوا خزائنهم الى الصيد شيء كثير. وقد اتفق لبعضهم في هذا الباب نوادر ظريفة مثلما اتفق لمعن بن زائدة والجواري الثلاث اللواتي سقينهُ واعطاهنَّ السهام

ومن المعلوم ان هذه الحكايات دارت على السنة الناس زمانًا طويلاً وتحدثوا بها في المجالس والاسواق قبل ان سُجّلت في الصحف ودوَّنها المؤرخون. ومن كتب منهم شيئًا من اخبارها فهو انما تلقاهُ من افواه الناس لسنين عديدة بعد حدوثها والاَّ فان من يقابل ما كتبوهُ في الخبر الواحد مع مادونوهُ في الحكاية الاخرى ليرى خللاً فمن ذلك قولهم في باب عمران بيت المال لايام المهدي ان المنصور لما ادركتهُ الوفاة قال للمهديّ في وصيتهِ انهُ خلف لهُ من

(٢) هذه الابيات مطلعها

يزيدُ يا ابن الصيد من وائل اهل الرئاسات واهل المعالي

الاموال ما ان كسر عليهِ الخراج عشر سنين كفاه لارزاق الجند ومصلحة البعوث وغير ذلك وان ما خلفهُ بلغ اربعة عشر الف الف دينار وستمئة الف الف درهم. على ان هذا المبلغ مهما كثر فهو لا يفي بنفقات الدولة سنة واحدة لتلك العهد اذا صدقنا اخبارهم في وصف عظمتها وكثرة جندها وهم القائلون ان خراج مصر كان اثني عشر الف الف دينار وهو جزء من دخل الدولة وجزء من نفقاتها في العام الواحد. وكفاك دليلاً على ما كان يداخل الاخبار من الزيف والفساد واعظامهم شأن المحدثين المشهود لهم بصدق الرواية فقد حكي عن الاصمعي انهُ جلس يوماً يحدث الرشيد عن الملوك حتى اذا حدَّث عن بني امية وقال "ان سليمان كان نهماً واذا قُدِّم اليهِ السماط لا يصبر حتى يبرد بل يتناول اللحم بكمهِ وان يزيد كان اذا جلس للشراب يسقط الخمر في ثيابهِ صاح بهِ الرشيد قاتلك الله ما اصدقك في نقل الاخبار والله ان ثيابهما عندي وان الدهن لفي اكمام سليمان والخمر لفي ثياب يزيد". هذا مع قرب عهد الرشيد والاصمعي بيزيد وسليمان وكون اخبار الملوك من الاحاديث التي يتناقلها الناس ويحدثون بها في مجالسهم ويتفكهون باعادتها فما قولك فيما كان اقلَّ منها شأناً من مثل احاديث الشعراء واخبارهم اذا نقلها غير صادقي الرواية ولم تدوَّن في الصحف الأ بعد ان دارت على الالسنة زماناً وتلاعبت بها ايدي المبالغة والتحريف. وترى هذا التحريف ظاهراً في القصة الواحدة اذا وردت لغير مؤرخ واحد مما يدلك على ان الكتَّاب انما تناولوا ما كتبوهُ من افواه الناس فروى كل واحد منهم ما سمع دون ان يعمد الى البحث والتمحيص وذلك لان الغلوَّ في هذه الاخبار وما شاكلها لا يتوقع منهُ وقوع ضرر فهو مأمون العواقب اذ ليس فيهِ سوى اعظام شأن المعطين من الملوك والامراء وما كانوا يثيبون بهِ الشعراء الذين وقفوا ثمار قرائحهم على مديحهم والترحم على عصر كانت درر الاقوال تشترى فيهِ ببدر الاموال

ولقائل يقول وكيف تكذّب هذه الحكايات وانت قريب العهد باسماعيل باشا خديوي مصر الاسبق واهب الالوف للمغنين والتجار والندماء والشعراء . قلت لم يسمع عن ثقة ان اعطيات هذا الامير كانت في القدر الذي نراهُ في صلات من ذكرنا وما خالف ذلك من الروايات فمؤيد للتعليل السابق من المبالغة في نقل الخبر وعدم التثبت منهُ قبل ايرادهِ واذا كان هذا الامر في ما يسمع عن اسماعيل باشا على قرب العهد بهِ فما قولك في اخبار الامراء الذين غابت اجسامهم عشرات السنوات قبل ان حُرّرت اخبارهم . واغرب ما يحكى عن الخديوي انهُ وهب نديمهُ الف جنيه في ليلة واحدة واين هذا من هبات معن والفضل ونحوهما. ولا تدفع هذه المقارنة بان يقال ان الخلفاء والامراء كانوا اعظم ثروة من اسماعيل فلم يكن

العزيز بالرجل الذي يفرق الملايين ولو حسب ما انفق من دخل مصر وريع املاكهِ وما اقترضهُ من الاجانب وما ابتزَّهُ من الرعية ما تجاوز القدر ما انفقهُ احد خلفاء العباسيين او امراء ذاك الزمان في مدة مساوية لحكم الخديوي اضف الى ذلك ان الدراهم كانت في ايام الخلفاء اعزّ منها اليوم واكثر قيمة يتضح لك شدَّة الاغراق في ذكر هذه الهبات

والمستفاد من بعض الحكايات في هذا الباب أنَّ الأُعطيات لم يصبها المؤملون في جميع الاحوال ولعلَّ بعضها لم يتجاوز حدّ الامر بالصلة والشكر على النعمة كما هو واقع اليوم من ملوكٍ يجودون على هذا النمط . ويؤيد هذا الرأي ما جاء في اعلام الناس في قصة معن بن زائدة والرجل الذي استجار بهِ فانهُ بعد ان امنهُ واتى بهِ الى بيتهِ وهو طلبة امير المؤمنين دخل على الخليفة فالتمس لهُ الامان والعطاء فاجابهُ الى الاول ــــ وامر للرجل بمئة الف درهم (كذا) فقال معن اجعلها حاضرة يا أمير المؤمنين . والمستفاد من هذا القول ان معناً كان يخشى المطل او التسويف لعلمهِ باحوال ذلك الزمان والاَّ فلا فائدة لقولهِ هذا

وقد تفننوا في وضع هذه الحكايات حتى بلغوا بها حدَّ الاغراق وبات تصديقها من المحال فهذه قصة الاخطل مع يزيد بن المهلَّب يوم حبسهُ الحجاج واقسم ليستادينهُ مئة الف درهم كل يوم لباقٍ عليهِ في خراسان فاذا هو قد جباها لهُ ذات يومٍ ودخل عليهِ الاخطل فانشدهُ الابيات التي منها

ابا خالدٍ ضاقت خراسان بعدكم   وقال ذوو الحاجات اين يزيدُ

فقال يزيد يا غلام اعطهِ المئة الف درهمٍ إنّا والله لنصبر على ظلم الحجاج وعذابهِ ولا نخيب الاخطل

هذا الاخطل شاعر بني أُمية ينادم الخلفاء ويقصد رجلاً في محبسهِ فيستجديهِ دراهم قد تذهب روحهُ بذهابها انَّ هذا لبعيد عن شيم الشعراء وغريب في باب الكرم (وان شئت فقل الجنون) والاخطل في المكانة والحظوى عند الامويين بحيث لو اراد مالاً لاصابهُ بمدحهِ الخليفة او احد اولادهِ او اقربائهِ كما كان يفعل فيهبونهُ الالوف اذا صدقت روايتهم

ولا يستفاد من هذه الاقوال نفي الجود عن الخلفاء والامراء فقد كانوا في المنزلة التي لا يساورهم فيها مساور ولا ينازعهم منازع على أن ما ينسب اليهم من الجود والكرم في هذه الاقاصيص وامثالها لجدير ان يعدَّ من قبيل الاسراف والتبذير وهو ما نجلُّ اكثرهم عنهُ وفيهم الافاضل واهل الصلاح والتقى والعالمون بسياسات الدول والعارفون بقواعد العمران. والاَّ فقد رُوِي عن المهديّ انهُ حجَّ سنة فحمل الهدايا الى البيت وفرَّق المال في الناس واطعمهم وسقاهم الماء مبرّداً بالثلج المحمول من بلاد الشام (كذا في الاصل) فبلغ ما انفقهُ مئات الالوف من

الدنانير (وفي رواية ستة آلاف الف دينار) ولا يستغرب ذلك من المهدي فانهُ كان يضرب الى غاية بعيدة من اقرار ولاية العهد في ولديهِ واظهار عظمتهِ وفخامة ملكهِ لاهل الحرمين ليعلموا ان الاسلام منبط بناحيتهِ وليثبتوا على ولائهِ وولاء بنيهِ بعدهُ . وهذا شاه ايران انفق في رحلتهِ الى اوربا نحو نصف مليون ليرا (على ما روتهُ الصحف السيارة) هذا ما عدا الجواهر والحلى التي اتى بها من بلادهِ واهداها الى مَن اراد اكرامهُ من الاوربيين ولو نقل الينا الرواة ان جلالتهُ اجاز لشاعر بخمسة آلاف جنيه لاكبرنا الامر واستغربناهُ وعزونا الى قائلهِ حب المبالغة حتى يأتينا صادق الرواية بالحق اليقين والخبر الاكيد وذلك لما بين النفقتين من تباين الغاية واختلاف المطلوب

ويعلم المولعون باخبار العباسيين ومن عاصرهم من الادباء والشعراء ان غالب النوادر من القصص الموضوعة والواقعة في ذلك العهد يعزى الى ابي نواس في باب الفكاهات والى الاصمعي في باب الرواية لا لان جميعها اتفق لهذين الرجلين بل لان اولهما اشتهر بالهزل وعرف ثانيهما بسعة الاطلاع وصدق الرواية فصار القوم ينسبون اليهما ما غابت عنهم اسماء اصحابهِ او كأن الذين اتفق لهم من الاولى لم يشتهر امرهم. وكذلك الظن في كثير من حكايات الشعراء والامراء فقد خصَّ بنفرٍ من الخلفاء والعظماء لانهم كانوا اعظم جاهاً من سواهم وابعد صيتاً وشهرةً كالمهديّ والرشيد من الخلفاء والفضل بن يحيى ومعن بن زائدة ويزيد بن المهلَّب من الامراء فما لم يتفق لهم نُسِب اليهم لاشتهارهم بالجود ومكارم الاخلاق

وقد كان من هؤلاء الممدوحين كثيرون من الامراء المستعملين على ولايات الاقاليم وكانت اعطياتهم تضاهي اعطيات الملوك او تفوقها اي ان هباتهم كانت تفوق دخلهم الاَّ اذا علمنا انهم كانوا يختلسون ما في بيوت مال المسلمين وهو الامر الذي لا يسلَّم بصحتهِ على المعروف من عدل الخلفاء في تلك العصور وسلامة الامة من الفساد فاما ان يقلَّل عن هذا العطاء الفاحش بما عللناهُ او ان يعزى الى اولئك القوم ما قد يكونون براء منهُ من الاختلاس والاوَّل اقرب الى المشهور من انتظام الدولة في ذلك العهد وادنى الى شيمهم ومكارمهم

وقد رأيت من باب الفكاهة ان اختم هذه الرسالة بقصة سمعتها من صديقي الفاضل سليمان افندي البستاني وهي ان منيف باشا دخل على الصدر الاعظم لدولة ايران لدن قدومهِ سفيراً للباب العالي الى الاقطار الايرانية فاذا في الحضرة شاعر ينشد بالفارسية والسفير يعرفها فلما فرغ امرلهُ الوزير بعشرين الف دينار فاكبر منيف باشا ذلك وقال في نفسهِ وزيرٌ يصل شاعراً بعشرين الف دينار لينوق اهل الارض غنًى وسعة ثروة ومكارم ورأى من التطفل الاستفهام

في الديوان فحفظها حتى لقي احد الكبراء فاطلعهُ على ما خامرهُ وعلم منهُ ان في بلاد فارس درهماً قيمتهُ نحو ثلاثة قروش نقش عليهِ ثمنهُ في بلاد العجم " الف دينار " فبلغت عطية الوزير بذلك ستين قرشاً ولا يستعظم ذلك من بذَّال فكيف بهِ من وزير

هذا بعض ما عنَّ لي في هذا الباب واني اعزم على الادباء ممن يطلع عليهِ ان يوضحوا بعض ما أشكل عليَّ فهمهُ ويقوّموا ما فيهِ من الاعوجاج

رواية تنكرد

للوزير الشهير اللورد بيكنسفيلد

الفصل التاسع

آدم بسو — " ما عندك من الاخبار يا يسّاكر " . وكان يسّاكر هذا طبيباً ماهراً في الطب والتنجيم وكان قد احيا ليلهُ ساهراً بجانب سرير بسو

يساكر — الاخبار التي عندي لم تصلنا حتى الآن

بسو — فكيف عرفتها ان كانت لم تصل حتى الآن

يساكر — عرفتها بعلم الحرف وفتح الكتاب بشائر تأتينا عن قريب ان شاء الله

بسو — لمن هذه البشائر هي للوالي واتباعهِ ليس لبسو ولا لاهلهِ

يساكر — الله كريم لا تقنطنَّ من رحمة الله . والآن لا بدَّ من تغيير الرفادة فضع ذراعك على هذه الوسادة يقلَّ المك

بسو — لو كنتَ تعلم ما في نفسي من الالم لرثيتَ لحالي

التسليم للاقدار مزية في المشارقة . وقد كانت في بسو على اتمها فلم يتذمر مما حلَّ بهِ بل صبر على الضيم وتوكل على الله معتمداً على الوسائل التي استخدمها لانقاذ ابنتهِ . وكان الوالي حاقداً على التصيرية متربصاً بهم فرص الدهر فاستفزتهُ شكاوى بسو لتدويخ بلادهم والايقاع بهم ولكن لولا الالحاح عليهِ لسوَّف ذلك الى ما شاء الله على عادة امثالهِ . فامر بارسال ثلاث اورط من المشاة وفرقة من الفرسان وبعض المدافع وسار معهم هلال بنو خطيب حواء تاركاً عمهُ لعناية طبيبهِ يساكر بن سليم اشهر اطباء حلب

سار هذا الجيش الى ان قرب من بلاد التصيرية وكان غرض هلال بسوان يطلب فك الاسرى بالوسائل الحبية فاذا لم يجب طلبهُ لجأوا الى القوة . فبعث رسولاً الى ملكة

النصيرية يعرض عليها فكاك حواء فاجابتهُ ان حواء غادرتهم منذ ايام فظنها حيلة منها لتنجو منهم

وفي مساء اليوم الذي جرى فيهِ الحديث المذكور في اول هذا الفصل رأى الرقباء من ابراج حلب فرساناً تجري في عرض القفر فظنوهم اولاً من طليعة فرسانهم وقد اسرعوا ليبشروا الوالي بالفوز المبين . وكان هلال بسو واحداً من هؤلاء الفرسان وقد علاهُ الغبار وامتزج بعرقهِ حتى كاد يخفي وجههُ عن الابصار فظل سائراً الى بيتهِ وهو يجيب من يسألهُ عن خبرهِ بكلمات مبتورة الى ان وصل البيت فرفع بسو رأسهُ وسألهُ عن خبرهِ وعن حواء فقال دارت الدائرة علينا. فصرخ بسو صرخة عظيمة وكاد يغمى عليهِ . فقال هلال ولكننا لم لا نقطع الامل لانني رأيتُ واحداً من النصيرية أكَّد لي ان حواء هربت من حصنهم

بسو — كلاَّ هذه حيلة منهم اين الجنود هل اخذتم الجبال

هلال — لو اخذنا الجبال ما كنت تراني هنا الآن فان النصيرية هبوا في وجهنا واثخنوا فينا ولم ينجُ منا الاَّ كل طويل العمر . وقد كان الفوز لنا في اول الامر فارتدَّ النصيرية من امامنا وخافوا من مدافعنا حتى اذا اوغلنا في الشعب الموصل الى حصنهم ابتدرونا برمي الرصاص وطرحوا علينا حجارة كبيرة من اعالي الجبال فاختلط فرساننا بمشاتنا بمدافعنا واختبطنا اختباطاً فانهزم الجنود وعادوا الى السهل ولم نكد نبلغهُ حتى رأينا رماح النصيرية والاكراد تعمل في اقفيتنا فاركنا الى الفرار ولولا سرعة فرسي ما نجوتُ بنفسي

بسو — متى رأيت النصيري الذي اخبرك عن فرار حواء

هلال — رأيتهُ ليلة الوقعة وكان قد أُرسل اليَّ بكتاب فامسكهُ جنودنا في الطريق واخذوا الكتاب منهُ ومزقوهُ لكنهُ توسَّل اليهم ان يوصلوهُ اليَّ فاوصلوهُ فاخبرني ان حواء نجت من الحصن وان الكتاب كان في هذا المعنى وقد كتبهُ لي قائد النصيرية

ولما قال ذلك دخل الغرفة عبد اسود واشار الى يساكر فقام وتبعهُ ثم عاد بعد بضع دقائق وقال جاءنا رسول آخر يبشائر اخرى . فقال بسو ياالله آبائي اين هذا الرسول عليَّ بهِ . وقبل ان يتمَّ كلامهُ دخل فخر الدين ودنا من سريرهِ وقال هانذا يا ابي . فامسك بسو بيدهِ وقال قل لي أخبرني اين حواء . فقال خلصتها خلصتها كن مطمئناً . فقال بسو نعماً يا ابني نعماً سترى بيرقك يخفق فوق الف حصن . نجت ابنتي نجاها اخوها . باركي يا نفسي الرب اله آبائي . قال ذلك واستلقى على ظهرهِ وهو يقول حواء إئتوني بها . فقال فخر الدين ستأتي حالاً والتفت هلال بسو الى فخر الدين وهنأهُ بسلامتهِ لكن يساكر امسك بيديهما واخرجهما من الغرفة قائلاً قد أُغمي عليهِ فاخرجا من هنا

ولم تطل نوبة الاغماء على بسو فافاق منها سريعاً وهو يقول كنتُ احلم بابنتي . فانهُ حلم بها واقفة امام سريرهِ تنظر اليهِ بعينيها النجلاوين وقد زاد نحولها وانكسار جفنيها

الفصل العاشر

لما كان تنكرد في القفر وبلغتهُ اولاد رشاد على ما تقدم رأى أسلوبهم في الحرب خير اسلوب يتّبع في تلك البلاد وعزم ان يجري عليهِ في مناجزة جنود حلب والدفاع عن بلاد النصيرية وقال في نفسهِ الحرب خدعة : فاذاع ان النصيرية خافوا من الجنود وتركوا الشعب وتحصنوا في الجبال وراءهُ . فسرت الجنود الى ان دخلت الشعب وهي لا تدري بما دبرهُ لها تنكرد ورجالهُ النصيرية من الحيلة حتى اذا توسطتهُ وعسر عليها الخروج منهُ اصلاها النصيرية ناراً حامية من بنادقهم واهالوا عليها الحجارة الكبيرة فعاد من سلم منها الى السهل . وكان تنكرد واقفاً لها بالمرصاد في شعب آخر مع فريق من فرسان النصيرية والاكراد فهجم عليها بهم الاَّ ان الفريق الاكبر من فرسان الاتراك كان قد دخل الجبال من شعب ثالث وبلغهُ ما حلَّ ببقية الجنود فعاد لنجدتهم وقطع خط الرجعة عن تنكرد ورجالهِ . ونظر تنكرد الى ما وراءهُ فرأى فرسان الاتراك جادَّةً في اثرهِ ولو علم الجنود ان فرسانهم بادرت الى نجدتهم لارتدُّوا على تنكرد ورجالهِ ولم يبقوا على احد لكنهم لم يدروا بذلك على ما يظهر بل ظنوا الفرسان نجدةً لعدوهم . ورأى تنكرد الخطر محدقاً بهِ وكان باروني الى جانبهِ فاشار عليهِ ان ينحرف الى اليمين ويوغل في الصحراء الشرقية ورأى تنكرد ان ما اشار بهِ باروني هو عين الصواب فالتفت الى الفرسان الذين معهُ وكانوا نحو عشرين فارساً واشار اليهم ان يعرّجوا معهُ نحو اليمين وكانت خيولهم من السوابق فاطلقوا لها الاعنَّة ولم يخيم الليل حتى ابعدوا عن فرسان الاتراك فعادت عنهم يئسة من ادراكهم وظلوا سائرين الى ان وصلوا الى قرية ابتاعوا من اهلها طعاماً وعليقاً لخيولهم ثم نهضوا قبل الفجر وواصلوا السير النهار كلهُ

وكان فصل الشتاء على الابواب وقد هطلت الامطار فاحيت موات الارض وكستها بالنبات فكانوا يجدون المرعى لخيولهم كلما اعياها السير حتى اذا كان اليوم الثالث بلغوا نهراً كبيراً من النواصر التي تصب في الفرات والى جانبهِ قفر لا تصل العين الى مداهُ فنظر باروني اليهِ وقال بادية الشام تراها الآن صحراء قليلة النبات ولكن لا يمضي اسبوعان حتى تجدها بساطاً من الديباج مرصعاً ببدائع الازهار يتضوَّع اريجها فيعطر الارجاء . والتفت تنكرد يمنةً ويسرةً وقال هذا هو القفر الذي اصبو اليهِ والبداوة التي تحنُّ اليها نفسي

ثم مالوا الى الجنوب وواصلوا السير فالتقوا بذلك النهر ثانية واذا السهل الذي يليهِ بحر

يموج بالمضارب والجمال والخيول والقطعان ونساء البدو خارجات الى الماء جرارهن على رؤُسهن.
ولم يكن الأَكلا حول ولا حتى خرج من بين المضارب كوكبة من الفرسان واقبلت على تنكرد ورجالهِ. فقال باروني لما وقع نظرهُ عليها اخوان ان شاء الله لانهُ لا ينزل في هذه المنازل غير بني رشاد. ودنا منها وقال بنو رشاد ان شاء الله فقالوا بنو رشاد أُباة الضيم وقراة الضيف. فقال اذاً قولوا لاميركم ان صديقهُ الامير الانكليزي يقرئهُ السلام وهو ضيف عليهِ الليلة. فادار واحد من الفرسان رأس جوادهِ وغاب عن الابصار ووقف تنكرد وهو يقول عادت بنا الاقدار وارتنا هذا الشيخ الجليل في ديارهِ. ثم ساروا الهوينا نحو المضارب ولم يسيروا طويلاً حتى رأوا الشيخ مالكاً خارجاً للقائهم بموكب عظيم فحيا تنكرد ورحَّب بهِ وبرجالهِ ومضى بهم الى خيامهِ

وكان مع الشيخ مالك في ذلك القفر نحو خمسة آلاف نفس والفا فارس ونحو عشرة آلاف جمل وهو الجانب الاكبر من بني رشاد

وذُبحت الخرفان واوقدت والنيران وطحن البن وقدمت القهوة للضيوف ثم جيء بالطعام ووقف الشيخ مالك في خدمتهم حتى اذا شبعوا من الطعام وخرج كل الى مضربهِ اختلى تنكرد بالشيخ وسأَلهُ عمَّا اذا كان يعلم شيئاً من امر حواء فقال كلاَّ وماذا جرى لها. فاخبرهُ تنكرد باسرها في بلاد النصيرية وهربها مع فخر الدين. فقال لهُ الشيخ اذاً هي الآن في حلب وسأُخبرك بجلية امرها بعد بضعة ايام ثم استدعى واحداً من رجالهِ وامرهُ ان يرسل رسولاً الى حلب في الحال. ثم قال لتنكرد وما اوصلك الى بلاد هؤُلاء الملاعين عبدة ابليس فقال تنكرد القصة طويلة وسأُخبرك بها ولكن لا يخفى عليك انهُ مضى عليَّ ثلاثة ايام وانا على ظهر جوادي ولو لم التقِ بكم هنا ما كنت ادري ما يحلُّ بي لانِي لا استطيع ان اتحمل هذه المشاق طويلاً. واذا كانت حواء سالمةً فهذا حسبي وغاية مناي ولكن ما هي غاية مناي وما هي الاماني وماهي الحياة وما هو الانسان ثم وقع الشبق من يدهِ وران الكرى على عينيهِ فنام

الفصل الحادي عشر

التقى القنصل بسكوابجيو بالخواجه باريزي في احد شوارع القدس وقال لهُ بلغني ان بسو متقدّم نحو الصحة. فقال باريزي نعم ولكنهُ لم يجز الخطر على ما اخبرني طبيب الامير الانكليزي. فقال القنصل ما اتى بهِ الى هنا كان يجب عليهِ ان يبقى في حلب. فقال باريزي هو يأتي القدس كلما انحرفت صحتهُ لانهُ يقول ان هواءها اصلح شيء لشفائهِ واذا لم يشفَ فهو يحب ان يُدفن في وادي يهوشافاط. فقال القنصل ولكنهُ ليس في القدس الآن. فقال باريزي ما مرادك

بذلك فاني ذاهب الآن لعيادتهِ . فقال القنصل الظاهر انك لا تعرف شيئاً لانهُ في بيت عنيا وليس في القدس

فقال باريزي القدس او بيت عنيا على حدّ سوى ولكن متى تتكلل ابنتهُ يا ترى

القنصل — لا تتكلل الاّ بعد ما يشفى ابوها

باريزي — اسمعتَ في زمانك ان الاكراد غلبوا عساكر النظام

القنصل — اكراد من قال لك ذلك .عساكر من الروس في لباس الاكراد . وقد غنموا منهم مدافع مسبوكةً في بطرس برج ووجدوا اوراقاً مع واحد منهم تكشف كل الخبايا وستنشر كلها عن قريب وقد كتب لي القنصل لورلاً من الشام ان المسألة الشرقية انفتحت من جديد

فاضطرب باريزي من هذا الخبر وقال لهُ هذا الذي كنت اخشاهُ فان الوزير بامرستون لا يقرُّ لهُ قرار حتى يمتلك القدس

القنصل — هذا شأن الانكليز فانهم لا يكفّون عن فتح الاسواق لمتاجرهم

باريزي — الحق بيدهم وانا سأُوسع شغلي هنا ولكن اخاف ان بيت بسو يحتكر الاقطان كلها

القنصل — اظن ان الانكليز لا يفلحون عندنا فانهُ ليس عندنا شيءٌ نعطيهم اياهُ بدل بضائعهم وخير لنا ان نجلب بضائعنا من بلاد النمسا فان النمساويين يعطوننا بضائعهم ويستعيضون عنها بالصلبان والمسابح

باريزي — اما انا فلا اريد ان اتاجر بالصلبان والمسابح

القنصل — ولكن ابن عمك يتاجر وقد امر الصناع في بيت لحم ان يصنعوا لهُ مقداراً كبيراً منها

باريزي — خزاهُ الله ولكن ما الحيلة فان كان الناس يطلبون الصلبان والمسابح فلا بدَّ من تقديمها لهم والتجارة تمدّن الدنيا

وبينما هما في هذا الحديث مرَّ بهما فارسان ووقفا امام باب حسن نجيب فقال القنصل من هذان الفارسان فقال باريزي هما الامير الانكليزي وتابعهُ وقد غابا عنا ستة اشهر مضيا فيها الى مصر

القنصل — اظنهُ ذهب الى هناك ليرى هياكل المصريين القدماء ويصطاد التماسيح مثل كل الانكليز

باريزي — لقد احسن برجوعهِ الى هنا لان القدس اجمل مدن الدنيا

القنصل — اجمل مدن الدنيا البندقية لا القدس

باريزي — من اين عرفت هل رأيتها

القنصل — لم ارَها ولكن اسلافي بنوها وعندي صورة من صورها

باريزي — لم اسمع احداً شبَّه البندقية بالقدس قبلك

القنصل — القدس لا تستحق ان تكون جارية عند البندقية

باريزي — اعلم يا خواجه بسكاليجو الذي يسمي نفسهُ قنصلاً ان القدس مدينة الله وقرَّة عين الانسان

القنصل — بُش

باريزي — بُف

القنصل — لا بدَّ لبسومن ان يتركها حالما يتعافى

باريزي — هذا الكلام لا تُجاسر على التفوُّه بهِ في حضرتهِ

القنصل — مَن ؟ انا ؟ أتقول لقنصل دولة عظيمة انهُ لا يجاسر

باريزي — نعم اقول لابن قوَّاس قنصل النمسا في صيدا

القنصل — سترى ما يجعلك تندم على هذا الكلام وسأكتب اليوم عنك الى سفيرنا في استانبول

باريزي — لماذا تكتب اذهب بنفسك ما دمت قد تعبت من الاقامة في القدس

ورأى القنصل انهُ أُفحم عن الجواب فالتفت الى خصمهِ ونظر اليهِ نظر الغيظ والتوعُّد وسار في سبيلهِ

وترجَّل تنكرد ودخل البيت وكان قد استأجرهُ منذ نصف سنة ولم يقم فيهِ اما باروني فكان يعرفهُ جيدًا من قبل. وكان قنصل بيروت قد بعث بفريمان وترومان الى القدس فوصلاها سالمين. وكان الكولونل براس في ذلك اليوم يتغدَّى عند قنصل الانكليز ويأكل نوعًا من الحلوى علَّم الطباخ كيفية طبخهِ. والقس برنارد في بيت لحم يعاون المطران في تعليم بعض النساطرة الذين انضموا الى الكنيسة الانكليزية. والدكتور روبي في غور الاردن يفتش عن بعض الحشائش الطبية. اي ان تنكرد عاد الى بيتهِ فلم يجد فيهِ احدًا من الرجال الذين انفذهم ابوهُ معهُ ليساعدوهُ في رحلتهِ. فتفقَّد غرف البيت كلها ثم التفت الى باروني وقال لهُ اني صغير النفس جدًا ولم اكن اظن اني ادخل القدس فلا اجد فيها ما يسرني فقال باروني هذه نتيجة لازمة عن الانتقال السريع من البداوة الى الحضارة. ثم اراد ان يرسل وراء الكولونل براس فمنعهُ تنكرد من ذلك قائلاً دعهُ يرجع من نفسهِ لكي لا نقلق احدًا

ومضى النهار وتنكرد يقرأ او يمشي من غرفة الى اخرى وهو مشغول البال مضطرب الافكار.

ونام باكرًا تلك الليلة . وعاد الكولونل براس في المساء واستغرب لما بلغهُ رجوع تنكرد وأراد ان يراهُ ثمنعهُ باروني. وعاد بعدهُ القس برنارد من بيت لحم وكان بعض الطغام قد لحقوهُ في الطريق ليسلبوهُ نسخة من التوراة مواسكها من الذهب اهدتها اليه كونتس بلامونت قبل سفره مع ابنها فضربوهُ لكنهُ نجا منهم سالمًا . وعاد الدكتور روبي بحشائشهِ قرب نصف الليل فوجد ابواب المدينة مقفلة فاضطرَّ ان ينام في وادي يهوشافاط وكان معهُ خادم فاكل الحشائش كي لا ينام جائعًا

ومضى الليل على تنكرد وهو يحلم احلامًا مزعجة فيرى نفسهُ تارةً في البرية وطورًا في حصن النصيرية واخرى في قصر بلامُنت ويرى امهُ ويدنو منها ليعانقها فيراها استحالت الى الهة من آلهة السوريين وجهها مثل وجه حواء

ونهض في الصباح باكرًا وكتب ورقةً للكولونل براس يقول له فيها انهُ خارج للنزهة ويعود بعد ساعة من الزمان واعطى الورقة لخادمهِ فريمان وخرج من المدينة وصعد على جبل الزيتون وكان الجو صافيًا والنسيم عليلاً فوقف في مكان يشرف على المدينة وجعل يقلب طرفهُ في ابراجها وحصونها وينظر الى ما حولهُ من البلاد وهو يستنشق نسيم الصباح الى ان علت الشمس ولذعتهُ بحرها فعاد ادراجهُ ولكنهُ لم يسِر نحو المدينة بل سار في جهة اخرى نحو بيت عنيا

الفصل الثاني عشر

مالت الشمس الى المغيب وبسطت اشعتها الذهبية على سعوف النخل في بستان حواء وهي جالسة في الرواق الذي فوق الفسقية تلعب بزهرة في يدها وتنظر الى الماء المتدفق امامها وكانت قد تركت تنكرد مع ابيها بعد ان قضي النهار معهُ ومعها وسرد لها الحوادث التي مرَّت بهِ بعدما التقى بها اولاً في ذلك البستان . وبينما هي غائصة في بحار الافكار سمعت تنكرد يقول لم ار لي بدًّا من مشاهدة الشمس وهي تغيب عن بادية الشام وقد كدت أُقنع اباكِ بالخروج معي . فالتفتت اليهِ وقالت دخل فصل الشتاء وبرد الهواء فليس من الحكمة خروجهُ الآن . فقال نعم وحبذا لو بقيت الليالي حارةً كما كانت حينما زرت هذا البستان اول مرة ما اسعد تلك الساعة. فقالت لا نعلم ما هو السعيد في هذه الدنيا . فقال "ولكن انا اعلم" وجلس بجانبها . فقالت له ان كل ما تكلمنا عنهُ هذا ايضاح لهُ نتيجة واحدة وهي الغم والشجن ولذلك تراني كمن يختبط في وهدة اليأس لا لانني قنطت من رحمة الله بل لانني اخشى من اننا اضعنا جانبًا كبيرًا من قوانا عبثًا وقد نكون من طلاَّب الاماني التي لا تنال وقصَّاد المطالب التي لا تُدرك

تنكرد — اما انا فايماني وطيد ولا اتقلقل الا اذا وجدتُك انت متقلقلة

فتبسمت وقالت قد يكون ما اراهُ من الحزن من قبيل ما يشعر بهِ كل احد عند غروب الشمس . فقال لا يجتمع الحزن مع الحب ولقد طالما خامرني الحزن وانا وحدي ولكنني اذا جلست معكِ انتعشت نفسي وفُرّجت كربتي

فقالت ولكنك لم تكن كذلك قبل هذه الحوادث حينما كان غرضك روحيًّا محضًا حينما كنت تفكر بالملائكة والوحي اما الآن وقد رأيتَ ما رأيتَ من الحيل والدسائس والمشاكل فلم يبقَ ايمانك كما كان

فنظر في وجهها وقال " انتِ الملاك الذي كنتُ اطلبهُ فلم يزل ايماني وطيدًا لا يتزعزع ولم يزل غرضي روحيًّا محضًا . آهٍ يا حواءُ ألا تتنازلين وتقبلين قلبًا لا يحبُّ سواكِ نعم اني انا ايضًا اشعر احيانًا كثيرة بشيء من القنوط ولكنني لا اشعر بذلك الا حينما ارى نفسي تحبُّ من اخاف ان لا تحبني ". وكان قد امسك بيدها فابقت يدها في يدهِ وقالت لهُ بصوت يكاد لا يسمع لا يمكننا ان نتكلم في هذه الامور لانك تعلم ما يفصل بيننا

فقال لا اعلم شيئًا ولا اريد ان اعلم الا بما اشعر بهِ من الحب لكِ

فقالت انسيتَ اني من امة وانتَ من اخرى اليك عني يا ابن اوربا يا ابن الامة المسيحية . قالت ذلك وحاولت نزع يدها من يدهِ . فقال نعم انني اوربي مسيحي ولكنني احبُّ فتاة من الامة التي جاء المسيح منها فلماذا ابتعد عنكِ

فقالت هذا هو الجنون بعينهِ

فقال "بل هو الهام الهي ولا افارق هذا الرواق الذي التقينا فيهِ اول مرة ما لم تقولي لي ان قلبينا متحدان على اتمام الغرض الذي خلقنا لاجلهِ . ولا تقولي لي ان امتي تخالف امتكِ وبلادي تخالف بلادكِ فانني لا امة لي ولا بلاد اما الروابط التي تفصلني عنكِ وتمنعني عن الارتباط بكِ فقولي لي انكِ تحبينني فامزقها وادوسها تحت قدمي ". ولما قال ذلك وقع رأسها على صدرهِ فقبَّل جبينها ونظر الى عينيها فرآها قد غابت عن الصواب فوضع رأسها على وسادة وجعل يرش الماء على وجهها ويفرك يديها حتى افاقت وفتحت عينيها وحينئذٍ سمع صوتًا وجلبةً في البستان واناسًا ينادونهُ باسمهِ فالتفت واذا اناس كثيرون والمشاعل في ايديهم حتى اذا دنوا منهُ رأى بينهم الكولونل براس والقس برنارد والدكتور روبي وخادميهِ فريمان وترومان وكثيرين من العبيد والغلمان فقام للقائهم وسألهم عن سبب تفتيشهم عنهُ فاخبرهُ الكولونل براس ان اباهُ وامهُ وصلا القدس. انتهى

تذييل يُفهم من الرواية ان تنكرد اقترن بجواء بعد ذلك وتقض الحواجز القديمة التي كانت تفصل بين الانكليز واليهود وان اقترانها به كان يرضى خطيبها لان امياله ومشاربهُ لم تكن مثل اميالها ومشاربها . وكل ما في الرواية موضوع وضعاً كما لا يخفى ولكن ليس العبرة بحوادثها واسماء الرجال المذكورين فيها وكونها صحيحة او غير صحيحة بل بالصور الادبية والمعاني السامية التي وعتها مما جادت به مخيلة اشهر كاتب بين الكتاب وادهى وزير بين رجال السياسة

بناء الاجسام الحية

خطبة الرئاسة للسر وليم ترنر رئيس مجمع ترقية العلوم البريطاني (تابع ما قبله)

تكاثر الخلايا

يظهر ان فون موهل النباتي كان اوَّل من انتبه الى تكاثر خلايا النبات بالانقسام وذلك سنة ١٨٣٥ . لكن لم يُعرف اصل النواة ووظيفتها في تكوُّن الخلايا الجديدة الاَّ بعد ان اهتمَّ العلماء بدرس البيضة في حيوانات مختلفة وما يحصل فيها من التغيرات بعد تلقيحها . وقد انتبه فون بير وغيرهُ من الباحثين الى الحويصلة التي نسبتها الى البيضة نسبة النواة الى الخليَّة وذلك قبلما نشر شوان كتابهُ المشهور سنة ١٨٣٩ . وباصلاح وسائط البحث ظهر انهُ يصير في البيضة حويصلتان بعد ان كان فيها حويصلة واحدة ثم يصير فيها اربع حويصلات بدل الاثنتين ثم ثمانٍ وهلمَّ جرًّا بالتضعيف الى ان تحوي البيضة كثيرًا من الحويصلات وفي كلّ منها نواة. وعليهِ فالحويصلات خلايا تكونت داخل الجرثومة الاصلية التي في البيضة. وقد وصف مارتن بري هذه التغيُّرات سنة ١٨٣٩ و١٨٤٠ برسالتين قدمها الى الجمعيَّة الملكية في مدينة لندن وسمَّى الهيئة التي تظهر على ظاهر البيضة حينئذٍ من تكوُّن الحويصلات فيها بالهيئة التوتية نسبة الى ثمر التوت . وابان ايضاً ان الحويصلات تنتظم طبقة داخل غلاف البيضة اي داخل المنطقة الشفافة وان الجنين كلهُ مؤلف من خلايا مملوءة باصول خلايا أُخرى . والخلايا الجديدة تتولد من حويصلة البيضة او نواتها فان المادة التي فيها تدخل بناء الخليتين الاوليين وفي كل منهما نواة ثم تنقسم كل خلية الى اثنتين وهلمَّ جرًّا. فثبت حينئذٍ ان الخلايا الجديدة تتكوَّن داخل الخلايا القديمة. ثم ابان في رسالة ثالثة نشرها سنة ١٨٤١ ان الخلايا الجديدة تتكوَّن بانقسام نواة الخلية التي تتولد منها لا من تبلور السائل النسيجي في الخلية ولا من الجرثومة التي خارجها

ونشر جون غودسير رسالة سنة ١٨٤٢ وافق فيها على ان النواة هي الجزء الثاني من الخلية ومنها تتكوّن خلايا أُخرى ونشر رسالة ثانية بعد ثلاث سنوات موضوعها المراكز الغذائية وصف فيها الخلايا وقال ان نواها اصل الخلايا الحديثة التي تملأ فراغ الخلية الاصلية من وقت الى آخر . وبحث ايضاً عن تكوّن الخلايا في الخلايا الغضروفية مدة الالتهاب وفي غيرها من خلايا الانسجة الاخرى التي فيها تغيرات باثولوجية

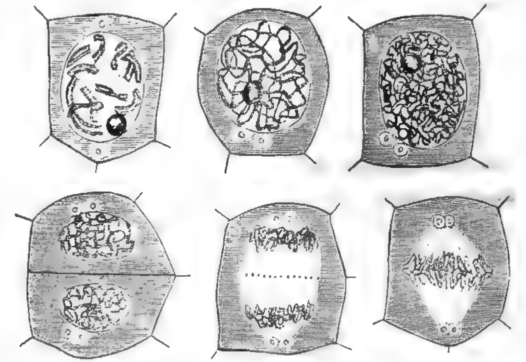
وتولد الخلايا من خلايا أُخرى سابقة لها على هذا الاسلوب مطابق لما يعلم الآن من امر الخلايا بعد ان اتسع نطاق البحث فيها

ونشر روبرت دمارك سنة ١٨٤١ انهُ رأى في الكرية من كريات الدم نواتين واستدلَّ من ذلك على تولد الخلايا بعضها من بعض بانقسام النواة في الخلية الاصلية التي تتكون منها الخلايا الجديدة ولكن لم يثبت انقسام النواة الا سنة ١٨٥٠ الى سنة ١٨٥٥ فانهُ ابان حينئذٍ ان النوية تنقسم اولاً ثم يتبع انقسامها انقسام النواة ثم ينقسم جسم الخلية وغشاؤُها . واتضح من متابعة البحث ان الخلايا تتولد بعضها من بعض اما بانقسام النواة داخل الخلية الاصلية او بتولد حبوب من الخلية الاصلية كبراعم تنتأُ منها

(ثم شرح الخطيب كيفية انقسام الخلايا على حسب الاسلوب الذي شرحناهُ في الجزء الرابع من المجلد الحادي والعشرين من المقتطف وقد اوضحنا ذلك بالصور المدرجة على الصفحة التالية الاولى منها صورة خلية نباتية فيها نواة وخيوط مشتبكة وثلاث نويّات وخارج النواة كرتان . والثانية خلية تجمّعت خيوطها واستعدّت للانفصال . والثالثة خلية تقطعت خيوطها وذهبت كرية من كريتيها الى جانب والكرية الثانية الى الجانب الآخر . والرابعة خلية صارت كل كرية من كريتيها اثنتين وكل قطعة من خيوطها اثنتين وصارت نواتها كلها في شكل مغزلي . والخامسة خلية انفصلت قطع خيوطها وكادت تنفصل كلها والسادسة خلية صارت خليتين كلاًّ منهما مثل الخلية الاصلية المرسومة في الشكل الاول. ثم انتقل الى وصف خلايا الاعصاب وقال انها لا تفرز شيئاً مثل سائر الخلايا التي تتناول من الدم او من السوائل المحيطة بها غذاء تصيرهُ افرازاً خاصاً بالعضو الذي هي منهُ ولكنها تغتذي لتولد القوة التي تظهر من الحيوان وهي المعروفة بالقوة العصبية . وقد عرف ان في كل خلية عصبية نواة كبيرةً ويمتد منها نتوءٌ او اكثر وان الالياف الممتدة منها اجزاء جوهرية . وبعد ان اطال في وصف الخلايا العصبية وما يتفرع منها قال ما خلاصتهُ) انهُ قامت الادلة على ان نواة الخلية وسائلها يعملان في تغذيتها فاذا كانت الخلية عاملةً زادت حجماً هي ونواتها واذا تعبت من كثرة العمل تقلصت نواتها

وصغر حجمها وتقلص السائل الذي فيها وقلت مادَّتهُ التي تتلوَّن كانها أُنفقت بالاستعمال . ومن هذا القبيل ان الحيوانات التي تشتو اذا بلغ نشاطها اقلهُ قلت المادة التي تلوَّن في خلاياها العصبية عما تكون عليهِ والحيوان مستيقظ نشيط الحركة

واذا بلغت الخلية العصبية اشدها من النمو لم يظهر انها تكوّن خلايا أُخرى مثلها بالانقسام الباطني كما تتكوَّن الخلايا في غالب الانسجة كأنَّ قوة الخلايا العصبية كلها تنفق في سبيل



عملها الخاص بها لا في سبيل اخلاف نسل منها ولذلك اذا تلف جانب من الخلايا العصبية الدماغية لا يتولد غيرها عوضاً عنها كما تتولد الخلايا في العظام والاوتار

البكتيريا او الميكروبات

ابان كوهن ودوباري منذ نحو ثلاثين سنة انهُ توجد احياء صغيرة سُميت البكتيريا او الميكروبات . وظهر انها مختلفة الاشكال بعضها نقط مستديرة وبعضها قضبان مستطيلة وبعضها متعجج او ملتفّ وكلها صغيرة جدًّا لا تفحص الاَّ بالميكروسكوب الذي يكبر كثيرًا لان قطرها الاقصر ليس اكثر من جزء من خمسة وعشرين الف جزء من العقدة اي عشر قطر الكرية البيضاء في دم الانسان. وقد ثبت من مباحث باستور ولستر وكوخ وغيرهم من ارباب البحث ان لهذه الميكروبات شأنًا كبيرًا في الطبيعة فتفعل فعلاً كبيرًا في المواد الآلية ولاسيما ما كان منها كثير التركيب الكيماوي فتحلها الى بسائطها المركبة منها . وبذلك يكون لبعضها

فائدة كبيرة ولولاها ما امكننا الجري في كثير من الاعمال الصناعية . والبعض الآخر اثر سيء في توليد الامراض وهو الذي يُذكَر اسمهُ اكثر من غيرهِ

وقد كثر البحث عن بناء الميكروبات وكيفية تولدها . فاذا بُحث عنها وهي حية وكُبِّرت الفيَ ضعف ظهر الميكروب منها كُتيرَّة صغيرة محدودة الجوانب ولا يظهر اولاً لهُ غلاف يحيط بهِ . ولكن هذا الغلاف او الغشاء موجود يظهر ببعض الفواعل ومادة الميكروب داخلهُ حبيبية يمكن تلوينها ببعض الاصباغ . ولا نعلم حقيقة هذه الحبيبات حتى الآن لصغرها الفائق ولكن يرى بعض الباحثين ان الميكروب مادة بروتوبلازمية ذات حبيبات وهذه الحبيبات اجزاء من البروتوبلازم نفسهِ ومهما يكن من ذلك فالميكروب اصغر الاحياء المستقلة بنفسها التي كشفت حتى الآن

وتتكاثر الميكروبات بالانقسام اي ان الميكروب الواحد يكبر وينقسم الى اثنين وكل واحد من قسميهِ يكبر وينقسم الى اثنين . وهذا الانقسام او التولد سريع جداً اذا ناسبتهُ احوال النور والهواء والحرارة والرطوبة والغذاء حتى تتولد الوف كثيرة من الميكروب الواحد في ساعات قليلة

ويتولد من كثير من الميكروبات ايضاً بزور تفرق عنها في انها تقاوم الفواعل الخارجية مقاومة شديدة ثم تنمو وتولد نوع الميكروب الذي تولدت منهُ فكأنها وُجِدَت ليحفظ بها نوع ذلك الميكروب في احوال يتعرض بها لولا تلك البزور

وقد مضى الوقت الذي كنا نفتش فيهِ عن اصل الموجودات الحية وعن كيفية تكوُّنها من المواد غير الحية لانهُ في عصرنا الحاضر لا تتولد الاحياء الاَّ من احياء اخرى سابقة لها ولو كانت بسيطة البناء كالميكروبات او جزءا اصلياً في بناء الاجسام الحية كالخلية

تكوُّن البيضة

يتوقف امر الحي على خلية البيضة الملقحة التي يتولد منها فلننظر الآن قليلاً الى كيفية تكوُّن الجنين من البيضة ولنفرض انها بيضة طائر

لاحظ ولف في اواخر القرن الماضي ان ابتداء جنين الفرخ يرافقهُ تكوُّن طبقات في البيضة فتظهر اولاً طبقة سميت الطبقة المخاطية وتتلوها طبقة ثانية سميت الطبقة المصلية ثم طبقة ثالثة متوسطة بينهما سميت الطبقة الوعائية . ولم تعرف حقيقة هذه الطبقات حتى قام شوان وابان ماهية الخلايا وعلاقتها ببناء الحيوان . ونعلم الآن ان كل طبقة مؤلفة من خلايا وان كل انسجة الجسم واعضائهِ ناتجة منها وقد بحث كثيرون من العلماء في هذه الطبقات ليعلموا ما نصيب كلٍ منها في تكوين جسم الجنين ولاسيما في الحيوانات العليا فوصلوا الى هذه

النتيجة وهي ان كل نوع من الانسجة يتولد من هذه الطبقة او تلك لا يتولد من غيرها وان الطبقة الوسطى وهي الوعائية يتولد من خلاياها اكثر اجزاء الجسم فيتولد منها هيكل العظام والعضلات وغيرها من اعضاء الانتقال والجلد الحقيقي والمجموع الوعائي مع الدم وغير ذلك من الابنية . ويتولد من خلايا الطبقة الداخلة بطانة القناة الهضمية الايبثيلية والغدد المفتوحة فيها وبطانة المسالك الهوائية الايبثيلية . ويتولد من خلايا الطبقة الخارجية البشرة والمجموع العصبي . وهذا الامر الاخير من الغرابة بمكان عظيم لانهُ يتكوَّن من طبقة واحدة البشرة الجلدية التي تقي الجسم وتنسلخ قشورها كلَّما احتكَّ بالمناشف او بالثياب ويتولد منها ايضاً المجموع العصبي مع الدماغ وهو ارقى اجزاء الجسم. والفرق بين الخلايا التي تتألف منها البشرة والخلايا التي تتألف منها الاعصاب بالغ حدهُ لان خلايا البشرة تحمها الاكبر توليد خلايا اخرى بدل الخلايا التي تزول بالاحتكاك او تنتشر من الجسم وخلايا المجموع العصبي فقدت قوة التوليد على ما يظهر

وتكون خلايا كل طبقة من هذه الطبقات متشابهة في اول الامر شكلاً ويظهر ايضاً انها متشابهة بناء وخواص . ومع تقدُّم النمو يظهر الاختلاف في صفاتها ثم تتباين الانسجة التي تتكون من كل طبقة ويظهر الفرق بينها واضحاً فيكون البناء من شكل واحد في اول الامر حسب الظاهر فيصير لكل قسم منهُ شكل خاص بهِ. وفي الوقت نفسهِ تتكاثر الخلايا بالانقسام فيزيد حجم الجنين مع تولد التباين في بنائهِ ويستمرُّ ذلك الى ان يصير للجنين الشكل الخاص بنوعهِ ويصير بحيث يستطيع ان يولد ويوجد مستقلاً

وتكون الخلايا في اول الامر متماثلة في صفاتها فتستحيل الى انسجة مختلفة بواسطة قوى ملازمة لخلايا كل طبقة من الطبقات الثلاث المتقدم ذكرها . والشان الاكبر في ذلك للنواة التي في الخلايا لانها هي التي تؤثر في التغذية والافراز فتفعل في تنويع الانسجة . لانهُ اذا كانت الانسجة مختلفة في صفاتها كالالياف العضلية والغضاريف والانسجة الليفية والعظام تتولد كلها من خلايا الطبقة الوسطى فالامر واضح انهُ يوجد مع الاختلاف البنائي الذي يتنوع بموجبهِ شكل العضو اختلاف كيماوي يتنوَّع بموجبهِ بناؤُهُ وتظهر نتيجتهُ في الاختلافات الفسيولوجية وتصير الانسجة والاعضاء قادرة على تحويل القوَّة الحاصلة من الغذاء الى قوة عضلية او عصبية او غيرها من اشكال الافعال الحيوية . ويحدث مثل ذلك في خلايا الطبقة الداخلية والخارجية . ولذلك فدرس طبقات الخلية في الجنين يرينا كيف تكونت كل اجزاء الحيوان المركبة من الخلية البسيطة ذات النوى وهذا الدرس هو الاساس الذي بني عليهِ علم الاحياء بكل فروعهِ

واذا اردنا بالعضو في العرف البيولوجي الجسم المركب الذي يقدر ان يفعل فعلاً طبيعيًّا فالخلية ذات النوى عضو في ابسط حالاتهِ . واذا كان الحيوان او النبات قائمًا بخلية واحدة فذلك العضو في ابسط درجاتهِ. والحيوانات والنباتات العليا مكونة من كثير من هذه الاعضاء ولكل عضوٍ منها حياة يستقلُّ بها وحياة يرتبط بها بغيرهِ لكي تعمل كل هذه الاعضاء معًا بالاتفاق لغرض عام وهي مثل المنازل في المعامل فان كلاًّ منها يدور وحدهُ مستقلاًّ عن غيرهِ وكلها تعمل معًا في غزل الخيوط التي ينسج النسيج منها

وقد اقتضى ايصال ما نعرفهُ عن بناء انسجة الحيوان والنبات واعضائهما الى ما وصل اليهِ الآن بحثًا متواصلاً اكثر من خمسين سنة (وهنا ذكر الخطيب اسماء الذين لهم الباع الاطول والفضل الاكبر في هذه المباحث وسيأتي الكلام على تتمة خطبتهِ في الجزء التالي)

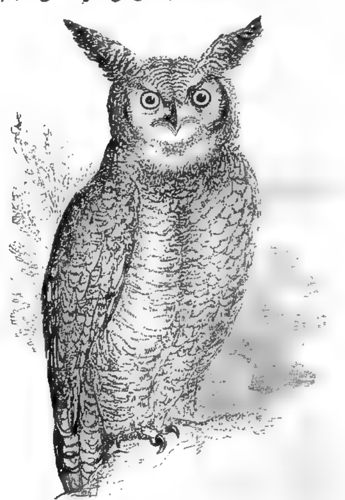
البوم وطباعهُ

البوم طائر الشؤم وناعي الخراب تسمع صوتهُ في الليلة الظلماء فتتذكر ما قصتهُ عليك جدتك في صباك من قصر تردَّد عليهِ البوم ينعب في شرفاتهِ فلم يتم ان مات اهلهُ وتقوَّضت اركانهُ وبيت وقع البوم على سطحهِ وانذر ساكنيهِ بالخراب فدبَّ فيهم الفناء وانقرضوا عن آخرهم . وقد يخطر على بالك ماجاء في كتاب سراج الملوك وهو " ان عبد الملك بن مروان ارق ليلة فاستدعى سميرًا لهُ يحدثهُ فكان في ما حدثهُ بهِ ان قال يا امير المؤمنين كان بالموصل بومة وبالبصرة بومة فخطبت بومة الموصل الى بومة البصرة بنتها فقالت بومة البصرة لا افعل الاَّ ان تجعلي لي صداقها مئة ضيعة خراب فقالت بومة الموصل لا اقدر على ذلك الآن ولكن ان دام والينا سلَّمهُ الله علينا سنة واحدة فعلتُ لكِ ذلك " فتقول في نفسك ان البوم لم تُرْبَط صورتهُ بالخراب لانهُ نذير بهِ بل لانهُ يقيم فيهِ ليأكل ما يجدهُ من الجرذان وصغار الحيوان ولكن يبقى الوهم الاول سائدًا على النفوس فلا يسمع العامة صوت البوم الاَّ تعوذوا منهُ ولا يسمعهُ الخاصة الاَّ تذكروا اقاصيص العجائز

وشكل البومة معروف تمتاز بهِ عن غيرها من الطيور وكذلك هيكلها العظمي واخص ما تمتاز بهِ ظاهرًا اتساع عينيها ودائرتان كبيرتان حولها ولبعضها قرنان من الريش في رأسها كما ترى في الشكل التالي. وهي طائر ليلي يطير ليلاً وينام نهارًا ويبهرهُ النور في النهار لكن بعضها يطير نهارًا وينقضُّ على فرائسهِ في عين الشمس . وبيضها ابيض مستدير وفراخها تولد مغطاة

بالزغب وانواعها كثيرة عدَّ منها نحو مئتي نوع بعضها كبير جدًّا في حجم النسر وبعضها صغير في حجم السماني . وهي منتشرة في كل اقطار المسكونة من الاصقاع القطبية الى جزائر المحيط

وطعام البوم لحوم الحيوانات الحية التي تصطادها من الفيران والجرذان والارانب والطيور والحشرات وهي تطلب فرائسها ليلاً فتدنو منها خفية وتطير اليها طيرانًا لا يسمع لهُ صوت لكثرة ريشها والاَّ فلو اشتدَّ صوت طيرانها لدرت بها الفرائس وهربت من وجهها . وغالبها يعشش



في الاشجار لكن بعضها يعشش بين الصخور وعلى الرمال وفي البيوت والخرب ومن ذلك قول بعضهم

يا قصر جمَّع فيك الشوم واللومُ   متى يعشش في اركانك البومُ

ولما كان اكثر طعامها من الفيران والجرذان فنفعها لاهل الزراعة اكثر من ضررها . واشهر انواعها بوم الاهراء وهو منتشر في اكثر الاقطار ومن غريب امرهِ ان انثاهُ وذكرهُ يحضنان البيض معًا في وقت واحد جانبًا منهُ تحضنهُ الانثى وجانبًا يحضنهُ الذكر وقد اخذ بعضهم بيض البوم وابدلهُ ببيض الدجاج فحضنتهُ البومة الى ان ظهرت الفراخ منهُ . ومنها نوع اميركي

صغير الحجم جدًّا كانهُ العصفور. كتب بعضهم يقول انهُ رأى بومةً منهُ تسكن في تجويف شجرة من السنديان هي وسنجاب وهما على اتمّ الوئام والائتلاف وكثيرًا ما يدخلان الثقب الموصل اليهِ في وقت واحد . والبومة القرناء المرسومة في الصفحة المتقدمة منتشرة في اوربا كلها حتى الدرجة ٤٦ من العرض الشمالي وفي الجهات الشمالية من افريقية وتبلغ بلاد الصين واليابان شرقًا وتكاد تكون من الطيور القواطع . وطعامها الفيران والجرذان مثل غيرها من انواع البوم وقد توجد في عشاشها اقدام الارانب وفضلات الضفادع والغالب انها تغتصب وكر السنجاب وتبيض فيهِ

والبوم الذي نسمع صوتهُ بعض الليالي في القاهرة من البوم الصغير وهو ليلي مثل غيرهِ من انواع البوم لكنهُ قد يطير ويصطاد نهارًا وكثيرًا ما نراهُ على شرفة بيت مجاور لنا بُعيد غروب الشمس ونسمع صوتهُ في اكثر الليل ولعلهُ النوع المشهور في اقاصيص العرب الذي سموهُ بالهامة والصدى وهو الوارد في قول توبة الحميري

ولو انَّ ليلى الاخيلية سلَّمت عليَّ ودوني جندل وصفائحُ
لسلمتُ تسليم البشاشة اوزقا اليها صدى من جانب القبر صائحُ

قال الجاحظ "وانواع البوم الهامة والصدى والضوع والخفاش وغراب الليل والبومة وبعضها يصيد الفار وسام ابرص والعصافير وصغار الحشرات وبعضها يصيد البعوض ومن طبعها ان تدخل على كل طائر في وكرهِ وتخرجهُ منهُ وتأكل فراخهُ وبيضهُ وهي قوية السلطان بالليل لا يحتملها شيء من الطير ولا تنام بالليل فاذا رآها الطير بالنهار قتلنها ونتفنَ ريشها للعداوة التي بينهنَّ وبينها " ونقل المسعودي عنهُ " انها لا تظهر في النهار خوفًا من ان تصاب بالعين لحسنها وجمالها ولما تصوَّر في نفسها انها احسن الحيوان لم تظهر الاَّ بالليل " . وهذا القول الاخير من السخائف التي حواها كتاب الجاحظ على ما فيهِ من الحقائق العلمية ولبعدها عن المعقول والمألوف نظن اكثرها مدخلاً فيهِ ادخلهُ النسَّاخ جهلاً منهم

ومن البوم نوع كبير كاسر يسمى البوم الباشقي ونوع آخر اكبر منهُ واشرس يسمى البوم النسري وهذا كثير في اسيا واوربا وشمالي افريقية وهو يصطاد الارانب واذا عُثر عليهِ في النهار نفش ريشهُ تخويفًا لمن يدنو منهُ ويقال انهُ يغلب النسر بقوتهِ وشراستهِ وتجتمع عليهِ الطيور الصغيرة اذا ظهر نهارًا والغراب في مقدمتها وهذا ينطبق على ما ذكرهُ الجاحظ وغيرهُ من كتاب العرب من اجتماع الطيور على البوم

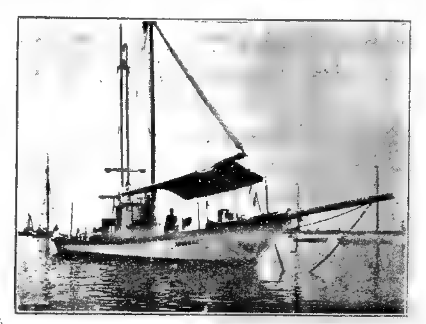


قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تُستَختار على المطوَّلة

الارغونوت

حضرة منشئ المقتطف الزاهر

اجابةً لاقتراحكم عليَّ اصف لقراء مجلتكم نزولي الى الباخرة ارغونوت وتناولي الغداء فيها وهي في قلب البحر وبقائي نحو ساعتين تحت الماء فاقول : كنت في الصيف الماضي في مدينة بردجبورت وهي تبعد نحو مئة ميل عن نيويورك حيث كنت اصنع الآلات التي استنبطتها



للكتابة العربية وهي مدينة المعامل . وذات يوم جاءني مدير المعمل وناولني رقعة دعوة يقال فيها " تفضلوا للغداء تحت الماء " فدهشت من هذا الخبر لانني لم أكن اعلم شيئاً من امر هذا الاختراع وذهبت مع مدير المعمل فوجدنا نخبة من موظفي الحكومة ورؤساء المعامل ينتظروننا

في سفينة صغيرة تشبه القارب البخاري الكبير لا يستدل من هيئتها الظاهرة على شيء مما يدعيهِ مخترعها

فنزلنا الى هذه السفينة وابعدت بنا عن البر الى ان بلغنا مكاناً عمق الماء فيهِ ٣٢ قدماً (نحو عشرة امتار) فوقف المخترع وقال اننا سننزل الآن الى قاع البحر فهل انتم مستعدون لذلك فأخذ كلٌّ منا ينظر الى وجه غيرهِ وهو بين مصدق ومكذب. وفي السفينة انبوب كبير كمدخنة السفن البخارية كما يرى في الشكل المتقدم فصعدنا الى اعلاهُ ونزلنا فيهِ الى اسفل السفينة. واذا جوفها اسطوانة كبيرة من الحديد أُوقدت فيها الانوار الكهربائية وفي مقدمها آلات عديدة وفي وسطها مقاعد على الجانبين وفي مؤخرها غرفتان الواحدة بعد الاخرى جدرانهما وابوابهما من الحديد وفي قاع احداهما حوض فيهِ بعض الماء قيل لي انهُ الباب الذي يفتح الى البحر فلا يدخل الماء منهُ وفي الحاجز الذي بين الغرفتين كوى من الزجاج حتى يرى مَن في الغرفة الواحدة مَن في الغرفة الاخرى

وأُقفلت كل نوافذ السفينة وجعل المخترع يسحب الماء من البحر بطلمبة كبيرة ويصبهُ في الفراغ الذي بين ظاهر الاسطوانة التي نحن فيها وجدران السفينة وللحال اخذت السفينة تغوص في البحر غوصاً عمودياً بطيئاً الى ان رست في قاعهِ ولها في اسفلها ثلاث عجلات فوقفت عليها. وكان الهواء يتجدد في الاسطوانة من انبوب طويل ممتد من السفينة بقي طرفهُ الاعلى فوق سطح الماء وتركنا هناك قارباً صغيراً وقف فيهِ رجل يمنع مرور البواخر فوقنا ويخاطبنا ونخاطبهُ بتلفون

وشرح لنا المخترع تفاصيل اختراعهِ واختارني مع محافظ المدينة[1] لنرافقهُ ونرافق احد الغواصين الى الغرفة الاخيرة التي تفتح في البحر فلا يدخلها الماء فدخلناها معهُ واقفل الباب الموصل منها الى الغرفة الاولى واخذ المخترع يملأ غرفتنا بالهواء المضغوط فضاقت انفاسنا واخذت آذاننا تطن فاشار الينا ان نبلع ريقنا مراراً ففعلنا وبعد نحو خمس دقائق زال ما كنا نشعر بهِ من ضيق النفس وطنين الاذنين وشعرنا براحة تامة غير ان آذاننا ثقل سمعها فصرنا نضطر ان نرفع اصواتنا لكي نسمع ما نتكلم بهِ. ثم قال المخترع للغوّاص افتح باب الحوض ولما قال ذلك خفق فؤادي ونظرت الى المحافظ فرأيتهُ مضطرباً لكنني عدت فقلت في نفسي ان المخترع معنا ولا يمكن ان يخاطر بحياتهِ. وفتح الغواص الباب ولم يدخل منهُ الماء لان الهواء الذي في غرفتنا كان يمنعهُ من الدخول. ومددت يدي الى قاع البحر والتقطت بعض الاعشاب والحجارة وانا بين

(١) سقط سطر من الخبر الذي ذكرناهُ في الجزء الماضي فظهر ان الحافظ هو محافظ نيويورك

مصدق ومكذب ورأيت الاسماك تمرح في تلك المياه البلورية الخضراء ونور الشمس يصل الى قاع البحر على ذلك العمق فينير ظلمتهُ والاَّ فلا تتعذر انارتهُ بالنور الكهربائي . رأيت هناك منظرًا لا انساه مدى العمر ولم يخطر ببالي قبلاً اني احظى بهِ يومًا من الايام ولا سيما لانني لا استطيع السباحة

ولبس الغواص ثوبًا خاصًا ونزل من هذا الباب وجعل يمشي حول السفينة ويلتقط من حجارة البحر واعشابهِ ورفاقنا في الغرفة الاخرى ينظرون اليهِ والينا من الكوى الزجاجية التي في غرفتهم . ثم رجع الينا واقفل الباب وجعل المخترع ينير هواء الغرفة التي نحن فيها ويعيدهُ الى حالتهِ الاولى من الضغط فامتلأَت اولاً ضبابًا نحو عشر دقائق ثم صفا هواؤُها وفتح الباب الذي بينها وبين الغرفة الاولى وعدنا الى رفاقنا مدهوشين مما رأينا . وا كتنوا هم بما رأَوا لانهم شاهدونا من الكوى الزجاجية كأَنهم كانوا معنا . وحينئذٍ مُدَّت لنا مائدة من الطعام الفاخر فاكلنا وشربنا كأَننا في فندق على البر لا في جوف البحر

ثم سارت بنا السفينة في قاع البحر على عجلاتها الثلاث مسافة نصف ميل وكنا قد كلمنا الرجل الذي في القارب لكي ينتقل معنا بقاربهِ ففعل . حتى اذا انتهت هذه السياحة الغريبة في قاع البحر فرَّغ المخترع الماء من حول الاسطوانة فصعدت السفينة بنا رويدًا رويدًا الى وجه الماء وهنأنا بعضنا بعضًا بالسلامة وهنأنا المخترع بنجاحهِ التام في اختراعهِ . وقد اقمنا تحت الماء اكثر من ساعتين وكنا نستطيع ان نقيم ساعات كثيرة

والَّف المخترع شركة بعد ذلك باسبوعين للتفتيش عمَّا في قلب البحر من الكنوز وما فيهِ من التحف التي كانت في ما غرق فيهِ من السفن

مصر . سليم حداد

تنازع البقاء والتعاون

استفهام

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

سأَلكم اديب من قراء المقتطف عمَّا اذا كان ناموس تنازع البقاء يقضي على الانسان باستخدام كل ما يراهُ ممكنًا لنيل ما يطلبهُ سواءٌ عمد الى القوة او الحيلة (انظر السؤال ٢٠ من مقتطف نوفمبر) واشار الى انَّ المخادعة المنتشرة في الناس ممقوتة في شرع الآداب ثم استطلعكم رأيكم في حلِّ مسئلتهِ وهي أيجب على الانسان ان يتبع حكم الآداب والفضائل

او ناموس التنازع هذا الذي يقتضي الجهاد والتغلب على الغير بكل واسطة ممكنة

فقلتم في الجواب ان ناموس التنازع لا يوجب على المرء ان ينازع ابناء نوعهِ بل يوجب عليهِ ان يستعين بهم على الانتفاع بجماد الارض ونباتها وحيوانها وختمتم الجواب بقولكم "وجملة القول انهُ يجوز للانسان ان يخادع الحيوان ويحتال على النبات لاجل معيشتهِ ولكنهُ لا يجوز لهُ ان يخادع ابناء نوعهِ بل يجب عليهِ ان يعاونهم ويستعين بهم" واردتم بذلك على ما ارى اجابة حضرة السائل عن بعض سؤالهِ المختص بالآداب فهل تأذنون لي في استزادة الايضاح ولا زلتم منبعاً للفضل ومورداً لطلاب العلم

يلوح لي انكم لو خُيرتم في انتقاء اسم لهذا الناموس لاخترتم تسمية هكسلي لهُ كما فعلتم في مباحثكم السالفة في المقتطف حيث دعوتموهُ بقاء الانسب واسترجعوها على تسمية داروِن اي تنازع البقاء او الوجود لان هذا التنازع لا بدَّ ان يشتمَّ منهُ رائحة خصام ونزاع مستمرَّين بين افراد النوع الواحد او بين افراد نوع ونوع كما استشعر بذلك حضرة السائل الاديب ولا مشاحة في انَّ هذا النزاع واقع بين الكائنات الحية على تباين انواعها ومنازلها من الشدة والضعف وهو وان كان لا يشاهد في بني البشر في الشدة التي بدا بها في العصور السالفة فما ذلك الاَّ لانَّ منافعهم ومعايشهم وتمدنهم تقضي عليهم بالاخلاد الى السكنية ما استطاعوا او لان ناموس التعاون قد دمث اخلاق البشر كما قلتم فانصرف همهم عن القتال والحرب الى النزاع في الاخذ والعطاء والتجارة وجميع ما نميزهُ بلفظة ادبيًّا حتى ان ذلك كثيرًا ما يدعوهم الى امتشاق الحسام وتحكيم البنادق كالذي نشاهدهُ في الحروب الحديثة اي ان هذا الخلق الموروث لم يضعف فيهم لكنهُ تحوَّل بقوتهِ الى وجهةٍ اخرى . ومهما قيل في انتشار ناموس التعاون والتعاضد فلا ريب في انَّ ناموس بقاء الانسب متسلط على الكائنات من البشر وغيرهم والناس لهُ مساعدون مباشرون كما في مثيري الحروب او قد تكون مساعدتهم لهُ توليدية كما هو واقع في انقراض سكان جزر الباسيفيك الاصليين وهنود اميركا بعد ان جاورهم البيض

فاذا صحَّ ما تقدَّم كان الانسان غير مخير في اكتفاء مطامعهِ وشهواتهِ بمنازعتهِ اخوانهُ من بني جنسهِ او مناجزتهِ الحيوانات البكم فاذا جرى على قول صاحب الناقة الذي استشهدتم بشعرهِ كان بعملهِ هذا مخالفًا لطبيعتهِ وكان مثلهُ مثَلَ الذي يبيت اربعين يومًا على الطوى فانهُ يستطيعهُ لكنهُ ليس من خلقهِ ولا من طبيعة البشر وما استطاعتهُ اياهُ بدليلٍ على افضليتهِ فكأنَّ المسئلة لم تزل حيث كانت اي ان الآداب تحرّم على المرء منازعة غيرهِ (واذا شئتم فمخادعتهُ) لاحراز النفع لنفسهِ وطبيعتهُ تدفعهُ الى ذلك بدوافع وقابليات لابدَّ لهُ من اكفائها

وفي اكفاء بعضها على الاقل قوام حياتهِ اذ المفروض في هذه الحالة ان كل ذي مُلكٍ شحيح بملكهِ حريصٌ عليهِ لا يطرحهُ ما لم يرَ في اطراحهِ نفعاً يخصهُ (ويختلف هذا النفع باختلاف الاشخاص والاحوال والغايات) او ان تكون هنالك قوة تجبرهُ على اطراحهِ او تغتصبهُ منهُ ولا ادري ما الذي يدفع بعض الناس الى عدّ الايثار ناموساً طبيعياً مع انهُ غير عامٍ وجلُّ ما يقال فيهِ انهُ قاعدة ادبية موضوعة (هذا في البحث عني) فاذا تحاكَّ التنازع والايثار كان للأَول المنزلة الاولى والشأن الاكبر لانهُ من النواميس التي يصعب خرقها الاَّ في النادر

نعم إنَّ التاريخ لا يخلو من اخبار الذين بذلوا دماءهم وجادوا بالنفوس والاموال فداء لاوطانهم ومرضاةً لمن يحبُّون وانما يستطاع ردّ هذا الجود وذلك البذل الى اكفاء عاطفةٍ فيهم دفعتهم الى فعل ما فعلوهُ ويؤيّد هذا الثانيَ ما نعلمهُ من انَّ كثيرين منهم لم يتهيأ لهم النظر في الفائدة العائدة لبلادهم او لأَحبائهم من عملهم قبل ان فعلوهُ الاَّ فيما ندر كالذي روي عن احد ملوك اثينا في فجر تاريخها فانهُ تنكَّر ودخل المعمعة بغية ان يقتلهُ الاعداء خطأً لأَنَّ في قتلهِ خلاص مدينتهِ كما كان النبيّ قد سبق فاخبرهُ واخبر اعداءهُ . لكنَّ هذا الحديث وامثالهُ قليلة الوجود وبعضها كهذا داخلٌ في باب الحكايات والاقاصيص التي تروى للذتها وفكاهتها لا لصدقها والاغلب ان يقتل المرء غيرهُ دفاعاً عن حياتهِ . ولا مشاحة في ان الوجه الآخر مؤيد بما نراهُ من اهتمام الكثيرين من الافاضل ببذل اموالهم وانفسهم في نفع الناس وتعليم الجهلاء وتهذيب المتوحشين وجوب الاقطار والتفاني في صنع المعروف والخير لكنَّ نسبة هؤلاء الى سائر البشر قليلة ضعيفة حتى لا تكاد تحسب كافية للاستشهاد بما يفعلون في هذا المقام لانهم اقلية عظيمة

واماَّ قولكم ان الانسان يجوز لهُ مخادعة الحيوان فعدهُ من باب المشاركة في لفظة مخادعة او انكم تحسبون الانسان ممتازاً في عين الطبيعة عن الحيوان وهو ما لا يسلَّم بهِ فانَّ انانيتنا تمثل ذلك لنا وساعدنا على تأكيدهِ ما فقنا بهِ الحيوان الاعجم من سموّ الادراك ودقة النظر اللذين لم يبلغا فيهِ مبلغهما فينا واما الطبيعة فلا ترى رأينا فاذا صحَّ ما قلتم وحقَّ للانسان ان يخادع الحيوان وقصدتم بالمخادعة معناها الموضوعة لهُ وكان تجويزكم الانسان هذا الحقَّ مبنياً على ناموس مقرَّر او كان الواقع كما هو فعلاً فعلامَ لا يجوز للانسان أن يخادع غيرهُ من بني نوعهِ مخادعةً توقع بالآخر ضرراً مباشرةً او توليداً وهل في نواميس الطبيعة العامة ما يخصُّ الانسان و ينفرد بهِ عن الحيوان لانهُ يختلف عنهُ بانتصاب قامتهِ وعرض اظفارهِ وكونهِ ناطقاً حتى يمتاز بهذه

ثمَّ ان هذا التعاون الذي تشيرون اليهِ لا إخالهُ الاَّ طلاءً جميلاً وهو واقع بين بعض الافراد البالغين من التمدن مبلغاً عظيماً لكنهُ بعيد من ان يكون عامًّا ومن المعلوم انَّ الواقع والمشاهدات من اكبر الادلة على وجوب وجود الناموس فان الواقع والمشاهدات كانت السبيل الوحيد لاكتشاف النواميس الطبيعية وهي الطريقة الوحيدة لتمحيصها واكبر ما نراهُ من الشواهد في عصرنا على صحة ما تقدم هذه المطالب التي تطلبها دول اوربا من الصين فانها تبتغي اعدام بعض كبار تلك السلطنة لتثأر مَن قُتل من ممثليها ورعاياها ولتعيد الأمن الى بلاد لمتاجرها فيها اسواقٌ واسعة ولبضائعها رواج عظيم. ومعلوم ان القتل ممنوع ديناً وأدباً وهو مما تنفر منهُ نفس المتمدن لا سيما ما كان منهُ أخذاً بثأر بيد أن نفوس أُولي الامر من الاوربيين لم تنقبض منهُ وهم صفوة المتمدنين وخيرة المتأدبين وجميعهم من الذين نشأوا على الاعتراف بفضل الآداب والمجاهرة بانكار النفس والغيرية الى آخر تلك الطنطنة. واماَّ رجوعهم عن طلبهم اعدام من ذكرنا فاذا حدث فالأغلب فيهِ ان يكون سببهُ عجزهم عن القبض عليهم او ايقانهم بأن هذا الاعدام لا يكفل لهم قضاء وطرهم ونيل لبانتهم فيما يرجونهُ من اعادة المياه الى مجاريها وليس للآداب دخلٌ في احد هذين

هذا واني اعترف بوعورة المسئلة ودقتها والتمس العذر لنفسي في الخوض فيها بما ارومهُ من الوقوف على الحقيقة واشارك حضرة الاديب السائل في الوقوف على باب مقتطفكم الاغرّ استزيدكم ايضاحاً لما اراهُ من التعقيد فيها

اسيوط في ٤ دسمبر ١٩٠٠　　خليل ثابت

[المقتطف] نشكر فضلكم على توجيهكم اذهان القراء الى هذا الموضوع الهام. وبعدُ فانكم تجدون في هذا الجزء مقالة لاحد اصدقائكم نعتقد ان تكون جواباً لاستفهامكم. وقد كتبنا فصلاً وجيزاً في المجلد العاشر في اصل الآداب والفضائل يبين منهُ كيف تولَّدت الغيرية في نوع الانسان اي يبين اصلها الطبيعي وسنعيد نشرهُ في الجزء التالي لانهُ وقع في تركيب صفحاتهِ حينئذٍ خطأٌ اخلَّ بمعناهُ ولم ننتبه لهُ الاَّ الآن. ونحن نوافقكم في ان الانانية ناموس متسلط على البشر وهي متقدمة على الغيرية كما قلنا وفي ان الذين يدَّعون الغيرية لا يفرق جمهورهم عن غيرهم. وكثيراً ما نقف مثلكم نفكر في مطالب هذه الدول وما تدَّعيهِ من الرغبة في الانصاف والانتصاف ولكننا نعود فنقابل أحوالها باحوال ملوك المشرق والمغرب السالفين من حين كُتب التاريخ الى الآن فنرى ان دول هذه العصر تفوق الدول السالفة آداباً وفضائل. اين ما تفعلهُ جنودها الآن مما فعلتهُ جنود رعمسيس والاسكندر وقيصر وجنكيز خان وتيمورلنك او مماَّ

فعلتهُ جنود بونابارت منذ مئة عام . وقد نشأت الغيرية في نوع الانسان بُعيد الانانية ومذهب سبنسر انهما نشأتا سويةً قال في الفصل الثاني عشر من المجلد الاول في اصول الآداب ما ترجمتهُ " اذا عرّفنا الغيرية بانها كل الاعمال التي لا يعود نفعها على عاملها بل على غيره فقد كانت من فجر الحياة لازمة كالانانية والانانية متوقفة عليها كما هي متوقفة على الانانية " . وفي ما تروتهُ يومياً من ايثار الام طفلها عليها سواء كان ذلك في الانسان او في الحيوانات دليل على ان الايثار ناموس طبيعي عام

هذا من حيث القسم الاول من السؤال ولما كان ناموس تنازع البقاء " او بقاء الانسب " يوجب على الانسان ان يستعين بابناء نوعهِ لان اهل التعاون اصلح من غيرهم للبقاء اقتضى ان تكون هذه الاستعانة على شيء تقوم بهِ حياة الانسان ويحفظ نوعهُ وهو الحيوان والنبات والجماد للغذاء ولقضاء سائر الحاجات فاضطررنا ان نفرّع على القسم الاول هذا القسم الثاني. ونريد بمخادعة الحيوان الاحتيال على صيدهِ او على استخدامهِ للانتفاع بلبنهِ وصوفهِ وقوّتهِ . وهو وحشي بطبعهِ لا يخضع لنا ما لم نغلبهُ او نخدعهُ وهذا الخضوع لا يضرّ بهِ لان الحيوانات الوحشية ليست انعم حالاً من الحيوانات الاهلية



التعليم الزراعي في فرنسا

خلاصة المنشور الذي نشرتهُ نظارة المعارف الفرنسوية ارشاداً لمعلمي المدارس في تعليم الطلبة مبادئ العلوم الزراعية وما تبنى عليهِ

ارشادات للمعلمين

ان التعليم الزراعي الذي يمكن ادخالهُ الى المدارس الابتدائية يجب ان يقصد بهِ تنوير ذهن الطالب لا جعلهُ يحفظ القواعد غيباً . ويجب ان يُبنى على مشاهدة الاعمال الزراعية التي تعمل كل يوم وعلى التجارب البسيطة التي يسهل عملها في المدارس الابتدائية وتوضح بها المبادئ العلمية التي تُبنى عليها اهم الاعمال الزراعية . ولا بدَّ من ان يتعلم التلامذة سبب هذه الاعمال ولكن لا يطلب منهم ان يتعلموا شيئاً من القواعد والحدود والتفاصيل . ولا بدَّ لكل من

يعيش من الزراعة ان يعرف ما يلزم لنمو النباتات ويفهم اسباب الاعمال الزراعية التي يعملها والشروط اللازمة لصحة الانسان والحيوان وذلك كلهُ لا يُعلَّم الاَّ بالتعليم المقرون بالامتحان

والمعلم الذي يكتفي بتعليم تلامذتهِ كتاباً زراعيًّا حتى يحفظوهُ غيباً لا يفيدهم شيئًا مهما كان الكتاب وافياً بالموضوع اذ لا بدَّ للفائدة من الاعتماد على الامتحان والمشاهدة

ومن المقرَّر ان التلامذة لا يتعلمون كيف يشاهدون و يستفيدون مما يشاهدونهُ ما لم يروا الاعمال بعيونهم و يُرشَدوا الى الحقائق التي تستنتج منها . و يكتفى في المدارس الابتدائية بإعداد التلامذة للاعمال التي ينالون معيشتهم بها وترغيبهم فيها . ولا يرغب العامل في عملهِ ما لم يفهمهُ

والخلاصة انهُ يقصد من التعليم الزراعي في المدارس الابتدائية جعل التلامذة يستفيدون من الكتب الزراعية اذا قرأوها ومن الخطب الزراعية اذا سمعوها ويحبون الاعمال الزراعية ويفضلون المعيشة في الاباعد والمزارع على المعيشة في المدن والمعامل واقناعهم بان الزراعة افضل المعايش واكثرها ربحاً للذين يستعملونها بالاجتهاد والاعتناء عن فهم ودرية

ويحسن ان تملَّح الدروس كلها بملح الزراعة فتكون قصص كتب القراءة في المواضيع الزراعية ومسائل كتب الحساب في امور زراعية والاشعار التي يقرأها التلامذة او يستظهرونها في مواضيع زراعية فان ذلك كلهُ يفيد في جعل التلامذة يألفون الزراعة ويحبونها

ويقسم تدريس المبادىء الزراعية الى ثلاثة اقسام

الاول الابتدائي وهو للتلامذة الذين سنهم بين السابعة والتاسعة

والثاني المتوسط وهو للتلامذة الذين سنهم بين التاسعة والحادية عشرة

والثالث العالي وهو للتلامذة الذين سنهم بين الحادية عشرة والثالثة عشرة

والتعليم في القسم الابتدائي هو استطراد التعليم في مدارس الاطفال فيكون بستان المدرسة لتعليم الاشياء التي تعلم في تلك المدارس. والتعليم في القسم المتوسط سنتان على الاقل يعلم التلميذ في السنة الاولى منها مبادئ العلوم الطبيعية ولا يعلم مبادئ العلوم الزراعية حقيقة الاَّ في السنة الثانية ولكن يقتصر في التعليم فيها على المطالعة ورؤية الاشياء الزراعية ووصفها والمشي في الحقول ومشاهدة ما فيها

وهاك وصف ما يُعلَّمهُ في القسم المتوسط والعالي

القسم المتوسط

في النصف الاول من السنة الاولى يُعلَّم التلميذ اولاً ان المادة توجد في ثلاث حالات

جامدة وسائلة وغازية وذلك كلهُ بالتجارب المختلفة مثل وضع كوبة في الماء لاظهار الهواء الذي فيها حتى يشعر بهِ اما بخروج الابواق من الكوبة او بما تجدهُ اليد من الصعوبة في انزال الكوبة في الماء اذا كان فمها الى اسفل . او بادخال الهواء الى كوبة مملوءة ماء بواسطة منفخ او بالنفخ بانبوب فيخرج الماء منها حين دخول الهواء اليها . ويستحضر البخار بتسخين الماء ويعاد ماء بتبريده . ويستحضر الاكسجين باحماء كلورات البوتاس واكسيد المغنيس وتمتحن خواصهُ . ويمتحن الهواء بحرق الفصفور فيهِ فيوجد خمسهُ اكسجيناً الخ

ويعلَّم ثانياً شيئاً عن الحيوان فينبَّه الى الاختلاف بين اصناف الكلاب والى الفروق بين الخيل والحمير والى طبائع الدجاج ومجيء الطيور القواطع ورواحها ويُرى كيف تتولد الضفادع والديدان والنحل . ولا بدَّ من كتب توصف فيها طبائع هذه الحيوانات وصفاً بسيطاً فتقرأُ قراءة كانها دروس للقراءة

ويُعلَّم ثالثاً وصف جسم الانسان وكيفية تنفسهِ واغتذائهِ ويرشد حينئذٍ الى كيفية الاعتناء بصحتهِ

وفي النصف الثاني من السنة الاولى تكون النباتات قد كبرت وازهرت فيؤتى بها الى المدرسة او يذهب المعلم وتلامذتهُ الى البساتين والمزارع فيشرحها لهم ولا يحسن بهِ ان يشرح لهم امرًا علميًّا عن النبات من غير ان يروهُ بعيونهم . ويرى التلميذ كيف تنبت البزور وتمتد الجذور منها الى اسفل ويعلو النبات وتتولد اوراقهُ وذلك بزرع بعض البزور مثل العدس والفول والحمص في صحاف على قطن مبلول . وتشرح لهُ الازهار حتى يرى اعضاءها المختلفة ويميز بعضها من بعض . ويعلم كيفية رسم اعضاء النبات المختلفة اوراقهِ وازهارهِ واثمارهِ وبزورهِ

ويعلم في السنة الثانية كيفية احتراق الفحم ويمتحن امامهُ تولُّد غاز الحامض الكربونيك بالاحتراق ووجود هذا الغاز في الحجارة الجيرية . ويصنع الجير امامهُ بحرق الطباشير ويرى كيف خسر الطباشير من ثقلهِ بذهاب الغاز منهُ ويرى فعل الماء بالجير الحي وخواص الجير المطفأ وخواص ماء الجير . ويعاد الجير الحي امامهُ الى كربونات الجير

ويغسل التراب امامهُ ويفصل بين ما فيهِ من الطين والرمل بالغسل وبالفواعل الكيماوية ويمرَّن على الفصل بينها بيدهِ . ويرى الفرق بين الاتربة المختلفة وتأثير السماد بالمزروعات بزرع بزور في تراب غير مسمد وبزور اخرى في تراب مسمد في آنية صغيرة توضع في المدرسة

اما التعليم في القسم العالي ففوائدهُ الزراعية كثيرة ولذلك ارجأنا الكلام عليهِ الى الجزء التالي

كيف ترقى الزراعة

وصفنا في الجزء الماضي اندية الزراعة عند اهالي الولايات المتحدة الاميركية والطرق التي يستخدمونها لتوسيع المعارف الزراعية كالاشتراك في امتحان انواع السماد ونشر الكتب الزراعية وترخيص ثمنها حتى يستطيع كل احد ان يشتريها واقامة اناس مثل اساتذة يسألهم الفلاحون كتابة عمّا غمض عنهم وعسر عليهم فهمهُ ونحو ذلك وبقي الكلام على تعليم المبادىء الزراعية في المدارس الابتدائية

اهتمَّ الراغبون في تقدُّم الزراعة منذ عهد طويل بادخال التعليم الزراعي الى المدارس الابتدائية وطلبوا من الحكومة الاقرار على ذلك فاقرَّت عليهِ في بعض الولايات ولكن على غير جدوى لان التعليم الزراعي مبني على بعض العلوم العالية كالكيمياء والجيولوجيا والفسيولوجيا النباتية والحيوانية وهذه العلوم لا يمكن تعليمها للاحداث في المدارس الابتدائية ولا كان المعلمون قادرين على ايضاح مبادئها للتلامذة مما يشاهدونهُ حولهم فكان لا بدَّ من تغيير نظام التعليم كلهِ حتى يسهل ادخال العلوم الزراعية الى المدارس الابتدائية . وقد تمَّ ذلك الآن في الولايات المتحدة فصار اساتذة العلوم الزراعية يعلمون الشبان في مدارس المعلمين مبادىء العلوم الزراعية على حسب الاصول الطبيعية من غير التجاء الى كتب التعليم وبذلك يتمكنون متى صاروا معلمين من تعليم التلامذة في المدارس الابتدائية مبادىء العلوم الزراعية

والفائدة الاولى التي تنجم عن تعليم التلامذة مبادىء العلوم الزراعية في المدارس الابتدائية ترغيبهم في الزراعة منذ نعومة اظفارهم فيشبون محبين لها . وهذه المبادىء تقتصر اولاً على شرح الامور الطبيعية وقد طبعت اوراق أُرسلت الى المعلمين ترشدهم الى كيفية شرح الامور الطبيعية ومن اول اغراضها اغراء التلامذة بالانتباه الى الطبيعة التي يرونها حولهم الى الاشجار والازهار والطيور والحشرات والهواء والغيم والنور والحرارة فان عين الصغير تقع على هذه الاشياء لكنهُ لا يراها لانهُ لا ينتبه اليها فيكون من اول اغراض المعلم ان ينبههُ اليها ومتى غُرِزَت فيهِ قوَّة الانتباه ولقوَّت وجد سهولة كبيرة في تعليمهِ ما يعرفهُ عن طبائع الاشياء التي حولهُ وصارت المدرسة نزهةً لهُ بعد ان كانت سجناً

واذا صحَّ لنا ان نبدي رأياً لنظارة المعارف في هذا القطر اشرنا عليها ان تجمع معلمي مدارسها الابتدائية اسبوعين او ثلاثة في السنة وتكلف احد اساتذة المدرسة الزراعية بالقاء خطب عليهم في العلوم الطبيعية التي تبنى عليها العلوم الزراعية ويقرن الخطب ببعض التجارب العملية فيشرح لهم مثلاً كيفية تنفس الحيوان ومزية الهواء النقي على غير النقي ويريهم المواد الاصلية

التي يتركب منها النبات بتجفيفهِ وحرقهِ ووزن رمادهِ ويشرح لهم خواص العناصر الجوهرية التي يتركب منها اكثر جسم النبات وهي الاكسجين والهيدروجين والكربون والنيتروجين . ويشرح لهم كيفية نمو النبات وفائدة الماء لهُ وفائدة الحرث والعزق للارض. وتطبع هذه الخطب ورسوم التجارب في كراريس توزع عليهم مجاناً فيعودون الى تلامذتهم ويتلونهم ما تعلموهُ بدروس مختصرة تمتدُّ مدة السنة واذا اضافوا الى المدرسة جنينة صغيرة وخصصوا لكل تلميذ منها مترين مربعين ليركسها ويزرعها ويخدمها ويراقب نبت الزرع فيها ونموَّهُ وبلوغهُ ويخبر معلمهُ بما راقبهُ تأصلت في نفسهِ الرغبة في الزراعة وفهم مبادئها من صغرهِ

البيطرة عند العرب

(تابع ما قبلهُ)

الرابع في ما يختار من الخيل وذكر عمرها وما يستدلُّ بهِ على سنها . يختار منها الكريع وهو جيد القوائم دقيق رأس الاذنين السريع في مشيهِ بحيث لا يحرك الراكب مع السلامة من القطف. والقطوف في الخيل والحمير والبغال ما لا تصل رجلهُ الى مكان يدهِ حين يرفعها وهو عيب قوي. والطليع وهو الذي يرفع رأسهُ في اللجام بحيث يحاذي انف الراكب. والتليع الطويل الواسع الظهر العريض الكفل. ويجتنب منها الطموح وهو الذي لا تستقيم نظرتهُ وبدور بعينيهِ كثيراً والجموح وهو الذي يمشي قلقاً وارتفاعاً كأنَّ فيهِ عرجاً والرموح وهو كثير الضرب بيدهِ . قالوا ومن الصفات المختارة السبوح وهو الذي لا يضرب الارض بقوة ولا يحرك الراكب مع سرعة السير

اما وقت التقفيز فينبغي ان يكون مدارهُ على زمن تقع فيهِ الولادة وقد ذهب البرد فان المولود في الشتاء لم ينتج فعلى هذا يكون اعدل زمن التقفيز لما حملهُ سنة كالخيل بمصر مثلاً اول فبراير حتى تلد على رأسهِ وبأكل فلوها السبل بعد اربعين يوماً فقد قال سيار في الزردقة اصح الخيل ما اكل فلوهُ السبل . وبالشام نيسان او بعض آذار وبالروم حزيران ... وجميع الدواب يجب ان ترضع اولادها سنة الا الضان والمعز فثلاثة اشهر والا الخيل فسبعة ايام ومتى فُطم الفلو فليطعم ما تيسر الا الخيل فتسقى الالبان شهراً بحنطة ثم شهرين مضافة بدقيق الشعير ثم من شاء فليزد فانهُ ابلغ في نتاجها وقوتها وينبغي اختيار الاب والام ليكون الناتج عتيقاً فان لم يكن فالاب ويسمى الفلو حينئذٍ هجيناً ويليهِ كريم الام حسباً وهو المقرف. اي الذي لا تبغي قرفتهُ واردأ الكل البرذون وهو الخسيس من الطرفين . واشهر ما عُرف من انساب الخيل كحيلات بني مدلج ثم النجاديات

اما نبات اسنانها وتبديلها فللثواني من خمسة اشهر الى سبعة وللثوالث الى تسعة بعدها وهذه هي القوارح وحد الاضراس الى عشرة فاذا تمَّ الحول اخذت في التثبيت . ويستدل على عمرها بالاسنان فالملس الصغار البيض لبنية وغيرها مبدول فاذا بقي معها شيء من الثوالث قيل قارح سن مثلاً حتى لم يبقَ شيء فقد جذعت واقل ما يكون حينئذٍ طاعنةً في الخامسة ولا تسقط الاضراس الاَّ لعلة . واصحُّ الخيل ما لم تجاوز ثمانياً من السنين فقد قيل ان هذا يعقبهُ الانحطاط كالاربعين للانسان

فصل في الاخلاق السيئة . منها سرعة الانتقال من حالة الى أُخرى كالوقوف بعد المشي ويسمّى في الخيل حرناً وسببهُ سوء الركوب وجهل المروّض لها . وعلاجهُ ضرب السياط وثقل اللجم . ومنها الكلاد وهو العض والنهش مع هيجان واكثر ما يكون في الجمال وعلاجهُ الضرب على الفم وتلقيم الحديد وربط العقل وقد تدعو الحاجة الى برد اسنانهِ . ومنها الجفول من الاشياء المهولة نحو الميتات وسببهُ اما عدم الالفة كأن ينشأ الحيوان بارض ليس فيها شيء من الجفول وهذا عامٌّ وقد يتولد في المركوب من ضعف الراكب ويعدل بهِ عن المستصعب رعايةً لغرضهِ فيُعتاد . وعلاجهُ ادامة وضع ما يخاف منهُ عندهُ وقلة الضوء في مربطهِ وان يمشَّى في الظلمة ويلجأ الى مخالطة ما يخافهُ حتى يرتاض . ومنها النواح وهو ان يقف او يمشي وهو يضطرب بيديهِ فقط وسببهُ غالباً جبلي ولا علاج لهُ وقد يكون لضعف في الحارك وعلاجهُ الكي . ومنها الزوغان وهو الميل بالظهر وارتعادهُ وسببهُ في الاصل قلة الخدمة والجس والتكفيف وكثرة الغبار في المحل وجهل السائس بتفريط الحزم وادمان ربطها من جانب واحد وجعل العقد تحت السروج الى غير ذلك وقد يكون عن ثقل في الحول وعقور . وعلاجهُ زوال الاسباب المذكورة . ومنها الشائق وهو الذي لا يمشي على طريقة واحدة وهذا قد يكون جبلياً وقد يكون لسوء الراكب وعلاجهُ الرياضة وثقل اللجام . ومنها الشبشوب وهو الذي يقف على يديهِ ضارباً برجليهِ وسببهُ مطلقاً العبث وتوطئة المعلف او رفعهُ . ومنها النفور من النعال لجرح او اصابة مسمار او لقط حصاة وعلاجهُ التأنيس بنحو اللجم . واما اللوص وخروج اللسان وخفوق اللثة وعض اللسان واكل الروث فغالبها خلقي واسبابها المكتسبة الجوع وعلاجها الرياضة والشبع وحزم الخاصرة وتحسين اللجام

واما الخصال المطلوبة فيهِ وخصوصاً في الخيل الدالّة بالفراسة على انهُ ميمون الغرّة فاجودها ان يكون قد اتّسع فماً ومنخراً وقلَّ لحم وجههِ خصوصاً الخد وطال ذيلاً ورقَّ صدراً وعنقاً وصغر حافراً وقصر ظهراً وانتصب قوائم وبعُد بينهما واسودَّ محاجر وجحافل وقوائم

واما تعليمهُ فينبغي ان يكون عن عارف بالانواع المحتاج اليها ذي رفق يركب بمحاذيهِ مائلاً الى اليسار متوسط العنان يحثّ بالتدريج دون نخع ولا فتل عنيف ويضرب بحيث لا تشعر الدابَّة . معوداً لها رؤية المهول كفيل واسد . وانفس الاوقات للتعليم آخر الليل الى وسط النهار

ولا اثر لتعيين العلف من نوع مخصوص ولا لتقديرهِ لاختلاف ذلك باختلاف البلاد فان بدو حلب وحاضرتها لو علفوا الخيل فولاً لفسدت رأساً البرد بخلاف مصر فان قيل ان الشعير ايضاً بارد كالفول فما الفرق حينئذٍ فالجواب من وجهين الاول غروية الشعير وقلة يبسهِ وقربهِ من غذائية الحنطة بخلاف الفول والثاني ما فيهِ من الخاصية الموجبة للطف الخلط المفضي الى صحة الجري بخلاف الفول لثقل خلطهِ. والشعير فعل في كل ذي حافرٍ كالجلبان في كل ذي ظلف وحب القطن شتاء في البقر . وقد يمرن الحيوان على ما ليس من شأنهِ تناولهُ كخيل التتر في اكل اللحم الى غير ذلك . كما لا اثر لتقدير ما تحملهُ في المعركة وغيرها لاختلافهِ ايضاً فقد قيل ان غاية ما تنشط بهِ الخيل في المعركة مثنا رطل من الزرد وغيرها بارطال بغداد وهي مئة وثلاثون درهماً . وكذا قيل حد ما يقوم اضلاعهُ ويملأُ بطنهُ خمسة عشر رطلاً من التبن وستة من الشعير . وينبغي تنقية العلف وهو التبن خصوصاً للمهازيل . وقد يبلُّ العلف ويرش بهِ التبن فانهُ سبب للاقبال على الاكل والهضم ولا يبادر الى شرب الماء فانهُ يفسد المزاج

انتهى باختصار من تذكرة داود البصير . ويرى القارئ فيهِ فوائد جمة ولا غرابة في ذلك لان العرب من ادرى الناس بطباع الخيل وطبها

الماء والملح للمواشي

جاء في الغازت الزراعية الانكليزية . ان اهل الزراعة يهملون امرين مهمين جداً وهما سقي المواشي الماء النقي واطعامها شيئاً من الملح . فان الماء النقي لازم للحيوان لزومهُ للانسان وكذلك الملح لازم لصحة الحيوان كما هو لازم لصحة الانسان . وقد تفضل المواشي الماء النافع على الماء النقي لانها تجد في الماء النافع شيئاً من الملوحة وطبيعتها تطلب الملح فتشرب الماء الفاسد لاجلهِ بل قد تشرب المياه الممزوجة ببولها لاجل ما فيهِ من الملح فتصاب بعلل مختلفة من جراء ذلك اخصها الاسقاط . فاذا وضعتَ مع علف المواشي ما يكفيها من الملح او اذا وضعت الملح في مكان يسهل عليها الوصول اليهِ صارت تفضل الماء النقي على الماء الفاسد

قال الكاتب رأيت في الشتاء الماضي عجلةً نحيفةً يظهر عليها الاضطراب فسألت صاحبها عن سبب اضطرابها فقال انها لا تأكل وقد جرَّبت لها انواعاً مختلفة من العلف فلم الح فقلت لهُ لعلها تطلب الملح فهل اطعمتها ملحاً فقال كلاً وقام من ساعتهِ واتاها بحجر كبير منهُ فجعلت

تلحسهُ بشهيةٍ شديدة . ثم التقيت بهذا الرجل بعد مدة فقال لي ان عجلتهُ اخذت تأكل علفها من ذلك الحين وسمنت ومن ثم صار يضع حجر ملح قرب كل رأس من مواشيهِ لكي تلحس منهُ ما تشاء فانتفعت من ذلك كثيراً



بلاد العرب مهد الاسلام

ARABIA CRADLE OF ISLAM

BY

REV. S. M. ZWEMER (1)

يعلم قرّاء المقتطف اسم القس زويمر من مقالتهِ عن الصابئة التي نشرناها في بعض اجزاء المقتطف الماضية وهو مثل غيرهِ من القسوس الذين استوطنوا بلدان المشرق فلم يقتصروا على التعليم والتبشير بل بحثوا عن تواريخ الامم الذين نزلوا بينهم وعاداتهم واخلاقهم والَّفوا في ذلك الكتب الواسعة وهم اقدر على التآليف من ابناء المشرق انفسهم لانهم يعرفون لغات كثيرة فيطلعون على ما كتبهُ المتقدمون والمتأخرون في الموضوع الذي يقصدون الكتابة فيهِ فلا يفوتهم شيء عرفهُ غيرهم عنهُ . والقس زويمر من هذا القبيل فقد الَّف كتاباً مسهباً وصف فيهِ بلاد العرب وذكر جغرافيتها وامهات مدنها وخواص تربتها وحيواناتها وخلاصة تاريخها وظهور الاسلام فيها واحوالها السياسية واللغة العربية وآدابها والعرب واصلهم وعلومهم وصنائعهم ومذاهبهم الى غير ذلك مما يطول شرحهُ . وقد تمكَّن من جمع هذا الكتاب النفيس لمعرفتهِ باللغات الاوربية واللغة العربية واطلاعهِ على كثير من الكتب والشروح فوق ما علمهُ بالاختبار من قيامهِ في بلاد العرب السنين الطوال وكثرة اسفارهِ فيها ومشاهدتهِ لاهلها . وزيَّن الكتاب بكثير من الصور وجمع فيهِ من الفوائد ما يعز العثور عليهِ في غير المكاتب الكبيرة وقدَّم لهُ صديقنا الدكتور دنس الاميركي مقدمة وجيزة قال في ختامها بعد ان وفاهُ حقهُ من المدح " لنقرأْ هذا الكتاب فتتسع معارفنا وتزيد رغبتنا في مواضيع لا تزول مكانتها من نفوس اهل النظر والروية "

(1) Messrs. Oliphant, Anderson and Ferrier, 30, St. Mary Street, Edinburgh. Price 7/6.

وسنلخص فصلاً او فصلين من فصول هذا الكتاب في بعض الاجزاء التالية لكي يشترك ابناء العربية في الاطلاع على ما فيهِ من الفوائد

قصص القديسات

STUDIA SINAITICA No. IX and X (1)

Edited by A. Smith Lewis M. R. A. S.

لا تمضي سنة حتى تتحفنا العالمة الفاضلة مسز لويس بكتاب من الكنوز التي اكتشفتها في دير سينا ونسختها بيدها او صورتها بالفوتوغراف وعادت بها الى بلاد الانكليز حيث قرأتها وصححتها وترجمتها وطبعتها ونشرتها حتى يطلع عليها اهل الخافقين . وقد اتحفتنا الآن بكتاب قصص القديسات بالسريانية كتبهُ راهب اسمهُ يوحنا الحبيس او العمودي من دير بقرب انطاكية اسمهُ دير مار قديسا في قانون ولم يجد رقاً فارغاً يكتبهُ عليهِ فكتبهُ على نسخة من الانجيل وكان ذلك في القرن الثامن للميلاد اي منذ الف ومئة سنة. وقد حفظ الكتاب وعلى كل صفحة منهُ شيء من قصص القديسات وتحتهُ جانب من الانجيل . فان القدماء كانوا يطرّسون الرقوق اي يمحون الكتابة عنها ويكتبون عليها كتابة جديدة وكذا فعل هذا الراهب بنسخة قديمة من الانجيل لكن الكتابة التي محاها بقي اثرها ظاهراً في الرق فنسخ الانجيل عنها وطبع وقد اتينا على ذكرهِ في حينهِ واما قصص القديسات فلم تنشرها مسز لويس الاَّ الآن لانحراف صحتها ولمشاغل عرضت لها . ومن يطلع على وصف المشاق التي عانتها في نسخ هذا الكتاب وقراءتهِ وترجمتهِ لا يسعهُ الاَّ الاعجاب بهمتها واقدامها

دفاع بلفنا

للفاضل عظم زاده حقي بك نجل المرحوم عبد القادر بك العظم

اشتهرت مدينة بلفنا مدة الحرب الاخيرة بين الدولة العثمانية ودولة الروس بثبات حاميتها وابلاء جنودها بالروس حتى تعذر عليهم فتحها خمسة اشهر. ومع مناعة موقعها واهميتهِ الحربية "لم توجه الحكومة العثمانية انظارها اليها قبل اعلان الحرب" على ما قالهُ المؤلف وقد احتلتها فصيلة من فرسان الروس القوزاق في ٨ يوليو سنة ١٨٧٧ واذن قائدها للحامية وللمرضى العثمانيين بالخروج منها ولم يتعرض للاهالي بشيء . وآخذ المؤلف الحامية لانها سلمت من

(1) London C. J. Clay and Sons Cambridge University Press Warehouse Ave Maria Lane.

غير دفاع وقال كان يجب عليها ان تدافع حيناً من الزمن ريثما تأتيها نجدة من فيلق عثمان باشا . والظاهر ان الروسيين لم يقيموا فيها بل خرجوا منها حالاً لانهُ يقال بعيد ذلك انهم اخذوا معهم اثنين من اعيان البلد فعادت اليها الجنود العثمانية في اليوم التالي بقيادة عاطف باشا واحتلت الاماكن الحصينة حولها وأُمر عثمان باشا الغازي بالمضي اليها فمضى بنحو احد عشر الفاً واربعة وخمسين مدفعاً وواقع الروس حال وصولهِ اليها فابلى فيهم وقتل منهم نحو الف وجرح نحو الفين وقُتل من جنودهِ الف وجرح الف . وكان مع الروس ثلاثة عشر الفاً من المشاة وثلاثة الايات من الفرسان وسبعون مدفعاً . وفصّل الكاتب بعد ذلك مواقع الخطاء في حركات الجنود الروسية . ومما قالهُ في هذا الصدد " اذا امعنا النظرَ في حركات الروس في هذه المعركة وجدنا ان الجنرال شيلدنر شولدنر قد عبأ فصائل الهجوم على اسوإ حال لان كلاً من هذين القسمين كان يتحرَّك مستقلاً عن الآخر حتى ان قائدهما العام كان لم يشعر بحركات الجناح الايسر الاَّ بعد مدة طويلة لعدم ارتباطهما فبسبب هذا الغلط الفاحش تسنَّت للغازي عثمان باشا الفرصة فارسل اولاً قسماً من قواهُ الاحتياطية الى جهة بوكوفا فهزمت الجناح الايمن الروسي واجبرتهُ للتقهقر ثم ضمَّ قواهُ الى بعضها ووجههنَّ الى جناح العدوّ الايسر فهزمهم ايضاً شر هزيمة " . الى ان قال " والسبب في ذهاب مساعيهم (اي مساعي الروس) ايدي سبا وانهزامهم في وقائع بلفنا هي اغلاطهم الفادحة التي ارتكبوها في جميع استطلاعاتهم " . والظاهر ان المؤلف نقل هذا القول عن قائد مجرّب ثم خاف ان ينتفي بهِ الفخر عن الجنود العثمانية فعقَّب عليهِ بقولهِ " اذا امعنا النظر قليلاً في حالة الجيش العثماني الذي واصل المسير سبعة أيام مع وعورة الارض وقلة المياه وباشر حومة القتال بمجرَّد وصولهِ لهذا اعظم انتصار واقدام عند المنصفين " . وفاتهُ انهُ ان كان الحكم الاول صحيحاً فهو عام على كل المعارك التي تلت المعركة الاولى واما الحكم الثاني فلا يطلق على الجنود العثمانية فيها كلها . والحقيقة ان الحكم الاول صحيح ولكنهُ لا ينفي الفخر عن الجنود العثمانية وقوادها لانها حاربت ببسالة تامَّة ولأن القائد الماهر هو الذي يستفيد من غلط غيرهِ .

وعلى هذا النمط تتوالى الصور والأحكام في هذا الكتاب فيذكر المؤلف امرًا ثم يتصور منتقداً ينتقدهُ فيعقب عليهِ بما يزيل الشبهة كقولهِ في وصف ميدان القتال في الواقعة الاولى " من صعد على تلال يانيق بايير وسرَّح بصرهُ في تلك الوقائع المدهشة المزهقة للارواح والمرعشة يرى وقتئذٍ خلقاً كثيرًا ما بين جريحٍ وقتيل ومداس بسنابك الخيل بدي الصياح والعويل والمقذوفات الجهنمية تحوم على الرؤوس كأنها غراب البين لتروي الارض من تلك

الدماء الجارية وتملأ الجو من النفوس المتطايرة ويسمع أيضاً دوي المدافع وفرقعة البنادق وتكبير الجنود العثمانية بحالة تقشعر منها الجلود وتشيب منها الاطفال". فوصف ميدان القتال وصفاً تقشعر منهُ الابدان كما قال ثم اتبعهُ بقوله "فما اجمل هذا المنظر اذا كان الغرض منهُ الذب عن البلاد واهلها والدين الحنيفي كما هو الواقع في الحرب الروسي الذي نحن بصدده". ولا ندري كيف يكون جميلاً. وكم من حرب تثار باسم البلاد وباسم الدين والبلاد والدين براءٌ منها وما الدافع اليها الاَّ المصالح والمطامع او الخرق في الرأي والسياسة ولكنها تعزى الى الوطن والدين ايهاما وتدجيلاً

وينتهي الكتاب بسقوط بلفنا وتسليم عثمان باشا بعد ان دافع عنها دفاعا عقد لهُ الوية الفخر المؤبد في صحف التاريخ وكاد يخرق خطوط الحصار ويخرج منها سالماً بعد ان نفد ما فيها من الزاد. وكان قد قسم جنودهُ قسمين في القسم الواحد عشرون الفاً وفي الثاني ١٥ الفاً وامر القسم الثاني ان يلحق بالقسم الاول بعد ساعتين من ابتداء القتال ففاز بخرق خطين من خطوط الحصار الثلاثة في ثلث ساعة ثم تكاثر الروس عليهِ قبل ان ينجدهُ القسم الثاني فلم يقدر على صدهم. وجُرح حينئذٍ برصاصة اصابت فخذهُ وقتل جوادهُ فظنت جنودهُ انهُ قتل واضطرَّ الى التسليم فهنأهُ قواد الروس لبسالتهِ ومهارتهِ في فن القتال. وصافحهُ القيصر وحياهُ واكرم مثواهُ واعاد اليهِ سيفهُ قائلاً انني "اظهاراً لاحترامي لك واعترافاً ببسالتك الفائقة اعيد سيفك اليك فانت مأذون بحملهِ في بلادنا الروسية التي اؤمل ان تجد فيها كل راحة"

والكتاب حسن الطبع وفيهِ خريطة بلفنا وما حولها من الحصون والبلاد. فنثني على حضرة مؤلفهِ ثناء جميلاً

ديوان ابي فراس

ابو فراس شاعر مشهور من آل حمدان ملوك الموصل والجزيرة والشام ولذا كان الصاحب ابن عباد يقول "بُدِئ الشعر بملك وختم بملك" يعني امرء القيس وابا فراس الحمداني". ولهُ القصائد الجزلة اللفظ البليغة المعنى والمقاطيع التي تذوب عذوبةً. ومن قصائدهِ المشهورة رائيتهُ التي مطلعها

لعلَّ خيالَ العامرية زائرُ فيسعد مهجورٌ ويسعد هاجرُ

وهي طويلة جداً جاء فيها على اخبار قومهِ وفاخر بهم ومن ذلك قولهُ

لنا اوّلٌ في المكرمات وآخرٌ وباطن مجد تغلبيٌ وظاهرُ

وجدي الذي ساس الديار واهلها ... وللدهر نابٌ فيهما واظافرُ
كفى عدوات الغيث وارف كنفهِ ... فامرع وادٍ واجتنى العيش حافرُ
وعمي الذي سُلَّت بنجد سيوفهُ ... فروَّع بالغورين من هو غائرُ
تناصرت الاحياء من كل وجهةٍ ... وليس لهُ الاَّ من الله ناصرُ

الى ان قال

فان يمضِ اشياخي فلم يمضِ مجدهم ... ولا دُثرت تلك العلى والمآثر
نشيدُ كما شادوا ونبني كما بنوا ... لنا شرف ماضٍ وآخر غابرُ
ففينا لدين الله عزٌّ ومنةٌ ... ومنا لدين الله سيفٌ وناصرُ

يشير الى ابني عمهِ سيف الدولة وناصر الدولة . ومن قصائدهِ المشهورة فائيتهُ التي مطلعها

غيري يغيرهُ الفعال الجافي ... ويحول عن شيم الكرام الوافي
لا ارتضي ودًّا اذا هو لم يدُمْ ... عند الجفاء وقلة الانصاف
ان الغنيَّ هو الغنيُّ بنفسهِ ... ولوَ انهُ عاري المناكب حافِ
ما كلُّ ما فوق البسيطة كافياً ... فاذا قنعتَ فكلُّ شيءٍ كافِ

وكلها حكم . ومنها رائية أُخرى مطلعها

اراك عصيَّ الدمع شيمتكَ الصبرُ ... اما للهوى نهيٌ عليك ولا امرُ
نعم انا مشتاق وعنديَ لوعةٌ ... ولكنَّ مثلي لا يُذاعُ لهُ سرُّ

الى ان قال مفاخرًا وذاكرًا اسر الروم لهُ

أُسرتُ وما صحبي بعزلٍ لدى الوغى ... ولا فرسي مهرٌ ولا ربهُ غُمرُ
ولكن اذا حُمَّ القضاء على امرىءٍ ... فليس لهُ برٌّ يقيهِ ولا بحرُ
وقال أُصيحابي الفرار او الردى ... فقلتُ هما امران احلاهما مرُّ
ولا خيرَ في دفع الردى بمذلةٍ ... كما ردَّها يوماً بسوءتهِ عمرو

ومن مقاطيعهِ الدالة على رقة طبعهِ قولهُ وقد ثقُل بقسطنطينية

أبنيَّتي لا تجزعي ... كل الانام الى الذهاب
أبنيتي صبرًا جميلاً ... للجليل من المصاب
نوحي عليَّ بحسرةٍ ... من خلف سترك والحجاب
قولي اذا ناديتني ... وعييت عن رد الجواب
زين الشباب ابو فرا ... س لم يمتَّع بالشباب

وقوله مرجزاً

وبقعة من احسن البقاع يبشّرُ الرائد فيها الراعي
بالخصب والمرتع والوساع كانما يستر وجهَ القاع
من سائر الالوان والانواع ما ينشر الروم لذي الكلاع

وقد عني حضرة الاديب نخله افندي قلفاط بطبع هذا الديوان وحل بعض الفاظهِ وشرح بعض اياتهِ . وثمن النسخة منهُ نصف ريال مجيدي

ارجوزة الحكم للحكيم

لاستاذنا الرياضي الشهير اسعد افندي شدودي قريحة وقّادة في نظم الحِكَم كما لهُ عقل ثاقب في العلوم الرياضية . ولو كانت بلاد المشرق تعرف قيمة العلم والذكاء وتقدر العلماء قدرهم لا حلّتهُ المحل الاول بين رجالها واقطعت حكومتها لهُ راتباً يستعين بهِ على في شيخوختهِ وينقطع للبحث والتأليف في المواضيع العلمية. ولو كان في المشرق جمهور كبير ممن يعرف قيمة الشعر والشعراء لرأيت القصيدة من قصائدهِ تطبع مراراً كثيرة في الحول الواحد

وارجوزة الحكم هذه امثال سليمان الحكيم احد اسفار التوراة وقد نظمها اجابة لطلب بعض الاصدقاء وقدّمها الى جلالة امبراطور المانيا لما زار الديار الشامية فامر جلالتهُ بطبعها على نفقتهِ وغرض ناظمها ان تدرَّس في المدارس الابتدائية حتى يستظهرها التلامذة ويتأدبوا بآدابها ويحكموا بحكمها . ونظمها سلس قريب المأخذ على ما فيهِ من بلاغة المعنى كقولهِ

مخافة القدير رأس الحكمهْ فمن حواها حاز اسنى نعمهْ
بالحكمة الجهّال تستهينُ لكن بها الحكيمُ يستعينُ
يا ابنِ اذا اغراك اهل الشرّ بالسيرِ في طريقهم لا تجرِ
لا تغترر بقولهم نقتسمُ ما بيننا جميع ما نغتنمُ

وقولهِ

لستةٌ يبغضها ربُّ العلى بل سبعة يكرهها من الملا
عيون كبرٍ ولسان يكذبُ ايدٍ جنت قتلَ الاولى لم يذنبوا
قلبٌ غدا ذا فكرٍ فظيعهْ رِجلٌ الى جناية سريعهْ
شاهد زور كذبهُ اشاعا يزرع بين الاخوة النزاعا

وقولهِ عن لسان الحكمة

لي الرأي لي الشورى انا الفهم الذكي ولي القوى ولي قويم المسلكِ

بي تملكُ الملوك والولاةُ وفي القضاء تعدلُ القضاة
عندي كنوز المال عندي الجدُ وقنيــة فاخــرة وسعــدُ
قد كنتُ منذ البدء قنية العلي سمعتُ في القديم منذ الازلِ

والارجوزة كلها على هذا النمط من السلاسة والجزالة . وقد طبعت في المطبعة الادبية بمدينة بيروت طبعاً متقناً بالشكل الكامل . فعسى ان يختارها معلو المدارس في هذا القطر كما اختاروها في القطر الشامي لتعليم تلامذتهم فوائد ان استظهروها كانت لهم مرشد في سبل الحياة . وانّنا بلسان المهذبين والمتهذبين نقدم الشكر الوافر لحضرة ناظمها الفاضل

باب الرياضيات

السيارات وحركاتها في شهر دسمبر ١٩٠٠

لحضرة الاستاذ وست مدير مرصد المدرسة الكلية الاميركية في بيروت واستاذ الفلك فيها

عطارد

عطارد نجم المساء الشهر كلهُ ويمرُّ بتباينهِ الاعظم على ٢٠ درجة و ٥٠ دقيقة غرباً في الثامن من الشهر الساعة ٥ صباحاً و يرى في الفجر اياماً بعد ذلك . وسيرهُ مستقيم في برج العقرب ويمرُّ بعرضهِ الشمسي الاعظم شمالاً في الثالث من الشهر الساعة ٦ مساء وبعقدتهِ النازلة في السابع والعشرين منهُ الساعة السادسة صباحاً ويقترن باورانوس في الثاني والعشرين الساعة الخامسة مساء وبالمشتري في الثلاثين منهُ الساعة السادسة مساء ولكن قربهُ من الشمس يمنع رؤيتهُ

الزهرة

الزهرة نجم الصباح الشهر كلهُ وسيرها في الميزان الى العقرب وتقطع عرضها الشمسي الاعظم شمالاً في اليوم الخامس من الشهر الساعة السادسة صباحاً . وفي اليوم الخامس عشر من الشهر يستنير ٨٣٦,٠ من قرصها

المريخ

المريخ نجم الصباح الشهر كلهُ ويقطع الهاجرة في اليوم الاول من الشهر الساعة الخامسة والدقيقة ٤٣ صباحاً وفي اليوم ٣١ الساعة ٤ والدقيقة ١٣ صباحاً ويستنير ٩٠٧,٠ من قرصهِ في الخامس عشر من الشهر وسيرهُ مستقيم في برج الاسد

المشتري

المشتري نجم المساء حتى الرابع عشر من الشهر الساعة ١١ صباحاً حينما يصير في الاقتران مع الشمس وبعد ذلك يصير نجم الصباح وتمتنع رؤيتهُ لقربهِ منها وسيرهُ مستقيم في برج العقرب ويقترن بعطارد في الثلاثين من الشهر الساعة السادسة مساء

زحل

يمر زحل ايضاً باقترانهِ مع الشمس هذا الشهر في التاسع والعشرين منهُ الساعة الثالثة مساء ولذلك تخفيهِ اشعة الشمس عن الانظار وهو في برج الرامي

ويمر اورانوس باقترانهِ مع الشمس في الخامس من الشهر الساعة التاسعة صباحاً ومع عطارد في الثاني والعشرين منهُ الساعة ٥ مساء ويكون نبتون في الاستقبال في العشرين من الشهر الساعة ٦ صباحاً وهو بين الثور والجوزاء

اقترانات القمر بالسيّارات

اليوم	الساعة					
١٤	٣	صباحاً	يقترن بالمريخ فيقع	٨°	٢٦َ	شمالاً
١٩	٩	"	" بالزهرة فتقع	٢°	١٩َ	"
٢٠	٢	مساء	" بعطارد فيقع	٠°	٢َ	"
٢١	٣	"	" بالمشتري "	١°	٣٨َ	جنوباً
٢٢	٣	"	" بزحل "	٢°	٢٤	"

اوجه القمر

يوم	ساعة	دقيقة		
٦	١٢	٣٨	مساء	البدر
١٤	١٢	٤٢	صباحاً	الربع الاخير
٢٢	٢	١	"	الهلال
٢٩	٣	٤٨	"	الربع الاول
٣	٩	٤٨	مساء	في الاوج
١٥	٣	٢٤	"	في الحضيض
٣٠	٥	٥٤	"	في الاوج

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله فان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كافٍ

(١) اكل لحوم الناس

السويس . مينا افندي راغب . قرأت في احدى الجرائد اليومية ما نصهُ : "عاش الانسان دهراً طويلاً يأكل لحم الانسان فعلاً الى ان تمكَّن حكماء الصين والهند من ابطال اكل اللحم كليًّا والى ان جاءت الشرائع الدينية الاولى في الجهات السائرة ابتداء بتخصيص ما يؤكل من الانسان الذي يذبح للمعبود ثم ابقت القربان وجعلت الذبيحة طعمة للنيران حتى تدرَّج الانسان الى نسيان لذة لحم اخوانهِ " فهل هذا القول صحيح

ج ان مسألة اكل الناس بعضهم بعضاً من اعوص المسائل الانثروبولوجية لما فيها من الامور المتخالفة التي لا ترجع الى اصل واحد فقد كان المظنون اولاً ان الناس لا يأكلون بعضهم بعضاً الاَّ وهم في حالة التوحش التام ثم وجد ان اىماً كثيرة بقي اكل لحوم الناس شائعاً عندها وهي متمدنة كامَّة المكسيك القديمة. وظهر بالاستقراء ان البعض يقتصرون على اكل لحم العدو انتقاماً والبعض على اكل لحم الصديق ضنًّا بجسمهِ ان يأكلهُ الدود واهالي استراليا يأكلون اولادهم اذا خافوا عليهم من الجوع او تعذَّر حملهم معهم في ارتحالهم من مكان الى آخر. وبعض اهالي افريقية لا يأكلون الاَّ اسراهم. وآثار مآكل الناس القدماء من العظام والاصداف تدلُّ على انهم لم يكونوا يأكلون بعضهم بعضاً في اوائل الدور الرابع من الادوار الجيولوجية لان ليس فيها شيء من عظام الناس فكأَنهم لم يلجأُوا الى اكل بعضهم بعضاً الاَّ بعد ان كثر عددهم وضربت المجاعات فيهم . ويستدلُّ من الآثار التي اكتشفها الاستاذ بتري في القطر المصري منذ سنتين ان اصحابها كانوا يأكلون لحوم الناس لكن لم يعلم حتى الآن زمن وجودهم في هذا القطر . ومن رأْي الاستاذ تيلر ان الناس كفُّوا عن اكل لحوم الناس لسبب ديني لما اعتقدوا بوجود النفس فامتنعوا عن اكل الجسد لكي يبقى منزلاً لها. ويخالف ذلك ان بعض الناس بقوا يأكلون اخوانهم لسبب ديني ايضاً معتقدين ان

الآلهة تأكل النفوس وهم يأكلون الاجساد. والكلام في هذا الموضوع طويل متشعب ويتعذَّر بت الحكم القاطع فيهِ. والاحكام التي قرأتموها ظنون او ترجيحات يتعذَّر اثباتها بالدليل القاطع

(٣) العرَّافون

ابابه. اسكندر افندي نبيه. يقول بعضهم ان العرَّافين كانوا في الازمنة الغابرة قادرين على قتل الانسان او قلب صورتهِ الآدمية الى اية صورة ارادوا بتلاوة بعض كلمات. وانهم كانوا يستخدمون الجن في قضاء حوائجهم فهل ذلك صحيح وكيف تعللون ما يروى من هذا القبيل

ج الدعاوي التي ادعاها العرَّافون القدماء يدَّعيها عرَّافو هذا الزمان. وكل ما امتُحن من دعاوي هؤُلاء ظهر فاسدًا فاذا حقَّ لنا ان نقيس الماضي على الحاضر في هذا الامر كما نقيسهُ في كل الامور حقَّ لنا ان نقول ان كل ما يروى عن العرَّافين القدماء من هذا القبيل كاذب او مبالغ فيهِ

(٣) سحرة مصر

ومنهُ. اذا اجبتم بفساد دعاوي العرَّافين فكيف تعللون ما فعلهُ عرَّافو مصر على ما جاء في التوراة

ج يظهر من نص التوراة ان فرعون دعا العرَّافين او السحرة ليعلم ما اذا كان فعل موسى وهرون من قبيل فعلهم كأَنهُ كان يعلم انهم يفعلون ما يفعلون بخفتهم وحيلهم. اما نجاحهم في جعل عصيهم افاعي تسعى والماء دمًا فمفسرو التوراة يقولون فيهِ ان العرافين كانوا يمسكون الافعي بعنقها فيعتريها نوع من الذهول وتصير كالعصا وان الحواة يفعلون ذلك الآن حتى اذا طُرحت على الارض فارقها الذهول وعادت الى السعي. وانهم صبغوا الماء بصبغ احمر خفية فصار مثل الدم ولم يكن الماء الذي صبغوهُ كثيرًا لانَّ ماء النيل كلهُ كان قد صار احمر كالدم. واذا شئتم زيادة التفصيل فعليكم بمراجعة كتب التفسير

(٤) ملكات مصر

ومنهُ. أَكانت نساء العائلات الملكية الفرعونية متعلمات حتى خوِّلنَ القانون حقَّ التربُّع على سرير الملك وقبض زمام الاحكام والاَّ فكيف امكنهنَّ القيام باعباء المملكة ان كنَّ جاهلات

ج كنَّ كرجالهنَّ من حيث العلم وعدمهُ والمرأَة ليست اقلَّ ذكاء من الرجل اذا تساوت معارفها المكتسبة بمعارفهِ المكتسبة بل قد تكون اقوى من الرجل بداهة فما يستطيعهُ الرجل من ادارة شؤُون المملكة تستطيعهُ المرأَة ايضاً اذا تساوت معارفها الاكتسابية بمعارفهِ. هذا ولا يمكننا ان ننشر كل الرسائل التي ترسل الينا ولاسيما اذا كنا مضطرين ان نتعب في تنقيحها ولا ان

نكاتب اصحابها ونخبرهم عن رأْينا فيها وهل ننشرها او لا ننشرها والاَّ اضطررنا ان نقضي الوقت في المكاتبة

(٥) مجلة صيدلية

عاليه . لبنان ايليا افندي بارودي . ارجوكم ان تفيدوني عن احسن مجلة او جريدة في فن الصيدلية باللغة الانكليزية وكم قيمة الاشتراك فيها

ج الجريدة المسماة Chemist and Druggist وهي اسبوعية وقيمة الاشتراك فيها ١١ شلنًا و ٦ بنسات في السنة. والجريدة المسماة Pharmaceutical Journal وهي اسبوعية ايضاً وقيمة الاشتراك فيها ٢٦ شلنًا في السنة من احسن الجرائد التي تطلبونها

(٦) غسل الجنين

مليج . حبيب افندي حنا . اعتاد بعض الاوربيين غسل الجنين حالَ ولادتهِ بالماء الفاتر والنبيذ وعلى زعمهم ان ذلك يمنع الحرارة والدمامل عن جسمهِ فما هي مزايا ذلك وهل استعمالهُ مفيد او غير مفيد

ج اما الغسل بالماء الفاتر الذي حرارتهُ مثل حرارة بدن الطفل فلازم . واما النبيذ فلا لزوم لهُ ولكن يدهن الطفل قبل غسلهِ بالزيت الحلو تحت ابطيهِ وتخذيهِ وفي كل طيات جسمهِ لكي يسهل نزع المادة الجبنية التي تكون على اجسام الاطفال المولودين حديثاً . وقد فصلنا ذلك في الصفحة ٣٨٨ من المجلد الثاني والعشرين من المقتطف

(٧) عمل السبيرتو

ومنهُ . كيف يستخرج السبيرتو ومن اي المواد يستخرج

ج تجدون كلاماً مفصلاً على استخراج السبيرتو في الجزء الاول والثاني من المجلد السابع عشر من المقتطف

(٨) مضرَّة الهوام

امبابه . سمعان افندي عوض . لكل خليقة في الدنيا نفع ما فما نفع العقرب والافعى والزنبور فاني اراها لا تجدي نفعاً وليس منها الاَّ الاذى من سمها الناقع

ج ان اردتم بالنفع النفع لنوع الانسان فالحكم غير صحيح لان بعض المخلوقات ينفعهُ وبعضها لا ينفعهُ ولعلَّ التي لا تنفعهُ او تضرُّ بهِ اكثر من التي تنفعهُ واذا اردتم بالنفع نفعها لمخلوقات أُخرى فالمخلوقات كلها سلسلة متصلة بعضها ينفع بعضاً وينتفع من بعض فالافعى لا تنفع الانسان ولكنها تنفع النمس لانها طعام لهُ وتنتفع من الفار لانهُ طعام لها. والعقرب تأكل بعض الحشرات فتنتفع بهِ وتأكلها حشرات اخرى فتنتفع بها وهلمَّ جرًّا . والقول بان كل الاحياء مخلوقة لنفع الانسان تحكم لا دليل عليهِ

(١) جريدة للمبتدئين بالانكليزية

اسيوط . محمد افندي توفيق رستم . ارجوان تذكروا لي اسم جريدة انكليزية اسبوعيةً يفهمها المبتدئون باللغة الانكليزية وكم قيمة الاشتراك فيها

ج نظن ان الجريدة Boys' Own Paper الشهرية او الاسبوعية تفي بغرضكم وقيمة الاشتراك في الشهرية ثمانية شلنات في السنة وفي الاسبوعية ٦ شلنات و٦ بنسات ويضاف الى كلٍّ منهما ٨ بنسات عن جزء الصيف و٨ بنسات اخرى عن جزء عيد الميلاد. وقد رأينا الثانية منهما وحرفها دقيق يتعب بصر المبتدىء



غنى المدارس الاميركية

في الولايات المتحدة الاميركية عشرون مدرسة جامعة لكل منها من الاموال والاملاك ذات الريع (الايراد) ما يزيد على مليون من الريالات . من ذلك مدرسة هارفرد ولها عشرة ملايين ريال ومدرسة كولمبيا ولها من الاملاك والاموال ما ريعهُ السنوي ٤٢٥ الف ريال ومدرسة كورنل ولها ستة ملايين ريال ومدرسة شيكاغو ولها ثمانية ملايين ريال ومدرسة جونس هبكنس ولها ثلاثة ملايين ريال ومدرسة الجنوب الغربي ولها ثلاثة ملايين ريال ايضاً ومدرسة بنسلفانيا ولها مليونان وخمس مئة الف ريال . وللمدارس الاميركية الجامعة كلها من الاموال والاملاك ذات الريع ما يساوي ١٥٠ مليون ريال فيبلغ ريعهُ السنوي ستة ملايين ريال اذا كان الريع اربعة فقط في المئة وهو اكثر من ذلك. وتبلغ قيمة مبانيها وسائر ممتلكاتها التي لا ريع لها ١٥٠ مليوناً اخرى من الريالات فكأنها تساوي ثلثمئة مليون ريال او ستين مليوناً من الجنيهات المصرية

هذه هي المدارس التي انشأتها الامة الاميركية ووقفت عليها الاموال لكي تنفق من ريعها . وفي الولايات المتحدة الاميركية الآن من السكان سبعة اضعاف سكان القطر المصري فاذا اردنا ان نجاري تلك البلاد في ارتقائها العلمي وجب ان يكون عندنا من المدارس الاهلية الجامعة ما تساوي املاكهُ ومقتنياتهُ سبعة واربعين مليوناً من الريالات او نحو عشرة ملايين من الجنيهات

ويندر ان يكون التعليم مجانياً في المدارس الاميركية والغالب انهُ غير رخيص لكن

ما يدفعهُ التلامذة لا يقوم إلاَّ بجانب صغير من نفقات هذه المدارس لغلاء اجور الاساتذة فيها فان بعضها يدفع اجرة الاستاذ سبعة آلاف ريال في السنة وبعضها يدفع اربعة آلاف ريال ومتوسط اجرة الاستاذ في اكثرها الفا ريال. والغالب ان ربع المال ينفق في الادارة والثلاثة الارباع في التعليم اي ينفق اجوراً للاساتذة

الخوف من الطاعون

دُعي الاستاذ كالمت مدير مستشفى باستور في ليل الى الخطابة في مدرسة الاطباء والجراحين في بلاد الانكليز فاخذ موضوع خطبهِ الطاعون وقال في خطبتهِ الاولى التي تلاها في ٧ نوفمبر الماضي ان الطاعون يتهدّد الآن كل الدول البحرية فلا بدَّ من اتخاذ الوسائل الفعّالة لمنع انتشارهِ. وتقدّم علم حفظ الصحة وما عرفناه حديثاً مدة السنوات الخمس الماضية من اصل الطاعون وعلاجهِ والوقاية منهُ يمكناننا من مقاومتهِ ومن حصر المراكز التي يتولد فيها. وقد عُرف الآن ان ميكروب الطاعون يوجد في الطعنات (الدبل) وفي بصاق المطعون ويوجد ايضاً في دمهِ احياناً كثيرة وهو قصير بيضي الشكل يمكن تلوينهُ واستنباتهُ بسهولة. والفيران والجرذان وخنازير الهند شديدة الميل للعدوى بهِ. وقد شوهد منذ زمن طويل انهُ حيث يظهر يموت كثير من الفيران والجرذان. وكان الصينيون والقبائل الرحل التي تسكن سفوح حملايا الشمالية يهجرون مواطنهم ومنازلهم اذا رأوا فيها كثيراً من الجرذان الميتة هرباً منهُ ولا يزالون يفعلون ذلك الى الآن. ويقال انهُ يصيب البقر والخنازير ايضاً ولكن لا يظهر انها تصاب بهِ ما لم تلقح. ولا تصاب بهِ الطيور بسهولة لان العقبان التي تأكل جثث موتى الطاعون في مدافن المجوس في ضواحي بماي لا تصاب بمكروه ولكن لا يبعد انها تنشر ميكروبهُ حيث تلقي بزرقها. وقد وُضع حمار سليم في قفص مع حمار آخر مصاب بهِ فعُدي السليم من المصاب. والذي نقل العدوى في هذه الحادثة وامثالها البراغيث والذبان ونحوها من الحشرات التي تقع على جلد الحيوان

وشرح كيفية العدوى في خطبتهِ الثانية التي القاها في ١٤ نوفمبر فقال ان بعض اوبئة الطاعون كانت العدوى فيها تدخل الجسم من الانف او الفم لانها كانت تظهر اولاً في الرئتين وبعضها كانت العدوى فيها من الجلد اما من جرح طفيف او من لسعة برغوث او بقة. ولما ظهر الطاعون في بلاد البرتغال في العام الماضي شاهد انساناً اصيب بهِ من لسعة بقة. وذكر هنكن وسيموتو انهما شاهدا اناساً في بلاد الهند اصيبوا بالطاعون من لمسهم جرذاناً ميتة والمرجح ان براغيث الجرذان

طارت منها الى الناس واوصلت العدوى اليهم . وثبت بالامتحان انهُ اذا وضع جرذ سليم مع جرذ مطعون في بدنهِ براغيث اصيب السليم بالطاعون حالاً ولكن اذا وُضع الجرذ السليم مع جرذ مطعون لا براغيث فيهِ لم يصب بالطاعون . ومهما كانت السبل التي يدخل فيها ميكروب الطاعون الجسم فهو يتكاثر اولاً في الاوعية اللنفاوية ثم في الدم . انتهى

ويظهر مما كتبهُ مكاتب التيمس من قُبنا حديثاً انهُ ظهر للوفد الطبي النمسوي الذي أُرسل الى بلاد الهند للبحث عن الطاعون وعدواه' ان العدوى قد تدخل الجلد ولو كان سليماً غير مجروح ولا مخدوش

الجرذان وطاعون الاسكندرية

وعلى ذكر الجرذان وعلاقتها بالطاعون نلخص ما ذكرهُ' بنتشنج بك مدير مصلحة الصحة في هذا الموضوع في تقريره الاخير قال : لما ارسل الوفد المصري الى بلاد الهند في اوائل سنة ١٨٩٧ حاول الدكتور بتر احد اعضائهِ ان يجد جرذاناً ليبحث عن ميكروب الطاعون في ابدانها فلم يجد والظاهر ان جرذان بمباي كانت قد ماتت كلها او هاجرت منها . واشتدَّ الطاعون في بمباي كل شتاء بعد ذلك

وسنة ١٨٩٨ اعلنت الحكومة العثمانية ان الطاعون موجود في جدَّة فذهب الدكتور بتر اليها فرأَى في شوارعها كثيرًا من الجرذان الميتة او التي تكاد تموت ووجد ميكروب الطاعون في كل جرذ منها بحث في بدنهِ بحثاً ميكروبياً

ولما أُعلن وجود الوباء في الاسكندرية في العام الماضي شاع ايضاً انهُ وجدت جرذان كثيرة ميتة في نادي التجارة والجنود الانكليزية وهو على شاطىء البحر يتردَّد عليهِ التجارة من البوارج الانكليزية والجنود من الحامية الانكليزية . وقال القس لورنس مدير ذلك النادي انهُ رأَى الجرذان هناك ميتة او مريضة قبل ما أُعلن وجود الطاعون في الاسكندرية بثلاثة اسابيع . وكانت الجرذان كثيرة هناك قبل ذلك ومن ثم لم يعد يرى شيئاً منها . ولم يفحص احد تلك الجرذان ليعلم ما اذا كان الطاعون سبب موتها . ولم يُصَب احد بالطاعون من الذين يترددون على النادي ولا من خدمهِ مع ان بعض الخدم مسكوا الجرذان الميتة ورموها من غير احتراس . وامام النادي مخزن بدَّال كبير قال صاحبهُ ان فيهِ جرذاناً كثيرةً ولم يرَ جرذاً ميتاً منها

وأُعلن وجود الطاعون بين رجال البوليس في محرَّم بك وقيل حينئذٍ انهُ شوهدت جرذان كثيرة ميتة قبل ظهورهِ بأُسبوعين ولكن لم يثبت لدى البحث ان الجرذان الميتة كانت اكثر من ثلاثة . ووجدت سبع جرذان ميتة في ثكنة الجنود الانكليزية بالاسكندرية

ولم يصب احد من الجنود التي فيها بالطاعون ولكن اصيب البعض من الوطنيين الساكنين على مقربة منها . واصيب ثلاثة بالطاعون في المطحنة الفرنسوية في ضواحي المدينة . وشهد مديرها انهُ رأى فيها جرذاً ميتة قبيل ذلك ثم هجرتها الجرذان كلها

ولما رأت ادارة الصحة ان كثيراً من الجرذان مات في الاسكندرية من غير ان تبحث عن ميكروب الطاعون في بدن جرذ منها اعلنت انها تعطي جائزة لمن يرشدها الى جرذ ميت فأرشدت الى مئات من الجرذان والفيران ولكنها لم تجد ميكروب الطاعون الاَّ في اثنين منها الواحد فار وجد في بيت انسان مات بالطاعون والثاني جرذ وجد قرب كنيسة الاقباط وهي على مقربة من المستشفى اليوناني حيث عولج كثيرون من المطعونين. وأمسكت جرذان كثيرة من مستشفى الحكومة حيث عولج كثيرون من المطعونين ولكن لم يوجد في ابدانها شيء من مكروبهِ

ومما يستحق الالتفات ان اكثر الذين طعنوا من الاوربيين في الاسكندرية كانوا من الخبازين والبدالين والجرذان كثيرة في الافران ومخازن البدالين كما لا يخفى . ولكن الجرذان التي أُتي بها من الافران والمخازن لم يوجد فيها شيء من ميكروب الطاعون . انتهى

ولا ندري ما هي الوسائل التي اتخذتها مصلحة الصحة لتكون على ثقة من ان الجرذان التي بحثت فيها هي من افران الخبازين ومخازن البدالين فان هؤلاء يبذلون جهدهم لكي لا يروها الجرذان التي عندهم مخافة ان تكتشف ميكروب الطاعون فيها فتحسب افرانهم ومخازنهم ملوثة بهِ وتتلف ما فيها وتضع عليهم الحجر الصحي وتعطل تجارتهم . فمصلحتهم المالية تقضي عليهم بمخادعتها جهدهم

المصل لعلاج الطاعون

لما اكتشف يارسن مصله في بلاد الصين سنة ١٨٩٦ ادَّعى انهُ عالج ستة وعشرين بهِ فلم يمت منهم الاَّ اثنان. ثم استعمل مصل رو في بلاد الهند سنة ١٨٩٨ فمات ٤٩ في المئة من الذين عالجهم بهِ وكان متوسط الوفيات حينئذٍ ٨٠ في المئة . الاَّ ان اطباء الهند ورجال الوفد الالماني لم يشيروا باستعمال هذا المصل. وادعى الدكتور كالمت الفرنسوي انهُ استعمل مصلاً مصنوعاً في مستشفى باستور بباريس في الطاعون الذي ظهر ببلاد البرتغال في العام الماضي فتوفي ١٣ في المئة من الذين عولجوا بهِ وكانت الوفيات نحو ٧٤ في المئة من الذين لم يعالجوا بهِ

هبة علمية يونانية

توفي بالامس رجل يوناني من نزلاء هذه العاصمة عن نحو مليون من الجنيهات كسبها في هذا القطر واوصى لابناء امتهِ بنحو ثلاثين الف جنيه وللجمعية الاسلامية بالف

جنيه . ولا ندري ما يكون حظ العلم من وصيته . وقد قرأنا في الجرائد العلمية الاخيرة ان رجلاً يونانياً من نزلاء باريس اسمهُ دانيل اوسيرس توفي عن ثروة طائلة واوصى بجانب كبير من امواله ليعطى ريعهُ جائزةً كل ثلاث سنوات لمن يكتشف انفع اكتشاف لنوع الانسان ولا تكون الجائزة اقل من مئة الف فرنك وقد تبلغ مئتي الف فرنك. وخصَّ هذه الجوائز بالفرنسويين الذين استوطنوا بلادهم واثروا فيها ولم يشرك غيرهم معهم فيها الاَّ اذا كان في باريس معرض عام يجتمع فيه الناس من الامم المختلفة فتكون الجوائز عمومية حينئذٍ

المعرض الاميركي

يهتم الاميركيون الآن بانشاء معرض كبير في مدينة بفلو يفتح في اول مايو المقبل ويقفل في آخر اكتوبر ويؤتى اليه بقوة خمسة آلاف حصان من شلالات نياغرا لانارته وادارة آلاته

اضرار الصراصير

يكره الناس الصراصير ويعافون كل طعام وقعت فيه وهم لا يدرون سبباً لذلك غير ما يجدونهُ في نفوسهم من الكره الطبيعي لها. لكن يظهر من مقالة نشرها الدكتور سرليبور في مجلة الجمعية الطبية الطبيعية في تيني ان الصراصير تصاب بامراض جلدية والجراثيم التي تتولد منها هذه الامراض قد تعيش في بدن الانسان ايضاً ولا يبعد ان تضرَّ به. فان كان ذلك كذلك فالصراصير مضرَّة فوق قبح منظرها وخُبث رائحتها

امتحان طيران البالون

امتحن طيران البالون في معرض باريس قبل اقفاله فسار بالون الكونت هنري ده لافول ١٩٢٥ كيلومتراً في ٢٥ ساعة و٤٥ دقيقة ونزل في كوروستشو بروسيا واعظم ما بلغهُ من الارتفاع ٥٧٠٠ متر. وسار بالون المسيو جاك بالسان ١٣٤٥ كيلو متراً في ٢٧ ساعة و٥ دقايق وبلغ ارتفاعه ٦٥٤٠ متراً . وسار بالون المسيو جاك فور ٩٥٠ كيلو متراً في ١٩ ساعة و٢٤ دقيقة ونزل في المانيا. فاعطيت الجائزة الاولى للكونت هنري ده لافول

الحمى الصفراء والبعوض

يرى الاطباء الآن ان البعوض ينقل عدوى الحمى الصفراء الخبيثة كما ينقل عدوى البعوض . ويظهر من بعض التجارب التي أُجريت حديثاً في جزيرة كوبا ومات فيها الدكتور لازير بالحمى الصفراء ان البعوض ينقل ميكروبها حتماً ويرجح ان ميكروبها لا ينتقل من المصاب الى السليم الاَّ به. فاذا ثبت ذلك كانت البعوضة التي يقال انها تدمي مقلة الاسد من شرّ الهوام على نوع الانسان

قناديل الاسيتيلين

يظهر ان الالمانيين احكموا عمل قنديل الاسيتيلين والاستصباح بهِ حتى صار استعمالهُ خالياً من الخطر فقد رأينا في الجرائد العلمية الاخيرة انهُ يستعمل في المانيا الآن مئتا الف مصباح كبير من الاسيتيلين وان مركبات سكك الحد الخاصة بالحكومة الالمانية أُنيرت بهِ . وقد استعمل في المانيا في العام الماضي ١٧ الف طن من كربيد الكلسيوم الذي يتولد منهُ غاز الاسيتيلين وهي تساوي في انارتها سبعة ملايين جالون من البتروليوم . وتنار بهِ الآن ٣٢ مدينة صغيرة ولا يبعد ان تستغني المانيا بهِ عن البتروليوم وعن غاز الضوء

سمّ الخمور

لا يخفى ان الاشربة الروحية كالخمر والكنياك والعرقي والشمبانيا تسكر شاربها ولكن بعضها يصحو الشارب منهُ بعد زوال فعل السكر سليماً كأنهُ لم يشرب مسكرًا وبعضها يصحو منهُ ضعيفاً مخبولاً . وقد سمعنا من بعض شاربي المسكرات ان الخمر اللبنانية المستخرجة من العنب لا غير تسكر مثل سائر المسكرات ولكنها لا توقع في الجسم خبالاً كالمسكرات الاوربية او كالمسكرات البلدية المصنوعة من السبيرتو الاوربي . وكلما عتقت الخمر كان شربها اسلم عاقبة ولم نمتحن ذلك قبلاً ولا بحثنا عن سببهِ لاعتقادنا ان انواع المسكر كلها في الضرر شرع ولا فائدة تجنى منها —ق

لقد خالفنا جمهور الاطباء في ذلك غير ان الطبيب الشهير العلامة السر لودر برنتن والدكتور تنكلف بحثا حديثاً بحثاً مدققاً في هذا الموضوع فوجدا ان الفرفورال الذي يكون في المسكرات وهو يتولد وقتما يتولد السبيرتو من فعل الحامض بقشر الحبوب هو السبب لهذا الخبال الذي يبقى في الجسم بعد السكر فانهُ سم ناقع يسم الجسم ولا يزول فعلهُ منهُ سريعاً .وان المسكرات التي نُزع منها الفرفورال وغيرهُ من الالدهيدات تسكر شاربها ولكنهُ يعود الى حالهِ بعد زوال فعلها المسكر ولا يبقى فيهِ شيء من الخبال والضعف . وكتب هذان الفاضلان مقالة وجيزة في هذا الموضوع نشراها في الجزء الاخير من جريدة اللانست الطبية وسنأتي عليها في الجزء التالي. و يظهر منها ان هذا السم اقل في الاشربة المعتقة منهُ في الاشربة الجديدة

اقفال معرض باريس

أُقفل معرض باريس ليلة الثاني عشر من نوفمبر وقد بلغ عدد الذين دخلوهُ بتذاكر قدموها عند ابوابهِ ٤٨ مليوناً وكان عدد الذين دخلوا المعرض السابق ٢٨ مليوناً . والتذاكر التي طبعت لهذا المعرض ٦٥ مليوناً فيكون قد بقي منها ١٧ مليوناً من غير استعمال وكان اكثر الزوّار الاجانب من الالمان

ويتلوهم البلجيون واكثر زوار المعرض الماضي من الانكليز ويتلوهم البلجيون . واكثر ما بلغهُ عدد الداخلين في يوم واحد ٦٠٠٠٠٠ واكثر ما بلغهُ في المعرض الماضي ٣٣٥٣٧٧ وبلغت نفقات هذا المعرض نحو عشرة ملايين من الجنيهات والمظنون ان خزينة فرنسا استردت اكثر هذا المال من زيادة مال المدخولية . وطلب الاستاذ جدس وغيرهُ من الاساتذة ابقاء قصور الدول لكي تجعل متاحف ودوراً للتعليم فاجيب طلبهم في بعضها

السم في البيرا

اثبتت جريدة اللانست الطبية ان البيرا قد تحوي مقداراً كبيراً من الزرنيخ آتيها من السكر الذي يدخل فيها فانهُ قد يكون في الرطل من هذا السكر ثلاث قمحات من الزرنيخ ويكون في الكاس من البيرة خمس قمحة من الزرنيخ واكثرهُ من الحامض الزرنيخوس السام جداً . فعسى أن تنتبه ادارة الصحة المصرية الى ذلك وتفحص انواع البيرة المستعملة في هذا القطر لانهُ ان كانت البيرة تسم في بلاد الانكليز مع ما فيها من شدة المراقبة فالاولى ان تسم في هذا القطر . وسمها لا يقصد بهِ سم شاربيها بل معالجة السكر الذي يستعمل فيها

سكان مصر والجزائر

بحث المستر رندل مكئر والمستر ولكنس عن احوال البربر سكان الجزائر وعن علاقتهم القديمة بمصر فوجدا في خزف " القبائل " ما يدلُّ على اصلهِ المصري

هبات اكيلولوبلو

فتحت وصية المسيو اكيلولوبلو القني اليوناني من نزلاء القطر المصري فاذا هو قد اوصى فيها بتسعة آلاف وسبع مئة جنيه للمدرسة التي انشأها في زنكارادا مسقط رأسهِ وخمسة عشر الف جنيه ومنزلهِ في الموسكي للطائفة اليونانية في العاصمة وثمانية آلاف جنيه لانشاء مستشفى والفي جنيه للفقراء والف جنيه للجمعية الخيرية الاسلامية

اقدم اوراق البنك

وضع في المتحف البريطاني حديثاً ورقة بنك صينية صدرت في عهد دولة منج اي منذ خمس مئة وعشر سنوات او قبلما صدرت اوراق البنك في اوربا بنحو ثلثمئة سنة وهي دليل قاطع على ان تلك البلاد ارتقت الارتقاء المالي قبل اوربا بقرون كثيرة وهناك ادلة كثيرة على انها ارتقت ايضاً الارتقاء العلمي والصناعي قبل اوربا فلا يفسر انحطاطها بعد ذلك وسبق اوربا لها الاَّ باحد امرين اما ان شعبها شاخ فانحط ولم يعد ارتقاؤهُ ميسوراً او ان في ما تخضع لهُ من السياسات والديانات ما منع ارتقاءها عن الحد الذي وصلت اليهِ

الجزء السادس من المجلد الخامس والعشرين

